الْفُتُوحَاتُ الْإِلَهِيَّةُ الْوَهْبِيَّةُ
عَلَى الْمَنْظُومَةِ الْمَقَّرِيَّةِ

الْمُسَمَّاةِ بِـ

(إِضَاءَةُ الدُّجُنَّةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ)

لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ / أَحْمَدَ الْمَقَّرِيِّ

٩٨٦/ ١٠٤١هـ

شَرْحُ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ / مُحَمَّدٍ عِلِيشٍ

١٢١٧/ ١٢٩٩ هـ

النَّاشِرُ

جَامِعَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُوسِيِّ الْإِسْلَامِيَّةُ

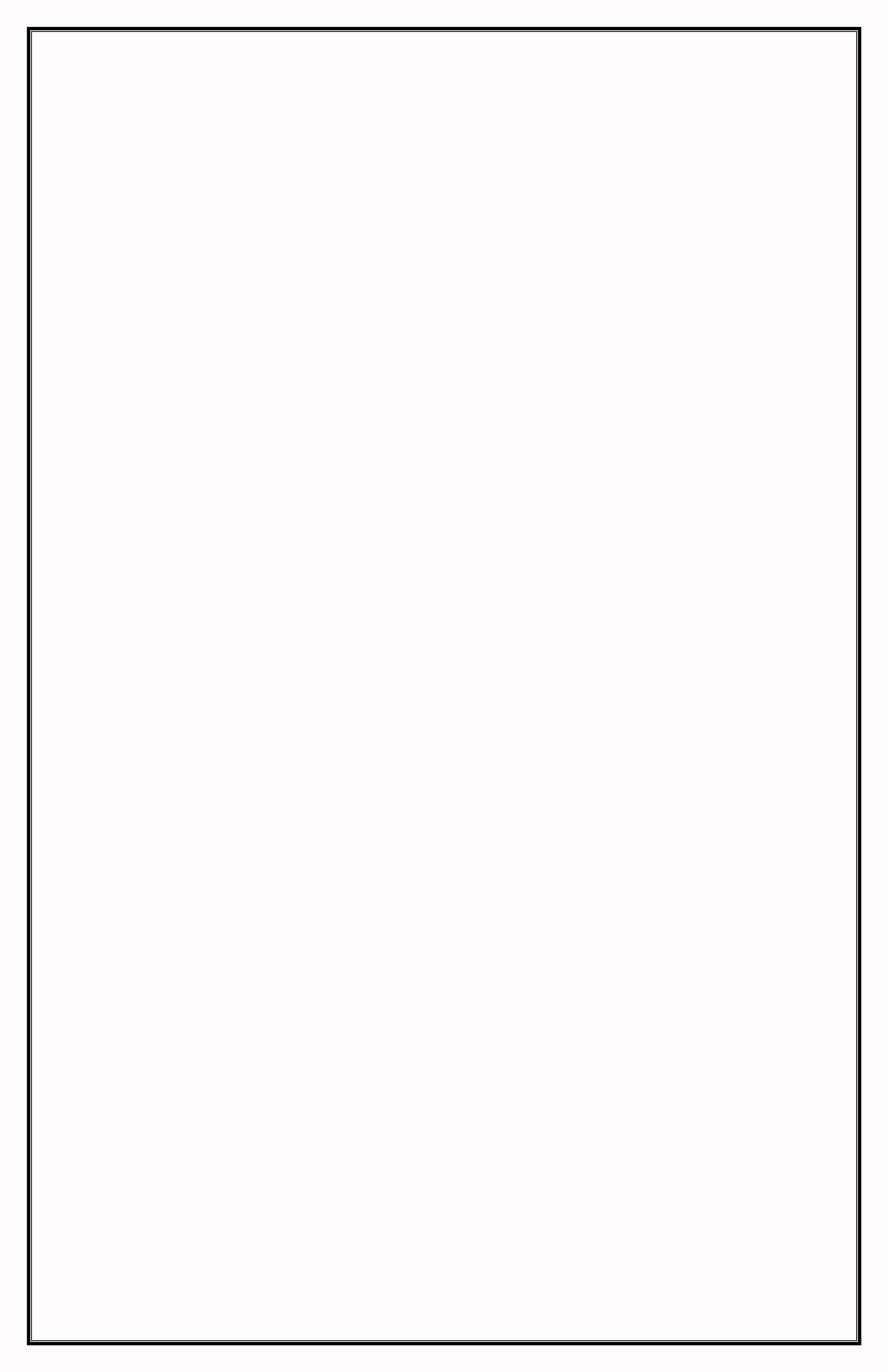
الْبَيْضَاءُ – الْمَمْلَكَةُ اللِّيبِيَّةُ

١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ مـ

مَطْبَعَةُ / مُحَمَّدٍ أَفَنْدِي مُصْطَفَى

أَعَدَّهُ وَنَسَّقَهُ / نَاصِرٌ عَبْدُ اللهِ دُسُوقِيٌّ

١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ مـ



[تَرْجَمَةُ الْمُؤَلِّفِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ]

هُوَ الْقُطْبُ الْكَبِيرُ، وَالْعَلَمُ الْمُنِيرُ، أَوْحَدُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَخَاتِمَةُ الْفُضَلَاءِ الْمُحَقِّقِينَ، وَارِثُ عُلُومِ سَيِّدِ قُرَيْشٍ؛ الْأُسْتَاذُ الْعَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ ابْنُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ، الْمُلَقَّبُ بِـ (عِلِيشٍ)، نَفَعَنَا اللهُ بِبَرَكَاتِهِ، وَأَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ فَوَائِدِ نَفَحَاتِهِ.

وَمَنْشَأُ تَلْقِيبِهِ بِـ (عِلِيشٍ) – بِكَسْرِ الْعَيْنِ كَمَا نَصَّ هُوَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ طُرَرِ مُؤَلَّفَاتِهِ – أَنَّ اسْمَ جَدِّهِ الْأَعْلَى: (عَلُّوشٌ)، أَحَدُ أَجْدَادِ الْغَوْثِ الْأَكْبَرِ، سَيِّدِي عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّبَّاغِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – صَاحِبِ كِتَابِ(الذَّهَبُ الْإِبْرِيزُ) الَّذِي اغْتَرَفَهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مُبَارَكٍ مِنْ فُيُوضَاتِ بِحَارِ عِلْمِهِ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ الْمُتَرْجَمُ – أَمْطَرَ اللهُ عَلَيْهِ سَحَائِبَ الرَّحْمَةِ – فِيمَا كَتَبَهُ بِطُرَّةِ شَرْحِهِ لِـ (قَوَاعِدِ الْإِعْرَابِ) : «الْأَصْلُ الْأَوَّلُ – مِنَ الْجِهَتَيْنِ – مِنْ فَاسٍ؛ وَالْأَبُ وِلَادَةُ طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ ؛ وَالْأُمُّ وِلَادَةُ مِصْرَ».

وَقَالَ أَيْضًا فِي حَاشِيَتِهِ (التَّيْسِيرُ وَالتَّحْرِيرُ) عَلَى شَرْحِهِ (مَوَاهِبُ الْقَدِيرِ عَلَى مَجْمُوعِ الْمُحَقِّقِ الْأَمِيرِ): «أَخْبَرَنِي مَنْ يُوثَقُ بِهِ أَنَّ مَدِينَةَ طَرَابُلُسَ الَّتِي وُلِدَ بِهَا أَبِي لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُسَمَّى (عِلِيشًا) إِلَّا جَدِّي مُحَمَّدًا، وَأَنَّهُ مَغْرِبِيٌّ مِنْ فَاسٍ، وَأَقَامَ بِطَرَابُلُسَ حِينَ رُجُوعِهِ مِنَ الْحَجِّ، وَتَزَوَّجَ بِهَا، وَوُلِدَ لَهُ بِهَا أَرْبَعَةُ ذُكُورٍ : أَحْمَدُ وَالِدِي، وَمُحَمَّدٌ، وَعَلِيٌّ، وَحُسَيْنٌ؛ وَتُوُفِّيَ بِهَا عَنْهُمْ فَانْتَقَلُوا مِنْهَا؛ وَمَاتَ عَمِّي مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ، وَكَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْعَارِفِينَ؛ وَمَاتَ الْبَاقُونَ بِمِصْرَ الْقَاهِرَةِ، وَدُفِنُوا بِـ (حَارَةِ الدَّوَادَارِيِّ) بِقُرْبِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ. وَأَخْبَرَنِي آخَرُ يُوثَقُ بِهِ: أَنَّ بِأَعْمَالِ فَاسٍ قَبِيلَةً مِنَ الْأَشْرَافِ يُقَالُ لَهَا: (الْعِلَالِشَةُ)، فَلَعَلَّ جَدِّي مُحَمَّدًا مِنْهَا؛ وَاللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ». اِنْتَهَى.

هَذَا، وَقَدْ وُلِدَ الْأُسْتَاذُ الْمُؤَلِّفُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – بِمِصْرَ الْقَاهِرَةِ، فِي (حَارَةُ الْجُوَارِ) بِقُرْبِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ – أَبَّدَ اللهُ عِمَارَتَهُ بِأَنْوَارِ الْعُلُومِ – فِي شَهْرِ اللهِ رَجَبَ الْأَصَبِّ، سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ هِجْرِيَّةً؛ وَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً؛ وَاشْتَغَلَ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الْأَنْوَرِ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْجَهَابِذَةَ الْأَفَاضِلَ عُلَمَاءَ الدِّينِ، وَأَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَخَذَ عَنْهُمْ مِنْ شَرِيفِ الْعُلُومِ مَا بِهِ صَارَ مِنْ أَكَابِرِ الْأَعْلَامِ، وَأَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ ،

فَمِنْهُمْ :

١ – الْعَلَّامَةُ الْفَاضِلُ الْأُسْتَاذُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ.
٢ – وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْجَوَادِ الشَّبَّاسِي.
٣ – وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَوَضٌ السِّنْبَاوِيُّ.
٤ – وَالْأُسْتَاذُ الشَّيْخُ مُصْطَفَى السَّلَمُونِيُّ.
٥ – وَالْعَلَّامَةُ سَيِّدِي مُصْطَفَى الْبُولَاقِيُّ.
٦ – وَالْعَارِفُ بِاللهِ تَعَالَى الْأُسْتَاذُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ فَتْحُ اللهِ.
٧ – وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ حَسَنٌ حِمِيدَةُ الْعَدَوِيُّ.
٨ – وَالْفَاضِلُ الشَّيْخُ مَقْدِيشٌ الْمَغْرِبِيُّ السَّفَاقُسِيُّ.
٩ – وَالْأُسْتَاذُ سَيِّدِي الشَّيْخِ جَادُ الرَّبِّ.
١٠ – وَالْفَهَّامَةُ الْأَوْحَدُ الشَّيْخُ يُوسُفُ الصَّاوِيُّ.

وَأَخَذَ أَيْضًا عَنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنْ أَفَاضِلِ الْعُلَمَاءِ، وَأَجِلَّاءِ الْمَشَايِخِ .

[وَمِنَ الْمُجِيزِينَ لَهُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ] :

١ – سَيِّدِي الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الْمَلَّوِيُّ، شَيْخُ السَّادَةِ الْمَالِكِيَّةِ سَابِقًا.

٢ – وَالْعَلَّامَةُ النِّحْرِيرُ الشَّيْخُ مُصْطَفَى الْبَنَّانِيُّ صَاحِبُ (التَّجْرِيدِ).

٣ – وَالْأُسْتَاذُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ حُبَيْشٌ شَيْخُ السَّادَةِ الْمَالِكِيَّةِ.

٤ – وَالْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَلِيٌّ الْحُلْوُ.

٥ – وَالْعَلَّامَةُ سَيِّدِي عَبْدُ الْوَاحِدِ الدَّمَنْهُورِيُّ.

٦ – وَالْأُسْتَاذُ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مَلُّوكَةَ التُّونُسِيُّ.

رَحِمَ اللهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ، وَنَفَعَنَا بِهِمْ .

وَاشْتَغَلَ بِالتَّدْرِيسِ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ؛ فَقَرَأَ فِيهِ الْعُلُومَ النَّقْلِيَّةَ وَالْعَقْلِيَّةَ، وَأَبْدَعَ فِي قِرَاءَتِهَا وَأَغْرَبَ، وَحَلَّ مُشْكِلَاتِهَا وَأَعْرَبَ، وَأَخْرَجَ مِنْ بِحَارِهَا جَوَاهِرَ الْمَعَانِي؛ وَمَا زَالَ يَتَرَقَّى فِي أَوْجِ الْمَعَالِي، وَمَرَاتِبِ الْكَمَالِ، حَتَّى صَارَ الْعَلَمَ الْوَحِيدَ، وَالْجَوْهَرَ الْفَرِيدَ، وَتَخَرَّجَ عَلَيْهِ مِنْ أَفَاضِلِ الْعُلَمَاءِ الْأَزْهَرِيِّينَ طَبَقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ؛ وَأَلَّفَ التَّآلِيفَ الْعَدِيدَةَ، الْجَامِعَةَ الْمُفِيدَةَ، الَّتِي عَمَّ صِيتُهَا الْحَاضِرَ وَالْبَادِ، وَسُعِيَ فِي تَحْصِيلِهَا مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ، فَمِنْهَا :

١ – هَذَانِ الْكِتَابَانِ الْجَلِيلَانِ.

٢ – وَمِنْهَا: (فَتْحُ الْعَلِيِّ الْمَالِكِ فِي الْفَتْوَى عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ). وَهُوَ جُزْآنِ، وَقَدْ طُبِعَ.

٣ – وَكِتَابُ: (تَدْرِيبُ الْمُبْتَدِي وَتَذْكِرَةُ الْمُنْتَهِي) فِي عِلْمِ الْفَرَائِضِ وَالْعَمَلِ بِالْجَدْوَلِ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ مَعَ الْفَتَاوَى الْمَذْكُورَةِ تَذْيِيلًا لَهَا

٤ – وَ (شَرْحُ مِنَحِ الْجَلِيلِ عَلَى مُخْتَصَرِ الْعَلَّامَةِ خَلِيلٍ)، وَهُوَ مَطْبُوعٌ أَيْضًا فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ ضِخَامٍ، وَحَاشِيَتُهُ عَلَى هَامِشِهِ، وَهِيَ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ.

٥ – وَ (مَوَاهِبُ الْقَدِيرِ شَرْحُ مَجْمُوعِ الْمُحَقِّقِ الْأَمِيرِ)، وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ ضِخَامٍ.

٦ – وَحَاشِيَتُهُ (التَّيْسِيرُ وَالتَّحْرِيرُ عَلَى مَوَاهِبِ الْقَدِيرِ)، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ أَيْضًا.

٧ – وَحَاشِيَتُهُ عَلَى شَرْحِ مَجْمُوعِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ. وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ ضِخَامٍ تُسَمَّى (الْبَدْرُ الْمُنِيرُ عَلَى شَرْحِ مَجْمُوعِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ).

٨ – وَشَرْحُهُ (الْجَامِعُ الْكَبِيرُ عَلَى مَجْمُوعِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ)؛ وَهُوَ أَصْلُ (مَوَاهِبُ الْقَدِيرِ)، وَصَلَ فِيهِ إِلَى أَثْنَاءِ بَابِ الصِّيَامِ فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ، وَلَمْ يَكْمُلْ.

٩ – وَحَاشِيَةٌ تُسَمَّى (هِدَايَةُ السَّالِكِ إِلَى أَقْرَبِ الْمَسَالِكِ) عَلَى (صَغِيرِ الْأُسْتَاذِ الدَّرْدِيرِ)، وَهِيَ جُزْآنِ، مَطْبُوعَةٌ أَيْضًا.

١٠ – وَحَاشِيَةٌ عَلَى (شَرْحُ الْكُبْرَى) لِلْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ، تُسَمَّى (الْقَوْلُ الْوَافِي السَّدِيدُ بِخِدْمَةِ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ)، وَهِيَ جُزْءٌ ضَخْمٌ .

١١ – وَرِسَالَةٌ تُسَمَّى (الْقَوْلُ الْفَاخِرُ فِي بَعْضِ مَا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}).

١٢ – وَرِسَالَةٌ تُسَمَّى (كِفَايَةُ الْمُرِيدِ فِي بَيَانِ مَنَاسِكِ حَجِّ بَيْتِ اللهِ الْحَمِيدِ).

١٣ – وَحَاشِيَةٌ تُسَمَّى (الْقَوْلُ الْمُنْجِي عَلَى مَوْلِدِ الْأُسْتَاذِ الْبِرْزَنْجِي)، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ أَيْضًا.

١٤ – وَرِسَالَةٌ تُسَمَّى (تَقْرِيبُ الْعَقَائِدِ السُّنِّيَّةِ بِالْأَدِلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ)، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ أَيْضًا.

١٥ – وَرِسَالَةٌ تُسَمَّى بِـ (الْإِيضَاحُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْبَسْمَلَةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عِلْمًا فِي غَايَةِ الْإِفْصَاحِ)، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ أَيْضًا.

١٦ – وَخَاتِمَةٌ تُسَمَّى (الْكَوْكَبُ الْمُنِيرُ عَلَى مَجْمُوعِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ).

١٧ – وَخَاتِمَةٌ تُسَمَّى (الدُّرَرُ الْبَهِيَّةُ عَلَى شَرْحِ ابْنِ تُرْكِي عَلَى الْعَشْمَاوِيَّةِ).

١٨ – وَخَاتِمَةٌ تُسَمَّى (فَتْحُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ عَلَى شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ).

١٩ – وَخَاتِمَةٌ تُسَمَّى (جَلَاءُ الصَّدَى عَلَى شَرْحِ قَطْرِ النَّدَى).

٢٠ – وَحَاشِيَةٌ تُسَمَّى (مَوَاهِبُ الرَّحْمَنِ الْمَالِكِ عَلَى شَرْحِ الْأُشْمُونِيِّ لِأَلْفِيَّةِ الْإِمَامِ ابْنِ مَالِكٍ)، وَهِيَ جُزْآنِ كَبِيرَانِ.

٢١ – وَحَاشِيَةٌ تُسَمَّى بِـ (وَسِيلَةُ الْإِخْوَانِ وَمُغْنِيَتُهُمْ عَنْ مُرَاجَعَةِ الشُّيُوخِ وَمُشَارَكَةِ الْأَقْرَانِ) عَلَى رِسَالَةِ الْعَلَّامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ الصَّبَّانِ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ، وَهِيَ جُزْءٌ؛ وَاخْتَصَرَهَا فِي حَاشِيَةٍ أُخْرَى تُسَمَّى (تُحْفَةُ الْإِخْوَانِ عَلَى رِسَالَةِ الْإِمَامِ الصَّبَّانِ)، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ أَيْضًا.

٢٢ – وَشَرْحٌ يُسَمَّى (مُوَصِّلُ الطُّلَّابِ لِمِنَحِ الْوَهَّابِ فِي قَوَاعِدِ الْإِعْرَابِ) لِلْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ يُوسُفَ الْبُرْنَاوِيِّ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ أَيْضًا.

٢٣ – وَشَرْحٌ يُسَمَّى (حَلُّ الْمَعْقُودِ مِنْ نَظْمِ الْمَقْصُودِ فِي عِلْمِ الصَّرْفِ) لِلْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ عَبْدِ الرَّحِيمِ الطَّهْطَاوِيِّ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ أَيْضًا.

٢٤ – وَحَاشِيَةٌ تُسَمَّى (الْقَوْلُ الْمُشْرِقُ عَلَى شَرْحِ إِيسَاغُوجِي) لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيِّ، مَطْبُوعَةٌ أَيْضًا.

٢٥ – وَشَرْحٌ عَلَى مَتْنِ إِيسَاغُوجِي.

٢٦ – وَرِسَالَةٌ صَغِيرَةٌ تُسَمَّى (إِتْحَافُ الْبَرِيَّاتِ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمُوَجِّهَاتِ).

٢٧ – وَشَرْحٌ عَلَى (الدُّرَّةُ الْبَيْضَاءُ) لِلْعَلَّامَةِ الْأَخْضَرِيِّ فِي عِلْمِ الْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَالْعَمَلِ بِالْجَدْوَلِ؛ وَلَمْ يَكْمُلْ .

وَلَهُ تَقَارِيرُ كَثِيرَةٌ مُفِيدَةٌ عَلَى هَوَامِشِ عِدَّةِ كُتُبٍ فِي فُنُونٍ شَتَّى؛ وَقَدْ تَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالِانْتِفَاعِ بِتَآلِيفِهِ، فَقَدْ تَسَابَقَ فِي تَحْصِيلِهَا شَرْقًا وَغَرْبًا الْمُتَسَابِقُونَ، وَتَنَافَسَ فِي الْجِدِّ فِي اقْتِنَائِهَا الْمُتَنَافِسُونَ، لَاحَتْ عَلَيْهَا لَوَائِحُ الْقَبُولِ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهَا ثَمَرَاتُ الْإِخْلَاصِ.

وَكَانَ – مَعَ اشْتِغَالِهِ بِالتَّأْلِيفِ – مُدِيمًا إِقْرَاءَ كُتُبِ الْحَدِيثِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالْفِقْهِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْفُنُونِ .

تَقَلَّدَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – مَشْيَخَةَ السَّادَةِ الْمَالِكِيَّةِ، وَوَظِيفَةَ الْإِفْتَاءِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فِي شَهْرِ شَوَّالٍ الْمُبَارَكِ، سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّحِيَّةِ.

وَقَدْ صَرَفَ جَوَاهِرَ لَحَظَاتِ عُمُرِهِ فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ، وَأَمْسَكَ بِزِمَامِ نَفْسِهِ عَنْ مَرَاتِعِ الشَّهَوَاتِ، وَعَكَفَ نُورَ عَقْلِهِ فِي خَلَوَاتِ مُنَاجَاةِ مَوْلَاهُ، وَتَعَلَّقَتْ رُوحُهُ بِالْمَلَإِ الَّذِي تَوَلَّى اللهَ وَتَوَلَّاهُ.

هَذَا أُنْمُوذَجُ بَعْضِ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَنَاقِبِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

تُوُفِّيَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – بَعْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ مِنْ لَيْلَةِ الْأَحَدِ، التَّاسِعَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ، الَّذِي هُوَ لِعَامِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ بَعْدَ مِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ خِتَامٌ؛ وَدُفِنَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِقَرَافَةِ الْمُجَاوِرِينَ بَيْنَ إِمَامَيْنِ جَلِيلَيْنِ :

١ – الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ خَلِيلِ بْنِ إِسْحَاقَ، صَاحِبِ (الْمُخْتَصَرِ) .
٢ – وَالْإِمَامِ النَّاصِرِ اللَّقَّانِيِّ.

بِجُوَارِ الْإِمَامِ سَيِّدِي عَبْدِ اللهِ الْمُنُوفِيِّ .
رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْجَمِيعِ، وَنَفَعَنَا بِهِمْ، وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ؛ آمِينَ.
وَالْحَمْدُ للهِ وَكَفَى، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.

****

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ :

فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ عِلِيشٌ :

هَذَا شَرْحٌ لَطِيفٌ عَلَى رَجَزِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الْمَقَّرِيِّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، الْمُسَمَّى :

(**إِضَاءَةُ الدُّجُنَّةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ**) .

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))

يَتَأَكَّدُ الْكَلَامُ عَلَيْهَا بِمَا يُنَاسِبُ الْعِلْمَ الْمَبْدُوءَ بِهَا، لِتَأْدِيَةِ حَقِّهِمَا، وَهُوَ هُنَا عِلْمُ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ: " عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ مَا يَجِبُ للهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –، وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –؛ وَمَا يَجِبُ، وَمَا يَسْتَحِيلُ، وَمَا يَجُوزُ لِأَنْبِيَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ".

فَ ((الْبَاءُ)) مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: " أُؤَلِّفُ "؛ وَهُوَ فِعْلٌ اخْتِيَارِيٌّ مَخْلُوقٌ للهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –، وَمَكْسُوبٌ لِلْمُؤَلِّفِ بِلَا تَأْثِيرٍ لَهُ أَصْلًا؛ وَكَسْبُهُ هُوَ الَّذِي صَحَّحَ وَصْفَهُ بِأَنَّهُ مُؤَلِّفٌ لِلْكِتَابِ، وَمُسْتَحِقٌّ لِلْحَمْدِ وَالثَّوَابِ بِفَضْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ (الْقُدْرَةِ) وَ (الْكَسْبِ) :

أَنَّ (**الْقُدْرَةَ**) : يَصِحُّ انْفِرَادُ مَوْصُوفِهَا بِالْفِعْلِ بِلَا تَوَقُّفٍ عَلَى غَيْرِهَا.

وَ (**الْكَسْبُ**) : لَا يَصِحُّ انْفِرَادُ مَوْصُوفِهِ بِهِ، وَيَتَوَقَّفُ عَلَى مَا لَا صُنْعَ لَهُ فِيهِ، كَذَاتِهِ، وَسَلَامَةِ آلَاتِهِ وَكَسْبِهِ.

[وَحَاصِلُ مَذْهَبِنَا – مَعْشَرَ الْأَشْعَرِيَّةِ – فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ الِاخْتِيَارِيَّةِ]:

أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَقْرُونَةٌ بِكَسْبِهِمْ ؛ فَهِيَ لِكَوْنِهَا بِتَأْثِيرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَخْلُوقَةٌ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وَلِاقْتِرَانِهَا بِكَسْبِ الْعِبَادِ مَكْسُوبَةٌ لَهُمْ .

وَ ((**الِاسْمُ**)) :

قَالَ إِمَامُنَا الْأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

« إِمَّا نَفْسُ مُسَمَّاهُ ، كَـ " اللهُ " ؛ وَإِمَّا غَيْرُهُ ، كَـ " الْخَالِقُ "؛ وَإِمَّا لَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ ، كَـ " الْعَالِمُ " » .

وَأَرَادَ – رَحِمَهُ اللهُ – بِـ (الِاسْمِ) : مَعْنَاهُ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ هُوَ فِيهِ ، سَوَاءٌ كَانَ مُطَابِقِيًّا ، أَوْ تَضَمُّنِيًّا .

((اللهِ)) :

اِسْمٌ لِلذَّاتِ الْوَاجِبِ وُجُودُهُ، وَاتِّصَافِهِ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَتَنَزُّهِهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَالْجَائِزِ عَلَيْهِ فِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَتَرْكُهُ .

((الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) :

هُمَا مِنَ الرَّحْمَةِ، إِمَّا بِمَعْنَى إِرَادَةِ الإِنْعَامِ، فَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِي الْمَوْجُودَةِ الْوَاجِبَةِ، الَّتِي لَيْسَتْ عَيْنَ، وَلَا غَيْرَ الذَّاتِ، أَيْ هِيَ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ، تَصِحُّ رُؤْيَتُهَا وَلَا تَنْفَكُّ عَنْهُ.

وَإِمَّا بِمَعْنَى الْأَنْعَامِ، فَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ الْحَادِثَةِ.

****

١ – يَقُــــولُ أَحْمَـــــدُ الْفَقِــــيرُ الْمَقَّــــرِي الْمَغْـــــــرِبِيُّ الْمَــــــــالِكِيُّ الْأَشْــــــــعَرِي

((**يَقُولُ**)) :

أَصْلُهُ بِسُكُونِ الْقَافِ، وَضَمِّ الْوَاوِ، فَنُقِلَ إِلَى مَا قَبْلَهَا، لِثِقَلِهِ عَلَيْهَا، لِكَوْنِهِ ضَمَّ بِنْيَةٍ مُلَازِمًا، بِخِلَافِ ضَمِّ الْإِعْرَابِ، فَيَخِفَّ عَلَيْهَا، نَحْوُ: " هَذَا دَلْوٌ ".

أَيْ : يَكْتَسِبُ الْقَوْلَ بِلَا تَأْثِيرٍ لَهُ فِيهِ، وَخَالِقُهُ الْمُؤَثِّرُ فِيهِ هُوَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

وَفَاعِلُ (يَقُولُ) :

((**أَحْمَدُ**)) :

اسْمُ الْمُصَنِّفِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُخْتَارِ – الْمَشْهُورُ بِـ " ابْنِ الْأَعْمَشِ " – فِي شَرْحِهِ:

«وَهُوَ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ، حَافِظُ عَصْرِهِ، وَفَرِيدُ دَهْرِهِ، أَبُو الْعَبَّاسِ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَقَّرِيُّ التِّلِمسَانِيُّ أَصْلًا، نَشَأَ بِبَلَدِ تِلِمسَانَ – عَمَّرَهَا اللهُ تَعَالَى – وَقَرَأَ بِهَا عَلَى عَمِّهِ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَقَّرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِهَا؛ وَأَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمٍ، الشَّهِيرِ بِـ " الْقَصَّارِ "، الْفَاسِيِّ وَطَنًا، الْغِرْنَاطِيِّ أَصْلًا؛ وَتَمَهَّرَ فِي الْعُلُومِ، أُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، وَعِلْمِ الْمُعَامَلَاتِ، وَأَحْوَالِ الْقُلُوبِ وَالتَّصَوُّفِ؛ وَيَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ مِنْ أَرْبَابِ الذَّوْقِ، نَفَعَنَا اللهُ تَعَالَى بِهِ.

ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَحَجَّ وَجَاوَرَ، وَأَقْرَأَ الْعُلُومَ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَتَصَدَّرَ فِيهَا.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِصْرَ، وَاسْتَوْطَنَ الْقَاهِرَةَ، وَتَصَدَّرَ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ – عَمَّرَهُ اللهُ تَعَالَى –، وَانْتَهَتْ إِلَيهِ رِيَاسَةُ الْمَالِكِيَّةِ، وَأَلَّفَ هَذَا النَّظْمَ، وَأُخِذَ عَنْهُ، وَوُضِعَ لَهُ الْقَبُولُ –كَمَا هُوَ شَأْنُ الصَّالِحِينَ –؛ وَتَخَرَّجَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْفُضَلَاءِ –كَمَا قَالَ تِلْمِيذُهُ الْإِمَامُ أَبُو مَهْدِيٍّ عِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعَالِبِيُّ الْجَعْفَرِيُّ الْمَكِّيُّ – ، مِنْهُمْ :

(أ) أَبُو الصَّلَاحِ شَيْخُ الْإِفَادَةِ وَالتَّرْبِيَةِ: عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْأَنْصَارِيُّ السِّجِلْمَاسِيُّ.

(ب) وَشَيْخُ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ: نُوحُ بْنُ مُصْطَفَى الْحَنَفِيُّ.

(جـ) وَالْخَطِيبُ: أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ جَمَالِ الدِّينِ الْقَيْرَوَانِيُّ.

(دَ) وَمِنْهُمْ: عَبْدُ الْبَاقِي الْحَنْبَلِيُّ .

وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ .

وَلَهُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – الْيَدُ الطُّولَى فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَفُنُونِ الْبَلَاغَةِ.

وَحُكِيَ لِي عَنْ بَعْضِ مُعَاصِرِيهِ – إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُهُ مِنْهُ – أَنَّ مِيزَابَ الرَّحْمَةِ مِنَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ – شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى – انْهَدَمَ، فَبُنِيَ مَرَّاتٍ وَلَمْ يَسْتَمْسِكْ، بَلْ كُلَّمَا بُنِيَ انْهَدَمَ، فَأَعْيَا ذَلِكَ السُّلْطَانَ، فَاسْتَفْتَى عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ عَنْ سِرِّ ذَلِكَ؟، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يُفْتِيهِ إِلَّا النَّاظِمَ، فَأَفْتَاهُ بِأَنَّهُ لَا يَتَمَاسَكُ إِلَّا إِذَا بُنِيَ بِالْحَلَالِ، وَلَا حَلَالَ الْيَوْمَ إِلَّا صَدَاقُ الْحُرَّةِ. فَبَنَاهُ بِهِ فَتَمَاسَكَ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِإِشْخَاصِهِ إِلَيْهِ، فَدَسَّ إِلَيْهِ بَعْضُ الْحَسَدَةِ سُمًّا فِي فَاكِهَةٍ فَمَاتَ، وَأَظُنُّهُ فِي عَشْرِ الْخَمْسِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ». اهـ.

... ...

[تَنْبِيهَاتٌ]

[الْأَوَّلُ] :

(**أَحْمَدُ**) مَنْقُولٌ مِنْ مُضَارِعِ (حَمَدَ) ، أَوْ مِنِ اسْمِ التَّفْضِيلِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْحَمْدِ .

[الثَّانِي] :

هُوَ أَشْرَفُ مَا حُمِّدَ مِنَ الْأَسْمَاءِ بَعْدَ (مُحَمَّدٌ) ؛ وَأَفْضَلُ أَسْمَائِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي السَّمَاءِ كَمَا كَانَ أَفْضَلَهَا فِي الْأَرْضِ: (مُحَمَّدٌ) ، وَأَظْهَرُ فِي مُضِيِّ الْمُحِبِّيَّةِ ؛ وَ (مُحَمَّدٌ) دَالٌّ عَلَى الْمَحْبُوبِيَّةِ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ أَلَذَّ وَأَشْوَقَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ؛ وَفِيهِ مَادَّةُ (مَحَ) – أَيْ : أَهْلَكَ – ، وَ (مَدَّ) ، أَيْ : بَسَطَ ، لِأَنَّهُ أَهْلَكَ الْبَاطِلَ وَدَمَّرَهُ ، وَبَسَطَ الْحَقَّ وَنَشَرَهُ ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ :

((مُحَمَّـــــــدُنَا مَـــــــحَ الْإِلَــــــهُ بِنُـــــورِهِ ... عِبَـــادًا طَغَـــوْا فِي الْأَرْضِ دِيـــنُهُمُ الْكُفْـــرُ

وَمَـــدَّ لَنَـــا الْإِسْـــلَامَ طُـــرًّا فَلَـــمْ يَـــزَلْ ... لَـــهُ النَّصْـــرُ وَالتَّمْكِـــينُ وَالنَّشْـــرُ وَالظَّفْـــرُ)) .

[الثَّالِثُ] :

فِي تَسْمِيَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِـ (**أَحْمَدَ**) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ أَكْثَرُ النَّاسِ حَامِدِيَّةً، كَمَا أَنَّ فِي تَسْمِيَتِهِ بِـ (مُحَمَّدٍ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ مَحْمُودِيَّةً؛ فَهُوَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَبْلَغُ الْخَلْقِ حَامِدِيَّةً وَمَحْمُودِيَّةً ؛

أَمَّا الْأَوَّلُ : فَلِأَنَّهُ أَثْنَى عَلَى اللهِ تَعَالَى بِمَحَامِدَ لَمْ يُثْنِ بِهَا غَيْرُهُ .

وَأَمَّا الثَّانِي : فَلِأَنَّهُ كَثُرَ حَمْدُ الْخَلْقِ لَهُ ، كَمَا تَرَجَّاهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ؛ فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ : «عَنْ أَبِي الْحَسَنِ التَّنُوخِيِّ : أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّابِعِ مِنْ وِلَادَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذَبَحَ عَنْهُ جَدُّهُ الْمَذْكُورُ ، وَدَعَا قُرَيْشًا، فَلَمَّا أَكَلُوا قَالُوا : مَا سَمَّيْتَهُ ؟ قَالَ: سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا ؛ قَالُوا : لِمَ رَغِبْتَ بِهِ عَنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ : رَجَوْتُ أَنْ يَحْمَدَهُ اللهُ فِي السَّمَاءِ ، وَخَلْقُهُ فِي الْأَرْضِ » . اِنْتَهَى .

... ...

وَرُوِيَ أَنَّهُ رَأَى فِي نَوْمِهِ أَنَّ سِلْسِلَةَ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ ، لَهَا طَرَفٌ فِي الْمَشْرِقِ ، وَطَرَفٌ فِي الْمَغْرِبِ ، وَطَرَفٌ فِي السَّمَاءِ ، وَطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ . فَفُسِّرَتْ لَهُ بِمَوْلُودٍ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ وَلِهَذَا، لَمَّا سَمَّاهُ (مُحَمَّدًا) وَقِيلَ لَهُ : لِمَ سَمَّيْتَ ابْنَكَ مُحَمَّدًا وَلَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ قَوْمِكَ؟ قَالَ: رَجَوْتُ أَنْ يُحْمَدَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . وَقَدْ حَقَّقَ اللهُ تَعَالَى رَجَاءَهُ كَمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَغَيْرُهُ :

«وَأَحْمَدِيَّتُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سَابِقَةٌ عَلَى مُحَمَّدِيَّتِهِ ، لِأَنَّ أَوَّلَ مَا خُلِقَ نُورُهُ ، فَسَجَدَ للهِ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ ، وَذَلِكَ حَمْدٌ مِنْهُ لِرَبِّهِ؛ ثُمَّ عَرَّفَ بِهِ خَاصَّتَهُ فَحَمَدُوهُ؛ وَكَذَا لَمَّا ظَهَرَتْ ذَاتُهُ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ سَاجِدًا رَافِعًا أُصْبَعَهُ كَالْمُبْتَهِلِ ، وَذَلِكَ حَمْدٌ مِنْهُ لِرَبِّهِ؛ ثُمَّ جَاءَ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ فَحَمَدَهُ أَتْبَاعُهُ ؛ وَكَذَا فِي الْآخِرَةِ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَيَحْمَدُ رَبَّهُ بِمَحَامِدَ يُلْهِمُهُ إِيَّاهَا ، فَيُشَفِّعُهُ فَيَحْمَدُهُ أَهْلُ الْمَوْقِفِ ؛ فَأَحْمَدِيَّتُهُ سَابِقَةٌ فِي الدَّارَيْنِ ، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ اسْمُهُ (**أَحْمَدُ**) فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، كَقَوْلِ عِيسَى : ﴿ **اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصَّفُّ : ٦] ، وَقَوْلِ اللهِ لِمُوسَى: (تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ) ؛ وَاسْمُهُ (مُحَمَّدٌ) فِي آخِرِ الْكُتُبِ ، وَهُوَ الْقُرْآنُ ». اهـ .

[الرَّابِعُ] :

لَمْ يُسَمَّ بِـ (أَحْمَدَ) أَحَدٌ قَبْلَهُ – كَمَا فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ – مُنْذُ خُلِقَتِ الدُّنْيَا، حِمَايَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى ، لِئَلَّا يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ، أَوْ شَكٌّ فِي أَنَّهُ الْمَنْعُوتُ بِـ (أَحْمَدَ) فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ. هَكَذَا قَالَ الْأَكْثَرُونَ، وَبِهِ جَزَمَ عِيَاضٌ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ الصَّوَابُ .

[الْخَامِسُ] :

التَّسْمِيَةُ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَطْلُوبَةٌ وَمُرَغَّبٌ فِيهَا، لِلْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَهُوَ:

«قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُعَذِّبَنَّ أَحَدًا سُمِّيَ بِاسْمِكَ بِالنَّارِ ».

وَفِي رِوَايَةٍ :

«قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ مَنِ اسْمُهُ أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ » .

وَفِي [الْمَدْخَلِ] عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

«إِنَّ اللهَ لَيُوقِفُ الْعَبْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ الَّذِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، أَوْ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ : يَا عَبْدِي ، أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَعْصِيَنِي وَاسْمُكَ عَلَى اسْمِ حَبِيبِي ؟!! . فَيُنَكِّسُ الْعَبْدُ رَأْسَهُ حَيَاءً ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ . فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا جِبْرِيلُ ، خُذْ بِيَدِ عَبْدِي وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، فَإِنِّي أَسْتَحِي أَنْ أُعَذِّبَ مَنِ اسْمُهُ اسْمُ حَبِيبِي » .

... ...

((**الْفَقِيرُ**)) :

صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ ، مِنَ (الْفَقْرِ) ، بِمَعْنَى : الْحَاجَةِ .

أَيْ : الْمُحْتَاجُ دَائِمًا لِعَفْوِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَالْفَقْرُ وَصْفٌ لَازِمٌ لِلْعَبْدِ ؛ كَمَا أَنَّ الْغِنَى وَصْفُ كَمَالٍ للهِ تَعَالَى .

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾

[فاطر : ١٥] .

[لَطِيفَةٌ] :

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى الشُّنْشُورِيِّ :

« وَمِنْ لَطَائِفِ الْإِشَارَاتِ أَنَّ أَوَّلَ حَرْفٍ مِنَ (الْعِلْمِ) ، وَ (الْغِنَى) ، وَ(الْخِصْبِ) مَكْسُورٌ ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ صِفَاتِ الْعُلُوِّ الْحَسَنَةَ إِنَّمَا تُقَالُ بِالِانْخِفَاضِ ؛ بِخِلَافِ أَضْدَادِهَا مِنَ (الْجَهْلِ) ، وَ (الْفَقْرِ) ، وَ (الْجَدْبِ) ، وَمَبْدَؤُهَا النَّصْبُ .

وَفِي [الْعُجَابِ] :

" نَصْبٌ بِ خَفْضٍ بِ رَفْعٍ " .

أَيْ : مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ خُفِضَ، وَمَنِ انْخَفَضَ رُفِعَ .

وَفِي [تَائِيَّةِ ابْنِ الْفَارِضِ] نَفَعَنَا اللهُ بِهِ :

((وَلَوْ كُنْتُ " بِي " مِنْ نُقْطَةِ الْبَاءِ خَفْضَةً ... رُفِعْتُ إِلَى مَا لَمْ تَنَلْهُ بِحِيلَتِي))

» . اهـ .

((**الْمَقَّرِي**)) :

بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْقَافِ مُثَقَّلًا ، وَكَسْرِ الرَّاءِ ، وَشَدِّ الْيَاءِ آخِرَ الْحُرُوفِ .

أَيْ : الْمَنْسُوبُ إِلَى (مَقَّرَةَ) – بِفَتْحَاتٍ مُثَقَّلَ الْقَافِ – بَلْدَةٌ بِقُرْبِ (تِلِمِسَانَ) مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ .

((**الْمَغْرِبِيُّ**)) :

أَيْ : الْمَنْسُوبُ لِبِلَادِ الْمَغْرِبِ . وَقَدْ عُلِمَ مِنْ سَابِقِهِ ، فَالْأَوْلَى تَقْدِيمُهُ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَخَّرَهُ عَنْهُ لِضِيقِ النَّظْمِ .

... ...

((**الْمَالِكِي**)) :

أَيْ : الْمَنْسُوبُ لِمَالِكٍ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – ، لِتَقْلِيدِهِ لَهُ .

((**الْأَشْعَرِي**)) :

أَيْ : الْمَنْسُوبُ لِلْأَشْعَرِيِّ، إِمَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – ، لِاعْتِقَادِهِ مَذْهَبَهُ .

[تَنْبِيهٌ] :

أَتَى بِجُمْلَةِ الْحِكَايَةِ تَرْغِيبًا فِي تَأْلِيفِهِ ، بِتَعْيِينِ مُؤَلِّفِهِ الْمَوْصُوفِ بِالذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لِقَبُولِهِ ، وَالِاجْتِهَادِ فِي تَحْصِيلِهِ ، إِذِ الْمَجْهُولُ مَرْغُوبٌ عَنْهُ ، وَالْمَعْرُوفُ مَرْغُوبٌ فِيهِ ، فَيُثَابُ مُؤَلِّفُهُ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ مِمَّا يَتَأَكَّدُ عَلَى الْمُؤَلِّفِ تَسْمِيَةُ نَفْسِهِ ، فَإِنَّ الْعَمَلَ وَالْفَتْوَى مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي جُهِلَ مُؤَلِّفُهَا، وَلَمْ يُعْلَمْ صِحَّةُ مَا فِيهَا لَا يَجُوزُ –كَمَا قَالَهُ الْإِمَامُ الْقَرَافِيُّ وَغَيْرُهُ – وَلِأَنَّ تَعْرِيفَ الْمُؤَلِّفِينَ بِأَنْفُسِهِمْ –كَمَا فَعَلَ الْمُصَنِّفُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ – يُشْعِرُ بِطَلَبِ الِاعْتِنَاءِ بِمَعْرِفَةِ الشُّيُوخِ ، وَنِسْبَةِ فَوَائِدِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَالدُّعَاءِ لَهُمْ ، لِأَنَّهُمْ آبَاؤُنَا فِي الدِّينِ ، فَلَوْلَا أَهْلُ الْعِلْمِ لَمْ يُعْبَدِ اللهُ تَعَالَى ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ تَعَالَى : « مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَادْعُوا لَهُ ... » الْحَدِيثَ .

وَإِكْرَامُهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِكْرَامٌ لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، إِذْ هُمْ نُوَّابُهُ وَأَنْصَارُ دِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمَفْعُولُ ((**يَقُولُ**)) :

٢ - أَلْحَمْـــــــدُ للهِ الَّـــــــذِي تَوْحِيـــــــدُهُ أَجَـــــلُّ مَـــــا اعْتَـــــنَى بِـــــهِ عَبِيـــــدُهُ

((**أَلْحَمْدُ**)) :

أَيْ : الْوَصْفُ بِكُلِّ كَمَالٍ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ كَذَلِكَ وَاجِبٌ :

((**للهِ**)) :

أَيْ : الذَّاتِ الْوَاجِبِ وُجُودُهُ ، وَاتِّصَافُهُ بِكُلِّ كَمَالٍ ، وَتَنَزُّهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ؛
وَالْجَائِزِ عَلَيْهِ فِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَتَرْكُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

[تَنْبِيهَاتٌ] :

[الْأَوَّلُ] :

اخْتَارَ الْحَمْدَ عَلَى الشُّكْرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَحْمُودَ لَهُ مِنْ عَظِيمِ النَّوَالِ مَا لَا يُحَدُّ ،
كَمَا أَنَّ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَا لَا يُعَدُّ ، وَلِتَصْدِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِذَلِكَ ، وَلِلِامْتِثَالِ التَّامِّ
لِحَدِيثِ : « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِـ " الْحَمْدُ للهِ " فَهُوَ أَقْطَعُ » .
وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : « مَا شَكَرَ اللهَ عَبْدٌ لَمْ يَحْمَدْهُ » .
وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: « الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ» . **أَيْ** : أَشْرَفُ أَنْوَاعِهِ، لِظُهُورِهِ وَصَرَاحَتِهِ
فِي الْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَعَلَى الْمَدْحِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَحْمُودَ حَيٌّ، وَأَنَّ إِحْسَانَهُ وَصَلَ لِعِبَادِهِ ؛
وَلِاتِّبَاعِ لَفْظَيِ الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ .

[الثَّانِي] :

أَتَى بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا اقْتِدَاءً بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ، مَعَ دَلَالَتِهَا عَلَى الثُّبُوتِ وَالدَّوَامِ
بِقَرِينَةِ الْمَقَامِ؛ وَقَدَّمَ الْمُبْتَدَأَ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ، وَلِلِاهْتِمَامِ بِالْحَمْدِ فِي الِابْتِدَا، وَإِنْ كَانَ اسْمُ الْجَلَالَةِ أَهَمَّ
لِذَاتِهِ.
فَإِنْ قِيلَ : مَا لِلذَّاتِ كَيْفَ يُؤَثِّرُ عَلَيْهِ الْعَارِضُ لِلْمَقَامِ ؟
وَأَيْضًا : لِتَقْدِيمِ الِاسْمِ الْجَلِيلِ مُرَجِّحَانِ : **١ –** أَهَمِّيَّتُهُ . **٢ –** وَإِفَادَتُهُ الِاخْتِصَاصَ .
فَكَيْفَ غَلَبَ عَلَيْهِمَا مُرَجِّحٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْمَقَامُ ؟ .
قُلْتُ : الْأَهَمِّيَّةُ لِلذَّاتِ مُقَيَّدَةٌ بِعَدَمِ اقْتِضَاءِ أَمْرٍ أَخَّرَ الْعُدُولَ عَنْهَا؛ وَالِاخْتِصَاصُ حَاصِلٌ بِتَعْرِيفِ
(الْحَمْدِ) بِـ (أَلْ) الْجِنْسِيَّةِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ بِالظَّرْفِ ؛ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :
« الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ » . وَقَوْلِهِمْ : « الْكَرَمُ فِي الْعَرَبِ » .
وَعَلَى تَسْلِيمِ عَدَمِ إِفَادَتِهِ بِذَلِكَ فَفِي تَرْكِهِ وَعَدَمِ التَّعَرُّضِ لَهُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ غَايَةَ الْوُضُوحِ حَتَّى اسْتَغْنَى
عَنْ إِفَادَتِهِ، وَلَا يُتَصَوُّرِ الْخَطَأُ فِيهِ فَيَرِدُ. وَهَذَا وَاجِبُ الِاعْتِبَارِ فِي هَذَا الْمَقَامِ عِنْدَ مَنْ لَهُ أَدْنَى إِلْمَامٌ .
أَفَادَهُ الْيُوسِيُّ .

… ..

[الثَّالِثُ] :

الْحَمْدُ لُغَةً : هُوَ الْوَصْفُ بِجَمِيلٍ عَلَى جَمِيلٍ غَيْرِ طَبِيعِيٍّ مَعَ التَّعْظِيمِ .

فَقَوْلُهُ : (الْوَصْفُ) جِنْسٌ شَمَلَ الْحَمْدَ وَغَيْرَهُ .

وَقَوْلُهُ : (بِجَمِيلٍ) فَصْلٌ مُخْرِجٌ لِلْوَصْفِ بِغَيْرِهِ .

وَقَوْلُهُ : (عَلَى جَمِيلٍ) — أَيْ : لِأَجْلِ – فَصْلٌ مُخْرِجٌ لِلْوَصْفِ بِجَمِيلٍ لِأَجْلِ غَيْرِهِ .

وَقَوْلُهُ : (غَيْرِ طَبِيعِيٍّ) صَادِقٌ بِالِاخْتِيَارِيِّ ، وَبِمَا لَيْسَ طَبِيعِيًّا وَلَا اخْتِيَارِيًّا ، كَصِفَاتِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — الْمَعَانِي . فَصْلٌ مُخْرِجٌ لِلْوَصْفِ بِجَمِيلٍ عَلَى جَمِيلٍ طَبِيعِيٍّ ، كَجَمَالِ الْوَجْهِ ، وَطُولِ الْقَامَةِ ، وَصَفَاءِ اللُّؤْلُؤَةِ .

وَقَوْلُهُ : (مَعَ التَّعْظِيمِ) فَصْلٌ مُخْرِجٌ لِلْوَصْفِ بِجَمِيلٍ عَلَى جَمِيلٍ غَيْرِ طَبِيعِيٍّ مَعَ التَّحْقِيرِ .

وَعُرْفًا : أَمْرٌ يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ الْمُنْعِمِ .

فَقَوْلُهُ : (أَمْرٌ) أَيْ : شَيْءٌ ، كَلَامًا كَانَ ، أَوْ عِلْمًا ، أَوْ عَمَلًا .

وَقَوْلُهُ : (عَلَى تَعْظِيمِ الْمُنْعِمِ) مُخْرِجٌ لِأَمْرٍ يَدُلُّ عَلَى غَيْرِ التَّعْظِيمِ.

وَتَعْلِيقُ الْحُكْمِ بِمُشْتَقٍّ يُؤْذِنُ بِعِلِّيَّةِ مَصْدَرِهِ الْمُشْتَقِّ مِنْهُ لِلْحُكْمِ ؛

فَيَخْرُجُ الْأَمْرُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ لِأَجْلِ غَيْرِ الْإِنْعَامِ ؛

فَمَوْرِدُهُ عَامٌّ ، وَسَبَبُهُ خَاصٌّ ؛ وَالْأَوَّلُ بِالْعَكْسِ؛ فَبَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهٍ ، يَجْتَمِعَانِ فِيمَا وَرَدَ مِنَ اللِّسَانِ بِسَبَبِ الْإِحْسَانِ ؛ وَيَنْفَرِدُ الْأَوَّلُ بِالْوَارِدِ مِنَ اللِّسَانِ بِسَبَبِ جَمِيلٍ غَيْرِ طَبِيعِيٍّ، وَغَيْرِ إِنْعَامٍ ؛

وَالثَّانِي بِالْوَارِدِ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ بِسَبَبِ الْإِنْعَامِ.

وَالشُّكْرُ لُغَةً : مُرَادِفٌ لِـ (الْحَمْدِ) عُرْفًا .

وَعُرْفًا : صَرْفُ الْعَبْدِ جَمِيعَ النِّعَمِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ .

وَالْمَدْحُ لُغَةً : وَصْفٌ بِجَمِيلٍ عَلَى جَمِيلٍ – وَلَوْ طَبِيعِيًّا – مَعَ التَّعْظِيمِ .

وَعُرْفًا : أَمْرٌ يَدُلُّ عَلَى مَزِيَّةٍ فِي الشَّيْءِ .

فَهَذِهِ سِتُّ حَقَائِقَ .

[الرَّابِعُ] :

عُلِمَ مِنْ تَعَارِيفِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ السِّتِّ أَنَّ أَخَصَّهَا الشُّكْرُ عُرْفًا ، لِاخْتِصَاصِ مُتَعَلِّقِهِ بِمَا يَصِلُ إِلَى الشَّاكِرِ ، وَبِاللهِ تَعَالَى ، وَاخْتِصَاصُ مَورِدِهِ بِجَمِيعِ الْآلَاتِ ؛ بِخِلَافِ الْمَدْحِ الْعُرْفِيِّ ، لِعُمُومِ مَوْرِدِهِ وَمُتَعَلَّقِهِ ؛ وَبِخِلَافِ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ اللُّغَوِيَّيْنِ، لِعُمُومِ مُتَعَلَّقِهِمَا ؛ وَبِخِلَافِ الشُّكْرِ اللُّغَوِيِّ ، وَالْحَمْدِ الْعُرْفِيِّ ، لِعُمُومِ مَوْرِدِهِمَا ، وَلِتَعَلُّقِهِمَا بِاللهِ تَعَالَى وَبِغَيْرِهِ ؛ وَأَعَمُّهَا الْمَدْحُ عُرْفًا ، لِعُمُومِ مَوْرِدِهِ وَمُتَعَلَّقِهِ – كَمَا تَقَدَّمَ – بِخِلَافِ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ اللُّغَوِيِّينِ، لِاخْتِصَاصِ مَوْرِدِهِمَا بِاللِّسَانِ ، وَبِخِلَافِ الْحَمْدِ الْعُرْفِيِّ ، وَالشُّكْرِ اللُّغَوِيِّ ، لِاخْتِصَاصِ مُتَعَلِّقِهِمَا بِالْإِحْسَانِ ؛ وَبِخِلَافِ

… …

الشُّكْرِ الْعُرْفِيِّ ، لِاخْتِصَاصِ مُتَعَلِّقِهِ بِمَا يَصِلُ إِلَى الشَّاكِرِ ، وَبِاللهِ تَعَالَى ، وَاخْتِصَاصِ مَوْرِدِهِ بِجَمِيعِ الْآلَاتِ ؛ وَبَيْنَ الْحَمْدَيْنِ عُمُومٌ وَجْهِيٌّ ، فَاللُّغَوِيُّ أَخَصُّ مَوْرِدًا ، وَأَعَمُّ مُتَعَلَّقًا ؛ وَالْعُرْفِيُّ بِالْعَكْسِ ؛ وَكَذَا بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ اللُّغَوِيَّيْنِ إِنْ لَمْ تُقَيَّدِ النِّعْمَةُ فِي الشُّكْرِ اللُّغَوِيِّ بِوَصُولِهَا إِلَى الشَّاكِرِ ، وَإِلَّا فَالنِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ الْمُطْلَقُ ، لِأَنَّ الْحَمْدَ اللُّغَوِيَّ لَمْ تُقَيَّدِ النِّعْمَةُ فِيهِ بِوُصُولِهَا لِنَفْسِ الْحَامِدِ ، وَإِنَّمَا الْمَدَارُ عَلَى كَوْنِهِ فِي مُقَابَلَةِ نِعْمَةٍ مُطْلَقًا ، وَصَلَتْ لَهُ أَمْ لَا ؛ وَبَيْنَ الْحَمْدِ الْعُرْفِيِّ ، وَالشُّكْرِ اللُّغَوِيِّ التَّرَادُفُ ، لِأَنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ فِي التَّسْمِيَةِ فَقَطْ، وَلَكِنْ تُبْدَلُ (الْحَامِدُ) بِـ (الشَّاكِرِ) فِي الشُّكْرِ اللُّغَوِيِّ؛ وَالْمَدْحُ اللُّغَوِيُّ أَعَمُّ مِنَ الْحَمْدِ اللُّغَوِيِّ، لِأَنَّ الْمَمْدُوحَ عَلَيْهِ فِي الْمَدْحِ اللُّغَوِيِّ لَا يُشْتَرَطُ كَوْنُهُ اخْتِيَارِيًّا ، بِخِلَافِ الْحَمْدِ اللُّغَوِيِّ ، فَإِنَّ الْمَحْمُودَ عَلَيْهِ فِيهِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اخْتِيَارِيًّا ؛ وَبَيْنَ الْمَدْحِ اللُّغَوِيِّ، وَالْحَمْدِ الْعُرْفِيِّ عُمُومٌ مِنْ وَجْهٍ ؛ وَكَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّكْرِ اللُّغَوِيِّ؛ فَالْمَدْحُ اللُّغَوِيُّ أَعَمُّ بِاعْتِبَارِ الْمُتَعَلَّقِ ، وَأَخَصُّ بِاعْتِبَارِ الْمَوْرِدِ ، وَهُمَا بِالْعَكْسِ .

[وَالْحَاصِلُ] :

أَنَّ النِّسَبَ بَيْنَ هَذِهِ الْحَقَائِقِ السِّتِّ خَمْسَةَ عَشَرَ؛ وَبَيَانُ ذَلِكَ :

أَنَّكَ إِنْ أَخَذْتَ الشُّكْرَ الْعُرْفِيَّ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَمْسَةِ الْبَاقِيَةِ يَحْصُلْ خَمْسُ نِسَبٍ ، هِيَ الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ الْمُطْلَقُ .

وَإِنْ أَخَذْتَ الشُّكْرَ اللُّغَوِيَّ مَعَ غَيْرِ الشُّكْرِ الْعُرْفِيِّ يَحْصُلْ أَرْبَعُ نِسَبٍ ، فَإِنْ أَخَذْتَهُ مَعَ الْحَمْدِ الْعُرْفِيِّ فَالنِّسْبَةُ التَّرَادُفُ ؛ وَإِنْ أَخَذْتَهُ مَعَ الْحَمْدِ أَوِ الْمَدْحِ اللُّغَوِيَّيْنِ فَالنِّسْبَةُ الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ الْوَجْهِيُّ ، وَإِنْ أَخَذْتَهُ مَعَ الْمَدْحِ الْعُرْفِيِّ فَالنِّسْبَةُ الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ ، وَإِنْ أَخَذْتَ الْحَمْدَ اللُّغَوِيَّ مَعَ غَيْرِ الشُّكْرِ بِنَوْعَيْهِ يَحْصُلْ ثَلَاثُ نِسَبٍ : ١ – فَإِنْ أَخَذْتَهُ مَعَ الْحَمْدِ الْعُرْفِيِّ فَالنِّسْبَةُ الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ الْوَجْهِيُّ. ٢ – وَإِنْ أَخَذْتَهُ مَعَ الْمَدْحِ بِنَوْعَيْهِ فَالنِّسْبَةُ الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ الْمُطْلَقُ. ٣ – وَإِنْ أَخَذْتَ الْحَمْدَ الْعُرْفِيَّ مَعَ غَيْرِ الشُّكْرِ بِنَوْعَيْهِ، وَالْحَمْدِ اللُّغَوِيِّ يَحْصُلْ نِسْبَتَانِ ، وَهُمَا : ١ – الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ الْمُطْلَقُ . ٢ – وَإِنْ أَخَذْتَ الْمَدْحَ اللُّغَوِيَّ مَعَ الْمَدْحِ الْعُرْفِيِّ فَالنِّسْبَةُ الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ الْمُطْلَقُ .

[الْخَامِسُ] :

قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ (الْحَمْدَ) قِسْمَانِ : ١ – لُغَوِيٌّ . ٢ – وَعُرْفِيٌّ .

وَعَلَى كُلٍّ ، فَـ (أَلْ) فِيهِ إِمَّا جِنْسِيَّةٌ ، أَوْ عَهْدِيَّةٌ ، أَوِ اسْتِغْرَاقِيَّةٌ .

فَهَذِهِ احْتِمَالَاتٌ سِتَّةٌ قَائِمَةٌ مِنْ ضَرْبِ ثَلَاثَةٍ فِي اثْنَيْنِ .

وَعَلَى كُلٍّ ، اللَّامُ الْجَارَّةُ لِلَفْظِ الْجَلَالَةِ إِمَّا لِلِاخْتِصَاصِ ، أَوِ الِاسْتِحْقَاقِ ، أَوْ لِلْمِلْكِ .

فَهَذِهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ احْتِمَالًا قَائِمَةٌ مِنْ ضَرْبِ ثَلَاثَةٍ فِي سِتَّةٍ .

وَعَلَى كُلٍّ ، جُمْلَةُ (الْحَمْدُ) إِمَّا خَبَرِيَّةٌ ، أَوْ إِنْشَائِيَّةٌ ؛ فَهِيَ مَجَازٌ ، عِلَاقَتُهُ الضِّدِّيَّةُ .

... ...

فَهَذِهِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ احْتِمَالًا قَائِمَةٌ مِنْ ضَرْبِ اثْنَيْنِ فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ .

وَنَعْتُ ((**لِلهِ**)) :

((**الَّذِي**)) :

هُوَ اسْمٌ مَوْصُولٌ ، كُلِّيٌّ وَضْعًا ، جُزْئِيٌّ اسْتِعْمَالًا ؛ صِيغَ لِيُتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى وَصْفِ الْمَعَارِفِ بِالْجُمَلِ ، وَحَقُّ الْجُمْلَةِ الْمَوْصُولِ بِهَا أَنْ تَكُونَ مَعْلُومَةَ الِانْتِسَابِ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ إِلَى الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الذِّهْنِ ؛ وَهُوَ هُنَا نَعْتٌ لِاسْمِ الْجَلَالَةِ ، جِيءَ بِهِ لِلْمَدْحِ ، مَعَ زِيَادَةِ تَقْرِيرٍ لِلْغَرَضِ الْمَسُوقِ لَهُ الْكَلَامُ مِنَ اسْتِحْقَاقِهِ تَعَالَى لِلْحَمْدِ ، وَانْفِرَادِهِ بِهِ ، وَبَيَانِ نِعَمِهِ الْمُوجِبَةِ لِحَمْدِهِ بِمُقْتَضَى أَمْرِهِ بِشُكْرِ الْمُنْعِمِ . اهـ .
مِنْ شَرْحِ الْعَلَّامَةِ الْفَاسِيِّ عَلَى [الدَّلَائِلِ] .

((**تَوْحِيدُهُ**)) :

أَيْ : اِعْتِقَادُ كَوْنِهِ وَاحِدًا فِي ذَاتِهِ؛ أَيْ: لَيْسَ مُرَكَّبًا مِنْ جُزْأَيْنِ فَأَكْثَرَ . وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ . وَوَاحِدًا فِي صِفَاتِهِ ، أَيْ: كَوْنُهَا لَا تَتَعَدَّدُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ ، وَلَيْسَ مِثْلُهَا لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَوَاحِدًا فِي الْأَفْعَالِ ، **أَيْ** : إِنَّهُ خَالِقُهَا وَمُوجِدُهَا جَمِيعَهَا ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – تَأْثِيرٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

قَوْلُنَا : " **أَيْ** : اِعْتِقَادُ كَوْنِهِ وَاحِدًا ... " إِلَخ .
دَفَعْنَا بِهِ مَا يُقَالُ : لَفْظُ (تَوْحِيدُ) يُوهِمُ أَنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي وَحَّدَ رَبَّهُ .
كَمَا فِي شَرْحِ الْعَلَّامَةِ السُّحَيْمِيِّ عَلَى شَرْحِ الشَّيْخِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى [جَوْهَرَةِ] وَالِدِهِ ، وَنَصُّهُ :
« **فَإِنْ قِيلَ** : " لَفْظُ (تَوْحِيدُ) يُوهِمُ أَنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي وَحَّدَ رَبَّهُ ". وَفِيهِ رَائِحَةُ افْتِقَارِ الْإِلَهِ إِلَى مَا يَتَنَزَّهُ عَنْهُ ! .
أُجِيبَ بِـ : أَنَّهُ دَفَعَ هَذَا التَّوَهُّمَ اشْتِهَارُ أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ ، وَأَنَّ مَعْنَى (وَحِّدْهُ) : اِعْتَقِدْ أَنَّهُ وَاحِدٌ .
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : " خَلَقَ اللهُ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ، وَشَهِدَ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ حِينَ كَانَ وَلَمْ تَكُنْ سَمَاءٌ ، وَلَا أَرْضٌ، وَلَا بَرٌّ، وَلَا بَحْرٌ ؛ فَقَالَ :
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، **أَيْ** : أَصْحَابُ الْعِلْمِ ،
أَيْ : شَهِدُوا عَلَى شَهَادَتِهِ لِنَفْسِهِ ، عَلَى سَبِيلِ التَّصْدِيقِ وَالِاعْتِرَافِ وَالْإِذْعَانِ » . اهـ .

.. ..

(الثَّانِي) :

لِلتَّوْحِيدِ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ :

(الْأُولَى) :

الْحُكْمُ بِالدَّلِيلِ بِأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ .

(وَالثَّانِيَةُ) :

الْعِلْمُ بِالدَّلِيلِ أَنَّ اللهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ .

(وَالثَّالِثَةُ) :

غَلَبَةُ رُؤْيَتِهِ تَعَالَى عَلَى قَلْبِ الْعَارِفِ حَتَّى لَا يَشْهَدَ سِوَاهُ تَعَالَى .

فَالْأُولَى : تَوْحِيدُ الْمُؤْمِنِ . **وَالثَّانِيَةُ** : تَوْحِيدُ الْعَالِمِ . **وَالثَّالِثَةُ** : تَوْحِيدُ الْعَارِفِ .

(الثَّالِثُ) :

فِي كَلَامِ الْمُصَنِّفِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالٍ ، وَهِيَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ

فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى مَقْصُودِهِ مُتَضَمِّنًا مَعْنَى مَا سِيقَ الْكَلَامُ لَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾ [النور : ١] ، تَضَمَّنَ هَذَا

الْمَطْلَعُ مَعْنَى مَا سِيقَتِ السُّورَةُ لِأَجْلِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ؛

وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الضَّرِيرُ الْمَرَاكِشِيُّ بِقَوْلِهِ :

وَبَرَعُـــــــــوا أَيْضًـــــــــا بِالِاسْـــــــــتِهْلَالِ وَأَوَّلُ النُّـــــــــورِ بِهَـــــــــذَا الْحَـــــــــالِ .

وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْخَازِنِ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ يُهَنِّي الصَّاحِبَ بِوَلَدٍ لِابْنَتِهِ :

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالُ مَا وَعَدَا وَكَوْكَبُ الْمَجْدِ فِي أُفْقِ الْعُلَا صَعَدَا .

وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الْعُلَا فِيمَنْ عَرَضَتْ لَهُ شِكَايَةٌ ، أَيْ: مَرَضٌ عَظِيمٌ :

لَعَمْـــــــــرِي إِنْ يُلِـــــــــمَّ عَظِـــــــــيمُ بِـــــــآلِ عَلِـــــــيٍّ وَالْأَنَـــــــامُ سَـــــــلِيمُ .

وَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ فِي التَّهْنِئَةِ بِزَوَالِ الْمَرَضِ :

الْمَجْـــــــدُ عُـــــــوفِي إِذْ عُوفِيـــــــتَ وَالْكَـــــــرَمُ وَزَالَ عَنْـــــــكَ إِلَى أَعْـــــــدَائِكَ السَّـــــــقَمُ .

… …

وَمِنْهُ مَا يُشَارُ بِهِ – فِي افْتِتَاحِ الْكُتُبِ – إِلَى الْفَنِّ الْمُصَنَّفِ فِيهِ ، كَمَا هُنَا ،

إِذْ قَوْلُهُ : (**تَوْحِيدُهُ**) مُشْعِرٌ بِالْعِلْمِ الْمُؤَلَّفِ فِيهِ ، وَهُوَ عِلْمُ التَّوْحِيدِ ، وَكَذَا قَوْلُهُ :
((**الْعَالِمِ الْحَيِّ الْقَدِيمِ**)) وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ ، فَإِنَّهُ مُشْعِرٌ بِهِ أَيْضًا، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ
لَا يُبْحَثُ عَنْهَا إِلَّا فِيهِ .

(**الرَّابِعُ**) :
حَمَدَ بِإِزَاءِ النِّعْمَةِ ، فَهُوَ شُكْرٌ، وَشُكْرُ الْمُنْعِمِ وَاجِبٌ بِالشَّرْعِ لَا بِالْعَقْلِ ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ
الْبَانِينَ عَلَى أَصْلِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيَّيْنِ . اِهـ .
مِنْ حَاشِيَةِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ .

وَخَبَرُ ((**تَوْحِيدُهُ**)) :
((**أَجَلُّ**)) :
بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْجِيمِ ، وَشَدِّ اللَّامِ : اِسْمُ تَفْضِيلٍ مِنْ " جَلَّ " بِمَعْنَى " عَظُمَ "، **أَيْ** : أَعْظَمُ وَأَشْرَفُ ((**مَا**)) :
أَيْ : شَيْءٍ. أَوْ : الشَّيْءُ الَّذِي ((**اعْتَنَى**)) : **أَيْ** : اهْتَمَّ ((**بِهِ**)) : عَائِدُ (**مَا**) ؛ وَفَاعِلُ ((**اعْتَنَى**)) :

((**عَبِيدُهُ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ، وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ، أَحَدُ جُمُوعِ " عَبْدٍ " الْعِشْرِينَ الَّتِي نَظَمَ ابْنُ مَالِكٍ أَحَدَ عَشَرَ مِنْهَا
فِي قَوْلِهِ :

عِبادٌ عَبِيدٌ جمْع عَبْـــدٍ وأَعْبَـــدٌ ... أَعابِدُ مَعْبوداءُ مَعْبَدَةٌ عُبُـــــدْ
كذالِك عُبْدَنٌ ، وعِبْدَانٌ اثْبِتَـنْ كذَاكَ ... العِبِدَّى وامدُدِ إنْ شِئتَ أَن تَمُــــدّ

واستَدركَ عَلَيْهِ الْجَلَالُ السُّيُوطِيُّ التِّسْعَةَ الْبَاقِيَةَ بِقَوْلِهِ :

((وَقد زِيدَ أَعْبَادٌ، عُبُودٌ، عِبِدَّةٌ ... وخَفِّفْ بِفَتْحٍ، والعِبِدَّانُ إن تَشُدْ
وأَعْبِـــــدةٌ، عَبُدُون ثُمَّـــتَ بَـعْدَهَا ... عَبِيدُونَ، مَعْبُودَى، بِقَصْرٍ فخُذْ تَسُدْ)).

وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ مِنْ نَوْعِ " عَبْدِ الْإِيجَادِ "، أَيْ: مَخْلُوقُوا اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛
وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ نَوْعِ " عَبْدِ الْعُبُودِيَّةِ " تَحَدُّثًا بِنِعْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛
وَلَا يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ نَوْعِ " عَبْدِ الرِّقِّ " ، لِأَنَّهُ خِلَافُ الْوَاقِعِ؛ وَلَا مِنْ نَوْعِ " عَبْدِ الدِّينَارِ
وَالدِّرْهَمِ " ، لِدُعَاءِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَيْهِ بِالتَّعَسِ وَالِانْتِكَاسِ
وَعَدَمِ الِانْتِقَاشِ إِذَا شِيكَ .

… …

وَإِنَّمَا كَانَ التَّوْحِيدُ أَجَلَّ مَا اعْتَنَى بِهِ الْعَبِيدُ لِأَنَّهُ : هُوَ الْإِيمَانُ الْمَبْنِيُّ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ ، وَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُقَدِّمَهُ فِي الِاشْتِغَالِ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْعُلُومِ ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَّا أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : " يَانَبِيَّ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ " فَقَالَ : " مَا فَعَلْتَ فِي رَأْسِ الْعِلْمِ حَتَّى تَطْلُبَ غَرَائِبَهُ ؟! " قَالَ : " وَمَا رَأْسُ الْعِلْمِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ " قَالَ: " أَعَرَفْتَ الرَّبَّ؟ " قَالَ : " نَعَمْ " قَالَ: " فَمَا فَعَلْتَ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ؟ " قَالَ : " مَا شَاءَ اللهُ " قَالَ : " أَعَرَفْتَ الْمَوْتَ ؟ " قَالَ : " نَعَمْ " قَالَ : "

فَمَا أَعْدَدْتَ لَهُ ؟ " قَالَ : " مَا شَاءَ اللهُ " قَالَ : " انْطَلِقْ وَأَحْكِمْ مَا هَا هُنَا ، فَإِذَا أَحْكَمْتَهُ فَتَعَالَ أُعَلِّمْكَ مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ " .

وَهَذَا نَصٌّ فِي وُجُوبِ تَقْدِيمِ الْمَعْرِفَةِ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ : " يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : " الْعِلْمُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ " فَقِيلَ : " يَا رَسُولَ اللهِ، نَسْأَلُكَ عَنِ الْعَمَلِ فَتُجِيبُ بِالْعِلْمِ ! فَقَالَ : " إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ يَنْفَعُ مَعَ الْعِلْمِ بِاللهِ ، وَكَثِيرَ الْعَمَلِ لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَهْلِ بِاللهِ " .

وَهَذَا أَيْضًا نَصٌّ فِي وُجُوبِ تَقْدِيمِهَا .

وَقَالَ الْإِمَامُ الْجُنَيْدُ :

« أَوَّلُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ : مَعْرِفَةُ الْمَصْنُوعِ صَانِعَهُ » . اِهَـ .

وَقَالَ رُوَيْمٌ :

« أَوَّلُ فَرْضٍ افْتَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ : الْمَعْرِفَةُ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – : " لِيَعْرِفُونِ "» . اِهَـ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

« ((أَيُّهَا الْمُقْتَدِي لِتَطْلُبَ عِلْمًا ... كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الْكَلَامِ

تَطْلُبُ الْفِقْهَ كَيْ تُصَحِّحَ حُكْمًا ... ثُمَّ أَغْفَلْتَ مُنَزِّلَ الْأَحْكَامِ !))» . اِهَـ .

وَقَالَ سَيِّدِي عَلِيٌّ الْأُجْهُورِيُّ فِي عَقِيدَتِهِ :

((وَبَـعْدُ ، فَالْعُلُومُ بِالْيَقِينِ ... أَشْرَفُهَا عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ)) .

قَالَ فِي شَرْحِهَا :

«لِأَنَّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ –كَالتَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْفِقْهِ وَأُصُولِهِ –كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَيْهِ ... »

إِلَى أَنْ قَالَ :

« فَإِنَّهُ أَسَاسُهَا ، وَإِلَيْهِ يَؤُولُ أَخْذُهَا وَاقْتِبَاسُهَا ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ وُجُودُ صَانِعٍ عَالِمٍ قَادِرٍ مُكَلِّفٍ لِلْعِبَادِ

… …

مُرْسِلٍ لِلرُّسُلِ : لَمْ يُتَصَوَّرْ عِلْمُ تَفْسِيرٍ وَحَدِيثٍ، وَلَا عِلْمُ فِقْهٍ وَأُصُولِهِ ؛ فَكُلُّهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ، فَالْآخِذُ فِيهَا بِدُونِهِ كَبَانٍ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ، وَإِذَا سُئِلَ عَمَّا هُوَ فِيهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى بُرْهَانٍ وَلَا قِيَاسٍ » . اِهـ .

وَبِالْجُمْلَةِ ، فَمَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى غَايَةُ الْمَطَالِبِ ، وَمُنْتَهَى الْآمَالِ وَالْمَآرِبِ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

((إِنَّ عِرْفَانَ ذِي الْجَلَالِ لَعِزٌّ ... وَضِيَاءٌ وَبَهْجَةٌ وَسُرُورُ

وَعَلَى الْعَارِفِينَ أَيْضًا بَهَاءٌ ... وَعَلَيْهِمْ مِنَ الْمَحَبَّةِ نُورُ

فَهَنِيئًا لِمَنْ عَرَفَكَ إِلَهِي ... هُوَ – وَاللهِ – دَهْرَهُ مَسْرُورُ)) .

فَاللَّائِقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَبْذُلَ مُهْجَتَهُ لِتَحْصِيلِ دِينِهِ ، وَأَنْ يُزِيلَ شُكُوكَ الْأَوْهَامِ بِيَقِينِهِ ، فَيَحُوزَ شَرَفَ الدَّارَيْنِ، وَإِلَّا رَجَعَ مَغْبُونَ الصَّفْقَتَيْنِ ، فَيَضْرِبُ أَخْمَاسَهُ بِأَسْدَاسِهِ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ لَوْ بَذَلَ فِي التَّحْصِيلِ نَفَائِسَ أَنْفَاسِهِ .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْجَلِيلِ فِي عَقِيدَتِهِ :

«إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَشْتَغِلُونَ إِلَّا بِعِلْمِ النَّحْوِ ، وَالْحِسَابِ ، وَإِصْلَاحِ اللَّفْظِ ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ ، لِكَوْنِهِمْ يَتَّخِذُونَهَا بِضَاعَةً وَحِرْفَةً يُعَوِّلُونَ عَلَيْهَا ، فَتَرَاهُمْ يَجُرُّونَ أَذْيَالَهُمْ مِنَ الْخُيَلَاءِ ، وَيَذْهَبُونَ مُتَعَاظِمِينَ ، وَيَلْحَظُونَ النَّاسَ بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ ، وَيَرْمُقُونَهُمْ بِمُقْلَةِ الِاسْتِصْغَارِ ؛ فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : مَا أَوَّلُ الْوَاجِبَاتِ ؟ وَمَتَى يَجِبُ التَّكْلِيفُ عَلَى الْإِنْسَانِ ؟ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ مَا إِلَيْهِ تَذْهَبُ ، وَفَسَادُ مَا عَنْهُ تَرْغَبُ ؟ :

بَقِيَ أَسْكَتَ مِنْ سَمَكَةٍ ، وَأَشَدَّ وُحُولًا مِنْ طَائِرٍ فِي شَبَكَةٍ ، وَصَغَرَ مِنْ هِمَّتِهِ مَا كَانَ كَبِيرًا ، وَذَلَّ مِنْ نَفْسِهِ مَا كَانَ عَزِيزًا خَطِيرًا ، وَلَبِسَ ثَوْبَ اسْتِكَانَةٍ، وَتَسَرْبَلَ سِرْبَالَ مَهَانَةٍ، فَيَالَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا عَلَيْهِ ! ، وَدَاهِيَةٍ مَا أَكْبَرَهَا لَدَيْهِ ! » . اِهـ .

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَّالِيُّ فِي [مِنْهَاجُ الْعَابِدِينَ] :

« وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ وَالْعِبَادَةَ جَوْهَرَانِ ، لِأَجْلِهِمَا كَانَ كُلُّ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِنْ تَصْنِيفِ الْمُصَنِّفِينَ ، وَتَعْلِيمِ الْمُعَلِّمِينَ ، وَوَعْظِ الْوَاعِظِينَ ، وَنَظَرِ النَّاظِرِينَ ؛ بَلْ لِأَجْلِهِمَا أُنْزِلَتِ الْكُتُبُ ، وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ ؛ بَلْ لِأَجْلِهِمَا خُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا ؛ وَتَأَمَّلْ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى :

(إِحْدَاهُمَا) :

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾** ﴾ [الطلاق : ١٢] ؛

فَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ، لَا سِيَّمَا عِلْمُ التَّوْحِيدِ .

٣- الْـــعَـــالِمِ الْحَـــيِّ الْـــقَـــدِيمِ الْـــبَـــاقِي الْـــقَـــادِرِ الْـــغَـــنِـــيِّ بِـــالْإِطْـــلَاقِ

(**وَالثَّانِيَةُ**) :

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ؛
وَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الْعِبَادَةِ » . اِهَ .

((**الْعَالِمِ**)) بِكَسْرِ اللَّامِ . **أَيْ** : الْمَوْصُوفُ بِالْعِلْمِ الَّذِي انْكَشَفَ لَهُ بِهِ كُلُّ وَاجِبٍ ، وَكُلُّ مُحَالٍ ، وَكُلُّ جَائِزٍ .

((**الْحَيِّ**)) :
أَيْ : الْمَوْصُوفُ بِحَيَاةٍ قَدِيمَةٍ بَاقِيَةٍ، مُتَوَقِّفٌ تَصَوُّرُ اتِّصَافِهِ بِالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ عَلَى اتِّصَافِهِ بِهَا .

((**الْقَدِيمِ**)) : **أَيْ** : الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ وُجُودَهُ عَدَمٌ، وَلَا ابْتِدَاءٌ لَهُ .

((**الْبَاقِي**)) : **أَيْ** : الَّذِي لَا انْتِهَاءَ لِوُجُودِهِ ، وَلَا يَلْحَقُهُ عَدَمٌ .

((**الْقَادِرِ**)) **أَيْ** : الْمَوْصُوفُ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي يَتَأَتَّى بِهَا إِيجَادُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَإِعْدَامُهُ .

((**الْغَنِيِّ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَكَسْرِ النُّونِ، وَشَدِّ الْيَاءِ . **أَيْ** : الَّذِي لَمْ يَحْتَجْ ، وَلَا يَحْتَاجُ لِشَيْءٍ فِي جَلْبِ نَفْعٍ ، وَلَا دَفْعِ ضُرٍّ . وَصِلَةُ ((**الْغَنِيِّ**)) : ((**بِالْإِطْلَاقِ**)) :
أَيْ : عَنِ التَّقْيِيدِ بِشَيْءٍ ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى عَنْ نَفْسِهِ ، فَجَمِيعُ كَمَالَاتِهِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا قَدِيمَةٌ بَاقِيَةٌ ؛ وَكَذَا تَنَزُّهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، لَا ابْتِدَاءَ وَلَا انْتِهَاءَ لَهُ .

ابْنُ عَطَاءِ اللهِ :
«إِلَهِي، أَنْتَ الْغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ غَنِيًّا عَنِّي ؟! » اِهَ .
أَيْ : وَعَنْ سَائِرِ الْعَالَمِينَ .

٤- مُـرْشِـدِنَـا مِـنْ فَـضْـلِـهِ وَجُـودِهِ   الْـمُـعْـرِبِ عَـنْ وُجُـودِهِ

((**مُرْشِدِنَا**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ . وَالرُّشْدُ ضِدُّ الْغَيِّ ؛ يُقَالُ: أَرْشَدتُّهُ : **أَيْ** : صَيَّرْتُهُ رَاشِدًا ، **أَيْ** : مَهْدِيًّا .
أَيْ : هَادِينَا ((**مِنْ فَضْلِهِ**)) **أَيْ** : إِحْسَانِ اللهِ ((**وَجُودِهِ**)) :
بِفَتْحِ الْوَاوِ، وَضَمِّ الْجِيمِ . يُقَالُ : جَادَ الرَّجُلُ بِمَالِهِ ، فَهُوَ جَوَادٌ . وَالْجَوَادُ بِتَخْفِيفِ الْوَاوِ ، وَقِيلَ بِتَشْدِيدِهَا . أَيْ: كَثِيرُ الْجُودِ وَالْعَطَاءِ . اِسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى ؛ وَإِطْلَاقُهُ عَلَيْهِ تَعَالَى رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَلَفْظُهُ : « إِنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ » . **أَيْ** : كَرَمُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَصِلَةُ ((**مُرْشِدِنَا**)) : ((**بِصُنْعِهِ**)) : بِضَمِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ النُّونِ . **أَيْ** : فِعْلُ وَخَلْقُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْعَالَمِ عُلْوِيِّهِ وَسُفْلِيِّهِ ((**الْمُعْرِبِ**)) بِضَمٍّ، فَسُكُونٍ، فَكَسْرٍ . **أَيْ** : الْمُبِينِ وَالْمُفْصِحِ ((**عَنْ وُجُودِهِ**)) بِضَمِّ الْوَاوِ وَالْجِيمِ . **أَيْ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . **أَيْ** : وَحَيَاتِهِ ، وَعِلْمِهِ ، وَإِرَادَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ . **أَيْ** : الدَّالِّ عَلَى وُجُوبِهَا للهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – دَلَالَةً وَاضِحَةً ، لِتَوَقُّفِهِ – **أَيْ** : الصَّنِيعِ – عَلَيْهَا .
وَبِفِعْلِهِ تَعَالَى وَآثَارِ صُنْعِهِ اسْتُدِلَّ عَلَى وُجُودِهِ وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ ، إِلَّا مَنْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى لَهُ – ابْتِدَاءً – عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِذَلِكَ قَبْلَ الِاسْتِدْلَالِ بِالْآثَارِ ، فَيَجُوزُ .
وَالِاسْتِدْلَالُ بِصُنْعِهِ تَعَالَى عَلَى وُجُودِهِ تَعَالَى ، وَحَيَاتِهِ ، وَعِلْمِهِ ، وَإِرَادَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ : مَذْهَبُ أَهْلِ التَّرَقِّي .
وَمَذْهَبُ أَهْلِ التَّدَلِّي : الِاسْتِدْلَالُ بِوُجُودِهِ تَعَالَى، وَحَيَاتِهِ ، وَعِلْمِهِ ، وَإِرَادَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى وُجُودِ صُنْعِهِ ؛ وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَفْرَادِ الْخَوَاصِّ مِمَّنْ تَمَّمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ بِالنُّبُوَّةِ ، أَوِ الْوِلَايَةِ الْخَاصَّةِ ؛ وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ كَمَا قَالَ الْعَارِفُ بِاللهِ تَعَالَى ابْنُ عَطَاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِيُّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – فِي حِكَمِهِ :
((شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ، وَمَنْ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ؛ الْمُسْتَدِلُّ بِهِ: عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ ، وَأَثْبَتَ الْأَمْرَ مِنْ وُجُودِ أَصْلِهِ . وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَيْهِ : مِنْ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ، وَإِلَّا فَمَتَى غَابَ حَتَّى يُسْتَدَلَّ عَلَيْهِ ؟! ، وَمَتَى بَعُدَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَيْهِ ؟!)) .

وَالْحَاصِلُ :

أَنَّ النَّاسَ بِالنِّسْبَةِ لِمَعْرِفَةِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

[الْأَوَّلُ] :
مَنْ عَرَفَهُ بِمَصْنُوعَاتِهِ ، وَهُمْ أَهْلُ الظَّاهِرِ . وَاقْتَصَرَ الْمُصَنِّفُ عَلَيْهِ لِمُنَاسَبَةِ الْمَقَامِ ، لِأَنَّهُ مَقَامُ مَعْرِفَتِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالدَّلِيلِ .

[الثَّانِي] :
مَنْ عَرَفَهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِإِلْهَامٍ وَنُورٍ قَلْبِيٍّ ، وَعَرَفَ مَصْنُوعَاتِهِ بِهِ ؛ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ .

[الثَّالِثُ] :
مَنْ عَرَفَ الْمَصْنُوعَاتِ وَلَمْ يَعْرِفْ صَانِعَهَا؛ وَهُمُ الْجُهَلَاءُ ؛ فَهَؤُلَاءِ شَاهَدُوا الْأَكْوَانَ ، وَحُجِبُوا بِهَا عَنْ مُشَاهَدَةِ مُكَوِّنِهَا ، فَهُمْ فِي غَيَاهِبِ الظُّلُمَاتِ يَعْمَهُونَ ، مَحْجُوبُونَ بِالْآثَارِ وَالْكَائِنَاتِ .

٥ – سُـــبْحَـــانَهُ جَــلَّ عَــنِ النَّظَــائِرِ وَكُــلِّ مَــا يَخْــطُرُ فِــي الضَّــمَــائِــرِ

وَالْأَوَّلُونَ : شَاهَدُوا الْأَكْوَانَ ، وَلَمْ تَحْجُبْهُمْ مُشَاهَدَتُهَا عَنْ مُشَاهَدَةِ مُكَوِّنِهَا ، وَتَوَصَّلُوا بِالْمُشَاهَدَةِ الْأُولَى لِلْمُشَاهَدَةِ الثَّانِيَةِ .

وَالْمُتَوَسِّطُونَ : شَاهَدُوا الْمُكَوِّنَ قَبْلَ مُشَاهَدَةِ الْأَكْوَانِ ، وَاسْتَدَلُّوا بِالْمُؤَثِّرِ عَلَى آثَارِهِ .

وَالَّذِينَ اسْتَدَلُّوا بِالْآثَارِ عَلَى الْمُؤَثِّرِ ، مِنْهُمْ :

مَنْ يَشْهَدُ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَقَامُهُمْ مَقَامُ الصَّحْوِ ، وَهُوَ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ ، لِأَنَّهُ مَقَامُ أَشْرَفِ خَلْقِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَهُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

وَمِنْهُمْ :

مَنْ يَسْتَغْرِقُ فِي مُشَاهَدَتِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَيَغِيبُ عَنْ مُشَاهَدَةِ الْأَكْوَانِ ، وَلَا يَرَى مَوْجُودًا إِلَّا اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ، وَمَقَامُ هَؤُلَاءِ مَقَامُ الْفَنَاءِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَلَوْ نَفْسِ الْمُشَاهِدِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي [حَاشِيَةُ عَبْدِ السَّلَامِ] :

« لَكِنْ طَرِيقُ الْعِلْمِ أَنْسَبُ بِعَامَّةِ الْأُمَّةِ .

قَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْغَزَّالِيُّ – نَفَعَنَا اللهُ بِهِ – فِي كِتَابِهِ [إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ] :

" مَثَلُ أَهْلِ الظَّاهِرِ: كَمَنْ أَجْرَى الْمَاءَ لِحَوْضِهِ بِجَدْوَلٍ أَعْلَاهُ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَسْلَمِ الْمَاءُ مِنْ تَغْفِيشِ الْأَتْرِبَةِ مِنَ الْهَوَاءِ وَالْمَارَّةِ وَنَحْوِ وَذَلِكَ ، لَكِنَّهُ يَسْهُلُ مُزَاوَلَتُهُ بِرَأْيِ الْعَيْنِ .

وَمَثَلُ أَهْلِ الْبَاطِنِ : كَمَنْ سَدَّ الْحَوْضَ مِنْ أَعْلَى ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْبُعَ الْمَاءُ بِطَرِيقٍ تَحْتَ الْأَرْضِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ عَسُرَ ذَلِكَ ، وَرُبَّمَا زَاغَ مِنْهُ الْمَاءُ فَلَمْ يُدْرِكْ طَرِيقَهُ ، لَكِنْ هُوَ يَخْرُجُ أَصْفَى وَأَبْعَدُ عَنِ الْقَذَرِ ؛ وَالْجَمْعُ أَكْمَلُ " » . اهـ .

((**سُبْحَانَهُ**)) اِسْمُ مَصْدَرٍ (سَبَّحَ) – بِشَدِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ – ، وَقِيلَ : سُمِعَ بِالتَّخْفِيفِ . وَهُوَ لَازِمُ الْإِضَافَةِ ، وَقَدْ يُقْطَعُ غَيْرَ مُنْصَرِفٍ ، لِعَلَمِيَّةِ الْجِنْسِ وَالزِّيَادَةِ .

قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ :

« (سُبْحَانَ اللهِ) مَعْنَاهُ : السُّرْعَةُ إِلَيْهِ ، وَالْخِفَّةُ فِي طَاعَتِهِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ : تَنْزِيهًا للهِ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، وَتَبْرِئَةً مِنَ السُّوءِ .

رَوَى الْحَاكِمُ أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عَبْدِ اللهِ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ مَعْنَى (سُبْحَانَ اللهِ) ؟ فَقَالَ : تَنْزِيهٌ للهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ : (سُبْحَانَ اللهِ) كَلِمَةٌ أَحَبَّهَا اللهُ وَرَضِيَهَا ، وَأَحَبَّ أَنْ تُقَالَ » . اِهـ.

عَيَّاشِيٌّ عَلَى [الْوَظِيفَةِ] .

أَيْ : تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ بِلَا ابْتِدَاءٍ وَلَا انْتِهَاءٍ .

.. ..

((**جَلَّ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا .

فِي [الْمِصْبَاحِ] : « جَلَّ الشَّيْءُ يَجِلُّ – بِالْكَسْرِ – عَظُمَ، فَهُوَ جَلِيلٌ ، وَجَلَالُ اللهِ عَظَمَتُهُ » . اهَـ .

أَيْ : عَظُمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**عَنِ النَّظَائِرِ**)) :

جَمْعُ (نَظِيرٍ) ، **أَيْ** : شَبِيهٍ وَمَثِيلٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وَ**)) جَلَّ عَنْ مُشَابَهَةِ ((**كُلِّ مَا**)) **أَيْ** : شَيْءٍ ، أَوِ: الشَّيْءِ الَّذِي ((**يَخْطُرُ**)) — بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ ، فَضَمٍّ — **أَيْ** : يُتَصَوَّرُ ((**فِي الضَّمَائِرِ**)) – جَمْعُ ضَمِيرٍ — **أَيْ** : الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ مَحَالَّاتُ الضَّمَائِرِ .

فَـ ((**ضَمَائِرُ**)) مَجَازٌ مُرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ .

وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هُوَ الْوَاسِطَةَ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْعِبَادِ فِي جَمِيعِ النِّعَمِ الْوَاصِلَةِ إِلَيْهِمُ الَّتِي أَعْظَمُهَا الْهِدَايَةُ لِلْإِسْلَامِ : أَتْبَعَ الْمُصَنِّفُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – حَمْدَ اللهِ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَدَاءً لِبَعْضِ مَا يَجِبُ لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَامْتِثَالًا لِقَوْلِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِذِكْرِ اللهِ ثُمَّ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَهُوَ أَقْطَعُ أَكْتَعُ " .

وَاغْتِنَامًا لِلثَّوَابِ الْوَارِدِ فِي قَوْلِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ " . ذَكَرَهُ فِي [الشِّفَاءِ] .

وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي [تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ] :

« رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي [الْأَوْسَطِ] ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي [الثَّوَابِ] ، وَالْمُسْتَغْفِرِيُّ فِي [الدَّعَوَاتِ] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ » . اهَـ .

وَهَلِ الْمُرَادُ بِـ (صَلَّى) : كَتَبَ – وَهُوَ أَظْهَرُ – ، أَوْ : قَرَأَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ – وَهُوَ أَوْسَعُ وَأَرْجَى – ؟ .
احْتِمَالَاتٌ لِزَرُّوقٍ .

٦ – وَأَفْـضَـــلُ الـصَّـــلَاةِ وَالـــسَّلَامِ لِـمَـنْ حَـــوَى جَـوَامِـعَ الْـكَـــلَامِ

((وَأَفْضَلُ)) أَيْ : أَعْظَمُ وَأَشْرَفُ ((الصَّلَاةِ)) – بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ – أَيْ : رَحْمَةِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْمَقْرُونَةِ بِالتَّعْظِيمِ ((وَالسَّلَامِ)) – بِفَتْحِ السِّينِ – أَيْ : التَّحِيَّةِ بِكَلَامِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْقَدِيمِ ، الْمُنَزَّهِ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ الْحَادِثِ ، بِأَنْ يَرْفَعَ عَنْ رَسُولِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْحِجَابَ حَتَّى يَسْمَعَهُ ، وَيَفْهَمَ تَحِيَّتَهُ وَتَعْظِيمَهُ .

[تَنْبِيهٌ]

جَمَعَ الْمُؤَلِّفُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، لِكَرَاهَةِ إِفْرَادِ أَحَدِهِمَا . كَمَا ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ مَجَالِسِ الْوَانُوغِيِّ . قَالَهُ تُتُّ .

ثُمَّ قَالَ :

«اُنْظُرْ ، هَلْ ذَلِكَ خَاصٌّ بِنَبِيِّنَا ، أَوْ عَامٌّ فِيهِ وَفِي سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ؟ .

وَقَالَ الْحَطَّابُ :

" فِي كَلَامِ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَرَاهَةُ إِفْرَادِ الصَّلَاةِ عَنِ السَّلَامِ وَعَكْسِهِ ، وَمِمَّنْ صَرَّحَ بِالْكَرَاهَةِ : النَّوَوِيُّ ؛
وَقَالَ السَّخَاوِيُّ : وَتَوَقَّفَ شَيْخُنَا – يَعْنِي ابْنَ حَجَرٍ – فِي إِطْلَاقِ الْكَرَاهَةِ ، وَقَالَ: فِيهِ نَظَرٌ ؛
نَعَمْ ، يُكْرَهُ أَنْ يُفْرِدَ الصَّلَاةَ وَلَا يُسَلِّمَ أَصْلًا ، أَمَّا لَوْ صَلَّى فِي وَقْتٍ ، وَسَلَّمَ فِي آخَرَ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُمْتَثِلًا ، وَيَتَأَكَّدُ بِمَا فِي خُطْبَةِ [مُسْلِمٍ] ، وَ[التَّنْبِيهِ] ، وَغَيْرِهِمَا مِنْ مُصَنَّفَاتِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ مِنَ الِاقْتِصَارِ عَلَى الصَّلَاةِ فَقَطْ ؛
وَلَمْ نَقِفْ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا مَا رَأَيْتُهُ فِي [الْمَسَائِلُ الْمَلْقُوطَةُ] أَنَّهُ يُكْرَهُ ذَلِكَ .
وَلَمْ يَعْزُهُ » . اِهَ مِنْهُ بِاخْتِصَارٍ .

وَقَالَ الْأُجْهُورِيُّ :

« وَقَعَ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْمَذْهَبِ الْمُتَقَدِّمِينَ وُقُوعًا شَائِعًا ذِكْرُ السَّلَامِ دُونَ الصَّلَاةِ ، حَتَّى أَخْبَرَنِي مَنْ يُوثَقُ بِهِ أَنَّهُ رَأَى نُسْخَةً مِنَ [الْمُنْتَقَى] بِخَطِّ الْبَاجِيِّ ، لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا سِوَى السَّلَامِ فِي كُلِّ مَحَلٍّ ذُكِرَ فِيهِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ كَرَاهَةِ إِفْرَادِ السَّلَامِ عَنِ الصَّلَاةِ خَطًّا ، وَإِذَا كَانَ لَا يُكْرَهُ إِفْرَادُ السَّلَامِ فَالصَّلَاةُ أَوْلَى » . اِهَ .

قُلْتُ : لَا دَلِيلَ لَهُ فِيمَا ذَكَرَهُ ، لِأَنَّ الْمَكْرُوهَ الْإِفْرَادُ لَفْظًا لَا خَطًّا . كَمَا قَالَهُ الْمُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ :

« وَالظَّاهِرُ أَنَّ مُرَادَهُمْ أَنَّ مَحَلَّ الْكَرَاهَةِ فِيمَا لَمْ يَرِدِ الْإِفْرَادُ فِيهِ ، كَقَوْلِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – :
" إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيَّ ". وَقَوْلِهِ : " كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ : بِاسْمِ اللهِ ،

... ...

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ... " الْحَدِيثَ » . اِهَـ .
أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الرَّمَاصِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الصُّغْرَى] .

وَخَبَرُ ((**أَفْضَلُ**)) : ((**لِمَنْ**)) **أَيْ** : عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي ((**حَوَى**)) **أَيْ** : جَمَعَ ((**جَوَامِعَ**)) وَاحِدُهُ جَامِعَةٌ ؛ وَإِضَافَتُهُ إِلَى ((**الْكَلَامِ**)) مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ ، وَهَذَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلَامِ ، وَاخْتُصِرَ لِيَ الْكَلَامُ اخْتِصَارًا " .
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : " نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ جِيءَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فِي يَدِي " .
وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَعَلِمْتُ خَزَنَةَ النَّارِ وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ .
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ : " بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ " . وَفِي خَبَرِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :
" أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ " . **أَيْ** : الْكَلِمَاتُ الْقَلِيلَةُ الْحُرُوفِ الْكَثِيرَةُ الْمَعَانِي ، قُرْآنًا كَانَتْ أَوْ غَيْرَهُ ، خِلَافًا لِلْهَرَوِيِّ فِي قَصْرِهِ " جَوَامِعَ الْكَلَامِ " عَلَى الْقُرْآنِ .
وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَقَوْلِهِ : " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ... " الْحَدِيثَ ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ... " الْحَدِيثَ ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ سَأَلَهُ الْوَصِيَّةَ : " لَا تَغْضَبْ " ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ " ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ... " الْحَدِيثَ ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ " ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ " .
وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النَّحْلِ : ٩٠] .
الْحَسَنُ : « لَمْ تَتْرُكْ هَذِهِ الْآيَةُ خَيْرًا إِلَّا أَمَرَتْ بِهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا نَهَتْ عَنْهُ» . اِهَـ .
وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ** ... ﴾ الْآيَةَ [النُّورِ : ٥٢] .
وَحُكِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – كَانَ نَائِمًا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَرَأَى عِنْدَ رَأْسِهِ رَجُلًا مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ .
فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ : أَسْلَمْتُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ قَالَ : هَلْ لِذَلِكَ سَبَبٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَرَأْتُ التَّوْرَاةَ ، وَالْإِنْجِيلَ ، وَالزَّبُورَ ، وَكَثِيرًا مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – ، فَسَمِعْتُ أَسِيرًا يَقْرَأُ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ ، جُمِعَ فِيهَا كُلُّ مَا فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى فَأَسْلَمْتُ ؛ قَالَ : مَا هَذِهِ الْآيَةُ ؟ قَالَ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ**

٧ – وَأَفْـهَـمَ الْحَـقَّ ذَوِي الْأَذْهَـانِ   وَأَفْـحَـمَ الْخُـصُـومَ بِـالْـبُـرْهَـانِ
٨ – وَحَضَّ كُـلَّ الـنَّـاسِ أَنْ يَقُولُـوا   شَـهَـادَةً تَـزْكُـو بِهَـا الْـعُـقُـولُ

... } الْآيَةَ [النُّورُ : ٥٢] ، قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ " .

((وَ)) عَلَى مَنْ ((**أَفْهَمَ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ وَالْمِيمِ ، وَسكُونِ الْفَاءِ ((**الْحَقَّ**)) بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الْقَافِ ؛ **أَيْ** : الصَّوَابَ ، مَفْعُولٌ ثَانٍ لِـ ((**أَفْهَمَ**)) ، وَمَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ : ((**ذَوِي**)) بِفَتْحِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الْوَاوِ ، **أَيْ** : أَصْحَابَ ((**الْأَذْهَانِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ، آخِرُهُ نُونٌ ؛ **أَيْ** : الْعُقُولِ . إِذْ وَجَدَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جَمِيعَ الْخَلْقِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ ضَلَّتْ عُقُولُهَا عَنِ الصَّوَابِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى ؛

أَمَّا أَهْلُ الْمِلَلِ – كَأَهْلِ الْكِتَابِ – فَاعْتَقَدُوا عِبَادَةَ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى – كَعُزَيْرٍ وَالْمَسِيحِ – ، وَاعْتَقَدُوا التَّجْسِيمَ وَالْبُنُوَّةَ وَالِاتِّحَادَ وَالتَّعَدُّدَ ؛ فَبَيَّنَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُطْلَانَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَانْفِرَادَهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالْأُلُوهِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا وَلَدَ ، وَلَا صَاحِبَةَ .

وَأَمَّا أَهْلُ النِّحَلِ : فَاعْتَقَدُوا أُلُوهِيَّةَ غَيْرِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَحْجَارِ وَالنِّيرَانِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْكَوَاكِبَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالطَّوَاغِيتَ ؛ فَبَيَّنَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُطْلَانَ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا مُعِينَ ، وَلَا وَزِيرَ .

أَفَادَهُ ابْنُ الْأَعْمَشِ فِي شَرْحِهِ .

((**وَأَفْحَمَ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمِيمِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ؛ **أَيْ** : أَعْجَزَ وَأَسْكَتَ ((**الْخُصُومَ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَإِهْمَالِ الصَّادِ ؛ **أَيْ** : الْكُفَّارَ . وَصِلَةُ ((**أَفْحَمَ**)) : ((**بِالْبُرْهَانِ**)) **أَيْ** : الدَّلِيلِ الْيَقِينِيِّ

((**وَحَضَّ**)) بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ مُثَقَّلًا ، **أَيْ** : أَمَرَ ((**كُلَّ النَّاسِ**)) الْمُكَلَّفِينَ أَمْرًا قَوِيًّا جَازِمًا مُكَرَّرًا عَلَى ((**أَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ، صِلَتُهُ ((**يَقُولُوا شَهَادَةً**)) لِلَّهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَلِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ

((**تَزْكُو**)) **أَيْ** : تَنْمُو وَتَزِيدُ ((**بِهَا**)) **أَيْ** : الشَّهَادَةِ ((**الْعُقُولُ**)) **أَيْ** : الْأَسْرَارُ الَّتِي خَلَقَهَا – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي الْقُلُوبِ ، وَأَوْصَلَ أَشِعَّهَا لِلدِّمَاغَاتِ ، إِذْ بِذَلِكَ يَتَضِحُ اتِّصَافُهُمْ بِكَمَالِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي هِيَ فَائِدَةُ الْعَقْلِ وَثَمَرَتُهُ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ أَهْلِ النَّارِ : ﴿ **وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠** ﴾ [الملك: ١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ** ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ؛ فَمَنْ حَرَمَهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فَائِدَةَ الْعَقْلِ وَثَمَرَتَهُ فَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْبَهِيمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَ : ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ** ﴾ [الأعراف : ١٧٩] الْآيَةَ .

وَأَشَارَ النَّاظِمُ بِبَيْتِهِ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ ... " الْحَدِيثَ .

أَفَادَهُ ابْنُ الْأَعْمَشِ .

٩ – فَمَنْ أَجَابَ نَــالَ خَيْرًا جَــذَّلَــهْ وَمَــنْ أَبَــى أَذَلَّـــهُ وَجَــدَّلَـــهْ
١٠ – صَــلَّــى عَـلَـيْـهِ اللهُ مَا الْحَقُّ اعْتَلَى مَـعْ آلِـهِ وَصَـحْـبِـهِ وَمَــنْ تَــلَا

[تَنْبِيهٌ]

الشَّهَادَةُ فِي اللُّغَةِ : التَّحَقُّقُ بِالْبَصَرِ أَوِ الْبَصِيرَةِ –كَالْمُشَاهَدَةِ – ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْحُضُورِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ﴾[النمل: ٤٩] **أَيْ** : حَضَرْنَا .

وَفِي الِاصْطِلَاحِ : قَوْلٌ صَدَرَ عَنْ عِلْمٍ حَصَلَ بِمُشَاهَدَةِ بَصَرٍ أَوْ بَصِيرَةٍ .

قَالَ فِي [النِّهَايَةِ] :

«أَصْلُ الشَّهَادَةِ : الْإِخْبَارُ بِمَا شَاهَدَهُ أَوْ شَهِدَهُ » .

وَقَالَ الْقَاضِي :

« الشَّهَادَةُ: إِخْبَارٌ عَنْ عِلْمٍ ، مِنَ الشُّهُودِ ، وَهُوَ الْحُضُورُ وَالِاطِّلَاعُ » .

وَفِي [الْمُصَفَّى] :

« الشَّهَادَةُ : الْإِخْبَارُ عَنْ عِلْمٍ وَإِيقَانٍ بِمُشَاهَدَةٍ وَعَيَانٍ ، لَا عَنْ تَخْمِينٍ وَحُسْبَانٍ » .

وَفِي [الْمُخْتَارُ] :

« الشَّهَادَةُ : خَبَرٌ قَاطِعٌ ، تَقُولُ (شَهِدَ عَلَى) مِنْ بَابِ : عَلِمَ » .

((**فَمَنْ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ، اِسْمُ شَرْطٍ، أَيْ: أَيُّ إِنْسَانٍ ((**أَجَابَ**)) رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِقَوْلِهِ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " ((**نَالَ**)) بِنُونٍ، أَيْ: أَدْرَكَ ((**خَيْرًا**)) **أَيْ** : سَعَادَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ((**جَذَّلَهْ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالذَّالِ الْمُعْجَمِ مُثَقَّلًا وَاللَّامِ ، **أَيْ** : أَثْبَتَ الْمُجِيبُ الْخَيْرَ بِقَوْلِهِ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " .

فِي [الْقَامُوسِ] :

« جَذَّلَ جُذُولًا : انْتَصَبَ وَثَبَتَ » .

((**وَمَنْ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ، **أَيْ** : أَيُّ إِنْسَانٍ ((**أَبَى**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْبَاءِ، **أَيْ** : امْتَنَعَ مِنْ إِجَابَةِ الرَّسُولِ بِقَوْلِهِ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " ((**أَذَلَّهُ**)) بِفَتْحَاتٍ مُثَقَّلًا ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَجُعِلَتِ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ... " الْحَدِيثَ .
أَيْ : أَهَانَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِعَدْلِهِ مَنْ أَبَى إِجَابَةَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِقَوْلِهِ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " ((**وَجَدَّلَهْ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ مُثَقَّلًا وَاللَّامِ ، **أَيْ** : طَرَحَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِعَدْلِهِ الْآبِيَ عَلَى الْجَدَالَةِ ، **أَيْ** : الْأَرْضِ –كَمَا فِي [الصِّحَاحِ]– ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ وَجْهَهُ – لَمَّا رَأَى عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا –

… ..

مَقْتُولًا : " أَعْزِزْ عَلَيَّ أَبَا الْيَقْظَانِ أَنْ أَرَاكَ صَرِيعًا مُجَدَّلًا " .

أَيْ : مَرْمِيًّا عَلَى الْجَدَالَةِ – بِفَتْحِ الْجِيمِ – وَهِيَ الْأَرْضُ .

قَالَهُ الْهَرَوِيُّ فِي [التَّصْرِيح] .

((**صَلَّى**)) **أَيْ** : رَحِمَ ، **أَيْ** : أَنْعَمَ ((**عَلَيْهِ**)) **أَيْ** : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي حَوَى جَوَامِعَ الْكَلَامِ ، وَأَفْهَمَ ذَوِي الْأَذْهَانِ الْحَقَّ، وَحَضَّ كُلَّ النَّاسِ عَلَى قَوْلِهِمْ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " .

وَفَاعِلُ ((**صَلَّى**)) : ((**اللهُ**)) **أَيْ** : الذَّاتُ الْوَاجِبُ وُجُودُهُ وَاتِّصَافُهُ بِكُلِّ كَمَالٍ ، وَتَنَزُّهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وَالْجَائِزُ عَلَيْهِ فِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَتَرْكُهُ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

هَذِهِ الْجُمْلَةُ إِنْشَائِيَّةٌ مَعْنًى ، بِدَلِيلِ قُولُوا : " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ " ؛ وَأَغْرَبَ الشَّيْخُ يس حَيْثُ جَوَّزَ خَبَرِيَّةَ الْمَعْنَى ، زَاعِمًا أَنَّ الْقَصْدَ مُجَرَّدُ الِاعْتِنَاءِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَالثَّوَابُ فِي ذَلِكَ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى نِيَّةِ الْإِنْشَائِيَّةِ الْمُلَاحَظَةِ حَيْثُ اشْتَهَرَ ؛ كَمَا يُفِيدُهُ الْحَطَّابُ عَلَى الشَّيْخِ خَلِيلٍ وَغَيْرِهِ .

أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ .

(**الثَّانِي**) :

إِنَّمَا أَفْرَغَ الطَّلَبَ فِي قَالَبِ الْخَبَرِ مُبَالَغَةً فِيهِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ إِذَا عَظُمَتْ رَغْبَتُهُ فِي شَيْءٍ كَثُرَ تَصَوُّرُهُ إِيَّاهُ ، فَرُبَّمَا يَخِيلُ إِلَيْهِ حَاصِلًا ، فَيُورِدُهُ بِصِيغَةِ الْخَبَرِ عَنْ أَمْرٍ مَضَى ، أَوْ تَفَاؤُلًا بِأَنْ يَكُونَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْأُمُورِ الْحَاصِلَةِ الَّتِي يُخْبَرُ عَنْهَا بِصِيغَةِ الْمَاضِي .

(**الثَّالِثُ**) :

إِنَّمَا أَسْنَدَ الصَّلَاةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى – مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَنَا بِهَا حَيْثُ قَالَ : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] – لِأَنَّ صَلَاتَنَا عَلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – دُعَاءٌ لَهُ بِأَنْ يُصَلِّيَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ ذَاكَ غَايَةُ مَقْدُورِنَا ، وَفِي ذَلِكَ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حُقُوقًا عَظِيمَةً نَعْجَزُ عَنْ مُكَافَأَتِهِ بِهَا ، فَوَجَبَ أَنْ نَرْجِعَ فِي ذَلِكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَنَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُجَازَاةً لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — عَنَّا ، وَقَدْ أَرْشَدَنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى ذَلِكَ لَمَّا قِيلَ لَهُ : أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُولُوا : " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ … " إلخ . رَوَاهُ الشَّيْخَانِ .

(**الرَّابِعُ**) :

إِنَّمَا كَرَّرَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِظْهَارًا لِعَظَمَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَجَمْعًا بَيْنَ الْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، لِإِفَادَةِ الْأُولَى الثَّبَاتَ وَالدَّوَامَ؛ وَالثَّانِيَةِ التَّجَدُّدَ وَالْحُدُوثَ .

... ...

((مَا)) مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ ((الْحَقُّ)) بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الْقَافِ ((اعْتَلَى)) **أَيْ** : عَلَا عَلَى الْبَاطِلِ، **أَيْ** : مُدَّةَ اعْتِلَاءِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ؛ وَعُلُوُّ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ دَائِمٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، وَعَكْسُهُ عَارِضٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ثُمَّ يَضْمَحِلُّ عَنْ قَرِيبٍ ، وَيَبْقَى الْحَقُّ عَالِيًا عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾

[الرعد : ١٧] الْآيَةَ .

وَلَيْسَ الْمُرَادُ التَّوْقِيتَ ، بَلْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ التَّأْبِيدِ ، فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْبُلَغَاءِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ أَنْ يُؤَقِّتُوا بِبَعِيدٍ .

((مَعْ)) بِسُكُونِ الْعَيْنِ لِلْوَزْنِ ، وَإِنْ كَانَ فَتْحُهَا أَفْصَحَ ((آلِهِ)) **أَيْ** : أَقَارِبِهِ ((وَصَحْبِهِ)) **أَيْ** : الَّذِينَ اجْتَمَعُوا بِهِ بَعْدَ إِرْسَالِهِ مُؤْمِنِينَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَطُلْ زَمَنُ الِاجْتِمَاعِ كَالتَّابِعِيِّ ؛ وَقِيلَ: يُشْتَرَطُ فِي التَّابِعِيِّ الطُّولُ ، لِمَزِيَّةِ نُورِ النُّبُوَّةِ ، لِأَنَّ الِاجْتِمَاعَ بِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُؤَثِّرُ فِي لَحْظَةٍ مَا لَا يُؤَثِّرُهُ الِاجْتِمَاعُ بِغَيْرِهِ فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ .

وَذَكَرَهُمْ بَعْدَ الْآلِ – وَإِنْ كَانُوا دَاخِلِينَ فِيهِمْ – لِمَزِيدِ الِاعْتِنَاءِ بِهِمْ ؛ وَإِنَّمَا صَلَّى عَلَى آلِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِحَدِيثِ: " إِيَّاكُمْ وَالصَّلَاةَ الْبَتْرَاءَ ؛ قِيلَ : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: أَنْ تُصَلُّوا عَلَيَّ دُونَ آلِي " .

وَلِأَنَّ مَحَبَّتَهُمْ مِنْ آثَارِ مَحَبَّتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الَّتِي هِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] .

وَعَلَى صَحْبِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِحَدِيثِ : " اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ بَغِضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، مَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ ، وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ ؛ لِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ ، وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِهِ ((وَمَنْ)) **أَيْ** : الَّذِي ((تَلَا)) **أَيْ** : تَبِعَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ إِلَى قُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لِمَوْتِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ بِرِيحٍ لَيِّنَةٍ ، ثُمَّ تَقُومُ الْقِيَامَةُ عَلَى الْكُفَّارِ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى فَيَمُوتُونَ بِهَا .

١١ – وَبَعْدُ فَالْعُلُومُ ذَاتُ كَثْــــرَةْ وَبَعْضُهَا لَــهُ مَـزِيدُ الأَثْـــرَةْ

((**وَبَعْدُ**)) يُسْتَحَبُّ الإِتْيَانُ بِهَا فِي الْخُطَبِ وَالْكُتُبِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ الرُّهَاوِيُّ فِي [أَرْبَعِينِهِ] عَنْ أَرْبَعِينَ صَحَابِيًّا أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَقُولُ : " أَمَّا بَعْدُ " فِي خُطَبِهِ وَكُتُبِهِ . وَيُؤْتَى بِهَا لِلانْتِقَالِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى آخَرَ ، أَيْ: مِنْ نَوْعٍ مِنَ الْكَلَامِ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ ؛ وَالنَّوْعُ الْمُنْتَقَلُ مِنْهُ هُوَ الْبَسْمَلَةُ وَمَا بَعْدَهَا ، وَالنَّوْعُ الْمُنْتَقَلُ إِلَيْهِ هُوَ بَيَانُ السَّبَبِ الْحَامِلِ عَلَى التَّأْلِيفِ ، لِأَنَّهَا تُكْسِبُ الاِقْتِضَابَ ، وَهُوَ لُغَةً: الاِقْتِطَاعُ؛ وَعُرْفًا: الاِنْتِقَالُ إِلَى كَلَامٍ لَا يُنَاسِبُ لِكَلَامِ الْمُنْتَقَلِ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ :

((لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْـــــــرًا جَـــاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شِيبَا
كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفُ اللَّيَـــــــــالِي خـلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبَا)) .

فَمَضْمُونُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ذَمُّ الشَّيْبِ ؛ وَالثَّانِي مَدْحُ أَبِي سَعِيدٍ؛ وَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا؛ قِيلَ : يَحْتَمِلُ أَنَّ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةً ، لِاحْتِمَالِ شَيْبِ أَبِي سَعِيدٍ . وَرُدَّ بِعَدَمِ إِشْعَارِ اللَّفْظِ بِهِ شَبَهًا بِالتَّخَلُّصِ ، وَهُوَ الاِنْتِقَالُ مِنْ كَلَامٍ إِلَى كَلَامٍ يُنَاسِبُهُ، كَقَوْلِهِ :

((أَمَطْلَـــعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ بِنَـــا ؟! فَقُلْتُ : كَلَّا، وَلَكِنْ مَطْلَعَ الجُودِ)) .

فَصَدْرُهُ مُتَعَلِّقٌ بِـ " مَطْلَعَ الشَّمْسِ "، وَعَجُزُهُ مُتَعَلِّقٌ بِـ " مَطْلَعَ الجُودِ "، فَتَنَاسَبَا مِنْ جِهَةِ تَعَلُّقِهِمَا بِـ " الْمَطْلَعِ " ؛ وَوَجْهُ إِكْسَابِهَا الاِقْتِضَابَ شَبَهًا بِالتَّخَلُّصِ : أَنَّهَا تُشْعِرُ النَّفْسَ بِالْمَقْصُودِ الثَّانِي ، وَتُوَطِّنُهَا إِلَيْهِ فَلَا يَأْتِيهَا فَجْأَةً، فَقَامَ ذَلِكَ مَقَامَ الْمُنَاسَبَةِ الْمُحَقَّقَةِ فِي التَّخَلُّصِ؛ وَالَّذِي أَفَادَهُ السَّعْدُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فِي شَرْحِ قَوْلِ [التَّلْخِيصِ] :
« (**وَمِنْهُ**) **أَيْ** : الاِقْتِضَابِ مَا يُقَرِّبُ مِنَ التَّخَلُّصِ ، كَقَوْلِهِ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ : (**أَمَّا بَعْدُ**) أَنَّ وَجْهَ قُرْبِهِ مِنْهُ أَنَّ الْكَلَامَ الثَّانِيَ لَمْ يَأْتِ فَجْأَةً ، وَعُلِّقَ عَلَى وُجُودِ شَيْءٍ بَعْدَ الْحَمْدِ » . انْتَهَى .

وَهَذَا عَلَى أَنَّ (**بَعْدُ**) ظَرْفٌ لِلشَّرْطِ ، وَيُقَالُ عَلَى أَنَّهَا ظَرْفٌ لِلْجَوَابِ : وَجْهُ ذَلِكَ عَدَمُ إِتْيَانِهِ فَجْأَةً ، مَعَ تَقْيِيدِهِ بِبَعْدِيَّةِ الْأَوَّلِ ؛ وَالظَّرْفُ مَبْنِيٌّ ، لِحَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَنِيَّةِ مَعْنَاهُ ، لِشَبَهِهِ بِحَرْفِ الْجَوَابِ حِينَئِذٍ فِي الاِكْتِفَاءِ بِكُلٍّ عَمَّا بَعْدَهُ ، مُحَرَّكٌ تَخَلُّصًا مِنَ السَّاكِنَيْنِ ، وَتَنْبِيهًا عَلَى عُرُوضِ بِنَائِهِ ، مَضْمُومٌ لِشَرَفِهِ ، وَلِتَكْمُلَ لَهُ الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثَةُ ، لِأَنَّهُ إِذَا أُضِيفَ لَفْظًا ، أَوْ حُذِفَ مَا أُضِيفَ هُوَ إِلَيْهِ وَنُوِيَ لَفْظُهُ ، أَوْ قُطِعَ عَنِ الْإِضَافَةِ لَفْظًا وَنِيَّةً أُعْرِبَ فِي الثَّلَاثِ نَصْبًا عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، أَوْ جَرًّا بِـ " مِنْ " مَعَ التَّنْوِينِ فِي الْأَخِيرَةِ فَقَطْ ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَ حَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَنِيَّتِهِ ، وَحَذْفِهِ وَنِيَّةِ مَعْنَاهُ – وَإِنِ اسْتَلْزَمَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ – أَنَّهُ إِذَا نُوِيَ الْمَعْنَى كَانَ اللَّفْظُ غَيْرَ مَلْحُوظٍ ، وَلَا مَقْصُودٍ أَصَالَةً ، فَأَشْبَهَ الظَّرْفُ حَرْفَ الْجَوَابِ فِي الاِكْتِفَاءِ بِكُلٍّ عَمَّا بَعْدَهُ مَعَ جُمُودِهِ فَيُبْنَى ؛ وَإِذَا نُوِيَ اللَّفْظُ كَانَ كَالْمَذْكُورِ ، فَلَمْ يَتَحَقَّقْ الاِكْتِفَاءُ بِالظَّرْفِ عَمَّا بَعْدَهُ ، فَلَمْ

.. ..

يَكْمُلْ شَبَهُهُ بِالْحَرْفِ ، فَبَقِيَ عَلَى الْإِعْرَابِ ؛ وَ (**بَعْدُ**) ظَرْفُ زَمَانٍ مُتَعَلِّقٌ بِالْجَوَابِ عَلَى الْأَحْسَنِ ، لِإِفَادَةِ قُوَّةِ الِامْتِثَالِ لِلْأَمْرِ بِالِابْتِدَاءِ بِالْبَسْمَلَةِ وَالْحَمْدَلَةِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَاسْتِحْضَارِهَا حَالَ الْجَوَابِ وَإِنْ تَقَدَّمَتْ عَلَيْهِ ، وَإِفَادَتِهِ تَحَقُّقَ الْجَوَابِ لِتَعْلِيقِهِ عَلَى مُحَقَّقٍ ، وَهُوَ وُجُودُ مُطْلَقِ شَيْءٍ ؛ وَلَا يَرِدُ أَنَّ الْفَاءَ لَا يَعْمَلُ مَا بَعْدَهَا فِيمَا قَبْلَهَا، لِتَوَسُّعِهِمْ فِي الظُّرُوفِ، وَتَعْلِيقُهُ بِـ " يَكُنْ " يَنْفِي هَذِهِ الْفَوَائِدَ؛ فَإِنْ قِيلَ: الْوَارِدُ فِي الْحَدِيثِ : " أَمَّا بَعْدُ " ، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ اتِّبَاعَهُ ! . **فَالْجَوابُ** : إِنَّ الْمُصَنِّفَ تَابِعٌ لِلْأَئِمَّةِ، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ فَهِمُوا أَنَّ الْوَاوَ بِمَنْزِلَةِ (**أَمَّا**) ؛ قَالَ الْخَطَّابُ: « تُسْتَعْمَلُ (**بَعْدُ**) بِـ (**أَمَّا**) وَالْوَاوِ مَعًا، وَمَعَ أَحَدِهِمَا دُونَ الْأُخْرَى ؛ وَالْوَاوُ نَائِبَةٌ عَنْ (**أَمَّا**) – بِفَتْحِ الْهَمْزِ، وَشَدِّ الْمِيمِ – الَّتِي هِيَ لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ ؛ وَ (**أَمَّا**) نَائِبَةٌ عَنْ (**مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ**) ؛ وَجَوَابُ (**مَهْمَا**) مَحْذُوفٌ، وَالْأَصْلُ : (**مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ**) » .

((**فَـ**)) أَقُولُ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ وَمَا بَعْدَهَا . فَـ (**مَهْمَا**) اِسْمُ شَرْطٍ مُبْتَدَأٌ ، وَ (**يَكُنْ**) فِعْلُ الشَّرْطِ ، وَهُوَ مُضَارِعُ (**كَانَ**) التَّامَّةِ ، وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ (**هُوَ**) يَعُودُ عَلَى (**مَهْمَا**) . وَ(**مِنْ شَيْءٍ**) بَيَانٌ لِـ (**مَهْمَا**) ، وَإِنْ كَانَ شَأْنُ الْبَيَانِ التَّخْصِيصَ ، فَقَدْ يَكُونُ مُسَاوِيًا ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْجِنْسُ بِتَمَامِهِ ، فَحُذِفَتْ (**مَهْمَا**) وَ(**يَكُنْ**) وَ(**مِنْ شَيْءٍ**) ، وَأُقِيمَتْ (**أَمَّا**) مَقَامَ ذَلِكَ . وَقَدَّرْتُ " الْقَوْلَ " لِيَكُونَ الْجَوَابُ اسْتِقْبَالِيًّا بِالنِّسْبَةِ لِلشَّرْطِ . **فَإِنْ قُلْتَ** : إِذَا حُذِفَ " الْقَوْلُ " وَجَبَ حَذْفُ الْفَاءِ مَعَهُ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْأُشْمُونِيُّ ! . **قُلْتُ** : الْمَسْئَلَةُ مُخْتَلَفٌ فِيهَا، فَقَدْ ذَكَرَ الْعَلَّامَةُ السُّيُوطِيُّ فِي [هَمْعِ الْهَوَامِعِ] قَوْلًا بِجَوَازِ ذِكْرِ الْفَاءِ مَعَ حَذْفِ الْقَوْلِ .

وَالْفَاءُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ (**أَمَّا**) الْمُقَدَّرَةِ ، أَوْ فِي جَوَابِ الْوَاوِ النَّائِبَةِ عَنْهَا .

((**ـالْعُلُومُ**)) بِضَمِّ الْعَيْنِ ، أَيْ: الْعُلُومُ الْمُدَوَّنَةُ ((**ذَاتُ**)) **أَيْ** : صَاحِبَةُ ((**كَثْرَهْ**)) بِفَتْحِ الْكَافِ ، وَسُكُونِ الثَّاءِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : كَثِيرَةٌ لَا تَكَادُ تُحْصَى ((**وَبَعْضُهَا**)) **أَيْ** : الْعُلُومِ ((**لَهُ**)) **أَيْ** : بَعْضِ الْعُلُومِ ((**مَزِيدُ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ؛ اِسْمُ مَفْعُولٍ (**زَادَ**) ، إِذْ أَصْلُهُ (**مَزْيُودٌ**) ، اُسْتُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَنُقِلَتْ لِلزَّايِ السَّاكِنَةِ ، وَحُذِفَتْ وَاوُ (**مَفْعُولٌ**) لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ، وَخُصَّتْ بِالْحَذْفِ لِزِيَادَتِهَا ، وَأُبْدِلَتِ الضَّمَّةُ كَسْرَةً لِتَسْلَمَ الْيَاءُ مِنْ إِبْدَالِهَا وَاوًا . **أَيْ** : زِيَادَةُ ((**الْأَثْرَهْ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَسُكُونِ الْمُثَلَّثَةِ ؛ **أَيْ** : الْإِيثَارِ وَالتَّرْجِيحِ بِالِاشْتِغَالِ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْهَا، لِأَشْرَفِيَّتِهِ وَأَهَمِّيَّتِهِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْيُوسِيُّ فِي [قَانُونِهِ] :

« **[فَصْلٌ]**

وَأَمَّا الْعُلُومُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، فَمِنْهَا الْمَقْصُودُ لِذَاتِهِ ، وَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ وَفُرُوعُهُ، وَهُوَ الْفِقْهُ ، وَمِنْهُ عِلْمُ الْمَوَارِيثِ وَالتَّصَوُّفِ ؛ وَمِنْهَا الْوَسِيلَةُ ، كَعِلْمِ التَّفْسِيرِ ، وَعِلْمِ الْحَدِيثِ ، وَكَعِلْمِ الْحِسَابِ ، وَعِلْمِ التَّوْقِيتِ ، وَعُلُومِ الْأَوَائِلِ ؛ وَمِنْهَا وَسِيلَةُ الْوَسِيلَةِ ، كَعِلْمِ الْقِرَاءَاتِ ، وَعِلْمِ الرَّسْمِ ، وَعِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَنْوَاعِهِ ، وَعِلْمِ الْمَنْطِقِ وَنَحْوِهِ . وَهِيَ كُلُّهَا عَلَى الْعُمُومِ إِسْلَامِيَّةٌ ، بِمَعْنَى أَنَّهَا تُتَعَاطَى فِي

… …

مِلَّةِ الْإِسْلَامِ ، أَوْ أَنَّهَا يُنْتَفَعُ بِهَا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، إِمَّا مُبَاشَرَةً ، أَوْ بِوَاسِطَةٍ. وَهِيَ أَيْضًا شَرْعِيَّةٌ كَذَلِكَ ، وَالْمَشْهُورُ إِطْلَاقُ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى الْمَقْصُودِ لِذَاتِهِ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ ؛ **وَالْمُهِمُّ مِنْهَا سِتَّةٌ** :

١ – عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ .
٢ – وَعِلْمُ الْفِقْهِ .
٣ – وَعِلْمُ التَّصَوُّفِ .
٤ – وَعِلْمُ التَّفْسِيرِ .
٥ – وَعِلْمُ الْحَدِيثِ .
٦ – وَعِلْمُ أُصُولِ الْفِقْهِ .

وَالْمُسْتَعَانُ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ، وَالْمُهِمُّ مِنْهُ فِي الْجُمْلَةِ ثَمَانِيَةٌ :
١ – عِلْمُ اللُّغَةِ.
٢ – وَعِلْمُ الْإِعْرَابِ .
٣ – وَعِلْمُ التَّصْرِيفِ .
٤ – وَعِلْمُ الْبَيَانِ .
٥ – وَعِلْمُ الْمَعَانِي .
٦ – وَعِلْمُ الطِّبِّ .
٧ – وَعِلْمُ الْحِسَابِ .
٨ – وَعِلْمُ الْمَنْطِقِ .

فَهَذِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عِلْمًا، سَنُشِيرُ إِلَى جُمَلٍ مِنْهَا بِاخْتِصَارٍ خُصُوصًا ، ثُمَّ نُلِمُّ بِإِحْصَاءِ مَا يُعْنَى مِنَ الْعُلُومِ عُمُومًا؛ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

« **[الْفَصْلُ الرَّابِعَ عَشَرَ : فِي ذِكْرِ جِهَاتِ الشَّرَفِ]**

اِعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ كُلَّهُ – بِالْقِيَاسِ إِلَى الْجَهْلِ – شَرَفٌ لِصَاحِبِهِ ، وَكَمَا يَكُونُ لِفُنُونِهِ شَرَفٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يَقَعُ بِهَا التَّفَاوُتُ ، فَقَدْ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الْمَوْضُوعِ ، كَالطِّبِّ ، إِذْ مَوْضُوعُهُ بَدَنُ الْإِنْسَانِ ، وَهُوَ أَشْرَفُ مَا فِي الْكَوْنِ ؛ وَمِنْ جِهَةِ الْغَايَةِ ، كَعِلْمِ الْأَخْلَاقِ ؛ وَمِنْ جِهَةِ مِسِيسِ الْحَاجَةِ ، كَالْفِقْهِ ؛ وَمِنْ جِهَةِ الْجَمِيعِ ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الشَّرَفِ، كَالْإِلَهِيِّ – عَلَى مَا مَرَّ – ، وَكَذَا عِلْمُ التَّفْسِيرِ ؛ وَلَا بُدَّ لِكُلِّ عِلْمٍ مِنْ غَايَةٍ يَحْمَدُهَا

١٢ - وَنُـوِّعَـتْ إِلَـى اعْـتِـقَـادٍ وَعَـمَـلْ وَالْأَوَّلُ الْكَلَامُ مُسْتَدْنِي الْأَمَـلْ

مُتَعَاطِيهِ ، وَيَحْتَجُّ بِهَا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُشْتَغَلْ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ حَقِيقِيًّا ، وَقَدْ يَكُونُ إِضَافِيًّا، فَيَكُونُ لَهُ كَمَالٌ بِحَسَبِ مَا دُونَهُ ، وَنُقْصَانٌ بِحَسَبِ مَا فَوْقَهُ ؛ وَسَنُلِمُّ بِشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ أَهْلُ الْفُنُونِ فِي فُنُونِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ يُسَتَنْقَصُ الْعِلْمُ ، أَوْ يُظَنُّ أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعٍ ، أَوْ غَيْرُ ضَارٍّ، لِخَطَإٍ فِي حَدِّهِ ، أَوْ فِي رُتْبَتِهِ ، أَوْ فِي غَرَضِهِ ، كَأَنْ يُظَنَّ بِالطِّبِّ أَنَّهُ يُبْرِئُ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ ، وَمِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَا يَبْرَأُ ؛ أَوْ بِالْفِقْهِ أَنَّهُ أَشْرَفُ الْعُلُومِ ، مَعَ أَنَّ عِلْمَ التَّوْحِيدِ أَشْرَفُ مِنْهُ ؛ أَوْ يُقْصَدُ بِهِ غَيْرُ غَايَتِهِ ، كَطَلَبِ الْمَالِ أَوِ الْجَاهِ مَثَلًا ، مَعَ أَنَّ قَاصِدَ هَذَا غَيْرُ عَالِمٍ عَلَى التَّحْقِيقِ ، بَلْ مُشْتَبِهٍ » . اهـ .

وَجُمْلَةُ : ((**وَبَعْضُهَا** ...)) إِلَخ حَالِيَّةٌ .

((**وَنُوِّعَتْ**)) بِضَمِّ النُّونِ ، وَكَسْرِ الْوَاوِ مُثَقَّلًا . **أَيْ** : قُسِّمَتِ الْعُلُومُ ((**إِلَى**)) عِلْمٍ مُتَعَلِّقٍ بِـ ((**اعْتِقَادٍ**))

أَيْ : مُعْتَقَدٍ، ((**وَ**)) عِلْمٍ مُتَعَلِّقٍ بِـ ((**عَمَلْ**)) - بِفَتْحِ الْمِيمِ، مَصْدَرُ " عَمِلَ " بِكَسْرِهَا - لِمُكَلَّفٍ ، وَالْأَوَّلُ أُصُولٌ ، وَالثَّانِي فُرُوعٌ ؛ **فَأَمَّا الْأُصُولُ** : فَالْإِيمَانُ ، وَالْعِلْمُ الْمُصَحِّحُ لَهُ ، الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْمَعْرِفَةِ الْمُسَمَّى بِـ " عِلْمِ التَّوْحِيدِ " .

وَأَمَّا فُرُوعُهُ : فَعَلَى قِسْمَيْنِ : **١** - فُرُوعٌ ظَاهِرَةٌ **٢** - وَفُرُوعٌ بَاطِنَةٌ .

فَأَمَّا الْفُرُوعُ الظَّاهِرَةُ : فَهِيَ الْإِسْلَامُ، وَالْعِلْمُ الْمُصَحِّحُ لَهُ ، الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْفِقْهِ الْمُسَمَّى بِـ " عِلْمِ الْفُرُوعِ " .

وَأَمَّا الْفُرُوعُ الْبَاطِنَةُ : فَالْإِحْسَانُ ، وَالْعِلْمُ الْمُصَحِّحُ لَهُ ، الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْحَقِيقَةِ الْمُسَمَّى بِـ " عِلْمِ التَّصَوُّفِ " .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَصْلَ مُقَدَّمٌ عَلَى الْفَرْعِ ، فَعِلْمُ الْمَعْرِفَةِ وَاجِبٌ بِالتَّقَدُّمِ ، إِذْ لَا تُوجَدُ الْفُرُوعُ إِلَّا بَعْدَ الْأُصُولِ .

((**وَ**)) الْعِلْمُ ((**الْأَوَّلُ**)) الْمُتَعَلِّقُ بِالْمُعْتَقَدَاتِ اسْمُهُ ((**الْكَلَامُ**)) لِكَثْرَةِ وَصُعُوبَةِ مَا تَعَلَّقَ مِنْهُ بِصِفَةِ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ ؛ وَقِيلَ : لِأَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ يُصْدِرُونَ مَبَاحِثَهُمْ بِقَوْلِهِمْ : " الْكَلَامُ فِي كَذَا وَكَذَا " ؛ وَقِيلَ : لِكَثْرَةِ الْكَلَامِ فِيهِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَتَكَلَّمُ فِي الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ وَالْمَعْلُومِ ؛ وَقِيلَ : لِأَنَّ أَهْلَ الظَّاهِرِ كَانُوا إِذَا سُئِلُوا عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِهِ قَالُوا : " هَذَا مِمَّا نُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهِ " . فَاشْتَهَرَ ذَلِكَ حَتَّى وَقَعَتِ الْإِضَافَةُ؛ وَقِيلَ : لِأَنَّهُ كَثُرَ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ الْمُخَالِفِينَ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ مَا لَمْ يَكْثُرْ فِي غَيْرِهِ؛ وَقِيلَ : لِأَنَّهُ يُوَرِّثُ قُدْرَةً عَلَى الْكَلَامِ فِي تَحْقِيقِ الشَّرْعِيَّاتِ، كَالْمَنْطِقِ فِي الْفَلْسَفِيَّاتِ ؛ وَقِيلَ : لِقُوَّةِ أَدِلَّتِهِ صَارَ مُسْتَحِقًّا لِأَنَّ يُسَمَّى كَلَامًا ، كَمَا يُقَالُ لِلْأَقْوَى مِنَ الْكَلَامَيْنِ : " هَذَا هُوَ الْكَلَامُ ". وَقِيلَ : لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَجِبُ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي إِنَّمَا تُعْلَمُ وَتُتَعَلَّمُ بِالْكَلَامِ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا الِاسْمُ وَلَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ تَمْيِيزًا لَهُ ؛

وَقِيلَ: لِأَنَّهُ - لِابْتِنَائِهِ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْقَطْعِيَّةِ الْمُؤَيَّدِ أَكْثَرُهَا بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ - أَشَدُّ الْعُلُومِ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ ، فَسُمِّيَ بِـ " الْكَلَامِ " الْمُشْتَقِّ مِنَ " الْكَلْمِ " وَهُوَ الْجَرْحُ؛ وَقِيلَ : لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ بِالْمُبَاحَثَةِ وَإِدَارَةِ الْكَلَامِ

١٣ – وَكُلُّ عِلْمٍ لِلْمَزِيَّةِ اكْتَسَبْ فَالْفَضْلُ مِنْ مَعْلُومِهِ لَهُ انْتَسَبْ
١٤ – وَعِلْمُ أَصْلِ الدِّينِ مَشْهُورُ الشَّرَفْ وَخَيْرُهُ الْمَنْثُورُ مَا لَهُ طَرَفْ
١٥ – وَكَيْفَ لَا وَهْوَ مُفِيدٌ لِلْوَرَى عِلْمًا بِمَنْ أَنْشَاهُمُ وَصَوَّرَا ؟!

مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ ، فَإِنَّهُ يَتَحَقَّقُ بِالتَّأَمُّلِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ .

وَمِنْ أَسْمَائِهِ : " التَّوْحِيدُ " لِأَنَّهُ مَقْصُودُهُ الْأَعْظَمُ ، كَمَا قِيلَ : " الْحَجُّ عَرَفَاتٌ " .
وَ" أُصُولُ الدِّينِ " لِابْتِنَاءِ الدِّينِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ التَّعَبُّدَ فَرْعُ وُجُودِ الْإِيمَانِ ، حَتَّى إِنَّ مَضْمُونَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ عَلَى التَّحْقِيقِ .
وَ" الْعَقَائِدُ " وَلِذَا عَرَّفَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ : " هُوَ الْعِلْمُ بِالْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ الْمُكْتَسَبَةِ مِنْ أَدِلَّتِهَا الْيَقِينِيَّةِ " .
وَعَرَّفَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ : " الْعِلْمُ بِالْقَوَاعِدِ الَّتِي يُعْلَمُ بِهَا الْعَقَائِدُ الدِّينِيَّةُ " . **أَيْ** : كَقَوْلِنَا : "كُلُّ كَمَالٍ وَاجِبٌ للهِ ، وَكُلُّ نَقْصٍ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ " .
وَقَالَ الْعَضُدُ فِي [الْمَوَاقِفِ] : « هُوَ عِلْمٌ يُقْتَدَرُ بِهِ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ بِإِيرَادِ الْحُجَجِ ، وَدَفْعِ الشُّبَهِ ».
قَالَ : «وَالْمُرَادُ بِـ " الْعَقَائِدِ " : مَا يُقْصَدُ بِهِ نَفسُ الِاعْتِقَادِ ، دُوَنَ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ ، **أَيْ** : بِخِلَافِ النِّيَّةِ ، فَإِنَّهَا يُقْصَدُ بِهَا الْعَمَلُ . وَبِـ " الدِّينِيَّةِ " : الْمَنْسُوبَةُ إِلَى دِينِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَإِنَّ الْخَصْمَ – وَإِنْ خَطَّأْنَاهُ – لَا نُخْرِجُهُ عَنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ : ((**مُسْتَدْنِي**)) بِضَمٍّ ، فَسُكُونٍ ، فَفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ ، فَكَسْرٍ . **أَيْ** : مُقَرِّبٌ ؛ بِضَمٍّ ، فَفَتْحٍ ، فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا . ((**الْأَمَلْ**)) **أَيْ** : الرَّجَاءَ ، بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنِ اشْتَغَلَ بِهِ .

((**وَكُلُّ عِلْمٍ لِلْمَزِيَّةِ**)) بِفَتْحٍ ، فَكَسْرٍ ، فَمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ مُثَقَّلَةٍ؛ **أَي** : الشَّرَفُ، صِلَةُ ((**اكْتَسَبْ**)) ، وَاللَّامُ مُقَوِّيَةٌ لِلْعَامِلِ الْمُؤَخَّرِ ؛ ((**فَالْفَضْلُ**)) **أَي** : الشَّرَفُ ((**مِنْ مَعْلُومِهِ**)) **أَي** : الْعِلْمُ ، صِلَةُ ((**انْتَسَبْ**)) ؛ ((**لَهُ**)) **أَي** : الْعِلْمُ ، صِلَةُ ((**انْتَسَبْ**)) الْفَضْلُ لِلْعِلْمِ مِنْ مَعْلُومِهِ ، فَشَرَفُ الْعِلْمِ مُكْتَسَبٌ مِنْ شَرَفِ مَعْلُومِهِ .

((**وَعِلْمُ أَصْلِ الدِّينِ مَشْهُورُ الشَّرَفْ**)) فَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ، ((**وَخَيْرُهُ**)) **أَيْ** : فَوَائِدُ وَثَمَرَاتُ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ ((**الْمَنْثُورُ**)) **أَي** : الْمُتَفَرِّقُ الْمُنْتَشِرُ ((**مَا**)) **أَيْ** : لَيْسَ ((**لَهُ**)) **أَيْ** : خَيْرُ أُصُولِ الدِّينِ ((**طَرَفْ**)) بِفَتْحِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالرَّاءِ فَفَاءٍ ، **أَيْ** : آخِرٌ؛ ((**وَكَيْفَ لَا**)) يَكُونُ خَيْرُهُ لَا طَرَفَ لَهُ ((**وَهْوَ**)) **أَيْ** : عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ ((**مُفِيدٌ لِلْوَرَى**)) **أَيِ** : الْمَخْلُوقِينَ ((**عِلْمًا**)) **أَيْ** : إِدْرَاكًا جَازِمًا مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ عَنْ بُرْهَانٍ ((**بِـ**)) صِفَاتِ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ، أَيِ: اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي ((**أَنْشَاهُمُ**)) **أَيْ** : خَلَقَ الْوَرَى ((**وَصَوَّرَا**)) بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَالْوَاوِ مُثَقَّلًا ، **أَي** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْوَرَى ؛ وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ . فَهُوَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ ، لِأَنَّ مَا سِوَاهُ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ

… …

– كَالتَّفْسِيرِ ، وَالْحَدِيثِ ، وَالْفِقْهِ وَأُصُولِهِ – مَبْنِيَّةٌ عَلَيْهِ ، فَهُوَ أَصْلُ الْجَمِيعِ ، وَشَمْسُ ضُحَاهَا ، وَمُصَحِّحُ الْجَمِيعِ ، وَقُطْبُ رَحَاهَا ، إِذْ بِهِ يُرْفَعُ الْمُكَلَّفُ مِنْ سَافِلِ حَضِيضِ التَّقْلِيدِ إِلَى عُلُوِّ ذُرْوَةِ الْيَقِينِ وَالتَّمْجِيدِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« وَمَا وَقَعَ فِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ مِنَ النَّهْيِ عَنْهُ فَذَاكَ الْمَخْلُوطُ بِالشُّبَهِ بِالنِّسْبَةِ لِلْقَاصِرِينَ » . اهـ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدُ فِي [شَرْحُ الْعَقَائِدِ] :

« وَبِالْجُمْلَةِ، هُوَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ ، لِكَوْنِهِ أَسَاسَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَرَئِيسَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ ، وَكَوْنِ مَعْلُومَاتِهِ الْعَقَائِدَ الْإِسْلَامِيَّةَ ... » **ثُمَّ قَالَ** : « وَمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ مِنَ الطَّعْنِ فِيهِ ، وَالْمَنْعِ مِنْهُ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُتَعَصِّبِ فِي الدِّينِ ، وَالْقَاصِرِ عَنْ تَحْصِيلِ الْيَقِينِ ، وَالْقَاصِدِ إِفْسَادَ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْخَائِضِ فِيمَا لَا يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ مِنْ غَوَامِضِ الْمُتَفَلْسِفِينَ ؛ وَإِلَّا فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ الْمَنْعُ مِمَّا هُوَ أَصْلُ الْوَاجِبَاتِ ، وَأَسَاسُ الْمَشْرُوعَاتِ ؟!» . اهـ .

قَالَ الْفَاضِلُ الْعِصَامُ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَيْهِ :

« قَوْلُهُ : (**وَمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ** ... **إِلَخ**) وَهَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِ أَبِي يُوسُفَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : " إِنَّهُ لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ خَلْفَ الْمُتَكَلِّمِ وَإِنْ تَكَلَّمَ بِحَقٍّ ، لِأَنَّهُ بِدْعَةٌ " . بِأَنَّهُ يَعْنِي : أَنَّ التَّكَلُّمَ عَلَى وَجْهِ التَّعَصُّبِ بِدْعَةٌ . وَقَوْلُهُمْ : " مَنْ طَلَبَ التَّوْحِيدَ بِالْكَلَامِ فَقَدْ تَزَنْدَقَ " . **مَعْنَاهُ** : طَلَبُ التَّوْحِيدِ بِمُجَرَّدِ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ فِطْنَةٍ ، وَسَلَامَةِ طَبْعٍ ، وَهِدَايَةٍ مِنَ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ . وَمَا رُوِيَ أَنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– قَالَ: " عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ " . فَقَدْ دَفَعَهُ صَاحِبُ [الْمَوَاقِفِ] » . اهـ .

قَوْلُهُ : " فَقَدْ دَفَعَهُ صَاحِبُ [الْمَوَاقِفِ] " . عِبَارَةُ [الْمَوَاقِفِ] وَشَرْحُهَا لِلسَّيِّدِ الْجُرْجَانِيِّ نَصُّهَا :

« **وَثَالِثُهَا** : – أَيْ: ثَالِثُ وُجُوهِ الْمُعَارَضَةِ – قَوْلُهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – " عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ " . وَلَا شَكَّ أَنَّ دِينَهُنَّ بِطَرِيقِ التَّقْلِيدِ وَمُجَرَّدِ الِاعْتِقَادِ ، إِذْ لَا قُدْرَةَ لَهُنَّ عَلَى النَّظَرِ ، فَيَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُ . **قُلْنَا** : إِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ، **أَيْ** : لَا نُسَلِّمُ صِحَّتَهُ ، إِذْ لَمْ يُوجَدْ فِي الْكُتُبِ الصِّحَاحِ ، بَلْ قِيلَ إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ – مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ – قَالَ : " إِنَّ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ مَنْزِلَةً بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ " فَقَالَتْ لَهُ عَجُوزٌ : " قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن : ٢] فَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ ، فَبَطَلَ قَوْلُكَ " فَسَمِعَ سُفْيَانُ كَلَامَهَا فَقَالَ : " عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ " .

.. ..

وَإِنْ سَلَّمْنَا صِحَّتَهُ (**فَالْمُرَادُ بِهِ التَّفْوِيضُ**) إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيمَا قَضَاهُ وَأَمْضَاهُ (**وَالِانْقِيَادُ لَهُ**) فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ ، لَا الْكَفُّ عَنِ النَّظَرِ وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مُجَرَّدِ التَّقْلِيدِ (**ثُمَّ إِنَّهُ خَبَرُ آحَادٍ لَا يُعَارِضُ الْقَوَاطِعَ**) وَمَا اسْتَدْلَلْنَا بِهِ عَلَى وُجُوبِ النَّظَرِ مِنْ قَبِيلِ الْقَوَاطِعِ » . اِنْتَهَتْ .

قَالَ الْمُحَقِّقُ عَبْدُ الْحَكِيمِ فِي حَاشِيَتِهِ :

« قَوْلُهُ : " عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ " .

تَقْرِيرُهُ :

أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَمَرَ بِالتَّمَسُّكِ بِدِينِ الْعَجَائِزِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُنَّ عَجَائِزُ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِلْإِضَافَةِ فَائِدَةٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ دِينَهُنَّ بِطَرِيقِ التَّقْلِيدِ ، لِعَجْزِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ وَإِنْ تَحَقَّقَ مِنْ بَعْضِهِنَّ – كَمَا فِي الْقَضِيَّةِ الْآتِيَةِ – فَهُوَ نَادِرٌ مُلْحَقٌ بِالْعَدَمِ .

فَانْدَفَعَ – بِمَا حَرَّرْنَاهُ – مَا قِيلَ : " إِنَّ الْمَأْمُورَ التَّمَسُّكُ بِدِينِهِنَّ ، لَا بِطَرِيقِ دِينِهِنَّ " فَالتَّقْرِيبُ غَيْرُ تَامٍّ .

قَوْلُهُ : " مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ " وَهُوَ الْفِسْقُ. قَوْلُهُ : " فَالْمُرَادُ بِهِ التَّفْوِيضُ ... إلَخ " فَإِنَّ الدِّينَ كَمَا يُقَالُ لِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ يُقَالُ لِلطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْعَادَةِ وَالْحَالِ كَمَا فِي [الْقَامُوسِ] .

قَوْلُهُ : " مِنْ قَبِيلِ الْقَوَاطِعِ " لَا يَخْفَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْخَصْمُ مُعْتَقِدًا بِوُجُودِ الْمُعَارِضِ لَهُ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ قَطْعِيًّا ، إِذِ الْقَطْعِيَّةُ تُنَافِي وُجُودَ الْمُعَارِضِ ، إِلَّا أَنْ يُبْنَى الْكَلَامُ عَلَى التَّحْقِيقِ دُونَ الْإِلْزَامِ » . اِهَـ .

وَقَوْلُهُ : " فَانْدَفَعَ – بِمَا حَرَّرْنَاهُ – مَا قِيلَ ... إلَخ " لَعَلَّ مُرَادَهُ – وَاللهُ أَعْلَمُ – الْعَلَّامَةُ حَسَنٌ حَلَبِيٌّ فِي حَاشِيَتِهِ ، وَنَصُّ هَذِهِ الْحَاشِيَةِ :

« **قَوْلُهُ** : (**وَلَا شَكَّ أَنَّ دِينَهُنَّ بِطَرِيقِ التَّقْلِيدِ**) مَمْنُوعٌ ، بَلْ لَهُنَّ الْأَدِلَّةُ ، لَا بُدَّ لِنَفْيِهِ مِنْ دَلِيلٍ ، وَلَوْ سُلِّمَ فَالْمُسْتَفَادُ مِنْهُ وُجُوبُ اتِّحَادِ الْمُعْتَقَدِ لَا طَرِيقِهِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الطَّرِيقُ الْمُوَصِّلُ لِلْمُجْتَهِدِ هُوَ النَّظَرُ ، وَالطَّرِيقُ الْمُوَصِّلُ لِلْعَجَائِزِ هُوَ التَّقْلِيدُ ، فَلَا اسْتِدْلَالَ فِيهِ .

قَوْلُهُ : (**ثُمَّ إِنَّهُ خَبَرُ آحَادٍ لَا يُعَارِضُ الْقَوَاطِعَ**) وَلِلْمُعْتَزِلَةِ أَنْ يَدْفَعُوا ذَلِكَ ، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّهُ مُتَوَاتِرٌ فَهُوَ دَلِيلٌ نَقْلِيٌّ قَابِلٌ لِلتَّأْوِيلِ ، فَلَا يُعَارِضُ الْقَوَاطِعَ الْعَقْلِيَّةَ » . اِهَـ .

١٦ – وَحُكْمُهُ عَلَى الْبَرَايَا انْحَتَمَا   وَبِالنَّجَاةِ فَازَ مَنْ لَهُ انْتَمَى
١٧ – لِأَنَّهُ بِنُورِهِ يُنْقَذُ مِنْ   ظُلْمَةِ تَقْلِيدٍ فَنَفْعُهُ ضُمِنْ

((**وَحُكْمُهُ**)) **أَيْ** : أُصُولُ الدِّينِ ((**عَلَى الْبَرَايَا**)) جَمْعُ بَرِيَّةٍ ، **أَيِ** : الْمَخْلُوقِينَ، صِلَةُ ((**انْحَتَمَا**))

أَيْ : تَحَتَّمَ وَوَجَبَ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ وُجُوبًا عَيْنِيًّا ، فَهُوَ فَرْضٌ عَيْنِيٌّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ [محمد : ١٩] ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ عَقِيدَةٍ بِدَلِيلٍ وَلَوْ إِجْمَالِيًّا ، وَهُوَ الْمَعْجُوزُ عَنْ تَقْرِيرِهِ ، **أَيْ** : تَرْتِيبِهِ وَإِجْرَائِهِ عَلَى قَوَانِينِ الْمَنَاطِقَةِ ، مِنْ تَكْرِيرِ الْحَدِّ الْوَسَطِ ، وَتَقْدِيمِ الصُّغْرَى عَلَى الْكُبْرَى ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَحَلِّ شُبْهَةٍ ، **أَيْ** : رَدُّهَا وَإِبْطَالُهَا ، كَأَنْ تَقُولَ لِشَخْصٍ : مَا دَلِيلُكَ عَلَى وُجُودِ اللهِ تَعَالَى ؟ .

فَيَقُولُ لَكَ : هَذَا الْعَالَمُ . وَيَعْجَزُ عَنْ كَيْفِيَّةِ دَلَالَتِهِ ، هَلْ مِنْ جِهَةِ حُدُوثِهِ ، **أَيْ** : وُجُودِهِ بَعْدَ الْعَدَمِ ؟ أَوْ إِمْكَانِهِ ، **أَيْ** : اسْتِوَاءُ طَرَفَيِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ فِي حَقِّهِ ؟ أَوْ حُدُوثُهُ بِشَرْطِ الْإِمْكَانِ ، أَوْ إِمْكَانُهُ بِشَرْطِ الْحُدُوثِ ؟ **فَعَلَى الْأَوَّلِ** : لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ : الْعَالَمُ حَادِثٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ .

وَعَلَى الثَّانِي : لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ : الْعَالَمُ مُمْكِنٌ ، وَكُلُّ مُمْكِنٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَانِعٍ .

وَعَلَى الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ : لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ : الْعَالَمُ حَادِثٌ مُمْكِنٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ مُمْكِنٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ .

أَوْ يَعْرِفُ جِهَةَ الدَّلَالَةِ وَيَقْدِرُ عَلَى تَقْرِيرِ الدَّلِيلِ ، وَلَكِنْ يَعْجَزُ عَنْ حَلِّ الشُّبَهِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ كَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالْعَالَمِ مِنْ حَيْثُ حُدُوثُهُ ، مَعَ مَعْرِفَةِ تَقْرِيرِ الدَّلِيلِ بِأَنَّهُ : الْعَالَمُ حَادِثٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ . وَلَكِنْ إِنْ قِيلَ لَهُ : " الصُّغْرَى أَوِ الْكُبْرَى مَمْنُوعَةٌ " يَعْجَزْ عَنِ الْجَوَابِ عَنْهُ .

وَأَمَّا مَعْرِفَتُهَا بِالدَّلِيلِ التَّفْصِيلِيِّ ، وَهُوَ الْمَقْدُورُ عَلَى تَقْرِيرِهِ ، وَحَلِّ شُبَهِهِ، كَأَنْ تَقُولَ لِشَخْصٍ : مَا دَلِيلُكَ عَلَى وُجُودِ اللهِ؟ فَيَقُولُ : هَذَا الْعَالَمُ . وَيَعْرِفُ أَنَّ جِهَةَ الدَّلَالَةِ هُوَ الْحُدُوثُ ، أَوِ الْإِمْكَانُ ، أَوْ هُمَا مَعًا ، وَالثَّانِي شَرْطٌ أَوْ شَطْرٌ، وَيَقْدِرُ عَلَى تَقْرِيرِ الدَّلِيلِ ،

فَيَقُولُ فِي تَقْرِيرِهِ عَلَى الْأَوَّلِ :

الْعَالَمُ حَادِثٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ ، فَالْعَالَمُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ .

وَعَلَى الثَّانِي : الْعَالَمُ مُمْكِنٌ ، وَكُلُّ مُمْكِنٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَانِعٍ ، فَالْعَالَمُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَانِعٍ .

وَعَلَى الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ : الْعَالَمُ حَادِثٌ مُمْكِنٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ مُمْكِنٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ ، فَالْعَالَمُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ .

وَيَقْدِرُ أَيْضًا عَلَى رَدِّ الشُّبَهِ الَّتِي يُورِدُهَا الْخَصْمُ عَلَى الدَّلِيلِ الْمَذْكُورِ ، كَأَنْ يَقُولَ الْخَصْمُ : لَا نُسَلِّمُ الْكُبْرَى الْقَائِلَةَ : " وَكُلُّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ " . مَا الْمَانِعُ أَنْ يَكُونَ حَدَثَ بِنَفْسِهِ، **أَيْ** : خَلَقَ نَفْسَهُ ؟ .

فَيَرُدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ : لَوْ خَلَقَ نَفْسَهُ لَلَزِمَ عَلَيْهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ ، بِأَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا مَعْدُومًا ، لِأَنَّ خَلْقَهُ لِنَفْسِهِ يَقْتَضِي وُجُودَهُ أَوَّلًا ، وَنَفْسُ الْخَلْقِ يَقْتَضِي عَدَمَهُ كَذَلِكَ ، إِذْ لَوْ كَانَ مَوْجُودًا مَا تَعَلَّقَ بِهِ خَلْقٌ ، لِأَنَّهُ تَحْصِيلُ حَاصِلٍ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَوَاجِبَةٌ وُجُوبًا كِفَائِيًّا ، فَيَجِبُ عَلَى أَهْلِ كُلِّ قُطْرٍ يَشُقُّ الْوُصُولُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ يَعْرِفُهَا بِالدَّلِيلِ التَّفْصِيلِيِّ ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا حَدَثَتْ شُبْهَةٌ فَيَرُدُّهَا . هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ .

وَأَمَّا مَنْ قَالَ : " إِنَّ مَعْرِفَتَهَا بِالدَّلِيلِ التَّفْصِيلِيِّ وَاجِبَةٌ عَيْنًا " فَقَدْ ضَيَّقَ رَحْمَةَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْوَاسِعَةَ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُخْتَصَّةً بِجَمَاعَةٍ يَسِيرَةٍ .

.. ..

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ الْوَاجِبَ عَيْنًا هُوَ الدَّلِيلُ الْإِجْمَالِيُّ، وَالتَّفْصِيلِيُّ وَاجِبٌ كِفَائِيٌّ : هُوَ الْمَشْهُورُ ، بَلْ حَكَى الْفِهْرِيُّ عَلَيْهِ الِاتِّفَاقَ .

.. **ابْنُ عَرَفَةَ** : « وَفِي وُجُوبِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى الْأَعْيَانِ بِالدَّلِيلِ الْإِجْمَالِيِّ ، وَعَلَى الْكِفَايَةِ بِالتَّفْصِيلِيِّ نَقَلَ الْآمِدِيُّ عَنِ الْإِمَامِ وَغَيْرِهِ قَائِلًا : مَنْ كَانَ اعْتِقَادُهُ دُونَ دَلِيلٍ وَلَا شُبْهَةٍ فَهُوَ مُؤْمِنٌ عَاصٍ بِتَرْكِ النَّظَرِ » .

.. **الْفِهْرِيُّ** : « لَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي عَدَمِ وُجُوبِ الْمَعْرِفَةِ بِالدَّلِيلِ التَّفْصِيلِيِّ عَلَى الْأَعْيَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ كِفَايَةٌ » .

وَظَاهِرُ قَوْلِ ابْنِ رُشْدٍ فِي [نَوَازِلِ] هِ : إِنَّ الدَّلِيلَ التَّفْصِيلِيَّ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ ، لَا فَرْضُ كِفَايَةٍ . أَفَادَهُ الرَّمَاصِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [أُمِّ الْبَرَاهِينِ] .

(**الثَّانِي**) :

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْيُوسِيُّ :

« **فِي الدَّلِيلِ التَّفْصِيلِيِّ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ** :

(**أَحَدُهَا**) : وُجُوبُهُ عَلَى الْأَعْيَانِ. (**ثَانِيهَا**) : عَلَى الْكِفَايَةِ . (**ثَالِثُهَا**) : نَدْبُهُ .

وَلَا قَائِلَ بِتَوَقُّفِ الْإِيمَانِ عَلَيْهِ، غَيْرَ مَا حَكَاهُ الْعَلَائِيُّ عَنِ الْإِسْفِرَائِينِيِّ ، وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى قَالَ الْغَزَّالِيُّ : " سَفِهَتْ طَائِفَةٌ ، فَكَفَّرَتْ عَوَامَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْعَقَائِدَ الشَّرْعِيَّةَ بِالْأَدِلَّةِ الَّتِي حَرَّرُوهَا فَهُوَ كَافِرٌ ! ، فَضَيَّقُوا رَحْمَةَ اللهِ الْوَاسِعَةَ، وَجَعَلُوا الْجَنَّةَ مُخْتَصَّةً بِطَائِفَةٍ يَسِيرَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ " » . اهـ .

(**الثَّالِثُ**) :

قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ : لَا بُدَّ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ مِنَ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالِاقْتِدَارِ عَلَى تَقْرِيرِ الْحُجَجِ وَدَفْعِ الشُّبَهِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدُ : « بُطْلَانُهُ يَكَادُ يَلْحَقُ بِالضَّرُورِيَّاتِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ : أَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ وَإِنْ صَحَّ الْإِيمَانُ بِدُونِهِ ؛ فَإِنْ أَرَادُوا : الْوَاجِبَ عَلَى الْكِفَايَةِ: فَوِفَاقٌ ، إِذْ لَا بُدَّ فِي كُلِّ صَقْعٍ مِمَّنْ يَقُومُ بِإِقَامَةِ الْحُجَجِ ، وَإِزَالَةِ الشُّبَهِ ، وَمُجَادَلَةِ الْخُصُومِ ؛ وَإِنْ أَرَادُوا: الْوَاجِبَ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ بِحَيْثُ لَا يَسْقُطُ بِفِعْلِ الْبَعْضِ: فَفِيهِ الْخِلَافُ » . اهـ .

وَمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْوِفَاقِ مُوَافِقٌ لِمَا تَقَدَّمَ عَنِ الْفِهْرِيِّ . أَفَادَهُ الرَّمَاصِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [أُمِّ الْبَرَاهِينِ] .

... ...

((**وَبِالنَّجَاةِ**)) **أَيِ** : السَّلَامَةُ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ ، صِلَةُ ((**فَازَ**)) **أَيْ** : ظَفَرَ وَأَفْلَحَ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، **أَيِ** : الْمُكَلَّفُ الَّذِي ((**لَهُ**)) **أَيْ** : عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ ، صِلَةُ ((**انْتَمَى**)) **أَيِ** : انْتَسَبَ ((**لِأَنَّهُ**)) **أَيْ** : مَنِ انْتَمَى لَهُ ((**بِنُورِهِ**)) **أَيْ** : عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ ، صِلَةُ ((**يُنْقَذُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحِ الْقَافِ وَإِعْجَامِ الذَّالِ ، **أَيْ** : يُخَلَّصُ ((**مِنْ ظُلْمَةِ تَقْلِيدِ**)) **أَيِ** : اعْتِقَادٌ جَازِمٌ لِمَا يُسْمَعُ مِنَ الْغَيْرِ بِلَا مَعْرِفَةِ دَلِيلِهِ . وَالْإِضَافَةُ مِنْ إِضَافَةِ الْمُشَبَّهِ بِهِ لِلْمُشَبَّهِ .

((**فَنَفْعُهُ**)) **أَيْ** : أُصُولُ الدِّينِ . **وَالنَّفْعُ** : وُصُولُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ . ضِدُّ الضُّرِّ .

((**ضُمِنْ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ، **أَيْ** : مُحَقَّقٌ ، لَا شَكَّ فِيهِ .

[تَنْبِيهَانِ]

(**الْأَوَّلُ**) :

قَالَ فِي [الْقَامُوسِ] : « " النُّورُ " بِالضَّمِّ: الضَّوْءُ – أَيًّا مَا كَانَ – أَوْ شُعَاعُهُ؛ جَمْعُهُ : " أَنْوَارٌ " وَ" نِيرَانٌ " ؛ وَقَدْ نَارَ نُورًا ، وَأَنَارَ ، وَاسْتَنَارَ ، وَنَوَّرَ ، وَتَنَوَّرَ ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالَّذِي يُبَيِّنُ الْأَشْيَاءَ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ : " أَيًّا مَا كَانَ " . **أَيْ** : لِشَمْسٍ ، أَوْ قَمَرٍ ، أَوْ مِصْبَاحٍ .

(**الثَّانِي**) :

النُّورُ أَعَمُّ مِنَ الضِّيَاءِ ، لِأَنَّهُ مَا قَوِيَ مِنَ النُّورِ ، وَالنُّورُ شَامِلٌ لِلْقَوِيِّ وَلِلضَّعِيفِ ، **وَقِيلَ** : مَا بِالذَّاتِ ضَوْءٌ ، كَنُورِ الشَّمْسِ ؛ وَمَا بِالْعَرَضِ نُورٌ، كَنُورِ الْقَمَرِ ، فَإِنَّ الشَّمْسَ نَيِّرَةٌ فِي ذَاتِهَا، وَالْقَمَرُ نَيِّرٌ بِعَرَضِ مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ وَالِاكْتِسَابِ مِنْهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ [يونس: ٥] **أَيْ** : ضِيَاءٍ ، أَوْ مُضِيئَةً ؛ ﴿ وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥] **أَيْ** : ذَا نُورٍ، أَوْ مُنِيرًا .

(**وَالْحَاصِلُ**) : أَنَّ أَهْلَ الْهَيْئَةِ قَالُوا :

الضِّيَاءُ : مَا كَانَ مِنَ الذَّاتِ . **وَالنُّورُ** : مَا كَانَ مُكْتَسَبًا . وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، فَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الشَّمْسَ مُضِيئَةٌ بِذَاتِهَا ، وَأَنَّ جِسْمَهَا نُورَانِيٌّ ، وَأَنَّ جِسْمَ الْقَمَرِ ظَلْمَانِيٌّ ، وَإِنَّمَا اسْتَنَارَ لِصَقَالَتِهِ وَمُقَابَلَتِهِ الشَّمْسَ ، فَانْطَبَعَ نُورُهَا فِيهِ كَمَا يَنْطَبِعُ نُورُ الشَّمْعَةِ أَوِ الشَّمْسِ فِي الْمِرْآةِ الْمُقَابِلَةِ لَهَا .

١٨ – وَكَمْ بِهِ لِعُلَمَاءِ الْمِلَّهْ ... مِنْ كُتُبٍ بِالْقَصْدِ مُسْتَقِلَّهْ
١٩ – مَا بَيْنَ مَنْثُورٍ وَنَظْمٍ يُهْتَصَرْ ... جَنَاهُ مِنْ مُطَوَّلٍ وَمُخْتَصَرْ
٢٠ – وَإِنَّنِي مِلْتُ إِلَى اتِّبَاعِ ... لَهُمْ وَإِنْ كُنْتُ قَصِيرَ الْبَاعِ
٢١ – فَجِئْتُ فِي ذَا الْمَطْلَبِ الْوَحِيدِ ... بِنُبْذَةٍ تَنْفَعُ فِي التَّوْحِيدِ
٢٢ – سَمَّيْتُهَا : (إِضَاءَةَ الدُّجُنَّهْ) ... لِكَوْنِهَا (اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّهْ)

((**وَكَمْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ . **أَيْ** : كَثِيرٌ أُلِّفَ . بِضَمٍّ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا .
((**بِهِ**)) **أَيْ** : فِي بَيَانِ وَتَحْقِيقِ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ ((**لِعُلَمَاءِ**)) جَمْعُ عَالِمٍ أَوْ عَلِيمٍ ((**الْمِلَّهْ**)) بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ مُثَقَّلًا ، **أَيِ** : الْإِسْلَامُ . حَالٌ مِنْ ((**كُتُبٍ**)) الْآتِي بَعْدَهُ .

[تَنْبِيهٌ]

الْمِلَّةُ يُسَاوِيهَا الدِّينُ وَالشَّرِيعَةُ ، لِأَنَّ الْأَحْكَامَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُدَانُ – أَيْ: يُخْضَعُ لَهَا – تُسَمَّى دِينًا ؛ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا يُجْتَمَعُ عَلَيْهَا وَتُمْلَى تُسَمَّى مِلَّةً ؛ وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُقْصَدُ لِإِنْقَاذِ النُّفُوسِ مِنْ مُهْلِكَاتِهَا تُسَمَّى شَرِيعَةً .

وَقَوْلُهُ : ((**مِنْ كُتُبٍ**)) بِضَمَّتَيْنِ ، جَمْعُ كِتَابٍ ، بَيَانُ ((**كَمْ**)) .
((**بِالْقَصْدِ**)) صِلَةُ ((**مُسْتَقِلَّهْ**)) بِكَسْرِ الْقَافِ وَشَدِّ اللَّامِ ؛ نَعْتُ ((**كُتُبٍ**)) .
((**مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي انْقَسَمَ ((**بَيْنَ**)) كِتَابٍ ((**مَنْثُورٍ وَ**)) كِتَابٍ ((**نَظْمٍ**)) **أَيْ** : مَنْظُومٍ ((**يُهْتَصَرْ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ وَسُكُونِ الْهَاءِ وَفَتْحِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ وَالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : يُدْلَى وَيُسَوَّى ((**جَنَاهُ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ مُخَفَّفًا ؛ **أَيْ** : ثَمَرُهُ وَفَوَائِدُهُ .
فِي [الْقَامُوسِ] : « اِهْتَصَرَ النَّخْلَةَ : ذَلَّلَ عُذُوقَهَا وَسَوَّاهَا » .

وَبَيَّنَ " الْمَنْثُورَ " وَ" الْمَنْظُومَ " بِقَوْلِهِ: ((**مِنْ**)) كِتَابٍ ((**مُطَوَّلٍ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الطَّاءِ وَالْوَاوِ مُثَقَّلًا ، اِسْمُ مَفْعُولِ " طَوَّلَ " الْمُثَقَّلِ ((**وَ**)) كِتَابٍ ((**مُخْتَصَرْ**)) بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، اِسْمُ مَفْعُولِ " اخْتَصَرَ " ، مِنَ الِاخْتِصَارِ ، وَهُوَ : إِيرَادُ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ بِأَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ .
يَعْنِي : أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – أَكْثَرُوا الْمُصَنَّفَاتِ فِي عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ ، فَبَعْضُهُمْ مَالَ إِلَى التَّطْوِيلِ بِذِكْرِ التَّفَارِيعِ ، وَتَبْيِينِ مَاخَفِيَ ، وَتَقْيِيدِ مَا أُطْلِقَ ، وَشَرْحِ مَا انْبَهَمَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِهِمْ .
وَبَعْضُهُمْ مَالَ إِلَى الِاخْتِصَارِ، بِأَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى الْمَقْصُودِ، وَيَتْرُكَ التَّفَارِيعَ، إِذْ هِيَ دَاخِلَةٌ فِي ضِمْنِ الْمَقْصُودِ.

[تَنْبِيهَانِ]

(**الْأَوَّلُ**) :
قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ :
« اِخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ فِي مَعْنَى الْمُخْتَصَرِ، فَقِيلَ : الِاخْتِصَارُ : ضَمُّ بَعْضِ الشَّيْءِ إِلَى بَعْضٍ .
وَقِيلَ : رَدُّ الْكَثِيرِ إِلَى الْقَلِيلِ مَعَ بَقَاءِ الْمَعْنَى بِحَالِهِ .

... ...

وَأَهْلُ الْمَعَانِي يُعَبِّرُونَ بِـ " الْإِيجَازِ " ، وَيُعَرِّفُونَهُ بِـ : أَدَاءُ الْمَقْصُودِ بِأَقَلَّ مِنَ الْعِبَارَةِ الْمُتَعَارَفَةِ . ثُمَّ إِنْ وَفَى بِالْمُرَادِ فَهُوَ غَيْرُ مُخِلٍّ ، وَإِلَّا فَهُوَ مُخِلٌّ. وَيُقَابِلُونَهُ بِـ " الْمُسَاوَاةِ " ، وَهُوَ أَدَاءُ الْمَقْصُودِ بِالْعِبَارَةِ الْمُتَعَارَفَةِ ؛ وَبِـ " الْإِطْنَابِ " ، وَهُوَ : أَدَاؤُهُ بِأَزْيَدَ مِنَ الْعِبَارَةِ الْمُتَعَارَفَةِ لِفَائِدَةٍ ؛ وَبِـ " التَّطْوِيلِ " ، وَهُوَ : أَدَاؤُهُ بِأَزْيَدَ مِنهَا لِغَيْرِ فَائِدَةٍ ، وَلَا يَكُونُ الزَّائِدُ مُتَعَيِّنًا ؛ وَبِـ " الْحَشْوِ " ، وَهُوَ : مَا فِيهِ زِيَادَةٌ مُتَعَيِّنَةٌ، ثُمَّ إِنَّهُ : **١ –** يَكُونُ مُفْسِدًا ، كَالنِّدَاءِ فِي قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلسَّمَاحَةِ وَالنَّدَى   وَصَبْرُ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شَعُوبُ

بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ : الْمَوْتُ .
لِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّ النَّدَى – وَهُوَ الْكَرَمُ – لَا خَيْرَ فِيهِ إِذَا كَانَ فِي الْحَيَاةِ طُولٌ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ خَيْرًا لِمَنْ كَانَ الْمَوْتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ؛ وَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ .
٢ – وَغَيْرَ مُفْسِدٍ ، كَقَوْلِ زُهَيْرٍ :

* وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا *

فَإِنَّ الْكَذِبَ وَالْمَيْنَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ » . اهـ مُلَخَّصًا .

(الثَّانِي) :

إِنْ قُلْتَ : هَلْ لِلِاخْتِصَارِ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ ؟ .
قُلْتُ : نَعَمْ ، وَرَدَ فِي خَبَرِ الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ :
« بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ » . وَفِي حَدِيثَ أَحْمَدَ : « أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ » .
وَفِي رِوَايَةٍ : « أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَاخْتُصِرَ لِيَ الْكَلَامُ اخْتِصَارًا » .

((وَإِنَّنِي)) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ **((مِلْتُ))** بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ **((إِلَى اتِّبَاعِ لَهُمْ))** **أَيْ** : عُلَمَاءِ الْمِلَّةِ فِي تَأْلِيفِ كِتَابٍ فِي عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ ، لِأَنَّ تَأْلِيفَ الْكُتُبِ مِنَ الْعَمَلِ الْبَاقِي بَعْدَ الْمَوْتِ ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » .
.. **عِيَاضٌ** : « الِانْتِفَاعُ يُعْلَمُ بَعْدَهُ ، يَكُونُ بِبَثِّهِ لِمَنْ يَحْمِلُهُ عَنْهُ، أَوْ بِإِيدَاعِهِ التَّأْلِيفَ » . اهـ .
.. **الْمُنَاوِيُّ** : « بِالتَّدْرِيسِ وَالتَّصْنِيفِ » .
.. **السُّبْكِيُّ** : « وَالثَّانِي أَبْقَى، لِطُولِ بَقَائِهِ عَلَى مَمَرِّ الْأَزْمَانِ » .

((وَإِنْ كُنْتُ)) بِضَمِّ التَّاءِ **((قَصِيرَ الْبَاعِ))** الْجُمْلَةُ حَالٌ ، **أَيْ** : قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِعِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ وَسَائِرِ الْعُلُومِ . قَالَهُ تَوَاضُعًا ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ وَقْتِهِ عِلْمًا وَدِينًا .
((فَجِئْتُ)) بِضَمِّ التَّاءِ، **أَيْ** : أَلَّفْتُ **((فِي))** هَـ **((ذَا الْمَطْلَبِ))** بِفَتْحِ الْمِيمِ وَاللَّامِ وَسُكُونِ الطَّاءِ ،

... ...

أَيِ : الْمَطْلُوبِ ، وَهُوَ عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ ((**الْوَحِيدِ**)) **أَيِ** : الْمُنْفَرِدُ فِي الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ .
وَصِلَةُ " **جِئْتُ** " : ((**بِنُبْذَةٍ**)) بِضَمِّ النُّونِ وَقَدْ تُفْتَحُ ، وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ .
يُقَالُ : ذَهَبَ مَالُهُ وَبَقِيَ مِنْهُ نُبْذَةٌ . **أَيْ** : قَلِيلٌ ، لِأَنَّ الْقَلِيلَ يُنْبَذُ ، **أَيْ** : يُطْرَحُ وَلَا يُبَالَى بِهِ لِقِلَّتِهِ .
أَيْ : جُمْلَةٌ قَلِيلَةٌ ((**تَنْفَعُ**)) كُلَّ أَحَدٍ ؛ وَقَدْ أَتَى – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ فِي هَذَا الْفَنِّ ، فَشَفَى وَكَفَى – جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا ((**فِي**)) مَعْرِفَةِ عِلْمِ ((**التَّوْحِيدِ**)) **هُوَ لُغَةً** : مَصْدَرُ وَحَّدتُّ الشَّيْءَ : إِذَا وَجَدتَّهُ أَوْ جَعَلْتَهُ فِي مَكَانٍ وَحْدَهُ . كَمَا فِي [الْقَامُوسِ] .
وَاصْطِلَاحًا – لَا بِمَعْنَى الْفَنِّ الْمُدَوَّنِ – : إِفْرَادُ الْعَابِدِ الْمَعْبُودَ بِالْعِبَادَةِ . **أَيْ** : تَخْصِيصُهُ بِهَا ، وَقَصْرُ اسْتِحْقَاقِهَا عَلَيْهِ ، فَلَا يُشْرِكُ غَيْرَهُ فِيهَا عَبْدُهُ بِالْفِعْلِ أَمْ لَا ، إِذْ فِعْلُهَا لَيْسَ شَرْطًا فِيهِ مَعَ اعْتِقَادِ وَحْدَتِهِ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَأَفْعالًا ، فَلَيْسَ هُنَاكَ ذَاتٌ تُشْبِهُ ذَاتَهُ تَعَالَى ، وَلَا تَقْبَلُ ذَاتُهُ تَعَالَى الِانْقِسَامَ بِوَجْهٍ مَا ، لَا فِعْلًا ، وَلَا وَهْمًا، وَلَا فَرْضًا مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ ؛ وَلَا تُشْبِهُ صِفَاتُهُ الصِّفَاتِ ، وَلَا تَعَدُّدَ فِيهَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، بِأَنْ يَكُونَ لَهُ – تَعَالَى – قُدْرَتَانِ مَثَلًا ؛ وَلَا يَدْخُلُ أَفْعَالَهُ الِاشْتِرَاكُ ، **أَيْ** : لَيْسَ لِأَحَدٍ تَأْثِيرٌ فِي فِعْلٍ مَا ، لَا بِالِاسْتِقْلَالِ وَلَا بِغَيْرِهِ ، إِذِ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا – خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا – مَنْسُوبَةٌ لَهُ تَعَالَى خَلْقًا وَإِيجَادًا ، وَلِغَيْرِهِ كَسْبًا .
قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الشِّحنَّةِ فِي مَنْظُومَتِهِ :

« فَأَفْعَالُ الْوَرَى خَيْرًا وَشَرًّا ... بِخَلْقِ اللهِ ثُمَّ بِالِاكْتِسَابِ
فَنَعْزُوهَا لَهُ عَزْوَ اخْتِرَاعٍ ... وَنَعْزُوهَا لَهُمْ عَزْوَ اكْتِسَابِ » . اهـ .

وَقِيلَ : هُوَ إِثْبَاتُ ذَاتٍ غَيْرِ مُشْبِهَةٍ لِلذَّوَاتِ ، فَهِيَ غَيْرُ حَادِثَةٍ ، وَلَيْسَتْ فِي زَمَانٍ ، وَلَا فِي مَكَانٍ – فَهَذَا مُسْتَلْزِمٌ لِصِفَاتِ السُّلُوبِ – ، وَلَا مُعَطَّلَةٍ – **أَيْ** : خَالِيَةٍ عَنِ الصِّفَاتِ – خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ الْمُعَطِّلِينَ لِلذَّاتِ عَنِ الصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ ، حَيْثُ قَالُوا : إِنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِلَا عِلْمٍ ... وَهَكَذَا ، زَاعِمِينَ أَنَّ وُجُودَهَا يُنَافِي التَّوْحِيدَ .
قُلْنَا : الْمُنَافِي لَهُ تَعَدُّدُ ذَوَاتٍ ، لَا وُجُودُ ذَاتٍ مَعَ صِفَاتٍ ثَابِتَةٍ لَهَا ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْكَمَالِ .

وَحُكِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ الْمُعْتَزِلِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :
« إِنَّ اللهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِذَاتِهِ ، لَا لِعِلْمٍ قَامَ بِهِ ... وَهَكَذَا .

فَوَقَفَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَاكَ سَقِيمَ الْفَهْمِ – يَا عَمْرُو – جَاهِلًا ... عَدِيمَ الْحِجَا وَالْعِلْمِ مُسْتَرْذَلَ النَّظَرِ
أَتَرْضَى إِذَا مَا قَالَ – يَا عَمْرُو – قَائِلٌ ... أَبُوكَ عَلِيمٌ دُونَ عِلْمٍ وَلَا نَظَرِ
حَلِيمٌ بِلَا حِلْمٍ تَقِيٌّ بِلَا تُقًى ... سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ بَصِيرٌ بِلَا بَصَرِ

... ...

جَـوَادٌ بِـلَا جُـــودٍ وَفِيٌّ بِـــلَا وَفَــا ... جَمِـيلٌ بِـلَا حُسْنٍ حَمِيٌّ بِلَا خَفَرِ
شُجَـاعٌ بِـلَا بَـطَلٍ رَضِيٌّ بِـلَا رِضًـا ... أَمِـينٌ بِـلَا أَمْـنٍ خَطِـيرٌ بِلَا خَطَرِ
مَـدِيحًـا تَـرَاهُ أَمْ هِـجَـاءً وَسُبَّـةً ؟! ... فَلَا أَنْتَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ عَلَى خَطَرِ »

اِهَـ .

وَأَمَّا بِمَعْنَى الْفَنِّ الْمُدَوَّنِ فَسَأُبَيِّنُهُ – إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى – عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمَبَادِئِ الْعَشَرَةِ .

((**سَمَّيْتُهَا**)) **أَيِ** : النُّبْذَةُ . **قَالَ الْمُحَقِّقُ الْأَمِيرُ فِي [حَوَاشِي عَبْدِ السَّلَامِ]** :
« قِيلَ : أَسْمَاءُ الْكُتُبِ أَعْلَامُ أَجْنَاسٍ ، وَأَسْمَاءُ الْعُلُومِ أَعْلَامُ أَشْخَاصٍ . وَرُدَّ بِأَنَّهُ : إِنْ تَعَدَّدَ الشَّيْءُ بِتَعَدُّدِ مَحَلِّهِ فَكِلَاهُمَا أَجْنَاسٌ ، وَإِلَّا فَأَشْخَاصٌ ، وَالْفَرْقُ تَحَكُّمٌ » . اِهَـ .
وَ" **سَمَّى** " يَتَعَدَّى لِلْمَفْعُولِ الثَّانِي بِحَرْفِ الْجَرِّ تَارَةً، كَـ " سَمَّيْتُ ابْنِي بِمُحَمَّدٍ " ؛ وَبِنَفْسِهِ تَارَةً أُخْرَى ، كَـ " سَمَّيْتُهَا " ((**إِضَاءَةَ**)) **قَالَ الْعَلَّامَةُ أَبُو الْبَقَاءِ فِي [كُلِّيَّاتِهِ]** :
« **الْإِضَاءَةُ** : فَرْطُ الْإِنَارَةِ ؛ وَأَضَاءَ يَرِدُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا ، تَقُولُ: أَضَاءَ الْقَمَرُ الظُّلْمَةَ ، وَأَضَاءَ الْقَمَرُ ؛ وَاللُّزُومُ هُوَ الْمُخْتَارُ » . اِهَـ .
وَإِضَافَةُ إِضَاءَةَ ((**الدُّجُنَّهْ**)) بِضَمِّ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَالْجِيمِ وَشَدِّ النُّونِ ؛ **أَيِ** : الظُّلْمَةِ ، عَلَى مَعْنَى اللَّامِ .
((**لِكَوْنِهَا**)) **أَيِ** : النُّبْذَةُ ، مُبَيِّنَةً ((**اعْتِقَادَ**)) **أَيْ** : مُعْتَقَدَاتِ ((**أَهْلِ السُّنَّهْ**)) **أَيْ** : طَرِيقَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَكَانَ – كَمَا فِي الْحَدِيثِ – خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ؛ وَهِيَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ ، اسْتَنَدَتْ لِكِتَابٍ أَوْ حَدِيثٍ ؛ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا مَا قَابَلَ الْكِتَابَ حَتَّى يُحْتَاجَ لِمَا نَقَلَهُ شَيْخُنَا الْعَدَوِيُّ عَنِ الْمُؤَلِّفِ فِي حَاشِيَتِهِ مِنْ أَنَّهُمْ سُمُّوا : أَهْلَ السُّنَّةِ ، وَلَمْ يُسَمَّوْا : أَهْلَ كِتَابٍ ، مَعَ اسْتِنَادِهِمْ لِكُلٍّ ؛ لِإِيهَامِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّهُمُ اشْتَهَرُوا بِـ : أَهْلِ الْكِتَابِ . اِهَـ . أَمِيرٌ .

٢٣ - وَذَاكَ لَمَّـــا أَنْ حَلَلْـــتُ الْقَـــاهِرَهْ بَعْــــدَ الْوُصُـــــولِ لِلْبِقَـــاعِ الطَّـــــاهِرَهْ

٢٤ - مُنْتَبِــــذًا عَـــنْ مَظْهَـــرِي الْمَغْمُـــورِ مُسْتَرْشِـــــــدًا بِـــــــالْأَزْهَرِ الْمَعْمُـــــــورِ

٢٥ - وَكَـــانَ مِـــنْ مَـــنِّ مُزَكِّـــي النِّيَّـــهْ دَرْسِـــــي بِـــــهِ الْعَقَائِـــــدَ السُّـــــنِّيَّهْ

((وَ)) بَيانُ سَبَبِ ((ذَاكَ)) التَّأْلِيفِ أَيِّ ((لَمَّا)) بِفَتْحِ اللَّامِ وَشَدِّ الْمِيمِ ((أَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ، صِلَتُهُ ((حَلَلْتُ)) فِي [الْمِصْبَاحِ] : « وَحَلَلْتُ بِالْبَلَدِ حُلُولًا - مِنْ بَابِ قَعَدَ - إِذَا نَزَلْتَ بِهِ » . اِهَـ.

أَيْ : نَزَلْتُ مِصْرَ ((**الْقَاهِرَهْ**)) لِأَنَّ الْفَوَاطِمَ أَرَادُوا حِينَ اخْتَطُّوهَا وَضْعَ أَسَاسِ سُورِهَا فِي طَالِعٍ سَعِيدٍ لِتَدُومَ لَهُمْ ، فَحَفَرُوا حَوْلَهَا خَنْدَقًا مُحِيطًا بِهَا ، وَعَلَّقُوا أَجْرَاسًا ، وَأَحَاطُوا بِهَا عُمْلَةً وَأَحْجَارًا وَطِينًا ، وَأَوْقَفُوا مُنَجِّمًا يَرْصُدُ الطَّالِعَ ، فَإِذَا طَلَعَ حَرَّكَ الْأَجْرَاسَ ، فَتُرْمَى الْعُمْلَةُ وَالْأَحْجَارُ وَالطِّينُ فِي الْخَنْدَقِ ، فَوَقَفَ غُرَابٌ عَلَى الْحَبْلِ فَتَحَرَّكَتِ الْأَجْرَاسُ ، وَرُمِيتِ الْعُمْلَةُ وَالْأَحْجَارُ قِبَلِ الطَّالِعِ الْمَرْصُودِ، فَنَهَاهُمُ الْمُنَجِّمُ وَقَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : " لَا لَا ، الطَّالِعُ الْقَاهِرُ " فَلَمْ يَلْتَفِتُوا لَهُ ، وَوَضَعُوا أَسَاسَهَا فِي الْقَاهِرِ .

وَصِلَةُ ((**حَلَلْتُ**)) : ((**بَعْدَ**)) الْخُرُوجِ مِنْ بَلَدِي بِنِيَّةِ الْحَجِّ وَزِيَارَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَ ((**الْوُصُولِ**)) مِنِّي ((**لِ**)) تِلْكَ ((**الْبِقَاعِ**)) بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ، جَمْعُ " بُقْعَةٍ " بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِهَا ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي عَلَى غَيْرِ هَيْئَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِهَا -كَذَا فِي [الْقَامُوسِ]- وَهُوَ قِيَاسِيٌّ أَيْضًا فِي الْمَفْتُوحِ ، وَسَمَاعِيٌّ فَقَطْ فِي الْمَضْمُومِ ، وَقِيَاسُهُ فِيهِ بُقَعٌ كَقُرْبَةٍ وَقُرَبٍ ؛ **أَي** : الْأَمَاكِنُ الْمُخْتَلِفَةُ الْهَيْئَاتِ .

((**الطَّاهِرَهْ**)) مِنْ نَجَسِ الْكُفَّارِ، وَهِيَ : مَكَّةُ ، وَمِنَى ، وَمُزْدَلِفَةُ ، وَعَرَفَةُ ، وَالْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ بِأَنْوَارِ سَاكِنِهَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ . حَالَ كَوْنِي ((**مُنْتَبِذًا**)) بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ النُّونِ وَفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ وَإِعْجَامِ الذَّالِ . **أَيْ** : مُنْتَقِلًا وَمُسَافِرًا وَمُتَبَاعِدًا ((**عَنْ مَظْهَرِي**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْهَاءِ وَسُكُونِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ الْمُشَالَةِ وَكَسْرِ الرَّاءِ .

أَيْ : مَحَلِّ ظُهُورِي وَوِلَادَتِي وَتَرْبِيَتِي ((**الْمَغْمُورِ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَضَمِّ الْمِيمِ ؛

أَي : الْمَمْلُوءِ بِالنَّاسِ وَالْخَيْرَاتِ ((**مُسْتَرْشِدًا**)) بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : طَالِبًا الرُّشْدَ وَالِاهْتِدَاءَ ((**بِ**)) ـالْجَامِعِ ((**ـالْأَزْهَرِ**)) الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّسَ بِالْقَاهِرَةِ ، بَنَاهُ جَوْهَرٌ الْقَائِدُ لَمَّا اخْتَطَّ الْقَاهِرَةَ ، وَفَرَغَ مِنْ بِنَائِهِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُقِيمَتْ فِيهِ الْجُمُعَةُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَثُمِائَةٍ ، وَكَانَ بِنَاءُ الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثُمِائَةٍ ، ثُمَّ أَتَى الْعَزِيزُ بْنُ الْمُعِزِّ فَجَدَّدَ فِيهِ أَشْيَاءَ، وَغَيَّرَ فِيهِ عِدَّةَ أَمَاكِنَ . اِهَـ. شَنَوَانِيٌّ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْعَدَوِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْبَاقِي الزُّرْقَانِيِّ عَلَى الْعِزِّيَّةِ :

« **وَالْمُرَادُ بِالْجَمَاعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ** : السَّادَةُ الْمُجَاوِرُونَ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى ، الَّذِي أَنْشَأَهُ جَوْهَرٌ الْقَائِدُ مِنَ الْفَاطِمِيَّةِ - سَامَحَهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ - بِالْقَاهِرَةِ ، وَحُقَّ لَهُ أَنْ يُسَمَّى بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مَعْدِنُ الْخَيْرَاتِ ، وَمَسْكَنُ الْعُلَمَاءِ وَالسَّادَاتِ ، وَمَنْشَأُ السِّيَادَاتِ ، وَتَكَاثُرُ الْبَرَكَاتِ ؛ يُقَالُ : إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّيِّدَ الْخَضِرَ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - وَضَعَ عَتَبَةَ بَابِهِ، وَأَنَّ قِطْعَةً مِنْ سَفِينَةِ سَيِّدِنَا نُوحٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِيَمِينِ مِحْرَابِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِسْعَادِهِ؛ وَخُصَّ بِهَا الْجَمَاعَةُ الْأَزْهَرِيَّةُ لِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ بِلَا امْتِرَا، وَمَنْ ظَنَّ خِلَافَ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَبَ وَافْتَرَى، يُهْتَدَى بِهِمْ فِي الثَّرَى،وَتَنْزِلُ بِهِمُ الرَّحَمَاتُ عَلَى سَائِرِ الْوَرَى ، لَمْ يُوجَدْ لَهُمْ نَظِيرٌ فِي سَائِرِ الْقُرَى .

… …

قَالَهُ الشَّارِحُ » . اِهـ .

وَقَوْلُهُ ((**الْمَعْمُورِ**)) بِإِهْمَالِ الْعَيْنِ ، وَصِلَتُهُ مُقَدَّرَةٌ ، **أَيْ** : بِالْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ . **قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ** : إِنَّ الْجَامِعَ الْمَذْكُورَ مَحَلُّ نَفَحَاتٍ وَبَرَكَاتٍ ، مَنْ قَطَنَ فِيهِ مَعَ مُلَازَمَةِ الْأَدَبِ وَتَقْوَى اللهِ تَعَالَى حَصَلَ لَهُ مِنَ الْفُتُوحِ مَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ ، وَمَا رُفِعَتْ فِيهِ يَدُ سُوءٍ إِلَّا وَخُفِضَتْ ، وَلَا أَتَى أَحَدٌ فِيهِ بِمَعْصِيَةٍ إِلَّا وَعُوقِبَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا .

((**وَكَانَ**)) **أَيْ** : حَصَلَ وَوَجَدَ ((**مِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**مَنٍّ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَشَدِّ النُّونِ ؛ وَهُوَ تَعْدَادُ النِّعَمِ عَلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَمْدُوحٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وَمِنَ الْوَالِدِ ، وَمِنَ الشَّيْخِ ، مَذْمُومٌ مِنْ غَيْرِهِمْ .

أَيْ: إِنْعَامُ وَإِحْسَانُ ((مُزَكِّي)) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِ الْكَافِ مُثَقَّلًا، أَيْ: مُطَهِّرِ ((النِّيَّهْ))

أَي : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَمَرْفُوعُ ((**كَانَ**)) : ((**دَرْسِي**)) **أَيْ** : تَدْرِيسِي وَقِرَاءَتِي ((**بِهِ**)) **أَيْ** : فِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ . وَمَفْعُولُ ((**دَرْسِي**)) : ((**الْعَقَائِدَ**)) جَمْعُ عَقِيدَةٍ ، فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٌ ، وَسُمِّيَتْ عَقِيدَةً لِأَنَّهُ يَعْقِدُ عَلَيْهَا عَقْدًا لَا تَحُلُّهُ رِيَاحُ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي [حَاشِيَةُ عَبْدِ السَّلَامِ] :

«قَوْلُهُ : " **عَقِيدَةٌ** " قَالَ فِي [الْمَوَاقِفِ] : " هِيَ مَا يُرَادُ لِلِاعْتِقَادِ ، كَـ (اللهُ مَوْجُودٌ) ، لَا لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ ، كَـ (الصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ) ؛ فَإِنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ تَنْقَسِمُ لِهَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ ، وَالْأَوَّلُ أُصُولٌ ، وَالثَّانِي فُرُوعٌ » .

أَي : الْمُعْتَقَدَاتُ ((**السُّنِّيَّهْ**)) بِضَمِّ السِّينِ، **أَي** : الْمَنْسُوبَةُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ .

[تَنْبِيهٌ]

قَالَ الْإِمَامُ الْمَازِرِيُّ : « **النِّيَّةُ هِيَ** : الْقَصْدُ إِلَى الشَّيْءِ وَالْعَزِيمَةُ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْجَاهِلِيَّةِ : " نَوَاكَ اللهُ بِحِفْظِهِ " **أَيْ** : قَصَدَكَ. وَقَالَ فِي [الذَّخِيرَةِ] : هِيَ قَصْدُ الْإِنْسَانِ بِقَلْبِهِ مَا يُرِيدُهُ بِفِعْلِهِ ، فَهِيَ مِنْ بَابِ الْعَزْمِ وَالْإِرَادَاتِ ، لَا مِنْ بَابِ الْعُلُومِ وَالِاعْتِقَادَاتِ ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِرَادَةِ الْمُطْلَقَةِ : أَنَّ الْإِرَادَةَ قَدْ تَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْغَيْرِ ، بِخِلَافِهَا، كَمَا تُرِيدُ مَغْفِرَةَ اللهِ تَعَالَى ، وَتُسَمَّى شَهْوَةً ، وَلَا تُسَمَّى نِيَّةً ؛ **وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَزْمِ** : أَنَّ الْعَزْمَ تَصْمِيمٌ عَلَى إِيقَاعِ الْفِعْلِ؛ وَالنِّيَّةُ تَمْيِيزٌ لَهُ ، أَخْفَضُ مِنْهُ رُتْبَةً وَسَابِقَةٌ عَلَيْهِ » . **وَقَالَ فِي الْأُمْنِيَّةِ** : « هِيَ إِرَادَةٌ تَتَعَلَّقُ بِإِمَالَةِ الْفِعْلِ إِلَى بَعْضِ مَا يَقْبَلُهُ ، لَا بِنَفْسِ الْفِعْلِ مِنْ حَيْثُ هُوَ فِعْلٌ ، فَفَرْقٌ بَيْنَ قَصْدِنَا لِفِعْلِ الصَّلَاةِ ، وَبَيْنَ قَصْدِنَا لِكَوْنِ ذَلِكَ الْفِعْلِ قُرْبَةً أَوْ فَرْضًا أَوْ أَدَاءً ، فَالصِّفَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْإِيجَادِ وَالْكَسْبِ تُسَمَّى إِرَادَةً ؛ وَالصِّفَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِإِمَالَةِ ذَلِكَ الْفِعْلِ إِلَى بَعْضِ مَا يَقْبَلُهُ تُسَمَّى نِيَّةً ؛ وَتُفَارِقُ النِّيَّةُ الْإِرَادَةَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَهُوَ : أَنَّ النِّيَّةَ لَا تَتَعَلَّقُ إِلَّا بِفِعْلِ النَّاوِي ؛ وَالْإِرَادَةُ

٢٦ – فَـرَامَ مِـنِّي بَعْـضُ أَهْـلِ الْفَـنِّ ... نَظْمِـي لَهَـا بِحُكْـمِ حُسْـنِ الظَّـنِّ
٢٧ – وَلَسْـتُ لِلَّـذِي انْتَحَـى بِأَهْـلِ ... لِأَنَّـنِي ذُو خَطَـإٍ وَجَهْـلِ
٢٨ – فَـازْدَادَ حَثُّـهُ عَلَـيَّ وَنَمَـا ... وَقَـالَ لِي: اجْعَـلْ مِثْـلَ هَـذَا مَغْنَمَـا

تَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْغَيْرِ ، كَمَا تُرِيدُ مَغْفِرَةَ اللهِ تَعَالَى وَإِحْسَانَهُ ، وَلَيْسَتْ فِعْلَنَا » . اهـ مُخْتَصَرًا .
وَعَرَّفَهَا ابْنُ رَاشِدٍ بِأَنَّهَا : « صِفَةٌ تَتَعَلَّقُ بِإِمَالَةِ فِعْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ إِلَى بَعْضِ مَا يَقْبَلُهُ » .

((**فَرَامَ**)) **أَيْ** : قَصَدَ وَطَلَبَ ((**مِنِّي**)) بِكَسْرِ الْمِيمِ وَشَدِّ النُّونِ . وَفَاعِلُ ((**رَامَ**)) : ((**بَعْضُ أَهْلِ الْفَنِّ**)) **أَيْ** : عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ . وَمَفْعُولُ ((**رَامَ**)) : ((**نَظْمِي**)) بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الظَّاءِ الْمُشَالَةِ ، **مَعْنَاهُ لُغَةً** : الْجَمْعُ ؛ يُقَالُ : نَظَمْتُ الْعِقْدَ : جَمَعْتُ لَئَالِيهِ ؛ وَالْقَوْمَ : أَلَّفْتُ بَيْنَهُمْ . وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي جَمْعٍ مَخْصُوصٍ ، كَجَمْعِ جَوَاهِرِ الْعِقْدِ ، وَكَلَامِ الشِّعْرِ .
وَاصْطِلَاحًا : كَلَامٌ مَوْزُونٌ قُصِدَ وَزْنُهُ ، لَهُ مَعْنًى وَقَافِيَةٌ . وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الشِّعْرِ ، جِنْسٌ لَهُ يَشْمَلُهُ وَغَيْرَهُ ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الشِّعْرِ نَظْمٌ عَرَبِيٌّ أَوْ مُحْدَثٌ مُوَافِقٌ لَهُ وَزْنًا وَحُكْمًا ؛ وَالنَّظْمُ لَيْسَ قَاصِرًا عَلَى ذَلِكَ ، بَلْ يَشْمَلُ الْفَارِسِيَّ الْمَوْزُونَ قَصْدًا مَثَلًا أَيْضًا ؛ وَقَصِيدَةُ الْمُصَنِّفِ نَظْمٌ وَشِعْرٌ ، لِانْدِرَاجِهَا تَحْتَهُمَا .
((**لَهَا**)) **أَيِ** : الْعَقَائِدِ السُّنِّيَّةِ ، صِلَةُ ((**نَظْمِ**)) الْمُضَافِ لِفَاعِلِهِ . وَصِلَةُ ((**رَامَ**)) : ((**بِحُكْمِ**)) بِضَمِّ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْكَافِ وَإِضَافَتِهِ لِـ ((**حُسْنِ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ، مَصْدَرُ " حَسُنَ " بِالضَّمِّ : الْجَمَالُ ؛ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ اسْمُ مَصْدَرِ " حَسَّنَ " بِتَشْدِيدِ السِّينِ ، بِمَعْنَى التَّحْسِينِ لِلْبَيَانِ . وَإِضَافَةُ ((**حُسْنِ الظَّنِّ**)) عَلَى الِاحْتِمَالِ الْأَوَّلِ : مِنْ إِضَافَةِ مَا كَانَ صِفَةً لِمَا كَانَ مَوْصُوفًا ؛ وَ((**أَلْ**)) عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، وَأُقِيمَ الْمَصْدَرُ مَقَامَ الْوَصْفِ وَقُدِّمَ وَأُضِيفَ ؛ وَالْأَصْلُ : بِحُكْمِ ظَنِّهِ الْحَسَنِ . بِالتَّحْرِيكِ ، **أَيْ** : أَيِ: اعْتِقَادِهِ وَرَجَائِهِ الْقَوِيِّ .
وَعَلَى الِاحْتِمَالِ الثَّانِي : مِنْ إِضَافَةِ اسْمِ الْمَصْدَرِ لِمَفْعُولِهِ بَعْدَ حَذْفِ فَاعِلِهِ ؛ وَالْأَصْلُ : بِحُكْمِ تَحْسِينِهِ الظَّنَّ .

قَالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ زَرُّوقٌ :
«حُسْنُ الظَّنِّ : عَقْدُ الضَّمِيرِ عَلَى تَوَقُّعِ الْجَمِيلِ بِوَجْهٍ لَا يَتَزَلْزَلُ إِلَّا بِيَقِينٍ ، وَهُوَ يُفِيدُ الِانْقِطَاعَ لِمَنْ حَسَّنْتَ ظَنَّكَ بِهِ ، وَالْوُقُوفَ بِكُنْهِ الْهِمَّةِ عَلَيْهِ ؛ وَحُسْنُ الظَّنِّ مَطْلُوبٌ، خُصُوصًا فِي اللهِ تَعَالَى، عَمَلًا بِحَدِيثِ : " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ "؛ وَعَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحَسِّنَ ظَنَّهُ بِاللهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ ثَمَنُ الْجَنَّةِ " ؛ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ " ؛ وَتُوُفِّيَ رَجَلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَكَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمَا: مَا يُبْكِيكُمَا ؟ قَالَا : نَبْكِي لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ . قَالَ : فَلَا تَبْكِيَا ، فَوَاللهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ الَّذِي بِيَدِ اللهِ مِنْ أَمْرِي بِأَيْدِيكُمَا . فَأَتَى جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَخْبَرَهُ أَنَّ فَتًى تُوُفِّيَ الْيَوْمَ فَاشْهَدْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ فَاسْتَكْشَفَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَبَوَيْهِ عَنْ عَمَلِهِ ؛ فَقَالَا : مَا عَلِمْنَا عِنْدَهُ شَيْئًا مِنْ خَيْرٍ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ الْمَوْتِ كَذَا ؛ قَالَ : مِنْ هَهُنَا أَتَى حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ مِنْ

… ..

أَفْضَلِ الْعَمَلِ عِنْدَهُ " .

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَافِعٍ الْوَاعِظُ صَدِيقًا لِأَبِي نُوَاسٍ ، قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَنِي مَوْتُهُ أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ ، فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ : أَبَا نُوَاسٍ ؟! قَالَ : نَعَمْ ؛ قُلْتُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي ، قُلْتُ : بِأَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ : بِتَوْبَةٍ تُبْتُهَا قَبْلَ مَوْتِي بِأَبْيَاتٍ قُلْتُهَا ؛ قُلْتُ : أَيْنَ هِيَ ؟ قَالَ : عِنْدَ أَهْلِي . فَسِرْتُ إِلَى أُمِّهِ فَلَمَّا رَأَتْنِي أَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ ، فَقُلْتُ : إِنِّي رَأَيْتُ كَذَا ؛ فَكَأَنَّهَا سَكَنَتْ ، وَأَخرَجَتْ إِلَيَّ كُتُبًا مُقَطَّعَةً ، فَوَجَدتُّ بِخَطِّهِ كَأَنَّهُ قَرِيبٌ :

يَـــا رَبِّ إِنْ عَظُمَـــتْ ذُنُـــوبِي كَثْـــرَةً فَلَقَـــدْ عَلِمْـــتُ بِـــأَنَّ عَفْـــوَكَ أَعْظَـــمُ
إِنْ كَـــانَ لَا يَرْجُـــوكَ إِلَّا مُحْسِـــنٌ فَمَـــنِ الَّـــذِي يَـــدْعُو وَيَرْجُـــو الْمُجْـــرِمُ ؟
أَدْعُـــوكَ رَبِّي كَمَـــا أَمَـــرْتَ تَضَـــرُّعًا فَـــإِذَا رَدَدتَّ يَـــدِي فَمَـــنْ ذَا يَـــرْحَمُ ؟

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي تَحْسِينِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى :

فَـــلَا تَجْـــزَعْ إِذَا أَعْسَـــرْتَ يَوْمًـــا فَقَـــدْ أَيْسَـــرْتَ فِي الـــزَّمَنِ الطَّوِيـــلِ
وَلَا تَيْـــأَسْ فَـــإِنَّ الْيَـــأْسَ كُفْـــرٌ لَعَـــلَّ اللهَ يُغْـــنِي عَـــنْ قَلِيـــلِ
وَإِنَّ الْعُسْـــرَ يَتْبَعُـــهُ يَسَـــارٌ وَقَـــوْلُ اللهِ أَصْـــدَقُ كُـــلِّ قِيـــلِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّقَّاقِ :

يَـــا عَـــالِمَ السِّـــرِّ مِـــنِّي اِصْـــفَحْ بِفَضْـــلِكَ عَـــنِّي
مَنَّيْـــتُ نَفْسِـــي بِعَفْـــوٍ مَـــوْلَايَ مِنْـــكَ وَمِـــنِّي

وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

حَسِّنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكْ كُـلَّ إِحْسَانٍ وَقَـوَّى أَوْدَكْ
إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّـذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكْ

وَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْكَرَمِ ؛ وَسُوءُ الظَّنِّ بِهِ تَعَالَى يَحْمِلُهُ عَلَى الْبُخْلِ ، وَالْكَرَمُ مَمْدُوحٌ ، وَالْبُخْلُ مَذْمُومٌ؛ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا يَحْلُو .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشُّرَيْشِيُّ فِي شَرْحِ [الْمَقَامَاتِ] :

" وَمِنْ مَدْحِ الْكَرَمِ ، وَذَمِّ الْبُخْلِ قَالُوا : لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكَرَمِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – لَكَفَى " .

… …

وَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْجُودَ وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَيَذُمُّ سَفَاسِفَهَا " .

وَقَالَ لِقَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ : " مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ فَقَالُوا : فُلَانٌ ، عَلَى بُخْلٍ فِيهِ . فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ ؟! " .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن : ١٦]

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ : أَنْتَ مِتْلَافٌ . فَقَالَ : مَنَعَ الْجُودُ سُوءَ ظَنٍّ بِالْمَعْبُودِ ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ : ٣٩] " .

وَقَالَ كِسْرَى : " عَلَيْكُمْ بِأَهْلِ السَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى ؛ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْبُخْلِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَرَرِ بُخْلِهِمْ ، وَمَذَمَّةِ النَّاسِ لَهُمْ ، وَإِطْبَاقِ الْقُلُوبِ عَلَى بُغْضِهِمْ إِلَّا سُوءُ ظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ فِي الْخُلْفِ لَكَانَ عَظِيمًا ".

أَخَذَهُ مَحْمُودٌ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

مَنْ ظَنَّ بِاللهِ خَيْرًا جَادَ مُبْتَدِئًا ... وَالْبُخْلُ مِنْ سُوءِ ظَنِّ الْمَرْءِ بِاللهِ

وَخَوَّفَ بَخِيلٌ سَخِيًّا الْإِمْلَاقَ وَالْفَقْرَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّخِيُّ يَقُولُ : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

وَقَالَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – : " إِنَّكَ قَدْ أَسْرَفْتَ فِي بَذْلِ الْمَالِ ! فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتُمَا وَأُمِّي! إِنَّ اللهَ عَوَّدَنِي أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيَّ ، وَعَوَدتُّهُ أَنْ أَتَفَضَّلَ عَلَى عَبِيدِهِ ، فَأَخَافُ أَنْ أَقْطَعَ الْعَادَةَ فَيَقْطَعَ عَنِّي عَادَتَهُ » . اهـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

((**وَلَسْتُ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَحُذِفَتْ يَاءُ " لَيْسَ " لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ، لِعُرُوضِ السُّكُونِ لِلسِّينِ بِاتِّصَالِهَا بِضَمِيرِ الرَّفْعِ الْمُتَحَرِّكِ ؛ وَالْجُمْلَةُ حَالٌ ((**لِـ**)) ـالنَّظْمِ ((**الَّذِي انْتَحَا**)) هُ ، **أَيْ** : طَلَبَهُ مِنِّي بَعْضُ أَهْلِ الْفَنِّ .

وَخَبَرُ ((**لَسْتُ**)) ، وَصِلَةُ ((**لِلَّذِي**)) : ((**بِأَهْلٍ**)) **أَيْ** : مُسْتَحِقٌّ . وَهَذَا تَوَاضُعٌ مِنْهُ – رَحِمَهُ اللهُ – لَا قُصُورٌ ، فَإِنَّهُ كَانَ فَرْدَ زَمَانِهِ ، وَعَيْنَ أَوَانِهِ .

((**لِأَنَّنِي ذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**خَطَإٍ**)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، ضِدُّ الصَّوَابِ ((**وَجَهْلٍ**)) **أَيْ** : عَدَمُ الْعِلْمِ بِالْمَقْصُودِ .

أَيْ : فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ بِعَدَمِ أَهْلِيَّتِي لِذَلِكَ وَخَطَئِي وَجَهْلِي .

٣٠ - وَاللَّـــهَ أَرْجُـــو أَنْ يَكُـــونَ ذَاكَ مِـــنْ ... فِعْـــلٍ جَمِيـــلٍ مِـــنْ رِيَـــاءٍ قَـــدْ أَمِـــنْ
٣١ - وَأَنْ يُثِيبَـــــــنِي بِـــــهِ يَـــــوْمَ الْجَـــــزَا ... وَمَـــــنْ وَعَـــــى أَوْ خَـــــطَّ هَـــــذَا الرَّجَـــــزَا
٣٢ - وَيُجْـــــزِلَ الْمَوَاهِـــــبَ السَّـــــنِيَّهْ ... وَيُسْـــــــعِفَ الـــــــرَّاجِينَ بِالْأُمْنِيَّـــــــهْ
٣٣ - فَالْغَيْـــثُ مِـــنْ إِنْعَامِـــهِ قَـــدْ وَكَفَـــا ... عَلَـــى الْبَرَايَـــا وَهْـــوَ حَسْـــبِي وَكَفَـــى

((**فَازْدَادَ حَثُّهُ**)) بِفَتْحِ الحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَضَمِّ الْمُثَلَّثَةِ مُثَقَّلًا ، **أَيْ** : حَضُّهُ ((**عَلَيَّ**)) بِفَتْحِ اللَّامِ وَالْيَاءِ مُثَقَّلًا ((**وَنَمَا**)) **أَيْ** : زَادَ طَلَبُهُ مِنِّي النَّظْمَ ((**وَقَالَ**)) الطَّالِبُ ((**لِي : اجْعَلْ مِثْلَ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ، **أَيْ** : شِبْهَ ((**هَذَا**)) النَّظْمِ ((**مَغْنَمَا**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، **أَيْ** : غَنِيمَةً ، وَزَادَ السَّفَرِ لِلْآخِرَةِ ((**فَلَمْ أَجِدْ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ((**بُدًّا**)) بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَشَدِّ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، **أَيْ** : مُخَلَّصًا ((**مِنَ الْإِسْعَافِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، **أَيْ** : إِجَابَةِ الطَّالِبِ لِلنَّظْمِ الْمَطْلُوبِ ، خَوْفًا مِنْ كِتْمَانِ الْعِلْمِ وَمَنْعِهِ .

[تَنْبِيهَانِ]

(**الْأَوَّلُ**) :

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي قَوَاعِدِهِ :

« تَصْنِيفُ كُتُبِ الْعِلْمِ - لِمَنْ مَنَحَهُ اللهُ تَعَالَى فَهْمًا وَاطِّلَاعًا - فَرْضُ كِفَايَةٍ » . اهـ .

(**الثَّانِي**) :

قَالَ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ الزَّرْقَانِيُّ فِي [شَرْحُ الْمَوَاهِبِ] :

« قَالَ بَعْضُهُمْ : الْأَقْسَامُ السَّبْعَةُ الَّتِي لَا يُؤَلِّفُ عَالِمٌ عَاقِلٌ إِلَّا فِيهَا هِيَ :

١ - إِمَّا شَيْءٌ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ ، يَخْتَرِعُهُ .
٢ - أَوْ شَيْءٌ نَاقِصٌ يُتَمِّمُهُ .
٣ - أَوْ شَيْءٌ مُغْلَقٌ يَشْرَحُهُ .
٤ - أَوْ شَيْءٌ طَوِيلٌ يَخْتَصِرُهُ دُونَ أَنْ يُخِلَّ بِشَيْءٍ مِنْ مَعَانِيهِ .
٥ - أَوْ شَيْءٌ مُفَرَّقٌ يَجْمَعُهُ .
٦ - أَوْ شَيْءٌ مُخْتَلِطٍ يُرَتِّبُهُ .
٧ - أَوْ شَيْءٌ أَخْطَأَ فِيهِ مُصَنِّفُهُ فَيُصْلِحُهُ » . اهـ .

وَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ » بِشَرْطِ كَوْنِ الْعِلْمِ شَرْعِيًّا . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

((**مَعْ كَوْنِ رَسْمِ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، **أَيْ** : كُتُبِ ((**الْعِلْمِ**)) الَّذِي طُلِبَ مِنِّي نَظْمُهُ ((**غَيْرَ عَافِ**)) بِإِهْمَالِ الْعَيْنِ ثُمَّ فَاءٍ ، **أَيْ** : مَعْدُومٍ ، بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ كَثِيرٌ ، فَأَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ .

… …

((**وَاللَّهَ**)) مَنْصُوبٌ عَلَى التَّعْظِيمِ ، وَتَقْدِيمُهُ يُفِيدُ الْحَصْرَ ، **أَيْ** : ((**أَرْجُو**)) اللهَ لَا غَيْرَهُ .

وَالرَّجَاءُ بِالْمَدِّ لُغَةً : الْأَمَلُ. **وَبِالْقَصْرِ** : النَّاحِيَةُ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا** ﴾

[الحاقة : ١٧] جَمْعُ " رَجَا " بِالْقَصْرِ .

وَعُرْفًا : تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِمَرْغُوبٍ فِي حُصُولِهِ مَعَ الْأَخْذِ فِي أَسْبَابِهِ ؛ كَرَجَاءِ الجَنَّةِ مَعَ تَرْكِ الْمَعَاصِي وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ ؛ وَإِلَّا فَهُوَ طَمَعٌ ، كَأَنْ يَطْلُبَ الرَّحْمَةَ وَيَنْهَمِكَ فِي الْمَعَاصِي ؛ وَالْأَوَّلُ مَمْدُوحٌ ، وَالثَّانِي مَذْمُومٌ .

((**أَنْ يَكُونَ ذَاكَ**)) النَّظْمُ ((**مِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**فِعْلٍ جَمِيلٍ**)) صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ ، مِنَ الجَمَالِ ، **أَيْ** : الْحُسْنِ ؛ وَالْمُرَادُ : أَنَّهُ جَمِيلٌ جَمَالًا شَرْعِيًّا أُخْرَوِيًّا . ((**مِنْ**)) قَصْدِ ((**رِيَاءٍ**)) بِمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ ، صِلَةُ ((**أَمِنْ**)) ، **أَيْ** : الْعَمَلُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى .

قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « إِيَّاكُمْ وَالشِّرْكَ الْأَصْغَرَ ؛ قَالُوا : وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ » . وَقَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « لَا رِيَاءَ وَلَا سُمْعَةَ ، مَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللهُ بِهِ » . وَقَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « مَنْ أَسَرَّ سَرِيرَةً أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهَا ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » . وَقَالَ : « مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ » .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذَا أَظْهَـــــــرْتَ شَـــــــيْئًا حَسَـــــــنَا ... فَلْـــيَكُنْ أَحْسَـــنَ مِنْـــهُ مَـــا تَيَسَّـــرْ
فَمُسِـــــــرُّ الْخَـــــــيْرِ مَوْسُـــــــومٌ بِـــــــهِ ... وَمُسِـــرُّ الشَّـــرِّ مَوْسُـــومٌ بِشَـــرْ . اِهَـــ .

شُرَيْشِيٌّ عَلَى [الْمَقَامَاتِ] ، وَانْظُرْهُ .

((**قَدْ أَمِنْ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : سَلِمَ ذَلِكَ النَّظْمُ مِنَ الرِّيَاءِ ، بَلْ هُوَ خَالِصٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ؛ وَالْإِخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَمَوْلَاهُ ، وَهُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمُتَّقِينَ ؛ وَمَلْحَظُ الْعَارِفِينَ بِأَعْمَالِهِمْ : الْقِيَامُ بِحَقِّ الْعُبُودِيَّةِ ، لَا طَمَعًا فِي الثَّوَابِ ، وَلَا فِرَارًا مِنَ الْعِقَابِ، وَلِذَلِكَ قَالَتِ السَّيِّدَةُ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ – نَفَعَنَا اللهُ تَعَالَى بِهَا ، وَرَضِيَ عَنْهَا – :

كُلُّهُـــــمْ يَعْبُـــدُوكَ مِـــنْ خَـــوْفِ نَـــارٍ ... وَيَـــرَوْنَ النَّجَـــاةَ حَظًّـــا جَـــزِيلَا
أَوْ بِـــأَنْ يَسْـــكُنُوا الْجِنَـــانَ فَيَحْظَـــوْا ... بِقُصُـــــورٍ وَيَشْـــــرَبُوا سَلْسَـــــبِيلَا
لَـــيْسَ لِي فِي الْجِنَـــانِ وَالنَّـــارِ حَـــظٌّ ... أَنَـــا لَا أَبْتَغِـــي بِحُـــبِّي بَـــدِيلَا .

.. ..

((وَأَنْ يُثِيبَنِي)) اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((بِهِ)) **أَيِ** : النَّظْمِ الْمَطْلُوبِ ((يَوْمَ الْجَزَا)) عَلَى الْأَعْمَالِ ، **أَيْ** : يَتَفَضَّلُ فِيهِ عَلَيَّ بِالثَّوَابِ ، وَهُوَ مِقْدَارٌ مِنَ الْجَزَاءِ يَعْلَمُهُ اللهُ تَعَالَى ، أَعَدَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي نَظِيرِ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةِ بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ ، لَا بِالْإِيجَابِ وَلَا بِالْوُجُوبِ . أَفَادَهُ عَبْدُ السَّلَامِ .

قَالَ الْمُحَقِّقُ الْأَمِيرُ :

« قَوْلُهُ : " فِي نَظِيرِ أَعْمَالِهِمْ " هُوَ مَعْنَى نَحْوِ : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢] وَلَا يُنَافِيهِ :

" لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ " لِأَنَّ الْمَنْفِيَّ السَّبَبِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ ، كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدُ : " وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ " » . اهَـ .

وَفِي قَوْلِهِ : " لَا بِالْإِيجَابِ " رَدٌّ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ الْقَائِلِينَ بِالْإِيجَابِ – **أَيِ** : التَّعْلِيلِ – **بِمَعْنَى** : أَنَّ الثَّوَابَ يَنْشَأُ عَنْ ذَاتِ اللهِ تَعَالَى قَهْرًا كَحَرَكَةِ الْخَاتِمِ ؛ فَإِنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّهَا تَنْشَأُ عَنْ حَرَكَةِ الْإِصْبَعِ بِطَرِيقِ التَّعْلِيلِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **إِنْ قُلْتَ** : هُمْ يُنْكِرُونَ الْحَشْرَ مِنْ أَصْلِهِ ، فَلَا يُثْبِتُونَ ثَوَابًا بِالْإِيجَابِ ؟!
قُلْتُ : أَشَارَ الْعَلَّامَةُ الْمَلَّوِيُّ لِدَفْعِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ وَإِنْ أَنْكَرُوا حَشْرَ الْأَجْسَامِ يَقُولُونَ بِحَشْرِ الْأَرْوَاحِ ، **أَيْ** : وَتُثَابُ بِاللَّذَّاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ » . اهَـ .

وَفِي قَوْلِهِ : " وَلَا بِالْوُجُوبِ " رَدٌّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِوُجُوبِ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ .

[تَنْبِيهٌ]

فِي قَوْلِ الْمُصَنِّفِ : ((وَأَنْ يُثِيبَنِي بِهِ ...)) إلخ ؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَمَلَ للهِ تَعَالَى مَعَ إِرَادَةِ الثَّوَابِ جَائِزٌ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ أَكْمَلَ مِنْهُ ؛ فَإِنَّ مَرَاتِبَ الْإِخْلَاصِ ثَلَاثٌ : **١** – عُلْيَا **٢** – وَوُسْطَى **٣** – وَدُنْيَا .
فَالْعُلْيَا : أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ، امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ ، وَقِيَامًا بِحَقِّ عُبُودِيَّتِهِ .
وَالْوُسْطَى : أَنْ يَعْمَلَ طَلَبًا لِلثَّوَابِ ، وَهَرَبًا مِنَ الْعِقَابِ .
وَالدُّنْيَا : أَنْ يَعْمَلَ لِإِكْرَامِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَالسَّلَامَةِ مِنْ آفَاتِهَا .

وَمَا عَدَا هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ رِيَاءٌ وَإِنْ تَفَاوَتَتْ أَفْرَادُهُ . أَفَادَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ] .

... ...

((وَ)) وَيُثِيبَ ((مَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ، أَيِ : الَّذِي ((وَعَى)) بِفَتْحِ الْوَاوِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ .

قَالَ فِي [الصِّحَاحِ] :

« وَعَيْتُ الْحَدِيثَ أَعِيهِ وَعْيًا : إِذَا حَفِظْتُهُ ؛ وَ﴿ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحاقة: ١٢] » . اِهـ .

أَيْ : حَفِظَ ((أَوْ خطَّ)) أَيْ : كَتَبَ ((هَذَا الرَّجَزَا)) أَيِ : الْمَنْظُومَ مِنْ بَحْرِ الرَّجزِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْبُحُورِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ عِنْدَ الْخَلِيلِ الَّتِي جَمَعَهَا الزَّبِيدِيُّ فَقَالَ :

طَوِيـــــلٌ مَدِيــــدٌ وَالْبَسِـــيطُ وَوَافِـــرٌ ... وَكَامِـــلُ اهْـــزَاجُ الْأَرَاجِيـــزُ أَرْمَـــلَا
سَــــرِيعٌ انْسِـــرَاحٌ وَالْخَفِيـــفُ مُضَـــارِعٌ ... وَمُقْتَضَـــبٌ الْمُجْتَـــثُّ مُضْـطَرِبٌ جَـــلَا .

وَزَادَ عَلَيْهَا الْأَخْفَشُ بَحْرًا ، وَسَمَّاهُ " الْمُتَدَارِكُ " ؛ فَالْبُحُورُ عِنْدَهُ سِتَّةَ عَشَرَ ، وَ" الرَّجَزُ " سَابِعُ الْبُحُورِ ، وَهُوَ الثَّانِي مِنْ أَبْحُرِ الدَّائِرَةِ الثَّالِثَةِ الْمُجْتَلَبَةِ ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ "مُسْتَفْعِلُنْ " سَادِسَ الْأَجْزَاءِ سِتَّ مَرَّاتٍ ، فَهُوَ مُسَدَّسٌ ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ " رَجَزًا " لِاضْطِرَابِهِ ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي النَّاقَةَ الَّتِي تَضْطَرِبُ وَيَرْتَعِشُ فَخِذَاهَا " رَجْزَاءَ " كَـ "حَمْرَاءَ " ، وَإِنَّمَا كَانَ مُضْطَرِبًا لِأَنَّ فِي أَوَّلِ كُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ سَبَبَيْنِ خَفِيفَيْنِ، فَيَكُونُ فِيهِ حَرَكَةٌ فَسُكُونٌ فَحَرَكَةٌ فَسُكُونٌ .

وَإِنَّمَا آثَرَ النَّظْمَ عَلَى النَّثْرِ لِمَا فِي النَّظْمِ مِنْ زِيَادَةِ وَتَقْوِيَةِ نَشَاطِ النَّفْسِ، لِشِدَّةِ مَيْلِ طَبْعِهَا إِلَيْهِ ، فَيَسْهُلَ عَلَيْهَا حِفْظُهُ وَضَبْطُهُ، بِخِلَافِ النَّثْرِ .
وَآثَرَ " الرَّجَزَ " عَلَى غَيْرِهِ لِمَزِيدِ سُهُولَتِهِ ، وَكَثْرَةِ تَدَاوُلِهِ .

قَالَ الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الْجَزَائِرِيَّةِ] :
« لَا شَكَّ أَنَّ النَّظْمَ أَيْسَرُ شَيْءٍ لِلْحِفْظِ ، وَالْحِفْظُ أَعْوَنُ شَيْءٍ عَلَى الْفَهْمِ ، وَأَحْوَطُ لِدَوَامِ الذِّكْرِ، وَأَنْوَرُ لِلْبَاطِنِ ، لِإِسْرَاجِهِ بِسِرَاجِ الْعِلْمِ ؛ وَلَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي مَدْحِ الْحِفْظِ وَالْحَضِّ عَلَيْهِ ، وَذَمِّ الِاقْتِصَارِ عَلَى مُجَرَّدِ الْكُتُبِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

عَلَيْـــكَ بِـــالْحِفْظِ بَعْـــدَ الْجَمْـــعِ فِي كُتُـــبٍ ... فَـــإِنَّ لِلْكُتْـــبِ آفَـــاتٌ تُفَرِّقُهَـــا
الْمُـــاءُ يُغْرِقُهَـــا وَالنَّـــارُ تُحْرِقُهَـــا ... وَالْفَـــأْرُ يَخْرِقُهَـــا وَاللِّـــصُّ يَسْـــرِقُهَا » . اِهـــ .

… …

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْكِتَابَةِ مَا وَرَدَ : " قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ ". وَقَوْلُ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – : " مَنْ لَمْ يَكْتُبْ يَذْهَبْ عِلْمُهُ ، وَمَنْ يَكْتُبْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ مَا يَنْسَى أَوْ يُشْكِلُ عَلَيْهِ " .

وَقَوْلُ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ : " مَنْ لَمْ يَكْتُبْ عِلْمًا لَا يُعَدُّ عِلْمُهُ شَيْئًا " . وَقَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ – : " مَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَكْثَرَ مِنِّي حَدِيثًا إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ " .

وَبِالْجُمْلَةِ : فَفَضْلُ الْكِتَابَةِ لَا يُنْكَرُ ، وَلَوْلَاهَا مَا ضُبِطَ الْقُرْءَانُ وَالْحَدِيثُ وَالْعِلْمُ ، لِأَنَّ مَا يَعْرِضُ لِلذِّهْنِ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْرِضُ لَهَا ؛ وَلَقَدْ أَجَادَ مَنْ قَالَ :

الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ ... قَيِّدْ صُيُودَكَ بِالْحِبَالِ الْوَاثِقَةْ
فَمِنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً ... وَتَتْرُكَهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةْ

وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّهُ جِيءَ لَهُ بِكِتَابٍ فَغَسَلَهُ وَقَالَ : " إِنَّهُمْ إِذَا كَتَبُوا اعْتَمَدُوا عَلَى الْكِتَابَةِ وَتَرَكُوا الْحِفْظَ ، فَيَعْرِضُ لِلْكِتَابَةِ عَارِضٌ فَيَفُوتُ عِلْمُهُمْ " .

وَكَذَا ذَمَّ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ – .

وَأَيَّدَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ الْكِتَابَةَ يُمْكِنُ الزِّيَادَةُ فِيهَا وَالنَّقْصُ، وَذَلِكَ تَغْيِيرٌ لَهَا ، بِخِلَافِ الْحِفْظِ ، فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى التَّعْوِيلِ عَلَيْهَا ، وَتَرْكِ النُّورِ الْقَلْبِيِّ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ ، فَيَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] .

وَالْحَاصِلُ : أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ تَقْيِيدُ الْعِلْمِ بِالْكِتَابَةِ ، وَالِاشْتِغَالُ بِهِ حِفْظًا وَفَهْمًا .

قَالُوا : " فَهْمُ سَطْرَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وِقْرَيْنِ " – بِكَسْرِ الْوَاوِ — **أَيْ** : حِمْلَيْنِ مِنَ الْكُتُبِ .

" وَمُنَاظَرَةُ — **أَيْ** : تَفَاهُمُ – اثْنَيْنِ خَيْرٌ مِنْ هَذَيْنِ " .

وَمَتَى اتَّصَفَ بِذَلِكَ يَدْخُلْ فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ وَرَدَ فِي فَضْلِهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[آل عمران : ١٨] ؛ فَانْظُرْ كَيْفَ بَدَأَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– بِنَفْسِهِ ، وَثَنَّى بِمَلَائِكَةِ قُدْسِهِ ، وَثَلَّثَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ ؛ وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا وَفَضْلًا .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة: ١١] ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ – : « لِلْعُلَمَاءِ دَرَجَاتٌ فَوْقَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبْعِمِائَةِ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ خَمْسِمَائَةُ عَامٍ » .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر : ٩] ،

وَقَوْلُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « لَمَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ » .

وَقَوْلُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ » .

فَأَعْظِمْ بِمَرْتَبَةٍ تَلِي رُتْبَةَ النُّبُوَّةِ ، وَفَوْقَ رُتْبَةِ الشَّهَادَةِ ، مَعَ مَا وَرَدَ فِي الشَّهَادَةِ .

.. ..

وَقَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « يَبْعَثُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ الْعُلَمَاءَ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ ، إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا لِعِلْمِي بِكُمْ ، وَلَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ ، اِذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » .

وَقَوْلُ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – : « بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ نَتَعَلَّمُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ مِائَةِ رَكْعَةٍ تَطَوُّعًا ، سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ : " إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ طَالِبَ الْعِلْمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ وَهُوَ شَهِيدٌ " » .

وَقَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « إِذَا جَلَسَ الْمُتَعَلِّمُ بَيْنَ يَدَيِ الْعَالِمِ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَلَا يَقُومُ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وَقَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « مَنْ مَشَى فِي طَلَبِ الْعِلْمِ خُطْوَتَيْنِ، أَوْ جَلَسَ فِي حَلْقَةِ الْمُعَلِّمِ قَدْرَ فُوَاقِ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

وَقَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « مَنْ طَلَبَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ يُعَلِّمُهُ النَّاسَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ أَعْطَاهُ اللهُ أَجْرَ سَبْعِينَ نَبِيًّا » .

وَقَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمُسْلِمُ عِلْمًا فَيُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ » .

وَالْأَحَادِثُ فِي ذَلِكَ لَا تُحْصَى .

وَقَوْلُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ – : « الْعَالِمُ أَفْضَلُ مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْمُجَاهِدِ، وَإِذَا مَاتَ الْعَالِمُ ثُلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا خَلَفٌ مِنْهُ » .

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

« مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُو ... عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ

وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ... النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ » . اهـ .

وَبِالْجُمْلَةِ : فَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ؛ وَانْظُرِ [الْإِحْيَاءُ] لِلْغَزَّالِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ .

… …

((**وَيُجْزِلَ**)) بِضَمٍّ الْيَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ وَكَسْرِ الزَّايِ ؛ **أَيْ** : يُعْظِمَ اللهُ ((**الْمَوَاهِبَ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ، جَمْعُ " مَوْهِبَةٍ " – بِكَسْرِ الْهَاءِ – وَهِيَ الْعَطِيَّةُ عَلَى جِهَةِ التَّمْلِيكِ بِلَا عِوَضٍ . **أَيِ** : الْهِبَاتِ وَالْعَطَايَا ((**السَّنِيَّةْ**)) بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِ النُّونِ مُخَفَّفَةً وَفَتْحِ الْيَاءِ مُشَدَّدَةً ؛ **أَيِ** : الْمَنْسُوبَةِ لِـ " السَّنَا " – بِالْقَصْرِ – **بِمَعْنَى** : الضِّيَاءِ وَالنُّورِ . وَبِالْمَدِّ بِمَعْنَى : الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ . وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ .

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : « زَالَ السَّنَا عَنْ نَاظِرَيْهِ؛ وَزَالَ عَنْ شَرَفِ السَّنَاءِ » . اهـ . نِسْبَةُ الْمَوْصُوفِ لِصِفَتِهِ .
أَيِ : الْمُضِيئَةَ النَّيِّرَةَ ، أَوِ الْعَظِيمَةَ الشَّرِيفَةَ .

وَصِلَةُ ((**يُجْزِلَ**)) مَحْذُوفَةٌ ، **أَيْ** : لِي وَلِمَنْ وَعَى أَوْ خَطَّ هَذَا الرَّجَزَ .

((**وَيُسْعِفَ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : يَرْحَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الرَّاجِينَ**)) إِحْسَانَهُ ((**بِـ**)) حُصُولِ ((**الْأُمْنِيَّهْ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَكَسْرِ النُّونِ وَفَتْحِ الْيَاءِ مُثَقَّلَةً ؛ **أَيْ** : مَا تَمَنَّوْهُ مِنْ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فِي [الْمِصْبَاحِ] :

« وَتَنَّيْتُ كَذَا مَأْخُوذٌ مِنَ " الْمَنَا " بِوَزْنِ " الْعَصَا " وَهُوَ " الْقَدْرُ "، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُقَدِّرُ حُصُولَهُ ؛ وَالِاسْمُ : " الْمُنْيَةُ، وَالْأُمْنِيَّةُ "، وَجَمْعُ الْأُولَى : " مُنًى "، مِثْلُ " مُدْيَةٌ " وَ" مُدًى " ؛ وَجَمْعُ الثَّانِيَةِ " الْأَمَانِيُّ " » . اهـ .

((**فَالْغَيْثُ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيِ** : الْمَطَرُ ((**مِنْ إِنْعَامِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، صِلَةُ

((**وَكَفَ**)) ((**قَدْ وَكَفَا**)) **أَيْ** : قَطَرَ ((**عَلَى الْبَرَايَا**)) بِفَتْحِ الْبَاءِ ؛ **أَيِ** : الْمَخْلُوقَاتِ ((**وَهْوَ**)) **أَيِ** :

اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**حَسْبِي**)) **أَيْ** : كَافِيَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِي ((**وَكَفَى**)) بِاللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – حَسِيبًا وَكَافِيًا .

****

[مُقَدِّمَةٌ]

٣٤ – مَـــــنْ رَامَ فَنًّـــــا فَلْيُقَـــــدِّمْ أَوَّلَا ... عِلْمًـــــا بِحَـــــدِّهِ وَمَوْضُـــــوعٍ تَـــــلَا

٣٥ – وَوَاضِـــــعٍ وَنِسْـــــبَةٍ وَمَـــــا اسْـــــتَمَدّْ ... مِنْـــــهُ وَفَضْـــــلِهِ وَحُكْـــــمٍ يُعْتَمَـــــدْ

٣٦ – وَاسْـــــمٍ وَمَـــــا أَفَـــــادَ وَالْمَسَـــــائِلْ ... فَتِلْـــــكَ عَشْـــــرٌ لِلْمُـــــنَى وَسَـــــائِلْ

٣٧ – وَبَعْضُـــــهُمْ مِنْهَـــــا عَلَـــــى الْـــــبَعْضِ اقْتَصَـــــرْ ... وَمَـــــنْ يَكُـــــنْ يَـــــدْرِي جَمِيعَهَـــــا انْتَصَـــــرْ

[مُقَدِّمَةٌ] : خَبَرٌ عَنْ مَحْذُوفٍ ، أَوْ خَبَرُهَا مَحْذُوفٌ ؛ وَهِيَ بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ، مِنَ " قَدِمَ " اللَّازِمِ ، **بِمَعْنَى** : تَقَدَّمَ ، لِتَقَدُّمِهَا عَلَى الْمَقْصُودِ . وَيَصِحُّ فَتْحُ الدَّالِ، مِنْ " قَدَّمَهُ " الْمُتَعَدِّي، لِتَقْدِيمِهَا عَلَيْهِ .

فَهِيَ لُغَةً : مَا تَقَدَّمَ ، أَوْ قُدِّمَ عَلَى غَيْرِهِ .

وَاصْطِلَاحًا: قِسْمَانِ :

١ – مُقَدِّمَةُ عِلْمٍ ؛ وَهِيَ مَا يَتَوَقَّفُ الشُّرُوعُ فِي الْعِلْمِ عَلَى بَصِيرَةٍ عَلَيْهِ ؛ كَتَعْرِيفِهِ ، وَبَيَانِ مَوْضُوعِهِ ، وَوَاضِعِهِ ، وَفَائِدَتِهِ ، وَاسْتِمْدَادِهِ .

٢ – وَمُقَدِّمَةُ كِتَابٍ؛ وَهِيَ أَلْفَاظٌ تُقَدَّمُ عَلَى الْمَقْصُودِ، لِارْتِبَاطٍ لَهَا بِهِ ، وَانْتِفَاعٍ بِهَا فِيهِ .

فَمُرَادُ الْمُصَنِّفِ بِهَا هُنَا : " مُقَدِّمَةُ الْعِلْمِ " ، بِدَلِيلِ كَلَامِهِ الْآتِي .

((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ اسْمُ شَرْطٍ ، **أَيْ** : أَيُّ شَخْصٍ ((**رَامَ**)) يُقَالُ : رُمْتُ الشَّيْءَ أَرُومُهُ : إِذَا طَلَبْتَهُ . عَلَى مَا فِي [الصِّحَاحِ] . **أَيْ** : قَصَدَ وَطَلَبَ ((**فَنًّا**)) بِفَتْحِ الْفَاءِ وَشَدِّ النُّونِ ؛ **أَيْ** : نَوْعًا مِنَ الْعِلْمِ . وَجَوَابُ ((**مَنْ**)) : ((**فَلْيُقَدِّمْ**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ((**أَوَّلَا**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي الْفَنِّ الَّذِي رَامَهُ ، لِيَكُونَ الطَّالِبُ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي طَلَبِهِ ، لِاسْتِحَالَةِ تَوَجُّهِ النَّفْسِ نَحْوَ الْمَجْهُولِ الْمُطْلَقِ ، لِأَنَّ الْحُكْمَ عَلَى الشَّيْءِ فَرْعٌ عَنْ تَصَوُّرِهِ ؛ **وَقَدْ يُقَالُ** : الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ رَدًّا وَقَبُولًا فَرْعٌ عَنْ كَوْنِهِ مَعْقُولًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَبَادِئَ الْعَشَرَةَ قِسْمَانِ :

١ – قِسْمٌ تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ وُجُوبًا صِنَاعِيًّا ؛ وَهُوَ ثَلَاثَةٌ :

أ – الْحَدُّ .

ب – وَالْمَوْضُوعُ .

جـ – وَالْغَايَةُ .

٢ – وَقِسْمٌ تُنْدَبُ مَعْرِفَتُهُ كَذَلِكَ ؛ وَهُوَ مَا عَدَا هَذِهِ الثَّلَاثَةَ .

... ...

وَنَظَمَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

حَدٌّ وَمَوْضُوعٌ وَغَايَةٌ تَجِبْ   لِشَارِعٍ وَوَاضِعٌ فَضْلٌ نُدِبْ
كَذَاكَ حُكْمٌ نِسْبَةٌ مَسَائِلْ   وَاسْمٌ وَمَأْخَذٌ هِيَ الْوَسَائِلْ

وَالْحَاصِلُ : أَنَّ أَصْلَ الشُّرُوعِ مِنْ حَيْثُ هُوَ – بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، أَوْ عَلَى كَمَالِهَا – لَا يَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى التَّصَوُّرِ بِوَجْهٍ مَا ، وَالتَّصْدِيقِ بِفَائِدَةٍ مَا .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي حَاشِيَةِ [الْأَزْهَرِيَّةِ] :

« اِعْلَمْ أَنَّ الشُّرُوعَ فِي الْعِلْمِ مِنْ أَفْعَالِ الْعَاقِلِ الِاخْتِيَارِيَّةِ ، وَهِيَ تُصَانُ وُجُوبًا عَقْلِيًّا عَنِ الْعَبَثِ الْمَحْضِ ، إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ عَقْلًا أَنْ يُقْصَدَ فِعْلٌ بِدُونِ فَائِدَةٍ أَصْلًا، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ فَائِدَةٍ مَا وَلَوْ مُجَرَّدِ تَحَقُّقِ الْمَفْعُولِ ؛ وَعَنِ الْجَهَالَةِ الْمَحْضَةِ ، إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ عَقْلًا قَصْدُ الْمَجْهُولِ الْمَحْضِ ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِوَجْهٍ مَا ؛ ثُمَّ يُسْتَحْسَنُ صَوْنُهَا عَنِ الْعَبَثِ وَالْجَهَالَةِ الْعُرْفِيَّيْنِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْلَمَ الْمَشْرُوعَ فِيهِ ، بِتَعْرِيفِهِ ، وَمَوْضُوعِهِ ، وَفَائِدَتِهِ » . اِنْتَهَى .

وَأَمَّا الشُّرُوعُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى بَصِيرَةٍ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْحَدِّ ، وَالْمَوْضُوعِ ، وَالْفَائِدَةِ فَقَطْ .
وَأَمَّا الشُّرُوعُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى كَمَالِهَا فَيَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ جَمِيعِ الْمَبَادِئِ الْعَشَرَةِ .

وَمَفْعُولُ ((**يُقَدِّمْ**)) : ((**عِلْمًا**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : مَعْرِفَةً ((**بِحَدِّهِ**)) **أَيْ** : تَعْرِيفِ الْفَنِّ الَّذِي رَامَهُ ، لِإِحَاطَتِهِ بِجَمِيعِ مَسَائِلِ الْعِلْمِ إِجْمَالًا فَقَطْ ، وَضَبْطِهِ عَلَى كَثْرَتِهَا ؛ فَبِتَصَوُّرِهِ يَأْمَنُ الطَّالِبُ فَوَاتَ مَا يَرْتَجِيهِ مِنْ تِلْكَ الْمَسَائِلِ ، وَضَيَاعَ الْوَقْتِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، بِطَلَبِ مَا هُوَ أَجْنَبِيٌّ عَنْهَا . اهَـ مِنْ شَرْحِ الْعَلَّامَةِ ابْنِ كِيرَانَ عَلَى ابْنِ عَاشِرٍ .

قَالَ فِي [الْمَوَاقِفِ] وَشَرْحِهَا :

« وَإِنَّمَا وَجَبَ تَقْدِيمُ تَعْرِيفِهِ لِيَكُونَ طَالِبُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي طَلَبِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا تَصَوَّرَهُ بِتَعْرِيفِهِ – سَوَاءٌ كَانَ حَدًّا لِمَفْهُومِ اسْمِهِ، أَوْ رَسْمًا لَهُ – فَقَدْ أَحَاطَ بِجَمِيعِهِ إِحَاطَةً إِجْمَالِيَّةً ، بِاعْتِبَارِ أَمْرٍ شَامِلٍ لَهُ يَضْبِطُهُ وَيُمَيِّزُهُ عَمَّا عَدَاهُ ؛ بِخِلَافِ مَا إِذَا تَصَوَّرَهُ بِغَيْرِهِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ فُرِضَ أَنَّهُ يَكْفِيهِ فِي طَلَبِهِ ، لَكِنَّهُ لَا يُفِيدُهُ بَصِيرَةً فِيهِ ، فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مَتْنَ عَمْيَاءَ – وَهِيَ الْعَمَايَةُ ، **بِمَعْنَى** : الْبَاطِلِ – أَوْشَكَ أَنْ يَخْبِطَ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي لَا تُبْصِرُ قُدَّامَهَا ، فَهِيَ تَخْبِطُ بِيَدَيْهَا كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَيُقَالُ : فُلَانٌ رَكِبَ الْعَشْوَاءَ : إِذَا خَبِطَ أَمْرُهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ » . اِنْتَهَى .

… …

قَالَ الْمُحَقِّقُ عَبْدُ الْحَكِيمِ فِي حَاشِيَتِهِ :

« قَوْلُهُ : " بِمَعْنَى : الْبَاطِلِ "، وَهُوَ هُنَا : التَّصَوُّرُ بِغَيْرِ التَّعْرِيفِ ، مِنَ الْوَجْهِ الْأَعَمِّ أَوِ الْأَخَصِّ ؛ شَبَّهَهُ بِالْمَرْكُوبَةِ فِي كَوْنِ كُلٍّ مِنْهُمَا سَبَبًا لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْوُصُولِ ؛ وَأَثْبَتَ الْمَتْنَ وَالرُّكُوبَ ؛ فَفِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ ، وَتَخْيِيلٌ وَتَرْشِيحٌ ؛ وَإِنَّمَا قَالَ : " أَوْشَكَ " لِأَنَّهُ بِمُجَرَّدِ التَّصَوُّرِ الْمَذْكُورِ لَا يَخْبِطُ مَا لَمْ يَشْرَعْ فِي الْعِلْمِ ؛ ثُمَّ قَوْلُ الشَّارِحِ : " وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي ... " إلخ ؛ إِشَارَةٌ إِلَى تَوْجِيهَيْنِ :

١ – مَبْنَى الْأَوَّلِ : أَنَّ " خَبْطَ عَشْوَاءَ " مَصْدَرٌ لِلتَّشْبِيهِ، وَالْإِضَافَةُ لِلِاخْتِصَاصِ، فَيَكُونُ تَشْبِيهًا لِلْخَبْطِ الْمَعْقُولِ بِالْخَبْطِ الْمَحْسُوسِ.

٢ – وَمَبْنَى الثَّانِي : أَنَّهُ مَصْدَرٌ لِلنَّوْعِ، وَالْإِضَافَةُ لِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ ؛ **أَيْ** : يَخْبِطُ خَبْطًا يُرَادِفُ قَوْلَهُمْ : " فُلَانٌ رَكِبَ الْعَشْوَاءَ " ، وَ" هُوَ خَبَطَ : أَمَرَّ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ " ؛ فَافْهَمْ ، فَإِنَّهُ مِمَّا زَلَّتْ فِيهِ الْأَقْدَامُ » . اهـ .

((وَ)) عِلْمًا بِـ ((**مَوْضُوعٍ**)) لِلْفَنِّ الَّذِي رَامَهُ ، لِأَنَّهُ بِهِ يَقَعُ امْتِيَازُ الْعِلْمِ الْمَطْلُوبِ عَنْ غَيْرِهِ ، لِأَنَّ الْعُلُومَ جِنْسٌ وَاحِدٌ ، وَإِنَّمَا تَنَوَّعَتْ وَتَمَايَزَتْ بِتَغَايُرِ الْمَوْضُوعَاتِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِعِلْمٍ مَوْضُوعٌ مُغَايِرٌ لِمَوْضُوعِ عِلْمٍ آخَرَ بِالذَّاتِ –كَمَوْضُوعَيِ النَّحْوِ وَالطِّبِّ ، وَهُمَا اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ بَعْدَ التَّرْكِيبِ ، وَبَدَنُ الْإِنْسَانِ ؛ أَوْ بِالِاعْتِبَارِ ، كَمَوْضُوعَيِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ ، وَهُمَا اللَّفْظُ الْعَرَبِيُّ الْمُرَكَّبُ ، لَكِنَّ الْأَوَّلَ يُبْحَثُ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ الْمُطَابَقَةُ لِلْحَالِ ، وَالثَّانِي يُبْحَثُ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ تَفَاوُتُهُ فِي وُضُوحِ الدِّلَالَةِ – لَمْ يَصِحَّ كَوْنُهُمَا عِلْمَيْنِ ، وَتَعْرِيفُهُمَا بِتَعْرِيفَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ . اِهـ مِنِ ابْنِ كِيرَانَ .

قَالَ فِي [الْمَوَاقِفِ] وَشَرْحِهَا :

« وَإِنَّمَا وَجَبَ تَقْدِيمُ مَوْضُوعِهِ — **أَيِ** : التَّصْدِيقُ بِمَوْضُوعِيَّتِهِ – لِيَمْتَازَ الْعِلْمُ الْمَطْلُوبُ عِنْدَ الطَّالِبِ مَزِيدَ امْتِيَازٍ ، إِذْ بِهِ — **أَيْ** : بِالْمَوْضُوعِ – تَتَمَايَزُ الْعُلُومُ فِي أَنْفُسِهَا ؛ **وَبَيَانُ ذَلِكَ** : أَنَّ كَمَالَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي قُوَّتِهَا الْإِدْرَاكِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْرِفَةِ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَأَحْوَالِهَا بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الْحَقَائِقُ وَأَحْوَالُهَا مُتَكَثِّرَةً مُتَنَوِّعَةً ، وَكَانَتْ مَعْرِفَتُهَا مُخْتَلِطَةً مُنْتَشِرَةً مُتَعَسِّرَةً وَغَيْرَ مُسْتَحْسَنَةٍ : اِقْتَضَى حُسْنُ التَّعْلِيمِ وَتَسْهِيلُهُ أَنْ تُجْعَلَ مَضْبُوطَةً مُتَمَايِزَةً ، فَتَصَدَّى لِذَلِكَ الْأَوَائِلُ ، فَسَمَّوُا الْأَحْوَالَ وَالْأَعْرَاضَ الذَّاتِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِشَيْءٍ وَاحِدٍ – إِمَّا مُطْلَقًا، أَوْ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَوْ بِأَشْيَاءَ مُتَنَاسِبَةٍ تَنَاسُبًا مُعْتَدًّا بِهِ ، سَوَاءٌ كَانَ فِي ذَاتِيٍّ أَوْ عَرَضِيٍّ – عِلْمًا وَاحِدًا ، وَدَوَّنُوهُ عَلَى حِدَةٍ ، وَسَمَّوْا ذَلِكَ الشَّيْءَ أَوْ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ : مَوْضُوعًا لِذَلِكَ الْعِلْمِ ، لِأَنَّ مَوْضُوعَاتِ مَسَائِلِهِ رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ ، فَصَارَتْ عِنْدَهُمْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْأَحْوَالِ مُتَشَارِكَةٍ فِي مَوْضُوعٍ عِلْمًا مُنْفَرِدًا مُمْتَازًا فِي نَفْسِهِ عَنْ طَائِفَةٍ أُخْرَى مُتَشَارِكَةٍ فِي مَوْضُوعٍ آخَرَ ، فَجَاءَتْ عُلُومُهُمْ مُتَمَايِزَةً فِي أَنْفُسِهَا بِمَوْضُوعَاتِهَا ؛

وَسَلَكَتِ الْأَوَاخِرُ أَيْضًا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ فِي عُلُومِهِمْ، وَهُوَ أَمْرٌ اسْتِحْسَانِيٌّ ، إِذْ لَا مَانِعَ عَقْلًا مِنْ أَنْ تُعَدَّ كُلُّ مَسْأَلَةٍ عِلْمًا بِرَأْسِهِ ، وَتُفْرَدَ بِالتَّعْلِيمِ ؛ وَلَا مِنْ أَنْ تُعَدَّ مَسَائِلُ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مُتَشَارِكَةٍ فِي مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ – سَوَاءٌ كَانَتْ مُتَنَاسِبَةً مِنْ وَجْهٍ آخَرَ أَوْ لَا – عِلْمًا وَاحِدًا، وَتُفْرَدَ بِالتَّدْوِينِ » . اِنْتَهَى .

… …

قَالَ الْمُحَقِّقُ الصَّبَّانُ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى [مَلَّوِي السُّلَّمِ] :

« مَوْضُوعُ الْعِلْمِ : مَا يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ عَوَارِضِهِ الذَّاتِيَّةِ ، كَبَدَنِ الْإِنْسَانِ لِعِلْمِ الطِّبِّ ، فَإِنَّهُ يُبْحَثُ فِيهِ عَمَّا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الصِّحَّةُ وَالْمَرَضُ ؛ وَكَالْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ لِعِلْمِ النَّحْوِ ، فَإِنَّهُ يُبْحَثُ فِيهِ عَمَّا يَعْرِضُ لَهَا مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابُ وَالْبِنَاءُ .

وَالْعَوَارِضُ الذَّاتِيَّةُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

١ – مَا يَلْحَقُ الشَّيْءَ لِذَاتِهِ؛ كَالتَّعَجُّبِ ، **أَيْ** : إِدْرَاكُ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْخَفِيَّةِ السَّبَبِ اللَّاحِقِ لِلْإِنْسَانِ لِذَاتِهِ .

٢ – وَمَا يَلْحَقُ الشَّيْءَ لِجُزْئِهِ ، كَالْحَرَكَةِ بِالْإِرَادَةِ اللَّاحِقَةِ لِلْإِنْسَانِ بِوَاسِطَةِ أَنَّهُ حَيَوَانٌ .

٣ – وَمَا يَلْحَقُ الشَّيْءَ لِخَارِجٍ عَنْهُ مُسَاوٍ ، كَالضَّحِكِ اللَّاحِقِ لِلْإِنْسَانِ بِوَاسِطَةِ أَنَّهُ مُتَعَجِّبٌ ، فَإِنَّ الْمُتَعَجِّبَ مُسَاوٍ لِلْإِنْسَانِ ، إِذْ لَا يُوجَدُ فَرْدٌ مِنْهُ لَا يَتَعَجَّبُ ، فَإِنَّهُ يَعْرِضُ لِلْأَطْفَالِ فِي الْمَهْدِ ، وَلِذَا يَضْحَكُونَ .

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الثَّلَاثَةُ أَعْرَاضًا ذَاتِيَّةً لِاسْتِنَادِهَا إِلَى ذَاتِ الْمَعْرُوضِ ، **أَيْ** : نِسْبَتِهَا إِلَى ذَاتِهِ نِسْبَةً قَوِيَّةً ؛

أَمَّا الْأَوَّلُ : فَظَاهِرٌ .

وَأَمَّا الثَّانِي : فَلِأَنَّ الْجُزْءَ دَاخِلٌ فِي الذَّاتِ ؛ وَالْمُسْتَنِدُ إِلَى مَا فِي الذَّاتِ مُسْتَنِدٌ إِلَى الذَّاتِ فِي الْجُمْلَةِ ، **أَيْ** : بِاعْتِبَارِ بَعْضِ أَجْزَائِهَا .

وَأَمَّا الثَّالِثُ : فَلِأَنَّ الْمُسَاوِيَ مُسْتَنِدٌ إِلَى ذَاتِ الْمَعْرُوضِ ، وَالْمُسْتَنِدُ إِلَى الْمُسْتَنِدِ إِلَى شَيْءٍ مُسْتَنِدٌ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ ؛ فَيَكُونُ الْعَارِضُ أَيْضًا مُسْتَنِدًا إِلَى الذَّاتِ .

وَالِاحْتِرَازُ بِـ " الذَّاتِيَّةِ " عَنِ الْعَوَارِضِ الْغَرِيبَةِ ؛ وَهِيَ أَيْضًا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

١ – مَا يَعْرِضُ لِلشَّيْءِ لِخَارِجٍ عَنْهُ أَعَمَّ مُطْلَقًا مِنْهُ، كَالْحَرَكَةِ اللَّاحِقَةِ لِلْأَبْيَضِ بِوَاسِطَةِ أَنَّهُ جِسْمٌ ، فَإِنَّ الْجِسْمَ خَارِجٌ عَنْ مَفْهُومِ الْأَبْيَضِ ، إِذْ مَفْهُومُهُ : شَيْءٌ ثَبَتَ لَهُ الْبَيَاضُ ؛ وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْأَبْيَضِ .

٢ – وَمَا يَعْرِضُ لَهُ لِخَارِجٍ عَنْهُ أَخَصَّ مُطْلَقًا، كَالضَّحِكِ الْعَارِضِ لِلْحَيَوَانِ بِوَاسِطَةِ أَنَّهُ إِنْسَانٌ ، وَإِنْ كَانَ عُرُوضُهُ لِلْإِنْسَانِ بِوَاسِطَةِ التَّعَجُّبِ .

٣ – وَمَا يَعْرِضُ لَهُ لِخَارِجٍ عَنْهُ مُبَايِنٍ ، كَالْحَرَارَةِ الْعَارِضَةِ لِلْمَاءِ بِسَبَبِ النَّارِ ؛ لَكِنَّ التَّمْثِيلَ بِهَذَا الْمِثَالِ تَخْيِيلٌ ، لِأَنَّ النَّارَ لَيْسَتْ وَاسِطَةً فِي الْعُرُوضِ ، بَلْ فِي الثُّبُوتِ ، إِذِ الْحَرَارَةُ الْقَائِمَةُ بِالْمَاءِ غَيْرُ الْحَرَارَةِ الْقَائِمَةِ بِالنَّارِ ؛

وَالتَّمْثِيلُ الصَّحِيحُ : كَاللَّوْنِ الْعَارِضِ لِلْجِسْمِ بِوَاسِطَةِ السَّطْحِ ، كَمَا فِي شَرْحِ [الْمَطَالِعِ] .

زَادَ بَعْضُهُمْ رَابِعًا :

٤ – وَهُوَ مَا يَعْرِضُ لَهُ لِخَارِجٍ عَنْهُ أَعَمَّ مِنْ وَجْهٍ ، كَالضَّحِكِ الْعَارِضِ لِلْأَبْيَضِ بِوَاسِطَةِ أَنَّهُ إِنْسَانٌ ، وَكَتَفْرِيقِ الْبَصَرِ الْعَارِضِ لِلثَّوْبِ بِوَاسِطَةِ أَنَّهُ أَبْيَضُ » . اِنْتَهَى .

... ...

وَقَوْلُهُ : ((تَلَا)) **أَيْ** : تَبِعَ . تَكْمِلَةٌ لِلْبَيْتِ .

((وَ)) عِلْمًا بِـ ((وَاضِعِ)) لِلْفَنِّ الَّذِي أَرَادَهُ ، لِأَنَّ مَعْرِفَتَهُ مِمَّا لَهُ دَخْلٌ فِي دَوَاعِي الْإِقْبَالِ .
((وَ)) عِلْمًا بِـ ((نِسْبَةٍ)) بَيْنَ الْفَنِّ الَّذِي رَامَهُ وَسَائِرِ الْفُنُونِ ، لِأَنَّ بِمَعْرِفَتِهَا يُطَّلَعُ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ الْمَطْلُوبَ يُسْتَمَدُّ مِنْ عِلْمٍ آخَرَ ، فَيَكُونُ الْآخَرُ أَعْلَى ؛ أَوْ يُسْتَمَدُّ مِنْهُ، فَيَكُونُ الْآخَرُ أَسْفَلَ . وَكُلُّ عِلْمٍ كَانَتْ مَسَائِلُهُ الْمَطْلُوبَةُ فِيهِ بِالْبُرْهَانِ مَبَادِيَ عِلْمٍ آخَرَ تُؤْخَذُ مِنْهُ مُسَلَّمَةً فَيَتَوَقَّفُ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ سُمِّيَ الْأَوَّلُ أَعْلَى وَكُلِّيًّا لِلثَّانِي ، وَالثَّانِي أَسْفَلَ وَجُزْئِيًّا لِلْأَوَّلِ ؛ كَعِلْمِ الْحِسَابِ مَعَ عِلْمِ الْفَرَائِضِ، وَكَالْمَنْطِقِ مَعَ الْكَلَامِ. فَلَوْ تَوَقَّفَ عِلْمٌ عَلَى ثَانٍ ، وَثَانٍ عَلَى ثَالِثٍ : كَانَ الْمُتَوَسِّطُ أَعْلَى وَكُلِّيًّا بِاعْتِبَارِ مَا تَحْتَهُ ؛ وَأَسْفَلَ وَجُزْئِيًّا بِاعْتِبَارِ مَا فَوْقَهُ ؛ كَعِلْمِ الْبَيَانِ يَتَوَقَّفُ عَلَى النَّحْوِ ، فَيَكُونُ أَسْفَلَ وَجُزْئِيًّا لِلنَّحْوِ ، لِأَنَّ مَسَائِلَ النَّحْوِ تُؤْخَذُ فِي الْبَيَانِ مُسَلَّمَةً ، وَتَنْبَنِي عَلَيْهَا مَسَائِلُ الْبَيَانِ . وَيَتَوَقَّفُ عَلَى التَّفْسِيرِ، فَيَكُونُ عِلْمُ الْبَيَانِ أَعْلَى وَكُلِّيًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى التَّفْسِيرِ . وَالْمُرَادُ بِـ " الْبَيَانِ " : مَا يَشْمَلُ الْمَعَانِيَ . أَفَادَهُ ابْنُ كِيرَانَ .

((وَ)) عِلْمًا بِـ ((مَا)) **أَيِ** : الشَّيْءِ الَّذِي ((اسْتَمَدَّ)) الْوَاضِعُ الْفَنَّ الَّذِي رَامَهُ ((مِنْهُ)) – عَائِدُ ((مَا)) – ، لِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَرَاتِبَ الْعُلُومِ ، فَيَطَّلِعُ مَا حَقُّهُ أَنْ يُقَدَّمَ فِي الطَّلَبِ وَمَا حَقُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ ، وَهُوَ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ مَسَائِلُهُ مِنْ أُمُورٍ تَصَوُّرِيَّةٍ أَوْ تَصْدِيقِيَّةٍ ؛ **فَالتَّصَوُّرِيَّةُ** : حُدُودُ أَشْيَاءَ تُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ ، وَيَكْثُرُ دَوْرُهَا فِيهِ ، وَبِهَا يُتَصَرَّفُ فِي مَسَائِلِهِ . مِثَالُهَا فِي الْعِلْمِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ : حَدُّ الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ، وَالْوَاجِبِ ، وَالْمُسْتَحِيلِ ، وَالْجَائِزِ ، وَالْجَوْهَرِ ، وَالْعَرَضِ ، وَالْقَدِيمِ ، وَالْحَادِثِ ، وَالْعَالَمِ ، وَالْأَزَلِ ، وَمَا لَا يَزَالُ ... وَنَحْوِ ذَلِكَ .
وَالتَّصْدِيقِيَّةُ : قَضَايَا يَتَأَلَّفُ مِنْهَا أَقْيِسَةٌ مُنْتِجَةٌ لِمَسَائِلِ الْعِلْمِ ، وَهِيَ :

١ – إِمَّا ضَرُورِيَّةٌ :

وَهِيَ الْمَبَادِي عَلَى الْإِطْلَاقِ ، لِأَنَّهُ يُبَرْهَنُ بِهَا فِي كُلِّ عِلْمٍ ، كَقَوْلِكَ : " النَّقِيضَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ " ، وَ" الضِّدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَقَدْ يَرْتَفِعَانِ " ، وَ" الْكُلُّ أَعْظَمُ مِنْ جُزْئِهِ " .
٢ – وَإِمَّا نَظَرِيَّةٌ :

لَكِنْ تُؤْخَذُ مُسَلَّمَةً عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ يُبَرْهَنَ عَلَيْهَا فِي عِلْمٍ آخَرَ ، فَتَكُونَ مَسَائِلَ لَهُ، وَمَبَادِيَ لِهَذَا .
مِثَالُهَا فِيمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ : قَوْلُنَا : مَا ثَبَتَ قِدَمُهُ اسْتَحَالَ عَدَمُهُ، وَالْعَرَضُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ، وَلَا يَقُومُ بِالْعَرَضِ ، وَلَا بِمَحَلَّيْنِ ، وَالْمَعْدُومُ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَيَمْتَنِعُ تَدَاخُلُ الْأَجْسَامِ ، وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ

… …

وَمَسَائِلِ الْمَنْطِقِ ، فَإِنَّهَا اسْتِمْدَادٌ لِهَذَا الْعِلْمِ . أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كِيرَانَ .

((وَ)) عِلْمًا بِـ ((**فَضْلِهِ**)) **أَيْ** : شَرَفِ الْفَنِّ الَّذِي رَامَهُ ، لِأَنَّ مَعْرِفَتَهُ مِنْ دَوَاعِي الْإِقْبَالِ وَنَشَاطِ الطَّالِبِ ، فَيَسْهُلَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ .

قَالَ فِي [الْمَوَاقِفِ] وَشَرْحِهَا :

« (**الْمَقْصِدُ الرَّابِعُ**) : مَرْتَبَتُهُ ، **أَيْ** : شَرَفُهُ :

وَإِنَّمَا وَجَبَ تَقْدِيمُ مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ الَّذِي يَطْلُبُ أَنْ يَشْرَعَ فِيهِ ، لِيَعْرِفَ قَدْرَهُ وَرُتْبَتَهُ فِيمَا بَيْنَ الْعُلُومِ ، فَيُوَفِّيَ حَقَّهُ مِنَ الْجِدِّ وَالِاعْتِنَاءِ فِي اكْتِسَابِهِ وَاقْتِنَائِهِ » . اهـ .

((وَ)) عِلْمًا بِـ ((**حُكْمٍ**)) شَرْعِيٍّ، لِلِاشْتِغَالِ بِالْفَنِّ الَّذِي رَامَهُ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ مَعَ جَهْلِهِ رُبَّمَا يَقَعُ فِي مَمْنُوعٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ، فَإِذَا عَلِمَ الْحُكْمَ أَحْجَمَ . أَوْ يُعْرِضُ عَنْ وَاجِبٍ أَوْ مَنْدُوبٍ ، فَإِذَا عَلِمَهُ أَقْدَمَ وَازْدَادَ نَشَاطًا وَرَغْبَةً .

وَقَوْلُهُ : ((**يُعْتَمَدْ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْمِيمِ . تَكْمِلَةٌ لِلْبَيْتِ .

((وَ)) عِلْمًا بِـ ((**اسْمٍ**)) لِلْفَنِّ الَّذِي رَامَهُ، لِأَنَّ مَا لَا يُعْرَفُ اسْمُهُ قَالُوا : لَا يَحْسُنُ طَلَبُهُ ، إِذْ بِالِاسْمِ يَتَأَتَّى الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُسَمَّى وَالْإِخْبَارُ بِهِ .

قَالَ فِي [الْمَوَاقِفِ] وَشَرْحِهَا :

« (**الْمَقْصِدُ السَّادِسُ**) : تَسْمِيَتُهُ :

وَإِنَّمَا وَجَبَ تَقْدِيمُهَا لِأَنَّ فِي بَيَانِ تَسْمِيَةِ الْعِلْمِ الَّذِي يُتَوَجَّهُ إِلَى تَحْصِيلِهِ مَزِيدَ اطِّلَاعٍ عَلَى حَالَةٍ تُفْضِي الطَّالِبَ – مَعَ مَا سَبَقَ – إِلَى كَمَالِ اسْتِبْصَارِهِ فِي شَأْنِهِ » . اهـ .

((وَ)) عِلْمًا بِـ ((**مَا**)) **أَيِ** : الشَّيْءِ الَّذِي ((**أَفَادَ**)) **هُ** الْفَنُّ الَّذِي رَامَهُ ، لِأَنَّ الْبَحْثَ مَعَ جَهْلِ الْفَائِدَةِ عَبَثٌ وَضَلَالٌ ، وَمَعَ عِلْمِهَا جِدٌّ وَنَشَاطٌ إِنْ كَانَتْ مُهِمَّةً .

قَالَ فِي [الْمَوَاقِفِ] وَشَرْحِهَا :

« (**الْمَقْصِدُ الثَّالِثُ**) : فَائِدَتُهُ :

وَإِنَّمَا وَجَبَ تَقْدِيمُ فَائِدَةِ الْعِلْمِ الَّذِي يُرَادُ أَنْ يُشْرَعَ فِيهِ ، دَفْعًا لِلْعَبَثِ، فَإِنَّ الطَّالِبَ إِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ فِيهِ فَائِدَةً أَصْلًا لَمْ يُتَصَوَّرْ مِنْهُ الشُّرُوعُ فِيهِ قَطْعًا – وَذَلِكَ لِظُهُورِهِ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ – ؛ وَإِنِ اعْتَقَدَ فِيهِ فَائِدَةً غَيْرَ مَا هِيَ

.. ..

فَائِدَتُهُ أَمْكَنَهُ الشُّرُوعُ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَا اعْتَقَدَهُ ، بَلْ مَا هُوَ فَائِدَتُهُ ، وَرُبَّمَا لَمْ تَكُنْ مُوَافِقَةً لِغَرَضِهِ ، فَيَعُدْ سَعْيُهُ فِي تَحْصِيلِهِ عَبَثًا عُرْفًا ، وَلِيَزْدَادَ عَطْفٌ على دفعا رَغْبَةً فِيهِ ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْعِلْمُ مُهِمًّا لِلطَّالِبِ بِسَبَبِ فَائِدَتِهِ الَّتِي عَرَفَهَا، فَيُوَفِّيهِ حَقَّهُ مِنَ الجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ فِي تَحْصِيلِهِ بِحَسَبِ تِلْكَ الْفَائِدَةِ » . اِهَ .

((**وَ**)) عِلْمًا بِـ ((**بالْمَسَائِلْ**)) لِلْفَنِّ الَّذِي رَامَهُ .

قَالَ فِي شَرْحِ [الْمَوَاقِفِ] :

« وَإِنَّمَا وَجَبَ تَقْدِيمُ الْإِشَارَةِ الْإِجْمَالِيَّةِ إِلَى مَسَائِلِ الْعِلْمِ الَّذِي يُطْلَبُ الشُّرُوعُ فِيهِ ، لِيَتَنَبَّهَ الطَّالِبُ عَلَى مَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَطَالِبِ تَنْبِيهًا مُوجِبًا لِمَزِيدِ اسْتِبْصَارِهِ فِي طَلَبِهَا » . اِهَ .

((**فَتِلْكَ**)) الْمَذْكُورَاتُ الَّتِي تُعْلَمُ أَوَّلًا ((**عَشْرٌ لِـ**)) بإِدْرَاكِ ((**الْمُنَى**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ؛ **أَيْ** : مَا يَتَمَنَّاهُ رَائِمُ الْفَنِّ ؛ صِلَةُ ((**وَسَائِلْ**)) إِذْ بِعِلْمِهَا يَكُونُ ذَلِكَ الرَّائِمُ عَلَى كَمَالِ بَصِيرَةٍ فِيمَا رَامَهُ ، وَيَتَمَيَّزُ لَهُ عَنْ غَيْرِهِ بِحَيْثُ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ .

((**وَبَعْضُهُمْ**)) **أَيِ** : الْعُلَمَاءُ ((**مِنْهَا**)) **أَيِ** : الْعَشَرَةِ، حَالٌ مِنَ " الْبَعْضِ " ((**عَلَى الْبَعْضِ**)) صِلَةُ

((**اقْتَصَرْ**)) ، **وَالْبَعْضُ الْمُقْتَصَرُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ** :

١ – الْحَدُّ

٢ – وَالْمَوْضُوعُ

٣ – وَالْفَائِدَةُ .

لِأَنَّ الشُّرُوعَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى بَصِيرَةٍ مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهَا كَمَا سَبَقَ إِيضَاحُهُ .

((**وَمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ اِسْمُ شَرْطٍ ؛ **أَيْ** : أَيُّ شَخْصٍ ((**يَكُنْ يَدْرِي**)) **أَيْ** : يَعْرِفُ ((**جَمِيعَهَا**)) **أَيِ** : الْعَشَرَةَ ((**انْتَصَرْ**)) **أَيْ** : فَاقَ وَزَادَ عَلَى مَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِهَا ، لِأَنَّ شُرُوعَهُ حِينَئِذٍ فِيمَا رَامَهُ يَكُونُ عَلَى كَمَالِ الْبَصِيرَةِ كَمَا سَبَقَ .

١ – أَمَّا حَدُّهُ :

فَهُوَ : « عِلْمٌ بِأَحْكَامِ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ ، وَصِدْقِهِمْ فِي جَمِيعِ أَخْبَارِهِمْ ، وَمَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ شَيْءٌ

.. ..

مِنْ ذَلِكَ خَاصًّا بِهِ ، وَعِلْمُ أَدِلَّتِهَا بِقُوَّةٍ هِيَ مَظِنَّةٌ لِرَدِّ الشُّبُهَاتِ ، وَحَلِّ الشُّكُوكِ » .
أَفَادَهُ الْإِمَامُ ابْنُ عَرَفَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَقَوْلُهُ : " عِلْمٌ " جِنْسٌ شَمِلَ عِلْمَ الْكَلَامِ وَغَيْرَهُ مِنَ الْعُلُومِ .
يُطْلَقُ عَلَى :
أَ– الْقَوَاعِدِ الْمُدَوَّنَةِ .
بَ – وَعَلَى إِدْرَاكِهَا .
جَ – وَعَلَى الْمَلَكَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْهُ .

وَالْمُنَاسِبُ هُنَا : الْمَعْنَى الْأَوَّلُ .

وَقَوْلُهُ : " بِأَحْكَامِ " بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ؛ جَمْعُ " حُكْمٍ " ؛ وَإِضَافَتُهُ فَصْلٌ مُخْرِجٌ سَائِرَ الْعُلُومِ ؛ وَالْأَحْكَامُ : النِّسَبُ التَّامَّةُ ؛ وَالْبَاءُ لِلْمُلَابَسَةِ ، مِنْ مُلَابَسَةِ الْمُتَعَلِّقِ – بِكَسْرِ اللَّامِ – لِلْمُتَعَلَّقِ – بِفَتْحِهَا – .

وَالْمُرَادُ بِـ " أَحْكَامِ الْأُلُوهِيَّةِ " : الْأَحْكَامُ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا وَاقْتَضَتْهَا الْأُلُوهِيَّةُ ، مِثْلُ نِسْبَةِ الْوُجُودِ ، وَالْقِدَمِ ، وَالْبَقَاءِ ، وَسَائِرِ الصِّفَاتِ .

وَقَوْلُهُ : " وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ " عَطْفٌ عَلَى " الْأُلُوهِيَّةِ " ؛ **أَيْ** : وَعِلْمٌ بِأَحْكَامِ إِرْسَالِ الرُّسُلِ ؛ **أَيِ** : الْأَحْكَامِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الْإِرْسَالُ مِنْ وُجُوبِ الصِّدْقِ ، وَالْأَمَانَةِ ، وَالتَّبْلِيغِ ، وَسَائِرِ الصِّفَاتِ .

فَإِنْ قِيلَ : فَعَلَى هَذَا ، لَا حَاجَةَ لِقَوْلِهِ : " وَصِدْقِهِمْ " ؟ .
قِيلَ : صَرَّحَ بِهِ وَإِنْ دَخَلَ فِي الْإِرْسَالِ لِيُرَتِّبَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ : " فِي جَمِيعِ ... " إِلَخْ .

وَقَوْلُهُ : " وَصِدْقِهِمْ " **أَيِ** : الرُّسُلِ ؛ وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَنْبِيَاءَ إِمَّا لِأَنَّهُ مَشَى عَلَى تَرَادُفِهِمَا ، وَإِمَّا لِاخْتِصَاصِ الرُّسُلِ بِوُجُوبِ التَّبْلِيغِ .
وَقَوْلُهُ : " فِي جَمِيعِ أَخْبَارِهِمْ " **أَيْ** : سَوَاءٌ كَانَتْ مُتَعَاقِبَةً بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ أَمْ لَا .
وَقَوْلُهُ : " وَمَا يَتَوَقَّفُ " **أَيْ** : شَيْءٍ ، أَوِ الشَّيْءِ الَّذِي . عَطْفٌ عَلَى " أَحْكَامِ " .
وَقَوْلُهُ : " مِنْ ذَلِكَ " **أَيْ** : أَحْكَامُ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ بَيَانُ شَيْءٍ .

... ...

وَقَوْلُهُ : " خَاصًّا " حَالٌ مِنْ " مَا " .

وَقَوْلُهُ : " بِهِ " **أَيِ** : الشَّيْءِ الْمُتَوَقِّفِ .

وَالْمُرَادُ بِمَا يَتَوَقَّفُ الشَّيْءُ عَلَيْهِ : حُدُوثُ الْعَالَمِ أَوْ إِمْكَانُهُ مَثَلًا .

فَالْمَعْنَى : وَالْعِلْمُ بِثُبُوتِ حُدُوثِ الْعَالَمِ ، أَوْ إِمْكَانُهُ الَّذِي يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ ثُبُوتُ بَعْضِ الْأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ ، كَثُبُوتِ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ؛ وَثُبُوتِ بَعْضِ أَحْكَامِ الرِّسَالَةِ ، كَثُبُوتِ صِدْقِ الرُّسُلِ فِي أَخْبَارِهِمُ الدَّالَّةِ عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ .

وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ : " خَاصًّا بِهِ " عِلْمُ الْمَنْطِقِ ، فَإِنَّهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى أَحْكَامِ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَأَحْكَامِ الرِّسَالَةِ ، وَلَيْسَ خَاصًّا بِهَا ، بَلْ يَجْرِي فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ .

وَالْمُرَادُ بِأَحْكَامِ الْأُلُوهِيَّةِ ، وَأَحْكَامِ الرِّسَالَةِ : الْأَحْكَامُ الَّتِي دَلِيلُهَا عَقْلِيٌّ ، كَالْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ ، وَصِدْقِ الرُّسُلِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ .
لَا مَا دَلِيلُهُ سَمْعِيٌّ ، كَالسَّمْعِ ، وَالْعِصْمَةِ .

وَقَوْلُهُ : " وَعِلْمُ " عَطْفٌ عَلَى " عِلْمٌ " .

وَقَوْلُهُ : " أَدِلَّتِهَا " أَيِ: الْأَحْكَامِ .

وَقَوْلُهُ : " بِقُوَّةٍ " حَالٌ مِنْ " عِلْمُ " ؛ **أَيْ** : حَالَ كَوْنِهِ مُلْتَبِسًا بِقُوَّةٍ .

مَثَلًا : الْعَالَمُ حَادِثٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَهُ مُحْدِثٌ .

نَتِيجَتُهُ : الْعَالَمُ لَهُ مُحْدِثٌ .

فَإِنْ أُورِدَتْ شُبْهَةٌ عَلَى صُغْرَاهُ أَوْ كُبْرَاهُ ، وَرَدَّهَا مُقَرِّرُهُ كَانَ عِنْدَهُ قُوَّةٌ عَلَى تَقْرِيرِ الدَّلِيلِ وَرَدِّ شُبْهَتِهِ ، وَإِلَّا فَلَا يُسَمَّى عَارِفًا عِلْمَ الْكَلَامِ إِلَّا مَنْ فِيهِ قُوَّةٌ عَلَى تَقْرِيرِ الْأَدِلَّةِ وَرَدِّ شُبَهِهَا .

وَقَوْلُهُ : " هِيَ " **أَيِ** : الْقُوَّةُ .

وَقَوْلُهُ : " مَظِنَّةٌ " **أَيْ** : مَحَلُّ وَسَبَبُ الظَّنِّ .

وَقَوْلُهُ : " الشُّبُهَاتِ " بِضَمِّ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ؛ جَمْعُ " شُبْهَةٍ "؛ **أَيْ** : مَا يُظَنُّ دَلِيلًا وَلَيْسَ بِدَلِيلٍ ؛ **أَيِ** : الشُّبَهُ الْوَارِدَةُ عَلَى الْأَدِلَّةِ .

وَقَوْلُهُ : " وَحَلِّ " بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ اللَّامِ ؛ أَيْ: إِبْطَالِ .

وَقَوْلُهُ : " الشُّكُوكِ " بِضَمِّ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، جَمْعُ " شَكٍّ "، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّشْكِيكُ .

مَثَلًا : الْعَالَمُ حَادِثٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَهُ مُحْدِثٌ .

.. ..

يُنْتِجُ : الْعَالَمُ لَهُ مُحْدِثٌ .

فَإِنْ قَالَ فَلْسَفِيٌّ : لَا أُسَلِّمُ أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ ، بَلْ هُوَ قَدِيمٌ ، وَأَيُّ مَانِعٍ مِنْ قِدَمِهِ ؟! .

فَقَوْلُهُ هَذَا لَيْسَ شُبْهَةً ، وَلَكِنَّهُ أَوْجَبَ شَكًّا ؛ فَلَا يُسَمَّى عَالِمًا بِعِلْمِ الْكَلَامِ إِلَّا مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى حَلِّ تَشْكِيكِهِ .

وَهَذَا الْحَدُّ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَرَفَةَ لِهَذَا الْعِلْمِ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ لَمْ يَكْتَفِ فِي الْعَقَائِدِ بِالتَّقْلِيدِ ؛ وَأَرَادَ تَعْرِيفَ الْقَدْرَ الْوَاجِبَ مَعْرِفَتُهُ مِنْهُ وَلَوْ كِفَايَةً .

وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ لَمْ يَكْتَفِ بِهِ فِيهَا وَأَرَادَ تَعْرِيفَ الْقَدْرَ الْوَاجِبَ مَعْرِفَتُهُ عَيْنًا مِنْهُ فَيُحَدُّ بِأَنَّهُ :

" الْعِلْمُ بِالْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ عَنِ الْأَدِلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ ". كَذَا عَرَّفَهُ فِي [الْمَقَاصِدِ] .

وَقَوْلُهُ : " الْعِلْمُ " **أَيْ** : مُطْلَقُ الْإِدْرَاكِ ، بِدَلِيلِ مَا يَأْتِي مِنَ الْفُصُولِ .

جِنْسٌ شَمِلَ عِلْمَ الْكَلَامِ وَبَاقِيَ الْعُلُومِ .

وَقَوْلُهُ : " بِالْعَقَائِدِ " فَصْلٌ مُخْرِجٌ الْعِلْمَ بِغَيْرِهَا .

وَقَوْلُهُ : " الدِّينِيَّةِ " **أَي** : الْمَنْسُوبَةِ إِلَى دِينِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَصْلٌ مُخْرِجٌ الْعِلْمَ بِالْعَقَائِدِ غَيْرِ الدِّينِيَّةِ .

وَقَوْلُهُ : " عَنِ الْأَدِلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ " فَصْلٌ مُخْرِجٌ التَّقْلِيدَ ، وَالظَّنَّ ، وَالشَّكَّ، وَالْوَهْمَ .

قَالَ فِي [شَرْحُ الْمَقَاصِدِ] :

« وَاعْتَبَرُوا فِي أَدِلَّتِهَا الْيَقِينَ ، لِأَنَّهُ لَا عِبْرَةَ بِالظَّنِّ فِي الِاعْتِقَادِيَّاتِ، بَلْ فِي الْعَمَلِيَّاتِ ؛ فَظَهَرَ أَنَّهُ : " الْعِلْمُ بِالْقَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ الْمُكْتَسَبُ مِنْ أَدِلَّتِهَا الْيَقِينِيَّةِ " ؛ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ — **أَي** : الْمَنْسُوبَةُ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سَوَاءٌ تَوَقَّفَ عَلَى الشَّرْعِ أَمْ لَا ، وَسَوَاءٌ كَانَ مِنَ الدِّينِ فِي الْوَاقِعِ – كَكَلَامِ أَهْلِ الْحَقِّ – أَمْ لَا – كَكَلَامِ الْمُخَالِفِينَ – ؛ وَصَارَ قَوْلُنَا : " هُوَ الْعِلْمُ بِالْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ عَنِ الْأَدِلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ " مُنَاسِبًا لِقَوْلِهِمْ فِي الْفِقْهِ : " إِنَّهُ الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ عَنْ أَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ "؛ وَمُوَافِقًا لِمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ عُظَمَاءِ الْمِلَّةِ أَنَّ الْفِقْهَ : مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا ؛ وَأَنَّ مَا يَتَعَلَّقُ مِنْهَا بِالِاعْتِقَادِيَّاتِ هُوَ (الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ) .

وَخَرَجَ الْعِلْمُ بِغَيْرِ الشَّرْعِيَّاتِ ، وَبِالشَّرْعِيَّاتِ الْفَرْعِيَّةِ ، وَعِلْمُ اللهِ تَعَالَى ، وَعِلْمُ الرَّسُولِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِالِاعْتِقَادِيَّاتِ ؛ وَكَذَا اعْتِقَادُ الْمُقَلِّدِ فِيمَنْ يُسَمِّيهِ عِلْمًا ؛ وَدَخَلَ عِلْمُ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ بِذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَلَامٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُسَمَّى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِهَذَا الِاسْمِ ؛ كَمَا أَنَّ عِلْمَهُمْ بِالْعَمَلِيَّاتِ فِقْهٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ هَذَا التَّدْوِينُ وَالتَّرْتِيبُ ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِجَمِيعِ الْعَقَائِدِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، مُكْتَسَبًا مِنَ النَّظَرِ فِي الْأَدِلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ ، أَوْ كَانَ مَلَكَةً يَتَعَلَّقُ بِهَا ، بِأَنْ

.. ..

يَكُونَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَأْخَذِ وَالشَّرَائِطِ مَا يَكْفِيهِمْ فِي اسْتِحْضَارِ الْعَقَائِدِ عَلَى مَا هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِنَا : " الْعِلْمُ بِالْعَقَائِدِ عَنِ الْأَدِلَّةِ ... " » . اِنْتَهَى .

وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَكْتَفِي بِهِ فِيهَا فَيُحَدُّ –كَمَا فِي [نِقَايَةُ الْعُلُومِ] لِلسُّيُوطِيِّ – بِأَنَّهُ :
" عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ – يَعْنِي يُعَيَّنُ فِيهِ مَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ – فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى ، وَفِي حَقِّ رُسُلِهِ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَإِنْ لَمْ تُذْكَرْ بَرَاهِينُ ذَلِكَ ؛ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْوَاجِبُ اعْتِقَادُهُ مِمَّا يَقْدَحُ الْجَهْلُ بِهِ فِي الْإِيمَانِ، كَمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَصِفَاتِهِ الثُّبُوتِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ، وَأَحْكَامِ الرِّسَالَةِ ، وَأُمُورِ الْمَعَادِ ، أَمْ كَانَ مِمَّا لَا يَضُرُّ جَهْلُهُ، كَتَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ السُّبْكِيُّ أَنَّهُ لَوْ مَكَثَ الْإِنْسَانُ مُدَّةَ عُمُرِهِ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ تَفْضِيلُ النَّبِيِّ عَلَى الْمَلَكِ لَمْ يَسْأَلْهُ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ .
فَظَهَرَ لَكَ أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ ، وَأَنَّ اخْتِلَافَ الْحُدُودِ لِاخْتِلَافِ الْمَحْدُودِ .
وَنَبَّهْنَا عَلَى ذَلِكَ دَفْعًا لِحَيْرَةِ الْوَاقِفِ عَلَى حُدُودِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ .
أَفَادَهُ ابْنُ كِيرَانَ بِزِيَادَةٍ وَتَصَرُّفٍ .

٢ – وَأَمَّا مَوْضُوعُهُ :
فَهُوَ : " مَاهِيَّاتُ الْمُمْكِنَاتِ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ خَالِقِهَا وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ " .
أَفَادَهُ فِي شَرْحِ [الْكُبْرَى] .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الصَّاوِيُّ فِي حَاشِيَةِ [الْخَرِيدَةِ] :
« قَوْلُهُ : " **وَقِيلَ** : الْمُمْكِنَاتُ " **أَيْ** : **قِيلَ** : إِنَّ مَوْضُوعَ هَذَا الْعِلْمِ الْمُمْكِنَاتُ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا عَلَى مُوجِدِهَا ، وَاتِّصَافِهِ بِالصِّفَاتِ الْكَمَالِيَّةِ وَالتَّنْزِيهِيَّةِ ؛ وَبَيَانُ كَوْنِ الْمُمْكِنَاتِ مَوْضُوعًا أَنْ تَقُولَ : الْمُمْكِنَاتُ حَادِثَةٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَهُ مُحْدِثٌ ، ثُمَّ هَذَا الْمُحْدِثُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا قَدِيمًا ... إِلَى آخِرِ الصِّفَاتِ ". اِنْتَهَى .

وَقَوْلُ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ :
" مَاهِيَّاتُ " **أَيْ** : حَقِيقِيَّاتُ .
وَقَوْلُهُ : " الْمُمْكِنَاتِ " **أَيِ** : الْجَائِزَاتِ .
وَقَوْلُهُ : " مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهَا " **أَيِ** : الْمُمْكِنَاتُ .
اِعْلَمْ أَنَّ الْمُمْكِنَ : مَا يُصَحِّحُ الْعَقْلُ وُجُودَهُ وَعَدَمَهُ ، سَوَاءٌ وُجِدَ أَمْ لَا ؛
وَالْحَادِثُ : مَا وُجِدَ بَعْدَ عَدَمٍ . فَالْمُمْكِنُ أَعَمُّ مِنَ الْحَادِثِ

... ...

وَأَرَادَ بِـ " الْمُمْكِنَاتِ " : الْحَادِثَاتِ ، لِأَنَّهَا الَّتِي يُبْحَثُ عَنْ عَوَارِضِهَا الذَّاتِيَّةِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ، سَوَاءٌ كَانَتْ جَوَاهِرَ ، أَوْ أَعْرَاضًا .

وَوَجْهُ دَلَالَةِ الْحَادِثَاتِ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ مُحْدِثِهَا ، وَصِفَاتِهِ ، وَأَفْعَالِهِ: اِفْتِقَارُهَا إِلَيْهِ ، لِكَوْنِهَا آثَارَهُ ، وَالْأَثَرُ يَدُلُّ عَلَى مُؤَثِّرِهِ .

وَافْتِقَارُهَا : **قِيلَ** : مِنْ جِهَةِ حُدُوثِهَا ؛ **وَقِيلَ** : مِنْ جِهَةِ إِمْكَانِهَا ؛ **وَقِيلَ** : مِنْ جِهَتِهِمَا مَعًا ؛ **وَقِيلَ** : مِنْ جِهَةِ الْحُدُوثِ بِشَرْطِ الْإِمْكَانِ ؛ وَقِيلَ بِالْعَكْسِ .

وَلَعَلَّهُ عَبَّرَ بِـ " الْمُمْكِنَاتِ " إِشَارَةً لِاعْتِمَادِهِ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْإِمْكَانِ .

وَالْحَقُّ أَنَّهَا كُلَّهَا طُرُقٌ مُوَصِّلَةٌ لِلْعِلْمِ بِوُجُوبِ وُجُودِ صَانِعِهَا ، وَصِفَاتِهِ ، وَأَفْعَالِهِ .

وَقِيلَ : مَوْضُوعُهُ: مُطْلَقُ الْمَوْجُودِ، قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَادِثًا.

وَقِيلَ : **مَوْضُوعُهُ** : ذَاتُ اللهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الْكَمَالِيَّةِ وَالتَّنْزِيهِيَّةِ ، بِأَنْ تُجْعَلَ ذَاتُ الْإِلَهِ مَوْضُوعًا، وَتُحْمَلَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ ، بِحَيْثُ تَقُولُ : ذَاتُ الْإِلَهِ يَجِبُ لَهَا الْوُجُودُ، وَالْقِدَمُ ، وَالْقُدْرَةُ ... إِلَى آخِرِهَا .

فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِـ " الْمَوْضُوعِ " الْمُصْطَلَحَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ، الْمُعَبَّرَ عَنْهُ بِـ " الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ " عِنْدَ الْبَيَانِيِّينَ، وَبِـ " الْمُبْتَدَإِ " عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ .

فَمَوْضُوعُ كُلِّ فَنٍّ : مَا يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ عَوَارِضِهِ الذَّاتِيَّةِ . وَإِنْ كَانَ التَّعْبِيرُ بِـ " الْعَوَارِضِ " فِي هَذَا الْفَنِّ تَسَمُّحًا ، إِذِ الْمُرَادُ مِنْهَا هُنَا صِفَاتُهُ تَعَالَى ، وَيَسْتَحِيلُ وَصْفُهَا بِالْعَوَارِضِ ، إِذْ هِيَ مِنْ سِمَاتِ الْحَوَادِثِ ، وَهِيَ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى ذَاتِهِ تَعَالَى وَعَلَى صِفَاتِهِ » .

اِنْتَهَى مِنْ حَاشِيَةِ الْعَلَّامَةِ الصَّاوِيِّ عَلَى [الْخَرِيدَةِ] .

قَالَ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ الْجَوهَرِيُّ فِي شَرْحِ [مُنْقِذَةُ الْعَبِيدِ] لِوَالِدِهِ مَا نَصُّهُ :

« وَذَهَبَ الْقَاضِي الْأُرْمَوِيُّ – مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ – إِلَى أَنَّ مَوْضُوعَهُ : ذَاتُ اللهِ وَحْدَهُ ، لِأَنَّهُ يُبْحَثُ عَنْ صِفَاتِهِ الثُّبُوتِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ ، وَأَفْعَالِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، كَكَيْفِيَّةِ صُدُورِ الْعَالَمِ عَنْهُ بِالِاخْتِيَارِ ، وَكَيْفِيَّةِ نِظَامِهِ بِالْبَحْثِ عَنِ النُّبُوَّاتِ وَمَا يَتْبَعُهَا ؛ أَوْ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ ، كَمَبْحَثِ الْمَعَادِ وَسَائِرِ السَّمْعِيَّاتِ ؛ فَيَكُونُ الْكَلَامُ هُوَ : الْعِلْمُ الْبَاحِثُ عَنْ أَحْوَالِ الصَّانِعِ مِنْ صِفَاتِهِ الثُّبُوتِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ ، وَأَفْعَالِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَتَبِعَهُ صَاحِبُ [الصَّحَائِفُ] ، إِلَّا أَنَّهُ زَادَ ، فَجَعَلَ الْمَوْضُوعَ : ذَاتُ اللهِ مِنْ حَيْثُ هِيَ ، وَذَاتُ الْمُمْكِنَاتِ مِنْ حَيْثُ اسْتِنَادُهَا إِلَيْهِ ، لِمَا أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ أَوْصَافٍ ذَاتِيَّةٍ لَهُ تَعَالَى ، وَأَوْصَافٍ ذَاتِيَّةٍ لِلْمُمْكِنَاتِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ تَعَالَى ؛ وَجِهَةُ الْوَحْدَةِ هِيَ الْوُجُودُ » . اهـ .

وَقِيلَ مَوْضُوعُهُ : الْمَعْلُومَاتُ ، مَوْجُودَةً أَوْ مَعْدُومَةً .

فَيَشْمَلُ الْوَاجِبَاتِ ، وَالْجَائِزَاتِلا، وَالْمُسْتَحِيلَاتِلا؛ بِحَيْثُ تَقُولُلا: الصِّفَاتُ الْوَاجِبَةُ ثَابِتَةٌ لِلّٰهِ .
وَتَقُولُ فِي الْجَائِزَاتِ : الْمُمْكِنَاتُ حَادِثَةٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ .
ثُمَّ نَنْقُلُ الْكَلَامَ إِلَى الْمُحْدِثِ مِنْ حَيْثُ وُجُودُهُ وَقِدَمُهُ ... إلَخ .
وَتَقُولُ فِي الْمُسْتَحِيلَاتِ : النَّقْصُ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَعَالَى ... وَهَكَذَا .
وَهَذَا الْقَوْلُ أَرْجَحُ ، لِأَنَّهُ يَشْمَلُ الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ ، وَيَشْمَلُ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ ؛ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالرُّسُلِ مِنْ وَاجِبٍ ، وَجَائِزٍ ، وَمُسْتَحِيلٍ ؛ وَيَشْمَلُ أَيْضًا الْمَسْمُوعَاتِ مِنَ الْبَعْثِ وَالنَّشْرِ وَالْحَشْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ .
كَذَا فِي حَاشِيَةِ الْعَارِفِ الصّاوِيِّ عَلَى شَرْحِ [الْخَرِيدَةِ] نَاقِلًا لَهُ عَنْ تَقْرِيرِ مُؤَلِّفِهِ .

قَالَ الْعَارِفُ الدَّرْدِيرُ فِي شَرْحِهِ عَلَى مَنْظُومَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ ابْنِ سَيِّدِي مُصْطَفَى الْبَكْرِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُمْ :

« وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ مَوْضُوعَهُ : الْمَعْلُومَاتُ الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا مَا تَصِيرُ مَعَهُ عَقِيدَةٌ دِينِيَّةٌ ، أَوْ مَبْدَأٌ لِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمُشَاهَدِ ، هَلْ هُوَ حَادِثٌ ؟ ، فَإِذَا ثَبَتَ بِالْبُرْهَانِ حُدُوثُهُ عُلِمَ أَنَّ لَهُ مُحْدِثًا أَحْدَثَهُ . نَعَمْ ، يُبْحَثُ فِيهِ عَمَّا يَجِبُ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَمَا يَمْتَنِعُ ، وَمَا يَجُوزُ ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بَحْثٌ عَنْ أَحْوَالِ الْمَعْلُومِ .

فَإِذَا قِيلَ : الْبَارِي مَوْجُودٌ أَوْ قَدِيمٌ ؛ أَوْ كُلٌّ مِنَ الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ حَادِثٌ ؛ أَوْ إِعَادَةُ الْجِسْمِ بَعْدَ فَنَائِهِ حَقٌّ ؛ وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ حَقٌّ ، وَمَا قَالُوهُ حَقٌّ : فَقَدْ حَمَلَ عَلَى الْمَعْلُومِ مَا صَارَ بِهِ عَقِيدَةً دِينِيَّةً .

وَإِذَا قِيلَ : الْجِسْمُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْفَرْدَةِ مَثَلًا، فَقَدْ حَمَلَ عَلَى الْمَعْلُومِ مَا صَارَ مَعَهُ مَبْدَأً لِعَقِيدَةٍ دِينِيَّةٍ ، فَإِنَّ تَرَكُّبَ الْجِسْمِ دَلِيلٌ عَلَى افْتِقَارِهِ ، لِمُوجِدٍ يُخَصِّصُهُ » . اهـ . رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى .

٣ – وَأَمَّا وَاضِعُهُ :

فَهُوَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَى رُسُلِهِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنِ كِيرَانَ :

« وَوَاضِعُ هَذَا الْعِلْمِ – بِحَسَبِ الْأَصْلِ – اللّٰهُ وَرَسُولُهُ ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، وَحَدِيثَ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ قَدِ اشْتَمَلَا عَلَى بَيَانِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾** ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وَأَمَّا الَّذِي تَصَدَّى لِتَحْرِيرِ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَتَلْخِيصِهَا ، وَدَفْعِ الشُّكُوكِ وَالشُّبَهِ عَنْهَا ، وَإِبْطَالِ دَعْوَى الْخُصُومِ ، وَجَعْلِ ذَلِكَ عِلْمًا مُفْرَدًا بِالتَّدْوِينِ : فَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ؛ وَمِنْ ثَمَّ جَعَلَهُ صَاحِبُ [مُحَصِّلُ الْمَقَاصِدِ] وَغَيْرُهُ وَاضِعًا لِهَذَا الْفَنِّ » . اِنْتَهَى .

… ..

قَالَ سَيِّدِي حَمْدُونَ بْنُ الْحَاجِّ فِي أُرْجُوزَتِهِ فِي التَّوْحِيدِ :

« وَاضِعُهُ هُوَ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِي أَتَى بِهِ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ بَرِي
أَمَرَهُ بِهِ الرَّسُولُ رُؤْيَا فَكَانَ أَحْسَنَ الْأَنَامِ رَأْيَا » . اهـ .

وَانْظُرْ كِتَابَنَا : (فَتْحُ الْعَلِيِّ الْمَالِكِ فِي الْفَتْوَى عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ) .

٤ – وَأَمَّا نِسْبَتُهُ لِسَائِرِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ :
فَهُوَ أَصْلُهَا .

قَالَ الْيُوسِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى [الْكُبْرَى] :
« وَأَمَّا نِسْبَةُ هَذَا الْعِلْمِ مِنَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ –كَالتَّفْسِيرِ ، وَالْحَدِيثِ ، وَالْأُصُولِ ، وَالْفِقْهِ – فَهُوَ كُلِّيٌّ لَهَا ، وَهِيَ لَهُ جُزْئِيَّاتٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُفَسِّرَ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ فَقَطْ ، وَالْمُحَدِّثُ فِي السُّنَّةِ فَقَطْ ، وَالْأُصُولِيُّ فِي الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ فَقَطْ ، وَالْفَقِيهُ فِي فِعْلِ الْمُكَلَّفِ فَقَطْ ؛ وَالْمُتَكَلِّمُ يَنْظُرُ فِي الْأَعَمِّ ، وَهُوَ الْمَوْجُودُ ، فَيُقَسِّمُهُ إِلَى قَدِيمٍ وَإِلَى حَادِثٍ ؛ وَيُقَسِّمُ الْحَادِثَ إِلَى قَائِمٍ بِنَفْسِهِ – وَهُوَ الْجَوْهَرُ – ، وَقَائِمٍ بِغَيْرِهِ – وَهُوَ الْعَرَضُ – ؛ وَيَنْقَسِمُ الْعَرَضُ إِلَى مَا تُشْتَرَطُ فِيهِ الْحَيَاةُ ، كَالْعِلْمِ؛ وَمَا لَا، كَالْبَيَاضِ ؛ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي الْقَدِيمِ ، فَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا تَكَثُّرَ فِي ذَاتِهِ ، وَلَا يَتَرَكَّبُ ، وَأَنَّهُ تَجِبُ لَهُ صِفَاتٌ ، وَتَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ صِفَاتٌ ، وَتَجُوزُ فِي حَقِّهِ أَحْكَامٌ ، وَأَنَّ الْفِعْلَ جَائِزٌ فِي حَقِّهِ ، وَأَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ حَادِثٌ مِنْ صُنْعِهِ ، وَأَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ بَعْثَ الرُّسُلِ مِنْ أَفْعَالِهِ الْجَائِزَاتِ ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى تَصْدِيقِهِمْ بِالْمُعْجِزَاتِ ، وَأَنَّهُ وَقَعَ هَذَا الْجَائِزُ ؛ وَحِينَئِذٍ يَنْقَطِعُ حُكْمُ الْعَقْلِ ، وَيَتَلَقَّى مِنَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَا يَرِدُ مِنْهُ مِنْ قَوْلٍ ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ .
فَإِذَا بَيَّنَ الْمُتَكَلِّمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَرِدُ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ حَقٌّ : أَخَذَ الْمُفَسِّرُ وَاحِدًا مِنْ هَذَا الْوَارِدِ – وَهُوَ الْقُرْءَانُ – فَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ .

وَأَخَذَ الْمُحَدِّثُ وَاحِدًا فَقَطْ، وَهُوَ الْحَدِيثُ . وَأَخَذَ الْأُصُولِيُّ وَاحِدًا فَقَطْ، وَهُوَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ . وَأَخَذَ الْفَقِيهُ وَاحِدًا فَقَطْ، وَهُوَ فِعْلُ الْمُكَلَّفِ مِنْ نِسْبَتِهِ إِلَى الْفِعْلِ الشَّرْعِيِّ .
وَهَذِهِ كُلُّهَا إِنَّمَا تَثْبُتُ بِعِلْمِ الْكَلَامِ ، فَهُوَ كُلِّيٌّ لَهَا ؛ وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ مَا ذَكَرْنَا إِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْمَوْضُوعَاتِ ، لَا الْفُنُونِ أَنْفُسِهَا ، وَلَكِنَّهَا تُوصَفُ بِحَسَبِ مَوْضُوعَاتِهَا » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

… …

---

٥ – وَأَمَّا اسْتِمْدَادُهُ :

فَمِنَ الْبَرَاهِينِ الْيَقِينِيَّةِ ، وَالْقَوَاطِعِ النَّقْلِيَّةِ .

٦ – وَأَمَّا فَضْلُهُ :

فَهُوَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَفْضَلُهَا ، إِذْ مَعْلُومُهُ أَشْرَفُ الْمَعْلُومَاتِ ، وَالْعِلْمُ تَابِعٌ لِمَعْلُومِهِ فِي الشَّرَفِ .

قَالَ الرَّمَاصِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [أُمُّ الْبَرَاهِينِ] :

« **وَأَمَّا فَضِيلَتُهُ :**

فَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْغَرَضَ الْأَهَمَّ ، وَالْمَقْصُودَ الْأَعْظَمَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ مَعْرِفَةُ ذَاتِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ ، وَكَيْفِيَّةِ أَفْعَالِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى أَشْرَفُ الْمَعْلُومَاتِ ، فَهُوَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ ، وَالْأَدِلَّةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيهِ قَطْعِيَّةٌ ، وَفِي غَيْرِهِ ظَنِّيَّةٌ ، وَالسَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِهِ ، وَلِأَنَّ الْخَطَأَ فِيهِ مُوجِبٌ لِلْكُفْرِ وَالْبِدَعِ ، فَيَكُونُ إِصَابَةُ الْحَقِّ فِيهِ مُوجِبًا لِلْخُلُودِ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، وَلِأَنَّ سَائِرَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ لَا تُرَادُ لِنَفْسِهَا ، وَإِنَّمَا تُرَادُ لِلْعَمَلِ بِهَا ؛ وَالْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ تُرَادُ لِنَفْسِهَا –كَالْعِلْمِ بِاللهِ تَعَالَى – ، وَمَا يُرَادُ لِنَفْسِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يُرَادُ لِغَيْرِهِ ، وَلِأَنَّ سَائِرَ الْعُلُومِ يَنْقَطِعُ بِفَنَاءِ الْمُكَلَّفِ ، وَعِلْمُ التَّوْحِيدِ لَا يَنْقَطِعُ، بَلْ يَزْدَادُ وُضُوحًا ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ ضَرُورِيًّا بَعْدَمَا كَانَ كَسْبِيًّا ، وَلِأَنَّهُ أَصْلٌ لِلْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ .

وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِهِ ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ** ﴾

[آل عمران : ١٨ » . اهـ .

قَالَ صَاحِبُ [التَّذْكِرَةُ] :

« وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْمُرَادَ هُنَا بِـ " أُولِي الْعِلْمِ " : الْعُلَمَاءُ بِالتَّوْحِيدِ ، فَفَضْلُهُمْ بِهَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّهُ جَمَعَهُمْ مَعَ نَفْسِهِ، وَأَنْبِيَائِهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ؛ وَهَذَا غَايَةٌ فِي الْفَضْلِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ ؛ وَرُوِيَ عَنْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : " يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الزَّائِغِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ " .

وَانْتِحَالُ الْمُبْطِلِ ، وَتَحْرِيفُ الزَّائِغِ إِنَّمَا يَنْدَفِعُ بِإِبْطَالِ الشُّبَهِ ، وَذَلِكَ صَنْعَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ .

وَرُوِيَ عَنْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : " يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْعِلْمُ بِاللهِ تَعَالَى ".

وَفِي الْخَبَرِ : " إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – : يَا دَاوُودُ ، تَعَلَّمِ الْعِلْمَ النَّافِعَ . فَقَالَ : يَا إِلَهِي ، وَمَا الْعِلْمُ النَّافِعُ ؟ . فَقَالَ : أَنْ تَعْرِفَ جَلَالِي وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيَائِي وَكَمَالَ قُدْرَتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُقَرِّبُكَ إِلَيَّ » . اهـ .

... ...

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ أَيْضًا كَمَا فِي [الْيُوسِيِّ] :

« قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ؛
وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يَسْتَلْزِمُ الْخَشْيَةَ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ،
وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بَعْدَ اسْتِدْلَالِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) عَلَى حُدُوثِ الْعَالَمِ بِمُلَازَمَتِهِ التَّغَيُّرَاتِ ، وَأَنْ لَا بُدَّ لِجَمِيعِهِ مِنْ مُخْتَرِعٍ مُدَبِّرٍ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَلَا تَحِلُّ بِهِ الْحَوَادِثُ – : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ [الأنعام: ٨٣] ، فَأَضَافَ تِلْكَ الْحُجَّةَ إِلَى نَفْسِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – إِضَافَةَ تَشْرِيفٍ ، وَحَكَمَ بِرَفْعِهِ دَرَجَاتٍ ، وَفَتَحَ لَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ بِبَرَاهِينِهِ الْعَقْلِيَّةِ ؛ وَقَدْ أَمَرَنَا –عَزَّ وَجَلَّ – بِالِاقْتِدَاءِ بِخَلِيلِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٣]
وَلَا شَكَّ أَنَّ أَئِمَّةَ أَهْلِ السُّنَّةِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – اقْتَدَوْا بِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَفَازُوا بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ ، وَنَيْلِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» . اهـ .

٧ – وَأَمَّا حُكْمُهُ :
فَهُوَ الْوُجُوبُ الْعَيْنِيُّ فِيمَا يَخْرُجُ بِهِ الْمُكَلَّفُ مِنَ التَّقْلِيدِ .
وَالْكِفَائِيُّ فِيمَا تَرِدُ بِهِ الشُّبَهُ ، وَتُزَاحُ بِهِ الشُّكُوكُ .

فِي السُّحَيْمِيِّ :

« وَهُوَ أَوَّلُ عِلْمٍ يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ فِي قَبْرِهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : " تَعَلَّمُوا حُجَّتَكُمْ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ » . اهـ .

وَفِي ابْنِ كِيرَانَ :
« **وَحُكْمُ الشَّارِعِ فِي هَذَا الْعِلْمِ** :
قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ :
(**الْأُولَى**) : مَا يُتَعَرَّضُ فِيهِ لِبَيَانِ الْعَقَائِدِ فَقَطْ ، مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ بَرَاهِينِهَا ، كَعَقَائِدِ [رِسَالَةُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ] ، وَ[جَمْعُ الْجَوَامِعِ] ، وَ[النَّسَفِيَّةُ] ؛ وَمَعْرِفَةُ هَذَا الْقَدْرِ وَاجِبَةٌ عَيْنًا إِجْمَاعًا .
(**الثَّانِيَةُ**) : مَا يُتَعَرَّضُ فِيهِ لِبَيَانِ كُلِّ عَقِيدَةٍ بِبُرْهَانِهَا الْعَقْلِيِّ وَالسَّمْعِيِّ فِيمَا يُقْبَلُ فِيهِ ، كَعَقَائِدِ النَّاظِمِ ، وَ[صُغْرَى السَّنُوسِيِّ] وَنَحْوِهِمَا ؛ وَمَعْرِفَةُ هَذَا الْقَدْرِ وَاجِبَةٌ عَيْنًا بِحَسَبِ الْوُسْعِ وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْأَدِلَّةُ عَلَى طَرِيقِ

… …

الْمُتَكَلِّمِينَ عِنْدَ مَنْ لَا يَكْتَفِي فِي الْإِيمَانِ بِالتَّقْلِيدِ ، وَعِنْدَ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ الْمُقَلِّدَ مُؤْمِنٌ عَاصٍ .

وَكِفَايَةٌ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ الْمُقَلِّدَ مُؤْمِنٌ غَيْرُ عَاصٍ ، بَلْ نَفَى ابْنُ رُشْدٍ الْوُجُوبَ الْكِفَائِيَّ أَيْضًا ، وَقَالَ : إِنَّ النَّظَرَ وَمَعْرِفَةَ الْبَرَاهِينِ إِنَّمَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ .

وَقِيلَ : هَذَا الْقَدْرُ حَرَامٌ ، لِأَنَّهُ مَظِنَّةُ الْوُقُوعِ فِي الشُّبَهِ وَالضَّلَالِ ، لِاخْتِلَافِ الْأَذْهَانِ وَالْأَنْظَارِ ، بِخِلَافِ التَّقْلِيدِ ، فَيَجِبُ .

قَالَهُ الْمَحَلِّيُّ .

(**الثَّالِثَةُ**) : مَا يُتَعَرَّضُ فِيهِ لِمَذَاهِبِ الضَّالِّينَ ، وَتَقْرِيرِ شُبَهِهِمْ وَتَشْكِيكَاتِهِمْ ، وَرَدِّهَا وَحَلِّهَا ، وَمُنَاظَرَاتِهِمْ ، وَإِبْطَالِ دَعَاوِيهِمْ ؛ كَكُتُبِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ، وَ[طَوَالِعُ الْبَيْضَاوِيِّ] ، وَ [مَوَاقِفُ الْعَضُدِ] ، وَيَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ [مَقَاصِدُ السَّعْدِ] ، وَ[كُبْرَى السَّنُوسِيِّ] ؛ فَهَذَا الْقَدْرُ لَا قَائِلَ بِوُجُوبِهِ عَلَى الْأَعْيَانِ ؛ وَاخْتُلِفَ فِي الْوُجُوبِ الْكِفَائِيِّ : فَنَقَلَ ابْنُ عَرَفَةَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى أَهْلِ كُلِّ قُطْرٍ يَشُقُّ الْوُصُولُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .

وَحَرَّمَهُ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ ، بَلْ نَسَبَ السُّيُوطِيُّ حُرْمَتَهُ لِإِجْمَاعِ السَّلَفِ ، قَالَ : وَمِنْ كَلَامِ الشَّافِعِيِّ فِيهِ : لَأَنْ يَلْقَى اللهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ .

وَنَقَلَ الشَّيْخُ زَرُّوقٌ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ : النَّاظِرُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ كَالنَّاظِرِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ ، كُلَّمَا ازْدَادَ نَظَرًا ازْدَادَ عَمًى .

وَأَشَارَ الْمَحَلِّيُّ إِلَى مَحْمَلِ نَهْيِ السَّلَفِ عَنْ ذَلِكَ : عَلَى مَنْ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْضِ فِيهِ الْوُقُوعُ فِي الشُّبَهِ وَالضَّلَالِ .

وَمَحْمَلُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ فَرْضُ كِفَايَةٍ : عَلَى حَقِّ الْمُتَأَهِّلِينَ ، ذَوِي الْأَذْهَانِ السَّلِيمَةِ ؛ وَيَكْفِي قِيَامُ بَعْضِهِمْ بِهِ ؛ وَعَلَى هَذَا فَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى .

وَعَلَيْكَ بِهَذَا التَّحْرِيرِ فَلَعَلَّكَ لَا تَظْفَرُ بِهِ هَكَذَا ، لَكِنَّهُ مُحَصَّلُ كَلَامِهِمْ؛ وَانْظُرْ حَاشِيَةَ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ بَنَّانِيٌّ عَلَى الزَّرْقَانِيِّ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ تَرْشَدْ » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

٨ – وَأَمَّا اسْمُهُ :

فَـ : أُصُولُ الدِّينِ ، وَعِلْمُ التَّوْحِيدِ ، وَعِلْمُ الْعَقَائِدِ ، وَعِلْمُ الْكَلَامِ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا وَجْهَ تَسْمِيَتِهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ قَوْلِ النَّاظِمِ :

١٢ – … … … … … … … … …   وَالْأَوَّلُ الْكَــــــلَامُ مُسْــــــتَدْنِي الْأَمَـــــلْ

فَانْظُرْهُ .

... ...

٩ – وَأَمَّا فَائِدَتُهُ :

فَهِيَ مَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَعْرِفَةُ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ ؛
وَبِهَا الْوُصُولُ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَالنِّعَمِ السَّرْمَدِيَّةِ .

قَالَ الْيُوسِيُّ :

« وَأَمَّا فَائِدَةُ هَذَا الْعِلْمِ : فَلَا يَخْفَى أَنَّ لَهُ فَوَائِدَ أُخْرَوِيَّةً : كَالسَّلَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْمُرَتَّبِ عَلَى الْكُفْرِ ، وَعَلَى الِاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ . وَدُنْيَوِيَّةً : كَرَفْعِ الْقَتْلِ ، وَانْتِظَامِ الْمَعَاشِ بِالْفِعْلِ ، وَرَفْعِ الْجَوْرِ وَالتَّظَالُمِ » . اهـ .

١٠ – وَأَمَّا مَسَائِلُهُ :

فَهِيَ الْقَضَايَا الْمُبَرْهَنُ عَلَيْهَا فِيهِ بِالْبَرَاهِينِ الْيَقِينِيَّةِ ، وَالْقَوَاطِعِ النَّقْلِيَّةِ .

قَالَ الْيُوسِيُّ :

« وَأَمَّا مَسَائِلُ هَذَا الْعِلْمِ فَهِيَ : الْقَضَايَا الْمُثْبَتَةُ فِيهِ ، إِمَّا بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ، كَثُبُوتِ الصَّانِعِ وَصِفَاتِهِ الْمُصَحِّحَةِ لِلْفِعْلِ ؛ وَإِمَّا بِالدَّلَائِلِ النَّقْلِيَّةِ ، كَالنَّشْرِ وَالْحَشْرِ .

وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمَسَائِلُ مَبَادِيَ لِمَسَائِلَ أُخْرَى ، كَمَبَاحِثِ النَّظَرِ ، وَمَبَاحِثِ الْمَعْدُومِ وَالْحَالِ .

وَقَيَّدَ فِي شَرْحِ [الْمَقَاصِدُ] الْقَضَايَا بِالنَّظَرِيَّةِ ، قَالَ : إِذْ لَمْ يَقَعْ خِلَافٌ فِي أَنَّ الْبَدِيهِيَّ لَا يَكُونُ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالْمطَالِبِ الْعِلْمِيَّةِ ، إِذْ لَا مَعْنًى لِلْمَسْئَلَةِ إِلَّا مَا يُسْأَلُ عَنْهُ وَيُطْلَبُ بِالدَّلِيلِ ؛ نَعَمْ، قَدْ يُورِدُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْحُكْمَ الْبَدِيهِيَّ، لِيُبَيِّنَ لِمِّيَّتَهُ ، وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ كَسْبِيٌّ لَا بَدِيهِيٌّ » . اهـ .
وَاللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَعْلَمُ .

****

[فَصْلٌ فِي الْحُكْمِ وَأَقْسَامِهِ]

٣٨ – فَـــالْحُكْمُ وَهْـــوَ النَّفْـــيُ وَالْإِثْبَـــاتُ   إِلَى ثَـــلَاثٍ قَسَّـــمَ الْأَثْبَـــاتُ
٣٩ – عَقْلِـــيٌّ اوْ عَـــادِيٌّ اوْ شَـــرْعِيُّ   وَهَهُنَـــا أَوَّلُهَـــا الْمَرْعِـــيُّ

[فَصْلٌ فِي] تَعْرِيفِ **[الْحُكْمِ وَأَقْسَامِهِ]**

((**فَالْحُكْمُ**)) بِضَمِّ الْحَاءِ ، وَسُكُونِ الْكَافِ ((**وَهْوَ**)) **أَيْ** : حَقِيقَتُهُ ((**النَّفْيُ**)) **أَيْ** : لِشَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ ، نَحْوُ : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لَا شَرِيكَ لَهُ .

((**وَالْإِثْبَاتُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : لِشَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ؛ نَحْوُ : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مَوْجُودٌ .

((**إِلَى ثَلَاثٍ**)) مِنَ الْأَقْسَامِ ، صِلَةُ ((**قَسَّمَ**)) بِفَتْحَاتٍ مُثَقَّلًا : الْعُلَمَاءُ ((**الْأَثْبَاتُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، جَمْعُ " ثَبَتٍ " ، وَهُوَ الثِّقَةُ الْعَدْلُ ؛ **أَيِ** : الثِّقَاتُ الْعُدُولُ .

حُكْمٌ ((**عَقْلِيٌّ**)) **أَيْ** : مَنْسُوبٌ لِلْعَقْلِ ، لِاسْتِنَادِهِ لَهُ ، وَحُصُولِهِ بِهِ ((**اوْ**)) حُكْمٌ ((**عَادِيٌّ**)) **أَيْ** : مَنْسُوبٌ لِلْعَادَةِ ، لِاسْتِنَادِهِ إِلَيْهَا ، وَحُصُولِهِ بِهَا ؛ ((**اوْ**)) حُكْمٌ ((**شَرْعِيُّ**)) **أَيْ** : مَنْسُوبٌ لِلشَّرْعِ ، لِاسْتِنَادِهِ لَهُ ، وَحُصُولِهِ بِهِ .

وَوَجْهُ حَصْرِهِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ :

أَنَّ الْحُكْمَ إِمَّا أَنْ يَفْتَقِرَ إِلَى وَضْعِ وَاضِعٍ ، أَوْ لَا .

الْأَوَّلُ الشَّرْعِيُّ . **وَالثَّانِي** إِمَّا أَنْ يَتَوَقَّفَ عَلَى تَكَرُّرٍ أَوْ لَا .

الْأَوَّلُ الْعَادِيُّ ، **وَالثَّانِي** الْعَقْلِيُّ .

وَإِنْ أَرَدتَّ اسْتِيفَاءَ الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَعَلَيْكَ بِ[الْمُقَدِّمَاتِ] وَشَرْحِهَا لِلْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ نَفَعَنَا اللهُ بِهِ .

((**وَهَهُنَا**)) **أَيْ** : فِي عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ ؛ صِلَةُ ((**الْمَرْعِيُّ**)) .

((**أَوَّلُهَا**)) **أَيِ** : الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ ، وَهُوَ الْعَقْلِيُّ ((**الْمَرْعِيُّ**)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ ، فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيِ** : الْمَقْصُودُ الْمُعْتَبَرُ ؛ وَهَذَا فِي الْعَقَائِدِ الَّتِي تَتَوَقَّفُ دَلَالَةُ الْمُعْجِزَةِ عَلَيْهَا ، كَوُجُودِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَحَيَاتِهِ، وَعِلْمِهِ ، وَإِرَادَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ .

وَأَمَّا الْعَقَائِدُ الَّتِي لَا تَتَوَقَّفُ دَلَالَةُ الْمُعْجِزَةِ عَلَيْهَا ، كَسَمْعِهِ ، وَبَصَرِهِ، وَكَلَامِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَالْبَعْثِ ، وَالنَّشْرِ ، وَالْجَنَّةِ : فَالْمُعْتَبَرُ فِيهَا الشَّرْعِيُّ .

****

[فَصْلٌ فِي الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ]

٤٠ – وَاعْلَمْ – هُدِيتَ – أَنَّ حُكْمَ الْعَقْلِ لَا	يَعْدُو ثَلَاثًا حَصْرُهَا قَدْ عُلِّلَا
٤١ – إِيجَابٌ اوْ تَجْوِيزٌ اوْ إِحَالَةْ	فَوَاجِبٌ لَا يَنْتَفِي بِحَالَةْ
٤٢ – أَيْ كُلُّ أَمْرٍ نَفْيُهُ لَا يُدْرَكُ	عَقْلًا وَسِرُّ بَدْئِهِ لَا يُتْرَكُ
٤٣ – لِكَوْنِهِ يُوصَفُ ذُو الْمِحَالِ	بِهِ ؛ وَعَكْسُهُ ادْعُ بِالْمُحَالِ
٤٤ – وَجَائِزٌ مَا صَحَّ فِي الْعَقْلِ اكْتِفَا	فِيهِ لَدَى حُكْمَيْ ثُبُوتٍ وَانْتِفَا
٤٥ – وَمَا دَعَوْا مِنْهَا ضَرُورِيًّا جَلِي	وَالنَّظَرِيُّ بَعْدَ فِكْرٍ يَنْجَلِي
٤٦ – فَلْتَعْرِفِ الْوَاجِبَ وَالْمُحَالَا	وَجَائِزًا فِي حَقِّهِ تَعَالَى
٤٧ – فَعِلْمُهَا فَرْضٌ عَلَيْنَا شَرْعَا	وَمِثْلُهَا فِي حَقِّ رُسْلٍ تُرْعَى

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ أَقْسَامِ **[الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ]**

((**وَاعْلَمْ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذَا النَّظْمِ ((**هُدِيتَ**)) بِضَمِّ الْهَاءِ ، وَكَسْرِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ التَّاءِ ؛ **أَيْ** : هَدَاكَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِكُلِّ خَيْرٍ . جُمْلَةٌ دُعَائِيَّةٌ .

وَمَفْعُولُ ((**اعْلَمْ**)) : ((**أَنَّ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ، وَشَدِّ النُّونِ ((**حُكْمَ الْعَقْلِ**)) **أَي** : الْحُكْمُ الْعَقْلِيُّ الْمَرْعِيُّ فِي هَذَا الْفَنِّ ((**لَا يَعْدُو**)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ، فَضَمٍّ ؛ **أَيْ** : لَا يَتَعَدَّى ، وَلَا يَتَجَاوَزُ أَقْسَامًا ((**ثَلَاثًا**)) ((**حَصْرُ**)) الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ فِي ((**هَا قَدْ عُلِّلَا**)) بِضَمِّ الْعَيْنِ، وَكَسْرِ اللَّامِ مُثَقَّلَةً ، وَالْأَلِفُ لِلْإِطْلَاقِ .

أَيْ : عَلَّلَهُ الْأَئِمَّةُ بِأَنَّ الْحُكْمَ إِمَّا :

١ – إِثْبَاتٌ لَا يَقْبَلُ النَّفْيَ

٢ – أَوْ نَفْيٌ لَا يَقْبَلُ الْإِثْبَاتَ

٣ – أَوْ أَحَدُهُمَا مَعَ قَبُولِ الْآخَرِ .

وَبَيَّنَ الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي انْحَصَرَ الْحُكْمُ الْعَقْلِيُّ فِيهَا بِقَوْلِهِ :

((**إِيجَابٌ اوْ تَجْوِيزٌ اوْ إِحَالَةْ**)) ؛ وَعَرَّفَهَا بِقَوْلِهِ ((**فَوَاجِبٌ**)) **أَيْ** : حَقِيقَتُهُ مَا ((**لَا يَنْتَفِي**)) **أَيْ** : لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِانْتِفَائِهِ ((**بِحَالَةْ**)) مِنَ الْأَحْوَالِ ؛ وَزَادَهُ بَيَانًا وَإِيضَاحًا بِقَوْلِهِ : ((**أَيْ كُلُّ أَمْرٍ**)) **أَيْ** : شَيْءٍ ((**نَفْيُهُ**)) **أَي** : انْتِفَاؤُهُ وَعَدَمُهُ ((**لَا يُدْرَكُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ، وَفَتْحِ الرَّاءِ ((**عَقْلًا**)) إِذْ نَفْيُهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَاجِبَ يَلْزَمُهُ الثُّبُوتُ، وَالنَّفْيُ ضِدُّهُ، فَيَكُونُ ثَابِتًا مَنْفِيًّا، وَهُوَ مُحَالٌ، فَمَا أَدَّى إِلَيْهِ مُحَالٌ أَيْضًا . ((**وَسِرُّ**)) بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : حِكْمَةُ وَعِلَّةُ ((**بَدْئِهِ**)) **أَيْ** : تَقْدِيمِ الْوَاجِبِ عَلَى الْمُحَالِ وَالْجَائِزِ فِي بَيَانِ أَقْسَامِ الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ ((**لَا يُتْرَكُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : لَا يَخْفَى ، وَلَا يُغْفَلُ عَنْهُ .

.. ..

وَصَرَّحَ بِسِرِّ بَدْئِهِ فَقَالَ : ((**لِكَوْنِهِ**)) **أَيِ** : الْوَاجِبُ ((**يُوصَفُ**)) اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**ذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**الْمِحَالِ**)) بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَإِهْمَالِ الْحَاءِ ؛ **أَيِ** : الْعَذَابُ ؛ وَصِلَةُ ((**يُوصَفُ**)) : ((**بِهِ**)) **أَيِ** : الْوَاجِبُ ؛ ((**وَعَكْسُهُ**)) **أَيِ** : الْوَاجِبُ ، وَهُوَ مَا لَا يَثْبُتُ بِحَالٍ ، **أَيْ** : مَا لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِثُبُوتِهِ ((**ادْعُ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الدَّالِ ؛ **أَيْ** : سَمِّ ((**بِالْمُحَالِ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ؛ فَحَقِيقَتُهُ : مَا لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِثُبُوتِهِ ، إِذْ ثُبُوتُهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ أَيْضًا ، إِذِ الْمُحَالُ يَلْزَمُهُ النَّفْيُ ، وَالثُّبُوتُ ضِدُّهُ ، فَيَكُونُ مَنْفِيًّا ثَابِتًا، وَهُوَ مُحَالٌ ، فَمَا أَدَّى إِلَيْهِ مُحَالٌ أَيْضًا .

((**وَجَائِزٌ**)) **أَيْ** : حَقِيقَتُهُ ((**مَا**)) **أَيْ** : شَيْءٌ ((**صَحَّ فِي الْعَقْلِ**)) ؛ وَفَاعِلُ ((**صَحَّ**)) : ((**اكْتِفَا**)) بِكَسْرِ التَّاءِ ((**فِيهِ**)) **أَيِ** : الْجَائِزِ ((**لَدَى**)) بِفَتْحِ اللَّامِ وَالدَّالِ ؛ **أَيْ** : عِنْدَ ((**حُكْمَيْ**)) بِضَمِّ الْحَاءِ، وَسُكُونِ الْكَافِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ، مُثَنَّى " حُكْمٌ " بِلَا نُونٍ، لِإِضَافَتِهِ لِـ ((**ثُبُوتٍ وَانْتِفَا**)) إِضَافَةُ بَيَانٍ؛ وَصِلَةُ ((**اكْتِفَا**)) مُقَدَّرَةٌ ، **أَيْ** بِأَحَدِهِمَا ؛ **أَيْ** : مَا يَكْتَفِي الْعَقْلُ عِنْدَ الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالثُّبُوتِ أَوِ النَّفْيِ بِأَحَدِهِمَا ، لِقَبُولِهِ إِيَّاهُمَا ، إِذْ لَا يَلْزَمُ مُحَالٌ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا .

وَبَيَّنَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ قِسْمَانِ :

١ – ضَرُورِيٌّ **٢** – وَنَظَرِيٌّ

بِقَوْلِهِ : ((**وَمَا**)) **أَيِ** : الْحُكْمُ الْعَقْلِيُّ الَّذِي ((**دَعَوْا**)) بِفَتْحِ الدَّالِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَيْنِ ؛ **أَيْ** : سَمَّاهُ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ حَالَ كَوْنِهِ((**مِنْهَا**)) **أَيِ** : الْوَاجِبِ ، وَالْمُحَالِ ، وَالْجَائِزِ . وَمَفْعُولُ ((**دَعَوْا**)) : ((**ضَرُورِيًّا**)) هُوَ حُكْمٌ

((**جَلِي**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ ؛ **أَيْ** : ظَاهِرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأَمُّلٍ، كَتَحَيُّزِ الْجِرْمِ ، وَاجْتِمَاعِ النَّقِيضَيْنِ ، وَتَحَرُّكِ الْجِرْمِ أَوْ سُكُونِهِ ((**وَ**)) الْحُكْمُ ((**النَّظَرِيُّ**)) مِنْهَا مَا ((**بَعْدَ فِكْرٍ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : تَفَكُّرٍ وَتَأَمُّلٍ ؛ صِلَةُ

((**يَنْجَلِي**)) **أَيْ** : يَتَّضِحُ وَيَظْهَرُ ، كَوُجُودِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَعَدَمِهِ ، وَفِعْلِهِ كُلَّ مُمْكِنٍ وَتَرْكِهِ .

وَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي انْحَصَرَ الْحُكْمُ الْعَقْلِيُّ فِيهَا ((**فَلْتَعْرِفِ**)) بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ . أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذَا النَّظْمِ . وَمَفْعُولُ ((**تَعْرِفْ**)) : ((**الْوَاجِبَ**)) عَقْلًا ((**وَ**)) تَعْرِفِ ((**جَائِزًا**)) عَقْلًا وَتَنَازُعَ الْوَاجِبِ ، وَالْمُحَالِ ، وَالْجَائِزِ ((**فِي حَقِّهِ**)) **أَيْ** : مَا اسْتَحَقَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَ((**تَعَالَى**)) مِنَ الصِّفَاتِ .

وَعَلَّلَ الْأَمْرَ بِمَعْرِفَةِ مَا ذُكِرَ بِقَوْلِهِ : ((**فَعِلْمُهَا**)) **أَيْ** : مَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَخَبَرُ ((**عِلْمُهَا**)) : ((**فَرْضٌ**)) بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : مَفْرُوضٌ وَوَاجِبٌ ((**عَلَيْنَا**)) مَعْشَرَ

.. ..

الْمُكَلَّفِينَ فَرْضًا عَيْنِيًّا بِالدَّلِيلِ الْإِجْمَالِيِّ ، وَكِفَائِيًّا بِالدَّلِيلِ التَّفْصِيلِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ بَسْطُهُ ((**شَرْعًا**)) **أَيْ** : بِالشَّرْعِ ، لَا بِالْعَقْلِ ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ .

((**وَمِثْلُهَا**)) **أَيِ** : الْوَاجِبُ ، وَالْمُحَالُ ، وَالْجَائِزُ ((**فِي حَقِّ رُسْلٍ**)) بِسُكُونِ السِّينِ لِلْوَزْنِ .
مِنَ اللهِ إِلَيْنَا فِي وُجُوبِ عِلْمِهَا عَلَيْنَا بِالشَّرْعِ ((**تُرْعَى**)) بِضَمٍّ ، فَسُكُونٍ ، فَفَتْحٍ ؛ **أَيْ** : تُحْتَرَمُ وَتُعَظَّمُ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

[تَنْبِيهَانِ]

(**الْأَوَّلُ**) :

يَنْقَسِمُ كُلٌّ مِنَ الْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحِيلِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

١ – **الْأَوَّلُ** : ذَاتِيٌّ مُطْلَقٌ .

٢ – **وَالثَّانِي** : ذَاتِيٌّ مُقَيَّدٌ .

٣ – **وَالثَّالِثُ** : عَرَضِيٌّ .

فَالْوُاجِبُ الذَّاتِيُّ الْمُطْلَقُ : كَذَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، سُمِّيَ ذَاتِيًّا لِأَنَّهُ وَاجِبٌ لِذَاتِهِ ، بِمَعْنَى أَنَّ وُجُوبَهُ لَيْسَ بِالنَّظَرِ لِغَيْرِهِ . وَمُطْلَقًا : لِأَنَّ وُجُوبَهُ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِشَيْءٍ .

وَالْمُسْتَحِيلُ الذَّاتِيُّ الْمُطْلَقُ : كَالشَّرِيكِ ، سُمِّيَ ذَاتِيًّا لِأَنَّ اسْتِحَالَتَهُ لِذَاتِهِ ، بِمَعْنَى لَيْسَتْ بِالنَّظَرِ لِغَيْرِهِ .

وَمُطْلَقًا : لِأَنَّهَا غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ بِشَيْءٍ .

وَالْوَاجِبُ الذَّاتِيُّ الْمُقَيَّدُ : كَتَحَيُّزِ الْجِرْمِ، وَسُمِّيَ ذَاتِيًّا لِأَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ بِالْمَعْنَى الَّذِي ذُكِرَ . وَمُقَيَّدًا : لِأَنَّ اسْتِحَالَتَهُ مُقَيَّدَةٌ بِوُجُودِ الْجِرْمِ .

وَالْوَاجِبُ الْعَرَضِيُّ : كَوُجُودِ زَيْدٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَلِمَ اللهُ وُجُودَهُ فِيهِ ؛ سُمِّيَ عَرَضِيًّا لِأَنَّ وُجُوبَهُ لَيْسَ لِذَاتِهِ ، بَلْ بِالنَّظَرِ لِتَعَلُّقِ عِلْمِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِوُجُودِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .

وَالْمُسْتَحِيلُ الْعَرَضِيُّ : كَوُجُودِ زَيْدٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَدَمَهُ فِيهِ ؛ سُمِّيَ عَرَضِيًّا لِأَنَّ اسْتِحَالَتَهُ لَيْسَتْ لِذَاتِهِ ، بَلْ بِالنَّظَرِ لِتَعَلُّقِ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى بِعَدَمِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .

(**الثَّانِي**) :

الْجَائِزُ يَنْقَسِمُ أَيْضًا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

١ – **الْأَوَّلُ** : الْمَقْطُوعُ بِوُجُودِهِ ؛ كَاتِّصَافِ الْجِرْمِ بِخُصُوصِ الْبَيَاضِ ، أَوِ السُّكُونِ ، أَوْ الْحَرَكَةِ كَالْفَلَكِ ، وَكَالْبَعْثِ ، وَالثَّوَابِ ، وَالْعِقَابِ ، وَكُفْرِ أَبَوَيْ جَهْلٍ وَلَهَبٍ ؛ وَهُوَ مِنَ الْوَاجِبِ الْعَرَضِيِّ الَّذِي عَلِمْنَا تَعَلُّقَ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى ،

[فَصْلٌ فِي أَوَّلِ وَاجِبٍ]

وَعِلْمُهُ بِوُقُوعِهِ دُونَ عَدَمِهِ .

٢ – الثَّانِي : الْمَقْطُوعُ بِعَدَمِهِ ؛ كَإِيمَانِ أَبَوَيْ جَهْلٍ وَلَهَبٍ ، وَدُخُولِ الْكَافِرِ الْجَنَّةَ ؛ وَهُوَ الْمُسْتَحِيلُ الْعَرَضِيُّ الَّذِي عَلِمْنَا تَعَلُّقَ الْمَشِيئَةِ بِعَدَمِهِ دُونَ وُقُوعِهِ .
٣ – الثَّالِثُ : الْمُحْتَمِلُ لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ ؛ وَهُوَ الَّذِي لَمْ نَطَّلِعْ عَلَى مَشِيئَةِ اللهِ فِيهِ ، كَقَبُولِ الطَّاعَاتِ مِنَّا ، وَفَوْزِنَا بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ ، وَسَلَامَتِنَا مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ .

وَهَذَا الْقِسْمُ أَيْضًا إِمَّا :

١ – وَاجِبٌ عَرَضِيٌّ

٢ – أَوْ مُحَالٌ عَرَضِيٌّ
لِأَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ تَعَالَى وَعِلْمَهُ إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَا بِوُقُوعِهِ : فَوَاجِبٌ .
أَوْ بِعَدَمِ وُقُوعِهِ : فَمُحَالٌ .
أَفَادَهُ ابْنُ كِيرَانَ .

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ [أَوَّلِ وَاجِبٍ] عَلَى الْمُكَلَّفِ

((**أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى**)) الشَّخْصِ ((**الْمُكَلَّفِ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْكَافِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ مَأْخُوذٌ مِنَ التَّكْلِيفِ ، وَهُوَ : إِلْزَامُ مَا فِيهِ كُلْفَةٌ ، أَوْ طَلَبُهُ . الْأَوَّلُ لِلْجُمْهُورِ ؛ وَالثَّانِي لِلْبَاقِلَّانِيِّ .
فَالْمَنْدُوبُ ، وَالْمَكْرُوهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِهِمَا عِنْدَ الْجُمْهُورِ ، خِلَافًا لِلْبَاقِلَّانِيِّ .
أَمَّا الْمُبَاحُ فَغَيْرُ مُكَلَّفٍ بِهِ بِلَا إِشْكَالٍ .
وَالْخِلَافُ فِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ ؛ أَمَّا اعْتِقَادُ الْوُجُوبِ ، وَالتَّحْرِيمِ ، وَالْكَرَاهَةِ ، وَالنَّدْبِ ، وَالْإِبَاحَةِ : فَوَاجِبٌ مُخَاطَبٌ بِهِ بِلَا نِزَاعٍ .

[فَائِدَةٌ]

نَقَلَ جَمَاعَةٌ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ أَنَّهُ قَالَ :
« إِنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ التَّكْلِيفِيَّةَ كَانَتْ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ بِالْبُلُوغِ ، بَلْ مُتَعَلِّقَةً بِالْقَادِرِ ، بَالِغًا كَانَ أَوْ لَا .

... ...

وَعَلَيْهِ خَرَّجُوا دَعْوَاهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى صَبِيٍّ مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ : " قَطَعَ صَلَاتَنَا ، قَطَعَ اللهُ أَثَرَهُ " فَأُقْعِدَ وَلَمْ يَقُمْ .

وَإِنَّمَا صَارَتْ مُقَيَّدَةً بِالْبُلُوغِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ؛ بَلْ قَالَ التَّقِيُّ السُّبْكِيُّ – وَوَافَقَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ شُرَّاحِ مُسْلِمٍ – :

" إِنَّمَا صَارَتْ مُقَيَّدَةً بِالْبُلُوغِ بَعْدَ أُحُدٍ » . اِنْتَهَى مِنْ شَرْحِ الْعَلَّامَةِ الرَّمَاصِيِّ عَلَى [أُمِّ الْبَرَاهِينِ] .

وَقَوْلُهُ : " الْأَوَّلُ " **أَي** : الْإِلْزَامُ . وَ" الثَّانِي " **أَي** : الطَّلَبُ .

وَقَوْلُهُ : " فَالْمَنْدُوبُ ، وَالْمَكْرُوهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ بِهِمَا ... " إِلَخْ .

قَالَ الْمُحَقِّقُ الْأَمِيرُ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ :

« قَوْلُهُ : " إِلْزَامٌ " لَا يَشْمَلُ النَّدْبَ وَالْكَرَاهَةَ ؛ وَفَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِالطَّلَبِ ، فَيَشْمَلُهُمَا ؛ وَعَلَى الْأَوَّلِ يَظْهَرُ مَا رَجَّحَهُ الْمَالِكِيَّةُ مِنْ تَعَلُّقِ النَّدْبِ وَالْكَرَاهَةِ بِالصَّبِيِّ، كَأَمْرِهِ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ مِنَ الشَّارِعِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْأَمْرِ أَمْرٌ .

وَأَمَّا الْإِبَاحَةُ : فَلَيْسَتْ تَكْلِيفًا عَلَيْهِمَا .

إِنْ قُلْتَ : كَيْفَ هَذَا ، مَعَ قَوْلِهِمْ :

الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ عَشَرَةٌ :

خَمْسَةٌ وَضْعٌ :

١ – السَّبَبُ ٢ – وَالشَّرْطُ ٣ – وَالْمَانِعُ ٤ – وَالصِّحَّةُ ٥ – وَالْفَسَادُ .

وَخَمْسَةٌ تَكْلِيفٌ :

١ – الْإِيجَابُ ٢ – وَالتَّحْرِيمُ ٣ – وَالنَّدْبُ ٤ – وَالْكَرَاهَةُ ٥ – وَالْإِبَاحَةُ ؟ .

قُلْتُ : إِمَّا إِنَّهُ تَغْلِيبٌ ؛ أَوْ أَنَّ مَعْنَى كَوْنِهَا مِنْ أَحْكَامِ التَّكْلِيفِ : أَنَّهَا لَا تَتَعَلَّقُ إِلَّا بِالْمُكَلَّفِ ، لِمَا صُرِّحَ بِهِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ مِنْ أَنَّ أَفْعَالَ الصَّبِيِّ وَنَحْوِهِ – كَالْبَهَائِمِ – مُهْمَلَةٌ ، وَلَا يُقَالُ : إِنَّهَا مُبَاحَةٌ ؛ **وَتَقْرِيبُهُ** : أَنَّ مَعْنَى " مُبَاحَةٌ " : لَا إِثْمَ فِي فِعْلِهَا وَلَا فِي تَرْكِهَا ؛ وَلَا يُنْفَى الشَّيْءُ إِلَّا حَيْثُ يَصِحُّ ثُبُوتُهُ » . اهـ .

وَالْمُكَلَّفُ هُوَ : الْبَالِغُ ، الْعَاقِلُ ، الَّذِي بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، سَلِيمُ الْحَوَاسِّ ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى ، حُرًّا أَوْ رِقًّا ، مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا ، إِنْسِيًّا أَوْ جِنِّيًّا عَلَى مَا حَكَى الْإِمَامُ السُّبْكِيُّ مِنَ الْإِجْمَاعِ عَلَى بِعْثَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِلْجِنِّ، خِلَافًا لِمَنْ وَهِمَ فِيهِ ؛ وَأَمَّا بَقِيَّةُ الرُّسُلِ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَلَمْ يُرْسَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَهُ الْكَعْبِيُّ ؛ وَلَا يُسْتَدَلُّ بِمَا فِي الْقُرْءَانِ مِنْ إِيمَانِهِمْ بِتَوْرَاةِ مُوسَى عَلَى إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ ، لِجَوَازِ تَبَرُّعِهِمْ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَكْلِيفٍ ؛ وَلَا يَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ فِي الْعُمُومِ .

قَالَ اللَّقَّانِيُّ فِي [عُمْدَةُ الْمُرِيدِ] :

« لِأَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ بِأَحْكَامِ الْأُلُوهِيَّةِ ضَرُورِيَّةٌ فِي حَقِّهِمْ ، فَلَا يُكَلَّفُونَ بِهَا وَلَوْ عَلَى الْقَوْلِ بِخِطَابِهِمْ بِأَحْكَامِ شَرِيعَتِنَا ،

... ...

إِذْ لَا تَكْلِيفَ إِلَّا بِفِعْلٍ اخْتِيَارِيٍّ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ » . اهـ .

وَيَدْخُلُ فِي الْإِنْسِ : يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، لِأَنَّهُمْ أَوْلَادُ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ **وَقِيلَ** : أَوْلَادُ آدَمَ مِنْ غَيْرِ حَوَاءَ ، بَلْ مِنَ احْتِلَامٍ . أَفَادَهُ الرَّمَاصِيُّ .

فَقَوْلُنَا: " الْبَالِغُ : اِحْتَرَزْنَا بِهِ مِنَ الصَّبِيِّ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ عَلَى الصَّحِيحِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
" رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ ... ". فَذَكَرَ مِنْهَا : " الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ " .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :
« قَوْلُهُ: " الْبَالِغُ " هَذَا فِي الْإِنْسِ ؛ وَأَمَّا الْجِنُّ : فَمُكَلَّفُونَ مِنْ أَصْلِ الْخِلْقَةِ .
نَقَلَ الْمُصَنِّفُ فِي شَرْحِهِ عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ – يَعْنِي الْمَاتُرِيدِيَّ وَالْحَنَفِيَّةَ – أَنَّ الصَّبِيَّ مُكَلَّفٌ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى . قَالُوا : وَحَمَلُوا رَفْعَ الْقَلَمِ عَنِ الصَّبِيِّ عَلَى غَيْرِ الْإِيمَانِ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ .
قُلْتُ : وَلَا يُعَوَّلُ عَلَى ظَاهِرِ هَذَا ، فَإِنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى نَجَاةِ الصِّبْيَانِ مُطْلَقًا ، وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَلَوْ أَوْلَادَ الْكُفَّارِ ؛ نَعَمْ ، إِنْ أَرَادُوا مَا قَالَهُ أَصْحَابُنَا الْمَالِكِيَّةُ : " رِدَّةُ الصَّبِيِّ وَإِيمَانُهُ مُعْتَبَرَانِ " . بِمَعْنَى إِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي تَتَسَبَّبُ عَنْهُمَا ، كَبُطْلَانِ ذَبْحِهِ وَنِكَاحِهِ ، وَصِحَّتُهُمَا رَجَعَ لِخِطَابِ الْوَضْعِ مِنْ حَيْثُ السَّبَبُ وَالْمَانِعُ ، وَهُوَ لَا يَتَقَيَّدُ بِالْمُكَلَّفِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا يُقْتَلُ قَبْلَ الْبُلُوغِ » . اهـ .

وَقَوْلُنَا : " الْعَاقِلُ ". اِحْتَرَزْنَا بِهِ مِنَ الْمَجْنُونِ ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ أَيْضًا، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
" رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ ... ". فَذَكَرَ مِنْهَا : " الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ " .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :
« قَوْلُهُ : " الْعَاقِلُ ". خَرَجَ الْمَجْنُونُ ، وَالسَّكْرَانُ غَيْرُ الْمُتَعَمِّدِ ؛ أَمَّا الْمُتَعَمِّدُ فَيُسْتَصْحَبُ عَلَيْهِ حُكْمُ تَكْلِيفِهِ الْأَصْلِيُّ ، لِتَعَدِّيَهُ » . اهـ .

وَقَوْلُنَا : " الَّذِي بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . اِحْتَرَزْنَا بِهِ مِمَّنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ ، بِأَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ جَبَلٍ مَثَلًا ، فَلَيْسَ بِمُكَلَّفٍ عَلَى الْأَصَحِّ ، وَلَا يُعَذَّبُ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾** ﴾ [الإسراء: ١٥] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم ...** ﴾ [طه: ١٣٤] الْآيَةَ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ** ﴾ [النساء: ١٦٥] .
فَلَا حُكْمَ قَبْلَ الشَّرْعِ ، لَا أَصْلِيًّا وَلَا فَرْعِيًّا عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ وَجَمْعٍ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَبِهِ صَرَّحَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ ، حَيْثُ قَالَ :

« إِنَّا لَا نَتَعَبَّدُ أَصْلًا وَفَرْعًا إِلَّا بَعْدَ الْبِعْثَةِ » . أَفَادَهُ الرَّمَاصِيُّ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

«قَوْلُهُ : " وَلَا يُعَذَّبُ ". **أَيْ** : لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ : يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاءُ ، لَكِنْ بِمُقْتَضَى سَبْقِ رَحْمَتِهِ ، لَا يَقَعُ مِنْهُ مَا تَحْتَارُ فِيهِ الْعُقُولُ كُلَّ الْحَيْرَةِ، فَضْلًا مِنْهُ تَعَالَى .

وَيَرْحَمُ اللهُ الْبُوصِيرِيَّ حَيْثُ يَقُولُ :

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ ... حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

وَانْظُرْ إِلَى آيَةِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء : ١٦٥] ، وَآيَةِ : ﴿ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولًا ﴾ [طه : ١٣٤] .

وَأَمَّا حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ فِي [التَّوحِيدِ] : " إِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لِلنَّارِ خَلْقًا ... " . فَقَدْ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ عَنِ الْقَابِسِيِّ : " الْمَعْرُوفُ فِيهِ أَنَّ اللهَ يُنْشِئُ لِلْجَنَّةِ خَلْقًا " . وَجَزَمَ ابْنُ الْقَيِّمِ بِأَنَّهُ غَلَطٌ ؛ وَقَالَ جَمَاعَةٌ : " هُوَ مَقْلُوبٌ " ، وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ ، لِلِاخْتِلَافِ فِي لَفْظِهِ ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ ﴾[الكهف : ٤٩] ؛ فَالْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ –كَمَا فِي حَاشِيَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْمَلَّوِيِّ– أَنَّ النَّارَ تَمْتَلِئُ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَتْبَاعِهِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ :

﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ ﴾ [ص : ٨٥] ، وَلَا يُنْشَأُ لِلنَّارِ خَلْقٌ جَدِيدٌ ، بَلْ لِلْجَنَّةِ عَلَى مَا وَرَدَ ، نَعَمْ ، يَضَعُ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ فَتَقُولُ : قَطٌّ قَطٌّ قَطٌّ ؛ وَتَأْوِيلُ وَضْعِ الْقَدَمِ : التَّجَلِّي عَلَيْهَا بِصِفَاتِ الْجَلَالِ ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى ، حَيْثُ تَقُولُ : ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠ ﴾[ق : ٣٠] فَتَنْزَوِي إِذْ ذَاكَ وَتَتَوَاضَعُ .
وَعَلَى فَرْضِ صِحَّةِ أَنَّهُ يُنْشَأُ لِلنَّارِ خَلْقٌ : فَيُحْمَلُ الْإِنْشَاءُ عَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ –كَمَا فِي حَدِيثِ : إِظْهَارِ بَعْثِ النَّارِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ– لَا أَنَّهُ إِيجَادٌ لِقَوْمٍ لَمْ يَعْصُوْا .

قَوْلُهُ : " وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ". **أَيْ** : بِمَحْضِ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى ، فَلَيْسَ ثَوَابًا ، إِذْ لَا عَمَلَ ، فَلَا يُنَافِي تَقْدِيرَ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾[الإسراء : ١٥] **أَيْ** : وَلَا مُثِيبِينَ ؛ وَهَذَا عَطْفٌ عَلَى النَّفْيِ، لَا عَلَى الْمَنْفِيِّ ، إِذِ الْحَقُّ أَنَّهُ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَهْلُ الْأَعْرَافِ مَصِيرُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .
خِلَافًا لِمَنْ قَالَ بِأَنَّهُ مُكَلَّفٌ ، لِوُجُودِ الْعَقْلِ الْكَافِي فِي وُجُوبِ الْمَعْرِفَةِ وَلَوْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ .

... ...

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« قَوْلُهُ : " الَّذِي بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ " . وَلَا بُدَّ – عَلَى التَّحْقِيقِ – مِنْ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ لَهُمْ، كَمَا نَقَلَهُ الْمَلَّوِيُّ عَنِ الْأُبِّيِّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ ، خِلَافًا لِلنَّوَوِيِّ ، فَالْعَرَبُ الْقُدَمَاءُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا عِيسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ عَلَى الْمُعْتَمَدِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ لَهُمْ ، وَإِنَّمَا أُرْسِلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَذَا يُعْطَى حُكْمَ أَهْلِ الْفَتْرَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ لَمْ يُدْرِكْ نَبِيًّا ، وَنَشَأَ بَعْدَ تَغْيِيرِ الْإِنْجِيلِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْلُغْهُ الشَّرْعُ الصَّحِيحُ ، لَا إِنْ بَلَغَهُ وَلَوْ بَعْدَ رَفْعِ عِيسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ شَرْعَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ لَا يُنْسَخُ إِلَّا بِمَجِيءِ نَبِيٍّ آخَرَ، لَا بِمُجَرَّدِ الْمَوْتِ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ : " خِلَافًا لِلنَّوَوِيِّ " . **أَيْ** : فِي عَدَمِ اشْتِرَاطِهِ كَوْنَ الرَّسُولِ لَهُمْ ، بَلْ يَكْفِي بُلُوغُ دَعْوَةِ أَيِّ رَسُولٍ أُرْسِلَ لَهُمْ أَمْ لَا ، لِأَنَّ التَّوْحِيدَ لَيْسَ خَاصًّا بِهَذِهِ الْأُمَّةِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الرَّمَاصِيُّ :

« قَالَ النَّوَوِيُّ فِي [شَرْحُ مُسْلِمٍ] تَبَعًا لِلْحَلِيمِيِّ وَغَيْرِهِ : " إِنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ – عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ – فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا مُؤَاخَذَةٌ قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » . اهـ .

قَالَ الْأُبِّيُّ : « بَيْنَ قَوْلِهِ : " مَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ " وَقَوْلِهِ : " إِنَّ دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ بَلَغَتْهُمْ " مُنَافَاةٌ » . اهـ .

وَمَا قَالَهُ الْأُبِّيُّ صَوَابٌ ، لِقَوْلِ عِزِّ الدِّينِ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ فِي أَمَالِيهِ :
«كُلُّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ إِلَى قَوْمِهِ ، إِلَّا نَبِيَّنَا سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ : فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَا عَدَا قَوْمَ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ ، إِلَّا ذُرِّيَّةَ النَّبِيِّ السَّابِقِ ، فَإِنَّهُمْ مُخَاطَبُونَ بِشَرِيعَتِهِ إِلَى أَنْ تَنْدَرِسَ ، فَيَصِيرُ الْكُلُّ مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ » . اهـ .

فَاعْتِرَاضُ ابْنِ قَاسِمٍ وَتِلْمِيذِهِ اللَّقَّانِيِّ عَلَى الْأُبِّيِّ بِعَدَمِ الْمُنَافَاةِ فِي كَلَامِ النَّوَوِيِّ ، لِأَنَّ مَعْنَى الْفَتْرَةِ عَدَمُ إِرْسَالِ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ ، وَإِبْرَاهِيمُ وَغَيْرُهُ غَيْرُ مُرْسَلِينَ إِلَى هَؤُلَاءِ وَإِنْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَتُهُمْ ، وَجَعْلُهُمَا كَلَامَ النَّوَوِيِّ مُخَالِفًا لِمَا عَلَيْهِ الْأَشَاعِرَةُ مِنْ عَدَمِ التَّعْذِيبِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ قَائِلَيْنِ : النَّوَوِيُّ كَغَيْرِهِ ، لَا أَثَرَ لِلْفَتْرَةِ عِنْدَهُ بِالنِّسْبَةِ لِأَصْلِ الْإِيمَانِ ، بَلْ يَكْتَفِي فِي وُجُوبِ أَصْلِ الْإِيمَانِ بِبُلُوغِ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَلَوْ لِغَيْرِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ، نَظَرًا إِلَى أَنَّ الشَّرَائِعَ بِالنِّسْبَةِ لِلتَّوْحِيدِ كَالْوَاحِدَةِ ، لِاتِّفَاقِهَا عَلَيْهِ » . اهـ . غَيْرُ صَحِيحٍ ، لِأَنَّ الْعَرَبَ مُتَدَيِّنَةٌ بِدِينِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ ، فَكَلَامُ النَّوَوِيِّ – تَبَعًا لِلْحَلِيمِيِّ وَغَيْرِهِ – مُوَافِقٌ لِمَا عَلَيْهِ الْأَشَاعِرَةُ لَوْلَا مَا فِيهِ مِنَ الْمُنَافَاةِ ، وَخَطْبُهَا سَهْلٌ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ » . اهـ .

.. ..

[تَنْبِيهَانِ]

(**الْأَوَّلُ**) :

أَهْلُ الْفَتْرَةِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَزْمِنَةِ الرُّسُلِ ، أَوْ فِي زَمَنِ رَسُولٍ غَيْرِ مُرْسَلٍ إِلَيْهِمْ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ :

« قَوْلُهُ : " الْفَتْرَةُ " . بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ الْمُثَنَّاةِ : مَا بَيْنَ النَّبِيَّيْنِ ، مِنَ " الْفُتُورِ " وَهُوَ الْغَفْلَةُ وَالتَّرْكُ ، لِأَنَّهُمْ تُرِكُوا بِلَا رَسُولٍ .

وَأَمَّا الْخِلْقَةُ : فَيُقَالُ فِيهَا " فِطْرَةٌ " بِكَسْرِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ الطَّاءِ .

وَأَمَّا الْفَقْرَةُ : بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ الْقَافِ : فَهِيَ فِي السَّجْعِ كَشَطْرِ الْبَيْتِ فِي النَّظْمِ » . اهـ .

(**الثَّانِي**) :

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« وَالْحَقُّ أَنَّ أَهْلَ الْفَتْرَةِ نَاجُونَ ، وَأَطْلَقَ الْأَئِمَّةُ : " وَلَوْ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ " كَمَا فِي حَاشِيَةِ الْمَلَّوِيِّ ؛ وَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ إِمَّا إِنَّهُ آحَادٌ لَا يُعَارِضُ الْقَطْعَ ، أَوْ إِنَّهُ لِمَعْنًى يَخُصُّ ذَلِكَ الْبَعْضَ يَعْلَمُهُ اللهُ تَعَالَى ؛ إِذَا كَانَ هَذَا فِي أَهْلِ الْفَتْرَةِ عُمُومًا فَأَوْلَى نَجَاةُ وَالِدَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا فِي شَرِيفٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، وَالشَّرَفُ لَا يُجَامِعُ كُفْرًا .

قَالَ الْمُحَقِّقُونَ : لَيْسَ لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَبٌ كَافِرٌ ؛ وَأَمَّا آزَرُ فَكَانَ عَمَّ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَدَعَاهُ بِـ " الْأَبِ " عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ ، أَوْ أَبُوهُ ، فَيَكُونُ جَدًّا لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَلَمْ يَسْجُدْ لِلصَّنَمِ ، بَلْ كَانَ يَصْنَعُهُ لِقَوْمِهِ ، فَلَمَّا أَعَانَ عَلَى عِبَادَتِهِ أَسْنَدَهَا لَهُ

وَقَالَ : ﴿ لِمَ تَعْبُدُ ... ﴾ [مريم: ٤٢] .

وَمَا فِي [الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ] لِأَبِي حَنِيفَةَ : " أَنَّهُمَا مَاتَا عَلَى الْكُفْرِ " فَإِمَّا مَدْسُوسٌ عَلَيْهِ – بَلْ نُوزِعَ فِي نِسْبَةِ الْكِتَابِ مِنْ أَصْلِهِ لَهُ – ، أَوْ يُؤَوَّلُ بِأَنَّهُمَا مَاتَا فِي زَمَنِ الْكُفْرِ – بِمَعْنَى الْجَاهِلِيَّةِ – وَإِنْ كَانُوا نَاجِينَ ؛ وَغَلِطَ مُنْلَا عَلِيٌّ يَغْفِرُ اللهُ لَهُ ، وَمِنَ الْعَجَائِبِ مَا نُسِبَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ مِنْ إِيمَانِ فِرْعَوْنَ !! ، اِغْتِرَارًا بِالظَّوَاهِرِ فِي ذَلِكَ .

وَيَرْحَمُ اللهُ الْبُوصِيرِيَّ حَيْثُ يَقُولُ :

لَمْ تَــــزَلْ فِي ضَــــمَائِرِ الْكَـــوْنِ تُخْتَـــا ... رُ لَــــــكَ الْأُمَّهَـــــــاتُ وَالْآبَــــــاءُ

٤٨ – ... ...   إِعْمَالُـــــــــهُ لِلنَّظَـــــــــرِ الْمُؤَلَّـــــــــفِ

٤٩ – كَـــــيْ يَسْـــــتَفِيدَ مِـــــنْ هُـــــدَى الـــــدَّلِيلِ   مَعْرِفَـــــــــةَ الْمُصَـــــــــوِّرِ الْجَلِيـــــــــلِ

٥٠ – وَتَطْمَـــــــئِنَّ نَفْسُـــــــهُ لِمَـــــــا سَـــــــلِمْ   مِـــــنْ وَرْطَـــــةِ الْجَهْـــــلِ وَلِلْحَـــــقِّ عَلِـــــمْ

وَمَا وَرَدَ مِنْ نَهْيِهِ عَنِ اسْتِغْفَارِهِ لَهُمَا – أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ – فَمَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ إِخْبَارِهِ بِحَالِهِمَا ، أَوْ لِئَلَّا يَقْتَدِيَ بِهِ أَوْلَادُ مَنْ مَضَى مِنَ الْكُفَّارِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ وَنَحْوِهِمْ ؛ عَلَى أَنَّهُ قَدْ قِيلَ : أَحْيَاهُمَا اللهُ تَعَالَى زِيَادَةً فِي الْفَضْلِ وَآمَنَا بِهِ .

أَنْشَدَ الْغَيْطِيُّ فِي [الْمَوْلِدُ] لِلْحَافِظِ الشَّمْسِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ الدِّمَشْقِيِّ :

حَبَـــــا اللهُ النَّـــــــبِيَّ مَزِيـــــــدَ فَضْـــــــلٍ   عَلَـــــى فَضْـــــلٍ وَكَـــــانَ بِـــــهِ رَءُوفًـــــا

فَأَحْيَـــــا أُمَّـــــــهُ وَكَـــــــذَا أَبَـــــــاهُ   لِإِيمَـــــانٍ بِـــــــهِ فَضْـــــــلًا مُنِيفَـــــا

فَسَـــــــلِّمْ فَالْقَـــــــدِيمُ بِـــــــذَا قَـــــــدِيرٌ   وَإِنْ كَـــــانَ الْحَـــــدِيثُ بِـــــهِ ضَـــــعِيفَا » .

اِنْتَهَى .

وَقَوْلُهُ : " وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفَا " . مُرَادُهُ بِهِ مَا رُوِيَ " عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُحْيِيَ لَهُ أَبَوَيْهِ ، فَأَحْيَاهُمَا لَهُ فَآمَنَا بِهِ ثُمَّ أَمَاتَهُمَا " .

وَنَقَلَ عِيَاضٌ فِي [الشِّفَاءُ] ، وَالْقَسْطَلَّانِيُّ فِي [الْمَوَاهِبُ] : " عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : ذَهَبْتُ إِلَى قَبْرِ أُمِّي ، فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُحْيِيَهَا فَأَحْيَاهَا فَآمَنَتْ بِي " .

قَالَ الْإِمَامُ السُّهَيْلِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – :

« اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، لَهُ أَنْ يَخُصَّ نَبِيَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِمَا شَاءَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُنْعِمَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ كَرَامَتِهِ » . اِهـ .

وَهَذَا الْحَدِيثُ وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ يُعْمَلْ بِهِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ صَحَّ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ بِطَرِيقِ الْكَشْفِ .

كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – :

أَيْقَنْـــــــتُ أَنَّ أَبَـــــا النَّـــــبِيِّ وَأُمَّـــــهُ   أَحْيَاهُمَـــــا الـــــرَّبُّ الْكَـــــرِيمُ الْبَـــــارِي

حَـــــتَّى لَـــــهُ شَـــــهِدَا بِصِـــــدْقِ رِسَـــــالَةٍ   صِـــــدْقٍ فَتِلْـــــكَ كَرَامَـــــةُ الْمُخْتَـــــارِ

هَـــــذَا الْحَـــــدِيثُ وَمَـــــنْ يَقُـــــولُ بِضَـــــعْفِهِ   فَهْـــــوَ الضَّـــــعِيفُ عَـــــنِ الْحَقِيقَـــــةِ عَـــــارِ

وَقَوْلُنَا : " سَلِيمُ الْحَوَاسِّ " . مُرَادُنَا بِهِ : سَلَامَةُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فَقَطْ ؛ وَاحْتَرَزْنَا بِهِ عَمَّنْ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى أَعْمَى أَصَمَّ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ .

((**إِعْمَالُهُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : الْمُكَلَّفِ عَقْلَهُ وَتَأَمُّلَهُ بِهِ ((**لِلنَّظَرِ**)) الصَّحِيحِ ، أَيِ الدَّلِيلِ ((**الْمُؤَلَّفِ**)) بِفَتْحِ اللَّامِ ؛ أَيِ: الْمُرَكَّبِ مِنْ مُقَدِّمَتَيْنِ يَقِينِيَّتَيْنِ ، وَيُسَمَّى بُرْهَانًا ، كَقَوْلِنَا : الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ ، وَكُلُّ مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ ، فَالْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ . هِيَ الْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى ، وَتُسَمَّى قَضِيَّةً صُغْرَى مُرَكَّبَةً مِنْ مَوْضُوعٍ – وَهُوَ الْعَالَمُ – ، وَمَحْمُولٍ — وَهُوَ : مُتَغَيِّرٌ – ؛ وَسُمِّيَتْ " صُغْرَى " لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْحَدِّ الْأَصْغَرِ، وَهُوَ الْعَالَمُ .
وَ"كُلُّ مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ " هِيَ الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ ، وَتُسَمَّى قَضِيَّةً كُبْرَى ، مُرَكَّبَةً أَيْضًا مِنْ مَوْضُوعٍ، وَهُوَ : " مُتَغَيِّرٌ " ، وَمَحْمُولٍ ، وَهُوَ : "حَادِثٌ "، وَسُمِّيَتْ "كُبْرَى " لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْحَدِّ الْأَكْبَرِ ، وَهُوَ: " حَادِثٌ ، وَمُتَغَيِّرٌ " ، اسْمُهُ وَسَطٌ ، لِتَوَسُّطِهِ بَيْنَ الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ ؛ وَمَجْمُوعُ الْمُقَدِّمَتَيْنِ يُسَمَّى : " قِيَاسًا "، وَهُوَ مِنَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّ الْحَدَّ الْأَوْسَطَ مَحْمُولٌ ، أَوْ تَالٍ فِي الصُّغْرَى ؛ وَمَوْضُوعٌ أَوْ مُقَدَّمٌ فِي الْكُبْرَى ، وَشَرْطُ إِنْتَاجِهِ مَوْجُودٌ ، وَهُوَ إِيجَابُ صُغْرَاهُ ؛ وَكُلِّيَّةُ كُبْرَاهُ وَمُقَدِّمَتَاهُ يَقِينِيَّتَانِ ، فَلَا خَلَلَ فِي مَادَّتِهِ ، وَلَا فِي هَيْئَتِهِ ؛ فَإِذَا حَذَفْتَ الْمُكَرَّرَ وَهُوَ " مُتَغَيِّرٌ " تَخْرُجُ النَّتِيجَةُ قَائِلَةً : " الْعَالَمُ حَادِثٌ " ؛ وَهَذِهِ النَّتِيجَةُ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ تَرْتِيبِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ .

وَقَوْلُنَا : " الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ ... " إِلَخْ . **أَيْ** : بَعْضُهُ ، وَهُوَ الْأَعْرَاضُ ، لِأَنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى

حُدُوثِهَا ، وَأَمَّا حُدوثُ الْأَجْرَامِ فَلَهُ دَلِيلٌ آخَرُ ، وَهُوَ قَوْلُنَا : " الْأَجْرَامُ مُلَازِمَةٌ لِلْأَعْرَاضِ الْحَادِثَةِ ، وَكُلُّ مَا لَازَمَ الْحَادِثَ فَهُوَ حَادِثٌ " . **يُنْتِجُ** : الْأَجْرَامُ حَادِثَةٌ .
وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِـ " الْعَالَمِ " خُصُوصُ الْأَعْرَاضِ ، لِعِلَاقَةِ الْكُلِّيَّةِ ، فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ .
وَكَقَوْلِنَا : " الْعَالَمُ حَادِثٌ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ " .
فَهَذَا أَيْضًا قِيَاسٌ مِنَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ ، مُرَكَّبٌ مِنْ مُقَدِّمَتَيْنِ يَقِينِيَّتَيْنِ ، فَإِذَا رَتَّبْتَهُمَا كَمَا ذَكَرْنَا تَوَصَّلْتَ بِذَلِكَ إِلَى النَّتِيجَةِ الْمَجْهُولَةِ قَبْلَ هَذَا التَّرْتِيبِ ، وَهُوَ قَوْلُنَا : " الْعَالَمُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ " ، وَقَوْلُنَا: " الْعَالَمُ حَادِثٌ ... " إِلَخْ ، الْمُرَادُ بِهِ : مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى .

((**كَيْ**)) تَعْلِيلِيَّةٌ ، **أَيْ** : لِـ ((**يَسْتَفِيدَ**)) الْمُكَلَّفُ ((**مِنْ هُدَى**)) بِضَمٍّ ، فَفَتْحٍ ، **أَيْ** : دَلَالَةِ ((**الدَّلِيلِ**)) ؛ وَمَفْعُولُ ((**يَسْتَفِيدَ**)) : ((**مَعْرِفَةَ**)) صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْمُصَوِّرِ**)) بِضَمٍّ ، فَفَتْحٍ ، فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيِ** : الْخَالِقُ صَوَّرَ الْأَجِنَّةَ فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِهَا . ((**الْجَلِيلِ**)) **أَيِ** : الْعَظِيمِ.
((**وَ**)) كَيْ ((**تَطْمَئِنَّ**)) **أَيْ** : تَسْكُنَ ((**نَفْسُهُ**)) **أَيِ** : الْمُكَلَّفِ ((**لِمَا**)) بِكَسْرِ اللَّامِ ، وَخِفَّةِ الْمِيمِ ((**سَلِمْ**)) بِفَتْحِ السِّينِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ ؛ **أَيْ** : لِسَلَامَةِ الْمُكَلَّفِ . فَاللَّامُ تَعْلِيلِيَّةٌ ، وَ ((**مَا**)) مَصْدَرِيَّةٌ ؛ أَوْ ((**لَمَّا**)) بِفَتْحِ اللَّامِ، وَشَدِّ الْمِيمِ ؛ **أَيْ** : حِينَ سَلِمَ الْمُكَلَّفُ ((**مِنْ وَرْطَةِ**)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** :

حَيْرَةٍ وَظُلْمَةِ ((**الْجَهْلِ وَ**)) لِمَا ((**لِلْحَقِّ**)) صِلَةُ ((**عَلِمْ**)) الْمُكَلَّفُ ؛ بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ بِلَامِ التَّقْوِيَةِ ؛ **أَيْ** : وَتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ أَيْضًا ، لِعِلْمِهِ الْحَقَّ ، أَوْ حِينَ عَلِمَهُ .

وَإِنَّمَا قَيَّدْنَا النَّظَرَ بِـ " الصَّحِيحِ الَّذِي لَا خَلَلَ فِي مَادَّتِهِ ، وَلَا فِي هَيْئَتِهِ " لِأَنَّهُ الَّذِي يُفِيدُ الْمَعْرِفَةَ ؛
وَأَمَّا الْفَاسِدُ : فَإِنْ كَانَ فَسَادُهُ لِعَدَمِ تَمَامِهِ بِعَدَمِ ذِكْرِ كُبْرَاهُ ، لِمَوْتٍ ، أَوْ جُنُونٍ ، أَوْ نِسْيَانٍ ، أَوْ ذُهُولٍ ، أَوِ اخْتِيَارًا ، بِأَنْ قَالَ : " الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ " . وَسَكَتَ . وَالْفَرْضُ أَنَّ الصُّغْرَى لَيْسَتْ عِلَّةً لِشَيْءٍ ، وَإِلَّا كَانَ الدَّلِيلُ تَامًّا ضِمْنًا ، بِأَنْ قَالَ: " الْعَالَمُ حَادِثٌ، لِأَنَّهُ مُتَغَيِّرٌ " . وَتَسْمِيَتُهُ " نَظَرًا " حِينَئِذٍ بِاعْتِبَارِ إِرَادَةِ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ لَا ، فَلَا يَسْتَلْزِمُ شَيْئًا اتِّفَاقًا ، وَكَذَا مَا كَانَ فَسَادُهُ لِفَسَادِ نَظْمِهِ ، كَجُزْئِيَّتَيْنِ ، كَـ : " بَعْضُ الْإِنْسَانِ حَيَوَانٌ " ، وَ : " بَعْضُ الْحَيَوَانِ فَرَسٌ " . وَنَتِيجَتُهُ كَاذِبَةٌ ، وَهِيَ : " بَعْضُ الْإِنْسَانِ فَرَسٌ " .
وَإِنْ أُبْدِلَتْ كُبْرَاهُ بِـ : " بَعْضُ الْحَيَوَانِ نَاطِقٌ " . صَدَقَتْ نَتِيجَتُهُ ، وَهِيَ : " بَعْضُ الْإِنْسَانِ نَاطِقٌ " .
وَاضْطِرَابُ النَّتِيجَةِ عَلَامَةُ عُقْمِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَلْزِمُ شَيْئًا .
أَوْ سَالِبَتَيْنِ ، كَـ : " لَا شَيْءَ مِنَ الْإِنْسَانِ فَرَسٌ، وَلَا شَيْءَ مِنَ الْفَرَسِ بِنَاطِقٍ " . وَنَتِيجَتُهُ كَاذِبَةٌ، وَهِيَ : " لَا شَيْءَ مِنَ الْإِنْسَانِ بِنَاطِقٍ " .
وَإِنْ أُبْدِلَتِ الْكُبْرَى بِـ : " لَا شَيْءَ مِنَ الْفَرَسِ بِحَجَرٍ " . صَدَقَتْ نَتِيجَتُهُ، وَهِيَ : " لَا شَيْءَ مِنَ الْإِنْسَانِ بِحَجَرٍ " . فَهُوَ عَقِيمٌ ، لَا يَسْتَلْزِمُ شَيْئًا .
وَإِنْ كَانَ فَسَادُهُ لِخَلَلٍ فِي مَادَّتِهِ – **أَيْ** ذَاتِ مُقَدِّمَتَيْهِ – بِأَنْ كَانَتَا كَاذِبَتَيْنِ ، أَوْ إِحْدَاهُمَا كَاذِبَةٌ : فَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يَسْتَلْزِمُ الْجَهْلَ – أَيِ الْبَاطِلَ – بَلْ تَارَةً يُنْتِجُ الْبَاطِلَ ، وَتَارَةً لَا ، نَحْوُ: " كُلُّ إِنْسَانٍ جَمَادٌ ، وَكُلُّ جَمَادٍ نَاطِقٌ " . وَنَتِيجَتُهُ صَادِقَةٌ ، وَهِيَ : "كُلُّ إِنْسَانٍ نَاطِقٌ " . وَمُقَدِّمَتَاهُ كَاذِبَتَانِ .
وَإِنْ بُدِّلَتِ الْكُبْرَى بِـ : " وَكُلُّ جَمَادٍ فَرَسٌ " . كَانَتِ النَّتِيجَةُ — وَهِيَ : "كُلُّ إِنْسَانٍ فَرَسٌ " — كَاذِبَةً .
وَإِنْ بُدِّلَتِ الْكُبْرَى بِـ : "كُلُّ حَيَوَانٍ نَاطِقٌ " . كَانَتِ نَتِيجَتُهُ — وَهِيَ : "كُلُّ إِنْسَانٍ نَاطِقٌ " — صَادِقَةً .

فَإِنْ قُلْتَ : الْمَنْطِقِيُّونَ لَا يَسَعُهُمُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْجَهْلَ ، لِمَا عَلِمْتَهُ مِنْ صِدْقِ نَتِيجَتِهِ تَارَةً ، وَكَذِبِهَا أُخْرَى ؟ .
قُلْتُ : مَعْنَى قَوْلِهِمْ بِاسْتِلْزَامِهِ لَهُ : أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَقَدْ يَسْتَلْزِمُ الصِّدْقَ فِي بَعْضٍ آخَرَ ؛ فَإِنَّ النِّزَاعَ فِي الِاسْتِلْزَامِ وَعَدَمِهِ ، فَقَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ : لَا يَسْتَلْزِمُ شَيْئًا ، لِاضْطِرَابِ نَتِيجَتِهِ ، وَهُوَ دَلِيلُ عُقْمِهِ .

وَقَالَ الْمَنَاطِقَةُ : يَسْتَلْزِمُ الصَّادِقَ تَارَةً ، وَالْكَاذِبَ أُخْرَى ؛
وَعَرَّفُوا الْقِيَاسَ بِأَنَّهُ : مَؤُلَّفٌ مِنْ مُقَدِّمَتَيْنِ ، مَتَى سُلِّمَتَا لَزِمَ عَنْهُمَا لِذَاتِهِمَا قَوْلٌ آخَرُ .
أُنْظُرِ [الْكُبْرَى] وَحَوَاشِيَهَا .

٥١ – فَــإِنْ يَكُــنْ قَبْــلَ الْبُلُــوغِ حَصَّــلَا ذَاكَ وَلِلْمَطْلُــوبِ قَــدْ تَوَصَّــلَا

٥٢ – فَلْيَشْــتَغِلْ بَعْــدَ الْبُلُــوغِ بِــالْأَهَمْ ثُمَّ الْأَهَــمِّ فَاتِحًــا لِمَــا انْــبَهَمْ

٥٣ – وَفِي الْمُقَلِّــدِ اخْــتِلَافٌ مُسْــتَطَرْ لِأَنَّــهُ إِيمَانُــهُ عَلَــى خَطَــرْ

٥٤ – وَهْــوَ مُعَــرَّضٌ لِشَــكٍّ يَطْــرُقُ وَفِيــهِ لِلْأَشْــيَاخِ تُنْمَــى طُــرُقُ

((**فَإِنْ يَكُنْ**)) الْمُكَلَّفُ ((**قَبْلَ الْبُلُوغِ**)) صِلَةُ ((**حَصَّلَا**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلًا ، **أَيْ** : عِلْمَ ((**ذَاكَ**))

أَيِ : الْوَاجِبِ ، وَالْمُحَالِ ، وَالْجَائِزِ فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَفِي حَقِّ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

((**وَلِلْمَطْلُوبِ**)) وَهُوَ عِلْمُ ذَاكَ ، صِلَةُ ((**قَدْ تَوَصَّلَا**)) الْمُكَلَّفُ ؛ وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .

وَجَوَابُ ((**إِنْ**)) قَوْلُهُ : ((**فَلْيَشْتَغِلْ**)) الْمُكَلَّفُ وُجُوبًا ((**بَعْدَ الْبُلُوغِ بِـ**)) ـالْأَمْرِ ((**الْأَهَمْ**)) مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، لِضِيقِ وَقْتِهِ مَثَلًا ((**ثُمَّ الْأَهَمِّ**)) **أَيِ** : الَّذِي يَلِي الْأَوَّلَ فِي الْأَهَمِّيَّةِ مِنْ وَاجِبَاتِ الشَّرْعِ ، مِنْ صَلَاةٍ ، وَزَكَاةٍ ، وَصِيَامٍ ، وَحَجٍّ . فَإِنْ بَلَغَ فِي وَقْتِ صَلَاةٍ مِنَ الْخَمْسِ فَالْأَهَمُّ فِي حَقِّهِ تَعَلُّمُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ شُرُوطِهَا وَفَرَائِضِهَا ... إِلَخْ . وَإِذَا بَلَغَ لَيْلَةَ رَمَضَانَ فَالْأَهَمُّ فِي حَقِّهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِصَوْمِهِ ... وَهَكَذَا بَقِيَّةُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمُعَامَلَاتِهِ مِنْ نِكَاحٍ وَبَيْعٍ وَغَيْرِهِمَا ، حَتَّى يُحَصِّلَ مَا يَلْزَمُهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ فِيمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ حَالَ كَوْنِهِ ((**فَاتِحًا**)) **أَيْ** : مُبَيِّنًا وَمُوَضِّحًا ((**لِمَا**)) **أَيِ** : الشَّيْءِ الَّذِي ((**انْبَهَمْ**))

أَيْ : خَفِيَ .

((**وَفِي**)) حَالِ ((**الْمُقَلِّدِ**)) بِضَمٍّ ، فَفَتْحٍ ، فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيِ** : الْمُعْتَقِدُ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْعَقَائِدِ بِلَا دَلِيلٍ .

((**اخْتِلَافٌ**)) بَيْنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى سِتَّةِ أَقْوَالٍ ((**مُسْتَطَرْ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ السِّينِ ، وَفَتْحِ التَّاءِ وَالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : مَكْتُوبٌ فِي كُتُبِهِمْ . وَكُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا نَسَبَهُ لِلْجُمْهُورِ وَحَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ .

((**لِأَنَّهُ**)) **أَيِ** : الْمُقَلِّدُ ((**إِيمَانُهُ**)) **أَيْ** : تَصْدِيقُ الْمُقَلِّدِ بِالْعَقَائِدِ ((**عَلَى خَطَرْ**)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : غَرَرٍ .

((**وَهْوَ**)) **أَيْ** : إِيمَانُ الْمُقَلِّدِ ((**مُعَرَّضٌ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالرَّاءِ مُثَقَّلًا ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ **أَيْ** : قَابِلٌ ((**لِشَكٍّ**)) فِي الْعَقَائِدِ ((**يَطْرُقُ**)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ، فَضَمٍّ ؛ **أَيْ** : يَتَجَدَّدُ وَيَحْدُثُ ، خُصُوصًا عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَحْوَالِهِ وَسُؤَالِ الْقَبْرِ وَأَهْوَالِهِ .

وَحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا مَرِضَ الْإِمَامُ ابْنُ عَرَفَةَ عَادَهُ تَلَامِذَتُهُ ، فَأَخَذَ يَحُثُّهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالِاجْتِهَادِ فِيهِ ؛ فَقَالَ : « غُشِيَ عَلَيَّ فِي مَرَضِي هَذَا، فَتَمَثَّلَتْ لِي طَائِفَتَانِ : صُغْرَى عَنْ يَمِينِي ، وَكُبْرَى عَنْ شِمَالِي ؛ فَالَّتِي عَنْ يَمِينِي تُرَجِّحُ الْإِيمَانَ بِاللهِ تَعَالَى، وَالَّتِي عَنْ شِمَالِي تُرَجِّحُ الْكُفْرَ بِاللهِ تَعَالَى ، وَتُورِدُ لِي شُبَهًا، فَيُوَفِّقُنِي اللهُ تَعَالَى لِلْجَوَابِ بِمَا أَعْرِفُهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأَدِلَّةِ ، حَتَّى انْهَزَمَ وَفَرَّ عَنِّي ، فَعَلِمْتُ أَنَّ تَوْفِيقِي لِلْجَوَابِ بِبَرَكَةِ التَّوْحِيدِ » .

اِنْتَهَى .

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَّالِيُّ فِي [الْإِحْيَاءِ] :

« مَنِ اعْتَقَدَ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَى ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ خِلَافَ الْحَقِّ ، وَخِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ – إِمَّا بِرَأْيِهِ وَنَظَرِهِ الَّذِي عَلَيْهِ يُعَوِّلُ ، وَإِمَّا بِالتَّقْلِيدِ – رُبَّمَا يُكْشَفُ لَهُ حَالَ الْمَوْتِ بُطْلَانُ مَا اعْتَقَدَهُ جَهْلًا ، وَيَتَطَرَّقُ لَهُ أَنَّ كُلَّ مَا اعْتَقَدَهُ لَا أَصْلَ لَهُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي شَكِّهِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ ، وَيُخْتَمُ لَهُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ ، وَهَذَا

... ...

هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر: ٤٧] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾...... ﴾ [الكهف : ١٠٣ الْآيَةَ » . اهـ .

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

« مَقْصُودُ الشَّرَائِعِ كُلِّهَا سِيَاقَةُ الْخَلْقِ إِلَى جُوَارِ اللهِ تَعَالَى وَسَعَادَةِ لِقَائِهِ ، وَأَنَّهُ لَا وُصُولَ لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ ، وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ ، وَرُسُلِهِ، وَكُتُبِهِ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] **أَيْ** : لِيَكُونُوا عَبِيدًا . وَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ عَبْدًا مَا لَمْ يَعْرِفْ رَبَّهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَنَفْسَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَرَبَّهُ ، فَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَسْنَى بِبِعْثَةِ الرُّسُلِ » . اِنْتَهَى .

قَالَ الْعَلَّامَةُ اللَّقَّانِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [جَوْهَرَتِ]هِ بَعْدَ قَوْلِهِ فِيهَا :

١١ - إِذْ كُـــــلُّ مَـــــنْ قَلَّـــــدَ فِي التَّوْحِيـــــدِ ... ... إِلَخْ :

« **يَعْنِي** : إِنَّمَا أَوْجَبْنَا عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَةَ مَا ذُكِرَ بِالدَّلِيلِ ، لِيَسْلَمَ لَهُ إِيمَانُهُ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّزَلْزُلِ الَّذِي يَعْتَرِي الْمُقَلِّدِينَ غَالِبًا ، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ جَزَمُوا عَقَائِدَهُمْ بِمَا ذُكِرَ : لَكِنَّهَا قَابِلَةٌ لِلشَّكِّ ، وَمَظِنَّةٌ لِلتَّرْدِيدِ – **بِمَعْنَى** : التَّرَدُّدِ وَالتَّحَيُّرِ – حَتَّى رُبَّمَا يَقُولُ لِلْفَاتِنِينَ حِينَ يَسْأَلَانِهِ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ : هَاهْ هَاهْ !! لَا أَدْرِي !! ، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ » . اِنْتَهَى .

((**وَفِيهِ**)) **أَيْ** : إِيمَانِ الْمُقَلِّدِ ((**لِلْأَشْيَاخِ**)) **أَيْ** : عُلَمَاءِ الْكَلَامِ ؛ صِلَةُ ((**تُنْمَى**)) بِضَمٍّ، فَسُكُونٍ ، فَفَتْحٍ ؛ **أَيْ** : تُنْسَبُ . وَمُبْتَدَأُ ((**فِيهِ**)) : ((**طُرُقٌ**)) بِضَمِّ الطَّاءِ وَالرَّاءِ ؛ **سِتٌّ** :

(**الْأُولَى**) : أَنَّهُ كَافِرٌ مُطْلَقًا .

وَنُسِبَ لِلشَّيْخِ الْأَشْعَرِيِّ وَالْجُمْهُورِ ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ النَّظَرَ وَاجِبٌ وُجُوبَ الْأُصُولِ مُطْلَقًا ، **بِمَعْنَى** : أَنَّ تَارِكَهُ كَافِرٌ ، فَوُجُوبُهُ كَوُجُوبِ الْجَزْمِ بِالْعَقَائِدِ فِي أَنَّ تَرْكَهُ كُفْرٌ .

وَشَنَّعَ أَقْوَامٌ عَلَيْهَا بِأَنَّهُ : يَلْزَمُ عَلَيْهَا تَكْفِيرُ الْعَوَامِّ ، وَهُمْ غَالِبُ الْمُؤْمِنِينَ .

[قَالَ] الْقُشَيْرِيُّ : « هَذَا الْقَوْلُ مَكْذُوبٌ عَلَى الْأَشْعَرِيِّ » . اهـ .

قُلْتُ : وَعَلَى صِحَّةِ نَقْلِهِ لَا يَلْزَمُهُ التَّشْنِيعُ ، لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي حَقِّ الْعَوَامِّ هُوَ الدَّلِيلُ الْإِجْمَالِيُّ ، وَهُوَ مَا يُفِيدُهُمُ الْعِلْمَ الْيَقِينِيَّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ التَّرْتِيبِ وَالتَّهْذِيبِ ؛ كَمَا أَجَابَ الْأَعْرَابِيُّ الْأَصْمَعِيَّ حِينَ سَأَلَهُ : " بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ : الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ ، وَأَثَرُ الْأَقْدَامِ يَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ ، وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ ، أَلَا تَدُلُّ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ ؟! " .

... .

وَقِيلَ لِطَبِيبٍ : " بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ : بِالْإِهْلِيلِجِ يُخَفِّفُ الْحَلْقَ، وَيُلَيِّنُ الْبَطْنَ " .

وَقِيلَ لِأَدِيبٍ : " بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ : بِالنَّحْلَةِ ، فِي أَحَدِ طَرَفَيْهَا عَسَلٌ ، وَفِي الْآخَرِ لَسَعٌ ؛ وَ" عَسَلٌ " مَقْلُوبُ " لَسَعٌ " .

وَسُئِلَ أَبُو نُوَاسٍ عَنْ دَلِيلِ وُجُودِ الصَّانِعِ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَأَمَّـــلْ فِي نَبَـــاتِ الْأَرْضِ وَانْظُـــرِ ... إِلَى آثَـــارِ مَـــا صَـــنَعَ الْمَلِيـــكُ

عُيُـــونٌ مِـــنْ لُجَـــيْنٍ شَاخِصَـــاتٌ ... عَلَـــى أَطْرَافِهَـــا الـــذَّهَبُ السَّـــبِيكُ

عَلَـــى قُضُـــبِ الزَّبَرْجَـــدِ شَـــاهِدَاتٌ ... بِـــأَنَّ اللهَ لَـــيْسَ لَـــهُ شَـــرِيكُ . اِهَـــ .

فَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ لَا تَخْفَى عَلَى الْعَوَامِّ ، وَتُخْرِجُهُمْ عَنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ .

(**الثَّانِيَةُ**) : أَنَّهُ مُؤْمِنٌ عَاصٍ مُطْلَقًا .

وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ النَّظَرَ وَاجِبٌ وُجُوبَ الْفُرُوعِ كَذَلِكَ ، **بِمَعْنَى** : أَنَّ تَارِكَهُ عَاصٍ ، كَتَارِكِ الصَّلَاةِ .

وَاعْتُرِضَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ بِأَنَّ : فِيهَا تَكْلِيفُ مَا لَا يُطَاقُ ، وَقَدْ رَفَعَهُ اللهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِقَوْلِهِ :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، فَهُوَ غَيْرُ وَاقِعٍ .

وَأُجِيبَ : بِمَنْعِ عَدَمِ وُقُوعِهِ ، بَلْ هُوَ وَاقِعٌ فِي أُصُولِ الدِّينِ ؛ سَلَّمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ لَكِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَقُولُ : إِنَّ الْأَهْلِيَّةَ حَاصِلَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ هُوَ الدَّلِيلُ الْإِجْمَالِيُّ ، وَهُوَ مُتَيَسِّرٌ لِمَنْ عِنْدَهُ أَدْنَى تَمْيِيزٍ .

(**الثَّالِثَةُ**) :

أَنَّهُ مُؤْمِنٌ عَاصٍ إِنْ كَانَ فِيهِ أَهْلِيَّةٌ لِلنَّظَرِ ، وَإِلَّا فَلَا .

وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ النَّظَرَ وَاجِبٌ وُجُوبَ الْفُرُوعِ إِنْ قَدَرَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا فَلَا .

وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ هِيَ الرَّاجِحَةُ ، وَالْمُعَوَّلُ عَلَيْهَا .

وَاعْتُرِضَتْ بِأَنَّهُمْ : عَرَّفُوا الْإِيمَانَ بِحَدِيثِ النَّفْسِ التَّابِعِ لِلْمَعْرِفَةِ ؛ أَوْ نَفْسِ الْمَعْرِفَةِ ، وَهِيَ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ دَلِيلٍ .

وَأُجِيبَ عَنْهُ : بِأَنَّ هَذَيْنِ التَّعْرِيفَيْنِ لِلْإِيمَانِ الْكَامِلِ ؛ **وَأَمَّا أَصْلُهُ فَهُوَ** : حَدِيثُ النَّفْسِ التَّابِعِ لِلِاعْتِقَادِ الْجَازِمِ ، سَوَاءٌ كَانَ نَاشِئًا عَنْ دَلِيلٍ – وَهُوَ الْمَعْرِفَةُ – ، أَوْ عَنْ قَوْلِ الْغَيْرِ – وَهُوَ التَّقْلِيدُ – .

(**الرَّابِعَةُ**) :

أَنَّهُ مُؤْمِنٌ غَيْرُ عَاصٍ مُطْلَقًا .

وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ النَّظَرَ مَنْدُوبٌ كَذَلِكَ ، لِأَنَّهُ شَرْطُ كَمَالٍ .

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ السَّلَامِ :

« وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ النَّظَرَ وَالِاسْتِدْلَالَ شَرْطَ كَمَالٍ فِيهِ » . اِهَـ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« قَوْلُهُ : " شَرْطَ كَمَالٍ " . احْتَجَّ بِاكْتِفَائِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالنُّطْقِ ، وَإِظْهَارِ الِانْقِيَادِ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِدَلِيلٍ .

وَرَدَّهُ فِي شَرْحِ [الْكُبْرَى] بِمَا حَاصِلُهُ : إِنَّ ذَلِكَ لِلْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ إِلَّا بِدَلِيلٍ ، وَلَا أَقَلَّ مِنَ الْجُمْلِيِّ ، هَكَذَا أَصْلُ فِطْرَتِهِمْ ، خُصُوصًا مَعَ مُشَاهَدَةِ أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ » . اِنْتَهَى .

فَمَنْ كَانَ فِيهِ أَهْلِيَّةٌ لَهُ وَتَرَكَهُ فَقَدْ تَرَكَ الْأَوْلَى ، وَمَعَ ذَلِكَ إِذَا نَظَرَ يُثَابُ عَلَيْهِ ثَوَابَ الْوَاجِبِ كَمَا فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ يَسٍ عَلَى شَرْحِ [أُمِّ الْبَرَاهِينِ] لِمُؤَلِّفِهَا .

(الْخَامِسَةُ) :

أَنَّهُ فَعَلَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ بِعَاصٍ مُطْلَقًا .

وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ النَّظَرَ حَرَامٌ مُطْلَقًا ، لِأَنَّهُ مَظِنَّةُ الْوُقُوعِ فِي الشُّبَهِ وَالضَّلَالِ ، لِاخْتِلَافِ الْأَذْهَانِ وَالْأَنْظَارِ ، بِخِلَافِ التَّقْلِيدِ .

وَرُدَّ بِأَنَّ : الْمُعْتَبَرَ الدَّلِيلُ الْإِجْمَالِيُّ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« يَجِبُ حَمْلُهُ عَلَى غَيْرِ مَا الْكَلَامُ فِيهِ – أَعْنِي : التَّفْصِيلِيَّ – لِمَنْ يَقْصُرُ عَنِ التَّخَلُّصِ مِنَ الشُّبَهِ ، وَإِلَّا خَالَفَ الْقُرْءَانَ الْآمِرَ بِالنَّظَرِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ الْيُوسِيُّ » . اِنْتَهَى .

قَالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ زَرُّوقٌ فِي شَرْحِهِ عَلَى [عَقِيدَةِ الْإِمَامِ الْغَزَّالِيِّ] رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا :

« **قِيلَ** : وَهُوَ أَفْضَلُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، لِشَرَفِ مُتَعَلَّقِهِ ؛ وَقَالَ مَالِكٌ ، وَالشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ ، وَسُفْيَانُ ، وَأَبُو يُوسُفَ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – بِتَحْرِيمِ النَّظَرِ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِ السَّلَفِ ، وَيُعِينُ الْمُبْتَدِعَةَ بِفَرْضِ الشُّبَهِ ، وَيُثِيرُ شُكُوكًا وَغَيْرَهَا فِي الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ ، وَيُوجِبُ الْكَلَامَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالنُّبُوَّةِ لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ وَالِاحْتِرَامِ .

وَقِيلَ : إِنَّمَا ذَلِكَ فِي حَقِّ مَنْ يَأْخُذُهُ مُجَرَّدًا عَنْ أَدِلَّةِ الْكِتَابِ .
وَقِيلَ : إِنَّمَا هُوَ فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ الْمُشَوِّشِينَ عَلَى النَّاسِ بِأَنْظَارِهِمْ وَغَيْرِهَا ؛ أَمَّا تَحْرِيرُ الْمُعْتَقَدِ بِالْبَيَانِ ، وَدَفْعِ الشُّبَهِ إِذَا عَرَضَتْ : فَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ دَفْعِهَا بِمَا أَمْكَنَ . وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ » . اِنْتَهَى .

(**السَّادِسَةُ**) :
أَنَّهُ إِنْ قَلَّدَ الْقُرْءَانَ أَوِ السُّنَّةَ الْقَطْعِيَّةَ فَإِيمَانُهُ صَحِيحٌ ، لِاتِّبَاعِهِ الْقَطْعِيَّ ؛ وَإِنْ قَلَّدَ غَيْرَهُمَا فَلَا يَصِحُّ إِيمَانُهُ ، لِتَقْلِيدِهِ غَيْرَ مَعْصُومٍ ، وَهُوَ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَإِ .

قَالَ الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ :
« وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ جِدًّا ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ حَقِّيَّةَ الْقُرْءَانِ أَوِ السُّنَّةِ لِيُقَلِّدَهُمَا إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ الصَّحِيحِ الْمُبَلِّغِ إِلَى مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى وَرُسُلِهِ ، وَذَلِكَ مُنَافٍ لِلتَّقْلِيدِ » . اهـ .
أُنْظُرْ حَاشِيَةَ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْمُعَوَّلَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الطُّرُقِ السِّتِّ هِيَ الطَّرِيقَةُ الثَّالِثَةُ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :
حَقَّقَ الْإِمَامُ السُّبْكِيُّ – كَغَيْرِهِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ – أَنَّ الْخِلَافَ فِي كِفَايَةِ التَّقْلِيدِ ، وَعَلَيْهَا : فَالْمُقَلِّدُ مُؤْمِنٌ .
وَعَدَمِهَا ، وَعَلَيْهَا : فَهُوَ كَافِرٌ . لَفْظِيٌّ .
فَحُمِلَ الْقَوْلُ بِكِفَايَتِهِ ، وَصِحَّةِ إِيمَانِهِ : عَلَى مَا إِذَا جَزَمَ بِصِحَّةِ الْعَقَائِدِ الَّتِي سَمِعَهَا مِنَ الْمُقَلَّدِ – بِفَتْحِ اللَّامِ – جَزْمًا قَوِيًّا ، بِحَيْثُ لَوْ رَجَعَ الْمُقَلَّدُ – بِالْفَتْحِ – لَمْ يَرْجِعْ هُوَ ؛ فَيَكْفِيهِ ذَلِكَ فِي الْأَحْكَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، فَيُنَاكَحُ ، وَيَؤُمُّ ، وَتُؤْكَلُ ذَبِيحَتُهُ ، وَيُورَثُ وَيَرِثُ ، وَيَأْخُذُ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَيُغَسَّلُ ، وَيُكَفَّنُ ، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَيُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ .
وَفِي الْأَحْكَامِ الْأُخْرَوِيَّةِ أَيْضًا ، فَإِنْ دَخَلَ النَّارَ فَلَا يُخَلَّدُ فِيهِ ، وَمَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، غَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ عَاصٍ بِتَرْكِ النَّظَرِ إِنْ كَانَ فِيهِ أَهْلِيَّةٌ لَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَكُونُ عَاصِيًا بِتَرْكِهِ .
وَحُمِلَ الْقَوْلُ بِعَدَمِهَا ، وَعَدَمِ صِحَّةِ إِيمَانِهِ : عَلَى مَا إِذَا كَانَ جَازِمًا بِمَا ذُكِرَ جَزْمًا ضَعِيفًا، بِحَيْثُ لَوْ رَجَعَ الْمُقَلَّدُ – بِالْفَتْحِ – لَرَجِعَ هُوَ .

... .

(**الثَّانِي**) :

الخِلَافُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي إِيمَانِ الْمُقَلِّدِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْجَازِمِ –كَمَا عَلِمْتَ – ، وَأَمَّا الظَّانُّ ، أَوِ الشَّاكُّ، أَوِ الْمُتَوَهِّمُ فَكَافِرٌ بِاتِّفَاقٍ ، بِالنَّظَرِ لِأَحْكَامِ الْآخِرَةِ وَلِمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى؛ وَأَمَّا بِالنَّظَرِ إِلَى أَحْكَامِ الدُّنْيَا فَيَكْفِي فِيهَا الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ ، فَمَنْ أَقَرَّ بِلِسَانِهِ بِالْعَقَائِدِ ، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا بِقَلْبِهِ جَرَتْ عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ إِقْرَارُهُ بِهَا بِشَيْءٍ يَقْتَضِي الْكُفْرَ، كَالسُّجُودِ لِصَنَمٍ .

[وَالْحَاصِلُ] :

أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِلِسَانِهِ بِالْعَقَائِدِ ، وَصَدَّقَ بِهَا، وَأَذْعَنَ لَهَا بِقَلْبِهِ : فَهُوَ مُؤْمِنٌ نَاجٍ عِنْدَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — وَعِنْدَنَا ؛ وَمَنْ صَدَّقَ بِهَا ، وَأَذْعَنَ لَهَا بِقَلْبِهِ ، وَلَمْ يُقِرَّ بِهَا بِلِسَانِهِ ، لَا لِعُذْرٍ مَنَعَهُ ، وَلَا لِامْتِنَاعٍ مِنْهُ ، بَلِ اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ : فَهُوَ مُؤْمِنٌ نَاجٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، غَيْرُ مُؤْمِنٍ ، وَغَيْرُ نَاجٍ عِنْدَنَا .

أَمَّا الْمَعْذُورُ ، كَأَخْرَسٍ : إِذَا قَامَتْ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَصْدِيقِهِ بِهَا ، وَأَذْعَانِهِ لَهَا بِقَلْبِهِ ، كَإِشَارَةٍ : فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَنَاجٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَعِنْدَنَا .

وَأَمَّا الْمُمْتَنِعُ ، بِأَنْ طُلِبَ مِنْهُ الْإِقْرَارُ بِهَا فَأَبَى: فَهُوَ غَيْرُ مُؤْمِنٍ ، وَغَيْرُ نَاجٍ عِنْدَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — وَعِنْدَنَا .

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَا بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا وَيُذْعِنْ لَهَا بِقَلْبِهِ –كَالْمُنَافِقِينَ – فَهُوَ مُؤْمِنٌ نَاجٍ عِنْدَنَا ، غَيْرُ مُؤْمِنٍ ، وَغَيْرُ نَاجٍ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَمَحَلُّ كَوْنِهِ مُؤْمِنًا وَنَاجِيًا عِنْدَنَا : إِذَا لَمْ نَطَّلِعْ عَلَى كُفْرِهِ بِسُجُودٍ لِصَنَمٍ ، أَوْ رَمْيِ مُصْحَفٍ فِي قَذِرٍ ، أَوْ سَبٍّ لِلهِ تَعَالَى ، أَوْ لِنَبِيٍّ، أَوْ لِمَلَكٍ مُجْمَعٍ عَلَى نُبُوَّتِهِ أَوْ مَلَكِيَّتِهِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ وَإِلَّا أَجْرَيْنَا عَلَيْهِ أَحْكَامَ الْكُفَّارِ ، فَلَا يُحْتَرَمُ دَمُهُ وَمَالُهُ ، يَرِثُ وَلَا يُورَثُ ، وَلَا يُمَكَّنُ مِنْ نِكَاحِ الْمُسْلِمَةِ ، وَلَا يَؤُمُّ ، وَلَا وَلَا تُؤْكَلُ ذَبِيحَتُهُ ، وَلَا يَأْخُذُ شَيْئًا مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَلَا يُغَسَّلُ ، وَلَا يُكَفَّنُ ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ .

(**الثَّالِثُ**) :

فِي حَاشِيَةِ شَيْخِ مَشَايِخِنَا الْعَلَّامَةِ الدُّسُوقِيِّ عَلَى الْمُصَنِّفِ :

« وَاعْلَمْ أَنَّ الْخِلَافَ فِي الْمُقَلِّدِ فِي كُفْرِهِ وَعَدَمِ كُفْرِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِنَجَاتِهِ وَعَدَمِهَا فِي الْآخِرَةِ ، لِأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا لَا قَائِلَ بِأَنَّهُ يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ ، بَلْ يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا اتِّفَاقًا .

قَالَ الشَّاوِيُّ : " وَهَذَا الخِلَافُ الَّذِي فِي الْمُقَلِّدِ بِعَكْسِ الخِلَافِ الَّذِي فِي الْمُعْتَزِلَةِ فِي أَنَّهُمْ كُفَّارٌ ، أَوْ مُؤْمِنُونَ عُصَاةٌ ، فَإِنَّهُ بِالنَّظَرِ لِحَالِ الدُّنْيَا ، **أَيْ** : هَلْ تُجْرَى عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا أَمْ لَا ؟ .

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ : فَلَا خِلَافَ أَنَّهُمْ يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ " . وَتَأَمَّلْهُ » . انْتَهَى .

٥٥ – وَذُو احْتِيَـــــاطٍ فِي أُمُـــــورِ الــــدِّينِ مَـــــنْ فَـــــرَّ مِـــــنْ شَـــكٍّ إِلَى يَقِـــينِ
٥٦ – وَمَـــنْ لَـــهُ عَقْـــلٌ أَبَى عَـــنْ شُـــرْبِ مَـــا لَمْ يَصْـــفُ مُـــذْ أَلْفَـــى زُلَالًا شَـــبِمَا
٥٧ – فَبَـــــانَ أَنَّ النَّظَـــــرَ الْمُوَصِّـــــلَا أَوَّلُ وَاجِـــبٍ كَمَـــا قَـــدْ أُصِّـــلَا
٥٨ – وَقَـــدْ عَـــزَوْا ذَا لِلْإِمَـــامِ الْأَشْـــعَرِي وَهْـــوَ عَـــنِ الْإِشْـــكَالِ وَالضَّـــعْفِ عَـــرِي

((وَذُو)) بِضَمِّ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ؛ أَيْ : صَاحِبُ ((احْتِيَاطٍ)) بِإِهْمَالِ الْحَاءِ ، فَمُثَنَّاةٍ فَوْقِيَّةٍ ، فَمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ، فَطَاءٍ مُهْمَلَةٍ ؛ أَي : احْتِرَازٍ ((فِي أُمُورِ)) بِضَمِّ الْهَمْزِ وَالْمِيمِ ؛ أَيِ : شُئُونِ وَأَحْوَالِ ((الدِّينِ)) بِكَسْرِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ؛ أَي : الشَّرْعِ الَّذِي يَتَدَيَّنُ الْمُكَلَّفُ بِهِ لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَيُدَانُ عَلَيْهِ .

وَخَبَرُ ((ذُو)) : ((مَنْ)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ ؛ أَي : الشَّخْصُ الَّذِي ((فَرَّ)) بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالرَّاءِ مُثَقَّلًا ؛ أَيْ : هَرَبَ ((مِنْ)) بِكَسْرٍ ، فَسُكُونٍ ((شَكٍّ)) بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَشَدِّ الْكَافِ ؛ أَيْ : تَرَدُّدٍ ، أَيْ : مُتَرَدَّدٌ وَمُخْتَلَفٌ فِيهِ ، وَهُوَ التَّقْلِيدُ فِي الْعَقَائِدِ .

وَصِلَةُ ((فَرَّ)) : ((إِلَى يَقِينٍ)) أَيْ : مُتَيَقَّنٍ – بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ تَحْتَ – نَجَاةُ الْآخِذِ بِهِ مِنْ خُلُودِهِ فِي النَّارِ ، وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْعَقَائِدِ .

((وَمَنْ)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ ؛ أَي : الشَّخْصُ الَّذِي ((لَهُ عَقْلٌ)) كَامِلٌ ((أَبَى)) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ ؛ أَي : امْتَنَعَ ((عَنْ شُرْبِ)) بِضَمِّ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ((مَا)) أَي : الْمَاءِ الَّذِي ((لَمْ يَصْفُ)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ تَحْتَ ، وَسُكُونِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، فَفَاءٍ ؛ أَيْ : لَمْ يَخْلُصْ مِمَّا يُكَدِّرُهُ ((مُذْ)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ؛ أَيْ : مُدَّةَ ؛ صِلَةُ ((أَبَى)) ؛ أَيْ : حِينَ ((أَلْفَى)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، وَفَتْحِ الْفَاءِ ؛ أَيْ : وَجَدَ مَاءً ((زُلَالًا)) بِضَمِّ الزَّايِ الْمُعْجَمَةِ ؛ أَيْ : عَذْبًا ، بَارِدًا ، صَافِيًا ، سَرِيعَ الْمَمَرِّ فِي الْحَلْقِ ، سَهْلًا سَلِسًا ((شَبِمَا)) بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ أَيْ : بَارِدًا ؛ وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ ، وَالْجُمْلَةُ نَعْتُ ((زُلَالًا)) مُؤَكِّدٌ لَهُ .

((فَبَانَ)) أَيِ : ظَهَرَ ((أَنَّ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالنُّونِ مُثَقَّلًا ((النَّظَرَ)) بِفَتْحِ النُّونِ وَالظَّاءِ الْمُعْجَمِ ؛ أَي : التَّأَمُّلُ وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى وُجُودِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَسَائِرِ صِفَاتِهِ ((الْمُوَصِّلَا)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ مُثَقَّلًا ، وَفَتْحِ الْوَاوِ ، وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ ، وَصِلَتُهُ مُقَدَّرَةٌ ؛ أَيْ : إِلَى مَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَهُوَ الصَّحِيحُ كَمَا تَقَدَّمَ .

وَخَبَرُ ((أَنَّ)) : ((أَوَّلُ وَاجِبٍ)) عَلَى الْمُكَلَّفِ ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ الْوَاجِبَةَ بِالْإِجْمَاعِ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَيْهِ ، وَمَا تَوَقَّفَ عَلَيْهِ الْوَاجِبُ فَهُوَ وَاجِبٌ ((كَمَا)) أَي : الْقَوْلِ الَّذِي ((قَدْ أُصِّلَا)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ ؛ أَيْ : قُدِّمَ فِي قَوْلِهِ :

٤٨ – أَوَّلُ وَاجِـــبٍ عَلَـــى الْمُكَلَّـــفِ إِعْمَالُـــــــهُ لِلنَّظَـــــــرِ ... إلخ

((وَقَدْ عَزَوْا)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالزَّايِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْوَاوِ ؛ أَيْ : نَسَبَ عُلَمَاءُ التَّوْحِيدِ ((ذَا)) أَي : الْقَوْلَ بِأَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ النَّظَرُ الْمُوَصِّلُ إِلَى مَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((لِلْإِمَامِ)) أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ ((الْأَشْعَرِي)) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَسُكُونِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ ؛ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ ((وَهْوَ)) أَي : الْقَوْلُ بِأَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ

٥٩ – وَقِيــــلَ : بَـــلْ قَصْــــدٌ إِلَيْـــهِ أَوَّلُ فَــــــرْضٍ، وَفِرْقَـــــةٌ عَلَيْـــــهِ عَوَّلُـــــوا
٦٠ – وَقِيــــلَ : بَـــلْ مَعْرِفَــــةُ الْخَـــلَّاقِ أَوَّلُ وَاجِـــــــبٍ عَلَــــــى الْإِطْـــــلَاقِ
٦١ – وَغَيْـــــرُ وَاحِــــدٍ نَمَـــاهُ أَيْضَــــا لِلْأَشْـــــــعَرِيِّ الْمُسْــــتَمِدِّ فَيْضَـــــا
٦٢ – وَلَـــيْسَ ذَا مُخَالِفًـــا مَـــا قَبْلَـــهْ إِذْ هِـــيَ قَصْـــــدٌ وَسِـــوَاهَا وُصْـــلَةْ

النَّظَرُ ((**عَنِ الْإِشْكَالِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْخَفَاءِ وَالِاعْتِرَاضِ ؛ صِلَةُ ((**عَرِي**)) آخِرَ الْبَيْتِ ؛ ((**وَالضَّعْفِ**)) بِفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ((**عَرِي**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : خَلِيٌّ . وَهَذَا عِنْدَ النَّاظِمِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – ، وَأَمَّا عِنْدَ غَيْرِهِ فَلَيْسَ عَارِيًا عَمَّا ذُكِرَ ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَسَائِلِ : فَالْقَصْدُ سَابِقٌ عَلَيْهِ ، فَيَكُونُ هُوَ أَوَّلَ وَاجِبٍ .
أَوْ مِنَ الْمَقَاصِدِ : فَأَوَّلُ وَاجِبٍ هُوَ الْمَعْرِفَةُ ، لِأَنَّهَا هِيَ الْمَقْصُودَةُ ، وَالنَّظَرُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا .
وَالْحَقُّ : مَا لِلْمُصَنِّفِ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنْ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ النَّظَرُ ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْلَيْنِ الْآخَرَيْنِ كَمَا يَأْتِي . **يَقُولُ** : وَلَيْسَ ذَا مُخَالِفًا مَا قَبْلَهُ .

((**وَقِيلَ : بَلْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفُ إِضْرَابٍ عَنِ الْقَوْلِ بِأَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ النَّظَرُ إِلَى أَنَّهُ ((**قَصْدٌ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ ، وَسُكُونِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ؛ خَبَرُ ((**أَوَّلُ**)) الْآتِي ؛ ((**إِلَيْهِ**)) **أَيِ** : النَّظَرِ الصَّحِيحِ ؛ **أَيْ** : تَوْجِيهُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ ، وَقَطْعُ الْعَوَائِقِ وَالشَّوَاغِلِ وَالْمَوَانِعِ ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا الْكِبْرُ وَالْحَسَدُ وَالْغِلُّ وَالْبُغْضُ لِلْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَفْرُغَ قَلْبُهُ لِذَلِكَ ((**أَوَّلُ فَرْضٍ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : مَفْرُوضٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ ؛ ((**وَفِرْقَةٌ**)) بِكَسْرِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّوْحِيدِ ((**عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : الْقَوْلِ بِأَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ ، صِلَةُ ((**عَوَّلُوا**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالْوَاوِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيِ** : اعْتَمَدُوا .
((**وَقِيلَ : بَلْ مَعْرِفَةُ**)) اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْخَلَّاقِ**)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَشَدٍّ لِلَّامِ ، ثُمَّ قَافٍ ؛ **أَيْ** : لِكُلِّ حَادِثٍ ((**أَوَّلُ وَاجِبٍ**)) عَلَى الْمُكَلَّفِ ((**عَلَى الْإِطْلَاقِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ((**وَغَيْرُ**)) **أَيْ** : أَكْثَرُ مِنْ ((**وَاحِدٍ**)) مِنْ عُلَمَاءِ التَّوْحِيدِ ((**نَمَاهُ**)) **أَيْ** : نَسَبَ الْقَوْلَ بِأَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ مَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**أَيْضًا**)) **أَيْ** : كَمَا نُسِبَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ النَّظَرُ الْمُوَصِّلُ لَهَا ((**لِلْأَشْعَرِيِّ الْمُسْتَمِدِّ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ الْأُولَى وَكَسْرِ الثَّانِيَةِ ؛ **أَيْ** : مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**فَيْضًا**)) بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ تَحْتَ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ **أَيْ** : إِنْعَامًا وَإِحْسَانًا ((**وَلَيْسَ ذَا**)) **أَيِ** : الْقَوْلَ بِأَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ مَعْرِفَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مُخَالِفًا مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ذُكِرَ ((**قَبْلَهْ**)) **وَهُوَ قَوْلَانِ** :
١ – الْقَوْلُ بِأَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ النَّظَرُ

٢ – وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ الْقَصْدُ إِلَيْهِ .

((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**هِيَ**)) **أَيِ** : الْمَعْرِفَةُ ((**قَصْدٌ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ ، وَسُكُونِ الصَّادِ ؛ **أَيِ**: الْمَقْصُودَةُ بِذَاتِهَا ((**وَسِوَاهَا**)) **أَيِ** : الْمَعْرِفَةِ ، وَهُوَ النَّظَرُ عَلَى قَوْلٍ ، وَالْقَصْدُ إِلَيْهِ عَلَى قَوْلٍ آخَرَ ((**وُصْلَةْ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : مُوَصِّلٌ لَهَا ؛ فَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ النَّظَرُ : بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ وَسِيلَةً قَرِيبَةً

لِلْمَعْرِفَةِ ؛ وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ الْقَصْدُ إِلَيْهِ : بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ وَسِيلَةً بَعِيدَةً لَهَا ؛ وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ الْمَعْرِفَةُ : بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا مَقْصُودَةً لِذَاتِهَا .

فَلَمْ تَتَوَارَدْ عَلَى اعْتِبَارٍ وَاحِدٍ ، فَلَيْسَ الْخِلَافُ بَيْنَهَا حَقِيقِيًّا ، وَإِنَّمَا هُوَ خِلَافٌ فِي حَالٍ وَاعْتِبَارٍ .

[تَتِمَّةٌ]

جُمْلَةُ الْأَقْوَالِ فِي أَوَّلِ وَاجِبٍ اثْنَا عَشَرَ قَوْلًا ، اِقْتَصَرَ الْمُصَنِّفُ مِنْهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ ، وَبَقِيَ تِسْعَةُ أَقْوَالٍ لَمْ يَذْكُرْهَا ، وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا لَكَ تَتْمِيمًا لِلْفَائِدَةِ ، **فَنَقُولُ** :

(**رَابِعُهَا**) :

إِنَّهُ أَوَّلُ جُزْءٍ مِنَ النَّظَرِ، **أَيِ** : الدَّلِيلِ ؛ مَثَلًا : الْعَالَمُ حَادِثٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَهُ مُحْدِثٌ .

فَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ – وَهِيَ الْمُقَدِّمَةُ الْأُولَى – هُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ .

وَضَعَّفَهُ [الْمُقْتَرَحُ] بِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ وُجُوبُ جُزْءِ الْعِبَادَةِ ، كَصَوْمِ جُزْءِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى الضُّحَى فَقَطْ ؛ وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ ، وَلَا يَخْفَى صِحَّةُ هَذَا اللَّازِمِ ، فَإِنَّ أَوَّلَ جُزْءِ الْوَاجِبِ وَاجِبٌ ، لَكِنْ لَا وَحْدَهُ ، بَلْ مَعَ بَقِيَّةِ أَجْزَائِهِ إِلَى تَمَامِهِ ، كَالنِّيَّةِ ، وَتَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ ، وَإِمْسَاكِ أَوَّلِ الْيَوْمِ ، وَإِحْرَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَلَا تَنَافِيَ أَيْضًا بَيْنَ هَذَا الْقَوْلِ وَالْقَوْلِ بِأَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ هِيَ الْمَعْرِفَةُ ، لِأَنَّ الْخِلَافَ بَيْنَهُمَا لَيْسَ حَقِيقِيًّا كَمَا تَقَدَّمَ .

[وَالْحَاصِلُ] :

أَنَّ مَنْ قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ . نَظَرَ إِلَى الْوَسِيلَةِ الْبَعِيدَةِ .

وَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ أَوَّلُ جُزْءٍ مِنْهُ . نَظَرَ إِلَى الْوَسِيلَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ .

وَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ النَّظَرُ . نَظَرَ إِلَى الْوَسِيلَةِ الْقَرِيبَةِ .

وَمَنْ قَالَ : إِنَّهُ الْمَعْرِفَةُ . نَظَرَ إِلَى الْمَقْصِدِ .

(**وَخَامِسُهَا**) : أَنَّهُ التَّقْلِيدُ .

(**وَسَادِسُهَا**) : أَنَّهُ التَّخْيِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرِفَةِ . فَالْوَاجِبُ أَحَدُهُمَا لَا بِعَيْنِهِ .

(**وَسَابِعُهَا**) : أَنَّهُ الْإِيمَانُ . **أَيْ** : تَصْدِيقُ النَّفْسِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهَا بِقَوْلِهَا : آمَنْتُ وَصَدَّقْتُ .

(**وَثَامِنُهَا**) : أَنَّهُ الْإِسْلَامُ . **أَيْ** : الِانْقِيَادُ لِلْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ .

(**وَتَاسِعُهَا**) : أَنَّهُ النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ .

[فَصْلٌ فِي الْحَثِّ عَلَى النَّظَرِ]

٦٣ – وَجَـــــاءَ فِي الْقُـــــرْءَانِ وَالْأَخْبَـــــارِ   حَـــــثٌّ عَلَـــــى الْفِكْـــــرِ وَالِاعْتِبَـــــارِ
٦٤ – وَهْـــــوَ عَلَـــــى وُجُوبِـــــهِ قَـــــدْ دَلَّا   مَـــــعْ كَوْنِـــــهِ بِالْقَصْـــــدِ مَـــــا اسْـــــتَقَلَّا
٦٥ – فَـــاقْرَأْ { وَفِي أَنْفُسِـــكُمْ } مَـــعْ {أَفَـــلَا}   تَظْفَـــــرْ بِرُشْـــــدٍ نُـــــورُهُ مَـــــا أَفَـــــلَا
٦٦ – وَاسْـــتَجْلِ مَعْـــنَى « مَـــنْ لِنَفْسِـــهِ عَـــرَفْ »   تَلْحَـــقْ بِمَـــنْ مِـــنْ نَهْـــرِ عِرْفَـــانٍ غَـــرَفْ

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« وَالثَّلَاثَةُ مُتَقَارِبَةٌ مَرْدُودَةٌ بِاحْتِيَاجِهَا لِلْمَعْرِفَةِ » . اهـ .

(**وَعَاشِرُهَا**) : أَنَّهُ اعْتِقَادُ وُجُوبِ النَّظَرِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **أَيْ** : لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى النَّظَرِ » . اهـ .

(**وَحَادِي عَشْرِهَا**) : أَنَّهُ وَظِيفَةُ الْوَقْتِ الَّذِي كُلِّفَ فِيهِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

«كَصَلَاةٍ ضَاقَ وَقْتُهَا ، فَتُقَدَّمُ » . اهـ .

(**وَثَانِي عَشْرِهَا**) : أَنَّهُ الشَّكُّ .

وَرُدَّ بِأَنَّهُ : مَطْلُوبٌ زَوَالُهُ ، لِأَنَّ الشَّكَّ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعَقَائِدِ كُفْرٌ ، فَلَا يَكُونُ حُصُولُهُ مَطْلُوبًا .

وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ بِأَنَّ : الْقَائِلَ بِهِ أَرَادَ الشَّكَّ الَّذِي يَكُونُ وَسِيلَةً لِلْمَعْرِفَةِ ، إِذِ الْعَاقِلُ إِذَا شَكَّ يُعَجِّلُ النَّظَرَ الَّذِي يُزِيلُهُ ، وَلَا يَرْضَى بِبَقَائِهِ عَلَيْهِ ؛ لَا الشَّكَّ الْمَقْصُودَ لِذَاتِهِ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ .

********* ******* ******* ******* *******

[فَصْلٌ فِي الْحَثِّ] بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ؛ **أَيْ** : شِدَّةُ الْأَمْرِ وَالْحَضِّ

[عَلَى النَّظَرِ] **أَيِ** : التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ الْمُوَصِّلِ إِلَى مَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**وَجَاءَ فِي الْقُرْءَانِ**)) الْعَزِيزِ ((**وَالْأَخْبَارِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، فَمُوَحَّدَةٍ ؛ **أَيِ** : الْأَحَادِيثِ . وَفَاعِلُ ((**جَاءَ**)) : ((**حَثٌّ**)) **أَيْ** : **تَشْدِيدٌ** وَحَضٌّ ((**عَلَى**)) طَلَبِ ((**الْفِكْرِ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ فِيمَا يُوَصِّلُ إِلَى مَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وَ**)) عَلَى طَلَبِ ((**الِاعْتِبَارِ**)) **أَيِ** : الْمُلَاحَظَةِ ((**وَهْوَ**)) **أَيِ** : الْحَثُّ عَلَى الْفِكْرِ ((**عَلَى وُجُوبِهِ**)) **أَيِ** : الْفِكْرِ ، صِلَةُ ((**قَدْ دَلَّا**)) **أَيِ** : الْحَثُّ ، وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ . ((**مَعْ**)) بِسُكُونِ الْعَيْنِ لِأَجْلِ الْوَزْنِ ، وَإِنْ كَانَ فَتْحُهَا أَفْصَحَ .

((**كَوْنِهِ**)) **أَيِ** : الْفِكْرِ ((**بِالْقَصْدِ**)) **أَيْ** : لِذَاتِهِ . صِلَةُ " اسْتَقَلَّ " .

((**مَا**)) نَافِيَةٌ ((**اسْتَقَلَّا**)) **أَيْ** : لَمْ يَسْتَقِلَّ الْفِكْرُ بِقَصْدِهِ لِذَاتِهِ ، لِكَوْنِهِ وَسِيلَةً لِلْمَعْرِفَةِ ، وَهِيَ الْمَقْصُودَةُ لِذَاتِهَا .

((**فَاقْرَأْ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ((﴿ **وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ** ﴾ **مَعْ**)) قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ((﴿ **أَفَلَا**)) تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] .

٦٧ – وَمَــنْ يُقَــدِّمْ نَفْسَــهُ عِنْــدَ النَّظَــرْ مُؤَلِّفًــا مِــنَ الْقَضَــايَا مَــا حَضَــرْ

٦٨ – يَقِــسْ بِشَــكْلٍ بَــيِّنِ الْإِنْتَــاجِ إِذْ خَلْقُــهُ مِــنْ نُطْفَــةٍ أَمْشَــاجِ

وَجَوَابُ ((**ـاقْرَأْ**)) : ((**تَظْفَرْ**)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ وَالْفَاءِ ، وَسُكُونِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : تَسْعَدْ ((**بِرُشْدٍ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : هُدًى وَعِلْمٍ ((**نُورُهُ**)) **أَي** : الرُّشْدُ ((**مَا**)) نَافِيَةٌ ((**أَفَلَا**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْفَاءِ ؛ **أَيْ** : لَا يَغِيبُ .

((**وَاسْتَجْلِ**)) بِفَتْحِ التَّاءِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ ، وَسُكُونِ الْجِيمِ ؛ **أَي** : افْهَمْ ((**مَعْنَى**)) قَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ اِسْمُ شَرْطٍ ، **أَيْ** : أَيُّ شَخْصٍ ((**لِنَفْسِهِ**)) بِلَامِ التَّقْوِيَةِ ، صِلَةُ ((**عَرَفْ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالرَّاءِ .

أَيْ : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْحُدُوثِ ، وَالْعَجْزِ ، وَالِافْتِقَارِ ، وَالْجَهْلِ ، وَسَائِرِ صِفَاتِ النَّقْصِ : عَرَفَ رَبَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالْقِدَمِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَالِاسْتِغْنَاءِ ، وَالْعِلْمِ ، وَسَائِرِ صِفَاتِ الْكَمَالِ .

وَجَوَابُ ((**اسْتَجْلِ**)) : ((**تَلْحَقْ**)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، آخِرُهُ قَافٌ .

((**بِمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ اِسْمُ مَوْصُولٍ ؛ **أَي** : الشَّخْصِ الَّذِي ((**مِنْ نَهْرِ**)) **أَيْ** : بَحْرِ ((**عِرْفَانٍ**)) بِكَسْرِ الْعَيْنِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : مَعْرِفَةٍ. وَالْإِضَافَةُ مِنْ إِضَافَةِ الْمُشَبَّهِ بِهِ بِالْمُشَبَّهِ .

وَ ((**مِنْ نَهْرِ**)) صِلَةُ ((**غَرَفْ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالرَّاءِ ، آخِرُهُ فَاءٌ .

((**وَمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، اسْمُ شَرْطٍ ؛ **أَيْ** : أَيُّ شَخْصٍ ((**يُقَدِّمْ**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ((**نَفْسَهُ**)) لِأَنَّهَا أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ ، وَأَبْيَنُهَا عِنْدَهُ ؛ وَهَذَا الدَّلِيلُ هُوَ أَوْضَحُ الْأَدِلَّةِ وَأَقْرَبُهَا – وَإِنْ قَلَّ وُجُودُهُ فِي كُتُبِ الْأَئِمَّةِ – ، ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ مَرْزُوقٍ فِي عَقِيدَتِهِ ، وَصَدَّرَ بِهِ الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ فِي [الْكُبْرَى] ، وَإِيَّاهُمَا تَبِعَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَصِلَةُ ((**يُقَدِّمْ**)) : ((**عِنْدَ النَّظَرْ**)) **أَي** : التَّفَكُّرِ وَالِاسْتِدْلَالِ حَالَ كَوْنِهِ ((**مُؤَلِّفًا**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : مُرَكَّبًا ((**مِنَ الْقَضَايَا**)) بَيَانُ ((**مَا**)) اِسْمٌ مَوْصُولٌ ؛ **أَي** : الَّذِي ((**حَضَرْ**)) .

وَجَوَابُ ((**مَنْ يُقَدِّمْ ...**)) إِلَخْ : ((**يَقِسْ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : يَسْتَدِلَّ عَلَى صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بِشَكْلٍ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : دَلِيلٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ صُغْرَى وَكُبْرَى ((**بَيِّنِ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : ظَاهِرِ ((**الْإِنْتَاجِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : إِخْرَاجُ النَّتِيجَةِ ، وَهُوَ الشَّكْلُ الْأَوَّلُ، **أَيْ** : جَعْلُ الْحَدِّ االْوَسَطِ فِيهِ مَحْمُولًا ، أَوْ تَالِيًا فِي الصُّغْرَى ، وَمَوْضُوعًا أَوْ مُقَدَّمًا فِي الْكُبْرَى .

وَنَظْمُهُ :

أَنَا حَادِثٌ ، وَكُلُّ حَادِثٍ فَلَهُ مُحْدِثٌ . يُنْتِجُ : أَنَا مُحْدَثٌ .

أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ الصُّغْرَى : فَصِدْقُهَا ظَاهِرٌ ، إِذْ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ ، لَا تَحْتَاجُ لِنَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، إِذْ لَا يَشُكُّ عَاقِلٌ فِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ كَانَ ، وَأَنَّهُ شَكْلُهُ وَصُورَتُهُ كَذَلِكَ ، وَأَنَّهُ ذُو أَحْوَالٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مِنْ مَنْشَئِهِ إِلَى كِبَرِهِ إِلَى مَوْتِهِ .

وَأَمَّا الْمُقَدِّمَةُ الْكُبْرَى : فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ كَالصُّغْرَى ، حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ : إِنَّهَا مَرْكُوزَةٌ فِي فِطَرِ الصِّبْيَانِ وَالْبَهَائِمِ .

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهَا نَظَرِيَّةٌ . وَهُوَ الصَّحِيحُ ، لَكِنَّهَا تَحْصُلُ بِنَظَرٍ قَرِيبٍ ، وَلِقُرْبِهِ ظَنَّ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ أَنَّهَا

٦٩ – وَبَعْــــدَ أَنْ لَمْ يَـــكُ شَــيْئًا صَــارَا شَــيْئًا حَـــوَى الْأَسْمَـــاعَ وَالْأَبْصَـــارَا
٧٠ – وَالْحِكْمَــــــةَ الرَّائِقَــــــةَ الْعِيَـــانِ وَالْفَضْـــــــلَ بِـــــالْمَنْطِقِ وَالْبَيَـــــانِ
٧١ – وَالْعَقْــلَ وَالْغَــوْصَ عَلَــى الْحَقَــائِقِ وَالْعِلْـــــمَ بِالْأَسْــــرَارِ وَالــــدَّقَائِقِ
٧٢ – وَغَيْرَهَـــا مِـــنْ أَمْـــرِهِ الْغَرِيـــبِ وَحَصْـــرُهُ يُعْيِـــي قُـــوَى الْأَرِيـــبِ

ضَرُورِيَّةٌ .
أُنْظُرِ [الْكُبْرَى] وَحَاشِيَتَنَا عَلَيْهَا .

وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ دَلِيلَ الصُّغْرَى فَقَالَ :
((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**خَلْقُهُ**)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ؛ **أَي** : الْإِنْسَانُ ، اِبْتِدَاؤُهُ ((**مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : أَخْلَاطٍ مِنْ مَنِيِّ الرَّجُلِ الْأَبْيَضِ الثَّخِينِ ، وَمَنِيِّ الْمَرْأَةِ الْأَصْفَرِ الرَّقِيقِ . أَوْ أَطْوَارٍ ، لِأَنَّ النُّطْفَةَ تَصِيرُ عَلَقَةً ، ثُمَّ مُضْغَةً ، إِلَى تَمَامِ الْخَلْقِ .

((**وَبَعْدَ أَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ((**لَمْ يَكُ**)) الْإِنْسَانُ ((**شَيْئًا**)) **أَيْ** : مَوْجُودًا ((**صَارَ**)) الْإِنْسَانُ ((**شَيْئًا حَوَى**)) بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالْوَاوِ ؛ **أَيْ** : جَمَعَ ((**الْأَسْمَاعَ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ جَمْعُ سَمْعٍ ((**وَ**)) حَوَى ((**الْأَبْصَارَ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ جَمْعُ بَصَرٍ ((**وَ**)) حَوَى ((**الْحِكْمَةَ**)) **أَي** : الْعُلُومَ النَّافِعَةَ ((**الرَّائِقَةَ**)) **أَي** : الصَّافِيَةَ مِمَّا يُكَدِّرُهَا ((**الْعِيَانِ**)) بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛ نَعْتُ ((**الْأَسْمَاعَ**)) وَمَا بَعْدَهَا ؛ **أَي** : الثَّابِتَةُ بِالْمُعَايَنَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ ((**وَ**)) حَوَى ((**الْفَضْلَ**)) **أَي** : الشَّرَفَ عَلَى سَائِرِ الْمُحْدَثَاتِ . وَصِلَةُ ((**الْفَضْلَ**)) : ((**بِالْمَنْطِقِ**)) **أَي** : الْكَلَامِ ((**وَ**)) بِـ ((**ـالْبَيَانِ**)) **أَي** : الْكَلَامِ الْفَصِيحِ الْمُبَيِّنِ مَا فِي الضَّمِيرِ ((**وَ**)) حَوَى ((**الْعَقْلَ وَ**)) حَوَى ((**الْغَوْصَ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ، وَإِهْمَالِ الصَّادِ ؛ **أَي** : التَّأَمُّلَ الشَّدِيدَ ((**عَلَى**)) مَعْرِفَةِ ((**الْحَقَائِقِ وَ**)) حَوَى ((**الْعِلْمَ بِالْأَسْرَارِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ **أَي** : الْأُمُورِ الْخَفِيَّةَ ((**وَ**)) بِالْمَعَانِي ((**الدَّقَائِقِ**)) **أَي** : الْغَامِضَةِ ((**وَ**)) حَوَى ((**غَيْرَهَا**)) **أَي** : الْأَسْمَاعِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا . وَبَيَّنَ غَيْرَهَا بِقَوْلِهِ : ((**مِنْ أَمْرِهِ**)) **أَيْ** : حَالِ الْإِنْسَانِ ((**الْغَرِيبِ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ : الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ ((**وَحَصْرُهُ**)) بِفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الصَّادِ الْمُهْمَلَيْنِ ؛ **أَيْ** : إِحْصَاءُ أَمْرِ الْإِنْسَانِ ((**يُعْيِي**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : يُتْعِبُ وَيُعْجِزُ ((**قُوَى**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ ، جَمْعُ قُوَّةٍ ؛ **أَيْ** : آلَاتُ إِدْرَاكِ الْإِنْسَانِ ، كَعَقْلِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ((**الْأَرِيبِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَكَسْرِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : كَامِلِ الْإِدْرَاكِ وَالْعَقْلِ .

وَمَنْ يُطَالِعْ كُتُبَ عِلْمِ التَّشْرِيحِ يَعْلَمْ مَا فِي صُنْعِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي عُضْوٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي يَعْجَزُ عَقْلُهُ عَنْ إِدْرَاكِهَا وَحَصْرِهَا ، فَكَيْفَ مَا فِي صُنْعِهِ جَمِيعَ الْأَعْضَاءِ ؟! .

... ...

قَالَ الْعَلَّامَةُ التَّاوُدِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الْجَامِعُ] فِي الْأَدَبِ لِلْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ خَلِيلٍ صَاحِبِ [الْمُخْتَصَرِ] :

« وَمَنْ رَأَى دَارًا مُتْقَنَةَ الْبِنَاءِ أَيْقَنَ أَنَّ لَهَا بَانِيًا تَامَّ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَى الْإِنْسَانُ دَارَ ذَاتِهِ الَّتِي أُخِذَ تُرَابُهَا ، وَعَمَدُهَا ، وَخَشَبُهَا ، وَجِيرُهَا ، وَحِبَالُهَا ، وَكُلُّ مَا فِيهَا : مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، إِذْ مِنَ النُّطْفَةِ تَصَوَّرَ لَحْمُهُ ، وَدَمُهُ ، وَعُرُوقُهُ ، وَأَوْرِدَتُهُ ، وَشَعَرُهُ ، وَبَشَرُهُ ، وَسَمْعُهُ ، وَبَصَرُهُ ، وَشَمُّهُ ، وَذَوْقُهُ ، وَفَهْمُهُ ، وَنُطْقُهُ .

وَلَوْ نَظَرَ إِلَى عَجَائِبِ التَّشْرِيحِ الَّتِي فِي عَيْنِهِ ، وَأَنْفِهِ ، وَرَأْسِهِ ، وَظَهْرِهِ ، وَفَقْرَاتِهِ ، وَصَدْرِهِ ، وَمَا احْتَوَى عَلَيْهِ بَاطِنُهُ : لَامْتَلَأَ قَلْبُهُ إِيمَانًا ، وَابْتَهَجَ سُرُورًا بِمَعْرِفَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَفِي [الْحِلْيَةُ] عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :

" إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ لِابْنِ آدَمَ الْمُلُوحَةَ فِي الْعَيْنَيْنِ ، لِأَنَّهُمَا شَحْمَتَانِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَذَابَتَا ؛ وَجَعَلَ الْمَرَارَةَ فِي الْأُذُنَيْنِ ، حِجَابًا مِنَ الدَّوَابِّ ، فَمَا دَخَلَ الرَّأْسَ دَابَّةٌ إِلَّا الْتَمَسَتِ الْوُصُولَ إِلَى الدِّمَاغِ ، فَإِذَا ذَاقَتِ الْمَرَارَةَ طَلَبَتِ الْخُرُوجَ ؛ وَجَعَلَ الْمُنْخَرَيْنِ يَسْتَنْشِقُ بِهِمَا الرِّيحَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَنْتَنَ الدِّمَاغُ ، وَجَعَلَ الْعُذُوبَةَ فِي الرِّيقِ يَجِدُ بِهِ طَعْمَ كُلِّ شَيْءٍ ... ". إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الروم: ٢٠] الْآيَةَ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النازعات : ٢٧ - ٢٨] الْآيَةَ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] الْآيَةَ .

بَلْ أَدْنَى ذَرَّةٍ أَوْ حَبَّةٍ لَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى إِيجَادِهَا عَنْ عَدَمٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ؛ وَهِيَ بِوَحْدَتِهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ لَهَا رَبًّا مُوجِدًا ، وَاحِدًا ، حَيًّا ، عَالِمًا ، قَادِرًا ، قَدِيمًا ، مُرِيدًا، سَمِيعًا ، بَصِيرًا ، مُتَكَلِّمًا » . اهـ .

٧٣ – وَمُسْتَحِيلٌ خَلْقُهُ لِنَفْسِهِ لِعَجْزِهِ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ جِنْسِهِ
٧٤ – بَلْ غَيْرُهَا فِي الْخَلْقِ مِنْهَا أَسْهَلُ لِأَنَّهُ تَهَافُتٌ لَا يُجْهَلُ
٧٥ – إِذْ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ مَعَا وَهْوَ تَنَافٍ ظَاهِرٌ لِمَنْ وَعَى
٧٦ – وَلَا تَصِحُّ نِسْبَةُ التَّأْثِيرِ لِنُطْفَةٍ بِالطَّبْعِ فِي التَّقْدِيرِ
٧٧ – لِأَنَّهُ يُفْضِي إِلَى شَكْلِ الْكُرَةْ وَمَنْعُهُ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ نَذْكُرَهْ

وَلَمَّا فَرَغَ الْمُصَنِّفُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – مِنْ بَيَانِ دَلِيلِ الصُّغْرَى شَرَعَ يُبَيِّنُ دَلِيلَ الْكُبْرَى فَقَالَ :
((**وَمُسْتَحِيلٌ خَلْقُهُ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ ؛ **أَي** : الْإِنْسَانِ ((**لِنَفْسِهِ**)) **أَي** : الْإِنْسَانِ ؛ مَفْعُولُ ((**خَلْقُ**)) الْمُضَافِ لِفَاعِلِهِ ، وَلَامُهُ مُقَوِّيَةٌ .
وَعِلَّةُ ((**مُسْتَحِيلٌ** ...)) إِلَخْ : ((**لِعَجْزِهِ**)) **أَي** : الْإِنْسَانِ ((**عَنْ**)) خَلْقِ ((**غَيْرِهَا**)) **أَيْ** : نَفْسِهِ .
وَبَيَّنَ ((**غَيْرِهَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِنْ جِنْسِهِ**)) **أَي** : الْإِنْسَانِ ((**بَلْ غَيْرُهَا**)) **أَيْ** : نَفْسِهِ ((**فِي الْخَلْقِ**)) صِلَةُ ((أَسْهَلُ)) : ((**مِنْهَا**)) **أَيْ** : نَفْسِهِ ؛ صِلَةُ ((**أَسْهَلُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ السِّينِ ، وَفَتْحِ الْهَاءِ ، خَبَرُ ((**غَيْرُ**)) ؛ ((**لِأَنَّهُ**)) **أَيْ** : خَلْقُهُ نَفْسَهُ ((**تَهَافُتٌ**)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ الْفَوْقِيَّةِ ، وَضَمِّ الْفَاءِ ، مَصْدَرُ " تَهَافَتَ " بِفَتْحِ الْفَاءِ ؛ **أَيْ** : تَسَاقُطٌ ظَاهِرٌ ((**لَا يُجْهَلُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**فِيهِ**)) **أَيْ** : خَلْقِهِ نَفْسَهُ ((**تَقْدِيمٌ**)) لِنَفْسِهِ عَلَيْهَا بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا خَالِقَةً ، وَهَذَا مُحَالٌ بِالضَّرُورَةِ ؛ ((**وَتَأْخِيرٌ**)) لِنَفْسِهِ عَنْهَا بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً ؛ وَهَذَا مُحَالٌ بِالضَّرُورَةِ أَيْضًا حَالَ كَوْنِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ((**مَعَا وَهْوَ**)) **أَي** : الْمَذْكُورُ مِنْ تَقْدِيمِ النَّفْسِ عَلَيْهَا وَتَأْخِيرِهَا عَنْهَا ((**تَنَافٍ ظَاهِرٌ لِمَنْ**)) **أَي** : الشَّخْصِ الَّذِي ((**وَعَى**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : عَقَلَ ((**وَلَا تَصِحُّ نِسْبَةُ التَّأْثِيرِ**)) فِي النَّفْسِ ، وَصِلَةُ ((**نِسْبَةُ**)) : ((**لِنُطْفَةٍ**)) ؛ وَصِلَةُ ((**التَّأْثِيرِ**)) : ((**بِالطَّبْعِ**)) ؛ وَصِلَةُ ((**تَصِحُّ**)) : ((**فِي التَّقْدِيرِ**)) **أَي** : الْفَرْضِ .
أَيْ : لَا يَصِحُّ كَوْنُ النُّطْفَةِ مُؤَثِّرَةً فِي النَّفْسِ بِطَبْعِهَا ((**لِأَنَّهُ**)) **أَيْ** : كَوْنُ النُّطْفَةِ مُؤَثِّرَةً فِي الذَّاتِ بِطَبْعِهَا ((**يُفْضِي**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ، وَكَسْرِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : يَسْتَلْزِمُ وَيُوصِلُ ((**إِلَى**)) كَوْنِ الْإِنْسَانِ عَلَى ((**شَكْلِ**)) بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الْكَافِ ؛ **أَيْ** : هَيْئَةِ وَصُورَةِ ((**الْكُرَةْ**)) بِضَمِّ الْكَافِ ، وَخِفَّةِ الرَّاءِ ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ مُكَوَّرًا مُسْتَدِيرًا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، مُجَرَّدًا عَنِ الرَّقَبَةِ ، وَالرَّأْسِ ، وَالْيَدَيْنِ ، وَالرِّجْلَيْنِ ، لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ الْمُسْتَوِيَةَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ – كَالنُّطْفَةِ – تَقْتَضِي شَكْلًا مُسْتَوِيًا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، لِوُجُوبِ مُوَافَقَةِ الْمَطْبُوعِ لِلطَّبِيعَةِ الَّتِي أَثَّرَتْ فِيهِ . ((**وَمَنْعُهُ**)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ ، فَضَمٍّ ؛ **أَيْ** : بُطْلَانُ كَوْنِ شَكْلِ الْإِنْسَانِ كَشَكْلِ الْكُرَةِ ((**أَظْهَرُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَسُكُونِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الْهَاءِ ((**مِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**أَنْ**)) بِفَتْحٍ ، فَسُكُونٍ ، حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ، صِلَتُهُ : ((**نَذْكُرَهْ**)) لِحُصُولِهِ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعِيَانِ ، وَلَيْسَ بَعْدَهُمَا بَيَانٌ ؛ وَمَتَى بَطَلَ اللَّازِمُ بَطَلَ مَلْزُومُهُ ، وَهُوَ كَوْنُ النُّطْفَةِ مُؤَثِّرَةً فِي الذَّاتِ بِطَبْعِهَا ؛ وَمِثْلُهُ كَوْنُهَا مُؤَثِّرَةً فِيهَا بِعِلِّيَّتِهَا ؛ وَأَظْهَرُ مِنْهُمَا بُطْلَانُ كَوْنِهَا مُؤَثِّرَةً فِيهَا بِالِاخْتِيَارِ ، لِتَوَقُّفِهِ عَلَى حَيَاةِ الْمُؤَثِّرِ ، وَعِلْمِهِ ، وَإِرَادَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ ؛ وَالنُّطْفَةُ مُجَرَّدَةٌ عَنْهَا بِالْمُشَاهَدَةِ ؛ وَالتَّأْثِيرُ مُنْحَصِرٌ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ ، لِأَنَّ الْفَاعِلَ إِمَّا أَنْ يَصِحَّ مِنْهُ التَّرْكُ لِلْفِعْلِ أَوْ لَا .

٧٨ - فَــإِنْ نَظَــرْتَ فِي السَّـــمَاوَاتِ الْعُـــلَا وَمَــــا لَهَـــا مِــــنَ الشِّـــيَاتِ وَالْحُـــلَا
٧٩ - وَسَـــقْفِهَا الْمَرْفُـــوعِ مِـــنْ غَـــيْرِ عَمَـدْ وَالنَّيِّــــــرَاتِ الْمُشْـــــعِرَاتِ بِالْأَمَــــــدْ
٨٠ - وَمَــــا حَوَتْـــهُ الْأَرْضُ وَالْبِحَـــارُ أَبْصَـــرْتَ مَـــا فِيـــهِ النُّهَـــى تَحَـــارُ
٨١ - هَـــذَا، وَمَـــا قَـــدْ غَـــابَ عَنَّـــا أَكْثَـــرُ مِــــنَ الْبَــــدَائِعِ الَّـــتِي لَا تُحْصَـــرُ
٨٢ - فَهَـــلْ يَكُـــونُ الصُّـــنْعُ دُونَ فَاعِـــلِ؟! أَوْ وَضْـــعُهُ مِـــنْ غَـــيْرِ جَعْـــلِ جَاعِـــلِ؟!
٨٣ - كَـــلَّا، لَقَـــدْ أَفْصَـــحَتِ الْأَكْـــوَانُ عَـــنْ فِعْـــلِ رَبٍّ مَـــا لَـــهُ أَعْـــوَانُ
٨٤ - مَـــنْ أَذْعَنَـــتْ لِقَهْـــرِهِ الْأَمْـــلَاكُ وَانْتَظَمَـــتْ عَـــنْ أَمْـــرِهِ الْأَسْـــلَاكُ
٨٥ - وَأَشْـــرَقَتْ مِـــنْ نُـــورِهِ الْأَحْـــلَاكُ وَسَـــــبَّحَتْ بِحَمْــــــدِهِ الْأَفْــــــلَاكُ

الْأَوَّلُ : هُوَ الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ ؛ وَشَرْطُهُ : كَوْنُهُ قَادِرًا ، مُرِيدًا ، عَالِمًا ، حَيًّا .
وَالثَّانِي : إِمَّا أَنْ يَتَوَقَّفَ تَأْثِيرُهُ عَلَى وُجُودِ شَرْطٍ ، وَانْتِفَاءِ مَانِعٍ أَوْ لَا .
الْأَوَّلُ : الطَّبِيعَةُ ، كَالنَّارِ مَعَ الْإِحْرَاقِ ، فَإِنَّهَا مُؤَثِّرَةٌ بِطَبْعِهَا فِيهِ - عِنْدَ الْقَائِلِينَ بِذَلِكَ - بِشَرْطِ مُمَاسَّتِهَا لِلْحَطَبِ ، وَانْتِفَاءِ مَانِعٍ ، وَهُوَ الْبُلُولَةُ .
وَالثَّانِي : الْعِلَّةُ . كَحَرَكَةِ الْأُصْبُعِ مَعَ حَرَكَةِ الْخَاتِمِ ، فَإِنَّ الْأُولَى مُؤَثِّرَةٌ فِي الثَّانِيَةِ ، لِكَوْنِهَا عِلَّةً فِيهَا عِنْدَ الْقَائِلِينَ بِذَلِكَ ، بِدُونِ تَوَقُّفٍ عَلَى وُجُودِ شَرْطٍ وَانْتِفَاءِ مَانِعٍ ، بَلْ مَتَى وُجِدَتِ الْأُولَى وُجِدَتِ الثَّانِيَةُ ، وَالثَّلَاثَةُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ وَالطَّبَائِعِيِّينَ ، وَلَمْ يُوجَدْ عِنْدَ الْمُوَحِّدِينَ إِلَّا وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْفَاعِلُ بِالِاخْتِيَارِ ، ثُمَّ هُوَ خَاصٌّ بِمَوْلَانَا - جَلَّ وَعَلَا - ، إِذْ لَا مُوجِدَ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**فَإِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**نَظَرْتَ**)) **أَيْ** : تَفَكَّرْتَ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ((**فِي**)) أَحْوَالِ ((**السَّمَاوَاتِ الْعُلَا**)) بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ((**وَمَا**)) **أَيِ** : الْحَالِ الَّذِي ((**لَهَا**)) **أَيِ** : السَّمَاوَاتِ . وَبَيَّنَ ((**مَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِنَ الشِّيَاتِ**)) بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ مُثَقَّلَةً ، وَفَتْحِ الْيَاءِ مُخَفَّفَةً ؛ **أَيِ** : الْحَالَاتِ ((**وَالْحُلَا**)) بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيِ** : الزِّينَةِ ((**وَسَقْفِهَا**)) **أَيِ** : السَّمَاوَاتِ . وَإِضَافَتُهُ لِلْبَيَانِ . ((**الْمَرْفُوعِ مِنْ غَيْرِ عَمَدْ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمِيمِ ((**وَ**)) الْكَوَاكِبِ ((**النَّيِّرَاتِ**)) **أَيِ** : الْمُنِيرَاتِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ((**الْمُشْعِرَاتِ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيِ** : الْمُعْلِمَاتِ ((**بِالْأَمَدْ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْمِيمِ ؛ **أَيِ** : الزَّمَنِ ؛ **أَيِ** : الدَّالَّاتِ بِسَيْرِهَا عَلَى الْأَوْقَاتِ .
((**وَ**)) إِنْ نَظَرْتُ فِي ((**مَا**)) **أَيِ** : الْحَالِ الَّذِي ((**حَوَتْهُ**)) **أَيْ** : جَمَعَتْهُ ((**الْأَرْضُ وَالْبِحَارُ**)) مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَالْجِبَالِ ، وَالْأَشْجَارِ ، وَالنَّبَاتِ ، وَالْمَعَادِنِ ، وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ فِيهَا .
وَجَوَابُ ((**إِنْ نَظَرْتَ**)) فِيمَا ذُكِرَ : ((**أَبْصَرْتَ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ بِبَصِيرَتِكَ وَبَصَرِكَ ((**مَا**)) **أَيْ** : حَالًا عَجِيبًا ((**فِيهِ**)) صِلَةُ ((**تَحَارُ**)) ؛ ((**النُّهَى**)) بِضَمِّ النُّونِ ، وَفَتْحِ الْهَاءِ ؛ **أَيِ** : الْعُقُولُ ((**تَحَارُ**)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ، وَإِهْمَالِ الْحَاءِ ؛ **أَيْ** : تَتَحَيَّرُ وَيَقِلُّ إِدْرَاكُهَا . اِعْلَمْ ((**هَذَا**)) الَّذِي ذَكَرْنَاهُ .
((**وَمَا**)) **أَيِ** : الْحَالِ الَّذِي ((**قَدْ غَابَ**)) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : بَعُدَ ((**عَنَّا**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَشَدِّ النُّونِ . وَخَبَرُ ((**مَا**)) : ((**أَكْثَرُ**)) مِمَّا عَلِمْنَاهُ .

... ...

وَبَيَّنَ ((**مَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِنَ**)) الْأَحْوَالِ ((**الْبَدَائِعِ**)) **أَيِ** : الَّتِي لَا مِثْلَ لَهَا ((**الَّتِي لَا تُحْصَرُ**)) بِضَمٍّ ، فَسُكُونٍ ، فَفَتْحٍ . لَنَا مَعْشَرَ الْعُقَلَاءِ . ((**فَهَلْ يَكُونُ**)) **أَيْ** : يُوجَدُ ((**الصُّنْعُ**)) بِضَمِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ؛ **أَيِ** : الشَّيْءُ الْمَصْنُوعُ ((**دُونَ**)) بِضَمِّ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : بِلَا ((**فَاعِلٍ ؟!**)) يَصْنَعُهُ ((**أَوْ**)) يَكُونُ ((**وَضْعُهُ**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ ، وَسُكُونِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : خَلْقُ الْمَصْنُوعِ ((**مِنْ غَيْرِ جَعْلٍ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ ؛ **أَيْ** : خَلْقٍ ((**جَاعِلٍ ؟!**)) **أَيِ** : خَالِقٍ ((**كَلَّا**)) بِفَتْحِ الْكَافِ ، وَشَدِّ اللَّامِ ، حَرْفُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ عَنْ إِثْبَاتِ صُنْعٍ بِلَا صَانِعٍ ، وَمَخْلُوقٍ بِلَا خَالِقٍ .

وَاللهِ ((**لَقَدْ أَفْصَحَتِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ، وَفَتْحِ الصَّادِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَيْنِ ؛ **أَيْ** : دَلَّتْ دَلَالَةً وَاضِحَةً ((**الْأَكْوَانُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْمَخْلُوقَاتُ . وَصِلَةُ ((**أَفْصَحَتِ**)) : ((**عَنْ فِعْلٍ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : خَلْقِ ((**رَبٍّ**)) **أَيْ** : خَالِقٍ وَمُرَبٍّ لَهَا ((**مَا**)) **أَيْ** : لَيْسَ ((**لَهُ**)) **أَيِ** : الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**أَعْوَانُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ ؛ **أَيْ** : مُعِينُونَ عَلَى خَلْقِهَا .

((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الرَّبُّ الَّذِي ((**أَذْعَنَتْ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيِ** : انْقَادَتْ وَأَطَاعَتْ ((**لِقَهْرِهِ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ ، وَسُكُونِ الْهَاءِ .

وَفَاعِلُ ((**أَذْعَنَتْ**)) : ((**الْأَمْلَاكُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " مَلَكٍ " بِفَتْحِ الْمِيمِ وَاللَّامِ .

((**وَانْتَظَمَتْ**)) بِسُكُونِ النُّونِ ، وَفَتْحِ التَّاءِ وَالظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمِيمِ ، وَسُكُونِ التَّاءِ ؛ **أَيِ** : تَأَلَّفَتْ وَاجْتَمَعَتْ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ ((**عَنْ أَمْرِهِ**)) **أَيْ** : قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ كُن ﴾ [البقرة : ١١٧] .

وَفَاعِلُ ((**انْتَظَمَتْ**)) : ((**الْأَسْلَاكُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْعُقُودُ؛ **أَيْ** : جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ .

((**وَأَشْرَقَتْ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ وَالْقَافِ ، وَسُكُونِ التَّاءِ .

((**مِنْ نُورِهِ**)) **أَيِ** : الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ **أَيِ** : اسْتَنَارَتِ ((**الْأَحْلَاكُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَإِهْمَالِ الْحَاءِ ؛ **أَيِ** : الْأَمَاكِنُ شَدِيدَةُ السَّوَادِ؛ ((**وَسَبَّحَتْ**)) بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ مُثَقَّلَةً ؛ تَسْبِيحًا مُتَلَبِّسًا ((**بِحَمْدِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْأَفْلَاكُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : مَدَارَاتُ النُّجُومِ التِّسَعَةِ .

****

[فَصْلٌ فِي الصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ وَمَا تُنَافِيهَا]

٨٦ – اِعْـرِفْ مِـنَ الصِّـفَاتِ مَـا الـدَّلِيلُ دَلّْ عَلَـى وُجُوبِـهِ لَـهُ عَـزَّ وَجَـلّْ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[الصِّفَاتِ]** لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، جَمْعُ " صِفَةٍ " ؛ **أَيْ** : مَعْنًى ثَابِتٌ لِغَيْرِهِ الصِّفَةِ **[النَّفْسِيَّةِ]** بِفَتْحِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ، وَكَسْرِ السِّينِ ، وَشَدِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ؛ **أَي** : الْمَنْسُوبَةُ لِلنَّفْسِ – **أَي** : الذَّاتِ – ، لِتَوَقُّفِ تَعَقُّلِ الذَّاتِ عَلَيْهَا ، وَهُوَ : **١ –** الْوُجُودُ ،
((وَ)) الصِّفَاتِ الْخَمْسَةِ **((السَّلْبِيَّةِ))** بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَشَدِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ؛ **أَي** : الْمَنْسُوبَةِ لِلسَّلْبِ – **أَي** : النَّفْيِ – ، نِسْبَةُ الدَّالِّ لِمَدْلُولِهِ ، لِأَنَّ مَعَانِيَهَا : سَلْبُ النَّقَائِصِ الْمُحَالَةِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ **وَهِيَ** :

٢ – الْقِدَمُ **٣ –** وَالْبَقَاءُ **٤ –** وَمُخَالَفَتُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلْحَوَادِثِ **٥ –** وَقِيَامُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِنَفْسِهِ **٦ –** وَوَحْدَانِيَّتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
وَهَذِهِ الصِّفَاتُ السِّتُّ وَاجِبَةٌ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِسَلْبِهَا عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

[وَ] بَيَانِ **[مَا]** **أَي** : الصِّفَاتِ السِّتِّ الَّتِي **[تُنَافِيهَا]** **أَي** : الصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةَ وَالسَّلْبِيَّةَ ، فَهِيَ سِتُّ صِفَاتٍ أَيْضًا مُحَالَةٌ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِثُبُوتِهَا لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، **وَهِيَ** :

١ – الْعَدَمُ **٢ –** وَالْحُدُوثُ **٣ –** وَالْفَنَاءُ **٤ –** وَمُمَاثَلَةُ الْحَوَادِثِ **٥ –** وَالِافْتِقَارُ إِلَى مَحَلٍّ أَوْ مُخَصِّصٍ **٦ –** وَالتَّعَدُّدُ .

((اِعْرِفْ)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ؛ **أَي** : اجْزِمْ جَزْمًا صَحِيحًا مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ ، نَاشِئًا عَنْ دَلِيلٍ يَقِينِيٍّ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ **((مِنَ الصِّفَاتِ))** بَيَانَ **((مَا))** **أَي** : الصِّفَاتِ السِّتِّ الْوَاجِبَةِ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّتِي **((الدَّلِيلُ))** **أَي** : الْبُرْهَانُ الْمُرَكَّبُ مِنْ مُقَدِّمَتَيْنِ يَقِينِيَّتَيْنِ **((دَلّْ))** بِفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ لِلْوَقْفِ . وَصِلَةُ **((دَلّْ))** : **((عَلَى وُجُوبِهِ))** **أَيْ** : ثُبُوتِهِ ثُبُوتًا لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِعَدَمِهِ . وَالْهَاءُ عَائِدُ **((مَا))** بِاعْتِبَارِ لَفْظِهِ . وَصِلَةُ **((وُجُوبِ))** : **((لَهُ))** **أَي** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **((عَزَّ))** بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالزَّايِ مُثَقَّلًا ؛ **أَي** : انْفَرَدَ بِالتَّنَزُّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وَالِاتِّصَافِ بِكُلِّ كَمَالٍ ، وَغَلَبَةِ كُلِّ مَا سِوَاهُ ؛ **((وَجَلّْ))** بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ لِلْوَقْفِ ؛ **أَيْ** : عَظُمَ وَاتَّصَفَ بِكُلِّ كَمَالٍ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .
وَالْجُمْلَتَانِ لِإِنْشَاءِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَضْمُونِهِمَا .

٨٧ - وَهْـــيَ الْوُجُـــودُ وَالْبَقَـــاءُ وَالْقِـــدَمْ   وَانْــــفِ الْحُـــــدُوثَ وَالْفَنَـــــاءَ وَالْعَـــــدَمْ

((وَهْيَ)) أَيِ : الصِّفَاتُ النَّفْسِيَّةُ وَالسَّلْبِيَّةُ ((الْوُجُودُ وَالْبَقَاءُ)) أَيِ : الدَّوَامُ بِلَا نِهَايَةٍ ، وَنَفْيُ لُحُوقِ الْعَدَمِ بَعْدَ الْوُجُودِ ؛ ((وَالْقِدَمْ)) بِكَسْرِ الْقَافِ ؛ أَيْ : سَلْبُ الْعَدَمِ قَبْلَ الْوُجُودِ ، وَالْوُجُودُ بِلَا ابْتِدَاءٍ ؛

((وَانْفِ)) بِفَتْحِ الْوَاوِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ، وَكَسْرِ الْفَاءِ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَمَفْعُولُ ((انْفِ)) : ((الْحُدُوثَ)) بِضَمِّ الْحَاءِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَيْنِ ؛ أَيِ : التَّجَدُّدَ وَالْوُجُودَ بَعْدَ الْعَدَمِ . وَهَذَا مُقَابِلُ ((الْقِدَمْ)) .

((وَالْفَنَاءَ)) بِفَتْحِ الْفَاءِ مَمْدُودًا ؛ أَيْ : الِانْعِدَامَ بَعْدَ الْوُجُودِ . وَهَذَا مُقَابِلُ ((الْبَقَاءُ)) .

((وَالْعَدَمْ)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ . وَهَذَا مُقَابِلُ ((الْوُجُودُ)) .

فَهَذِهِ سِتُّ صِفَاتٍ ، الثَّلَاثَةُ الْأُولَى وَاجِبَةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَالثَّلَاثَةُ الْأَخِيرَةُ مُحَالَةٌ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

" الْقِدَمُ " كَمَا يَجِبُ لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ يَجِبُ لِصِفَاتِهَا السَّنِيَّةِ ، فَهُوَ تَعَالَى حَيٌّ بِحَيَاةٍ قَدِيمَةٍ ، عَالِمٌ بِعِلْمٍ قَدِيمٍ ، مُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ قَدِيمَةٍ ، قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ قَدِيمَةٍ ، ... وَهَكَذَا .

وَ" الْقِدَمُ " — بِمَعْنَى : عَدَمِ الْأَوَّلِيَّةِ لِلْوُجُودِ - خَاصٌّ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ ؛ وَأَمَّا إِذَا أُطْلِقَ " الْقِدَمُ " فِي حَقِّ الْحَادِثِ —كَقَوْلِنَا : " بُنْيَانٌ قَدِيمٌ " ، وَ" عُرْجُونٌ قَدِيمٌ " — فَالْمُرَادُ : طُولُ مُدَّةِ وُجُودِهِ فَقَطْ وَإِنْ كَانَ مَسْبُوقًا بِالْعَدَمِ ؛ وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى مُحَالٌ فِي ذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ ، وَلِهَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : " لَا يَزَالُ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ يَقُولُ لَهُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللهُ . وَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ . فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " . أَيْ : لَا خَالِقَ لَهُ ، لِأَنَّهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ لِلْمَخْلُوقِينَ ، فَلَا يَكُونُ مَخْلُوقًا مِثْلَهُمْ .

(الثَّانِي) :

وُجُوبُ " الْبَقَاءِ " خَاصٌّ بِذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ ؛ وَأَمَّا الْمُسْتَثْنَيَاتُ السَّبْعَةُ الَّتِي لَا تَفْنَى - وَهِيَ الْعَرْشُ ، وَالْكُرْسِيُّ ، وَاللَّوْحُ ، وَالْقَلَمُ ، وَالْأَرْوَاحُ ، وَالْجَنَّةُ ، وَالنَّارُ - فَبَقَاؤُهَا جَائِزٌ لَا وَاجِبٌ ، بِدَلِيلِ حُدُوثِهَا ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ بِإِبْقَائِهِ ، لَوِ انْقَطَعَ إِمْدَادُهُ عَنْهَا لَاضْمَحَلَّتْ .

وَبِمَا مَرَّ فِي مَعْنَى " الْقِدَمِ " ، وَ" الْبَقَاءِ " فِي حَقِّهِ تَعَالَى : عُلِمَ أَنَّهُمَا مِمَّا لَا تُدْرِكُ الْعُقُولُ كُنْهَهُ ، لِأَنَّهَا وَإِنْ مَدَّتْ نَظَرَهَا فِي الْمَاضِي وَالْآتِي إِلَى مَا عَسَى أَنْ تُمَدَّ إِلَيْهِ : وَجَدَتِ الْقِدَمَ قَبْلَهُ ، وَالْبَقَاءَ بَعْدَهُ ، فَتَكِلُّ وَتَرْجِعُ ؛ وَكَيْفَ يَمْتَدُّ نَظَرُهَا إِلَى غَيْرِ أَصْلٍ وَبِدَايَةٍ ، وَغَيْرِ آخِرٍ وَنِهَايَةٍ ؟! ؛ فَالْعَجْزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ كَمَا قَالَهُ الصِّدِّيقُ .

(**الثَّالِثُ**) :

مِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ " الْقِدَمَ ، وَالْبَقَاءَ " رَاجِعَيْنِ إِلَى الْوُجُودِ الَّذِي هُوَ صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ ، فَفَسَّرَهُمَا بِـ : " الْوُجُودُ الْمُسْتَمِرُّ فِي الْمَاضِي إِلَى غَيْرِ ابْتِدَاءٍ ، وَالْوُجُودُ الْمُسْتَمِرُّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءٍ " .

وَلَا يَرِدُ عَلَيْهِ مَا أَوْرَدَهُ فِي شَرْحِ [الصُّغْرَى] مِنْ لُزُومِ كَوْنِهِمَا صِفَتَيْنِ نَفْسِيَّتَيْنِ لِلذَّاتِ ؛ فَيَلْزَمُ أَنْ لَا تُعْقَلَ الذَّاتُ فِي الْخَارِجِ بِدُونِهِمَا ، مَعَ أَنَّا لَا نَتَعَقَّلُ وُجُودَ الذَّاتِ فِي الْخَارِجِ ، ثُمَّ نَطْلُبُ بِالْبُرْهَانِ قِدَمَهَا وَبَقَاءَهَا ! . لِأَنَّا نُجِيبُ بِـ : أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ جَعَلَهُمَا وُجُودًا خَاصًّا ، فَهُمَا أَخَصُّ مِنْ مُطْلَقِ الْوُجُودِ ؛ وَالَّذِي هُوَ صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ لَا تُعْقَلَ الذَّاتُ فِي الْخَارِجِ دُونَهُ هُوَ مُطْلَقُ الْوُجُودِ الْأَعَمُّ ؛ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ وَصْفٍ مَا لِلْأَعَمِّ – مِنْ حَيْثُ عُمُومُهُ – ثُبُوتُهُ لِلْأَخَصِّ ، فَإِنَّ الْحَيَوَانَ مَثَلًا الَّذِي هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْإِنْسَانِ ثَبَتَ لَهُ الِانْقِسَامُ إِلَى نَاطِقٍ وَغَيْرِهِ ، وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ لِلْإِنْسَانِ الْأَخَصِّ .

(**الرَّابِعُ**) :

زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ كُلًّا مِنَ " الْقِدَمِ ، وَالْبَقَاءِ " صِفَةُ مَعْنًى مَوْجُودَةٌ قَائِمَةٌ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ ، كَالْعِلْمِ ، وَالْقُدْرَةِ .
وَرُدَّ بِـ : أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَا قَدِيمَيْنِ بَاقِيَيْنِ بِقِدَمٍ وَبَقَاءٍ آخَرَيْنِ ، وَنَنْقُلُ الْكَلَامَ إِلَى الْآخَرَيْنِ ؛ فَيَلْزَمُ الدَّوْرُ أَوِ التَّسَلْسُلُ .

قُلْتُ : وَيَلْزَمُ مِنْهُ أَيْضًا قِيَامُ الْمَعْنَى بِالْمَعْنَى .
وَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَيْنَهُمَا ، فَجَعَلَ " الْقِدَمَ " مِنَ السُّلُوبِ ، وَ" الْبَقَاءَ " مِنَ الْمَعَانِي الْمَوْجُودَةِ .
وَالْحَقُّ الْأَوَّلُ ، **أَيْ** أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا صِفَةٌ عَدَمِيَّةٌ ، **أَيْ** : تَنْفِي مَعْنًى لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ .

(**الْخَامِسُ**) :

" وُجُوبُ الْوُجُودِ " يَسْتَلْزِمُ وُجُوبَ " الْقِدَمِ وَالْبَقَاءِ " ؛ وَكَذَا قَدْ يُوجَدُ اللُّزُومُ بَيْنَ غَيْرِ مَا ذُكِرَ مِنَ الصِّفَاتِ الْآتِيَةِ ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ اللُّزُومُ قَدْ يَخْفَى – وَخَطَرُ الْجَهْلِ فِي هَذَا الْعِلْمِ كَبِيرٌ – اعْتَنَوْا بِتَفْصِيلِ الصِّفَاتِ وَالدَّلَالَةِ عَلَيْهَا بِالْمُطَابَقَةِ ، إِيضَاحًا وَاحْتِيَاطًا وَمُبَالَغَةً فِي تَحْلِيَةِ الْقُلُوبِ بِيَوَاقِيتِ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ .

اِنْتَهَى مُلَخَّصًا مِنَ ابْنِ كِيرَانَ .

٨٨ – أَمَّــــا الــــدَّلِيلُ لِوُجُــــودِ الْحَــــقِّ ... سُــــبْحَانَهُ فَهْــــوَ حُــــدُوثُ الْخَلْــــقِ

٨٩ – لِأَنَّــــهُ مِــــنَ الْمُحَــــالِ الْبَاطِــــلِ ... وُجُــــودُ فِعْــــلٍ مَــــا بِــــدُونِ فَاعِــــلِ

٩٠ – إِذْ فِيــــهِ جَمْــــعُ الْمُتَنَــــافِيَيْنِ ... فِي وَاحِــــدٍ مِــــنْ مُتَسَــــاوِيَيْنِ

٩١ – أَيْ كَوْنُــــهُ مُسَــــاوِيَ الْمُقَابِــــلِ ... لَــــهُ وَرَاجِحًــــا بِغَــــيْرِ فَاعِــــلِ

٩٢ – كَالْوَقْــــتِ وَالْوُجُــــودِ مَــــعْ سِــــوَاهُ ... فَإِنَّــــهُ لِذَاتِــــهِ سَــــاوَاهُ

٩٣ – فَكَيْــــفَ صَــــارَ رَاجِحًــــا بِــــلَا سَــــبَبْ؟! ... وَهَكَــــذَا كُــــلُّ مُسَــــاوٍ فِي الرُّتَــــبْ

((أَمَّا)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَشَدِّ الْمِيمِ ((الدَّلِيلُ لِوُجُودِ)) أَيْ : عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ اللهِ ((الْحَقِّ)) بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، فَقَافٍ مُثَقَّلَةٍ ؛ أَيِ : الثَّابِتِ بِلَا ابْتِدَاءٍ وَلَا انْتِهَاءٍ .

أُسَبِّحُ اللهَ ((سُبْحَانَهُ)) أَيْ : تَنْزِيهُ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ((فَهْوَ)) أَيِ : الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ((حُدُوثُ)) أَيْ : تَجَدُّدُ وَوُجُودُ ((الْخَلْقِ)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، فَقَافٍ ؛ أَيِ : الْمَخْلُوقَاتِ بَعْدَ عَدَمِهَا .

وَدَلَّ حُدُوثُ الْخَلْقِ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((لِأَنَّهُ)) أَيِ : الشَّأْنَ ((مِنَ الْمُحَالِ)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَإِهْمَالِ الْحَاءِ ؛ خَبَرُ ((وُجُودُ)) الْآتِي . ((الْبَاطِلِ)) أَيِ : الْمُنْتَفِي الَّذِي لَا يَقْبَلُ الثُّبُوتَ .

وَمُبْتَدَأُ ((مِنَ الْمُحَالِ)) : ((وُجُودُ فِعْلٍ)) بِالتَّنْوِينِ ((مَّا)) بِشَدِّ الْمِيمِ ، نَكِرَةٌ تَامَّةٌ مُعَمِّمَةٌ لِ ((فِعْلٍ)) أَيِّ فِعْلٍ كَانَ . وَصِلَةُ ((وُجُودُ)) : ((بِدُونِ)) أَيْ : بِلَا ((فَاعِلِ إِذْ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((فِيهِ)) أَيْ : وُجُودِ فِعْلٍ بِلَا فَاعِلٍ ((جَمْعُ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، مَصْدَرٌ مُضَافٌ لِمَفْعُولِهِ ؛ الْوَصْفَيْنِ ((الْمُتَنَافِيَيْنِ)) أَيِ : الْمُسَاوَاةُ وَالرُّجْحَانُ . وَصِلَةُ ((جَمْعُ)) : ((فِي)) مَوْصُوفٍ ((وَاحِدٍ)) ، وَنَعَتَهُ بِقَوْلِهِ ((مِنْ)) شَيْئَيْنِ ((مُتَسَاوِيَيْنِ)) ؛ وَفَسَّرَ الْمُتَنَافِيَيْنِ بِقَوْلِهِ ((أَيْ كَوْنُهُ)) أَيْ : أَحَدُ الْمُتَسَاوِيَيْنِ ((مُسَاوِيَ الْمُقَابِلِ)) بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ وَصِلَتُهُ : ((لَهُ)) أَيْ : أَحَدِ الْمُتَسَاوِيَيْنِ ((وَ)) كَوْنُهُ ((رَاجِحًا)) عَلَى مُقَابِلِهِ ؛ وَصِلَةُ ((رَاجِحًا)) : ((بِغَيْرِ فَاعِلِ)) ؛ وَمَثَّلَ لِلْمُتَسَاوِيَيْنِ فَقَالَ : ((كَالْوَقْتِ)) الْخَاصِّ مَعَ سِوَاهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ ((وَالْوُجُودِ مَعْ)) بِسُكُونِ الْعَيْنِ ، لِلْوَزْنِ ((سِوَاهُ)) وَهُوَ الْعَدَمُ ((فَإِنَّهُ)) أَيِ : الْوَقْتُ الْخَاصُّ ، أَوِ الْوُجُودُ ((لِذَاتِهِ)) أَيِ : الْوَقْتُ الْخَاصُّ ، أَوِ الْوُجُودُ ، صِلَةُ ((سِوَاهُ)) أَيِ : الْوَقْتَ سَائِرَ الْأَوْقَاتِ الْمُقَابِلَةِ لَهُ ، وَالْوُجُودُ الْعَدَمُ الْمُقَابِلُ لَهُ .

((فَكَيْفَ)) اِسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ مَعْنَاهُ النَّفْيُ ((صَارَ)) الْوَقْتُ الْخَاصُّ ، أَوِ الْوُجُودُ الْمُسَاوِي لِمُقَابِلِهِ ((رَاجِحًا)) عَلَى مُقَابِلِهِ ((بِلَا سَبَبْ ؟!)) مُرَجِّحٍ لَهُ عَلَى مُقَابِلِهِ ؛ فَلَزِمَ عَلَى انْتِفَاءِ سَبَبِ رُجْحَانِهِ عَلَى مُقَابِلِهِ كَوْنُهُ مُسَاوِيًا لِمُقَابِلِهِ رَاجِحًا عَلَيْهِ .

وَهَذَا عَلَى قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ السُّنَّةِ : أَنَّ الْعَدَمَ وَالْوُجُودَ مُسْتَوِيَانِ فِي الْمُمْكِنِ .

وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ أَقَلِّهِمْ : إِنَّ الْعَدَمَ فِيهِ رَاجِحٌ عَلَى الْوُجُودِ ، لِأَصَالَتِهِ فِيهِ ، وَعَدَمِ احْتِيَاجِهِ إِلَى سَبَبٍ ؛ فَيَلْزَمُ عَلَيْهِ تَرْجِيحُ الْمَرْجُوحِ بِلَا سَبَبٍ ؛ وَهَذَا تَنَاقُضٌ مُحَالٌ بِالضَّرُورَةِ ، وَمَلْزُومُهُ – وَهُوَ وُجُودُ فِعْلٍ بِلَا فَاعِلٍ – مُحَالٌ ، فَوَجَبَ نَقِيضُهُ، وَهُوَ كَوْنُ الْفِعْلِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَاعِلٍ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

فَاتَّضَحَ أَنَّ حُدُوثَ الْعَالَمِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ اللهِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ عَزَّ وَجَلَّ .

٩٤ – مِـــنْ جِهَـــةٍ مَخْصُوصَـــةٍ أَوْ قَـــدْرِ خُـــصَّ أَوْ وَصْـــفٍ أَوْ مَكَـــانٍ فَـــادْرِ

٩٥ – وَفِي دَلِيـــــلِ الْقِـــــدَمِ الْمُقَـــرَّرِ وُجُوبُـــــهُ بِالْمَطْلَـــــبِ الْمُحَـــــرَّرِ

٩٦ – تَقُـــولُ إِنْ رَكَّبْتَـــهُ لَـــوِ انْتَفَـــى عَنْـــهُ لَكَـــانَ حَادِثًـــا بِـــلَا خَفَـــا

٩٧ – وَهْـــــوَ مُـــــؤَدٍّ لِافْتِقَـــارِهِ إِلَى مُـــــؤَثِّرٍ لِمَـــــا عَرَفْـــــتَ أَوَّلَا

((وَهَكَذَا)) أَيِ : الْمَذْكُورُ مِنَ الْوَقْتِ وَالْوُجُودِ فِي مُسَاوَاتِهِ لِمُقَابِلِهِ بِذَاتِهِ ، وَاسْتِحَالَةِ رُجْحَانِهِ عَلَيْهِ بِلَا سَبَبٍ ، لِاسْتِلْزَامِ التَّنَاقُضِ الْمُحَالِ بِالضَّرُورَةِ .

وَمُبْتَدَأُ ((كَذَا)) : ((كُلُّ)) شَيْءٍ ((مُسَاوٍ)) لِمُقَابِلِهِ ((فِي الرُّتَبْ)) بِضَمِّ الرَّاءِ ، وَفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ .

وَبَيَّنَ الْمُسَاوِيَ فِيهَا بِقَوْلِهِ :

((مِنْ جِهَةٍ مَخْصُوصَةٍ)) كَأَمَامَ – بِفَتْحِ الْهَمْزِ – الْمُسَاوِي لِسَائِرِ الْجِهَاتِ ، كَوَرَاءَ ، وَيَمِينَ ، وَشِمَالَ ، وَفَوْقَ ، وَتَحْتَ . ((أَوْ قَدْرٍ)) بِفَتْحِ الْقَافِ ، وَسُكُونِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ((خُصَّ)) أَيْ : خَاصٍّ ، الْمُسَاوِي لِسَائِرِ الْأَوْصَافِ ؛((أَوْ وَصْفٍ)) خَاصٍّ ، الْمُسَاوِي لِسَائِرِ الْأَوْصَافِ ((أَوْ مَكَانٍ)) خَاصٍّ ، الْمُسَاوِي لِسَائِرِ الْأَمْكِنَةِ ((فَادْرِ)) أَيِ : اعْلَمْ مَا تَقَدَّمَ . ((وَفِي دَلِيلِ)) صِلَةُ ((تَقُولُ)) الْآتِي ؛ أَيِ : الدَّلِيلُ عَلَى وُجُوبِ ((الْقِدَمِ)) – بِكَسْرِ الْقَافِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ – للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((الْمُقَرَّرِ)) – بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْقَافِ وَالرَّاءِ مُثَقَّلًا — نَعْتُ ((الْقِدَمِ)) ؛ وَنَائِبُ فَاعِلِهِ ((وُجُوبُهُ)) أَيِ : الْقِدَمُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَصِلَةُ ((الْمُقَرَّرِ)) :

((بِالْمَطْلَبِ)) – بِفَتْحِ الْمِيمِ وَاللَّامِ — أَيِ : الدَّلِيلِ ((الْمُحَرَّرِ)) – بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالرَّاءِ مُثَقَّلًا — أَيِ : الْخَالِصِ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ . ((تَقُولُ)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ((إِنْ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ

((رَكَّبْتَهُ)) بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالْكَافِ مُثَقَّلًا . أَيْ : أَرَدتَّ تَرْكِيبَ الدَّلِيلِ . وَمَفْعُولُ ((تَقُولُ)) : ((لَوِ انْتَفَى)) أَيِ : الْقِدَمُ ((عَنْهُ)) أَيِ : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((لَكَانَ)) أَيِ : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((حَادِثًا)) أَيْ : مَوْجُودًا بَعْدَ عَدَمٍ . تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا . ((بِلَا خَفَا)) ءٍ فِي لُزُومِ كَوْنِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — حَادِثًا ، لِكَوْنِهِ لَيْسَ قَدِيمًا ، إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْقِدَمِ وَالْحُدُوثِ ، لِمُسَاوَاةِ كُلٍّ مِنْهُمَا نَقِيضَ الْآخَرِ ، وَالنَّقِيضَانِ لَا يَرْتَفِعَانِ بِالضَّرُورَةِ ، فَكَذَا الشَّيْءُ وَمُسَاوِي نَقِيضِهِ .

((وَهْوَ)) أَيْ : كَوْنُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – حَادِثًا ((مُؤَدٍّ)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ . أَيْ : مُسْتَلْزِمٌ ((لِافْتِقَارِهِ)) أَيِ : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((إِلَى مُؤَثِّرٍ)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الثَّاءِ مُثَقَّلَةً . أَيْ : مُحْدِثٍ . وَاسْتِلْزَامُ كَوْنِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — حَادِثًا ، لِكَوْنِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مُفْتَقِرًا إِلَى مُحْدِثٍ . ((لِمَا)) أَيِ : الدَّلِيلِ الَّذِي ((عَرَفْتَ)) هُ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ((أَوَّلَا)) بِفَتْحِ الْوَاوِ مُثَقَّلًا . أَيْ : سَابِقًا قَرِيبًا ، مِنْ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ حُدُوثِ الْحَادِثِ بِلَا مُحْدِثٍ اجْتِمَاعُ النَّقِيضَيْنِ ، وَهُوَ كَوْنُ الْوُجُودِ مُسَاوِيًا لِلْعَدَمِ ، أَوْ مَرْجُوحًا لَهُ وَرَاجِحًا عَلَيْهِ بِلَا مُرَجِّحٍ، وَهُوَ مُحَالٌ بِالضَّرُورَةِ .

٩٨ - وَتَنْقُـــــلُ الْكَـــــلَامَ لِلْمُـــــؤَثِّرِ مُنْحَصِـــرًا أَوْ مَـــا سِـــوَى الْمُنْحَصِـــرِ

٩٩ - فَيَلْـــزَمُ الـــدَّوْرُ أَوِ التَّسَلْسُـــلُ وَمَـــا يُـــؤَدِّي لَهُمَـــا لَا يَحْصُـــلُ

((**وَتَنْقُلُ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ((**الْكَلَامَ لِلْمُؤَثِّرِ**)) **أَيِ** : الْمُوجِدِ لِلْإِلَهِ الْمَفْرُوضِ حُدُوثُهُ بِأَنْ يُقَالَ : إِنَّهُ حَادِثٌ وَمُفْتَقِرٌ إِلَى مُحْدِثٍ أَيْضًا ، وَهَكَذَا مُحْدِثُهُ ، حَالَ كَوْنِ الْكَلَامِ ((**مُنْحَصِرًا**)) - بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ - فِي عَدَدٍ كَاثْنَيْنِ فَأَكْثَرَ ، خَلَقَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ ((**أَوْ مَا**)) **أَيْ** : عَدَدًا ((**سِوَى**)) بِكَسْرِ السِّينِ .

الْعَدَدِ ((**الْمُنْحَصِرِ**)) بِأَنْ يَخْلُقَ كُلُّ إِلَهٍ مَا بَعْدَهُ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ ((**فَيَلْزَمُ**)) عَلَى الِانْحِصَارِ ((**الدَّوْرُ**)) **أَيْ** : تَوَقُّفُ الشَّيْءِ عَلَى شَيْءٍ مُتَوَقِّفٍ عَلَى الشَّيْءِ الْأَوَّلِ ، إِمَّا بِمَرْتَبَةٍ أَوْ بِأَكْثَرَ ، بِأَنْ يَكُونَ كُلُّ فَرْدٍ خَالِقًا وَمَخْلُوقًا مَعَ الِانْحِصَارِ فِي عَدَدٍ ((**أَوِ**)) يَلْزَمُ عَلَى مَا سِوَى الْمُنْحَصِرِ ((**التَّسَلْسُلُ**)) **أَيْ** : تَرَتُّبُ أُمُورٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ ، بِأَنْ يَكُونَ كُلُّ فَرْدٍ كَذَلِكَ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ . وَالدَّوْرُ وَالتَّسَلْسُلُ مُحَالَانِ .

((**وَمَا**)) **أَيِ** : الْأَمْرُ الَّذِي ((**يُؤَدِّي**)) بِضَمِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتَ ، وَفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الدَّالِ مُثَقَّلًا . **أَيْ** : يُوَصِّلُ ((لَهُمَا))

أَيِ: الدَّوْرِ وَالتَّسَلْسُلِ، وَهُوَ افْتِقَارُهُ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحْدِثٍ ((لَا يَحْصُلُ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ. أَيْ: لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِحُصُولِهِ، فَهُوَ مُحَالٌ، فَمَا أَدَّى إِلَيْهِ - وَهُوَ كَوْنُهُ تَعَالَى حَادِثًا - مُحَالٌ، فَمَا أَدَّى إِلَيْهِ - وَهُوَ عَدَمُ وُجُوبِ الْقِدَمِ لَهُ تَعَالَى – مُحَالٌ . فَثَبَتَ وُجُوبُهُ لَهُ تَعَالَى ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وَدَلِيلُ بُطْلَانِ الدَّوْرِ : اِسْتِلْزَامُهُ تَقَدَّمَ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ وَتَأَخُّرَهُ عَنْهَا ؛ وَهُمَا مُحَالَانِ بِالضَّرُورَةِ .

وَلِاسْتِحَالَةِ التَّسَلْسُلِ أَدِلَّةٌ ، **مِنْهَا** : بُرْهَانُ الْقَطْعِ وَالتَّطْبِيقِ، بِفَرْضِ عَدَدٍ مُتَوَالٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنْ زَمَنِ الطُّوفَانِ مَثَلًا إِلَى الْأَزَلِ ؛ وَعَدَدٍ كَذَلِكَ مِنَ الْآنِ مَثَلًا إِلَيْهِ ، وَقُوبِلَتْ آحَادُ أَحَدِهِمَا بِآحَادِ الْآخَرِ ، فَإِنِ اسْتَوَتْ آحَادُهُمَا لَزِمَ مُسَاوَاةِ النَّاقِصِ الْكَامِلَ ، وَهُوَ مُحَالٌ . وَإِنْ زَادَتْ آحَادُ الثَّانِي عَلَى آحَادِ الْأَوَّلِ لَزِمَ تَنَاهِي مَا لَا يَتَنَاهَى ، وَهُوَ مُحَالٌ .

فَإِنْ قُلْتَ : مَبْنَى الدَّوْرِ أَوِ التَّسَلْسُلِ عَلَى أَنَّهُ إِنْ فُرِضَ صَانِعُ الْعَالَمِ حَادِثًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُحْدِثُهُ حَادِثًا أَيْضًا ، وَذَلِكَ غَيْرُ لَازِمٍ ، لِمَ لَا يَجُوزُ كَوْنُ صَانِعِ الْعَالَمِ حَادِثًا ، وَمُحْدِثُهُ قَدِيمٌ ؟ .

قُلْنَا : بُطْلَانُ هَذَا التَّقْدِيرِ يُعْلَمُ مِنْ دَلِيلِ الْوَحْدَانِيَّةِ .

فَيَكُونُ ذَلِكَ الْقَدِيمُ هُوَ الْإِلَهَ الْحَقَّ ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ الْحَادِثِ تَأْثِيرٌ فِي أَثَرٍ مَا، فضْلًا عَنْ كَوْنِهِ صَانِعَ الْعَالَمِ .

[تَنْبِيهٌ]

قَدْ يُطْلَقُ التَّسَلْسُلُ عَلَى مَا يَشْمَلُ الدَّوْرَ ، لِأَنَّ الدَّوْرَ تَسَلْسُلٌ فِي عَدَدٍ مُتَنَاهٍ .

فَلَا قُصُورَ فِي كَلَامِ مَنِ اقْتَصَرَ فِي بُرْهَانِ الْقِدَمِ عَلَى التَّسَلْسُلِ ، لِأَنَّهُ أَخَذَهُ بِالْمَعْنَى الشَّامِلِ لِلدَّوْرِ .

١٠٠ – وَهَكَـــذَا يَلْـــزَمُ فِي نَفْـــيِ الْبَقَـــا   حُدُوثُـــهُ وَفِيـــهِ مَـــا قَـــدْ سَـــبَقَا
١٠١ – فَـــلَا يَكُـــونُ وَاجِـــبَ الْوُجُـــودِ   عِنْـــدَ طُـــرُوِّ الْعَـــدَمِ الْمَـــرْدُودِ
١٠٢ – إِذْ فِيـــهِ نَفْـــيُ الْقِـــدَمِ الَّـــذِي مَضَـــى   مَـــعْ أَنَّـــهُ بِـــهِ الـــدَّلِيلُ قَـــدْ قَضَـــى
١٠٣ – فَبَـــانَ مِـــنْ ذَا أَنَّ تَجْـــوِيزَ الْعَـــدَمْ   أَمْـــرٌ مُنَـــافٍ دُونَ رَيْـــبٍ لِلْقِـــدَمْ

[تَنْبِيهٌ آخَرُ]

وَيَجِبُ أَيْضًا الْقِدَمُ لِصِفَاتِ ذَاتِهِ ، إِذْ لَوِ اتَّصَفَ بِحَادِثٍ لَمْ يَخْلُ عَنْهُ أَوْ عَنْ ضِدِّهِ الْحَادِثِ ، لِأَنَّ الْقَابِلَ لِلشَّيءِ لَا يَخْلُو عَنْهُ أَوْ عَنْ ضِدِّهِ ، وَمَا لَا يَخْلُو عَنِ الْحَوَادِثِ لَا يَسْبِقُهَا ، فَيَكُونُ حَادِثًا ، وَقَدْ ثَبَتَ وُجُوبُ قِدَمِهِ .
كَذَا فِي شَرْحِ [الْكُبْرَى] .

قُلْتُ : وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : لَوْ فُرِضَ حُدُوثُ قُدْرَتِهِ أَوْ عِلْمِهِ مَثَلًا ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِضِدِّهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الضِّدُّ أَزَلِيًّا قَدِيمًا ، فَيَسْتَحِيلُ عَدَمُهُ ، فَلَا تُوجَدُ الْقُدْرَةُ أَوِ الْعِلْمُ أَبَدًا ، لِاسْتِحَالَةِ اجْتِمَاعِ الضِّدَّيْنِ ؛ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ ، لَكِنَّ الْعَالَمَ مَوْجُودٌ مُشَاهَدٌ ، فَبَطَلَ ذَلِكَ التَّقْدِيرُ . اِهَـ مِنَ ابْنِ كِيرَانَ .

((**وَهَكَذَا**)) **أَيِ** : اللَّازِمُ عَلَى نَفْيِ قِدَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . حَالٌ مِنْ ((**حُدُوثُ**)) الْآتِي . ((**يَلْزَمُ فِي نَفْيِ الْبَقَا**)) عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَفَاعِلُ ((**يَلْزَمُ**)) : ((**حُدُوثُهُ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وَفِيهِ**)) **أَيْ** : حُدُوثِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَا**)) **أَيِ** : اللَّازِمُ الَّذِي ((**قَدْ سَبَقَا**)) وَهُوَ الدَّوْرُ أَوِ التَّسَلْسُلُ .

وَتَقْرِيرُ هَذَا الْبُرْهَانِ : لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبَ الْبَقَاءِ لَكَانَ حَادِثًا ، لَكِنْ كَوْنُهُ حَادِثًا مُحَالٌ ، لِاسْتِلْزَامِهِ الدَّوْرَ أَوِ التَّسَلْسُلَ .
وَأَيْضًا لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبَ الْبَقَاءِ لَكَانَ حَادِثًا ((**فَلَا يَكُونُ**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وَاجِبَ الْوُجُودِ**)) لِأَنَّهُ يَنْتَفِي عَنْهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وُجُوبُ الْوُجُودِ ((**عِنْدَ**)) جَوَازِ ((**طُرُوِّ الْعَدَمِ**)) عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْمَرْدُودِ**)) **أَيِ** : الْبَاطِلِ الْمُحَالِ. نَعْتُ ((**طُرُوِّ الْعَدَمِ**)) . وَكَانَ طُرُوُّ عَدَمِهِ مَرْدُودًا ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ؛ **أَيْ** : لِأَنَّ ((**فِيهِ**)) **أَيْ** : طُرُوِّ عَدَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**نَفْيُ**)) **أَيِ** : انْتِفَاءُ ((**الْقِدَمِ**)) بِكَسْرِ الْقَافِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ . وَنَعْتُ ((**الْقِدَمِ**)) : ((**الَّذِي**)) قَدْ ((**مَضَى**)) ذِكْرُ وُجُوبِهِ لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَعْ أَنَّهُ**)) **أَيِ** : الْقِدَمَ ((**بِهِ**)) **أَيِ** : الْقِدَمِ ؛ صِلَةُ ((**قَضَى**)) الْآتِي . ((**الدَّلِيلُ**)) **أَيْ** : لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا لَكَانَ حَادِثًا ، لَكِنْ حُدُوثُهُ مُحَالٌ ، لِاسْتِلْزَامِهِ الدَّوْرَ أَوِ التَّسَلْسُلَ . ((**قَدْ قَضَى**)) **أَيْ** : حَكَمَ الدَّلِيلُ بِوُجُوبِ الْقِدَمِ لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنْتَجَهُ .

١٠٤ - وَأَنَّ كَوْنَـــــــهُ قَـــــــدِيمًا يَلْـــــــزَمُ — مِنْـــــهُ الْبَقَـــــاءُ وَبِهَـــــذَا يُجْـــــزَمُ
١٠٥ - وَكَوْنُـــــــهُ مُخَالِفًـــــــا لِخَلْقِـــــــهِ — سُـــبْحَانَهُ مِـــــنْ وَاجِـــــبٍ فِي حَقِّـــــهِ
١٠٦ - لِأَنَّـــــهُ لَـــــوْ مَاثَـــــلَ الْعَـــــوَالِمْ — كَـــــانَ حُدُوثُـــــهُ مِـــــنَ اللَّـــــوَازِمْ
١٠٧ - لِأَنَّ مِثْـــــلَ الشَّـــــيْءِ دُونَ لَـــــبْسِ — لَـــــهُ مُسَـــــاوٍ فِي صِـــــفَاتِ الـــــنَّفْسِ

((فَبَانَ)) أَيْ : ظَهَرَ ((مِنْ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ . هَـ ((ـذَا)) الَّذِي قَرَّرْنَاهُ . وَفَاعِلُ ((بَانَ)) : ((أَنَّ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالنُّونِ مُثَقَّلًا . نَفْيَ وُجُوبِ الْبَقَاءِ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَ((تَجْوِيزَ)) طُرُوِّ ((الْعَدَمْ)) عَلَى وُجُودِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((أَمْرٌ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيْ : حُكْمٌ ((مُنَافٍ)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ النُّونِ ، آخِرُهُ فَاءٌ ((دُونَ رَيْبٍ)) أَيْ : تَرَدُّدٍ ((لِـ)) وُجُوبِ ((ـالْقِدَمْ)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((وَ)) بَانَ مِمَّا تَقَدَّمَ ((أَنَّ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالنُّونِ مُثَقَّلًا ((كَوْنَهُ)) أَيِ : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((قَدِيمًا)) وُجُوبًا ((يَلْزَمُ مِنْهُ)) أَيْ : كَوْنِهِ قَدِيمًا ((الْبَقَاءُ)) الْوَاجِبُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذْ كُلُّ مَنْ وَجَبَ قِدَمُهُ وَجَبَ بَقَاؤُهُ وَاسْتَحَالَ عَدَمُهُ ؛ وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْعُقَلَاءُ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ، كَمَا فِي الْعُكَارِيِّ عَلَى [الْكُبْرَى] .

وَأُورِدَ عَدَمُنَا فِي الْأَزَلِ ! .
وَأُجِيبَ بِتَخْصِيصِ ذَلِكَ بِالْمَوْجُودَاتِ .
إِنْ قُلْتَ : عَدَمُنَا فِي الْأَزَلِ وَاجِبٌ كَعَدَمِ الْمُسْتَحِيلِ ، فَلِمَ جَازَ انْقِطَاعُهُ؟ .
قُلْتُ : وُجُوبُ عَدَمِنَا مُقَيَّدٌ بِالْأَزَلِ ، فَهُوَ مُمْكِنٌ فِيمَا لَا يَزَالُ ؛ وَأَمَّا عَدَمُ الْمُسْتَحِيلِ فَوَاجِبٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ كَمَا وَضَّحَهُ الْيُوسِيُّ ، وَنَقَلَ عَنِ الْفِهْرِيِّ : أَنَّ الْإِيرَادَ مِنْ أَصْلِهِ مَدْفُوعٌ بِأَنَّ وُجُودَنَا قَطَعَ عَدَمَنَا فِيمَا لَا يَزَالُ لَا فِي الْأَزَلِ ، وَإِلَّا لَوُجِدْنَا فِي الْأَزَلِ ، وَهُوَ مُحَالٌ .

قَالَ الْيُوسِيُّ :

« وَهُوَ ظَاهِرٌ ؛ وَلَكَ أَنْ تَقُولَ : لَمْ يَظْهَرْ، لِقَوْلِهِمْ : كُلُّ قَدِيمٍ فَهُوَ بَاقٍ ، كَمَا هُوَ الْفَرْضُ الْأَصْلِيِّ ، فَانْقِطَاعُ الِاسْتِمْرَارِ فِيمَا لَا يَزَالُ مُضِرٌّ ، فَالظَّاهِرُ الْجَوَابُ الْأَوَّلُ . تَأَمَّلْ » .

اِهَـ مِنْ حَاشِيَةِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ .

[تَنْبِيهٌ]

ذَاتُهُ تَعَالَى الْعَلِيَّةُ وَصِفَاتُهُ السَّنِيَّةُ لَيْسَ لَهُمَا أَوَّلٌ وَآخِرٌ ، وَذَوَاتُ الْحَوَادِثِ وَصِفَاتُهُمْ لَهَا أَوَّلٌ وَآخِرٌ ، وَعَدَمُنَا الْأَزَلِيُّ لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَهُ آخِرٌ ، لِانْقِطَاعِهِ بِوُجُودِنَا فِيمَا لَا يَزَالُ ، وَنَعِيمُ الْجَنَّةِ وَعَذَابُ النَّارِ لَهُمَا أَوَّلٌ ، وَلَا آخِرَ لَهُمَا .

((وَبِهَذَا)) أَيْ : وُجُوبِ بَقَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، صِلَةُ ((يُجْزَمُ)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ .
((وَكَوْنُهُ)) أَيِ : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((مُخَالِفًا)) فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ ((لِخَلْقِهِ)) أَيْ : مَخْلُوقَاتِ اللهِ

١٠٨ – وَهْـــيَ الَّـــتِي مَوْصُـــوفُهَا لَا يُعْقَـــلُ ... بِـــــدُونِهَا كَـــــالنُّطْقِ فِيمَـــــا مَثَّلُـــــوا
١٠٩ – وَأَوْجُـــــهُ التَّمَاثُــــلِ الْمَعْـــــدُودَهْ ... مَنْفِيَّـــــــةٌ فِي حَقِّـــــــهِ مَـــــــرْدُودَهْ
١١٠ – كَكَوْنِـــهِ جِرْمًـــا لَـــهُ تَحَيُّـــزُ ... أَوْ عَرَضًـــا لَـــهُ بِـــهِ التَّمَيُّـــزُ
١١١ – أَوْ بِارْتِسَـــامٍ فِي خَيَـــالٍ يُعْتَبَـــرْ ... أَوْ بِزَمَـــانٍ أَوْ مَكَـــانٍ أَوْ كِبَـــرْ
١١٢ – أَوْ ضِـــدِّهِ كَمَـــا يَقُـــولُ الشَّـــانِي ... نَعَـــمْ هُـــوَ الْأَعْلَـــى الْكَبِـــيرُ الشَّـــانِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**سُبْحَانَهُ**)) **أَيْ** : تَنْزِيهُ اللهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ . وَخَبَرُ ((**كَوْنُهُ**)) مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مُبْتَدَأً ((**مِنْ وَاجِبٍ**)) عَقْلِيٍّ((**فِي حَقِّهِ**)) **أَيْ** : وَصْفِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَدَلِيلُ وُجُوبِهِ ((**لِأَنَّهُ**)) **أَيْ** : اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَوْ مَاثَلَ**)) : أَيْ : شَابَهَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْعَوَالِمْ**)) **أَيْ** : الْمَخْلُوقَاتِ فِي الذَّاتِ

وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ((**كَانَ حُدُوثُهُ**)) **أَيْ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مِنَ اللَّوَازِمْ**)) **أَيْ** : الْوَاجِبَاتِ ، لَكِنْ حُدُوثُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مُحَالٌ ، لِاسْتِلْزَامِهِ الدَّوْرَ أَوِ التَّسَلْسُلَ الْمُحَالَ ، فَمُمَاثَلَتُهُ الْحَوَادِثَ مُحَالَةٌ ، فَثَبَتَ وُجُوبُ ضِدِّهَا ، وَهِيَ مُخَالَفَتُهُ الْحَوَادِثَ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وَدَلِيلُ لُزُومِ حُدُوثِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِمُمَاثَلَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَوَالِمَ ((**لِأَنَّ مِثْلَ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : مُمَاثِلَ((**الشَّيْءِ دُونَ**)) صِلَةُ : ((**مُسَاوٍ**)) الْآتِي ، أَيْ: مُسَاوَاةً خَالِصَةً عَنْ ((**لَبْسٍ**)) بِفَتْحِ اللَّامِ ، وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ ، **أَيْ** : خَلْطٍ وَاشْتِبَاهٍ ((**لَهُ**)) **أَيْ** : الشَّيْءِ ، صِلَةُ ((**مُسَاوٍ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ((**فِي صِفَاتِ النَّفْسِ**)) **أَيْ** : الصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ ، ((**وَهْيَ**)) **أَيْ** : صِفَاتُ النَّفْسِ الصِّفَاتُ ((**الَّتِي مَوْصُوفُهَا لَا يُعْقَلُ**)) بِضَمِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتَ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الْقَافِ ؛ **أَيْ** : لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ ((**بِدُونِ**)) اتِّصَافِهِ بِـ ((**هَا**)) ؛ وَالصِّفَاتُ النَّفْسِيَّةُ((**كَالنُّطْقِ**)) **أَيِ** : التَّفَكُّرُ وَالْإِدْرَاكُ بِالْقُوَّةِ لِلْإِنْسَانِ ((**فِيمَا**)) **أَيِ** : الْمِثَالِ الَّذِي ((**مَثَّلُوا**)) **أَيْ** : عُلَمَاءُ الْمَنْطِقِ بِهِ لِلصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ ، وَبَنَوْا عَلَيْهِ تَعْرِيفَ الْإِنْسَانِ بِـ < **حَيَوَانٍ نَاطِقٍ** > **أَيْ** : مُدْرِكٌ بِالْقُوَّةِ ؛ وَمَذْهَبُهُمْ عَدَمُ تَمَاثُلِ الْأَجْرَامِ ، وَامْتِيَازُ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ بِفُصُولٍ مُنَوِّعَةٍ لَهَا، كَـ < **نَاطِقٍ** > لِلْإِنْسَانِ ، وَ< **وَصَاهِلٍ** > لِلْفَرَسِ ، < **وَنَاهِقٍ** > لِلْحِمَارِ .

وَمَذْهَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ تَمَاثُلُ الْأَجْرَامِ كُلِّهَا ، وَاتِّحَادُهَا نَوْعًا، وَامْتِيَازُهَا بِعَوَارِضَ ، لَا بِصِفَاتٍ نَفْسِيَّةٍ .

وَعَلَى هَذَا ، فَالنُّطْقُ صِفَةٌ عَرَضِيَّةٌ لَا نَفْسِيَّةٌ .

((**وَأَوْجُهُ**)) بِضَمِّ الْجِيمِ، جَمْعُ " وَجْهٍ " . **أَيْ** : أَقْسَامُ ((**التَّمَاثُلِ**)) بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ ((**الْمَعْدُودَهْ**)) **أَيْ** : الْمَحْسُوبَةِ الْمَضْبُوطَةِ. وَخَبَرُ ((**أَوْجُهُ**)) : ((**مَنْفِيَّةٌ فِي حَقِّهِ**)) **أَيْ** : صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَرْدُودَهْ**)) بِالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى اسْتِحَالَتِهَا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَأَوْجُهُ التَّمَاثُلِ ((**كَكَوْنِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**جِرْمًا**)) بِكَسْرِ الْجِيمِ وَسُكُونِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : جِسْمًا مُرَكَّبًا مِنْ جُزْئَيْنِ فَأَكْثَرَ ؛ أَوْ جَوْهَرًا فَرْدًا ((**لَهُ**)) أَيِ : الْجِرْمِ ((**تَحَيُّزُ**)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ ، وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَضَمِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتَ مُثَقَّلًا ، وَإِعْجَامِ الزَّايِ ؛ **أَيْ** : شَغْلُ حَيِّزٍ، **أَيْ** : قَدْرٍ مِنَ الْفَرَاغِ ، وَمَنْعِ غَيْرِهِ مِنْ حُلُولِهِ فِيهِ . وَجُمْلَةُ : ((**لَهُ تَحَيُّزُ**)) صِفَةٌ كَاشِفَةٌ لِحَقِيقَةِ الْجِرْمِ ((**أَوْ**))كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**عَرَضًا**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالرَّاءِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ ((**لَهُ**)) **أَيِ** : الْجِرْمِ ((**بِهِ**)) **أَيِ** : الْعَرَضِ ؛ صِلَةُ ((**التَّمَيُّزُ**)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ وَالْمِيمِ ، وَضَمِّ الْمُثَنَّاةِ

١١٣ - جَـــلَّ عَــــنِ الْجِهَـــاتِ وَالْأَغْـــرَاضِ　　　فِيمَـــا يَشَـــا وَالْوَصْـــفِ بِـــالْأَعْرَاضِ

١١٤ - فَلَـــيْسَ مِثْلَـــهُ - عَـــلَا - شَـــيْءٌ كَمَـــا　　　بِـــذَاكَ نَقْـــلٌ وَفْـــقَ عَقْـــلٍ حَكَمَـــا

تَحْتَ مُثَقَّلَةً ، وَإِعْجَامِ الزَّايِ ؛ **أَيْ** : الِامْتِيَازُ عَنْ سَائِرِ الْأَجْرَامِ ((**أَوْ**)) كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْصُوفًا

((**بِارْتِسَامٍ**)) بِصُورَةٍ وَهَيْئَةٍ ((**فِي خَيَالٍ**)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : عَقْلٍ وَذِهْنٍ لِمَخْلُوقٍ مَلَكِيٍّ أَوْ إِنْسِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ ((**يُعْتَبَرُ**)) بَضمِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتَ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ وَالْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيْ** : يَصِحُّ . وَالْجُمْلَةُ نَعْتُ ((**ـارْتِسَامٍ**)) ((**أَوْ**)) مَوْصُوفًا بِكَوْنِهِ ((**بِزَمَانٍ**)) مَاضٍ ، أَوْ حَالٍ ، أَوْ مُسْتَقْبَلٍ ((**أَوْ**)) مَوْصُوفًا بِكَوْنِهِ بِـ ((**ـمَكَانٍ أَوْ**)) مَوْصُوفًا بِـ ((**كِبَرْ**)) بِكَسْرِ الْكَافِ ، وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ((**أَوْ**)) مَوْصُوفًا بِـ ((**ـضِدِّهِ**))

أَيِ : الْكِبَرِ ، وَهُوَ الصِّغَرُ ((**كَمَا يَقُولُ**)) الشَّخْصُ ((**الشَّانِي**)) بِإِعْجَامِ الشِّينِ ، وَكَسْرِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُبْدَلَةِ مِنَ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْبَاغِضُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ ((**نَعَمْ**)) بِفَتْحِ النُّونِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛ حَرْفُ جَوَابٍ عَنْ سُؤَالٍ نَشَأَ مِنْ قَوْلِهِ : ((**أَوْ كِبَرْ**)) ، **تَقْدِيرُهُ** : هَذَا ظَاهِرٌ فِي الْكِبَرِ الْحِسِّيِّ ، لِأَنَّهُ مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ ، وَهَلْ يُوصَفُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعُلُوِّ وَالْكِبَرِ الْمَعْنَوِيَّيْنِ ؟ ((**هُوَ**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْأَعْلَى**)) عُلُوًّا مَعْنَوِيًّا ؛ **أَيِ** : الْأَجَلُّ الْأَعْظَمُ ((**الْكَبِيرُ**)) **أَيِ** : الْعَظِيمُ ((**الشَّانِ**)) **أَيِ** : الْقَدْرِ وَالْجَلَالِ ، فَاعِلُ : ((**الْكَبِيرُ**)) .
((**جَلَّ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيِ** : اتَّصَفَ بِالْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ وَالتَّنَزُّهِ ((**عَنِ**)) الِاتِّصَافِ بِكَوْنِهِ بِجِهَةٍ مِنَ ((**الْجِهَاتِ**)) السِّتِّ ((**وَ**)) التَّنَزُّهِ عَنْ كَوْنِهِ مُتَّصِفًا بِغَرَضٍ مِنَ ((**الْأَغْرَاضِ**)) بِإِعْجَامِ الْغَيْنِ ((**فِيمَا**)) **أَيِ** : الْفِعْلِ أَوِ الْحُكْمِ الَّذِي ((**يَشَا**)) اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَيَخْتَارُ يَنْفَعُهُ سُبْحَانَهُ . ((**وَ**)) عَنِ ((**الْوَصْفِ**))
أَيْ : كَوْنِهِ مَوْصُوفًا ((**بِالْأَعْرَاضِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ **أَيِ** : الصِّفَاتِ الْعَارِضَةِ الْحَادِثَةِ ((**فَلَيْسَ مِثْلَهُ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**عَلَا**)) **أَيْ** : تَنَزَّهَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وَاتَّصَفَ بِكُلِّ كَمَالٍ . وَاسْمُ ((**ـلَيْسَ**)) : ((**شَيْءٌ كَمَا بِذَاكَ**)) **أَيْ** : كَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ شَيْءٌ مِثْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ صِلَةُ ((**حَكَمَ**)) الْآتِي : ((**نَقْلٌ**)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْقَافِ ؛

أَيْ : كَلَامٌ مَنْقُولٌ عَنِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ الَّذِي ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ** ﴾ [فصلت : ٤٢] . الْمُنَزَّلِ مِنَ اللهِ الْحَكِيمِ الْحَمِيدِ ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى : ١١] ((**وَفْقَ**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ، فَقَافٍ؛ **أَيْ** : حَالَ كَوْنِ النَّقْلِ مُوَافِقًا لِـ

((**عَقْلٍ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ((**حَكَمَا**)) **أَيِ** : النَّقْلُ بِذَاكَ . وَالْأَلِفُ إِطْلَاقِيَّةٌ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ ((**نَقْلٌ**)) .

... ...

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

«الْمُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ صِفَةُ سَلْبٍ ، **أَيْ** : عَدَمُ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَهُ تَعَالَى وَبَيْنَ الْحَوَادِثِ فِي الذَّاتِ وَفِي الصِّفَاتِ وَفِي الْأَفْعَالِ ؛

وَإِنْ شِئْتَ ضَرْبًا مِنْ تَفْصِيلِ هَذَا الْإِجْمَالِ ، فَاسْتَمِعْ لِمَا يُتْلَى عَلَيْكَ مِنَ الْمَقَالِ ، فَنَقُولُ :

١ – أَمَّا الذَّاتُ :

فَأَيْنَ مَنْ لَيْسَ بِجِسْمٍ ، وَلَا جَوْهَرٍ ، وَلَا مُصَوَّرٍ بِشَكْلٍ ، وَلَا مَحْدُودٍ ، وَلَا مُتَبَعِّضٍ ، وَلَا مُتَرَكِّبٍ ، وَلَا مُجَانِسٍ ، وَلَا مُكَيَّفٍ ، وَلَا يَتَمَكَّنُ فِي مَكَانٍ ، وَلَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ زَمَانٌ : مِمَّا هُوَ جِسْمٌ ، أَوْ جَوْهَرٌ ، وَمُصَوَّرٌ ، وَمَحْدُودٌ ، وَمَعْدُودٌ – **أَيْ** : لَهُ نَظِيرٌ مَوْجُودٌ أَوْ مُمْكِنُ الْوُجُودِ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ – ، وَمُتَبَعِّضٌ ، وَمُتَرَكِّبٌ ، وَمُجَانِسٌ – **أَيْ** : مُشَارِكٌ فِي جِنْسٍ أَوْ فَصْلٍ – ، وَمُكَيَّفٌ بِلَوْنٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَمُتَمَكِّنٌ فِي مَكَانٍ ، وَمُحْتَوٍ عَلَيْهِ الزَّمَانُ ؟! .

٢ – وَأَمَّا الصِّفَاتُ :

فَأَيْنَ لِوُجُودِ الْوَاجِبِ الَّذِي لَا أَوَّلَ لَهُ وَلَا آخِرَ ، الظَّاهِرُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ ، الَّذِي هُوَ أَظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ فِي الْقُلُوبِ أُنْسٌ وَعِزٌّ وَغِنًى وَنُورٌ : مِنْ وُجُودِ جَائِزٍ يَصِحُّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ أَنْ يَخْلُفَهُ الْعَدَمُ ، حَتَّى احْتَاجَ إِلَى التَّدْعِيمِ بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ ؟! ، اِكْتَنَفَهُ عَدَمَانِ ، وَلَمْ يَظْهَرْ بِشَيْءٍ ، وَلَا فِي شَيْءٍ ، وَلَا لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ فِي الْقُلُوبِ وَحْشَةٌ وَذُلٌّ وَفَقْرٌ وَظُلْمَةٌ .

وَأَيْنَ الْقِدَمُ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ بِزَمَانٍ مِنَ الْحُدُوثِ ، أَوِ الْقِدَمُ بِمَعْنَى : طُولِ الْمُدَّةِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف: ٩٥] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس : ٣٩] ؟! .

وَأَيْنَ الْبَقَاءُ الْوَاجِبُ مِنَ الْفَنَاءِ ، أَوْ بَقَاءٌ جَائِزٌ حَاصِلٌ بِإِبْقَائِهِ تَعَالَى ، كَالسَّبْعِ الْمُسْتَثْنَيَاتِ ؟! .

وَأَيْنَ الْغَنَاءُ الْمُطْلَقُ الدَّائِمُ ، مِنَ الِاحْتِيَاجِ فِي كُلِّ نَفَسٍ ؛ أَوْ غَنَاءٌ عَارِضٌ بِإِغْنَائِهِ تَعَالَى ؟! .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلِ صَاحِبِ [الْحِكَمِ] : < إِلَهِي ، أَنَا الْفَقِيرُ فِي غَنَائِي ، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي ؟! > .

وَأَيْنَ الْقُدْرَةُ الْقَدِيمَةُ الْبَاهِرَةُ الْمُؤَثِّرَةُ الشَّامِلَةُ لِلْمُمْكِنَاتِ الْغَيْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، وَالْقُوَّةُ الْكَامِلَةُ ، مِنَ الْعَجْزِ ، وَالْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ الَّتِي لَا تَأْثِيرَ لَهَا أَصْلًا ، وَالْقُوَّةُ الْمُكْتَنَفَةُ بِضَعْفَيْنِ ، وَالْمَشُوبَةُ بِالضَّعْفِ ، حَالَ تَحَقُّقِهَا ؟!

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ .... ﴾ [الروم : ٥٤] الْآيَةَ .

وَأَيْنَ الْإِرَادَةُ النَّافِذَةُ الْقَاهِرَةُ الشَّامِلَةُ ، مِنْ إِرَادَةٍ تَرْجِعُ نَاكِصَةً غَالِبًا ، أَوْ تَكُونُ مُنَفَّذَةً لَا نَافِذَةً ؟! ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص : ٦٨] ،

(فَمَـــا شِـــئْتَ كَـــانَ وَإِنْ لَمْ أَشَـــأْ   وَمَـــا شِـــئْتُ إِنْ لَمْ تَشَـــأْ لَمْ يَكُـــنِ)

... ...

بَلْ لَا تَحْصُلُ وَلَا تُوجَدُ إِلَّا بِالْإِرَادَةِ الْقَدِيمَةِ ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] .
وَأَيْنَ الْعِلْمُ الذَّاتِيُّ الْمُحِيطُ الَّذِي لَا خَفَاءَ مَعَهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ ، مِنْ عِلْمٍ عَارِضٍ مُكْتَسَبٍ تَصْحَبُهُ جَهَالَاتٌ ؟! .

(وَقُـــلْ لِمَـــنْ يَـــدَّعِي فِي الْعِلْـــمِ مَنْزِلَـــةً عَلِمْـــتَ شَـــيْئًا وَغَابَـــتْ عَنْـــكَ أَشْـــيَاءُ)

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلِ [الْحِكَمِ] : < إِلَهِي ، أَنَا الْجَهُولُ فِي عِلْمِي ، وَكَيْفَ لَا أَكُونُ جَهُولًا فِي جَهْلِي ؟! > .

وَانْظُرْ قَوْلَ الْخَضِرِ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : < مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ وَعِلْمُ سَائِرِ الْخَلْقِ فِي عِلمِ اللهِ إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ >.
وَأَيْنَ السَّمْعُ الَّذِي لَيْسَ بِأَصْمِخَةٍ وَآذَانٍ ، وَيَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مَوْجُودٍ – ذَوَاتٍ وَصِفَاتٍ ، قَدِيمٍ وَحَادِثٍ – مِمَّا تَحْتَ الثَّرَى وَالْمَاءِ وَالرِّيحِ وَالْهَوَى إِلَى مَا فَوْقَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَالْكُرْسِيِّ وَالْعَرْشِ ، مِنْ سَمْعٍ بِآذَانٍ لَا يَتَعَلَّقُ إِلَّا بِالْأَصْوَاتِ ، بِشَرْطِ الْقُرْبِ وَالْجَهْرِ ، أَوْ أَعْلَى السِّرِّ ؟! .
وَأَيْنَ الْبَصَرُ الَّذِي لَيْسَ بِآلَةٍ ، مِنْ حَدَقَةٍ وَأَجْفَانٍ ، وَيَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مَوْجُودٍ بِلَا شَرْطٍ ، حَتَّى النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ ، فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ ، عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ ، مِنْ بَصَرٍ بِآلَةٍ لَا يَتَعَلَّقُ إِلَّا بِالْأَجْرَامِ وَأَلْوَانِهَا وَأَكْوَانِهَا بِشُرُوطٍ ، كَعَدَمِ الْحَائِلِ وَالْبُعْدِ ؟! .
وَأَيْنَ الْحَيَاةُ الذَّاتِيَّةُ الَّتِي تَنَزَّهَتْ أَنْ يَعْرِضَ لَهَا شِبْهُ الْمَوْتِ مِنَ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ ، مِنْ حَيَاةٍ مُعَارَةٍ يَطْرَأُ عَلَيْهَا الْمَوْتُ وَشِبْهُهُ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ... ﴾ [الزمر: ٤٢] الْآيَةَ .
وَأَيْنَ الْكَلَامُ الْأَزَلِيُّ الْمُتَعَلِّقُ – أَزَلًا وَأَبَدًا – بِجَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ وَالْجَائِزَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ ، الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ ؟!

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا ... ﴾ [الكهف: ١٠٩] الْآيَةَ ، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... ﴾

[لقمان : ٢٧] الْآيَةَ .
الَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ مِنْ كَلَامٍ مُؤَلَّفٍ لَهُ بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ ، لَا يَجْتَمِعُ مِنْهُ فِي آنٍ وَاحِدٍ كَلِمَتَانِ، بَلْ وَلَا حَرْفَانِ ، فَالْخَرَسُ لَازِمٌ لَهُ ، كَمَا سَيَتَبَيَّنُ فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .
وَإِنَّمَا لَمْ أَذْكُرْ فِي هَذَا التَّفْصِيلِ " الْمُخَالَفَةَ لِلْحَوَادِثِ " لِأَنَّ هَذَا تَفْصِيلٌ لَهَا . وَلَا " الْوَحْدَانِيَّةَ " لِأَنَّهَا فِي التَّعَقُّلِ نَتِيجَةُ الْمُخَالَفَةِ الَّتِي هَذَا تَفْصِيلُهَا .

٣ – وَأَمَّا الْأَفْعَالُ :
فَأَيْنَ الِاخْتِرَاعُ وَالْخَلْقُ وَالْإِيجَادُ عَنْ عَدَمٍ مَحْضٍ بِمَحْضِ الِاخْتِيَارِ لِحِكَمٍ بَالِغَةٍ ، مِنْ أَفْعَالٍ مُكْتَسَبَةٍ ، لَا مُخْتَرَعَةٍ –

أَيْ : مُقَارِنَةٍ لِلْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ فَلَا تَأْثِيرَ لَهَا فِيهَا أَصْلًا – مَجْبُورٍ عَلَيْهَا فِي الْحَقِيقَةِ وَإِنْ كَانَتْ فِي قَالَبِ الِاخْتِيَارِ ؟!.

... ...

فَقَدْ بَانَ لَكَ مِنْ تَفْصِيلِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنْ لَا مُنَاسَبَةَ أَصْلًا بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي ذَاتٍ ، وَلَا فِي صِفَةٍ ، وَلَا فِي فِعْلٍ ؛ وَلِذَا عُمِّمَ النَّفْيُ فِي جَمِيعِ وُجُوهِ الْمِثْلِيَّةِ عَنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى : ١١] ، فَأَوَّلُ الْآيَةِ تَنْزِيهٌ يَرُدُّ عَلَى الْمُجَسِّمَةِ وَأَضْرَابِهِمْ ، وَآخِرُهَا إِثْبَاتٌ يَرُدُّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ النَّافِينَ جَمِيعَ الصِّفَاتِ ؛ وَقُدِّمَ النَّفْيُ عَلَى الْإِثْبَاتِ – وَإِنْ كَانَ الْأَلْيَقُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ الْعَكْسَ – تَحَرُّزًا مِنْ إِيهَامِ التَّشْبِيهِ ، إِذْ لَوْ بُدِئَ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، تَبَادَرَ إِلَى فَهْمِهِمْ مَا يَأْلَفُونَ فِي السَّمْعِ أَنَّهُ بِأُذُنٍ ، وَمَخْصُوصٌ بِالْأَصْوَاتِ عَلَى وَجْهٍ خَاصٍّ ؛ وَفِي الْبَصَرِ أَنَّهُ بِحَدَقَةٍ ، وَخَاصٌّ بِالْأَجْرَامِ وَأَلْوَانِهَا وَأَكْوَانِهَا عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ ؛ فَبُدِئَ بِالتَّنْزِيهِ لِئَلَّا يَذْهَبَ الْوَهْمُ إِلَى التَّشْبِيهِ ، فَهُوَ احْتِرَاسٌ مُقَدَّمٌ » . اِنْتَهَى .

(**الثَّانِي**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« الْآيَةُ تُفِيدُ نَفْيَ الْمِثْلِ بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ الَّتِي هِيَ أَبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ ؛ وَقُرِّرَتِ الْكِنَايَةُ بِأَحَدِ طَرِيقَيْنِ :

[**الْأَوَّلُ**] : أَنَّ مِثْلَ الشَّيْءِ الَّذِي عَلَى أَخَصِّ أَوْصَافِهِ ، إِذَا ثَبَتَ لَهُ – **أَيْ** : لِذَلِكَ الْمِثْلِ – شَيْءٌ أَوِ انْتَفَى عَنْهُ ، لَزِمَ أَنْ يَثْبُتَ أَيْضًا لِذَلِكَ الشَّيْءِ أَوْ يَنْتَفِيَ ، لِأَنَّ الْفَرْضَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا عَلَى أَخَصِّ أَوْصَافِ الْآخَرِ ، بِحَيْثُ لَا يَفْتَرِقَانِ فِي ذَاتِيٍّ وَلَا عَرَضِيٍّ أَصْلًا ، فَلَوْ لَمْ يَثْبُتْ لِأَحَدِهِمَا مَا ثَبَتَ لِلْآخَرِ ، أَوْ يَنْتَفِي عَنْهُ مَا انْتَفَى عَنِ الْآخَرِ : لَانْتَفَتِ الْمُمَاثَلَةُ الْأَخَصِّيَّةُ الْمَفْرُوضَةُ ؛ هَذَا خَلْفٌ .

فَإِذَا قِيلَ لِلْمُخَاطَبِ : " مِثْلُكَ لَا يَبْخَلُ ". وَأُرِيدَ بِالْمِثْلِ : مَنْ عَلَى أَخَصِّ أَوْصَافِهِ ، لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَيْضًا لَا يَبْخَلُ ، وَهَذَا اللَّازِمُ هُوَ الْمَقْصُودُ ، وَلِذَا قَالَ :

(مِثْلُكَ يُثْنِي الْمُزْنُ عَنْ صَوْبِهِ ... وَيَسْتَرِدُّ الْجَفْنُ عَنْ عَذْبِهِ
وَلَمْ أَقُلْ " مِثْلُكَ " أَعْنِي بِهِ ... غَيْرَكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ)

وَعَلَى هَذَا ، فَإِذَا انْتَفَى الشَّبَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ عَنْ مِثْلِهِ الَّذِي يُفْرَضُ عَلَى أَخَصِّ أَوْصَافِهِ، فَرْضٌ مُحَالٌ، فَقَدِ انْتَفَى الشَّبَهُ عَنْهُ ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ .

[**وَالثَّانِي**] : أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْمُمَاثَلَةَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ نِسْبَةٌ بِيْنَهُمَا ، لَا يَخْتَصُّ بِهَا أَحَدُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ ، فَكُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ مُمَاثِلًا لِلْآخَرِ ، كَانَ الْآخَرُ مِثْلًا لَهُ ، فَإِذَا قِيلَ فِي شَيْءٍ ثَابِتِ الْوُجُودِ : " مِثْلُ هَذَا لَا مِثْلَ لَهُ " . لَلَزِمَ انْتِفَاءُ ذَلِكَ الْمِثْلِ ، ضَرُورَةَ انْتِفَاءِ الْمَلْزُومِ بِانْتِفَاءِ اللَّازِمِ ، إِذْ لَوْ ثَبَتَ مِثْلُ ذَلِكَ الثَّابِتِ وُجُودُهُ ، لَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ الْمِثْلُ إِلَّا وَلَهُ مِثْلٌ ، وَهُوَ ذَلِكَ الثَّابِتُ الْوُجُودِ ، فَثُبُوتُ مِثْلِ الْمِثْلِ لَازِمٌ لِثُبُوتِ الْمِثْلِ ، فَلَمَّا نُفِيَ اللَّازِمُ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الْمِثْلِ ، لَزِمَ نَفْيُ الْمَلْزُومِ الَّذِي هُوَ الْمِثْلُ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : " لَيْسَ لِأَخِ زَيْدٍ أَخٌ " . كِنَايَةٌ عَنْ نَفْيِ الْأَخِ لِزَيْدٍ ، لِأَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ الْأَخُ لِزَيْدٍ ، لَا يَثْبُتُ إِلَّا وَلَهُ – **أَيْ** : لِهَذَا الْأَخِ – أَخٌ، وَهُوَ زَيْدٌ ، فَلَمَّا نُفِيَ الْأَخُ عَنْهُ لَزِمَ انْتِفَاؤُهُ؛ وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ اللُّزُومُ فِيهِ عَقْلِيٌّ ، خِلَافًا لِمَنْ لَمْيَذُقِ الْأَوَّلَ حَقَّ ذَوْقِهِ ، فَقَالَ إِنَّ اللُّزُومَ فِيهِ غَيْرُ عَقْلِيٍّ .

وَدَعْوَى أَنَّ الْكَافَ زَائِدَةٌ ضَعِيفٌ، وَكَذَا تَفْسِيرُ " مِثْلِ " بِـ " ذَاتٍ " أَوْ " صِفَةٍ " .

وَالْآيَةُ مِنْ بَابِ اتِّصَالِ مَيْئُوسٍ بِابْتِدَاءِ مَطْمَعٍ ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ إِذَا سَمِعُوا دُخُولَ الْكَافِ عَلَى { مِثْلِهِ } طَمِعُوا فِي تَأْيِيدِ زَعْمِهِمُ الشَّرِيكَ ، فَإِذَا سَمِعُوا تَسَلُّطَ النَّفْيِ عَلَى أَنْكَرِ النَّكِرَاتِ – وَهُوَ : ﴿ شَيْءٌ ﴾ – انْقَلَبُوا صِفْرَ الْأَكُفِّ خَائِبِينَ ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ انْتِفَاءَ الْمِثْلِ عَلَى أَبْلَغِ وَجْهٍ ؛ وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ نُكْتَةُ تَأْخِيرِ اسْمِ ﴿ لَيْسَ ﴾ وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ تَعْرِيضٌ بِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، وَدَلَالَةٌ عَلَى حُمْقِهِمْ وَسَفَهِهِمْ فِي ذَلِكَ ؛ وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى عَجْزِ الْعُقُولِ عَنْ إِدْرَاكِهِ ، لِأَنَّ كُلَّ مَا تُدْرِكُهُ وَتَصِلُ إِلَيْهِ فَهُوَ شَيْءٌ فِيهَا وَ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ ، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ : "كُلُّ مَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ فَاللهُ تَعَالَى بِخِلَافِ ذَلِكَ " .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

(كُلُّ مَا تَرْقَى إِلَيْهِ بِوَهْمٍ ... مِنْ جَلَالٍ وَرِفْعَةٍ وَسَنَاءِ
فَالَّذِي أَبْدَعَ الْبَرِيَّةَ أَعْلَى ... مِنْهُ سُبْحَانَ مُبْدِعِ الْأَشْيَاءِ)

(**الثَّالِثُ**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **فَإِنْ قِيلَ** : كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ النَّافِيَةِ لِلْمُمَاثَلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبَيْنَ بَعْضِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُثْبِتَةِ لِمَا يَحْصُلُ بِهِ الشَّبَهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَالْجِهَةِ ، نَحْوُ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧] ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨] ، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه: ٣٩] ، ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨] ، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧] ، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] ، ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

وَفِي الْحَدِيثِ : «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ كَيْفَ شَاءَ » .

« إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » . رَوَاهُمَا مُسْلِمٌ .

وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥] ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد: ٤] ، ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٦] ؟ .

قُلْنَا : أَجْمَعُوا عَلَى تَنْزِيهِهِ تَعَالَى عَنِ الظَّاهِرِ الْمُفْضِي إِلَى التَّشْبِيهِ ؛ ثُمَّ مَا كَانَ لَهُ مَحْمَلٌ وَاحِدٌ مَجَازِيٌّ ، تَعَيَّنَ

الْمَصِيرُ إِلَيْهِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ... ﴾ [الحديد : ٤] **أَيْ** : بِعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَإِحَاطَةِ قُدْرَتِهِ ؛ وَكَذَا قَوْلُهُ : ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٦] **أَيْ** : سُلْطَانُهُ وَأَمْرُهُ . وَقِيلَ : بِذَاتِهِ ، عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ . وَمِثْلُهُ : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] **أَيْ** : أَمْرُهُ وَسُلْطَانُهُ ، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]

أَيْ : عَذَابُهُ .

وَمَا لَهُ مَحَامِلُ : قَالَ السَّلَفُ : نُفَوِّضُ ، وَنَقُولُ : آمَنَّا بِاللهِ ، وَمَا جَاءَ عَنِ اللهِ ، عَلَى مُرَادِ اللهِ . وَهُوَ أَسْلَمُ .

وَقَالَ الْأَشْعَرِيُّ :

« يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى صِفَاتٍ للهِ تَعَالَى تَلِيقُ بِجَلَالِهِ ، لَا نَعْلَمُ كُنْهَهَا . وَيُسَمِّيهَا " صِفَاتٍ سَمْعِيَّةً " » .

وَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ : « وَأَكْثَرُ الْخَلَفِ تُؤَوِّلُ ذَلِكَ بِمَا تَقْتَضِيهِ قَوَاعِدُ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْمَحَامِلِ الْمَجَازِيَّةِ وَالْكِنَائِيَّةِ ؛ وَهُوَ أَعْلَمُ – **أَيْ** : أَحْوَجُ إِلَى مَزِيدِ عِلْمٍ – ، فَـ " الْوَجْهُ " مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَنِ الذَّاتِ ؛ وَهُوَ – فِي الْأَصْلِ – مِنْ تَسْمِيَةِ الْكُلِّ بِاسْمِ جُزْئِهِ الْأَشْرَفِ ، ثُمَّ تُوُسِّعَ فِيهِ ، فَاسْتُعْمِلَ فِي الذَّاتِ مُطْلَقًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ وَجْهُ .

وَالْعَيْنُ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَنِ الْبَصَرِ ، مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ آلَتِهِ فِي الْأَصْلِ ، ثُمَّ تُوُسِّعَ فِيهِ ، فَاسْتُعْمِلَ حَيْثُ لَا آلَةَ .

وَالْأَيْدِي مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَنِ الْقُدْرَةِ ، إِذْ فِي الْيَدِ يَظْهَرُ سُلْطَانُهَا .

وَبَسْطُ الْيَدَيْنِ مَجَازٌ عَنِ الْجُودِ، مُتَفَرِّعٌ عَنِ الْكِنَايَةِ ، لِأَنَّهُمْ كَنَوْا بِهِ عَنْهُ فِي حَقِّ مَنْ يُتَصَوَّرُ لَهُ الْيَدُ وَالْبَسْطُ ؛ ثُمَّ تُوُسِّعَ فِي هَذِهِ الْكِنَايَةِ ، فَاسْتُعْمِلَتْ فِي حَقِّ مَنْ لَا يُتَصَوَّرُ لَهُ يَدٌ وَلَا بَسْطٌ ؛ أَوْ هُوَ اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ بِأَنَّ يُشَبَّهَ حَالُهُ بِحَالِ جَوَادٍ بَسَطَ يَدَيْهِ مَعًا لِذَوِي الْحَاجَاتِ بِالْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ .

وَكَذَا طَيُّ السَّمَاوَاتِ بِالْيَمِينِ تَمْثِيلٌ وَتَصْوِيرٌ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ ، وَعُمُومِ تَصَرُّفِهِ فِيهَا ، كَمَنْ حَوَى الشَّيْءَ فِي يَمِينِهِ .

وَكَذَا حَدِيثُ تَقْلِيبِ الْقُلُوبِ تَمْثِيلٌ وَتَصْوِيرٌ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ أَحْوَالِهَا ، وَالتَّصَرُّفِ فِيهَا بِمَا شَاءَ ، كَمَا يُقَلِّبُ الْوَاحِدُ مِنْ عِبَادِهِ الشَّيْءَ الْيَسِيرَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ .

وَكَذَا حَدِيثُ بَسْطِ الْيَدَيْنِ لِلتَّوْبَةِ تَمْثِيلٌ لِقَبُولِهِ لَهَا ، وَرِضَاهُ بِهَا ، كَمَا يَبْسُطُ الْوَاحِدُ مِنْ عِبَادِهِ يَدَهُ لِأَخْذِ مَا يُعْطَاهُ ، فَلَا يَرُدُّ مُعْطِيًّا .

وَالِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ إِمَّا مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَنْ لَازِمِ الِاسْتِقْرَارِ عَلَى الشَّيْءِ مِنَ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ ، **كَقَوْلِهِ** :

(فَلَمَّـــا عَلَوْنَـــا وَاسْـــتَوَيْنَا عَلَـــيْهِمُ   جَعَلْنَـــاهُمُ مَرْعًـــى لِنَسْـــرٍ وَطَـــائِرِ)

وَقَوْلِهِ :

(قَـــدِ اسْـــتَوَى بِشْـــرٌ عَلَـــى الْعِـــرَاقِ   مِـــــنْ غَـــــيْرِ قَتْـــــلٍ وَدَمٍ مِهْـــــرَاقِ)

وَخُصَّ الْعَرْشُ ، لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَمَنِ اسْتَوْلَى عَلَى أَعْظَمِهَا كَانَ اسْتِيلَاؤُهُ عَلَى غَيْرِهِ أَحْرَى ؛

وَإِمَّا مَجَازٌ عَنِ الْمُلْكِ وَنُفُوذِ الْأَمْرِ ، مُفَرَّعٌ عَنِ الْكِنَايَةِ ، لِأَنَّ الْمُلُوكَ – فِي الْعَادَةِ – يَجْلِسُونَ عَلَى سُرُرِ الْمُلْكِ لِتَنْفِيذِ

الْأَوَامِرِ .

وَإِمَّا تَمْثِيلٌ وَتَصْوِيرٌ لِعَظَمَتِهِ ، وَتَوْقِيفٌ عَلَى كُنْهِ جَلَالِهِ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّمْثِيلِيَّةِ ، فَلَا يُتَمَحَّلُ لِلْمُفْرَدَاتِ .

وَإِمَّا مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَنْ ظُهُورِهِ وَتَجَلِّيهِ تَعَالَى فِي الْعَرْشِ ، مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ وَالتَّعْرِيفُ ، لَا الْحُلُولُ وَالتَّكْيِيفُ ؛ وَالْعِلَاقَةُ بَيْنَ الِاسْتِوَاءِ وَالظُّهُورِ : اللُّزُومُ الْعَادِيُّ ، لِأَنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَرَادُوا التَّجَلِّيَ لِرَعَايَاهُمْ وَحَشَمِهِمْ بَرَزُوا لَهُمْ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِمْ ؛ فَأُطْلِقَ اسْمُ الْمَلْزُومِ — أَعْنِي : الِاسْتِوَاءَ – عَلَى لَازِمِهِ ، أَعْنِي : الظُّهُورَ ، **أَيِ** : التَّجَلِّيَ وَالظُّهُورَ الْمَعْنَوِيَّ لَا الْحَقِيقِيَّ ؛ فَيُكُونُ اسْتِعَارَةً فِي الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ ؛ وَهُوَ غَرِيبٌ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ ، أَنْ يُجْعَلَ اللَّفْظُ مَجَازًا مُرْسَلًا عَنْ مَعْنًى مُسْتَعَارٍ لِمَعْنًى آخَرَ ، شُبِّهَ هَذَا الْآخَرُ بِهِ ؛ فَيَجْتَمِعُ فِي اللَّفْظِ الْوَاحِدِ كَوْنُهُ مَجَازًا مُرْسَلًا ، وَكَوْنُهُ اسْتِعَارَةً تَصْرِيحِيَّةً ؛ وَهُمَا مَعًا تَبَعِيَّانِ فِي الْفِعْلِ الْمُشْتَقِّ مِنَ الْمَصْدَرِ الْوَاقِعِ ذَلِكَ فِيهِ أَصَالَةً .

وَخُصَّ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ الرَّحْمَانِيَّةَ أَتَمُّ ظُهُورًا فِي الْعَرْشِ مِنْ سَائِرِ الصِّفَاتِ ، فَقَدَ شَمَلَتِ الرَّحْمَانِيَّةُ – بِالْإِيجَادِ وَالْإِمْدَادِ – الْعَرْشَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مَخْلُوقٍ ، فَصَارَ الْعَرْشُ غَيْبًا فِيهَا ،كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي [الْحِكَمِ] **بِقَوْلِهِ** :

< يَا مَنِ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ ، فَصَارَ الْعَرْشُ غَيْبًا فِي رَحْمَانِيَّتِهِ ،كَمَا صَارَ الْعُوَالِمُ غَيْبًا فِي عَرْشِهِ ، مَحَقْتَ الْآثَارَ بِالْآثَارِ ، وَمَحَوْتَ الْأَغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ أَفْلَاكِ الْأَنْوَارِ > .

وَمَا أَحْسَنَ مَا فِي [الْمَوَاهِبِ] عَنْ بَعْضِ أَرْبَابِ الْإِشَارَاتِ يُخَاطِبُ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى لِسَانِ الْعَرْشِ لَمَّا مَرَّ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَجَعَ مِنَ الْإِسْرَاءِ :

يَا مُحَمَّدُ ، خَلَقَنِي فَكُنْتُ أَرْعُدُ لِهَيْبَةِ جَلَالِهِ ، فَكَتَبَ عَلَى قَامَتِي : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " فَازْدَدتُّ لِهَيْبَتِهِ ارْتِعَاشًا وَارْتِعَادًا ؛ فَكَتَبَ : " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " فَسَكَنَ لِذَلِكَ قَلَقِي ، وَهَدَأَ رَوْعِي ، فَكَانَ اسْمُكَ لِقَاحًا لِقَلْبِي ، وطَمَأْنِينَةً لِسِرِّي ؛ يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ الْمُرْسَلُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ نَصِيبٍ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ ، وَنَصِيبِي – يَا حَبِيبِي – أَنْ تَشْهَدَ لِي بِالْبَرَاءَةِ مِمَّا نَسَبَهُ أَهْلُ الزُّورِ إِلَيَّ ، وَتَقَوَّلَهُ أَهْلُ الْغُرُورِ عَلَيَّ ؛ زَعَمُوا أَنِّي أَسَعُ مَنْ لَا مِثْلَ لَهُ ، وَأُحِيطُ بِمَنْ لَا كَيْفَ لَهُ ؛ يَا مُحَمَّدُ ، مَنْ لَا حَدَّ لِذَاتِهِ ، وَلَا عَدَّ لِصِفَاتِهِ ، كَيْفَ يَكُونُ مُفْتَقِرًا إِلَيَّ ؟! أَوْ مَحْمُولًا عَلَيَّ ؟! ؛ إِذَا كَانَ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ اسْمَهُ ، وَالِاسْتِوَاءُ صِفَتَهُ ، وَصِفَتُهُ مُتَّصِلَةٌ بِذَاتِهِ ، فَكَيْفَ يَتَّصِلُ بِي أَوْ يَنْفَصِلُ عَنِّي ؟! ؛
يَا مُحَمَّدُ ، وَعِزَّتِهِ ، لَسْتُ بِالْقَرِيبِ مِنْهُ وَصْلًا ، وَلَا بِالْبَعِيدِ مِنْهُ فَصْلًا ، وَلَا بِالْمُطِيقِ لَهُ حَمْلًا ، أَوْجَدَنِي رَحْمَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ، وَلَوْ مَحَقَنِي لَكَانَ حَقًّا مِنْهُ وَعَدْلًا ؛ يَا مُحَمَّدُ ، أَنَا مَحْمُولُ قُدْرَتِهِ ، وَمَعْمُولُ حِكْمَتِهِ » . اِهَ .

١١٥ – وَوَاجِبٌ قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ جَلّْ	أَيْ : لَا مُخَصِّصَ لَهُ وَلَا مَحَلّْ
١١٦ – لِأَنَّهُ ذَاتٌ قَدِيمَةٌ فَلَا	تُنْصِتْ إِلَى مَا قَالَهُ مَنْ غَفَلَا
١١٧ – إِذْ لَوْ إِلَى الْمُخَصِّصِ احْتَاجَ وَجَبْ	حُدُوثُهُ وَرَدُّ هَذَا مَا احْتَجَبْ
١١٨ – أَوْ قَامَ – جَلَّ – رَبُّنَا بِالذَّاتِ	لَكَانَ مَعْدُودًا مِنَ الصِّفَاتِ
١١٩ – وَتِلْكَ لَا تُوصَفُ بِالْمَعَانِي	وَاللهُ قَدْ حُقِّقَ بِالْبُرْهَانِ
١٢٠ – وُجُوبُ وَصْفِهِ بِهَا ، فَأَنَّى	يَكُونُ وَصْفًا مَنْ هَدَانَا مَنًّا ؟!
١٢١ – وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَقُومَ الْمَعْنَى	بِمِثْلِهِ ، فَاحْظَ بِهَذَا الْمَعْنَى

((**وَوَاجِبٌ**)) عَقْلًا للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**قِيَامُهُ**)) أَيِ : اسْتِقْلَالُهُ وَاسْتِغْنَاؤُهُ ((**بِالنَّفْسِ**)) **أَيْ** : بِذَاتِهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ، الْمُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، الْمَوْصُوفِ بِكُلِّ كَمَالٍ عَنِ افْتِقَارٍ إِلَى مُوجِدٍ يُوجِدُهُ ، أَوْ مَوْصُوفٍ بِهِ ، فَهُوَ قَدِيمٌ لَا حَادِثٌ ، وَذَاتٌ لَا صِفَةٌ ((**جَلّْ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ لِلْوَزْنِ ؛ **أَيِ** : اتَّصَفَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ .

وَفُسِّرَ قِيَامُهُ بِنَفْسِهِ بِقَوْلِهِ ((**أَيْ : لَا مُخَصِّصَ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الصَّادِ الْأُولَى الْمُهْمَلَةِ ((**لَهُ**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْوُجُودِ عَنِ الْعَدَمِ ، وَلَا بِغَيْرِهِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ الْمُتَقَابِلَاتِ عَنْ غَيْرِهِ مِنْهَا ((**وَلَا مَحَلّْ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ .

أَيْ : لَا مَوْصُوفَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَانْتَفَى افْتِقَارُهُ إِلَى مُخَصِّصٍ وَإِلَى مَوْصُوفٍ بِهِ ((**لِأَنَّهُ**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**ذَاتٌ**)) وَالذَّاتُ لَا تَكُونُ صِفَةً قَائِمَةً بِمَوْصُوفٍ ((**قَدِيمَةٌ**)) وَالْقَدِيمُ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى مُخَصِّصٍ ((**فَلَا تُنْصِتْ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : لَا تَسْمَعْ ((**إِلَى مَا**)) **أَيِ** : الْقَوْلِ الَّذِي ((**قَالَهُ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الشَّخْصُ الَّذِي قَدْ ((**غَفَلَا**)) عَنِ الْحَقِّ . وَدَلِيلُ وُجُوبِ اسْتِغْنَائِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنِ الْمُخَصِّصِ

((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**لَوْ**)) حَرْفُ شَرْطٍ ((**إِلَى الْمُخَصِّصِ**)) صِلَةُ ((**احْتَاجَ**)) اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَجَوَابُ ((**لَوْ**)) : ((**وَجَبْ**)) عَقْلًا ((**حُدُوثُهُ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وَرَدُّ**)) بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَضَمِّ الدَّالِ مُثَقَّلًا ، **أَيْ** :إِبْطَالُ ((**هَذَا**)) **أَيْ** : كَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَادِثًا ((**مَا**)) نَافِيَةٌ ((**احْتَجَبْ**)) **أَيْ** : خَفِيَ ، بِاسْتِلْزَامِهِ الدَّوْرَ أَوِ التَّسَلْسُلَ الْمُحَالَ ، فَحُدُوثُهُ مُحَالٌ ، فَاحْتِيَاجُهُ إِلَى مُخَصِّصٍ مُحَالٌ ، فَثَبَتَ نَقِيضُهُ ، وَهُوَ وُجُوبُ اسْتِغْنَائِهِ عَنِ الْمُخَصِّصِ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ ، وَهُوَ أَحَدُ شِقَّيْ قِيَامِهِ بِنَفْسِهِ ((**أَوْ**)) لَوْ ((**قَامَ جَلَّ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا؛ **أَيِ** : اتَّصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ ؛ وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ((**قَامَ**)) وَهُوَ : ((**رَبُّنَا**)) ؛ وَصِلَةُ ((**قَامَ**)) : ((**بِالذَّاتِ**)) **أَيْ** : كَانَ صِفَةً لَهَا ؛ وَجَوَابُ ((**لَوْ**)) : ((**لَكَانَ**)) **أَيْ** : رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَعْدُودًا مِنَ الصِّفَاتِ**)) **أَيْ** : صِفَةً لِلذَّاتِ ((**وَتِلْكَ**)) **أَيِ** : الصِّفَةُ ((**لَا تُوصَفُ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَفَتْحِ الصَّادِ ((**بِ**)) صِفَاتِ ((**الْمَعَانِي**)) مِنَ الْحَيَاةِ ... إِلَخ .

((**وَ**)) الْحَالُ ((**اللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**قَدْ حُقِّقَ**)) بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَكَسْرِ الْقَافِ الْأُولَى ((**بِالْبُرْهَانِ**)) بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ؛ **أَيِ** : الدَّلِيلِ الْيَقِينِيِّ الْمُؤَلَّفِ مِنْ مُقَدِّمَتَيْنِ يَقِينِيَّتَيْنِ ، الْمُنْتِجِ لِنَتِيجَةٍ يَقِينِيَّةٍ .

وَنَائِبُ فَاعِلِ ((**حُقِّقَ**)) : ((**وُجُوبُ وَصْفِهِ**)) **أَيْ** : كَوْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَّصِفًا ((**بِهَا**)) **أَيْ** : الْمَعَانِي ، فَعَدَمُ اتِّصَافِهِ بِهَا مُحَالٌ ، فَمَلْزُومُهُ – وَهُوَ كَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صِفَةً – مُحَالٌ ، فَمَلْزُومُهُ – وَهُوَ قِيَامُهُ بِالذَّاتِ – مُحَالٌ ؛ فَثَبَتُ وُجُوبُ نَقِيضِهِ ، وَهُوَ كَوْنُهُ لَيْسَ قَائِمًا بِهَا ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ ، وَهُوَ الشِّقُّ الثَّانِي لِمَعْنَى قِيَامِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَفْسِهِ ((**فَأَنَّى**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالنُّونِ مُثَقَّلًا ؛ اِسْمُ اسْتِفْهَامٍ إِنْكَارِيٌّ الْمُرَادُ بِهِ النَّفْيُ ، **أَيْ** : فَلَا ((**يَكُونُ وَصْفًا**)) خَبَرُ ((**يَكُونُ**)) مُقَدَّمًا ، وَاسْمُهُ : ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، **أَيْ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي ((**هَدَانَا**)) لِلْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ هِدَايَةً ((**مَنًّا**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ، وَشَدِّ النُّونِ ؛ **أَيْ** : فَضْلًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**وَيَسْتَحِيلُ**)) عَقْلًا ((**أَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ، صِلَتُهُ : ((**يَقُومَ الْمَعْنَى**)) كَالْحَيَاةِ ((**بِـ**)) مَعْنًى ((**مِثْلِهِ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ كَالْعِلْمِ ، لِاسْتِلْزَامِهِ الدَّوْرَ أَوِ التَّسَلْسُلَ وَاجْتِمَاعَ مِثْلَيْنِ أَوْ ضِدَّيْنِ فِي مَحَلٍّ ، وَهُوَ مُحَالٌ ((**فَاحْفَظَ**)) بِإِعْجَامِ الظَّاءِ ، **أَيْ** : فُزْ ((**بِهَذَا الْمَعْنَى**)) .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) : **اِعْلَمْ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ** :

١ – قِسْمٌ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى مُخَصِّصٍ وَلَا إِلَى مَحَلٍ ، وَهُوَ ذَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

٢ – وَقِسْمٌ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى مُخَصِّصٍ وَيَقُومُ بِذَاتِهِ تَعَالَى ، وَهُوَ صِفَاتُهُ تَعَالَى .

٣ – وَقِسْمٌ يَفْتَقِرُ إِلَى مُخَصِّصٍ وَلَا يَقُومُ بِمَحَلٍّ ، وَهُوَ ذَوَاتُ الْحَوَادِثِ .

٤ – وَقِسْمٌ يَفْتَقِرُ إِلَى مُخَصِّصٍ وَيَقُومُ بِمَحَلٍّ ، وَهُوَ صِفَاتُ الْحَوَادِثِ .

أَفَادَهُ الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ .

(**الثَّانِي**) : **قَالَ ابْنُ كِيرَانَ** :

« وَقَدْ تَلَخَّصَ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ مِنْ ذَوَاتٍ وَأَعْرَاضٍ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ فِي التَّخْصِيصِ ، وَهُوَ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهُ ؛ وَإِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَةُ بِآيَةِ ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] ، وَآيَةِ ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ ﴾ [محمد : ٣٨] .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَدْيَنَ : " الْحَقُّ – سُبْحَانَهُ – مُسْتَبْدُو الْوُجُودِ ، مُسْتَمْدُو الْمَادَّةِ مِنْ عَيْنِ الْمَوْجُودِ ، وَلَوْلَا الْمَادَّةُ لَانْهَدَمَ الْوُجُودُ " .

وَإِلَيْهِ أَيْضًا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ ﴾ [الإخلاص: ٢ - ٣] ، **بَلْ نَقُولُ** : تَضَمَّنَتْ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ – عَلَى اخْتِصَارِهَا – جَمِيعَ الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ ، لِأَنَّ سَبَبَ نُزُولِهَا – عَلَى مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، صِفْ لَنَا رَبَّكَ وَانْسُبْهُ ، فَإِنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي التَّوْرَاةِ وَنَسَبَهَا . فَارْتَعَدَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَتَّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ السُّورَةِ . كَذَا فِي تَفْسِيرِ الثَّعَالِبِيِّ . وَفِي تَفْسِيرِ الْخَازِنِ : أَنَّ أَحْبَارًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : صِفْ لَنَا رَبَّكَ لَعَلَّنَا نُؤْمِنُ بِكَ ، فَإِنَّهُ أَنْزَلَ نَعْتَهُ فِي التَّوْرَاةِ ، فَأَخْبِرْنَا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ ؟ وَهَلْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ؟ وَمِمَّنْ وَرِثَ الرُّبُوبِيَّةَ ؟ وَلِمَنْ يُوَرِّثُهَا ؟ . فَنَزَلَتْ .

وَفِيهِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : أَنَّ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذَكَرَ آلِهَةَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالُوا : أُنْسُبْ لَنَا إِلَهَكَ . فَنَزَلَتْ .
وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ عَامِرَ بْنِ الطُّفَيْلِ ، وَأَرْبَدَ بْنَ رَبِيعَةَ أَتَيَا الْمُصْطَفَى ، فَقَالَ عَامِرٌ : إِلَامَ تَدْعُونَا يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : إِلَى اللهِ . قَالَ : صِفْهُ لَنَا ؛ أَمِنْ ذَهَبٍ أَمْ فِضَّةٍ أَمْ حَدِيدٍ أَمْ خَشَبٍ ؟ فَنَزَلَتْ .
وَأُهْلِكَ أَرْبَدُ بِالصَّاعِقَةِ ، وَعَامِرٌ بِالطَّاعُونِ » . اهـ .

فَلَمَّا سَأَلُوهُ الصِّفَةَ بَيَّنَتْ لَهُمْ جَمِيعَ الْعَقَائِدِ ؛ فَقَوْلُهُ ﴿ أَحَدٌ ﴾ يَتَضَمَّنُ أَوْجُهَ الْوَحْدَانِيَّةِ الْخَمْسَةَ ، **أَيْ** :
١ – **وَحْدَةُ الذَّاتِ** ، بِنَفْيِ الْكَمِّ الْمُتَّصِلِ وَالْمُنْفَصِلِ عَنْهَا .
٢ – **وَوَحْدَانِيَّةُ الصِّفَاتِ** ، بِنَفْيِ تَكَثُّرِهَا فِي ذَاتِهِ ، أَوْ وُجُودِ نَظِيرِهَا فِي ذَاتٍ أُخْرَى .
٣ – **وَوَحْدَانِيَّةُ الْأَفْعَالِ** .

وَ ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ ، **أَيْ** : يُقْصَدُ فِيهَا وَمِنْهُ تُسْئَلُ ، فَيَكُونُ كُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ ، وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ اتِّصَافَهُ بِصِفَاتِ الْمَعَانِي مِنَ الْقُدْرَةِ ، وَالْإِرَادَةِ ، وَالْعِلْمِ ، وَالْحَيَاةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالْبَصَرِ ، وَالْكَلَامِ .
وَقَوْلُهُ ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾ [الإخلاص : ٣] : إِشَارَةٌ لِغِنَاهُ عَنِ الْأَثَرِ وَالْمُؤَثِّرِ ، فَلَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى الْأَثَرِ – **أَيْ** : كُلِّ حَادِثٍ – وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ **أَيْ** : لَمْ يَتَوَلَّدْ شَيْءٌ عَنْ ذَاتِهِ السَّنِيَّةِ ، بِأَنْ يَكُونَ بَعْضًا مِنْهَا ، أَوْ نَاشِئًا عَنْهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ، بَلْ بِالْعِلَّةِ أَوْ بِالطَّبْعِ – فَفِيهِ رَدٌّ عَلَى كُفَّارِ الْفَلَاسِفَةِ – أَوْ بِاسْتِعَانَةٍ مِمَّنْ يُزَاوِجُهُ عَلَى ذَلِكَ ، أَوْ ثَمَّ غَرَضٌ يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ – كَمَا هُوَ شَأْنُ الزَّوْجَيْنِ – فَلَا وَلَدَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ – فَفِيهِ رَدٌّ عَلَى طَوَائِفِ الْكُفَّارِ الثَّلَاثِ – فَقَدْ قَالَتِ الْيَهُودُ ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ ، ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ ... ﴾ [الصافات: ١٥١] } الْآيَةَ .
وَقَدْ شَنَّعَ عَلَى النَّصَارَى فِي زَعْمِهِمْ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللهِ ، وَزَعْمِهِمْ – مَعَ ذَلِكَ – أَنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَائِلُ :

(عَجَبًا لِلْمَسِيحِ بَيْنَ النَّصَارَى ... وَإِلَى أَيِّ وَالِدٍ نَسَبُوهُ
أَسْلَمُوهُ إِلَى الْيَهُودِ وَقَالُوا ... إِنَّهُمْ بَعْدَ قَتْلِهِ صَلَبُوهُ
فَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُونَ حَقًّا ... فَسَلُوهُمْ فَأَيْنَ كَانَ أَبُوهُ ؟!
فَإِذَا كَانَ رَاضِيًا بِأَذَاهُمُ ... فَاحْمَدُوهُمْ لِأَجْلِ مَا فَعَلُوهُ
وَإِذَا كَانَ سَاخِطًا لِأَذَاهُمْ ... فَاعْبُدُوهُمْ لِأَنَّهُمْ غَلَبُوهُ)

وَمِنْ لَطَائِفِ الْحِكَايَاتِ ، مَا فِي [نَفْحِ الطِّيبِ] :
« أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى الْمَسْجِدَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالَ : أَيُّكُمْ وَصِيُّ مُحَمَّدٍ ؟ فَأَشَارُوا إِلَى الصِّدِّيقِ ، فَقَالَ : إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيٌّ ؛ فَقَالَ: سَلْ ؛ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَمَّا لَيْسَ لِلهِ ؟ وَعَمَّا لَيْسَ عِنْدَ اللهِ ؟ وَعَمَّا لَا يَعْلَمُهُ اللهُ ؟ .
فَقَالَ : هَذِهِ مَسَائِلُ الزَّنَادِقَةِ ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا أَنْصَفْتُمُوهُ ! إِمَّا أَنْ تُجِيبُوهُ أَوْ تَصْرِفُوهُ لِمَنْ يُجِيبُهُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ لِعَلِيٍّ : اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ ؛

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ إِلَى عَلِيٍّ ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَمَّا مَا لَا يَعْلَمُهُ اللهُ فَقَوْلُكُمْ : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] ، وَاللهُ لَا يَعْلَمُ لِنَفْسِهِ وَلَدًا . وَقَوْلُ الْمُشْرِكِينَ : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٨] .

وَأَمَّا مَا لَيْسَ عِنْدَ اللهِ : فَالظُّلْمُ .

وَأَمَّا مَا لَيْسَ للهِ : فَالشَّرِيكُ .

فَأَسْلَمَ . فَقَبَّلَ أَبُو بَكْرٍ رَأْسَ عَلِيٍّ ، وَقَالَ لَهُ : يَا مُفَرِّجَ الْكُرُبَاتِ » . اهـ .

وَلَا حَاجَةَ لَهُ تَعَالَى إِلَى الْمُؤَثِّرِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ **أَيْ** : لَمْ يَتَوَلَّدْ وُجُودُهُ عَنْ شَيْءٍ ، **أَيْ** : لَا سَبَبَ لِوُجُودِهِ ، وَمِنْهُ يُؤْخَذُ " الْقِدَمُ " ، وَيُؤْخَذُ " الْبَقَاءُ " مِنَ الْعِلْمِ بِـ " الْقِدَمِ " ، لِأَنَّ مَا ثَبَتَ قِدَمُهُ اسْتَحَالَ عَدَمُهُ ؛ أَوْ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ، إِذْ أَقْوَى الْأَغْرَاضِ مِنَ الْوَلَدِ – لَا سِيَّمَا فِي حَقِّ مَنْ لَهُ مُلْكٌ – أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِوَالِدِهِ بَعْدَ فَنَائِهِ وَقَائِمًا مَقَامَهُ ؛ وَمَنْ لَا يَفْنَى ، وَلَا يَخْشَى عَلَى مُلْكِهِ الضَّيْعَةَ ، لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى الْوَلَدِ .

وَيُؤْخَذُ وُجُوبُ الْوُجُودِ مِنَ الْقِدَمِ ، إِذِ الْقَدِيمُ لَا يَكُونُ وُجُودُهُ إِلَّا وَاجِبًا ، إِذْ لَوْ كَانَ جَائِزًا لَاحْتَاجَ إِلَى مُرَجِّحٍ لَهُ عَلَى مُقَابِلِهِ مِنَ الْعَدَمِ ، فَيُكُونُ حَادِثًا وَقَدْ فُرِضَ قَدِيمًا . هَذَا خُلْفٌ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤] دَالٌّ عَلَى الْمُخَالَفَةِ لِلْحَوَادِثِ .

وَمِنْ وُجُوبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ يُعْلَمُ اسْتِحَالَةُ أَضْدَادِهَا ، وَجَوَازُ مَا لَا يُنَافِيهَا .

(**الثَّالِثُ**) : كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ لَهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْغِنَى عَنِ الْمَحَلِّ وَعَنِ الْمُخَصِّصِ ، يَجِبُ لَهُ أَيْضًا الْغِنَى عَنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الِانْتِفَاعِ، فَغَنَاؤُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مُطْلَقٌ .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« لَيْسَ الْغِنَى الْمُطْلَقُ قَاصِرًا عَلَى انْتِفَاءِ الِاحْتِيَاجِ إِلَى الْمَحَلِّ وَالْمُخَصِّصِ – كَمَا تُوهِمُهُ عِبَارَةُ [الصُّغْرَى]– بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِانْتِفَاءِ جَمِيعِ وُجُوهِ الِانْتِفَاعِ ، وَجَمِيعِ الْأَغْرَاضِ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ ؛ نَعَمْ، تَنْبَنِي عَلَيْهَا حِكَمٌ وَمَصَالِحُ تَرْجِعُ إِلَى مَنْفَعَةِ الْخَلْقِ تَفَضُّلًا وَإِحْسَانًا لَا إِلَيْهِ تَعَالَى ؛ وَبِذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَنْفَعَةَ لَهُ فِي طَاعَةِ الْعِبَادِ ، كَمَا لَا ضَرَرَ عَلَيْهِ فِي مَعْصِيَتِهِمْ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلِ ابْنِ عَطَاءِ اللهِ فِي مُنَاجَاةِ [الْحِكَمِ] :

" أَنْتَ الْغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ غَنِيًّا عَنِّي ؟! " .

وَقَالَ قَبْلَ ذَلِكَ : " لَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُكَ ، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُكَ ، وَإِنَّمَا أَمَرَكَ بِهَذِهِ ، وَنَهَاكَ عَنْ هَذِهِ لِمَا يَعُودُ عَلَيْكَ " .

وَشَوَاهِدُ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُسْتَفِيضَةٌ ؛ وَفِي قَضَايَا الْعَقْلِ أَيْضًا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [العنكبوت: ٦] ، وَ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦] ، ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠ ﴾ [النمل : ٤٠] ، ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ۝٤٤ ﴾ [الروم: ٤٤] ، ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ ﴾ [المزمل: ٢٠] ، ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء : ٧] .

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ : " يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ؛ يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ؛ يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا " . ثُمَّ قَالَ : " يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ " . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ .

وَفِي آخِرِهِ : " إِنَّمَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيَّ ، وَلَمْ أَخْلُقْهُمْ لَا رِبْحَ عَلَيْهِمْ " .

وَمِنَ الْأَدْعِيَةِ النَّبَوِيَّةِ : " يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ ، وَلَا تُنْقِصُهُ الْمَغْفِرَةُ ، هَبْ لِي مَا لَا يُنْقِصُكَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ".

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فِي ذَلِكَ : أَنَّهُ لَوِ انْتَفَعَ بِطَاعَةِ عَبِيدِهِ ، لَمَا خَلَقَ فِيهِمْ سِوَاهَا ، لِأَنَّهُ الْخَالِقُ لِأَفْعَالِهِمْ ، بِدَلِيلِ بُرْهَانِ الْوَحْدَانِيَّةِ الْمُطَابِقِ لِآيَةِ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ [الصافات : ٩٦]

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ :

" وَلَيْسَ مِنَ الْكَرَمِ أَنْ لَا تُحْسِنَ إِلَّا لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ – وَأَنْتَ الْمِفْضَالُ الْغَنِيُّ – بَلْ مِنَ الْكَرَمِ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ " .

فَقَدْ حَذَّرَ الشُّيُوخُ مِنْهُ ، لِأَنَّ أَحَدًا لَا يُحْسِنُ إِلَى اللهِ وَلَا يُسِيءُ إِلَيْهِ كَمَا تَقَرَّرَ؛ فَيَنْبَغِي لِقَارِئِهِ إِسْقَاطُ لَفْظِ (إِلَيْكَ) » . اِنْتَهَى .

١٢٢ - وَلَا تُصِخْ لِمَذْهَبِ النَّصَارَى ... أَوْ مَنْ إِلَى دَعْوَى حُلُولٍ صَارَا
١٢٣ - فَذَاكَ كَالْقَوْلِ بِالِاتِّحَادِ ... نِحْلَةُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْإِلْحَادِ
١٢٤ - وَمُوهِمُ الْمَحْذُورِ مِنْ كَلَامِ ... قَوْمٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْأَعْلَامِ
١٢٥ - جَرْيًا عَلَى عُرْفِهِمُ الْمَخْصُوصِ ... يَرْجِعُ بِالتَّأْوِيلِ لِلْمَنْصُوصِ
١٢٦ - وَمَا يَفُوهُونَ بِهِ فِي الشَّطْحِ ... فَقِيلَ : غَيْرُ مُقْتَضٍ لِلْقَدْحِ

((**وَلَا تُصِخْ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَإِعْجَامِ الْخَاءِ ؛ **أَيْ** : لَا تَسْمَعْ بِأُذُنِكَ ، وَلَا تَمِلْ بِقَلْبِكَ

((**لِمَذْهَبِ النَّصَارَى**)) مِنْ تَرَكُّبِ الْإِلَهِ مِنْ أُقْنُومَي — **أَيْ** : صِفَتَي - الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ ، وَاتِّحَادِهِمَا بِجَسَدِ الْمَسِيحِ

((**أَوْ**)) مَذْهَبِ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**إِلَى دَعْوَى حُلُولٍ**)) مِنَ الْإِلَهِ بِالْمَسِيحِ أَوْ غَيْرِهِ ؛ صِلَةُ ((**صَارَا فَذَاكَ**)) **أَيِ** : الْمَذْكُورُ مِنْ مَذْهَبِ النَّصَارَى وَدَعْوَى الْحُلُولِ ((**كَالْقَوْلِ بِالِاتِّحَادِ**)) مِنَ الْإِلَهِ بِغَيْرِهِ ؛ وَخَبَرُ ((**ذَا**)) : ((**نِحْلَةُ**)) بِكَسْرِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : كِذْبَةُ ((**أَهْلِ**)) **أَيْ** : أَصْحَابِ

((**الزَّيْغِ**)) **أَيِ** : الضَّلَالِ ((**وَالْإِلْحَادِ**)) **أَيِ** : الْكَذِبِ وَالْمَيْلِ عَنِ الْحَقِّ ((**وَمُوهِمُ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَكَسْرِ الْهَاءِ ؛ **أَيْ** : كَلَامٌ مُوقِعٌ فِي الْوَهْمِ — **أَيِ** : الذِّهْنِ - الْمَعْنَى ((**الْمَحْذُورِ**)) **أَيِ** : الْمُسْتَحِيلَ ، مِنَ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ ؛ حَالَ كَوْنِهِ ((**مِنْ كَلَامِ قَوْمٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْأَعْلَامِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " عَلَمٍ " بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ ؛ **أَيِ** : الَّذِينَ هُمْ كَالْجِبَالِ فِي الشُّهْرَةِ وَعُلُوِّ الشَّأْنِ ، حَالَ كَوْنِهِمْ جَارِينَ فِيهِ ((**جَرْيًا عَلَى عُرْفِهِمُ**)) **أَيِ** : اصْطِلَاحِهِمُ

((**الْمَخْصُوصِ**)) بِهِمْ . وَخَبَرُ ((**مُوهِمُ**)) : ((**يَرْجِعُ**)) **أَيْ** : كَلَامُهُمُ الْمُوهِمُ لِلْمَحْذُورِ بِاعْتِبَارِ ظَاهِرِهِ . وَصِلَةُ ((**يَرْجِعُ**)) : ((**بِالتَّأْوِيلِ**)) **أَيْ** : صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ وَتَفْسِيرِهِ بِمَعْنًى صَحِيحٍ . وَصِلَةُ ((**يَرْجِعُ**)) : ((**لِ**)) لْمَعْنَى ((**الْمَنْصُوصِ**)) عَلَيْهِ فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : " أَنَا مَعْبُودِي " .

قَالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ زَرُّوقٌ :

« لَا يَصِحُّ وَلَا يَجُوزُ فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ ، لِإِيهَامِهِ الِاتِّحَادَ وَالْحُلُولَ » .

ثُمَّ قَالَ :

« **لَكِنَّهُ يُؤَوَّلُ بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :**

١ — أَوَّلُهَا : أَنَّ كُلَّ مَا أَدْرَكَهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَغَيْرِهَا إِنَّمَا انْتَهَى فِيهِ لِوُجُودِ مَعْبُودِهِ .

٢ — ثَانِيهَا : أَنَّهُ شَهِدَ عَيْنَ الْحَقِيقَةِ، فَفَنِيَ عَنْ وُجُودِ نَفْسِهِ ، وَلَمْ يَشْهَدْ إِلَّا وُجُودَ مَعْبُودِهِ .

٣ — ثَالِثُهَا : أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – اسْتَخْلَفَهُ فِي مُلْكِهِ ، وَجَعَلَهُ يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ » . اهـ .

١٢٧ – وَهْــــوَ إِلَى التَّأْوِيــــلِ ذُو انْتِحَـــــالِ وَأَنَّهُــــــمْ قَـــــدْ غُلِبُـــــوا بِالْحَـــــالِ
١٢٨ – وَقِيــلَ: بَــلْ يُنَــاطُ حُكْــمُ الظَّــاهِرِ بِهِــــمْ صِـــــيَانَةً لِشَـــــرْعٍ ظَـــــاهِرِ
١٢٩ – فَــــلَا يُقَــــرُّ ظَـــاهِرٌ فِي الْمَيْــــلِ مِـــــنْهُمْ وَذَا أَمْـــــرٌ طَوِيــــلُ الــــذَّيْلِ
١٣٠ – وَلَــيْسَ يُقْتَــدَى بِهِــمْ فِي ذَلِــكْ لِكَوْنِــــهِ مِــــنْ أَصْــــعَبِ الْمَسَــــالِكْ
١٣١ – وَالْحَــزْمُ أَنْ يَسِــيرَ مَــنْ لَمْ يَعْلَــمِ مَـــــعْ رُفْقَـــــةٍ مَأْمُونَـــــةٍ لِيَسْـــــلَمِ
١٣٢ – وَيَسْـــــلُكَ الْمَحَجَّـــــةَ الْبَيْضَـــــاءَ فَنُورُهَـــــا لِلْمُهْتَـــــــدِي اسْتَضَـــــاءَ

((وَمَا)) أَيِ : الْكَلَامُ الَّذِي ((يَفُوهُونَ)) أَيْ : يَتَكَلَّمُ أَعْلَامُ الصُّوفِيَّةِ ((بِهِ)) أَيِ : الْكَلَامِ . عَائِدُ ((مَا)) . وَصِلَةُ ((يَفُوهُونَ)) : ((فِي)) حَالِ ((الشَّطْحِ)) بِفَتْحِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَإِهْمَالِ الحَاءِ ؛ أَيِ : التَّوَاجُدِ ، وَغَلَبَةِ الْمُشَاهَدَةِ عَلَى عُقُولِهِمْ ؛ فَقَدِ اخْتَلَفَ فِيهِ عُلَمَاءُ الظَّاهِرِ ، ((فَقِيلَ)) إِنَّهُ ((غَيْرُ مُقْتَضٍ لِلْقَدْحِ)) فِيهِمْ ، لِعُذْرِهِمْ بِغَلَبَةِ الْحَالِ وَالْفَنَاءِ وَالسُّكْرِ ؛ فَصَارُوا غَيْرَ مُكَلَّفِينَ .

((وَهْوَ)) أَيِ : كَلَامُهُمُ الْمُوهِمُ لِلْمَحْذُورِ ((إِلَى التَّأْوِيلِ)) أَيْ : صَرْفِهِ عَنِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ مِنْهُ ، وَتَفْسِيرِهِ بِمَعْنًى صَحِيحٍ فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ . صِلَةُ ((انْتِحَالِ)) . وَخَبَرُ ((هُوَ)) : ((ذُو)) أَيْ : صَاحِبُ ((انْتِحَالِ)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ، وَإِهْمَالِ الحَاءِ ؛ أَيِ: انْتِسَابٍ وَاسْتِحْقَاقٍ لِحِفْظِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ ((وَ)) ذَلِكَ لِ

((أَنَّهُمْ)) أَيْ : أَعْلَامَ الصُّوفِيَّةِ ((قَدْ غُلِبُوا)) بِضَمِّ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ ؛ أَيْ : غَابَتْ عُقُولُهُمْ وَسَكِرُوا ((بِالْحَالِ)) الْقَائِمِ بِهِمْ مِنَ الْوَجْدِ وَمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَفَنَاءِ وُجُودِهِمْ فِي وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((وَقِيلَ : بَلْ يُنَاطُ)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَإِهْمَالِ الطَّاءِ ؛ أَيْ : يُرْبَطُ وَيُعَلَّقُ ((حُكْمُ)) الشَّرْعِ ((الظَّاهِرِ)) .

وَصِلَةُ ((يُنَاطُ)) : ((بِهِمْ)) أَيْ : أَعْلَامِ الصُّوفِيَّةِ . وَعِلَّةُ يُنَاطُ بِهِمْ حُكْمُ الظَّاهِرِ : ((صِيَانَةً)) أَيْ : حِفْظًا ((لِ)) حُكْمِ ((شَرْعٍ ظَاهِرٍ)) .

وَسَدُّ الذَّرِيعَةِ مُخَالَفَتُهُ ((فَلَا يُقَرُّ)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الْقَافِ ، وَشَدِّ الرَّاءِ؛ أَيْ : لَا يُتْرَكُ كَلَامٌ ((ظَاهِرٌ فِي الْمَيْلِ)) عَنِ الشَّرْعِ الظَّاهِرِ صَادِرٌ ((مِنْهُمْ)) أَيْ : أَعْلَامِ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يُؤَوَّلُ ((وَذَا)) أَيِ : الْخِلَافُ بَيْنَ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ فِي كَلَامِ أَعْلَامِ الصُّوفِيَّةِ الْمُوهِمِ لِلْمَحْذُورِ ((أَمْرٌ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيْ : شَيْءٌ ((طَوِيلُ الذَّيْلِ)) فَلَا يُناسِبُ تَفْصِيلَهُ هُنَا .

((وَلَيْسَ)) الشَّأْنُ ((يُقْتَدَى)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ ؛ أَيْ : لَا يَجُوزُ الِاقْتِدَاءُ ((بِهِمْ)) أَيْ : أَعْلَامِ الصُّوفِيَّةِ ((فِي)) التَّكَلُّمِ بِـ ((ذَلِكْ)) أَيِ : الْكَلَامِ الْمُوهِمِ لِلْمَحْذُورِ ((لِكَوْنِهِ)) أَيِ : الْكَلَامِ الْمُوهِمِ لِلْمَحْذُورِ ((مِنْ أَصْعَبِ الْمَسَالِكْ .. وَالْحَزْمُ)) بِفَتْحِ الحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الزَّايِ ؛ أَيْ : الِاحْتِيَاطُ وَالِاحْتِرَاسُ ((أَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ، صِلَتُهُ ((يَسِيرَ)) أَيْ : يُسَافِرَ وَيَسْلُكَ ((مَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيِ : الَّذِي

١٣٣ – وَفِي بُنَيَّـــــاتِ الطَّرِيـــــقِ يَخْشَـــــى سَـــــارٍ ضَـــــلَالًا أَوْ هَلَاكًـــــا يَغْشَـــــى

١٣٤ – أَمَّنَنَـــــا اللّٰهُ مِـــــنَ الْآفَـــــاتِ فِي الـــــدِّينِ وَالـــــدُّنْيَا إِلَى الْوَفَـــــاةِ

١٣٥ – وَوَاجِـــــبٌ وَحْـــــدَةُ ذِي الْجَـــــلَالِ فِي الـــــذَّاتِ وَالصِّـــــفَاتِ وَالْأَفْعَـــــالِ

((**لَمْ يَعْلَمِ**)) حَالَ الطَّرِيقِ . وَصِلَةُ ((**يَسِيرَ**)) : الرَّاءِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ، فَقَافٍ ؛ **أَيْ** : جَمَاعَةٍ مُتَرَافِقِينَ فِي السَّفَرِ ((**مَأْمُونَةٍ**)) عَلَى الدِّينِ ((**مَعْ رُفْقَةٍ**)) بِضَمٍّ وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ ((**لِيَسْلَمِ**)) الْمُسَافِرُ مَعَهُمْ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَمَصَائِبِهِ ((**وَ**)) الْحَزْمُ أَنْ ((**يَسْلُكَ الْمَحَجَّةَ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الْجِيمِ ؛ أَيِ: الطَّرِيقَ الْوَسَطَ الْمُعْتَادَ لِلسُّلُوكِ ((**الْبَيْضَاءَ**)) **أَيِ** : الصَّافِيَةَ الْمَأْمُونَةَ ((**فَنُورُهَا**)) **أَيِ** : الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ ((**لِلْمُهْتَدِي**)) صِلَةُ ((**اسْتَضَاءَ**)) **أَيِ** : اسْتَنَارَ . جُمْلَتُهُ خَبَرُ ((**نُورُ**))

((**وَفِي بُنَيَّاتِ**)) بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَفَتْحِ النُّونِ ، وَشَدِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتَ ؛ جَمْعُ " بُنَيَّةٍ " مُصَغَّرُ " بِنْتٍ " ؛ **أَيْ** : صَغَائِرِ ((**الطَّرِيقِ**)) صِلَةُ ((**يَخْشَى**)) **أَيْ** : يَخَافُ ((**سَارٍ**)) **أَيْ** : سَائِرٌ ؛ فَاعِلُ ((**يَخْشَى**)) ، وَمَفْعُولُهُ : ((ضَلَالًا)) **أَيْ** : تَوَهَانًا عَنِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ لِلْمَقْصُودِ ((**أَوْ**)) يَخْشَى ((**هَلَاكًا**)) لَهُ ((**يَغْشَى**)) بِفَتْحِ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : يَحْدُثُ .

((**أَمَّنَنَا**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْمِيمِ مُثَقَّلَةً ؛ **أَيْ** : جَعَلَنَا ((**اللّٰهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِفَضْلِهِ آمِنِينَ ((**مِنَ الْآفَاتِ**)) بِمَدِّ الْهَمْزِ ،
وَالْفَاءِ ، جَمْعُ " آفَةٍ " ؛ **أَيِ** : الْمَصَائِبِ وَالْمُؤْذِيَاتِ ((**فِي الدِّينِ**)) بِكَسْرِ الدَّالِ ((**وَالدُّنْيَا**)) تَأْمِينًا مُسْتَمِرًّا

((**إِلَى الْوَفَاةِ**)) **أَيِ** : الْمَوْتِ عَلَى الْإِيمَانِ . وَالْجُمْلَةُ خَبَرِيَّةٌ لَفْظًا ، دُعَائِيَّةٌ مَعْنًى .
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُسَافِرُونَ إِلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَالدُّنْيَا كَلَيْلٍ مُظْلِمٍ ، وَالْآخِرَةُ كَالنَّهَارِ الْمُسْتَنِيرِ ؛ وَمُنْتَهَى سَفَرِهِمْ قَضَاءُ اللّٰهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بَيْنَهُمْ ، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم : ٤٢] ، ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى: ٧] .
فَمَنْ سَلَكَ فِي اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ الَّذِي سَلَكَهُ مُعْظَمُ النَّاسِ حَتَّى صَارَ الْأَثَرُ فِيهِ ظَاهِرًا لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ أَحَدٍ عَارِفٍ أَوْ غَيْرِ عَارِفٍ ، وَصَلَ سَالِمًا . وَمَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الضَّيِّقَ الْمَائِلَ يَمِينًا وَشِمَالًا الَّذِي لَا يَسْلُكُهُ إِلَّا الْوَاحِدُ أَوِ الْإِثْنَانِ أَوْ نَحْوُهُمَا ، يَخَافُ الضَّلَالَ أَوِ الْهَلَاكَ ، فَلَا يَصِلُ سَالِمًا .

((**وَوَاجِبٌ**)) عَقْلًا ((**وَحْدَةُ**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ ، وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ وَمَوْصُوفِ

((**الْجَلَالِ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ ؛ أَيِ : الْعَظَمَةِ ، **أَيِ** : اللّٰهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْمُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، الْمَوْصُوفِ بِكُلِّ كَمَالٍ . **أَيْ** : كَوْنُهُ وَاحِدًا ((**فِي الذَّاتِ**)) **أَيْ** : لَيْسَ مُرَكَّبًا مِنْ جُزْئَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ وَلَا شَبِيهٌ ((**وَ**)) فِي ((**الصِّفَاتِ**)) **أَيْ** : لَيْسَ لِمَوْصُوفٍ غَيْرِهِ صِفَاتٌ مِثْلُ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَيْسَ لِصِفَاتِهِ تَعَدُّدٌ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ ؛ فَحَيَاتُهُ وَاحِدَةٌ ، وَعِلْمُهُ وَاحِدٌ ، وَإِرَادَتُهُ وَاحِدَةٌ ، وَقُدْرَتُهُ وَاحِدَةٌ ، وَسَمْعُهُ وَاحِدٌ ، وَبَصَرُهُ وَاحِدٌ ، وَكَلَامُهُ

١٣٦- لِأَنَّهَـــا لَـــوِ انْتَفَـــتْ عَنْـــهُ عُـــدِمْ   صُـــنْعٌ مِـــنَ التَّمَـــانُعِ الَّـــذِي عُلِـــمْ

وَاحِدٌ . ((وَ)) فِي ((**الْأَفْعَالِ**)) **أَيْ** : هُوَ فَاعِلُ الْأَفْعَالِ كُلِّهَا ، ضَرُورِيِّهَا وَاخْتِيَارِيِّهَا ، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا ، طَاعَتِهَا وَمَعْصِيَتِهَا ، إِيمَانِهَا وَكُفْرِهَا ؛ فَلَا تَأْثِيرَ مِنَ الْحَوَادِثِ فِي شَيْءٍ آخَرَ ، لَا بِالطَّبْعِ ، وَلَا بِالتَّعْلِيلِ ، وَلَا بِقُوَّةٍ خَلَقَهَا اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي شَيْءٍ ، فَهُوَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – يَخْلُقُ الْأَسْبَابَ وَمُسَبَّبَاتِهَا عِنْدَهَا لَا بِهَا ، وَقَدْ يَخْلُقُ الْأَسْبَابَ وَحْدَهَا ، وَقَدْ يَخْلُقُ الْمُسَبَّبَاتِ وَحْدَهَا ؛ وَقَدْ شُوهِدَ ذَلِكَ فِي مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَفِي الْمَرْضَى وَنَحْوِهِمْ ، وَفِي السَّمَاءِ وَالسَّحَابِ ، وَالطَّيْرِ ، وَالصَّخْرَةِ الْمَقْدِسِيَّةِ .

فَمَنْ يَعْتَقِدْ أَنَّ الْأَسْبَابَ الْعَادِيَّةَ —كَالْمَاءِ ، وَالنَّارِ ، وَالسِّكِّينِ – تُؤَثِّرُ فِي مُسَبَّبَاتِهَا —كَالرِّيِّ ، وَالْحَرْقِ ، وَالْقَطْعِ — بِطَبْعِهَا : فَهُوَ كَافِرٌ ؛ أَوْ بِقُوَّةٍ مَخْلُوقَةٍ فِيهَا : فَهُوَ فَاسِقٌ .

وَمَنْ يَعْتَقِدْ أَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – هُوَ الْمُؤَثِّرُ وَحْدَهُ ، وَلَكِنْ يَعْتَقِدُ اسْتِحَالَةَ خَلْقِ السَّبَبِ بِدُونِ الْمُسَبَّبِ أَوِ الْعَكْسَ : فَهَذَا يُخْشَى عَلَيْهِ الْكُفْرُ بِإِنْكَارِهِ الْمُعْجِزَاتِ ، وَالْفِسْقُ بِإِنْكَارِهِ الْكَرَامَاتِ .

وَالْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ النَّاجِي : مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمُؤَثِّرَ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، مَعَ إِمْكَانِ تَخَلُّفِ الْمُسَبَّبِ عَنِ السَّبَبِ وَعَكْسِهِ .

وَوُجُوبُ الْوَحْدَةِ فِيهَا : ((**لِأَنَّهَا**)) **أَيْ** : الْوَحْدَةَ ((**لَوِ انْتَفَتْ**)) الْوَحْدَةُ ((**عَنْهُ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَـ ((**عُدِمْ**)) بِضَمِّ الْعَيْنِ ، وَكَسْرِ الدَّالِ ؛ وَنَائِبُ فَاعِلِ ((**عُدِمْ**)) : ((**صُنْعٌ**)) بِضَمِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيِ** : الْعَالَمُ الْمَصْنُوعُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَعَدَمُهُ بَاطِلٌ بِمُشَاهَدَةِ وُجُودِهِ ، فَمَلْزُومُهُ – وَهُوَ انْتِفَاءُ وَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — بَاطِلٌ ؛ فَثَبَتَ نَقِيضُهُ ، وَهُوَ وُجُوبُ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وَكَانَ عَدَمُ الصُّنْعِ لَازِمًا لِانْتِفَاءِ وَحْدَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مِنَ**)) **أَيْ** : لِأَجْلِ ((**التَّمَانُعِ**)) بِضَمِّ النُّونِ ؛ **أَيِ** : التَّدَافُعِ وَالتَّعَارُضِ بَيْنَ الْإِلَهَيْنِ أَوِ الْآلِهَةِ ((**الَّذِي عُلِمْ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ .

وَبَيَانُ ذَلِكَ : أَنَّهُمَا إِمَّا أَنْ يَتَّفِقَا عَلَى خَلْقِ الْعَالَمِ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَخْتَلِفَا ؛ وَعَلَى كُلٍّ يَلْزَمُ عَدَمُ وُجُودِ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ .

*** أَمَّا الْأَوَّلُ :**

فَلِأَنَّهُ لَوِ اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يُوجِدَا الْعَالَمَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ مُعَاوَنَةٍ :

فَيَلْزَمُ عَلَيْهِ اجْتِمَاعُ مُؤَثِّرَيْنِ عَلَى أَثَرٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مُحَالٌ لَا تَتَعَلَّقُ الْقُدْرَةُ بِهِ ، لِمَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ مِنْ رُجُوعِ الْأَثَرِ الْوَاحِدِ أَثَرَيْنِ ، وَذَلِكَ لَا يُعْقَلُ .

وَلَوِ اتَّفَقَا عَلَى إِيجَادِهِ كَذَلِكَ ، لَكِنْ مَعَ الْمُعَاوَنَةِ ، فَيَلْزَمُ عَلَيْهِ عَجْزُهُمَا .

وَلَوِ اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يُوجِدَاهُ مَعًا مُرَتَّبًا ، بِأَنْ يُوجِدَهُ أَحَدُهُمَا فِي وَقْتٍ ، وَيُوجِدَهُ الْآخَرُ بَعْدَهُ فِي وَقْتٍ آخَرَ : فَيَلْزَمُ عَلَيْهِ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ ، وَهُوَ مُحَالٌ أَيْضًا .

وَلَوِ اتَّفَقَا عَلَى أَنْ يُوجِدَاهُ مُنَاصَفَةً ، بِأَنْ يُوجِدَ أَحَدُهُمَا نِصْفَهُ ، وَيُوجِدُ الْآخَرُ نِصْفَهُ الْآخَرَ : فَيَلْزَمُ عَلَيْهِ عَجْزُهُمَا .

وَبَيَانُ ذَلِكَ : أَنَّ الْإِلَهَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ قُدْرَتُهُ تَامَّةً – لَا يَشْغَلُهُ مَقْدُورٌ عَنْ مَقْدُورٍ – عَامَّةَ التَّعَلُّقِ بِجَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ، لَا يُعْجِزُهُ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ ؛ فَلَوْ تَعَلَّقَتْ بِبَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ ، لَزِمَ نَقْصُهَا وَعَجْزُهَا عَنْ جَمِيعِهَا ، لِأَنَّهُ تَرْجِيحٌ بِلَا

مُرَجِّحٍ ، لِأَنَّ الْبَعْضَ الَّذِي لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ مُسَاوٍ لِمَا تَعَلَّقَتْ بِهِ ، فَتَعَلُّقُهَا بِالْبَعْضِ دُونَ الْبَعْضِ نَقْصٌ ، لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى افْتِقَارِهَا إِلَى مُخَصِّصٍ ، وَهُوَ مُحَالٌ ، لِأَنَّ النُّصُوصَ الْقَطْعِيَّةَ نَاطِقَةٌ بِعُمُومِ تَعَلُّقِهَا بِجَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ ؛ فَلَوْ تَعَلَّقَتْ قُدْرَةُ أَحَدِهِمَا بِإِيجَادِ النِّصْفِ ، وَعَجَزَتْ عَنْ تَعَلُّقِهَا بِالنِّصْفِ الْآخَرِ ، لَوَجَبَ عَجْزُهَا عَنِ الْكُلِّ ، وَوَجَبَ التَّرْجِيحُ بِلَا مُرَجِّحٍ كَمَا عَلِمْتَ .

* **وَأَمَّا الثَّانِي :**

فَلِأَنَّهُ لَوِ اخْتَلَفَا ، بِأَنْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا وُجُودَ الْعَالَمِ ، وَيُرِيدَ الْآخَرُ عَدَمَهُ : فَلَا جَائِزَ أَنْ يَنْفُذَ مُرَادُهُمَا مَعًا ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ مَوْجُودًا مَعْدُومًا ، وَهُوَ مُحَالٌ ، لِأَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ .

وَلَا جَائِزَ أَنْ لَا يَنْفُذَ مُرَادُهُمَا مَعًا ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ عَجْزُهُمَا مَعًا – وَهُوَ أَيْضًا مُحَالٌ ، إِذِ الْإِلَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا قَادِرًا – وَعَدَمُ وُجُودِ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ ، مَعَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ بِالْمُشَاهَدَةِ .

وَلَا جَائِزَ أَنْ يَنْفُذَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنَّ مَنْ لَمْ يَنْفُذْ مُرَادُهُ عَاجِزٌ ، وَيَلْزَمُهُ عَجْزُ مَنْ نَفَذَ مُرَادُهُ أَيْضًا ، لِثُبُوتِ التَّمَاثُلِ بَيْنَهُمَا ، وَمَا ثَبَتَ لِأَحَدِ الْمِثْلَيْنِ يَثْبُتُ لِلْآخَرِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ ؛ وَقَالَ ابْنُ رُشْدٍ : « إِذَا قُدِّرَ نُفُوذُ مُرَادِ أَحَدِهِمَا ، كَانَ هُوَ الْإِلَهُ ، وَتَمَّ دَلِيلُ الْوَحْدَانِيَّةِ » .

وَمَعْنَى تَمَامِهِ : أَنَّهُ إِذَا نَفَذَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا، وَثَبَتَ أَنَّهُ الْإِلَهُ ، أَدَّى ذَلِكَ إِلَى بُطْلَانِ مَا فُرِضَ ، وَهُوَ تَعَدُّدُ الْإِلَهُ ، وَمضتَى بَطَلَ التَّعَدُّدُ ثَبَتَتِ الْوَحْدَانِيَّةُ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ ، وَهَذَا يُسَمَّى " بُرْهَانُ التَّمَانُعِ " ، لِتَمَانُعِهِمَا وَتَخَالُفِهِمَا ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء : ٢٢] **أَيْ** : لَوْ كَانَ فِيهِمَا جِنْسُ الْآلِهَةِ غَيْرُ اللهِ لَمْ تُوجَدَا ، لَكِنَّ عَدَمَ وُجُودِهِمَا بَاطِلٌ ، لِمُشَاهَدَةِ وُجُودِهِمَا ، فَبَطَلَ مَا أَدَّى إِلَيْهِ ، وَهُوَ وُجُودُ جِنْسِ آلِهَةٍ غَيْرِ اللهِ ؛ فَثَبَتَ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ ، فَلَيْسَ الْمُحَالُ الْجَمْعَ فَقَطْ ، بَلِ الْمُحَالُ جِنْسُ الْآلِهَةِ غَيْرِهِ تَعَالَى .

وَ﴿ إِلَّا ﴾ فِي الْآيَةِ اسْمٌ بِمَعْنَى " غَيْرُ " صِفَةٌ لِـ ﴿ ءَالِهَةٌ ﴾ ، وَقَدْ وَقَعَ الْوَصْفُ بِهَا كَمَا وَقَعَ الِاسْتِثْنَاءُ بِلَفْظِ "غَيْرِ " عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ ، وَلِكَوْنِهَا عَلَى صُورَةِ الْحَرْفِ لَمْ يَظْهَرْ إِعْرَابُهَا إِلَّا فِيمَا بَعْدَهَا ؛ وَلَيْسَتْ أَدَاةَ اسْتِثْنَاءٍ ، لِفَسَادِ اللَّفْظِ – لِشَرْطِ عُمُومِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ ؛ وَ﴿ ءَالِهَةٌ ﴾ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ ، فَلَا عُمُومَ فِيهِ – وَفَسَادِ الْمَعْنَى ، لِأَنَّ الْمَعْنَى : لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ لَيْسَ فِيهِمُ اللهُ لَفَسَدَتَا .

فَيَقْتَضِي بِمَفْهُومِهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ فِيهِمُ اللهُ لَمْ تَفْسَدَا ، وَهُوَ بَاطِلٌ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَسَادِ عَدَمُ الْوُجُودِ ، وَيَنْبَنِي عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ حُجَّةٌ قَطْعِيَّةٌ ، وَهُوَ الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ ، خِلَافًا لِمَا قَالَهُ السَّعْدُ مِنْ أَنَّهَا حُجَّةٌ إِقْنَاعِيَّةٌ ، **أَيْ** : يُقْنَعُ بِهَا الْخَصْمُ ، مَعَ كَوْنِ التَّلَازُمِ فِيهَا لَيْسَ عَقْلِيًّا، بِنَاءً عَلَى تَفْسِيرِ الْفَسَادِ فِي الْآيَةِ بِالْخُرُوجِ عَنِ النِّظَامِ ؛ وَإِنَّمَا لَمْ يَكُنْ عَقْلِيًّا لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ حُصُولُ الْفَسَادِ بِالْفِعْلِ ، وَقَدْ شُنِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْكَرْمَانِيُّ : « إِنَّهُ تَعْيِيبٌ لِبَرَاهِينِ الْقُرْءَانِ ، وَهُوَ كُفْرٌ » .

وَأَجَابَ عَنِ السَّعْدِ تِلْمِيذُهُ عَلَاءُ الدِّينِ : بِأَنَّ الْقُرْءَانَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْإِقْنَاعِيَّةِ الْمُطَابِقَةِ حَالَ بَعْضِ الْمُقَصِّرِينَ ، وَتَجْوِيزُ الِاتِّفَاقِ إِنَّمَا هُوَ بِبَادِئِ الرَّأْيِ ، وَعِنْدَ التَّأَمُّلِ لَا يَصِحُّ صُلْحٌ بَيْنَ إِلَهَيْنِ ، لِأَنَّ مَرْتَبَةَ الْأُلُوهِيَّةِ تَقْتَضِي الْغَلَبَةَ

١٣٧ - وَنَفْـــــيُ تَـــــأْثِيرٍ عَـــــنِ الْأَسْـــــبَابِ ... يُعْلَـــــمُ مِـــــنْ بُرْهَـــــانِ هَـــــذَا الْبَـــــابِ

١٣٨ - كَالْمَـــــاءِ لِلـــــرِّيِّ وَكَالسِّـــــكِّينِ ... وَالنَّـــــارِ فِي الْقَطْـــــعِ وَفِي التَّسْـــــخِينِ

١٣٩ - وَقُـــــدْرَةِ الْعَبْـــــدِ وَغَـــــيْرِ ذَلِـــــكْ ... فَالْكُـــــلُّ خَلْـــــقٌ لِلْقَـــــدِيرِ الْمَالِـــــكْ

١٤٠ - وَمَـــــا لَـــــهُ فِي صُـــــنْعِهِ مِـــــنْ مِثْـــــلِ ... وَلَـــــيْسَ لِلْعَبْـــــدِ اخْـــــتِرَاعُ فِعْـــــلِ

١٤١ - نَعَـــــمْ، لَـــــهُ كَسْـــــبٌ بِـــــهِ يُكَلَّـــــفُ ... شَـــــرْعًا، وَلَا تَـــــأْثِيرَ مِنْـــــهُ يُؤْلَـــــفُ

١٤٢ - وَلْتَحْـــــذَرِ النَّسْـــــجَ عَلَـــــى مِنْـــــوَالِ ... مَـــــا خَـــــالَفَ الْمَـــــذْكُورَ مِـــــنْ أَقْـــــوَالِ

الْمُطْلَقَةَ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، فَقَوْلُهُ : ﴿ مَا اتَّخَذَ ... ﴾ [المؤمنون: ٩١] إِلَخْ ﴿ مَا ﴾ ، وَ﴿ مِن ﴾ صِلَةٌ فِي الْمَفْعُولِ بِتَأْكِيدِ النَّفْيِ ، وَ﴿ مِن ﴾ الثَّانِيَةُ كَذَلِكَ صِلَةٌ فِي اسْمِ ﴿ كَانَ ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ ... ﴾ إِلَخْ ﴿ إِذًا ﴾ بِمَعْنَى " لَوْ " الِامْتِنَاعِيَّةِ ؛ **أَيْ** : لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ. فَحُذِفَ ، لِدَلَالَةِ : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ . وَقَوْلُهُ : ﴿ لَّذَهَبَ ... ﴾ إِلَخْ جَوَابٌ وَجَزَاءٌ ، فَصَحَّ دُخُولُ ﴿ إِذًا ﴾ عَلَيْهِمَا ؛ **وَالْمَعْنَى** : لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ لَذَهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَا خَلَقَهُ ، وَاسْتَبَدَّ بِهِ ، وَامْتَازَ مِلْكُهُ عَنْ مِلْكِ الْآخَرِ ، وَوَقَعَ بَيْنَهُمُ التَّحَارُبُ وَالتَّغَالُبُ ، كَمَا هُوَ حَالُ مُلُوكِ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَكُنْ بِيَدِهِ وَحْدَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ ، وَقِيَامُ الْبَرَاهِينِ عَلَى اسْتِنَادِ جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ إِلَى وَاجِبٍ وَاحِدٍ ، وَهَذَا بُرْهَانُ وُجُوبِ الْوَحْدَةِ ، بِمَعْنَى عَدَمِ تَعَدُّدِ الذَّاتِ ، وَعَدَمِ تَعَدُّدِ الصِّفَاتِ، وَعَدَمِ اتِّصَافِ أَحَدٍ مِنَ الْحَوَادِثِ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، كَأَنْ كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ كَقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَعَدَمِ الْمُشَارِكِ فِي الْأَفْعَالِ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ الْوَحْدَةِ – بِمَعْنَى عَدَمِ التَّرَكُّبِ – فَهُوَ :
لَوِ انْتَفَتْ هَذِهِ عَنْهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لَوَجَبَ حُدُوثُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ لَكِنْ حُدُوثُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحَالٌ ، لِاسْتِحَالَةِ لَازِمِهِ – وَهُوَ الدَّوْرُ أَوِ التَّسَلْسُلُ – فَتَرَكُّبُهُ مُحَالٌ ، فَثَبَتَ نَقِيضُهُ ، وَهُوَ وُجُوبُ وَحْدَتِهِ ، بِمَعْنَى عَدَمِ تَرَكُّبِهِ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

((**وَنَفْيُ**)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ؛ **أَيْ** : عَدَمُ ((**تَأْثِيرٍ**)) ؛ وَصِلَةُ ((**نَفْيُ**)) : ((**عَنِ الْأَسْبَابِ**)) فِي مُسَبَّبَاتِهَا ؛ وَخَبَرُ ((**نَفْيُ**)) : ((**يُعْلَمُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ((**مِنْ بُرْهَانِ هَذَا الْبَابِ**)) **أَيْ** : وَحْدَةِ الْأَفْعَالِ . وَمَثَّلَ لِلْأَسْبَابِ فَقَالَ : ((**كَالْمَاءِ**)) الَّذِي هُوَ سَبَبُ ((**لِلرِّيِّ وَكَالسِّكِّينِ وَالنَّارِ**)) الَّتِي هِيَ سَبَبٌ ((**فِي الْقَطْعِ**)) رَاجِعٌ لِـ ((**ـالسِّكِّينِ**)) ((**وَ**)) الَّتِي هِيَ سَبَبٌ ((**فِي التَّسْخِينِ**)) رَاجِعٌ لِـ ((**النَّارِ**)) ((**وَ**)) كَـ ((**قُدْرَةِ الْعَبْدِ**)) **أَيِ** : الْحَيَوَانِ الْمَخْلُوقِ الَّتِي هِيَ سَبَبٌ لِأَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ ((**وَ**)) كَـ ((**غَيْرِ ذَلِكَ**)) الْمَذْكُورِ ، كَالْأَعْمِدَةِ وَالْحِيطَانِ الَّتِي هِيَ سَبَبٌ لِحَمْلِ السُّقُفِ وَالثِّيَابِ الَّتِي هِيَ سَبَبٌ لِلسِّتْرِ وَدَفْعِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ،

١٤٣ – وَاللهُ عَـــــنْ أَفْعَالِـــــهِ لَا يُسْـــــئَلُ   وَالْقَـــــدَرِيُّ لَمْ يَقُـــلْ مَـــا يُعْقَـــلُ

وَالرِّيحِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ جَرْيِ السُّفُنِ عَلَى الْمَاءِ .

((**فَالْكُلُّ**)) **أَيْ** : كُلُّ الْأَسْبَابِ وَمُسَبَّبَاتِهَا ((**خَلْقٌ**)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، فَقَافٍ ؛ **أَيْ** : مَخْلُوقٌ ((**لِ**)) للَّهِ ا ((**لْقَدِيرِ**)) عَلَى خَلْقِ كُلِّ مُمْكِنٍ ((**الْمَالِكْ**)) لِلْعَالَمِينَ .

((**وَمَا**)) **أَيْ** : لَيْسَ ((**لَهُ**)) **أَي** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**فِي صُنْعِهِ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : فِعْلِهِ ((**مِنْ**)) حَرْفٌ زَائِدٌ لِلتَّوْكِيدِ ((**مِثْلِ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ، اِسْمُ ((**مَا**)) مُؤَخَّرٌ ((**وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ**)) **أَي** : الْحَيَوَانِ الْمَخْلُوقِ

((**اخْتِرَاعُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ التَّاءِ ؛ **أَيْ** : إِيجَادُ وَخَلْقُ ((**فِعْلِ**)) اخْتِيَارِيٍّ لَهُ ، وَإِنَّمَا خَالِقُهُ هُوَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عِنْدَ قُدْرَةِ الْعَبْدِ ، لَا بِهَا .

((**نَعَمْ**)) بِفَتْحِ النُّونِ وَالْعَيْنِ ؛ حَرْفُ جَوَابٍ عَنْ سُؤَالٍ ، تَقْدِيرُهُ : هَلْ لَهُ كَسْبٌ ((**لَهُ**)) ؟ **أَي** : الْعَبْدِ

((**كَسْبٌ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : مَيْلٌ وَاخْتِيَارٌ يُقَارِنُ فِعْلَهُ وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ ((**بِهِ**)) **أَي** : الْكَسْبِ ؛ صِلَةُ

((**يُكَلَّفُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الْكَافِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : يُلْزَمُ الْعَبْدُ بِمَا فِيهِ كُلْفَةٌ وَمَشَقَّةٌ ؛ وَصِلَةُ

((**يُكَلَّفُ**)) : ((**شَرْعًا ، وَلَا تَأْثِيرَ مِنْهُ**)) **أَي** : الْعَبْدِ فِي فِعْلِهِ الَّذِي يَكْتَسِبُهُ ؛ وَنُعِتَ ((**تَأْثِيرَ**)) بِجُمْلَةِ

((**يُؤْلَفُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْهَمْزِ ، وَفَتْحِ اللَّامِ ؛ **أَيْ** : يُعْرَفُ .

((**وَلْتَحْذَرِ**)) بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَي** : اجْتَنِبْ أَيُّهَا الْوَاقِفُ عَلَى هَذِهِ الْـ [إِضَاءَةِ] ((**النَّسْجَ**)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَسُكُونِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، فَجِيمٍ ؛ **أَي** : الْجَرْيَ وَالِاعْتِمَادَ فِي اعْتِقَادِكَ ((**عَلَى مِنْوَالِ**)) بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ؛ أَصْلُهُ الْخَشَبَةُ الَّتِي يَلِفُّ بِهَا الْحَائِكُ الثَّوْبَ الْمَنْسُوجَ عَلَيْهَا ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : الْقَاعِدَةُ .

((**مَا**)) **أَي** : الْقَوْلِ الَّذِي ((**خَالَفَ الْمَذْكُورَ**)) مِنَّا آنِفًا ، وَهُوَ قَوْلُ الْإِمَامِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ ((**مِنْ أَقْوَالِ**)) لِغَيْرِ الْأَشْعَرِيِّ ، مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا . بَيَانُ ((**مَا**)) .

((**وَاللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**عَنْ أَفْعَالِهِ**)) خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا ؛ صِلَةُ ((**يُسْئَلُ**)) ؛ ((**لَا يُسْئَلُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ؛ لِأَنَّهُ مُتَصَرِّفٌ فِي خَلْقِهِ وَمِلْكِهِ بِفَضْلٍ أَوْ بِعَدْلٍ ، وَكِلَاهُمَا جَمِيلٌ ، مُوجِبٌ لِحَمْدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**وَالْقَدَرِيُّ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ؛ الَّذِي قَالَ : لِلْعَبْدِ قُدْرَةٌ مُؤَثِّرَةٌ فِي فِعْلِهِ الِاخْتِيَارِيِّ يَخْلُقُهُ بِهَا وَلَا تَأْثِيرَ فِيهِ لِقُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَمْ يَقُلْ**)) الْقَدَرِيُّ فِي قَوْلِهِ هَذَا ((**مَا**)) **أَيْ** : قَوْلًا ((**يُعْقَلُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الْقَافِ ؛ **أَيْ** : يُصَدِّقُهُ الْعَقْلُ ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُهُ عَجْزُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَهُوَ بَاطِلٌ وَمُخَالِفٌ نُصُوصَ الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ فِي آيَاتٍ ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر : ٦٢] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الفرقان : ٢] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

… ….

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٤] فَلَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الْخَلْقِ لِغَيْرِهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ الْمَعْنَى : أَحْسَنُ الصَّانِعِينَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ ﴾ [المائدة : ١١٠] مَعْنَاهُ : تُصَوِّرُ بِكَسْبِكَ .

وَقَالَ السَّعْدُ :

« الْخَلْقُ فِيهِمَا بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ ؛ وَكَانَ الْأَوَائِلُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ يَتَحَاشَوْنَ مِنْ إِطْلَاقِ " الْخَالِقِ " فِي حَقِّ الْعَبْدِ ، اِكْتِفَاءً بِـ " الْمُوجِدِ " وَ" الْمُخْتَرِعِ " وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ رَأَى الْجُبَّائِيُّ وَأَتْبَاعُهُ أَنَّ مَعْنَى الْكُلِّ وَاحِدٌ ، وَهُوَ : الْمُخْرِجُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ . فَتَجَاسَرُوا عَلَى إِطْلَاقِ " الْخَالِقِ " » . اهَـ .

أَفَادَهُ ابْنُ كِيرَانَ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَدَرِيَّ الْقَائِلَ بِـ : أَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ . لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مُشْرِكٌ شَرْعًا ، إِذِ الْمُشْرِكُ هُوَ الْمُدَّعِي الشَّرِيكَ فِي الْأُلُوهِيَّةِ ، بِمَعْنَى وُجُوبِ الْوُجُودِ ، كَالْمَجُوسِ ، أَوْ بِمَعْنَى اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ ، كَعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ ؛ وَالْمُعْتَزِلَةُ لَا يَدَّعُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ لَمْ يَجْعَلُوا خَالِقِيَّةَ الْعَبْدِ كَخَالِقِيَّةِ الرَّبِّ ، لِافْتِقَارِ الْعَبْدِ لِأَسْبَابٍ وَآلَاتٍ هِيَ بِخَلْقِ اللهِ تَعَالَى ؛ إِلَّا أَنَّ مَشَايِخَ " مَا وَرَاءَ النَّهْرِ " بَالَغُوا فِي تَضْلِيلِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ ، حَتَّى قَالُوا : إِنَّ الْمَجُوسَ أَسْعَدُ حَالًا مِنْهُمْ ، حَيْثُ لَمْ يُثْبِتُوا إِلَّا شَرِيكًا وَاحِدًا ، وَالْمُعْتَزِلَةُ أَثْبَتُوا شُرَكَاءَ لَا تُحْصَى » . اهَـ .

(**الثَّانِي**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **فَإِنْ قِيلَ** : إِذَا كَانَ هُوَ الْخَالِقَ لِأَفْعَالِ الْعِبَادِ ، لَزِمَ أَنَّهُ الْقَائِمُ ، وَالْقَاعِدُ ، وَالْآكِلُ ، وَالشَّارِبُ ، وَالزَّانِي، وَالسَّارِقُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُتَحَاشَى عَنْ سَمَاعِهِ ! .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ هَذَا جَهْلٌ وَغَبَاوَةٌ ، لِأَنَّ الْمُتَّصِفَ بِالشَّيْءِ مَنْ قَامَ بِهِ ذَلِكَ الشَّيْءُ ، لَا مَنْ أَوْجَدَهُ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ الْخَالِقُ لِلسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَسَائِرِ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ – بِلَا مُنَازِعٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ – وَلَا يَتَّصِفُ بِذَلِكَ ؟! » . اهَـ .

(الثَّالِثُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَأَمَّا الْكَسْبُ الَّذِي أَثْبَتَتْهُ الْأَشَاعِرَةُ لِلْعَبْدِ فِي أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ ، فَلَيْسَ مَعْنَاهُ اخْتِرَاعَهُ لِتِلْكَ الْأَفْعَالِ ، كَمَا تَدَّعِيهِ الْمُعْتَزِلَةُ ؛ وَلَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الْحَادِثَةَ أُضِيفَتْ إِلَى الْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ فِي إِيجَادِ الْفِعْلِ فَوُجِدَ بِمَجْمُوعِ الْقُدْرَتَيْنِ ، كَمَا يَعْتَقِدُهُ مَنْ لَا خِبْرَةَ لَهُ مَذْهَبًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ ؛ بَلْ مَعْنَاهُ : مُقَارَنَةُ الْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ لِلْفِعْلِ وَمُلَابَسَتُهَا لَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْثِيرٍ لَهَا أَصْلًا؛ فَلَيْسَتْ عِلَّةً ، وَلَا جُزْءَ عِلَّةٍ لِلْإِيجَادِ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ نَبَّهَ مَنْ قَالَ :

(مَذْهَبُنَا أَنَّ لَنَا قُدْرَةً ... حَادِثَةً لَسْنَا بِهَا نَقْدِرُ
وَرَبُّنَا سَوَّغَ إِطْلَاقَهَا ... فِي قَوْلِهِ { مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا }) »

. اهـ .

(الرَّابِعُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَذَهَبَتِ الْجَبْرِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ قُدْرَةٌ حَادِثَةٌ تُقَارِنُ الْفِعْلَ أَصْلًا ، بَلْ هُوَ مَفْعُولٌ بِهِ لَا فَاعِلٌ ، كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيْ غَاسِلِهِ .

وَرُدَّ بِأَنَّهُ : يَلْزَمُ عَلَيْهِ اسْتِوَاءُ الْأَفْعَالِ ، وَأَنْ لَا يُدْرَكَ فَرْقٌ بَيْنَهَا ؛ وَنَحْنُ نُدْرِكُ بِالضَّرُورَةِ الْفَرْقَ بَيْنَ حَرَكَةِ الِارْتِعَاشِ وَحَرَكَةِ الْمَشْيِ ؛ وَبِأَنَّهُ يَبْطُلُ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ ، وَتَرْتِيبُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَيُنَاقِضُ النُّصُوصَ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] **أَيْ** : طَاقَتَهَا بِحَسَبِ الْعَادَةِ . فَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَسْبٌ لَاتَّحَدَ مَا قَبْلَ ﴿ **إِلَّا** ﴾ وَمَا بَعْدَهَا ، فَلَمْ يَصِحَّ الِاسْتِثْنَاءُ .

قَالَ فِي [شَرْحُ الصُّغْرَى] :

" فَتَحَقَّقَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَذْهَبَيْنِ الْفَاسِدَيْنِ ، فَقَدْ خَرَجَ ﴿ **مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾** ﴾ [النحل : ٦٦] قَوْمٌ فَرَّطُوا ، وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ . وَقَوْمٌ أَفْرَطُوا ، وَهُمُ الْجَبْرِيَّةُ » . اهـ .

١٤٤ - وَجَـــوَّزَ الْـــبَعْضُ دَلِيـــلَ السَّـــمْعِ ... فِي وَحْـــــدَةٍ، وَقِيـــــلَ: ذَا ذُو وَضْـــــعِ

١٤٥ - فَتِلْـــكَ مِـــنْ صِـــفَاتِهِ الْقُدْسِـــيَّةْ ... سِـــــتٌّ، وَأُولَاهَـــا هِـــــيَ النَّفْسِـــــيَّةْ

١٤٦ - أَعْـــنِي الْوُجُـــودَ، وَالْبَـــوَاقِي الْخَمْـــسُ ... سَـــــلْبِيَّةٌ، وَمَـــــا بِـــــذَاكَ لَـــــبْسُ

١٤٧ - لِسَـــلْبِهَا عَـــنِ الْإِلَـــهِ مَـــا لَا ... يَلِيـــــقُ، وَاقْتِضَـــــائِهَا كَمَـــــالَا

١٤٨ - وَكُـــلُّ وَصْـــفٍ وَاجِـــبٍ لِلـــذَّاتِ مَـــا ... دَامَـــتْ بِـــلَا زَيْـــدٍ لِـــنَفْسٍ ذُو انْتِمَـــا

(الْخَامِسُ) : قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَنُقِلَ عَنْ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ : أَنَّ قُدْرَةَ الْعَبْدِ تُؤَثِّرُ ، لَكِنْ لَا اسْتِقْلَالًا ، بَلْ عَلَى أَقْدَارٍ قَدَّرَهَا الْبَارِي .
وَعَنِ الْقَاضِي الْبَاقِلَّانِيِّ وَالْأُسْتَاذِ : أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ تُؤَثِّرُ فِي إِيجَادِ فِعْلِ الْعَبْدِ مِنْ حُيْثُ عُمُومُهُ ؛ وَالْقُدْرَةُ الْحَادِثَةُ تُؤَثِّرُ فِي وَصْفِهِ الْخَاصِّ مِنْ كَوْنِهِ صَلَاةً ، أَوْ غَصْبًا ، أَوْ سَرِقَةً ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .
وَأَنْكَرَ فِي [شَرْحُ الْكُبْرَى] أَنْ يَصِحَّ نِسْبَةُ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ لِمَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ مِمَّنْ ذُكِرَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَدَرَ مِنْهُمْ ذَلِكَ حَالَ الْمُنَاظَرَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّنَزُّلِ ؛ وَلِهَذَا قَالُوا : لَا يُنْسَبُ إِلَى الْعَالِمِ مَذْهَبًا مَا يَصْدُرُ مِنْهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَحْثِ .
فَتَحَصَّلَ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ الِاخْتِيَارِيَّةِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ » . اِنْتَهَى .

((**وَجَوَّزَ**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلًا مُعْجَمَ الْجِيمِ ((**الْبَعْضُ**)) مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ((**دَلِيلَ السَّمْعِ**)) **أَيِ** : الْمَسْمُوعِ مِنَ الْقُرْءَانِ وَالسُّنَّةِ ((**فِي**)) وُجُوبِ ((**وَحْدَةٍ**)) للهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ ؛

((**وَقِيلَ :**)) هَـ ((**ـذَا**)) **أَيِ** : الْقَوْلُ بِجَوَازِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى وَحْدَتِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالدَّلِيلِ السَّمْعِيِّ

((**ذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**وَضْعٍ**)) **أَيْ** : كَذِبٍ ، لِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهَا ، وَالْمُعْجِزَةُ مِنَ الْعَالَمِ، فَهِيَ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَيْهَا ؛ فَلَوْ تَوَقَّفَتِ الْوَحْدَةُ عَلَى الْمُعْجِزَةِ ، لَزِمَ الدَّوْرُ الْمُحَالُ ، فَلَا يَصِحُّ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى الْوَحْدَةِ إِلَّا بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ .
((**فَتِلْكَ**)) **أَيِ** : الصِّفَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ ((**مِنْ صِفَاتِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْقُدْسِيَّةْ**)) بِضَمِّ الْقَافِ ، وَسُكُونِ الدَّالِ ؛ **أَيِ** : الْمَنْسُوبَةِ لِلْقُدْسِ ، **أَيِ** : الطُّهْرِ وَالتَّنَزُّهِ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ . وَخَبَرُ ((**تِلْكَ**)) : ((**سِتٌّ ، وَأُولَاهَا**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : السِّتِّ ((**هِيَ**)) الصِّفَةُ ((**النَّفْسِيَّةْ**)) **أَيِ** : الْمُسَمَّاةُ بِهَذَا الِاسْمِ فِي اصْطِلَاحِ عُلَمَاءِ التَّوْحِيدِ .
أَعْنِي بِـ ((**أُولَاهَا**)) : ((**الْوُجُودَ ، وَ**)) الصِّفَاتُ ((**الْبَوَاقِي**)) - جَمْعُ: بَاقِيَةٍ - مِنَ السِّتِّ ، وَهِيَ

((**الْخَمْسُ**)) **يَعْنِي** :
١ - الْقِدَمَ **٢** - وَالْبَقَاءَ **٣** - وَالْمُخَالَفَةَ لِلْحَوَادِثِ **٤** - وَالْقِيَامَ بِالنَّفْسِ **٥** - وَالْوَحْدَةَ .
وَخَبَرُ ((**الْبَوَاقِي**)) : ((**سَلْبِيَّةٌ**)) بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : مَنْسُوبَةٌ لِلسَّلْبِ نِسْبَةَ الدَّالِّ لِمَدْلُولِهِ ، لِدَلَالَتِهَا عَلَى سَلْبِ مَا هُوَ مُحَالٌ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وَمَا**)) نَافِيَةٌ ((**بِذَاكَ**)) **أَيِ** : الْمَذْكُورِ مِنْ كَوْنِ أُولَاهَا نَفْسِيَّةً ، وَالْخَمْسُ الْبَاقِيَةُ سَلْبِيَّةٌ ؛ صِلَةُ ((**لَبْسُ**)) بِفَتْحِ اللَّامِ ، وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيْ** : خَفَاءٌ .
وَسُمِّيَتْ سَلْبِيَّةً ((**لِسَلْبِهَا**)) **أَيِ** : الْخَمْسِ ((**عَنِ الْإِلَهِ**)) **أَيِ** : الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ ، الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ،

١٤٩- وَمَــنْ يَــرَى الْوُجُــودَ عَـيْنَ الــذَّاتِ كَالشَّــــيْخِ لَمْ يَعُــــدُّدْهُ فِي الصِّـــفَاتِ

وَالْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَمَفْعُولُ ((سَلْبِ)) الْمُضَافِ لِفَاعِلِهِ : ((مَا)) أَيْ : وَصْفًا ((لَا يَلِيقُ)) أَيْ : يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((وَاقْتِضَائِهَا)) أَي : اسْتِلْزَامِ الْخَمْسِ . وَمَفْعُولُ ((اقْتِضَائِهَا)) الْمُضَافِ لِفَاعِلِهِ : ((كَمَالًا)) وَاجِبًا للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((وَكُلُّ وَصْفٍ وَاجِبٍ)) عَقْلًا ((لِلذَّاتِ مَا)) مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ ((دَامَتْ)) أَي : الذَّاتُ، حَالَ كَوْنِهَا ((بِلَا)) اعْتِبَارِ وَصْفِ ((زَيْدٍ)) أَيْ : زَائِدٍ عَلَيْهَا ((لِنَفْسٍ)) صِلَةُ ((انْتِمَا)) . وَخَبَرُ ((كُلُّ)) : ((ذُو)) أَيْ : صَاحِبُ ((انْتِمَا)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ وَالتَّاءِ ؛ أَي : انْتِسَابٍ .

يَعْنِي : أَنَّ حَقِيقَةَ الصِّفَةِ النَّفْسِيَّةِ صِفَةٌ وَاجِبَةٌ لِلذَّاتِ مَا دَامَتِ الذَّاتُ ، مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ وَصْفٍ زَائِدٍ عَلَيْهَا، كَتَحَيُّزِ الْجِرْمِ ، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ ، لِجِرْمِيَّتِهِ ، لِوَصْفٍ زَائِدٍ عَلَيْهِ ، قَائِمٍ بِهِ .

وَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ : ((بِلَا زَيْدٍ)) عَنِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، فَإِنَّهَا وَاجِبَةٌ لِلذَّاتِ مَا دَامَتْ مُتَّصِفَةً بِالْمَعَانِي ؛ وَلِمُلَازَمَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلذَّاتِ بِلَا زَيْدٍ اسْتَحَالَ تَصَوُّرُ الذَّاتِ دُونَ صِفَتِهَا النَّفْسِيَّةِ ؛ وَلَزِمَ مِنْ عِلْمِ النَّفْسِيَّةِ عِلْمُ حَقِيقَةِ الذَّاتِ وَجَهْلُنَا الصِّفَةَ النَّفْسِيَّةَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَوْ عَلِمْنَاهَا لَعَلِمْنَا حَقِيقَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُوَ مُحَالٌ فِي الدُّنْيَا قَطْعًا، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠] وَهَلْ كَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ؟ فِيهِ نَظَرٌ .

وَعَدُّوا الْوُجُودَ صِفَةً نَفْسِيَّةً بِاعْتِبَارِ تَوَقُّفِ تَصَوُّرِ الِاتِّصَافِ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ عَلَى تَصَوُّرِ الِاتِّصَافِ بِهِ وَوُقُوعِهِ صِفَةً فِي اللَّفْظِ ، كَـ " اللهُ مَوْجُودٌ " .

((وَمَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَي : الْإِمَامُ الَّذِي ((يَرَى)) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالرَّاءِ ؛ أَيْ : يَعْتَقِدُ ((الْوُجُودَ عَيْنَ)) أَيْ : نَفْسَ ((الذَّاتِ كَالشَّيْخِ)) الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((لَمْ يَعْدُدْهُ)) أَي : الْوُجُودَ

((فِي الصِّفَاتِ)) وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ زَائِدٌ عَلَيْهَا ؛ فَقَدْ عَدَّهُ مِنْهَا . وَعَلَيْهِ: فَلَيْسَ صِفَةً نَفْسِيَّةً ، لِاشْتِرَاكِهِ بَيْنَ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَصِفَةُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – النَّفْسِيَّةُ لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهَا غَيْرُهُ ، وَإِلَّا لَزِمَ مُمَاثَلَتُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلْحَوَادِثِ ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمِثْلَيْنِ الْمُتَمَاثِلَانِ فِي صِفَةِ النَّفْسِ .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« اُخْتُلِفَ فِي تَحْقِيقِ مَعْنَى الْوُجُودِ عَلَى أَقْوَالٍ سِتَّةٍ ، ذَكَرَهَا يس فِي حَوَاشِي [شَرْحِ الصُّغْرَى] ؛ وَمُخْتَارُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهَا : أَنَّهُ صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ لِلذَّاتِ، وَالصِّفَةُ النَّفْسِيَّةُ لِلشَّيْءِ هِيَ الْحَالُ اللَّازِمَةُ لَهُ مَا دَامَ مُتَحَقِّقًا فِي الْخَارِجِ ، لَا لِأَجْلِ قِيَامِ مَعْنًى بِهِ ، كَالتَّحَيُّزِ لِلْجِرْمِ، وَاللَّوْنِيَّةِ لِلسَّوَادِ ، وَالْقِيَامِ بِالْمَحَلِّ لِلْعَرَضِ ، وَالتَّعَلُّقِ بِالْمَعْلُومِ لِلْعِلْمِ ؛ وَالْحَالُ عِنْدَهُمْ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً فِي نَفْسِهَا وَلَا مَعْدُومَةً .

وَاحْتَرَزْنَا بِقَوْلِنَا " لَا لِأَجْلِ قِيَامِ مَعْنًى بِهِ " . مِنَ الْحَالِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، كَكَوْنِ الذَّاتِ عَالِمَةً، أَوْ مُرِيدَةً ، أَوْ قَادِرَةً ؛ فَإِنَّ ثُبُوتَ هَذَا الْكَوْنِ لِلذَّاتِ مُعَلَّلٌ بِقِيَامِ الْعِلْمِ ، أَوِ الْإِرَادَةِ ، أَوِ الْقُدْرَةِ بِهَا ، كَمَا يَأْتِي تَحْقِيقُهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

... ...

فَالْحَالُ – عِنْدَ مُثْبِتِهَا – قِسْمَانِ :

١ – مَعْنَوِيَّةٌ

٢ – وَنَفْسِيَّةٌ .

وَمِنْهَا : الْوُجُودُ ، فَيَكُونُ حَالًا لَازِمًا لِلذَّاتِ زَائِدًا عَلَيْهَا لَا نَفْسِهَا .
وَمَا نَسَبُوهُ إِلَى الْأَشْعَرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ الْوُجُودَ عَيْنُ الْمَوْجُودِ لَا زَائِدَ عَلَيْهِ . لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ : أَنَّ مَفْهُومَ الْوُجُودِ وَالْمَوْجُودِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَإِنَّهُ ظَاهِرُ الْبُطْلَانِ ، إِذِ الْوُجُودُ مَعْنًى مَصْدَرِيٌّ، وَهُوَ : حَالَةُ الشَّيْءِ الْمُقَابِلَةُ لِعَدَمِهِ .

وَالْمَوْجُودُ هُوَ : ذُو تِلْكَ الْحَالَةِ ، **أَيْ** : مَوْصُوفِهَا، وَمَحَلِّهَا الْقَائِمَةِ هِيَ بِهِ ، كَمَا تَقْتَضِيهِ قَاعِدَةُ اللُّغَةِ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ مَعْنَى الْمُشْتَقِّ وَالْمُشْتَقِّ مِنْهُ ؛ وَهَذَا الْمُشْتَقُّ هُنَا – أَعْنِي لَفْظَ : مَوْجُودٍ – وَإِنْ كَانَ بِلَفْظِ اسْمِ الْمَفْعُولِ ، هُوَ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ ؛ فَصَارَ الْفَرْقُ بَيْنَ مَعْنَى الْوُجُودِ وَالْمَوْجُودِ كَالْفَرْقِ بَيْنَ مَعْنَى الْقِيَامِ وَالْقَائِمِ ، وَالْقُعُودِ وَالْقَاعِدِ ، وَالْبَيَاضِ وَالْأَبْيَضِ ، وَالسَّوَادِ وَالْأَسْوَدِ ؛ فَأَنَّى يَتَطَرَّقُ إِلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ الْجَلِيلُ وَأَمْثَالُهُ احْتِمَالُ تَوَهُّمِ اتِّحَادِهِمَا الَّذِي لَا يَخْفَى بُطْلَانُهُ عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى تَمْيِيزٍ ؟! .
وَيُوَضِّحُهُ : صِحَّةُ الْإِضَافَةِ – بِلَا نِزَاعٍ – فِي قَوْلِنَا مَثَلًا : " وُجُودُ زَيْدٍ جَائِزٌ " . وَلَوْ كَانَ الْوُجُودُ هُوَ ذَاتَ زَيْدٍ الْمَوْجُودِ ، لَامْتَنَعَتِ الْإِضَافَةُ ، لِامْتِنَاعِ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ ؛ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمَنْقُولِ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ وُجُودَ الشَّيْءِ عَيْنُهُ ، لَا زَائِدَ عَلَيْهِ : الرَّدُّ عَلَى أَكْثَرِ الْمُعْتَزِلَةِ ، إِذْ قَالُوا : **الْمَعْدُومُ** : الْمُمْكِنُ قَبْلَ وُجُودِهِ شَيْءٌ ، وَذَاتٌ ، وَمُتَقَرِّرٌ فِي نَفْسِهِ فِي الْخَارِجِ ؛ إِلَّا أَنَّ الْمُمْكِنَاتِ قَبْلَ أَنْ تُكْسَى بِنُورِ الْوُجُودِ كَأَشْيَاءَ مَخْبُوءَةٍ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ ، ثُمَّ يُفِيضُ اللهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْهَا نُورَ الْوُجُودِ ، فَتَبْرُزُ لِلْعَيَانِ .
فَلِلذَّوَاتِ الْمَوْجُودَةِ عِنْدَهُمْ تَقَرُّرٌ قَبْلَ الْوُجُودِ ، وَالْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ عِنْدَهُمْ إِنَّمَا فَعَلَ الْوُجُودَ لَا الذَّوَاتِ .
قَالَ الْبَدْرُ الزَّرْكَشِيُّ : وَهَذَا يَجُرُّ بِهِمْ إِلَى الْقَوْلِ بِقِدَمِ الْعَالَمِ .
وَحَيْثُ كَانَ الْوُجُودُ عِنْدَهُمْ عَارِضًا لِذَوَاتِ الْحَوَادِثِ بَعْدَ تَقَرُّرِهَا فِي الْخَارِجِ ، أَطْلَقُوا أَنَّ الْوُجُودَ زَائِدٌ عَلَى ذَوَاتِ الْمَوْجُودِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَادِثِ ، وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ تَقَدُّمُ ذَاتٍ لِلْقَدِيمِ عَلَى وُجُودِهِ ، لِأَنَّ الزِّيَادَةَ بِحَسَبِ التَّعَقُّلِ حَاصِلَةٌ ؛ وَالْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرُهُ أَرَادُوا الرَّدَّ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : وُجُودُ الشَّيْءِ عَيْنُهُ . **أَيْ** : بِهِ تَحَقَّقَتْ عَيْنُهُ فِي الْخَارِجِ ، فَلَا عَيْنَ لَهُ فِيهِ دُونَهُ ، وَلَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا، وَلَا ذَاتًا، وَلَا ثَابِتًا فِي الْحَادِثِ وَالْقَدِيمِ ؛ فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ فَاعِلًا لِذَوَاتِ الْحَوَادِثِ وَوُجُودَاتِهَا جَمِيعًا ، لَا لِوُجُودَاتِهَا فَقَطْ ؛ وَهَذَا مَعْنَى الْخِلَافِ فِي أَنَّ الْمَعْدُومَ شَيْءٌ أَمْ لَا ؟ . وَأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ : أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ .
وَإِذَا كَانَ مُرَادُ الْأَشْعَرِيِّ وَغَيْرِهِ بِـ " الْعَيْنِيَّةِ " مَا ذُكِرَ مِنْ نَفْيِ تَقَرُّرِ الذَّوَاتِ فِي الْخَارِجِ بِدُونِهِ : فَهُمْ لَا يَمْنَعُونَ زِيَادَةَ الْوُجُودِ عَلَى الذَّاتِ مِنْ حَيْثُ هِيَ ، **بِمَعْنَى** : أَنَّ لِلْعَقْلِ أَنْ يُلَاحِظَ الذَّاتَ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْوُجُودِ وَبِالْعَكْسِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ لَيْسَ لِلذَّاتِ تَقَرُّرٌ فِي الْخَارِجِ بِدُونِ الْوُجُودِ : إِنَّ الْوُجُودَ زَائِدٌ عَلَى الذَّاتِ .
فَلَا يَكُونُ قَوْلُهُمْ مُخَالِفًا لِمَا قَالَهُ الْأَشْعَرِيُّ فِي الْمَعْنَى ، لِأَنَّ مَا أَثْبَتُوهُ مِنْ زِيَادَتِهِ لَيْسَ بِمَعْنَى مَا نَفَاهُ الْأَشْعَرِيُّ مِنْهَا ، فَلَمْ يَتَوَارَدِ الْإِثْبَاتُ وَالنَّفْيُ عَلَى مَحَلٍّ وَاحِدٍ ، بَلِ الْأَشْعَرِيُّ نَفْسُهُ يُثْبِتُ زِيَادَتَهُ عَلَى الذَّاتِ ، **بِمَعْنَى** : أَنَّهُ حَالٌ لَهَا ؛ وَيَنْفِي

زِيَادَتَهُ عَلَيْهَا عَلَى **مَعْنَى** : أَنَّ لَهَا تَقَرُّرًا بِدُونِهِ . وَلَا تَنَاقُضَ فِي ذَلِكَ ؛ وَهَذَا التَّحْقِيقُ هُوَ الْمَأْخُوذُ مِنْ كَلَامِ السَّعْدِ ، وَالتَّاجِ السُّبْكِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا ، فَعَلَيْكَ بِهِ .

وَبِهِ يَظْهَرُ لَكَ أَنَّ قَوْلَ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ فِي [شَرْحِ صُغْرَاهُ] : " إِنَّ فِي عَدِّ " الْوُجُودِ " صِفَةً عَلَى مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ تَسَامُحًا ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ عَيْنُ الذَّاتِ " . مَعْكُوسٌ ، بَلْ فِي قَوْلِ الْأَشْعَرِيِّ : " إِنَّهُ عَيْنُ الذَّاتِ " . تَسَامُحٌ ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ زَائِدٌ عَلَيْهَا ؛ وَإِنَّمَا دَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ التَّسَامُحِ : إِبْرَازُهُ الْعَقِيدَةَ الْمُنَاقِضَةَ لِلِاعْتِزَالِ قَصْدًا إِلَى رَدِّهِ ، كَمَا مَرَّ .

وَأَمَّا تَفْصِيلُ مَنْ فَصَّلَ بَيْنَ وُجُودِ الْقَدِيمِ ، فَقَالَ : " هُوَ عَيْنُ الذَّاتِ، وَوُجُودُ غَيْرِهِ فَزَائِدٌ عَلَيْهَا " .

وَهُوَ مَا نَقَلَهُ فِي [شَرْحِ الصُّغْرَى] عَنِ الْفَلَاسِفَةِ ، فَهُوَ اعْتِرَافٌ بِأَنَّ ذَاتَ الْوَاجِبِ لَا تَقَرُّرَ لَهَا لَوْلَا الْوُجُودُ – جَلَّتِ الذَّاتُ الْعَلِيَّةُ وَصِفَاتُهَا عَنْ ذَلِكَ – بِخِلَافِ الْمُمْكِنِ .

وَأَمَّا الْمُمْتَنِعُ : فَلَا تَقَرُّرَ لَهُ أَصْلًا اتِّفَاقًا . قَالَهُ الْكَمَالُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْخَ الْأَشْعَرِيَّ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ لَفْظَ "الْوُجُودِ " – بِاعْتِبَارِ إِطْلَاقِهِ فِي حَقِّ الْقَدِيمِ وَالْحَادِثِ – مُشْتَرَكٌ ، كَ

" عَيْنٌ " ، فَلَيْسَ هُنَاكَ وُجُودٌ مُطْلَقٌ يَكُونُ الْوُجُودُ الْقَدِيمُ وَالْحَادِثُ فَرْدَيْنِ لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّشْكِيكِ أَوِ التَّوَاطُؤِ – كَمَا قِيلَ بِذَلِكَ – بَلِ الْوُجُودُ عِنْدَهُ – فِي حَقِّ الْقَدِيمِ – مُبَايِنٌ لِلْوُجُودِ فِي حَقِّ الْحَادِثِ ؛ **وَيُؤَيِّدُهُ** : تَبَايُنُهُمَا فِي اللَّوَازِمِ الَّتِي لَا تُحْصَى ، **فَمِنْهَا** :

أَنَّ وُجُودَهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي لَا ابْتِدَاءَ لَهُ وَلَا انْتِهَاءَ ؛ وَوُجُودُ غَيْرِهِ مَسْبُوقٌ بِالْعَدَمِ ، وَيَلْحَقُهُ الْعَدَمُ .

وَمِنْهَا : أَنَّ وُجُودَهُ تَعَالَى هُوَ الْوَاجِبُ عَقْلًا وَنَقْلًا ، الَّذِي يَسْتَحِيلُ انْتِفَاؤُهُ ؛ وَوُجُودُ غَيْرِهِ جَائِزٌ ، لَا يَلْزَمُ مِنَ انْتِفَائِهِ مُحَالٌ أَصْلًا .

وَمِنْهَا : أَنَّ وُجُودَهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي لَا يَفْتَقِرُ إِلَى مُسْتَنَدٍ أَصْلًا؛ وَوُجُودُ غَيْرِهِ مُسْتَنِدٌ إِلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ ابْتِدَاءً، وَكَذَا دَوَامًا عَلَى الصَّحِيحِ ، فَلَوْلَا إِنْعَامُهُ عَلَى الْمُكَوَّنَاتِ بِإِيجَادِهَا لَمْ تُوجَدْ ، وَلَوْلَا إِنْعَامُهُ عَلَيْهَا بِإِمْدَادِهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَاضْمَحَلَّ وُجُودُهَا ، لِأَنَّهَا تَقْبَلُ الْعَدَمَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ .

قَالَ فِي [الْحِكَمِ] :

" نِعْمَتَانِ مَا خَرَجَ مَوْجُودٌ عَنْهُمَا ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مُكَوَّنٍ مِنْهُمَا :

١ – نِعْمَةُ الْإِيجَادِ ٢ – وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ ؛

أَنْعَمَ عَلَيْكَ أَوَّلًا بِالْإِيجَادِ ، وَثَانِيًا بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ " .

وَهَذَا الْمَعْنَى – **أَعْنِي** : كَوْنَ الْأَكْوَانِ مَسْبُوقَةً بِالْعَدَمِ ، وَيَلْحَقُهَا الْعَدَمُ ، وَيَجُوزُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ أَزْمِنَةِ وُجُودِهَا

... ...

الْعَدَمُ ، وَيَحْتَاجُ لِذَلِكَ إِلَى التَّدْعِيمِ بِقُدْرَةِ بَارِيهَا – هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تُحْمَلَ عَلَيْهِ آيَةُ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] **أَيْ** : هَالِكٌ هَلَاكًا مُسْتَمِرًّا فِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ حَقِيقَةً ، قَبْلَ وُجُودِهِ وَبَعْدَ فَنَائِهِ ؛ وَحُكْمًا حَالَ وُجُودِهِ .

وَ﴿ شَيْءٍ ﴾ عَلَى هَذَا ، عَامٌّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ ؛ وَأَمَّا لَوْ حُمِلَ ﴿ هَالِكٌ ﴾ عَلَى الْفَنَاءِ بَعْدَ الْوُجُودِ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى اسْتِثْنَاءِ الْأُمُورِ السَّبْعَةِ الَّتِي لَا تَفْنَى ، وَهِيَ الْمَجْمُوعَةُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

(سَبْعٌ مِنَ الْعَالَمِ غَيْرُ فَانِيَةْ ... الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْهَاوِيَةْ
وَقَلَمٌ وَاللَّوحُ وَالْأَرْوَاحُ ... وَجَنَّةٌ فِي ظِلِّهَا نَرْتَاحُ)

وَهُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ حَدِيثُ :

" أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ :

(أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ ... ...) "

أَيْ : بَاطِلٌ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِمْرَارِ فِي الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ ، كَمَا قَرَّرْنَا فِي الْآيَةِ .

وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى يُشِيرُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

(اللهَ قُلْ وَذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى ... إِنْ كُنْتَ مُرْتَادًا بُلُوغَ كَمَالِ
فَالْكُلُّ دُونَ اللهِ إِنْ حَقَّقْتَهُ ... عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ وَالْعَوَالِمَ كُلَّهَا ... لَوْلَاهُ فِي مَحْوٍ وَفِي اضْمِحْلَالِ
مَنْ لَا وُجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ ... فَوُجُودُهُ لَوْلَاهُ عَيْنُ مُحَالِ
فَالْعَارِفُونَ فَنَوْا بِهِ لَمْ يَشْهَدُوا ... شَيْئًا سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِ
وَرَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكًا ... فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالِاسْتِقْبَالِ
فَالْمَحْ بِطَرْفِكَ أَوْ بِعَقْلِكَ هَلْ تَرَى ... شَيْئًا سِوَى فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ ؟
وَانْظُرْ إِلَى أَعْلَى الْوُجُودِ وَسُفْلِهِ ... نَظَرًا تُؤَيِّدُهُ بِالِاسْتِدْلَالِ
تَجِدِ الْجَمِيعَ يُشِيرُ نَحْوَ جَلَالِهِ ... بِلِسَانِ حَالٍ أَوْ لِسَانِ مَقَالِ
هُوَ مُمْسِكُ الْأَشْيَاءِ مِنْ ... سُفْلٍ ، وَمُبْدِعُهَا بِغَيْرِ مِثَالِ)

... وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

وَإِلَيْهِ أَيْضًا يُشِيرُ الْقَائِلُ :

(فَـــإِذَا نَظَـــرْتَ بِعَـــيْنِ عَقْلِـــكَ لَمْ تَجِـــدْ شَـــيْئًا سِـــوَاهُ عَلَـــى الـــذَّوَاتِ مُصَـــوَّرَا
وَإِذَا طَلَبْـــــتَ حَقِيقَـــــةً مِـــــنْ غَـــيْرِهِ فَبِـــذَيْلِ جَهْلِـــكَ لَا تَـــزَالُ مُعَثَّـــرَا)

وَللهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

(اللهُ رَبِّي لَا أُرِيـــــــــدُ سِـــــــــوَاهُ هَـــــلْ فِي الْوُجُـــــودِ الْحَـــــقِّ إِلَّا اللهُ ؟!
ذَاتُ الْإِلَـــــهِ بِهَـــــا قِـــــوَامُ ذَوَاتِنَـــــا هَـــلْ كَـــانَ يُوجَـــدُ غَيْـــرُهُ لَـــوْلَاهُ ؟!)

وَهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا هُوَ الَّذِي وَرَّثَ أَهْلَ الْبَصَائِرِ السَّلِيمَةِ الزُّهْدَ فِي الْأَكْوَانِ ، فَلَمْ يَفْرَحُوا بِمَوْجُودٍ غَيْرِ اللهِ ، وَلَمْ يَأْنَسُوا بِشَيْءٍ سِوَاهُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ فَرَحُهُمْ وَأُنْسُهُمْ عُرْضَةً لِلزَّوَالِ وَإِعْقَابًا لِلْحَسْرَةِ .
مَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى مُرِيدٍ يَبْكِي ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ ؟ فَقَالَ : مَاتَ أُسْتَاذِي . قَالَ : وَلِمَ جَعَلْتَ أُسْتَاذَكَ مَنْ يَمُوتُ ؟! .

وَأَنْشَدُوا :

(لِـــــيَكُنْ بِرَبِّـــــكَ كُـــــلُّ عِـــــزِّ ـــــــــــزِكَ يَسَـــــــــتَقِرَّ وَيَثْبُـــــــــتُ
فَــــــإِنِ اعْتَـــــزَزْتَ بِمَـــــنْ يَمُـــــو تُ فَــــــإِنَّ عِـــــــزَّكَ مَيِّـــــــتُ)

وَهَذَا الزُّهْدُ فِي الْأَكْوَانِ قَدْ أَفْضَى بِهِمْ إِلَى مَقَامَاتٍ سَنِيَّةٍ ، وَمَرَاتِبَ عَلِيَّةٍ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَفْنَى بِالْكُلِّيَّةِ ، وَيَسْتَغْرِقُ فِي شُهُودِ الْمُكَوِّنِ ، فَلَا يَبْقَى لَهُ شُعُورٌ بِنَفْسِهِ ، وَلَا بِفَنَائِهِ ، وَلَا بِشَيْءٍ غَيْرِ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا .
قَالَ بَعْضُهُمْ : " رَأَيْتُ بَعْضَ الْوَالِهِينَ ، فَقُلْتُ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ : هُوَ. فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : هُوَ. فَقُلْتُ : مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ ؟ قَالَ : هُوَ . فَقُلْتُ : مِنْ تَعْنِي ؟ قَالَ : هُوَ . فَلَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا قَالَ : هُوَ . فَقُلْتُ : لَعَلَّكَ تُرِيدُ اللهَ ؟ فَصَاحَ وَخَرَجَتْ رُوحُهُ " .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْهَدُ الْحَقَّ فِي الْأَكْوَانِ ، بِأَنْ يُلَاحِظَهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا مَرَايَا وَآلَاتٌ لِلتَّعْرِيفِ ، وَمَظَاهِرُ لِكَمَالَاتِ بَارِيهَا ؛ فَإِنَّ إِبْرَازَهَا مُظْهِرٌ لِوُجُودِهِ ، وَحَيَاتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ ؛ وَتَخْصِيصُهَا مُظْهِرٌ لِإِرَادَتِهِ ؛ وَإِحْكَامُهَا وَإِتْقَانُهَا مُظْهِرٌ لِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ... وَهَكَذَا .
وَهَذَا النَّوْعُ أَكْمَلُ مِنَ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُظْهِرِ الْمَمْلَكَةَ لِيَذْهَلَ الْخَلْقُ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ ، وَلَا يُوقَفَ عِنْدَهَا ، بَلْ لِيُشْهَدَ فِيهَا ؛ فَالْمَطْلُوبُ مِنْكَ أَنْ تَرَاهَا بِعَيْنِ مَنْ لَا يَرَاهَا ، تَرَاهَا مِنْ حَيْثُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهَا ، وَلَا تَرَاهَا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا .
قَالَهُ ابْنُ عَطَاءٍ فِي [لَطَائِفُ الْمِنَنِ] ، وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

(مَـــــا أُثْبِتَـــــتْ لَـــــكَ الْعَـــــوَالِمُ إِلَّا   لِتَرَاهَـــــا بِعَـــــيْنِ مَـــــنْ لَا يَرَاهَـــــا
فَـــارَقَ عَنْهَـــا رُقِـــيَّ مَـــنْ لَـــيْسَ يَرْضَـــى   حَالَـــــةً دُونَ أَنْ يَـــــرَى مَوْلَاهَـــــا)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْهَدُ الْحَقَّ قَبْلَ الْأَكْوَانِ ، بِأَنْ يَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَيْهَا ، عَكْسَ طَرِيقِ الْعَامَّةِ ، وَهَذَا شَأْنُ أَهْلِ الْجَذْبِ ، الَّذِينَ تَلَاشَتِ الْأَكْوَانُ فِي نَظَرِهِمْ بِشُهُودِ مُكَوِّنِهَا، وَطَالَ عَهْدُهُمْ بِهَا فَنَسُوْهَا ، لَكِنَّ عِلْمَهُمْ بِفَيَضَانِ إِحْسَانِ الْحَقِّ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ دَلَّهُمْ عَلَى تَكْوِينِهَا ، فَهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِالذَّاتِ عَلَى الصِّفَاتِ ، وَبِهَا عَلَى التَّعَلُّقَاتِ ، وَبِهَا عَلَى الْمُتَعَلَّقَاتِ ، عَكْسَ السَّالِكِينَ .

وَإِلَى الْفَرِيقَيْنِ أَشَارَ فِي [الْحِكَمِ] بِقَوْلِهِ :
" دَلَّ بِوُجُودِ آثَارِهِ عَلَى وُجُودِ أَسْمَائِهِ ، وَبِوُجُودِ أَسْمَائِهِ عَلَى وُجُودِ أَوْصَافِهِ ، وَبِوُجُودِ أَوْصَافِهِ عَلَى وُجُودِ ذَاتِهِ ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَقُومَ الْوَصْفُ بِنَفْسِهِ ، فَأَرْبَابُ الْجَذْبِ يَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ كَمَالِ ذَاتِهِ ، ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إِلَى شُهُودِ صِفَاتِهِ ، ثُمَّ يُرْجِعُهُمْ إِلَى التَّعَلُّقِ بِأَسْمَائِهِ ، ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إِلَى شُهُودِ آثَارِهِ ، وَالسَّالِكُونَ عَلَى عَكْسِ هَذَا ، فَنِهَايَةُ السَّالِكِينَ بِدَايَةُ الْمَجْذُوبِينَ ، وَبِدَايَةُ السَّالِكِينَ نِهَايَةُ الْمَجْذُوبِينَ ، لَكِنْ لَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ ، فَرُبَّمَا الْتَقَيَا فِي الطَّرِيقِ ، هَذَا فِي تَرَقِّيهِ ، وَهَذَا فِي تَدَلِّيهِ " . اهـ .

وَقَالَ أَيْضًا :
" شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ ، أَوْ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ ؛ الْمُسْتَدِلُّ بِهِ عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ ، وَأَثْبَتَ الْأَمْرَ مِنْ وُجُودِ أَصلِهِ ؛ وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ " .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْهَدُ الْحَقَّ مَعَ الْأَكْوَانِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَهَذَا شَأْنُ مَنِ اعْتَادَ اسْتِحْضَارَ أَنَّ الْحَقَّ هُوَ الْمُوجُودُ الْحَقِيقِيُّ ، وَأَنَّ وُجُودَ الْأَكْوَانِ عَارِيَةٌ مَسْبُوقٌ بِالْعَدَمِ ، وَيَلْحَقُهُ الْعَدَمُ ، وَيَصِحُّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ أَنْ يَخْلُفَهُ الْعَدَمُ ؛ وَتَكَرَّرَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي هَذِهِ الْمَعَانِي عَلَى قَلْبِهِ ، فَصَارَ إِذَا شَاهَدَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَرَضِيَّةِ تَذَكَّرَ الْمَوْجُودَ الذَّاتِيَّ دَفْعَةً وَاحِدَةً .
وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَشْهَدُ الْحَقَّ فِيهَا : أَنَّ هَذَا يَشْهَدُ الْأَكْوَانَ وَالْحَقَّ قَصْدًا . وَذَاكَ يَشْهَدُ الْحَقَّ قَصْدًا ، وَالْأَكْوَانَ تَبَعًا ؛ كَالْفَرْقِ بَيْنَ مَنْ يَنْظُرُ الْمِرْآةَ لِتَعَرُّفِ حَالِهَا ، وَلِمُشَاهَدَةِ الصُّورَةِ الَّتِي فِيهَا ، وَبَيْنَ مَنْ يَنْظُرُهَا لِلصُّورَةِ الَّتِي فِيهَا فَقَطْ .

وَمِنْهَا – أَي : اللَّوَازِمِ الْمُتَبَايِنَةِ الَّتِي كَانَ الْكَلَامُ فِيهَا – : أَنَّ وُجُودَهُ تَعَالَى لَا يَتَقَيَّدُ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، لِأَنَّهُ مُوجِدُهُمَا ، وَوُجُودُ غَيْرِهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُمَا .

وَمِنْهَا : أَنَّ وُجُودَهُ تَعَالَى فِي الْقُلُوبِ نُورٌ وَأُنْسٌ وَعِزٌّ وَغِنًى ؛ وَوُجُودُ الْأَغْيَارِ فِيهَا ظُلْمَةٌ وَوَحْشَةٌ وَذُلٌّ وَفَقْرٌ .

… …

فِي [الْحِكَمِ] :

" كَيْفَ يُشْرِقُ قَلْبٌ صُوَرُ الْأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةٌ فِي مِرْآتِهِ ؟! " .

وَمِنْهَا : أَنَّ وُجُودَهُ تَعَالَى ظَاهِرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ ، وَأَظْهَرُ مِنْ وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَوُجُودُ غَيْرِهِ لَيْسَ كَذَلِكَ .

أَمَّا أَنَّهُ ظَاهِرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ : فَلِأَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَالَمِ مَصْنُوعَةٌ لَهُ ، وَكُلُّ فِعْلٍ فَمِنْهُ ، يَشْهَدُ لَهُ بِالْوُجُودِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَالْإِرَادَةِ ، وَالْعِلْمِ ، وَالْحِكْمَةِ ، ... وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَلَقَدْ أَجَادَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِذْ يَقُولُ :

(أَيَـــا عَجَبًـــا كَيْـــفَ يُعْصَـــى الْإِلَـــهُ ... أَمْ كَيْـــــــفَ يَجْحَــــــدُهُ الْجَاحِــــــدُ
وَللهِ فِي كُـــــــــلِّ تَحْرِيكَـــــــــةٍ ... وَتَسْـــــكِينَةٍ فِي الْـــــــوَرَى شَـــــاهِدُ
وَفِي كُـــــلِّ شَـــــيْءٍ لَـــــهُ آيَـــــةٌ ... تَـــــدُلُّ عَلَـــــى أَنَّـــــهُ الْوَاحِـــــدُ)

وَأَمَّا أَنَّهُ ظَهَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ : فَمِنْ حَيْثُ إِنَّ الْأَكْوَانَ مَرَايَا وَمَظَاهِرُ لِتَجَلِّي صِفَاتِهِ ، وَتَعَرُّفِ كَمَالَاتِهِ ، كَمَا مَرَّ .

وَفِي ذَلِكَ قِيلَ :

(أُلَاحِظُـــــهُ فِي كُـــــلِّ شَـــــيْءٍ رَأَيْتُـــــهُ ... وَأَدْعُـــــوهُ سِـــــرًّا بِـــــالْمُنَى فَيُجِيـــــبُ
مَـــلَأْتُ بِـــــهِ قَلْـــبِي وَسَمْعِـــي وَنَـــاظِرِي ... وَكُلِّـــي وَأَجْزَائِـــي فَكَيْـــفَ يَغِيـــبُ ؟!)

وَأَمَّا أَنَّهُ أَظْهَرُ لِكُلِّ شَيْءٍ : فَلِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤] ؛ وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ ، وَابْنُ مَرْدُويَهْ :

" الزَّرْعُ يُسَبِّحُ وَأَجْرُهُ لِصَاحِبِهِ ، وَالثَّوْبُ يُسَبِّحُ ، وَيَقُولُ الْوَسِخُ لِصَاحِبِهِ : إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا فَاغْسِلْنِي " .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عِكْرِمَةَ : " الْأُسْطُوَانَةُ تُسَبِّحُ ، وَالْبَابُ يُسَبِّحُ " .

وَفِي شَرْحِنَا عَلَى [الْحِكَمِ] عِنْدَ قَوْلِهِ : " وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِكُلِّ شَيْءٍ " . مِنْ هَذَا النَّمَطِ الْعَجَبُ الْعُجَابُ .

وَأَمَّا أَنَّهُ أَظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : فَلِأَنَّ ظُهُورَ الْوُجُودِ الذَّاتِيِّ الْمُطْلَقِ أَقْوَى مِنَ الْعَرَضِيِّ الْمُقَيَّدِ ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ اسْمُهُ " اللهُ " أَعْرَفَ الْمَعَارِفِ – كَمَا قَالَهُ إِمَامُ النَّحْوِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – لِأَنَّ ظُهُورَ الِاسْمِ عَلَى حَسَبِ ظُهُورِ الْمُسَمَّى .

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ خَفِيَ مَعَ هَذَا الظُّهُورِ الْأَتَمِّ ، حَتَّى ضَلَّتْ عُقُولٌ، وَزَلَّتْ أَقْدَامٌ ، وَعَمِيَتْ بَصَائِرُ ، وَفَشَا الزَّيْغُ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا ؟! .

… …

قُلْنَا : قُصُورُ الْعَقْلِ عَنْ مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ : إِمَّا لِغُمُوضِهِ فِي نَفْسِهِ ، كَحَقِيقَةِ الرُّوحِ ؛ وَإِمَّا لِشِدَّةِ وُضُوحِهِ كَالشَّمْسِ الَّتِي لَا تُقَاوِمُهَا الْأَبْصَارُ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى إِمْعَانِ النَّظَرِ فِيهَا ، وَالنَّهَارُ الَّذِي لَا يُبْصِرُ بِهِ الْأَعْشَى الْمُبْصِرُ لَيْلًا ، لَا لِخَفَاءِ الشَّمْسِ وَالنَّهَارِ ، بَلْ لِشِدَّةِ ظُهُورِهِمَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُبْصِرِ ؛ فَكَذَا عُقُولُنَا ضَعِيفَةٌ ، وَجَمَالُ الْحَضْرَةِ فِي غَايَةِ الْإِشْرَاقِ ، مَعَ اسْتِغْرَاقِهِ وَدَوَامِهِ ، إِذْ لَمْ تَشِذَّ عَنْ ظُهُورِهِ ذَرَّةٌ مِنَ الْعَالَمِ فِي وَقْتٍ مَا ؛ وَالشَّيْءُ يَتَمَيَّزُ بِظُهُورِ ضِدِّهِ ، فَنُورُ الشَّمْسِ وَضَحَ بِنَسْخِ الظَّلَامِ لَهُ ، وَلَوْلَا غَيْبُوبَتُهُ لَظَنَّ الظَّانُّ أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ إِلَّا الْأَجْسَامُ وَالْأَلْوَانُ ؛ فَلَمَّا غَابَ الضَّوْءُ ، وَخَفِيَتِ الْأَجْسَامُ وَالْأَلْوَانُ ، عَلِمْنَا أَنَّ ظُهُورَهُمَا كَانَ بِهِ ؛ فَبَانَ وُجُودُهُ بِعَدَمِهِ ، وَلَا ضِدَّ لِجَمَالِ الْحَضْرَةِ يُمَيِّزُهُ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ .

ثُمَّ لَوِ انْتَفَى الِاسْتِغْرَاقُ ، وَكَانَ بَعْضُ الْأَشْيَاءِ مَوْجُودًا بِهِ ، وَبَعْضُهَا بِغَيْرِهِ ، لَحَصَلَ التَّمْيِيزُ أَيْضًا ؛ وَلَمَّا اشْتَرَكَتْ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ أَشْكَلَ الْأَمْرُ ؛ وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُكَوَّنَاتِ الشَّاهِدَةِ بِكَمَالَاتِهِ يُدْرِكُهَا الْإِنْسَانُ فِي الصِّبَا قَبْلَ اسْتِجْمَاعِ عَقْلِهِ ، فَيُدْرِكُهَا مِنْ حَيْثُ ذَوَاتُهَا ، وَقَضَاءُ أَوْطَارِهِ مِنْهَا ، لَا مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ وَالتَّعْرِيفُ ، ثُمَّ يَبْقَى عَلَى ذَلِكَ وَيَطُولُ أُنْسُهُ بِهَا ، فَلَا يَبْقَى لَهَا وَقْعٌ فِي قَلْبِهِ ، وَلَا يَنْتَبِهُ لِمَا فِي طَيِّهَا مِنَ الْحِكَمِ ؛ وَلِذَا إِذَا فَاجَأَهُ مِمَّا لَيْسَ مَا لَوْ سَأَلَهُ حَيَوَانٌ أَوْ نَبَاتٌ غَرِيبٌ مَثَلًا ، اِنْطَلَقَ لِسَانُهُ بِالْمَعْرِفَةِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَهُوَ يَرَى طُولَ النَّهَارِ نَفْسَهُ وَأَعْضَاءَهُ وَسَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ الْمَأْلُوفَةِ ، وَكُلُّهَا شَوَاهِدُ قَاطِعَةٌ ، وَلَا يُحِسُّ بِذَلِكَ ، لِطُولِ الْأُنْسِ ؛ فَلَوْ قُدِّرَ أَكْمَهَ انْفَتَحَ بَصَرُهُ فَجْأَةً فِي هَذَا الْعَالَمِ ، لَخِيفَ عَلَى عَقْلِهِ أَنْ يَنْبَهِرَ ؛ فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مَعَ الِانْهِمَاكِ فِي الشَّهَوَاتِ ، هُوَ سَبَبُ اسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ وَالضَّلَالَاتِ .

كَذَا فِي [الْإِحْيَاءِ] .

فَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخَفَاءُ ، **كَمَا قِيلَ** :

(وَمَـــــا احْتَجَبَـــــتْ إِلَّا بِرَفْـــــعِ حِجَابِهَـــــا وَمِـــــنْ عَجَـــــبٍ أَنَّ الظُّهُـــــورَ تَسَـــــتُّرُ)

وَقِيلَ :

(أَنَّى يَغِيـــــبُ وَلَـــــيْسَ يُوجَـــــدُ غَيْـــــرُهُ ؟! لَكِـــــنَّ شَـــــدِيدَ ظُهُـــــورِهِ أَخْفَـــــاهُ)

وَأَمَّا اسْمُهُ تَعَالَى " الْبَاطِنُ " **فَمَعْنَاهُ** : الَّذِي لَا تُحِيطُ الْعُقُولُ بِكُنْهِهِ . فَلَا يُنَافِي مَا دُونَ الْإِحَاطَةِ مِنَ الظُّهُورِ » . اِهـ .

١٥٠ – وَقَـــدْ أَشَـــرْنَا لِلْمُحَـــالِ وَهْـــوَ مَـــا   نَـــــافَى الَّــــــتِي وُجُوبُهَـــــا تَقَـــــدَّمَا

((**وَقَدْ أَشَرْنَا لِلْمُحَالِ**)) عَقْلًا فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وَهْوَ**)) **أَيِ** : الْمُحَالُ عَقْلًا فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَا**)) **أَيِ** : الْوَصْفُ الَّذِي ((**نَافَى**)) **أَيْ** : خَالَفَ وَنَاقَضَ الصِّفَةَ ((**الَّتِي وُجُوبُهَا**)) عَقْلًا ((**تَقَدَّمَا**)) بَيَانُهُ ؛ فَأَلِفُهُ إِطْلَاقِيَّةٌ ؛ وَهُوَ الْعَدَمُ الْمُنَافِي لِلْوُجُودِ ، وَالْحُدُوثُ الْمُنَافِي لِلْقِدَمِ ، وَطُرُوُّ الْعَدَمِ الْمُنَافِي لِلْبَقَاءِ ، وَمُمَاثَلَةُ الْحَوَادِثِ الْمُنَافِيَةُ لِلْمُخَالَفَةِ ، وَالِافْتِقَارُ إِلَى مَحَلٍّ أَوْ مُخَصِّصٍ الْمُنَافِي لِلْقِيَامِ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّرَكُّبُ وَالتَّعَدُّدُ الْمُنَافِيَانِ لِلْوَحْدَانِيَّةِ .

****** ******** *******

[فَصْلٌ فِي الْمَعَانِي]

١٥١ – وَالْعِلْـــمُ وَالْحَيَـــاةُ وَالْقُـــدْرَةُ مَـــعْ إِرَادَةِ اللهِ بِهَـــــا الْعَقْــــــلُ قَطَـــــعْ
١٥٢ – لِأَنَّهَـــا لَـــوِ انْتَفَـــتْ لَمَـــا وُجِـــدْ شَـــيْءٌ مِـــنَ الصُّـــنْعِ الَّـــذِي بِهَـــا شَـــهِدْ
١٥٣ – وَبَعْـــضُ مَـــنْ يُنْمَـــى لَـــهُ الْإِيقَـــانُ قَـــالَ : دَلِيـــلُ عِلْمِـــهِ الْإِتْقَـــانُ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ الصِّفَاتِ الْمُسَمَّاةِ اصْطِلَاحًا صِفَاتِ **[الْمَعَانِي]** جَمْعُ " مَعْنًى "، وَهُوَ لُغَةً : مَا قَابَلَ الذَّاتَ . فَيَشْمَلُ الصِّفَةَ النَّفْسِيَّةَ وَالسَّلْبِيَّةَ . **وَاصْطِلَاحًا** : كُلُّ صِفَةٍ مَوْجُودَةٍ فِي نَفْسِهَا .

قَالَ الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ :
« الصِّفَةُ إِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي نَفْسِهَا ، فَإِنَّهَا تُسَمَّى فِي الِاصْطِلَاحِ " صِفَةَ مَعْنًى " ؛ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ فِي نَفْسِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ وَاجِبَةً لِلذَّاتِ مَا دَامَتِ الذَّاتُ غَيْرَ مُعَلَّلَةٍ بِعِلَّةٍ سُمِّيَتْ " صِفَةً نَفْسِيَّةً " أَوْ " حَالًا نَفْسِيَّةً " ، كَالتَّحَيُّزِ لِلْجِرْمِ ، وَكَوْنِهِ قَابِلًا لِلْأَعْرَاضِ ؛ وَإِنْ كَانَتْ مُعَلَّلَةً بِعِلَّةٍ سُمِّيَتْ " صِفَةً مَعْنَوِيَّةً " أَوْ " حَالًا مَعْنَوِيَّةً " ، كَكَوْنِ الذَّاتِ عَالِمَةً ؛ وَلَا تَجِبُ هَذِهِ لِلذَّاتِ إِلَّا فِي مُدَّةِ وُجُودِ الْعِلَّةِ » . اهـ .

((**وَالْعِلْمُ**)) **أَيِ** : الصِّفَةُ الَّتِي يَنْكَشِفُ بِهَا كُلُّ وَاجِبٍ ، وَكُلُّ مُحَالٍ ، وَكُلُّ جَائِزٍ ((**وَالْحَيَاةُ**)) **أَيِ** : الصِّفَةُ الْمُصَحِّحَةُ لِمَوْصُوفِهَا الْإِدْرَاكَ ، وَالِاخْتِيَارَ ، وَالْقَادِرِيَّةَ ، وَالْكَلَامَ ((**وَالْقُدْرَةُ**)) **أَيِ** : الصِّفَةُ الَّتِي يُمْكِنُ إِيجَادُ كُلِّ مُمْكِنٍ بِهَا وَإِعْدَامِهِ عَلَى طِبْقِ الْإِرَادَةِ حَالَ كَوْنِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَةِ مَذْكُورَةً ((**مَعْ**)) بِسُكُونِ الْعَيْنِ ((**إِرَادَةِ اللهِ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّتِي هِيَ صِفَةٌ يُخَصِّصُ اللهُ تَعَالَى بِهَا كُلَّ مُمْكِنٍ بِبَعْضِ الْجَائِزَاتِ الْمُتَقَابِلَاتِ عَلَيْهِ ((**بِهَا**)) **أَيِ** : الصِّفَاتِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ ؛ صِلَةُ ((**قَطَعْ**)) . وَخَبَرُ ((**الْعِلْمُ**)) وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ : ((**الْعَقْلُ**)) **أَيِ** : النُّورُ الرُّوحَانِيُّ الْمُودَعُ فِي الْقَلْبِ ، وَشُعَاعُهُ مُتَّصِلٌ بِالدِّمَاغِ ؛ مُبْتَدَأٌ ثَانٍ، خَبَرُهُ ((**قَطَعْ**)) **أَيْ** : جَزَمَ الْعَقْلُ بِوُجُوبِهَا للهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَقْلًا ((**لِأَنَّهَا**)) **أَيِ** : الصِّفَاتِ الْأَرْبَعَةَ ((**لَوِ انْتَفَتْ**)) كُلُّهَا أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا ((**لَمَا**)) بِفَتْحِ اللَّامِ ، وَخِفَّةِ الْمِيمِ ((**وُجِدْ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : لَمْ يُوجَدْ ((**شَيْءٌ مِنَ الصُّنْعِ**)) بِضَمِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ؛ **أَيِ** : الْعَالَمِ الْمَصْنُوعِ ((**الَّذِي بِهَا**)) **أَيِ** : الصِّفَاتِ الْأَرْبَعَةَ ؛ صِلَةُ ((**شَهِدْ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ؛ الصُّنْعُ ، وَدَلَّ عَلَى وُجُوبِهَا للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَكِنْ عَدَمُ وُجُودِ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ بَاطِلٌ بِالْمُشَاهَدَةِ ، فَانْتِفَاؤُهَا كُلُّهَا أَوْ بَعْضُهَا بَاطِلٌ ، فَوُجُودُهَا وَاجِبٌ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ الْأَعْمَشِ فِي شَرْحِهِ :
« **وَبَيَانُ الدَّلِيلِ** : أَنَّ وُجُودَ الْمَصْنُوعَاتِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى قُدْرَةِ فَاعِلِهَا ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ، لِأَنَّ الْعَاجِزَ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ، وَوُجُودُ الْمَصْنُوعَاتِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى تَخْصِيصِهَا ، لِاسْتِحَالَةِ وُجُودِ مَصْنُوعٍ غَيْرِ مُخَصَّصٍ ، وَالتَّخْصِيصُ بِالْإِرَادَةِ ، وَمُحَالٌ التَّخْصِيصُ بِغَيْرِ عِلْمٍ بِالْمُخَصَّصِ ، وَشَرْطُ الْجَمِيعِ الْحَيَاةُ ، لِاسْتِحَالَةِ قُدْرَةٍ ، وَإِرَادَةٍ ، وَعِلْمٍ ، دُونَ حَيَاةٍ ؛ **فَبَانَ** : أَنَّهُ لَوِ انْتَفَتْ عَنْهُ صِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ لَمَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ ، لِتَوَقُّفِ وُجُودِهِ عَلَى الْقُدْرَةِ ، وَهِيَ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَهِيَ عَلَى الْعِلْمِ ، وَالْجَمِيعِ عَلَى الْحَيَاةِ ؛ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ » . اهـ .

١٥٤ – لِأَنَّ هَـــذَا الْعَـــالَمَ الَّـــذِي ظَهَــرْ إِحْكَامُـــهُ كُـــلَّ الْعُقُـــولِ قَـــدْ بَهَـــرْ

١٥٥ – سُـــبْحَانَ مَـــنْ أَوْدَعَـــهُ إِذْ أَبْدَعَـــهْ مِـــنْ حِكَـــمٍ جَلِيلَـــةٍ مَـــا أَوْدَعَـــهْ

((**وَبَعْضُ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**يُنْمَى**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ **أَيْ** : يُنْسَبُ ((**لَهُ الْإِيقَانُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْيَقِينُ . وَخَبَرُ ((**بَعْضُ**)) : ((**قَالَ**)) **أَيْ** : بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُوقِنِينَ ((**دَلِيلُ**)) وُجُوبِ ((**عِلْمِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَقْلًا . وَخَبَرُ ((**دَلِيلُ**)) : ((**الْإِتْقَانُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ ؛ **أَيْ** : إِحْكَامُ الْمَصْنُوعَاتِ وَإِجَادَتُهَا .

((**لِأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ**)) بِفَتْحِ اللَّامِ ؛ **أَيِ** : الْمَوْجُودَاتِ سِوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الَّذِي ظَهَرْ**)) بِفَتْحِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالْهَاءِ ؛ بِمُشَاهَدَةِ الْحَوَاسِّ ((إِحْكَامُهُ)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : إِتْقَانُهُ وَإِجَادَتُهُ ((**كُلَّ**)) – مَفْعُولُ ((**بَهَرْ**)) – **أَيْ** : جَمِيعَ ((**الْعُقُولِ قَدْ بَهَرْ**)) بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَالْهَاءِ ؛ **أَيْ** : غَلَبَ وَقَهَرَ .

((**سُبْحَانَ**)) **أَيْ** : أُنَزِّهُ تَنْزِيهَ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهِ الَّذِي ((**أَوْدَعَهُ**)) **أَيْ** : جَعَلَ فِي الْعَالَمِ ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : حِينَ ((**أَبْدَعَهْ**)) **أَيْ** : خَلَقَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْعَالَمَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ((**مِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ؛ بَيَانُ ((**مَا**)) الْآتِي . ((**حِكَمٍ**)) بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ ، جَمْعُ " حِكْمَةٍ " ؛ **أَيْ** : أَسْرَارٍ

((**جَلِيلَةٍ**)) **أَيْ** : عَظِيمَةٍ ؛ وَمَفْعُولُ ((**أَوْدَعَهْ**)) : ((**مَا**)) **أَيِ** : الشَّيْءَ الْجَلِيلَ الَّذِي ((**أَوْدَعَهْ**)) مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي لَا يُحَاطُ بِهَا مِنْ خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، كُلُّ شَيْءٍ عَلَى شَكْلِهِ الْمَخْصُوصِ ، وَصِفَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ ، وَتَرْكِيبِ أَجْزَائِهِ مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَتَرْتِيبِ مَنْفَعَةِ كُلِّ جُزْءٍ عَلَيْهِ ... ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِهِ ، وَخَلْقِ الْأَشْيَاءِ مُخْتَلِفَةَ الصِّفَاتِ بِالصِّغَرِ وَالْكِبَرِ ، وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ ، وَالْحُسْنِ وَالْقُبْحِ ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاوَةِ ، وَاللُّيُونَةِ وَالْيُبْسِ ، وَالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ ، وَالنُّعُومَةِ وَالْخُشُونَةِ ، وَالْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْإِضَاءَةِ وَالْإِظْلَامِ ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَعْرَاضِهَا الَّتِي لَا تَنْحَصِرُ مِنْ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فَهَلْ تَقَعُ هَذِهِ الْعَجَائِبُ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُهَا ؟! .

وَبِالْجُمْلَةِ ، فَالْإِتْقَانُ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ بِالضَّرُورَةِ . وَأَمَّا حُدُوثُ الْعَالَمِ : فَيُدَلُّ عَلَيْهِ بِالنَّظَرِ . أُنْظُرْ [شَرْحَ الْكُبْرَى] وَحَاشِيَتَنَا عَلَيْهِ .

[تَنْبِيهٌ]

إِتْقَانُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْعَالَمَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَوْجَدَهُ عَلَيْهِ عَلَى حَسَبِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْعِلْمُ أَزَلًا تَعَلُّقًا تَنْجِيزِيًّا قَدِيمًا ، وَالْإِرَادَةُ كَذَلِكَ ، فَالْعِلْمُ أَتْقَنَهُ ، وَلَا نَقْصَ فِي إِتْقَانِهِ ، وَالْإِرَادَةُ خَصَّصَتْهُ ، وَلَا نَقْصَ فِي تَخْصِيصِهَا ، وَالْقُدْرَةُ أَبْرَزَتْهُ وَتَعَلَّقَتْ بِهِ تَعَلُّقًا تَنْجِيزِيًّا حَادِثًا عَلَى طِبْقِ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ بِهِ ، وَلَا نَقْصَ فِي إِبْرَازِهَا ؛ فَإِبْرَازُهُ عَلَى أَبْدَعِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ، الَّذِي لَا يَتَأَتَّى أَبْدَعُ وَأَكْمَلُ مِنْهُ ؛ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْإِمَامِ الْغَزَّالِيِّ فِي [كِتَابُ التَّوَكُّلِ] مِنَ

... ...

[الْإِحْيَاءِ] : " لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ أَبْدَعُ مِمَّا كَانَ " .

أَيْ : لَيْسَ فِي اقْتِدَارِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – إِيجَادُ عَالَمٍ أَبْدَعَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ، **أَيْ** : لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ الْقُدْرَةُ تَعَلُّقًا تَنْجِيزِيًّا حَادِثًا ، لِعَدَمِ تَعَلُّقِ عِلْمِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَإِرَادَتِهِ بِهِ ؛ وَيَلْزَمُ عَلَى عَدَمِ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ بِهِ أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ ، وَإِلَّا لَزِمَ انْقِلَابُ الْعِلْمِ جَهْلًا ، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَعَالَى ؛ وَلَزِمَ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ عَلَى غَيْرِ مَا أَرَادَهُ تَعَالَى ، وَهُوَ أَيْضًا مُسْتَحِيلٌ ، وَالْقُدْرَةُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَحِيلِ .
فَالْإِمَامُ الْغَزَّالِيُّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – أَرَادَ نَفْيَ التَّعَلُّقِ التَّنْجِيزِيِّ لِلْقُدْرَةِ بِإِيجَادِ عَالَمٍ أَبْدَعَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ، لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ بِهِ ، وَلَمْ يُرِدْ نَفْيَ التَّعَلُّقِ الصُّلُوحِيِّ لَهَا ، كَمَا فَهِمَهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْ كَلَامَهُ فَشَنَّعَ عَلَيْهِ ؛ وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ .

وَالْحَاصِلُ : أَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي وُجِدَ عَلَيْهِ – وَإِنْ كَانَ مُمْكِنًا بِالذَّاتِ ، وَاجِبٌ بِالْغَيْرِ – كَالْمُمْكِنِ الَّذِي وَجَبَ ، لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِوُقُوعِهِ .

وَعِبَارَةُ الشِّهَابِ الْخَفَاجِيِّ عَلَى الْبَيْضَاوِيِّ نَصُّهَا :
« وَقَدْ شَنَّعَ عَلَيْهِ – أَيِ: الْإِمَامِ الْغَزَّالِيِّ – كَثِيرُونَ فِيهِ بِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْمَذْهَبِ الْحَقِّ ، مِنْ أَنَّ قُدْرَتَهُ تَعَالَى لَا تَتَنَاهَى، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُوجِدَ عَالَمًا آخَرَ أَحْسَنَ وَأَكْمَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ، وَقَدْ صُنِّفَ فِيهِ عِدَّةُ رَسَائِلَ .
وَالْجَوَابُ عَنْهُ : مَا قَالَهُ الْآمِدِيُّ فِي كِتَابِهِ [غَايَةُ الْمَرَامِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ] : إِنَّ مَا عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَنَّهُ لَا يَكُونُ مِنْهُ مَا هُوَ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ – كَالْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ – وَمِنْهُ مَا هُوَ مُمْتَنِعٌ لِتَعَلُّقِ عِلْمِ اللهِ بِعَدَمِ وُجُودِهِ مَعَ إِمْكَانِهِ فِي ذَاتِهِ ؛ وَالْقُدْرَةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ قُدْرَةٌ تَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَلَا مَعْنًى لِكَوْنِهِ مَقْدُورًا غَيْرَ هَذَا ، فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ مَقْدُورٌ وَمُمْكِنٌ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ ؛ فَإِنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ أَوْ مُمْكِنٍ ، لِأَمْرٍ خَارِجٍ ، وَهُوَ مُخَالَفَةُ عِلْمِهِ تَعَالَى ، فَلَا مَحْذُورَ فِيهِ ،

وَلِذَا قِيلَ :

(وَلَيْسَ فِي : " لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ " مَا فَهِمُوا وَإِنَّمَا هُوَ فِي التَّحْقِيقِ تَخْيِيلُ) » .

اِنْتَهَتْ .

١٥٦ - وَقَـدْ مَضَـى ذِكْـرٌ لِـبَعْضِ مَـا اشْـتَمَلْ ... عَلَيْـهِ إِجْمَـالًا بِمَـا الـنَّظْمُ احْتَمَـلْ

١٥٧ - وَالسَّـمْعُ وَالْإِبْصَـارُ وَالْكَـلَامُ ... جَـاءَ بِهَـا النَّقْـلُ وَلَا مَـلَامُ

((وَقَدْ مَضَى)) أَيْ : تَقَدَّمَ فِي [فَصْلُ الْحَثُّ عَلَى النَّظَرِ] : ((ذِكْرٌ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((لِبَعْضِ مَا)) أَيِ : الصِّفَاتِ الَّتِي ((اشْتَمَلْ)) الْعَالَمُ ((عَلَيْهِ)) عَائِدُ ((مَا)) مُرَاعًا فِيهِ لَفْظُهُ ؛ ذِكْرًا ((إِجْمَالًا بِـ)) حَسَبِ ((مَا)) أَيِ : الْقَدْرِ الَّذِي ((النَّظْمُ احْتَمَلْ)) ـهُ فِي قَوْلِهِ :

(٦٧ - وَمَـنْ يُقَـدِّمْ نَفْسَـهُ عِنْـدَ النَّظَـرْ ... مُؤَلَّفًـا مِـنَ الْقَضَـايَا مَـا حَضَـرْ

٦٨ - يَقِـسْ بِشَـكْلٍ بَـيِّنِ الْإِنْتَـاجِ ... إِذْ خَلْقُـهُ مِـنْ نُطْفَـةٍ أَمْشَـاجِ

٦٩ - وَبَعْـدَ أَنْ لَمْ يَـكُ شَـيْئًا صَـارَا ... شَـيْئًا حَـوَى الْأَسْمَـاعَ وَالْأَبْصَـارَا

٧٠ - وَالْحِكْمَـةَ الرَّائِقَـةَ الْعِيَـانِ ... وَالْفَضْـلَ بِـالْمَنْطِقِ وَالْبَيَـانِ

٧١ - وَالْعَقْـلَ وَالْغَـوْصَ عَلَـى الْحَقَـائِقِ ... وَالْعِلْـمَ بِالْأَسْـرَارِ وَالـدَّقَائِقِ

٧٢ - وَغَيْرَهَـا مِـنْ أَمْـرِهِ الْغَرِيـبِ ... وَحَصْـرُهُ يُعْيِـي قُـوَى الْأَرِيـبِ)

ثُمَّ قَالَ :

(٧٨ - فَـإِنْ نَظَـرْتَ فِي السَّـمَاوَاتِ الْعُـلَا ... وَمَـا لَهَـا مِـنَ الشِّـيَاتِ وَالْحُـلَا

٧٩ - وَسَـقْفِهَا الْمَرْفُـوعِ مِـنْ غَـيْرِ عَمَـدْ ... وَالنَّيِّـرَاتِ الْمُشْـعِرَاتِ بِالْأَمَـدْ

٨٠ - وَمَـا حَوَتْـهُ الْأَرْضُ وَالْبِحَـارُ ... أَبْصَـرْتَ مَـا فِيـهِ النُّهَـى تَحَـارُ

٨١ - هَـذَا، وَمَـا قَـدْ غَـابَ عَنَّـا أَكْثَـرُ ... مِـنَ الْبَـدَائِعِ الَّـتِي لَا تُحْصَـرُ)

((وَالسَّمْعُ)) أَيْ : الصِّفَةُ الَّتِي يَنْكَشِفُ بِهَا كُلُّ مَوْجُودٍ ، سَوَاءٌ كَانَ وَاجِبًا أَوْ مُمْكِنًا ، ذَاتًا كَانَ أَوْ صِفَةً

((وَالْإِبْصَارُ)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ فَمُوَحَّدَةٍ ؛ أَيْ : الْبَصَرُ، أَيْ : الصِّفَةُ الَّتِي يَنْكَشِفُ بِهَا كُلُّ مَوْجُودٍ ، سَوَاءٌ كَانَ قَدِيمًا أَوْ حَادِثًا ، ذَاتًا كَانَ أَوْ صِفَةً ((وَالْكَلَامُ)) أَيْ : الصِّفَةُ الدَّالَّةُ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ ، قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَادِثًا ، وَعَلَى كُلِّ مَعْدُمٍ ، مُمْكِنًا كَانَ أَوْ مُسْتَحِيلًا ، الَّتِي لَيْسَتْ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ ، وَلَا سِرٍّ وَلَا جَهْرٍ ، وَلَا عَرَبِيَّةٍ وَلَا عَجَمِيَّةٍ ، وَلَا إِعْرَابٍ وَلَا بِنَاءٍ وَلَا لَحْنٍ ، وَلَا تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ ، وَلَا فَصْلٍ وَلَا وَصْلٍ ، وَلَا ابْتِدَاءٍ وَلَا انْتِهَاءٍ ، وَلَا وَقْفٍ وَلَا سُكُوتٍ. وَخَبَرُ ((السَّمْعُ)) وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ : ((جَاءَ)) أَيْ : وَرَدَ ((بِـ)) وُجُوبِ ((هَا)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

((النَّقْلُ)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْقَافِ ؛ أَيْ : الْكَلَامُ الْمَنْقُولُ ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء : ١٦٤] .

((وَلَا مَلَامُ)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ؛ أَيْ : لَوْمَ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا بِالنَّقْلِ .

١٥٨ – إِذْ كُـــلُّ مَـــا لَمْ يَتَوَقَّـــفْ شَـــرْعُ عَلَيْـــهِ فَالـــدَّلِيلُ فِيـــهِ السَّـــمْعُ
١٥٩ – وَعَكْسُـــــهُ مُمْتَنِـــــعٌ لِلـــــدَّوْرِ فَـــاقْطُفْ بِأَيْـــدِي الْفَهْـــمِ أَبْهَـــى النَّـــوْرِ
١٦٠ — وَقِيــلَ : لَــوْ لَمْ يَتَّصِـفْ بِهَــا لَــزِمْ وَصْـــفٌ بِأَضْـــدَادٍ بِنَقْصِـــهَا جُـــزِمْ
١٦١ – وَفِيــهِ بَحْــثٌ بَرْقُــهُ قَــدْ أَوْمَضَــا بِعَكْـــسِ وَحْدَانِيَّـــةٍ كَمَـــا مَضَـــى

((إِذْ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((كُلُّ مَا)) أَيْ : وَصْفٍ ((لَمْ يَتَوَقَّفْ شَرْعُ)) أَيْ : كِتَابٌ وَسُنَّةٌ

((عَلَيْهِ)) عَائِدُ ((مَا)) . وَخَبَرُ ((كُلُّ)) : ((فَالدَّلِيلُ فِيهِ)) أَيْ : عَلَيْهِ. وَخَبَرُ ((الدَّلِيلُ)) :

((السَّمْعُ)) أَيِ : الْكَلَامُ الْمَسْمُوعُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ الدَّوْرُ .
((وَعَكْسُهُ)) أَيْ : مَا يَتَوَقَّفُ الشَّرْعُ عَلَيْهِ ، كَالْوُجُودِ ، وَالْقِدَمِ ، وَالْبَقَاءِ ، وَمُخَالَفَةِ الْحَوَادِثِ ، وَالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ ، وَالْإِرَادَةِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَالْقِيَامِ بِالنَّفْسِ ، وَالْوَحْدَةِ ((مُمْتَنِعٌ)) الِاسْتِدْلَالُ عَلَيْهِ بِالسَّمْعِ ((لِلدَّوْرِ)) بِفَتْحِ الدَّالِ ؛

أَيْ : تَوَقُّفِ كِلَا أَمْرَيْنِ عَلَى الْآخَرِ الْمُسْتَلْزِمِ تَوَقُّفِ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَتَقَدُّمِهِ عَلَيْهَا ، وَتَأَخُّرِهِ عَنْهَا .
((فَاقْطُفْ)) بِضَمِّ الطَاءِ . أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ؛ أَيْ : تَنَاوَلْ ، وَاجْنِ ، وَاقْطَعْ ((بِأَيْدِي)) جَمْعُ يَدٍ ((الْفَهْمِ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيِ : الْإِدْرَاكِ وَالْعِلْمِ ((أَبْهَى)) أَيْ : أَحْسَنَ ((النَّوْرِ)) بِفَتْحِ النُّونِ ؛ أَيِ : الْعِلْمِ. شَبَّهَ الْفَهْمَ بِإِنْسَانٍ فِي الشَّرَفِ ، وَطَوَاهُ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِالْأَيْدِي عَلَى سَبِيلِ الْمَكْنِيَّةِ وَالتَّخْيِيلِيَّةِ ؛ وَشَبَّهَ الْعِلْمَ بِالثَّمَرِ فِي الرَّغْبَةِ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِالْقَطْفِ عَلَى سَبِيلِهِمَا .
((وَقِيلَ :)) فِي الِاسْتِدْلَالِ عَلَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ ((لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ)) أَيِ : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((بِهَا)) أَيِ : السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ ((لَزِمْ وَصْفٌ)) لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((بِـ)) صِفَاتِ ((أَضْدَادٍ)) لَهَا ، وَهِيَ الصَّمَمُ ، وَالْعَمَى ، وَالْبَكَمُ . وَنَعَتَ ((أَضْدَادٍ)) بِقَوْلِهِ : ((بِنَقْصِهَا)) أَيِ : الْأَضْدَادِ ؛ صِلَةُ

((جُزِمْ)) بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَكَسْرِ الزَّايِ ؛ لَكِنَّ التَّالِيَ – وَهُوَ وَصْفُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَضْدَادِهَا — بَاطِلٌ ، لِأَنَّهَا نَقَائِصُ ، وَالنَّقْصُ مُحَالٌ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ فَالْمُقَدَّمُ – وَهُوَ عَدَمُ اتِّصَافِهِ بِهَا —كَذَلِكَ ، فَوَجَبَ نَقِيضُهُ ، وَهُوَ وَصْفُهُ تَعَالَى بِهَا ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .
((وَفِيهِ)) أَيْ : الِاسْتِدْلَالِ بِهَذَا الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ ((بَحْثٌ بَرْقُهُ)) أَيْ : نُورُهُ وَوَجْهُهُ ((قَدْ)) حَرْفُ تَحْقِيقٍ

((أَوْمَضَا)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ أَيْ : لَمَعَ . وَأَلِفُهُ إِطْلَاقِيَّةٌ .
وَحَاصِلُ الْبَحْثِ : أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الشَّيْءِ كَمَالًا فِي حَقِّ الْحَادِثِ كَوْنُهُ كَمَالًا فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إِذْ أَكْثَرُ كَمَالَاتِ الْحَادِثِ نَقَائِصُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، كَالذُّكُورِيَّةِ ، وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَطُولُ الْقَامَةِ ، وَجَمَالُ الْوَجْهِ ، وَاللِّحْيَةِ ، وَحُسْنُ الْخَلْقِ ، وَشَرَفُ النَّسَبِ .
وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى وُجُوبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَةِ ((بِعَكْسِ)) الِاسْتِدْلَالِ عَلَى وُجُوبِ ((وَحْدَانِيَّةٍ)) فِي الذَّاتِ وَالصِفَاتِ وَالْأَفْعَالِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَإِنَّهُ بِالدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ قَوِيٌّ ، وَبِالدَّلِيلِ السَّمْعِيِّ ضَعِيفٌ يُؤَدِّي لِلدَّوْرِ

((كَمَا)) أَيِ : الَّذِي قَدْ ((مَضَى)) فِي قَوْلِهِ :

١٦٢ - وَأَثْبَـــتَ الْإِدْرَاكَ قَـــوْمٌ، وَاكْتَفَـــى ... بِـــالْعِلْمِ نَافِيـــهِ، وَبَعْـــضٌ وَقَفَـــا
١٦٣ - وَاعْلَـــمْ بِـــأَنَّ هَـــذِهِ الْمَعَـــانِي ... لَهَـــا وُجُـــودٌ خَـــارِجَ الْأَذْهَـــانِ
١٦٤ - وَلَا يُقَـــالُ : إِنَّهَـــا عَـــيْنٌ، وَلَا ... غَيْـــرٌ لِـــذَاتٍ، فَـــاعْرِفِ الْمُعَـــوَّلَا

(١٥٩ - وَعَكْسُـــــهُ مُمْتَنِـــعٌ لِلـــــدَّوْرِ ... ...)

وَالْحَاصِلُ : **أَنَّ الْعَقَائِدَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ** :

١ - قِسْمٌ يُعْتَمَدُ فِيهِ عَلَى دَلِيلِ الْعَقْلِ دُونَ السَّمْعِ ، وَهُوَ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْمُعْجِزَةِ .

٢ - وَقِسْمٌ يُعْتَمَدُ فِيهِ عَلَى دَلِيلِ السَّمْعِ ، وَلَا مَجَالَ لِلْعَقلِ فِيهِ ، وَهُوَ جَمِيعُ السَّمْعِيَّاتِ .

٣ - وَقِسْمٌ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِهِمَا ، **وَهُوَ قِسْمَانِ** :

أ - قِسْمٌ دَلِيلُ الْعَقْلِ فِيهِ أَقْوَى مِنْ دَلِيلِ السَّمْعِ ، وَهُوَ الْوَحْدَةُ .

ب - وَقِسْمٌ دَلِيلُ السَّمْعِ فِيهِ أَقْوَى مِنْ دَلِيلِ الْعَقْلِ ، وَهُوَ السَّمْعُ ، وَالْبَصَرُ، وَالْكَلَامُ .

((**وَأَثْبَتَ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْمُوَحَّدَةِ وَالتَّاءِ ((**الْإِدْرَاكَ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ . فِي صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَفَاعِلُ ((**أَثْبَتَ**)) : ((**قَوْمٌ**)) مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، بِلَا اتِّصَالٍ بِالْأَجْسَامِ وَلَا تَكَيُّفٍ .
ثُمَّ مِنَ الْمُثْبِتِينَ مَنْ جَعَلَهُ صِفَةً وَاحِدَةً تُسَمَّى إِدْرَاكًا ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ ثَلَاثَ صِفَاتٍ لِمُسَاوٍ ، ذَوْقًا وَشَمًّا .
((**وَاكْتَفَى**)) عَنْ وُجُوبِ الْإِدْرَاكِ ((**بِـ**)) وُجُوبِ ((**ـالْعِلْمِ**)) . وَفَاعِلُ ((**اكْتَفَى**)) : ((**نَافِيهِ**)) **أَيِ** : الْإِدْرَاكِ ، لِاسْتِلْزَامِهِ الِاتِّصَالَ بِالْأَجْسَامِ .
وَضُعِّفَ : بِأَنَّ تَوَقُّفَ الْإِدْرَاكِ عَلَى الِاتِّصَالِ عَادِيٌّ لَا عَقْلِيٌّ ؛ وَبِأَنَّ اكْتِفَاءَهُ بِالْعِلْمِ عَنِ الْإِدْرَاكِ يَلْزَمُهُ اكْتِفَاؤُهُ بِالْعِلْمِ عَنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ .
وَأُجِيبَ عَنْ هَذَا : بِأَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَرَدَ بِهِمَا السَّمْعُ ، وَلَمْ يَرِدْ بِالْإِدْرَاكِ .

((**وَبَعْضٌ**)) مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ((**وَقَفَا**)) **أَيْ** : تَوَقَّفَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِإِثْبَاتِ الْإِدْرَاكِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَاَ بِنَفْيِهِ ، تَوَرُّعًا وَاحْتِيَاطًا وَطَلَبًا لِلسَّلَامَةِ ، لِعَدَمِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ بِأَحَدِهِمَا ؛ وَهُوَ التَّحْقِيقُ عِنْدَ الشَّيْخِ ، وَمُخْتَارُ الْمُقْتَرَحِ وَابْنِ التِّلْمِسَانِيِّ وَالْمُحَقِّقِينَ .
((**وَاعْلَمْ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**بِأَنَّ هَذِهِ**)) الصِّفَاتِ ((**الْمَعَانِي**)) السَّبْعَةَ الَّتِي **هِيَ** :

١ - الْقُدْرَةُ **٢ -** وَالْإِرَادَةُ **٣ -** وَالْعِلْمُ **٤ -** وَالْحَيَاةُ **٥ -** وَالسَّمْعُ **٦ -** وَالْبَصَرُ **٧ -** وَالْكَلَامُ

((**لَهَا وُجُودٌ خَارِجَ الْأَذْهَانِ**)) **أَيْ** : زَائِدٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْأَذْهَانِ لَهَا ، بِحَيْثُ تُمْكِنُ رُؤْيَتُهَا لَوْ كُشِفَ الْحِجَابُ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ لَهُ وُجُودَاتٌ أَرْبَعُ :

١٦٥ - وَانْسُــــبْ لِكُـــلِّ مَـــا سِـــوَى الْحَيَـــاةِ تَعَلُّقَـــــــا وَشَـــــــــرْحُهُ سَــــــــيَاتِي

---

١ – وُجُودٌ فِي الْعَيَانِ ، وَهُوَ وُجُودُ الْحَقِيقَةِ .

٢ – وَوُجُودٌ فِي الْأَذْهَانِ ، وَهُوَ إِدْرَاكُ الْعَقْلِ لِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ .

٣ – وَوُجُودٌ فِي اللِّسَانِ ، وَهُوَ ذِكْرُ اللِّسَانِ الْحَقِيقَةَ .

٤ – وَوُجُودٌ بِالْبَنَانِ ، وَهُوَ كِتَابَةُ الْحَقِيقَةِ .

((**وَلَا يُقَالُ : إِنَّهَا عَيْنٌ**)) لِذَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَيْسَتْ زَائِدَةً عَلَيْهَا ، بِأَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَينَ حَيَاتِهِ ، وَعِلْمِهِ، وَإِرَادَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ ، وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ ، وَكَلَامِهِ .
((**وَلَا**)) يُقَالُ : إِنَّهَا ((**غَيْرٌ لِذَاتٍ**)) اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بِحَيْثُ لَا تَلْزَمُهَا ، وَتُوجَدُ بِدُونِهَا مُنْفَرِدَةً عَنْهَا ، مُسْتَقِلَّةً بِنَفْسِهَا ((**فَاعْرِفِ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] الْقَوْلَ ((**الْمُعَوَّلَا**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالْوَاوِ مُثَقَّلَةً ؛ **أَيِ** : الصَّحِيحَ الْمُعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ .

((**وَانْسُبْ**)) بِضَمِّ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ((**لِكُلِّ مَا**)) **أَيْ** : صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِي ((**سِوَى**)) بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، صِفَةُ ((**الْحَيَاةِ**)) . وَمَفْعُولُ ((**انْسُبْ**)) : ((**تَعَلُّقًا**)) **أَي** : اقْتِضَاءً وَاسْتِلْزَامًا لِشَيْءٍ زَائِدٍ عَلَى الذَّاتِ الْمَوْصُوفِ بِهَا ((**وَشَرْحُهُ**)) **أَي** : التَّعَلُّقِ ((**سَيَاتِي**)) لِلْمُصَنِّفِ فِي [فَصْلُ التَّعَلُّقِ] .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :
« ثُمَّ إِنَّ " الْحَيَاةَ " لَا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ مَفْهُومَهَا لَا يَقْتَضِي زِيَادَةً عَلَى الْقِيَامِ بِمَحَلِّهَا ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ الْمُفِيضَ لِلْحَيَاةِ عَلَى كُلِّ حَيٍّ فَلَيْسَ ذَلِكَ أَثَرَ الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ وُجُوهِ تَعَلُّقَاتِ الْقُدْرَةِ ، كَالْإِمَاتَةِ ؛ وَالتَّخْصِيصُ بِهِمَا مِنْ وُجُوهِ تَعَلُّقَاتِ الْإِرَادَةِ ؛ وَزَعَمَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ " الْحَيَاةَ " مُتَعَلِّقَةٌ ، وَأَنَّ مِنْ لَازِمِهَا إِفَادَةَ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ لِمَنْ أَرَادَ إِحْيَاءَهُ ، وَضِدَّ ذَلِكَ لِمَنْ أَرَادَ إِمَاتَتَهُ ؛ فَهُوَ الْحَيُّ وَالْمُحْيِي وَالْمُمِيتُ . قَالَ : وَلَا مَعْنَى لِلتَّعَلُّقِ وَالتَّأْثِيرِ سِوَى ذَلِكَ ؛ فَتَنَبَّهْ لَهُ " . اهـ .

وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّ تَعَلُّقَ الصِّفَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ نَفْسِيٌّ لَهَا ، لَا تُعْقَلُ بِدُونِهِ ، كَمَا أَنَّ قِيَامَهَا بِالذَّاتِ نَفْسِيٌّ لَهَا – كَمَا فِي [شَرْحُ الصُّغْرَى]– وَلَيسَتِ " الْحَيَاةُ " كَذَلِكَ ، فَإِنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِدُونِ مَا جَعَلَهُ لَازِمًا لَهَا مِنْ إِفَادَةِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ وَضِدِّ ذَلِكَ ؛ وَمَا ذَكَرَهُ هَذَا الْقَائِلُ اشْتِبَاهٌ ، مَنْشَؤُهُ مَا ذَكَرَهُ أَئِمَّةُ التَّصَوُّفِ مِنْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُمِدُّ عَبِيدَهُ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ ، أَنْ يُعْطِيَهُمْ صِفَاتٍ لَهَا عُلْقَةٌ بِصِفَاتِ ذَاتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صِفَاتِ الذَّاتِ اشْتِرَاكٌ أَصْلًا وَلَا مُشَابَهَةٌ ، فَحَيَاتُهُمْ مِنْ حَيَاتِهِ ، وَسَمْعُهُمْ وَبَصَرُهُمْ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَعِلْمُهُمْ وَحِلْمُهُمْ وَغِنَاهُمْ بِهِ مِنْ غِنَاهُ ، وَرَحْمَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا مِنْ رَحْمَتِهِ ... وَهَكَذَا .
وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى هَذَا حَدِيثُ : « خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » . **أَيْ** : وَهَبَهُ صِفَاتٍ مُرْتَبِطَةً بِصِفَاتِهِ ، وَلِذَا

١٦٦ – فَكُــــلُّ مُمْكِــــنٍ تَعَلَّقَـــتْ بِـــهِ   إِرَادَةٌ وَقُـــــــدْرَةٌ ، فَانْتَبِـــــــهِ
١٦٧ – وَإِنْ يَكُـــنْ عِلْـــمٌ بِنَفْيِـــهِ جَـــرَى   فَفِـــي تَعَلُّـــقٍ بِـــهِ خُلْـــفٌ سَـــرَى

قَالُوا : إِنَّ مَا عَدَا اسْمَ الْجَلَالَةِ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى صَالِحٌ لِلتَّعَلُّقِ وَالتَّخَلُّقِ ؛ وَأَمَّا اسْمُ الْجَلَالَةِ فَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلتَّعَلُّقِ . وَقَالَ صَاحِبُ [عَوَارِفُ الْمَعَارِفِ] فِي قَوْلِ عَائِشَةَ لَمَّا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "كَانَ خُلُقُهُ

الْقُرْآنَ ": " لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى تَخَلُّقِهِ بِالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ – أَيْ: مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى –كَالرَّحْمَةِ، وَالْعَفْوِ ، وَالشُّكْرِ؛ فَعَبَّرَتْ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ احْتِشَامًا مِنَ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ ، لِوُفُورِ عَقْلِهَا، وَكَمَالِ أَدَبِهَا ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا " .

اِهـ .

أُنْظُرِ [الْمَوَاهِبَ] .
فَالْتَبَسَ عَلَى هَذَا الْقَائِلِ الْمَدَدُ الَّذِي يَذْكُرُهُ الصُّوفِيَّةُ بِالتَّعَلُّقِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، فَظَنَّهُمَا شَيْئًا وَاحِدًا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ » . اِهـ .

((**فَكُلُّ مُمْكِنٍ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : جَائِزٍ عَقْلًا ((**تَعَلَّقَتْ بِهِ إِرَادَةٌ وَقُدْرَةٌ**)) فَلَا تَتَعَلَّقَانِ بِوَاجِبٍ ، وَلَا بِمُسْتَحِيلٍ ، لِأَنَّ تَعَلُّقَهُمَا بِهِمَا إِنْ كَانَ بِإِيجَادِ الْوَاجِبِ وَإِعْدَامِ الْمُحَالِ ، فَهُوَ تَحْصِيلُ حَاصِلٍ مُحَالٍ ، وَإِنْ كَانَ بِإِعْدَامِ الْوَاجِبِ وَإِيجَادِ الْمُحَالِ ، فَهُوَ قَلْبٌ لِحَقِيقَتِهِمَا إِلَى الْمُمْكِنِ ، وَهُوَ مُحَالٌ .

وَعِبَارَةُ ابْنِ كِيرَانَ :
« وَلَا تَتَعَلَّقُ الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ بِالْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحِيلِ ، لِأَنَّهُمَا إِنْ تَعَلَّقَتَا بِوُجُودِ الْوَاجِبِ ، وَعَدَمِ الْمُسْتَحِيلِ ، لَزِمَ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ ؛ وَإِنْ تَعَلَّقَتَا بِعَدَمِ الْوَاجِبِ ، وَوُجُودِ الْمُسْتَحِيلِ ، لَزِمَ قَلْبُ حَقِيقَتِهِمَا بِرُجُوعِهِمَا جَائِزَيْنِ ، وَقَدْ فُرِضَا وَاجِبًا وَمُسْتَحِيلًا ؛ هَذَا خَلْفٌ ، وَلِخَفَاءِ هَذَا عَلَى بَعْضِ الْأَغْبِيَاءِ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ قَالَ : " إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، وَإِلَّا لَزِمَعَجْزُهُ " ! . وَمَا دَرَى أَنَّ الْعَجْزَ إِنَّمَا يَلْزَمُ لَوْ كَانَ الْقُصُورُ مِنْ نَاحِيَةِ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ؛ أَمَّا إِذَا كَانَ لِعَدَمِ مُتَعَلَّقِهِمَا الَّذِي يُتَعَقَّلُ صِحَّةُ تَعَلُّقِهِمَا بِهِ ، فَلَا عَجْزَ أَصْلًا .

قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِسْفِرَائِينِيُّ :

" أَخَذَ هَذَا الْمُبْتَدِعُ وَأَشْيَاعُهُ ذَلِكَ – بِحَسَبِ فَهْمِهِ الرَّكِيكِ – مِنْ قِصَّةِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ جَاءَهُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ وَهُوَ يَخِيطُ ، وَيَقُولُ فِي كُلِّ دَخْلَةٍ وَخَرْجَةٍ لِلْإِبْرَةِ :

< سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ > ، فَأَتَاهُ بِقِشْرَةِ بَيْضَةٍ فَقَالَ : اللهُ يَقْدِرُ أَنْ يَجْعَلَ الدُّنْيَا فِي هَذِهِ الْقِشْرَةِ ؟ فَقَالَ :

اللهُ قَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَ الدُّنْيَا فِي سَمِّ هَذِهِ الْإِبْرَةِ . وَنَخَسَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، فَصَارَ أَعْوَرَ " .
قَالَ : " وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَدْ ظَهَرَ وَانْتَشَرَ ظُهُورًا لَا يُرَدُّ ؛ وَقَدْ أَخَذَ الْأَشْعَرِيُّ

١٦٨ – مِثَالُــــهُ : الْإِيمَـــانُ مِـــنْ أَبِي لَهَــــبْ وَالْــبَعْضُ لِلتَّوْفِيـــقِ فِي هَـــذَا ذَهَـــبْ

١٦٩ – أَيْ : مَـــنْ رَأَى تَعَلُّقًـــا بِـــهِ اعْتَبَـــرْ إِمْكَانَـــهُ الْأَصْــلِيَّ مَـــعْ قَطْـــعِ النَّظَـــرْ

١٧٠ – عَـــنْ غَـــيْرِهِ ، وَمَـــنْ نَفَـــاهُ رَاعَـــى تَعَلُّـــــقَ الْعِلْــــمِ بِـــــهِ امْتِنَاعَـــــا

١٧١ – وَالسَّـــمْعُ وَالْبَصَـــرُ بِـــالْمَوْجُودِ قَـــدْ تَعَلَّقَـــا لَا غَيْـــرُ عِنْـــدَ مَـــنْ نَقَـــدْ

١٧٢ – وَلَـــيْسَ يُسْـــتَغْنَى بِعِلْــمٍ عَنْهُمَـــا لِلِافْــــــتِرَاقِ شَـــــاهِدًا بَيْنَهُمَـــــا

مِنْ جَوَابِ إِدْرِيسَ أَجْوِبَةً فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ ؛ وَأَوْضَحَ هَذَا الْجَوَابَ فَقَالَ :

" إِنْ أَرَادَ السَّائِلُ أَنَّ الدُّنْيَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ ، وَالْقِشْرَةَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَقُلْ مَا يُعْقَلُ ، فَإِنَّ الْأَجْسَامَ الْكَثِيرَةَ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَتَدَاخَلَ وَتَكُونَ فِي حَيِّزٍ وَاحِدٍ ؛ وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ يُصَغِّرُ الدُّنْيَا ، أَوْ يُكَبِّرُ الْقِشْرَةَ، فَلَعَمْرِي ! اللهُ قَادِرٌ عَلَى هَذَا وَأَكْبَرَ مِنْهُ " .

قِيلَ : وَلَمْ يُفَصِّلْ إِدْرِيسُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – الْجَوَابَ هَكَذَا ، لِأَنَّ السَّائِلَ مُعَانِدٌ مُتَعَنِّتٌ ، وَلِذَلِكَ عَاقَبَهُ بِنَخْسِ الْعَيْنِ ، وَذَلِكَ عُقُوبَةُ كُلِّ سَائِلٍ مِثْلِهِ » . اهـ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : « وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ عَيْنُهُ الْمَقْلُوعَةُ الْيُمْنَى » .

((**فَانْتَبِهِ**)) **أَيْ** : تَيَقَّظْ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] .

((**وَإِنْ يَكُنْ عِلْمٌ**)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بِنَفْيِهِ**)) **أَيْ** : عَدَمِ وُقُوعِ الْمُمْكِنِ ؛ صِلَةُ ((**جَرَى**)) **أَيْ** : تَعَلَّقَ

((**فَفِي تَعَلُّقٍ**)) لِلْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ ((**بِهِ**)) **أَيِ** : الْمُمْكِنِ الَّذِي عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَدَمَ وُقُوعِهِ .

وَعَدَمُ تَعَلُّقِهِمَا بِهِ ((**خُلْفٌ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ؛ **أَيِ** : اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِينَ

((**سَرَى**)) بِفَتْحِ السِّينِ وَالرَّاءِ ؛ **أَيْ** : حَصَلَ .

((**مِثَالُهُ :**)) **أَيِ** : الْمُمْكِنِ الَّذِي عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَدَمَ وُقُوعِهِ ((**الْإِيمَانُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛

أَيِ : التَّصْدِيقُ بِأَنَّهُ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ " ((**مِنْ أَبِي لَهَبْ وَالْبَعْضُ**)) مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ

((**لِلتَّوْفِيقِ**)) بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ ((**فِي هَذَا**)) فِي هَذَا التَّعَلُّقِ وَعَدَمِهِ ؛ صِلَةُ ((**التَّوْفِيقِ**)) ، وَهُوَ صِلَةُ ((**ذَهَبْ**)) .

وَفَسَّرَ التَّوْفِيقَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ : ((**أَيْ : مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْعَالِمُ الَّذِي ((**رَأَى**)) **أَيِ** : اعْتَقَدَ

((**تَعَلُّقًا**)) لِلْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ ((**بِهِ**)) **أَيِ** : الْمُمْكِنِ الَّذِي عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَدَمَ وُقُوعِهِ

((**الْأَصْلِيَّ**)) **أَيِ** : الثَّابِتَ لَهُ بِاعْتِبَارِ ذَاتِهِ ، لَا بِاعْتِبَارِعَارِضٍ عَرَضَ ((**مَعْ**)) بِسُكُونِ الْعَيْنِ ((**قَطْعِ النَّظَرْ . عَنْ غَيْرِهِ**)) **أَيْ** : إِمْكَانِهِ الْأَصْلِيِّ ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ الْعَارِضُ لَهُ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِ عِلْمِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِعَدَمِ وُقُوعِهِ

... ...

((**وَمَنْ نَفَاهُ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْعَالِمُ الَّذِي ((**نَفَاهُ**)) **أَيْ** : تَعَلُّقَ الْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ بِالْمُمْكِنِ الَّذِي عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَدَمَ وُقُوعِهِ ((**رَاعَى**)) **أَيِ** : اعْتَبَرَ ((**تَعَلُّقَ الْعِلْمِ**)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بِـ**)) عَدَمِ وُقُوعِ ((**ـهِ**)) **أَيِ** : الْمُمْكِنِ ((امْتِنَاعًا)) لَهُ ، وَالْمُمْتَنِعُ لَا تَتَعَلَّقَانِ بِهِ ، فَالْخِلَافُ بَيْنَهُمَا خِلَافٌ فِي حَالٍ ، لَا حَقِيقِيٌّ .

وَأُورِدَ عَلَى هَذَا التَّوْفِيقِ : أَنَّهُ يَلْزَمُهُ اطِّرَادُ هَذَا الْخِلَافِ فِي كُلِّ مُمْكِنٍ ، لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو : إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلِمَ اللهُ وُقُوعَهُ ، فَهُوَ وَاجِبٌ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَدَمَ وُقُوعِهِ ، فَهُوَ مُحَالٌ ؛ وَالْخِلَافُ إِنَّمَا جَرَى فِي الثَّانِي ؟ .

وَأُجِيبَ : بِأَنَّ مَا تَعَلَّقَ الْعِلْمُ بِعَدَمِهِ فَهُوَ عَلَى الْعَدَمِ الْأَصْلِيِّ ، فَلَا يَحْتَاجُ عَدَمُهُ إِلَى تَعَلُّقِهِمَا بِهِ ؛ وَمَا عَلِمَ اللهُ وُجُودَهُ يَحْتَاجُ لِتَعَلُّقِهِمَا بِإِيجَادِهِ ، إِذْ لَا يَكْفِي فِيهِ عِلْمُ اللهِ بِوُجُودِهِ وَإِيجَادِهِ ، فَلَا يَلْزَمُ اطِّرَادُ الْخِلَافِ فِي سَائِرِ الْمُمْكِنَاتِ .

((**وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ بِالْمَوْجُودِ**)) سَوَاءٌ كَانَ وَاجِبًا أَوْ جَائِزًا ، ذَاتًا كَانَ أَوْ صِفَةً ؛ صِلَةُ ((**تَعَلَّقَ**)) ؛ ((**قَدْ**)) تَحْقِيقِيَّةٌ ((**تَعَلَّقَا لَا غَيْرُ**)) الْمَوْجُودِ ، سَوَاءٌ كَانَ مُحَالًا أَوْ جَائِزًا ((**عِنْدَ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي

((**نَقَدْ**)) بِفَتْحِ النُّونِ وَالْقَافِ؛ أَيْ: حَقَّقَ .

((**وَلَيْسَ**)) **أَيِ** : الشَّأْنُ ((**يُسْتَغْنَى**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ النُّونِ ((**بِـ**)) صِفَةِ ((**عِلْمٍ عَنْهُمَا**)) **أَيِ** : السَّمْعِ وَالْبَصَرِ .

وَدَلِيلُ عَدَمِ الِاسْتِغْنَاءِ بِهِ عَنْهُمَا ((**لِلافْتِرَاقِ**)) **أَيِ** : التَّغَايُرِ ((**شَاهِدًا**)) **أَيْ** : فِي الْإِنْسَانِ الْمُشَاهَدِ بِالْحَوَاسِّ

((**بَيْنَهُمَا**)) **أَيْ** : بَيْنَ الِانْكِشَافِ الْحَاصِلِ بِالْعِلْمِ ، وَالِانْكِشَافِ الْحَاصِلِ بِالسَّمْعِ ، وَالِانْكِشَافِ الْحَاصِلِ بِالْبَصَرِ .

وَيُسْتَدَلُّ بِتَغَايُرِهَا فِي الشَّاهِدِ عَلَى تَغَايُرِهَا فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لِأَنَّ بِصِفَاتِ الشَّاهِدِ تُعْلَمُ صِفَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْجُمْلَةِ .

١٧٣ - وَرَدَّهُ بَعْـــــــضُ ذَوِي التَّحْقِيـــــــقِ وَالـــــنَّظْمُ عَـــــنْ تَقْرِيـــــرِهِ ذُو ضِـــــيقِ

١٧٤ - وَحُكْـــمُ إِدْرَاكٍ لَـــدَى مَـــنْ قَـــالَ بِـــهْ حُكْمُهُمَـــــا فَلْتُفْـــــرِغَنْ فِي قَالَبِـــــهْ

١٧٥ - وَالْعِلْـــمُ وَالْكَـــلَامُ قَـــدْ تَعَلَّقَـــا بِوَاجِـــــــبٍ وَمُسْـــــــتَحِيلٍ مُطْلَقَـــــا

١٧٦ - وَجَـــائِزٍ، فَاسْـــتُوعِبَ الْأَقْسَـــامُ وَالـــــرَّبُّ فِي الْجَمِيـــــعِ لَا يُسَـــــامُ

((**وَرَدَّهُ**)) **أَيْ** : الِاسْتِدْلَالَ الْمَذْكُورَ ((**بَعْضُ ذَوِي**)) **أَيْ** : أَصْحَابِ ((**التَّحْقِيقِ وَ**)) هَذَا ((**النَّظْمُ**)) الْحَاضِرُ ((**عَنْ تَقْرِيرِهِ**)) **أَيِ** : الرَّدِّ الْمَذْكُورِ ؛ صِلَةُ ((**ضِيقٍ**)) .

((**ذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**ضِيقٍ**)) ؛ وَهُوَ مَبْسُوطٌ فِي [شَرْحُ الْكُبْرَى] فَانْظُرْهُ مَعَ مَا كَتَبْنَاهُ عَلَيْهِ .

((**وَحُكْمُ**)) بِضَمِّ الْحَاءِ ، وَسُكُونِ الْكَافِ ((**إِدْرَاكٍ**)) فِي التَّعَلُّقِ ((**لَدَى**)) بِفَتْحِ اللَّامِ وَالدَّالِ ؛ **أَيْ** : عِنْدَ

((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْعَالِمِ الَّذِي ((**قَالَ بِهْ**)) **أَيْ** : أَثْبَتَ الْإِدْرَاكَ صِفَةً للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**حُكْمُهُمَا**)) **أَيِ** : السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي التَّعَلُّقِ بِكُلِّ مَوْجُودٍ ((**فَلْتُفْرِغَنْ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ وَالنُّونِ ، وَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ . وَصِلَةُ ((**فَلْتُفْرِغَنْ**)) : ((**فِي قَالَبِهْ**)) بِفَتْحِ اللَّامِ ، وَكَسْرُهَا قَلِيلٌ ؛ وَقَالَبُ الشَّيْءِ : صُورَتُهُ ؛ **أَيْ** : فَلْتَقِسْ صِفَةَ الْإِدْرَاكِ – عَلَى الْقَوْلِ بِهَا – عَلَى صِفَتَيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهِمَا .

((**وَالْعِلْمُ وَالْكَلَامُ قَدْ تَعَلَّقَا بِـ**)) كُلِّ ((**وَاجِبٍ**)) عَقْلًا مُطْلَقًا ((**وَ**)) بِكُلِّ ((**مُسْتَحِيلٍ**)) عَقْلًا

((**مُطْلَقَا**)) سَوَاءٌ كَانَ ذَاتًا أَوْ صِفَةً ((**وَ**)) بِكُلِّ ((**جَائِزٍ**)) عَقْلًا مُطْلَقًا ، لَكِنْ تَعَلُّقُ الْعِلْمِ تَعَلُّقُ انْكِشَافٍ ، وَتَعَلُّقُ الْكَلَامِ تَعَلُّقُ دَلَالَةٍ ((**فَاسْتُوعِبَ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ؛ **أَيْ** : تَمَّتْ ((**الْأَقْسَامُ**)) لِمُتَعَلَّقَاتِ الصِّفَاتِ

((**وَالرَّبُّ**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**فِي**)) شَيْءٍ مِنَ ((**الْجَمِيعِ**)) **أَيْ** : جَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ ، وَالْمُسْتَحِيلَاتِ ، وَالْجَائِزَاتِ ؛ صِلَةُ ((**لَا يُسَامُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَإِهْمَالِ السِينِ ؛ **أَيْ** : لَا يُمَاثَلُ ، كَمَا لَا يُمَاثَلُ فِي ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

لِلْقُدْرَةِ سَبْعُ تَعَلُّقَاتٍ :

١ – **الْأَوَّلُ** : تَعَلُّقٌ صُلُوحِيٌّ قَدِيمٌ، وَهُوَ كَوْنُهَا صَالِحَةً فِي الْأَزَلِ لِلْإِيجَادِ وَالْإِعْدَامِ فِيمَا لَا يَزَالُ .

٢ – **وَالثَّانِي** : تَعَلُّقٌ قَبْضَةٍ ، وَهُوَ تَعَلُّقُهَا بِالْمُمْكِنِ فِيمَا لَا يَزَالُ قَبْلَ وُجُودِهِ ، **بِمَعْنَى** : أَنَّهُ فِي قَبْضَتِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَبْقَاهُ عَلَى عَدَمِهِ ، وَإِنْ شَاءَ أَوْجَدَهُ بِهَا .

٣ – **وَالثَّالِثُ** : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ حَادِثٌ ، وَهُوَ إِيجَادُ اللهِ تَعَالَى الْمُمْكِنَ فِيمَا لَا يَزَالُ .

٤ – **وَالرَّابِعُ** : تَعَلُّقُ قَبْضَةٍ أَيْضًا ، وَهُوَ تَعَلُّقُهَا بِالْمُمْكِنِ حَالَةَ وُجُودِهِ ، **بِمَعْنَى** : أَنَّهُ فِي قَبْضَتِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَبْقَاهُ عَلَى وُجُودِهِ ، وَإِنْ شَاءَ أَعْدَمَهُ بِهَا .

٥ – **وَالْخَامِسُ** : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ حَادِثٌ أَيْضًا ، وَهُوَ تَعَلُّقُهَا بِالْمُمْكِنِ الْمَوْجُودِ فَتُعْدِمُهُ .

٦ – **وَالسَّادِسُ** : تَعَلُّقُ قَبْضَةٍ أَيْضًا ، وَهُوَ تَعَلُّقُهَا بِالْمُمْكِنِ بَعْدَ عَدَمِهِ ، **بِمَعْنَى** : أَنَّهُ فِي قَبْضَتِهَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ

… …

أَبْقَاهُ عَلَى عَدَمِهِ ، وَإِنْ شَاءَ أَوْجَدَهُ بِهَا .

٧ – **وَالسَّابِعُ** : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ حَادِثٌ أَيْضًا ، وَهُوَ تَعَلُّقُهَا بِالْمُمْكِنِ الْمَعْدُومِ ، فَتُوجِدُهُ حِينَ الْبَعْثِ .

(الثَّانِي) :

لِلْإِرَادَةِ ثَلَاثُ تَعَلُّقَاتٍ :

١ – **الْأَوَّلُ** : تَعَلُّقٌ صُلُوحِيٌّ قَدِيمٌ ، وَهُوَ صَلَاحِيَتُهَا أَزَلًا لِتَخْصِيصِ الْمُمْكِنِ بِكُلِّ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ .

٢ – **وَالثَّانِي** : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ قَدِيمٌ ، وَهُوَ تَخْصِيصُهَا الْمُمْكِنَ أَزَلًا بِبَعْضِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ .

٣ – **وَالثَّالِثُ** : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ حَادِثٌ ، وَهُوَ تَخْصِيصُهَا الْمُمْكِنَ بِبَعْضِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ حِينَ إِيجَادِهِ أَوْ إِعْدَامِهِ ؛ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ لَيْسَ تَعَلُّقًا مُسْتَقِلًّا ، وَإِنَّمَا هُوَ إِظْهَارٌ لِلتَّنْجِيزِيِّ الْقَدِيمِ ؛ وَعَلَيْهِ ، **فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا تَعَلُّقَانِ** :

١ – صُلُوحِيٌّ قَدِيمٌ

٢ – وَتَنْجِيزِيٌّ كَذَلِكَ .

(الثَّالِثُ) :

لِلْعِلْمِ تَعَلُّقٌ وَاحِدٌ فَقَطْ عَلَى الصَّحِيحِ ، وَهُوَ : تَنْجِيزِيٌّ قَدِيمٌ ، وَهُوَ تَعَلُّقُهُ بِالْأَشْيَاءِ بِالْفِعْلِ أَزَلًا ، فَيَعْلَمُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْأَشْيَاءَ فِي الْأَزَلِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ ، وَكَوْنَهَا وُجِدَتْ فِي الْمَاضِي ، أَوْ مَوْجُودَةً فِي الْحَالِ ، أَوْ تُوجَدُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ . أَطْوَارٌ فِي الْمَعْلُومَاتِ ، لَا تُوجِبُ تَغَيُّرًا فِي تَعَلُّقِ الْعِلْمِ ، فَالْمُتَغَيِّرُ إِنَّمَا هُوَ صِفَةُ الْمَعْلُومِ ، لَا تَعَلُّقُ الْعِلْمِ ، **يَعْنِي** : أَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى يَتَعَلَّقُ أَزَلًا بِوُجُودِ زَيْدٍ مَثَلًا فِي وَقْتٍ خَاصٍّ ، وَزَيْدٌ قَبْلَ وُجُودِهِ يُوصَفُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ ، وَبَعْدَهُ يُوصَفُ بِأَنَّهُ كَانَ ؛ وَأَمَّا تَعَلُّقُ الْعِلْمِ بِوُجُودِهِ فِيهِ فَهُوَ أَزَلِيٌّ ، لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ ، وَلَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ الْوَصْفُ بِأَنَّهُ كَانَ ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ لَهُ " تَعَلُّقٌ صُلُوحِيٌّ قَدِيمٌ " وَ " تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ حَادِثٍ " .

(الرَّابِعُ) :

لِلسَّمْعِ ، وَالْبَصَرِ ، وَالْإِدْرَاكِ – عَلَى الْقَوْلِ بِهِ – تَعَلُّقَاتٌ ثَلَاثَةٌ :

١ – **الْأَوَّلُ** : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ قَدِيمٌ، وَهُوَ تَعَلُّقُهَا أَزَلًا بِذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ .

٢ – **وَالثَّانِي** : تَعَلُّقٌ صُلُوحِيٌّ قَدِيمٌ، وَهُوَ تَعَلُّقُهَا بِالْمَوْجُودِ الْجَائِزِ قَبْلَ وُجُودِهِ .

٣ – **وَالثَّالِثُ** : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ حَادِثٌ ، وَهُوَ تَعَلُّقُهَا بِالْمَوْجُودِ كَذَلِكَ بَعْدَ وُجُودِهِ .

… …

(الْخَامِسُ) :

لِلْكَلَامِ ثَلَاثُ تَعَلُّقَاتٍ :

١ – الْأَوَّلُ : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ قَدِيمٌ ، وَهُوَ تَعَلُّقُهُ بِغَيْرِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فَيَتَعَلَّقُ بِالْوَاجِبِ ، كَذَاتِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ ، **أَيْ** : يَدُلُّ أَزَلًا عَلَى أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَاجِبَةٌ ؛ وَبِالْمُسْتَحِيلِ ، كَالشَّرِيكِ ، **أَيْ** : يَدُلُّ أَزَلًا عَلَى أَنَّ الشَّرِيكَ مُسْتَحِلٌ ؛ وَبِالْجَائِزِ ، كَوَلَدٍ لِزَيْدٍ ، **أَيْ** : يَدُلُّ أَزَلًا عَلَى أَنَّ وَلَدَ زَيْدٍ جَائِزٌ ؛ وَيَتَعَلَّقُ أَيْضًا بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَغَيْرِهِمَا ، **أَيْ** : يَدُلُّ أَزَلًا عَلَى أَنَّ مَنْ أَطَاعَ اللهَ تَعَالَى فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ عَصَاهُ فَلَهُ النَّارُ … وَهَكَذَا .

٢ – وَالثَّانِي : تَعَلُّقٌ صُلُوحِيٌّ قَدِيمٌ، وَهُوَ تَعَلُّقُهُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ إِنِ اشْتُرِطَ فِيهِمَا وُجُودُ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ ، فَيَتَعَلَّقُ بِهِمَا قَبْلَ وُجُودِهِمَا تَعَلُّقًا صُلُوحِيًّا قَدِيمًا ، فَإِنْ لَمْ يُشْتَرَطْ فِيهِمَا ذَلِكَ ، فَيَتَعَلَّقُ بِهِمَا تَعَلُّقًا تَنْجِيزِيًّا قَدِيمًا .

٣ – وَالثَّالِثُ : تَعَلُّقٌ تَنْجِيزِيٌّ حَادِثٌ ، وَهُوَ تَعَلُّقُهُ بِهِمَا بَعْدَ وُجُودِهِمَا .

********* ********* *******

[فَصْلٌ فِي الْمَعْنَوِيَّةِ]

١٧٧ – وَالسَّبْعُ لَازَمَتْ صِفَاتٍ تُسْمَى ... بِـ (مَعْنَوِيَّةٍ) إِلَيْهَا تُنْمَى

١٧٨ – كَوْنُ الْإِلَهِ : عَالِمًا، قَدِيرَا ... حَيًّا ، مُرِيدًا ، سَامِعًا ، بَصِيرَا

١٧٩ – وَذَا كَلَامٍ ، وَالْمَقَالُ حَالِ ... بِعَدِّهَا عَلَى ثُبُوتِ الْحَالِ

١٨٠ – وَاسِطَةً بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمْ ... وَنَهْجُهَا تَشْكُو الْوَجَا فِيهِ الْقَدَمْ

١٨١ – وَمَنْ نَفَى الْحَالَ فَقَدْ رَآهَا ... عِبَارَةً عَنْ تِلْكَ لَا سِوَاهَا

١٨٢ – وَمُثْبِتُ الْإِدْرَاكِ يُجْرِيهِ عَلَى ... أَحْكَامِ هَذِي السَّبْعِ مِثْلَ مَا خَلَا

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ الصِّفَاتِ **[الْمَعْنَوِيَّةِ وَ]** الصِّفَاتِ ((**السَّبْعُ**)) الْمَعَانِي الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا ((**لَازَمَتْ**)) **هَا**

((**صِفَاتٍ**)) سَبْعٌ أَيْضًا ((**تُسْمَى**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَسُكُونِ السِّينِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ ؛ فِي اصْطِلَاحِ الْمُتَكَلِّمِينَ

((**بِـ " مَعْنَوِيَّةٍ " إِلَيْهَا**)) **أَي** : الْمَعَانِي ؛ صِلَةُ ((**تُنْمَى**)) بِضمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ **أَيْ** : تُنْسَبُ ، وَهِيَ

((**كَوْنُ الْإِلَهِ**)) **أَي** : اللهِ الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ ، الْمُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ نَقصٍ ، الْمَوْصُوفِ بِكُلِّ كَمَالٍ ((**عَالِمًا**)) اللَّازِمُ لِلْعِلْمِ ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**قَدِيرًا**)) اللَّازِمُ لِلْقُدْرَةِ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**حَيًّا**)) اللَّازِمُ لِلْحَيَاةِ ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مُرِيدًا**)) اللَّازِمُ لِلْإِرَادَةِ ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**سَامِعًا**)) اللَّازِمُ لِلسَّمْعِ ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَكَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بَصِيرًا**)) اللَّازِمُ لِلْبَصَرِ ، ((**وَ**)) كَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**ذَا**)) **أَيْ** : صَاحِبَ ((**كَلَامٍ**)) **أَيْ** : مُتَكَلِّمًا ، اللَّازِمُ لِلْكَلَامِ ((**وَالْمَقَالُ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ؛ **أَي** : الْقَوْلُ ((**حَالِ**)) بِإِهْمَالِ الْحَاءِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ ، اِسْمُ فَاعِلٍ " حَلَى " **أَيْ** : صَحِيحٌ، خَبَرًا لِ ((**مَقَالُ**)) .

((**بِعَدِّهَا**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَكَسْرِ الدَّالِ مُشَدَّدَةً ؛ **أَيْ** : الْمَعْنَوِيَّةِ مِنَ الصِّفَاتِ؛ صِلَةُ ((**مَقَالُ**)) .

وَصِلَةُ ((**حَالِ**)) : ((**عَلَى ثُبُوتِ الْحَالِ**)) حَالَ كَوْنِهِ ((**وَاسِطَةً**)) **أَيْ** : مُتَوَسِّطًا ((**بَيْنَ**)) ذِي ((**الْوُجُودِ**)) **أَي** : الْمَوْجُودِ ((**وَ**)) ذِي ((**الْعَدَمْ**)) **أَي** : الْمَعْدُومِ ، **أَيْ** : وَصْفٌ ثَابِتٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، لَيْسَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا ((**وَنَهْجُهَا**)) **أَيْ** : طَرِيقُ إِثْبَاتِ الْحَالِ مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْمَعْدُومِ وَالْمَوْجُودِ ((**تَشْكُو**)) مِنَ الشَّكْوَى ، تَشْتَكِي ((**الْوَجَا**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ وَالْجِيمِ ؛ **أَيْ** : الْأَلَمَ ؛ مَفْعُولُ ((**تَشْكُو**)) .

((**فِيهِ**)) **أَيْ** : نَهْجِهَا . وَفَاعِلُ ((**تَشْكُو**)) : ((**الْقَدَمْ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ وَالدَّالِ؛ **يَعْنِي** : أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى إِثْبَاتِ الْحَالِ وَاسِطَةً ، أَعْيَا الْعُقُولَ ، وَطَالَ فِيهِ الْقَوْلُ . ((**وَمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَي** : الْعَالِمُ الَّذِي ((**نَفَى الْحَالَ**)) وَأَحَالَ الْوَاسِطَةَ بَيْنُ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((**فَقَدْ رَآهَا**)) **أَي** : اعْتَقَدَ " الْمَعْنَوِيَّةَ " ((**عِبَارَةً**)) **أَيْ** : لَفْظًا مُعَبَّرًا بِهِ ((**عَنْ**)) قِيَامِ ((**تِلْكَ**)) **أَي** : الْمَعَانِي بِالذَّاتِ ((**لَا سِوَا**))

قِيَامِ ((**هَا**)) بِهَا ، وَأَنَّ الْوُجُودَ عَيْنُ الْمَوْجُودِ ، لَا شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَيْهِ .

((**وَمُثْبِتُ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الْمُثَلَّثَةِ ، وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيْ** : مَنْ قَالَ بِثُبُوتِ ((**الْإِدْرَاكِ**)) مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِي زَائِدًا عَلَى السَّبْعِ ((**يُجْرِيهِ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْجِيمِ، وَكَسْرِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : يَحْمِلُ أَحْكَامَ الْإِدْرَاكِ

... ...

((عَلَى أَحْكَامِ هَذِي)) الصِّفَاتِ ((السَّبْعِ)) الْمَعَانِي ، فَيَقُولُ : لَهُ صِفَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ لَازِمَةٌ لَهُ ، وَهُوَ كَوْنُهُ مُدْرِكًا ، وَهُوَ وَصْفٌ ثَابِتٌ ، لَيْسَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا عَلَى ثُبُوتِ " الْحَالِ " ؛ وَمَنْ نَفَاهَا قَالَ : هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قِيَامِهِ بِالذَّاتِ لَا غَيْرَ ؛ وَذِلَكَ ((مِثْلَ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((مَا)) **أَيِ** : الَّذِي ((خَلَا)) بِإِعْجَامِ الْخَاءِ ؛ **أَيْ** : مَضَى .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« الْمَعْنَوِيَّةُ أَحْوَالٌ مُعَلَّلَةٌ فِي التَّعَقُّلِ بِصِفَاتِ الْمَعَانِي ، وَلِذَا نُسِبَتْ إِلَى الْمَعْنَى ، فَقِيلَ فِيهَا : " مَعْنَوِيَّةٌ " ؛ وَكَانَتْ عَلَى عَدَدِ صِفَاتِ الْمَعَانِي ، وَهِيَ كَوْنُهُ تَعَالَى :

١ – قَادِرًا

٢ – وَمُرِيدًا

٣ – وَعَالِمًا

٤ – وَحَيًّا

٥ – وَسَمِيعًا

٦ – وَبَصِيرًا

٧ – وَمُتَكَلِّمًا .

٨ – وَمُدْرِكًا

عَلَى الْقَوْلِ بِهِ .

فَالْكَوْنُ الْمَذْكُورُ صِفَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ الْأَحْوَالِ ؛ وَالْحَالُ عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا – كَالْبَاقِلَّانِيِّ وَإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ – صِفَةٌ ثُبُوتِيَّةٌ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ وَلَا مَعْدُومَةٍ ، تَقُومُ بِمَوْجُودٍ – كَالْكَوْنِ الْمَذْكُورِ – وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِـ " الْقَادِرِيَّةِ " وَ" الْعَالِمِيَّةِ " مَثَلًا ، فَهُمَا غَيْرُ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ ، وَغَيْرُ قِيَامِهِمَا بِالْمَحَلِّ ، بَلِ " الْقَادِرِيَّةُ " وَ" الْعَالِمِيَّةُ " صِفَتَانِ لَازِمَتَانِ لِقِيَامِ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ ، بِالْمَحَلِّ ، وَاللَّازِمُ غَيْرُ الْمَلْزُومِ ، أَلَا تَرَاكَ تَقُولُ : " قَامَ بِهِ الْعِلْمُ ، فَكَانَ عَالِمًا " . فَتَعْطِفُ بِالْفَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّسَبُّبِ ؟ .

نَظِيرُهُ فِي الصِّفَاتِ الْحَادِثَةِ : الْبَيَاضُ وَالْأَبْيَضِيَّةُ ، فَهُمَا مُتَغَايِرَانِ ، وَالْأَبْيَضِيَّةُ لَازِمَةٌ لِقِيَامِ الْبَيَاضِ بِالْمَحَلِّ ؛ تَقُولُ :

" قَامَ بِهِ الْبَيَاضُ ، فَكَانَ أَبْيَض " .

فَإِنْ قِيلَ : يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ " الْمَعْنَوِيَّةِ " مُسَبَّبَةً عَنِ الْمَعَانِي ، وَمُرَتَّبَةً عَلَيْهَا ، وَمُعَلَّلَةً بِهَا : أَنْ تَكُونَ حَادِثَةً ؛ وَاتِّصَافُ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ بِالْحَوَادِثِ مُحَالٌ ! .

قُلْنَا : السَّبَبِيَّةُ ، وَالتَّرْتِيبُ ، وَالتَّعْلِيلُ – بِحَسَبِ التَّعَقُّلِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ – لَا تُوجِبُ تَرَتُّبًا فِي الْخَارِجِ ، وَتَقَدُّمًا وَتَأَخُّرًا ، حَتَّى يَلْزَمَ الْحُدُوثُ ؛ وَنَفَى الْأَشْعَرِيُّ الْحَالَ ، وَقَالَ : لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ ؛ وَكَوْنُ الذَّاتِ عَالِمَةً هُوَ عَيْنُ قِيَامِ الْعِلْمِ بِهَا ، لَا زَائِدٌ عَلَيْهَا؛ وَقِيَامُ الصِّفَةِ بِمَوْصُوفِهَا وَصْفٌ نَفْسِيٌّ لَهَا ، لَا يُوجِبُ لِمَحَلِّهَا صِفَةً أُخْرَى .

… ..

وَعَلَى كِلَا الْمَذْهَبَيْنِ : لَا تَحَقُّقَ لِلْكَوْنِ الْمَذْكُورِ دُونَ قِيَامِ صِفَاتِ الْمَعَانِي بِالذَّاتِ ؛ فَمَا زَعَمَتْهُ الْمُعْتَزِلَةُ مِنْ كَوْنِهِ تَعَالَى قَادِرًا لِذَاتِهِ ، لَا لِقِيَامِ الْقُدْرَةِ بِهِ ؛ وَكَوْنِهِ مُرِيدًا لِذَاتِهِ ، لَا لِقِيَامِ الْإِرَادَةِ بِهِ ؛ وَكَوْنِهِ عَالِمًا لِذَاتِهِ ، لَا لِقِيَامِ الْعِلْمِ بِهِ … وَهَكَذَا ، غَيْرُ مَعْقُولٍ ، بَلْ نَفْيُهُمْ لِلْمَعَانِي مَلْزُومٌ لِنَفْيِ الْكَوْنِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا الْمُسَمَّى بِـ " الْمَعْنَوِيَّةِ " ، ضَرُورَةَ أَنَّ نَفْيَ الْمَلْزُومِ يُوجِبُ نَفْيَ اللَّازِمِ الْمُسَاوِي الْمُسَمَّى بِـ " الْمَعْنَوِيَّةِ " ، وَنَفْيُهَا كُفْرٌ ؛ **فَإِنْ قُلْنَا** : لَازِمُ الْقَوْلِ يُعَدُّ قَوْلًا . كَفَّرْنَاهُمْ وَإِلَّا فَلَا ؛ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ ؛ وَلِلْإِمَامِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَالْقَاضِي فِيهِمْ قَوْلَانِ ؛ وَسُئِلَ مَالِكٌ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – مَرَّةً : أَكُفَّارٌ هُمْ ؟ فَقَالَ : مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا .

يَعْنِي : أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَفَوْا صِفَاتِ الْمَعَانِي حَذَرًا مِنَ الْقَوْلِ بِتَعَدُّدِ الْقُدَمَاءِ الْمُوجِبِ لِلْكُفْرِ .
وَجَوَابُهُمْ : أَنَّ تَعَدُّدَ الْقُدَمَاءِ إِنَّمَا هُوَ مَحْذُورٌ فِي ذَوَاتٍ ، لَا فِي ذَاتٍ وَصِفَاتٍ » . اهـ .

********* ********* *******

[فَصْلٌ فِي التَّعَلُّقِ]

١٨٣ – وَاخْتَلَفَ الْأَشْيَاخُ فِي التَّعَلُّقِ فَقِيلَ: نَفْسِيٌّ لَدَى التَّحَقُّقِ
١٨٤ – أَيْ : طَلَبُ الصِّفَاتِ زَائِدًا عَلَى قِيَامِهَا بِذَاتِ مَوْصُوفٍ عَلَا

١٨٥ – كَالْكَشْفِ بِالْعِلْمِ وَكَالدَّلَالَةْ مِنَ الْكَلَامِ وَصْفِ ذِي الْجَلَالَةْ
١٨٦ – لَكِنَّ ذَا الْقَوْلَ لِوَصْفِ الْحَالِ بِالْحَالِ أَفْضَى ، وَهْوَ ذُو إِشْكَالِ
١٨٧ – فِي قَوْلِ مَنْ لِلْمَعْنَوِيَّةِ الْتَزَمْ وَبِالتَّعَلُّقِ لَهَا أَيْضًا جَزَمْ
١٨٨ – وَقِيلَ : نِسْبَةٌ ، وَلِلْفَخْرِ انْتَمَى ذَا الْقَوْلُ ، وَالسَّعْدُ ارْتَضَاهُ وَاعْتَمَى

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ مَعْنَى [التَّعَلُّقِ]

((**وَاخْتَلَفَ الْأَشْيَاخُ**)) **أَيِ** : الْمُتَكَلِّمُونَ ((**فِي**)) حَقِيقَةِ وَمَعْنَى ((**التَّعَلُّقِ فَقِيلَ :**)) وَصْفٌ ((**نَفْسِيٌّ**)) لِلصِّفَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ ((**لَدَى**)) **أَيْ** : عِنْدَ ((**التَّحَقُّقِ**)) **أَيِ** : التَّأَمُّلِ الصَّادِقِ ، وَالِاسْتِدْلَالِ الْيَقِينِيِّ .
وَهَذَا قَوْلُ الْإِمَامِ الْأَشْعَرِيِّ وَجُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ .

وَفَسَّرَ الْوَصْفَ النَّفْسِيَّ فَقَالَ : ((**أَيْ : طَلَبُ**)) **أَيِ** : اسْتِلْزَامُ ((**الصِّفَاتِ**)) الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ شَيْئًا ((**زَائِدًا عَلَى قِيَامِهَا بِذَاتِ مَوْصُوفٍ**)) بِهَا جَلَّ وَ((**عَلَا**)) عُلُوًّا مَعْنَوِيًّا ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
وَمَثَّلَ لِلتَّعَلُّقِ فَقَالَ : ((**كَالْكَشْفِ**)) **أَيْ** : الِاتِّضَاحِ وَرَفْعِ الْخَفَاءِ ((**بِالْعِلْمِ وَكَالدَّلَالَةْ مِنَ الْكَلَامِ وَصْفِ**)) اللهِ ((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ ((**الْجَلَالَةْ**)) **أَيِ** : الْعَظَمَةِ وَالِاتِّصَافِ بِكُلِّ كَمَالٍ .
فَالْعِلْمُ وَصْفٌ مَوْجُودٌ ، مُسْتَلْزِمٌ شَيْئًا زَائِدًا عَلَى قِيَامِهِ بِالذَّاتِ يَنْكَشِفُ بِهِ ؛ وَالْإِرَادَةُ صِفَةٌ مَوْجُودَةٌ ، مُسْتَلْزِمَةٌ شَيْئًا زَائِدًا عَلَى قِيَامِهَا بِالذَّاتِ ، يَتَخَصَّصُ بِهَا ؛ وَالْقُدْرَةُ صِفَةٌ مَوْجُودَةٌ ، مُسْتَلْزِمَةٌ شَيْئًا زَائِدًا عَلَى قِيَامِهَا بِمَحَلِّهَا ، يَتَأَتَّى بِهَا إِيجَادُهُ ... وَهَكَذَا بَاقِي الْمَعَانِي إِلَّا الْحَيَاةَ ، فَإِنَّهَا لَا تَسْتَلْزِمُ شَيْئًا زَائِدًا عَلَى قِيَامِهَا بِمَحَلِّهَا .
((**لَكِنَّ**)) هَـ ((**ذَا الْقَوْلَ**)) بِأَنَّ التَّعَلُّقَ نَفْسِيٌّ لِصِفَةِ الْمَعْنَى الْمُتَعَلِّقَةِ ((**لِوَصْفِ الْحَالِ**)) **أَيِ** : الصِّفَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ ((**بِالْحَالِ**)) **أَيِ** : التَّعَلُّقِ ؛ صِلَةُ ((**وَصْفِ**)) ، وَ((**لِوَصْفِ**)) صِلَةٌ ، وَعِلَّةٌ ((**أَفْضَى**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ، آخِرُهُ ضَادٌ مُعْجَمَةٌ ؛ **أَيْ** : أَدَّى وَاسْتَلْزَمَ ((**وَ**)) الْحَالُ ((**هُوَ**)) **أَيِ** : الْقَوْلُ بِأَنَّهُ نَفْسِيٌّ

((**ذُو**)) أَيْ : صَاحِبُ ((**إِشْكَالِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : خَفَاءٍ ((**فِي قَوْلِ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ؛ **أَيِ** : الْعَالِمِ الَّذِي ((**لِلْمَعْنَوِيَّةِ**)) صِلَةُ ((**الْتَزَمْ**)) وَلَامُهُ مُقَوِّيَةٌ ((**وَبِالتَّعَلُّقِ**)) صِلَةُ ((**جَزَمْ**)) . ((**لَهَا**)) **أَيِ** : الْمَعْنَوِيَّةِ

((**أَيْضًا**)) **أَيْ** : كَمَا أَنَّ لِلْمَعَانِي تَعَلُّقًا ((**جَزَمْ**)) ؛ وَوَجْهُ الْإِشْكَالِ : أَنَّ " الْمَعْنَوِيَّةَ " حَالٌ ، وَالتَّعَلُّقُ حَالٌ ، فَلَزِمَهُ قِيَامُ الْحَالِ بِالْحَالِ ، وَهُوَ مُحَالٌ ، لِأَنَّ التَّعَلُّقَ تَأْثِيرٌ ، وَهُوَ لَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا مِنْ مَوْجُودٍ ، وَلَا وُجُودَ لِلْحَالِ .
((**وَقِيلَ :**)) التَّعَلُّقُ ((**نِسْبَةٌ**)) **أَيْ** : إِضَافَةٌ بَيْنَ الصِّفَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ وَمُتَعَلَّقِهَا ، كَالْأُبُوَّةِ بَيْنَ الْأَبِ وَابْنِهِ ،

١٨٩ – وَمُسْنِدُ الْأَحْكَامِ لِلصِّفَاتِ فَقَطْ إِلَى الْمَجَازِ ذُو الْتِفَاتِ
١٩٠ – وَالْحَقُّ أَنْ تُسْنَدَ لِلذَّاتِ الَّتِي قَدْ وُصِفَتْ بِذِي الصِّفَاتِ جَلَّتِ
١٩١ – هَذَا الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الْمُقْتَرَحْ وَغَيْرُهُ، وَالصَّدْرُ مِنْ ذَاكَ انْشَرَحْ
١٩٢ – وَقَوْلُهُمْ : (سُبْحَانَ مَنْ تَوَاضَعَا كُلٌّ لِعِزِّهِ) أَبَى مَنْ نَازَعَا

((وَلِـ)) لِلْإِمَامِ ((الْفَخْرِ)) الرَّازِيِّ ، صِلَةُ ((انْتَمَى)) **أَيْ** : انْتَسَبَ هَـ ((ـذَا الْقَوْلُ)) **أَيْ** : كَوْنُهُ نِسْبَةً

((وَ)) الْعَلَّامَةُ ((السَّعْدُ)) التَّفْتَازَانِيُّ ((ارْتَضَاهُ)) **أَيْ** : كَوْنُهُ نِسْبَةً ((وَاعْتَمَى)) بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛ مُرَادِفُ " ارْتَضَى " ، وَرَدَّهُ الْمُقْتَرَحُ ، **وَقَالَ** : إِنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ التَّحْقِيقِ .

((وَمُسْنِدُ)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ((الْأَحْكَامِ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْكَشْفِ ، وَالتَّخْصِيصِ ، وَالْإِيجَادِ

((لِلصِّفَاتِ)) بِقَوْلِهِ : كَشَفَ الْعِلْمُ ، وَالْبَصَرُ ، وَالسَّمْعُ مَا خَفِيَ ؛ وَخَصَّصَتِ الْإِرَادَةُ ؛ وَأَوْجَدَتِ الْقُدْرَةُ .
((فَقَطْ)) **أَيْ** : دُونَ الذَّاتِ ((إِلَى الْمَجَازِ)) **أَيِ** : اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ هُوَ لَهُ ، لِعِلَاقَةٍ وَقَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ مَا وُضِعَ هُوَ لَهُ . صِلَةُ ((الْتِفَاتِ)) . وَخَبَرُ ((مُسْنِدُ)) : ((ذُو)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((الْتِفَاتِ)) **أَيْ** : قَصْدٍ وَاعْتِبَارٍ . ((وَالْحَقُّ)) **أَيِ** : الْحَقِيقَةُ ((أَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ، صِلَتُهُ ((تُسْنَدَ)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ **أَيِ** : الْأَحْكَامُ ((لِلذَّاتِ الَّتِي قَدْ وُصِفَتْ)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ((بِـ)) هَـ ((ـذِي الصِّفَاتِ)) بِأَنْ يُقَالَ : عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِعِلْمِهِ كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَخَصَّصَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِإِرَادَتِهِ كُلَّ مُمْكِنٍ بِمَا جَازَ عَلَيْهِ ؛ وَخَلَقَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِقُدْرَتِهِ كُلَّ حَادِثٍ ؛ وَسَمِعَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِسَمْعِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ ؛ وَأَبْصَرَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِبَصَرِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ ؛ وَدَلَّ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِكَلَامِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .
((جَلَّتِ)) **أَيْ** : عَظُمَتْ وَاتَّصَفَتْ بِكُلِّ كَمَالٍ .
((هَذَا)) **أَيْ** : إِسْنَادُ الْأَحْكَامِ حَقِيقَةً لِذَاتِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْمَوْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَلِصِفَاتِ الْمَعَانِي مَجَازًا ، هُوَ ((الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الْمُقْتَرَحْ)) بِفَتْحِ الرَّاءِ ((وَغَيْرُهُ ، وَالصَّدْرُ)) **أَيِ** : الْقَلْبُ ((مِنْ ذَاكَ)) **أَيِ** : الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الْمُقْتَرَحُ وَغَيْرُهُ ؛ صِلَةُ ((انْشَرَحْ)) .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :
« هَهُنَا نَظَرٌ ، وَهُوَ أَنَّ التَّأْثِيرَ لِلْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ حَقِيقِيَّةٌ ، أَوْ لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ بِوَاسِطَةِ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ ! .
الْجَوَابُ : أَنَّ الْحَقَّ أَنَّ إِسْنَادَ التَّأْثِيرِ إِلَى الذَّاتِ حَقِيقَةً ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧]

أَيْ : بِقُدْرَتِنَا .
وَإِسْنَادُهُ إِلَى الصِّفَةِ مَجَازٌ ، كَمَا لَوْ قُلْتَ : هَذَا الْجَبَلُ أَوْجَدَتْهُ قُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى . خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ الْعَكْسَ .
ذَكَرَ هَذَا الْخِلَافَ الدُّرْعِيُّ وَغَيْرُهُ . وَعَلَى الْأَوَّلِ : فَهَلْ يُمْنَعُ التَّجَوُّزُ فِي الْإِسْنَادِ إِلَّا حَيْثُ سُمِعَ أَوْ لَا ؟ قَوْلَانِ » .
اِنْتَهَى .

… …

((**وَقَوْلَهُمْ :**)) **أَيِ** : النَّاسِ ؛ مَفْعُولُ ((**أَبَى**)) الآتِي ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُضَافٌ لِفَاعِلِهِ ؛ وَمَفْعُولُهُ :

((**سُبْحَانَ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهِ الَّذِي ((**تَوَاضَعَا**)) أَلِفُهُ إِطْلَاقِيَّةٌ ؛ وَفَاعِلُ ((**تَوَاضَعَ**)) : ((**كُلٌّ**)) مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ؛ وَصِلَةُ ((**تَوَاضَعَ**)) : ((**لِعِزِّهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**أَبَى**)) بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيْ** : مَنَعَ ؛ وَفَاعِلُهُ : ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْعَالِمُ الَّذِي ((**نَازَعَا**)) أَلِفُهُ إِطْلَاقِيَّةٌ ؛ **أَيْ** : خَالَفَ فِي صِحَّةِ إِسْنَادِ الْأَحْكَامِ إِلَى الْمَعَانِي مَجَازًا .

وَقَوْلُهُ ضَعِيفٌ ، فَإِنَّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ وَالْإِجْمَاعُ أَنَّ التَّوَاضُعَ لَهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ بِكُلِّ حَالٍ بِاعْتِبَارِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ** ﴿٤﴾ ﴾ [الشعراء : ٤] ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » .

وَقَالَ الشَّيْخُ الْأُبِّيُّ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ » :
« أُخِذَ مِنْهُ صِحَّةُ : " سُبْحَانَ مَنْ تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ " . وَقَوْلِ الْخَطِيبِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ : " اجْتَمَعْنَا مُتَضَرِّعِينَ لِعَظَمَتِكَ " .

قَالَ الْإِمَامُ الْقَرَافِيُّ فِي [فُرُوقِ]هِ :
" (**السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ**) :
إِذَا قَالَ الْقَائِلُ : " سُبْحَانَ مَنْ تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ " . هَلْ يَجُوزُ هَذَا أَمْ لَا ؟ .
فَقَالَ بَعْضُ فُقَهَاءِ الْعَصْرِ : لَا يَجُوزُ ، لِأَنَّ عَظَمَةَ اللهِ تَعَالَى صِفَتُهُ ، وَالتَّوَاضُعُ لِلصِّفَةِ عِبَادَةٌ لَهَا ، وَالْعِبَادَةُ لِلصِّفَةِ كُفْرٌ ، بَلْ لَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، وَلَوْ عَبَدَ عَابِدٌ عِلْمَ اللهِ تَعَالَى ، أَوْ إِرَادَتَهُ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ ، كَفَرَ .

وَقَالَ قَوْمٌ : يَجُوزُ هَذَا الْإِطْلَاقُ .
وَهُوَ الصَّحِيحُ ؛ وَعَظَمَةُ اللهِ تَعَالَى هُوَ الْمَجْمُوعُ مِنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ ، وَهَذَا الْمَجْمُوعُ هُوَ الْإِلَهُ الَّذِي يَجِبُ تَوْحِيدُهُ ، وَلَا ثَانِيَ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ لَهُ التَّوَاضُعُ ، كَمَا تَقُولُ : " عَظَمَةُ الْمَلِكِ جَيْشُهُ ، وَأَمْوَالُهُ ، وَأَقَالِيمُهُ الَّتِي اسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَسَطْوَتُهُ " ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وَقَعَتْ بِهِ الْعَظَمَةُ فِي دَوْلَتِهِ . كَذَلِكَ عَظَمَةُ اللهِ تَعَالَى هِيَ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا مَعَ ذَاتِهِ ، فَهِيَ أَيْضًا مُوجِبَاتُ الْعَظَمَةِ .
فَإِنْ أَرَادَ الْمُطْلِقُ هَذَا الْمَعْنَى ، أَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ نِيَّةٌ ، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ ؛ وَإِنْ أَرَادَ صِفَةً وَاحِدَةً مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ حَصَلَ لَهَا التَّوَاضُعُ ، امْتَنَعَ ، وَرُبَّمَا كَانَ كُفْرًا ، وَهُوَ الظَّاهِرُ . وَإِنْ أَرَادَ بِالتَّوَاضُعِ غَيْرَ الْعِبَادَةِ – وَهُوَ الْقَهْرُ وَالِانْقِيَادُ لِإِرَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ – فَالتَّوَاضُعُ بِهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا سَائِغٌ ، وَلَا مَحْذُورَ فِيهِ ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُهُ ؛ فَهَذَا تَلْخِيصُ الْحَقِّ فِي الْمَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى فِيهَا " . هَذَا كَلَامُهُ .

… …

قَالَ مُحَشِّيهِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الشَّاطِّ :

" مَا صَحَّحَ هُوَ الصَّحِيحُ ، لِأَنَّ الْعَظَمَةَ عِبَارَةٌ جَامِعَةٌ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالتَّوَاضُعِ وَالتَّصَاغُرِ وَالتَّضَاؤُلِ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ – مَا عَدَا الذَّاتَ الْكَرِيمَةَ ، وَالصِّفَاتِ الْعَظِيمَةَ – مُتَضَائِلٌ مُتَصَاغِرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تِلْكِ الصِّفَاتِ .

وَقَوْلُ الْفَقِيهِ الْعَصْرِيِّ : " إِنَّ التَّوَاضُعَ عِبَادَةٌ " . لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، بَلْ ذَلِكَ دَعْوَى عَرِيَّةٌ عَنِ الْحُجَّةِ ، فَلَا اعْتِبَارَ بِقَوْلِهِ .

قُلْتُ : بَلِ الْحُجَّةُ عَلَى إِبْطَالِهَا ، فَفِي [الْكَشَّافِ] : " الْعِبَادَةُ : أَقْصَى غَايَةِ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ . وَمِنْهُ :

" ثَوْبٌ ذُو عَبْدَةٍ " إِذَا كَانَ فِي غَايَةِ الصَّفَاقَةِ وَقُوَّةِ النَّسْجِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُسْتَعْمَلْ إِلَّا فِي الْخُضُوعِ لِلهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ مُولِي أَعْظَمَ النِّعَمِ ، فَكَانَ حَقِيقًا بِأَقْصَى غَايَةِ الْخُضُوعِ » . اهـ .

وَأَمَّا الْجَوَابُ الْأَوَّلُ الَّذِي ذَكَرَهُ الشِّهَابُ ، فَقَدْ أَبْطَلَهُ مُحَشِّيهِ الْمَذْكُورُ ، وَأَنْكَرَهُ غَايَةَ الْإِنْكَارِ ،

وَقَالَ فِي شَأْنِهِ :

« دَعْوَى أَنَّ " الْعَظَمَةَ " هِيَ مَجْمُوعُ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ بَاطِلَةٌ ، بَلْ هِيَ مَجْمُوعُ الصِّفَاتِ فَقَطْ – عَلَى مَا قَرَّرَهُ هُوَ قَبْلَ هَذَا – وَعَلَى التَّسْلِيمِ ، فَلَيْسَ الْمَجْمُوعُ هُوَ الْمَعْبُودَ ، بَلِ الْمَعْبُودُ : الْمَوْصُوفُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، لَا الصِّفَاتِ ، وَلَا مَجْمُوعِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ ؛ وَلَا يَصِحُّ التَّمْثِيلُ بِـ " عَظَمَةِ الْمَلِكِ " ، فَإِنَّهُ مُفْتَقِرٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَاللهُ غَنِيٌّ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

وَقَوْلُهُ : " فَهِيَ أَيْضًا مُوجِبَاتُ الْعَظَمَةِ " . كَلَامٌ يَقْتَضِي – مَعَ سَابِقِهِ – كَوْنَ الذَّاتِ مُوجِبَةً لِنَفْسِهَا ، وَهُوَ تَخْلِيطٌ .

قَالَ الْفَاضِلُ الشَّيْخُ يس :

" هَذَا كُلُّهُ إِذَا جُعِلَتِ اللَّامُ صِلَةَ ((**تَوَاضَعَ**)) ؛ أَمَّا إِذَا جُعِلَتْ لِلتَّعْلِيلِ ، فَيَنْبَغِي الِاتِّفَاقُ عَلَى جَوَازِهِ » .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي مُنَافِيَاتِ الْمَعَانِي وَالْمَعْنَوِيَّةِ]

١٩٣ - وَمَا يُنَافِي مَا مَضَى الْعَقْلُ حَكَمْ   بِأَنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ كَالْبَكَمْ

١٩٤ - وَمَا لَهُ يَرْجِعُ كَالثُّبُوتِ   لِلْحَرْفِ وَالصَّوْتِ وَكَالسُّكُوتِ

١٩٥ - وَإِنَّمَا كَلَامُهُ الْقَدِيمُ   مَا فِيهِ تَأْخِيرٌ وَلَا تَقْدِيمُ

١٩٦ - نَعَمْ ، وَلَا لَحْنٌ وَلَا إِعْرَابُ   أَوْ كُلٌّ اوْ بَعْضٌ أَوِ اضْطِرَابُ

١٩٧ - إِذْ كُلُّهَا إِلَى الْحُدوثِ انْتَسَبَا   كَكَوْنِ عِلْمِهِ - عَلَا - مُكْتَسَبَا

((**وَمَا**)) **أَيِ** : الْوَصْفُ الَّذِي ((**يُنَافِي مَا**)) **أَيِ** : الصِّفَاتِ الْمَعَانِيَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي ((**مَضَى**)) ذِكْرُهَا

((**الْعَقْلُ حَكَمْ بِأَنَّهُ**)) **أَيْ** : مُنَافِيَ مَا مَضَى ((**مِنَ الْمُحَالِ**)) فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَذَلِكَ الْمُنَافِي

((**كَالْبَكَمْ**)) بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالْكَافِ ؛ **أَيِ** : الْعَجْزِ عَنِ الْكَلَامِ ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلْكَلَامِ .

((**وَ**)) كَـ ((**مَا**)) **أَيِ** : الْوَصْفِ الَّذِي ((**لَهُ**)) **أَيِ** : الْبَكَمِ ؛ صِلَةُ ((**يَرْجِعُ**)) وَالَّذِي يَرْجِعُ لِلْبَكَمِ

((**كَالثُّبُوتِ لِـ**)) جِنْسِ ((**الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ**)) **أَيْ** : كَوْنِ الْكَلَامِ مُرَكَّبًا مِنْ حُرُوفٍ وَأَصْوَاتٍ كَكَلَامِ الْحَوَادِثِ ، لِأَنَّ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ لَمَّا اسْتَحَالَ اجْتِمَاعُهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَلَزِمَ تَقَدُّمُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ ، لَزِمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِحَرْفٍ مِنْهَا أَبْكَمُ عَنْ غَيْرِهِ . ((**وَكَالسُّكُوتِ**)) اللَّازِمِ ، لِلْعَجْزِ عَنْ إِدَامَةِ الْكَلَامِ ، وَالدَّالِّ عَلَى حُدُوثِهِ .

((**وَإِنَّمَا كَلَامُهُ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْقَدِيمُ**)) اِحْتَرَزَ بِهِ عَنْ كَلَامِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ مُؤَلَّفًا مِنْ حُرُوفٍ وَأَصْوَاتٍ ((**مَا**)) **أَيْ** : لَيْسَ ((**فِيهِ**)) **أَيْ** : كَلَامِهِ الْقَدِيمِ ((**تَأْخِيرٌ**)) لِبَعْضِهِ عَنْ بَعْضٍ ((**وَلَا**)) **أَيْ** : لَيْسَ فِيهِ ((**تَقْدِيمُ**)) لِبَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ ((**نَعَمْ**)) بِفَتْحِ النُّونِ وَالْعَيْنِ ؛ حَرْفُ جَوَابٍ لِسُؤَالٍ مُقَدَّرٍ ، **تَقْدِيرُهُ** : وَهَلْ لَا لَحْنَ فِيهِ ... إِلَخْ ؟ .

((**وَلَا لَحْنٌ**)) فِي كَلَامِهِ الْقَدِيمِ ((**وَلَا إِعْرَابُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ((**أَوْ كُلٌّ**)) بِضَمِّ الْكَافِ ؛ **أَيْ** : مُرَكَّبٌ مِنْ أَجْزَاءٍ

((**اوْ بَعْضٌ**)) **أَيْ** : جُزْءٌ ((**أَوِ اضْطِرَابُ**)) **أَيِ** : اخْتِلَافٌ ((**إِذْ كُلُّهَا**)) **أَيِ** : التَّأْخِيرُ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ

((**إِلَى الْحُدوثِ**)) **أَيِ** : الْوُجُودِ بَعْدَ عَدَمٍ ؛ صِلَةُ ((**انْتَسَبَا**)) أَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .

وَشَبَّهَ فِي النَّفْيِ فَقَالَ : ((**كَكَوْنِ عِلْمِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**عَلَا**)) **أَيْ** : تَنَزَّهَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ كُلِّ نَقْصٍ ، وَاتَّصَفَ بِكُلِّ كَمَالٍ .

((**مُكْتَسَبَا**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ السِّينِ ؛ وَهُوَ : الْعِلْمُ الْحَاصِلُ عَنِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ ، فَإِذَا أَقَمْتَ دَلِيلًا عَلَى حُدُوثِ الْعَالَمِ ، بِأَنْ قُلْتَ : الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ ، وَكُلُّ مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ . يُنْتِجُ : الْعَالَمُ حَادِثٌ .

فَالْعِلْمُ بِحُدُوثِ الْعَالَمِ حَاصِلٌ عَنْ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، فَهُوَ كَسْبِيٌّ .

وَقِيلَ : الْكَسْبِيُّ : مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ الْحَادِثَةُ .

وَعَلَى هَذَا التَّعْرِيفِ : فَيَشْمَلُ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ الْحَاصِلَ بِالْحَوَاسِّ - كَالْعِلْمِ الْحَاصِلِ بِالْأَبْصَارِ أَوْ بِالشَّمِّ - بِخِلَافِهِ عَلَى التَّعْرِيفِ الْأَوَّلِ . وَعَلَى كُلٍّ مِنَ التَّعْرِيفَيْنِ : لَا يُقَالُ لِعِلْمِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كَسْبِيٌّ ، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ قِيَامُ

١٩٨ – وَهْــوَ مُحَــالٌ ، وَكَــذَا الْجَهْــلُ وَمَــا ضَــاهَاهُ ، وَالْوَصْــفُ بِمَــوْتٍ أَوْ عَمَــى

١٩٩ – أَوْ صَــمَمٍ ، وَقَــدْ سَمَــا مَــنْ خَلَقَــا عَــنْ عَجْــزِهِ عَــنْ مُمْكِــنٍ مَّــا مُطْلَقَــا

٢٠٠ – كَــذَلِكَ الْإِيجَــادُ مَــعْ كَرَاهَتِــهْ لِفِعْلِــهِ ، أَعْــنِي : انْتِفَــا إِرَادَتِــهْ

٢٠١ – أَوْ كَوْنِــهِ طَبِيعَــةً، أَوْ عِلَّــةْ لِلْخَلْــقِ ، أَوْ إِيجَــادُهُ مَــعْ غَفْلَــةْ

الْحَوَادِثِ بِذَاتِهِ تَعَالَى ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ أَيْضًا سَبْقُ الْجَهْلِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُوَ مُحَالٌ عَلَيْهِ تَعَالَى .

((**وَهْوَ**)) **أَيْ** : كَوْنُ عِلْمِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مُكْتَسَبًا ((**مُحَالٌ**)) لِمَا عَلِمْتَ مِنْ كَوْنِهِ يَلْزَمُ مِنْهُ قِيَامُ الْحَوَادِثِ بِذَاتِهِ تَعَالَى ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ أَيْضًا سَبْقُ الْجَهْلِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ مُحَالٌ .

انْظُرْ [عَبْدَ السَّلَامِ] وَحَاشِيَتَهُ لِلْأَمِيرِ .

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُ عِلْمِهِ تَعَالَى ضَرُورِيًّا ، أَوْ نَظَرِيًّا ، أَوْ بَدِيهِيًّا .

فَالضَّرُورِيُّ : يُطْلَقُ عَلَى مَا لَمْ يَحْصُلْ عَنْ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، كَعِلْمِكَ بِأَنَّ الْوَاحِدَ نِصْفُ الِاثْنَيْنِ ؛ وَعَلَى مَا قَارَنَ الضَّرُورَةَ ، كَعِلْمِكَ الْحَاصِلِ بِالتَّهْدِيدِ وَالضَّرْبِ ؛ وَهُوَ – بِالْمَعْنَى الثَّانِي – مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَعَالَى ، لِاسْتِدْعَائِهِ الضَّرُورَةَ ، وَسَبْقَ الْجَهْلِ ؛ وَأَمَّا بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ : فَهُوَ وَإِنْ كَانَ يُطْلَقُ عَلَى عِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ عَنْ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، لَكِنْ يَمْتَنِعُ إِطْلَاقُهُ عَلَيْهِ ، لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ الْمَعْنَى الثَّانِي ، لَا لِكَوْنِهِ يَسْتَدْعِي سَبْقَ الْجَهْلِ .

وَالنَّظَرِيُّ : مَا حَصَلَ عَنْ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، كَعِلْمِكَ بِوُجُوبِ الْقُدْرَةِ لَهُ تَعَالَى ؛ وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ تَعَالَى ، لِاسْتِدْعَائِهِ سَبْقَ الْجَهْلِ .

وَالْبَدِيهِيُّ : يُطْلَقُ عَلَى مَا لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ وَإِنْ تَوَقَّفَ عَلَى حَدْسٍ أَوْ تَجْرُبَةٍ ؛ وَعَلَى هَذَا ، يَكُونُ مُرَادِفًا لِلضَّرُورِيِّ ، لَكِنْ بِمَعْنَاهُ الْأَوَّلِ .

وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى مَا لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى شَيْءٍ أَصْلًا ؛ وَعَلَى هَذَا ، يَكُونُ أَخَصَّ مِنَ الضَّرُورِيِّ بِمَعْنَاهُ الْمَذْكُورِ .

وَظَاهِرٌ أَنَّهُ عَلَى كُلٍّ مِنَ الْإِطْلَاقَيْنِ لَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ فِي حَقِّهِ تَعَالَى ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ يُقَالُ : " بَدَهَ النَّفْسَ الْأَمْرُ " إِذَا أَتَاهَا بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ سَبْقِ شُعُورٍ ، اِمْتَنَعَ إِطْلَاقُهُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى ، لِاقْتِضَائِهِ سَبْقَ الْجَهْلِ .

((**وَكَذَا**)) **أَيْ** : كَوْنُ عِلْمِهِ مُكْتَسَبًا فِي الِاسْتِحَالَةِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْجَهْلُ**)) وَهُوَ مُنَافٍ لِلْعِلْمِ ، سَوَاءٌ كَانَ بَسِيطًا ، وَهُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ ، أَوْ مُرَكَّبًا ، وَهُوَ اعْتِقَادُ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ((**وَمَا**)) **أَيِ** : الْوَصْفُ الَّذِي ((**ضَاهَاهُ**)) **أَيْ** : شَابَهَ الْجَهْلَ ، مِنَ الظَّنِّ ، وَالشَّكِّ ، وَالْوَهْمِ .

((**وَالْوَصْفُ بِمَوْتٍ**)) وَهُوَ مُنَافٍ لِلْحَيَاةِ ((**أَوْ عَمَى**)) وَهُوَ مُنَافٍ لِلْبَصَرِ ((**أَوْ صَمَمٍ**)) وَهُوَ مُنَافٍ لِلسَّمْعِ

… …

((**وَقَدْ سَمَا**)) **أَيْ** : عَلَا وَتَنَزَّهَ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهُ الَّذِي ((**خَلَقَا**)) الْعَالَمَ ؛ أَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .
وَصِلَةُ ((**سَمَا**)) : ((**عَنْ عَجْزِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلْقُدْرَةِ .

وَصِلَةُ ((**عَجْزٍ**)) : ((**عَنْ**)) خَلْقِ ((**مُمْكِنٍ مَّا**)) بِشَدِّ الْمِيمِ ، نَكِرَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِعُمُومِ ((**مُمْكِنٍ**)) حَالَ كَوْنِهِ

((**مُطْلَقَا**)) عَنْ تَقْيِيدِهِ بِقَيْدٍ مَا .
((**كَذَلِكَ**)) **أَيِ** : الْمَذْكُورُ فِي الِاسْتِحَالَةِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْإِيجَادُ**)) **أَيِ** : الْخَلْقُ لِمُمْكِنٍ مَّا

((**مَعْ كَرَاهَتِهْ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لِفِعْلِهِ**)) **أَيْ** : خَلْقِ الْمُمْكِنِ ؛ وَهُوَ مُنَافٍ لِلْإِرَادَةِ ((**أَعْنِي** :))
بِكَرَاهَتِهِ لِفِعْلِهِ ((**انْتِفَا**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : عَدَمَ ((**إِرَادَتِهْ**)) **أَيِ** : اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِإِيجَادِ ذَلِكَ
الْمُمْكِنِ . ((**أَوْ**)) مَعَ ((**كَوْنِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**طَبِيعَةً**)) **أَيْ** : خَالِقًا لِلْعَالَمِ بِطَبْعِهِ – بِشُرُوطٍ
مَخْصُوصَةٍ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ – بِلَا اخْتِيَارٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**أَوْ**)) مَعَ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**عِلَّةً لِلْخَلْقِ**))

أَيِ : الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ ، بِأَنْ يَلْزَمَ مِنْ وُجُودِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وُجُودُ الْعَالَمِ بِدُونِ تَوَقُّفٍ عَلَى وُجُودِ شَرْطٍ وَانْتِفَاءِ
مَانِعٍ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عِلَّةً أَوْ طَبِيعَةً – وَقَدْ ثَبَتَ قِدَمُهُ بِالْبُرْهَانِ – لَزِمَ قِدَمُ الْعَالَمِ ، وَهُوَ مُحَالٌ
بِالْبُرْهَانِ ، فَمَلْزُومُهُ – وَهُوَ كَوْنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طَبِيعَةً أَوْ عِلَّةً – مُحَالٌ ؛ فَثَبَتَ وَتَعَيَّنَ أَنَّهُ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ ، وَهُوَ
الْمَطْلُوبُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَاعِلَ إِمَّا أَنْ يَصِحَّ مِنْهُ التَّرْكُ أَوْ لَا . الْأَوَّلُ الْمُخْتَارُ ، وَالثَّانِي إِمَّا أَنْ يَتَوَقَّفَ فِعْلُهُ عَلَى
وُجُودِ شَرْطٍ وَانْتِفَاءِ مَانِعٍ أَوْ لَا . الْأَوَّلُ الطَّبِيعَةُ ، وَالثَّانِي الْعِلَّةُ .
((**أَوْ إِيجَادُهُ**)) **أَيِ** : اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْعَالَمَ ((**مَعْ غَفْلَةْ**)) مِنْهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنْهُ ، **أَيْ** : عَدَمِ
شُعُورِهِ بِهِ ، وَعَدَمِ إِرَادَتِهِ لَهُ ، أَوْ مَعَ الذُّهُولِ عَنْهُ بَعْدَ الشُّعُورِ بِهِ ، فَذَلِكَ كُلُّهُ مُحَالٌ فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ،
لِمُنَافَاتِهِ الْعِلْمَ وَالْإِرَادَةَ الْوَاجِبَيْنِ لَهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالْبُرْهَانِ .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ وَالرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ]

٢٠٢ – وَأَمْـــــــرُهُ يُغَـــــــايِرُ الْإِرَادَةْ   إِذْ عَـــــمَّ أَمْـــــرُ طَاعَـــــةٍ عِبَـــــادَهْ

٢٠٣ – وَلَمْ يُـــرِدْ وُقُوعَهَـــا مِـــنْ كُلِّهِـــمْ   بِـــلَا ارْتِيَـــابٍ ، بَـــلْ وَلَا مِـــنْ جُلِّهِـــمْ

٢٠٤ – فَصَـــحَّ أَنْ يَـــأْمُرَ بِالشَّـــيْءِ وَلَا   يُرِيـــدُهُ مَـــنْ بِالْهُـــدَى تَطَـــوَّلَا

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ وَالرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ]**

((**وَأَمْرُهُ**)) **أَيْ** : طَلَبُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مِنْ عَبْدِهِ فِعْلَ شَيْءٍ أَوْ تَرْكِهِ، طَلَبًا جَازِمًا أَوْ لَا .

((**يُغَايِرُ**)) أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْإِرَادَةْ**)) الْوَاجِبَةَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، الَّتِي يُخَصِّصُ بِهَا الْمُمْكِنَ بِبَعْضِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ .

وَعَلَّلَ تَغَايُرَهُمَا بِقَوْلِهِ : ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**عَمَّ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمِيمِ مُثَقَّلًا .

وَفَاعِلُ ((**عَمَّ**)) : ((**أَمْرُ**)) اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِـ ((**طَاعَةٍ**)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَمَفْعُولُ ((**عَمَّ**)) : ((**عِبَادَهْ**)) **أَيْ** : مَخْلُوقَاتِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْمُكَلَّفِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [النساء : ١] .

((**وَ**)) الْحَالُ أَنَّهُ ((**لَمْ يُرِدْ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وُقُوعَهَا**)) **أَيْ** : الطَّاعَةَ ((**مِنْ**)) عِبَادِهِ ((**كُلِّهِمْ بِلَا ارْتِيَابٍ**)) **أَيْ** : شَكٍّ ((**بَلْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ إِضْرَابٍ انْتِقَالِيٌّ ((**وَلَا مِنْ جُلِّهِمْ**)) بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَشَدِّ اللَّامِ ؛ **أَيْ** : أَكْثَرِهِمْ ؛ إِذْ لَوْ أَرَادَ وُقُوعَهَا مِنْ جَمِيعِهِمْ لَمْ يَعْصِهِ أَحَدٌ قَطُّ ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُشَاهَدِ ؛ وَلَوْ أَرَادَهُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ لَمْ يَعْصِهِ أَكْثَرُهُمْ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُشَاهَدِ أَيْضًا .

وَفَرَّعَ عَلَى عُمُومِ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ : الْعِبَادَ .

وَعَدَمِ عُمُومِ إِرَادَةِ وُقُوعِهَا : جَمِيعَهُمْ ، وَلَا أَكْثَرَهُمْ .

قَوْلُهُ : ((**فَصَحَّ**)) عَقْلًا ((**أَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ، صِلَتُهُ : ((**يَأْمُرَ بِالشَّيْءِ وَلَا يُرِيدُهُ**)) **أَيْ** : الشَّيْءَ الْمَأْمُورَ بِهِ .

وَتَنَازَعَ ((**يَأْمُرُ**)) وَ ((**يُرِيدُ**)) فِي ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي ((**بِالْهُدَى**)) بِضَمِّ الْهَاءِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ ؛ صِلَةُ ((**تَطَوَّلَا**)) بِفَتْحِ التَّاءِ وَالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْوَاوِ مُثَقَّلَةً ، وَأَلِفُهُ إِطْلَاقِيَّةٌ ؛ **أَيْ** : أَنْعَمَ ؛ وَذَلِكَ كَالْإِيمَانِ مِنَ الْكُفَّارِ ، فَإِنَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَمَرَهُمْ بِهِ وَلَمْ يُرِدْهُ مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ لَوَقَعَ .

وَهَذَا أَحَدُ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ .

ثَانِيهَا : يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ وَيُرِيدُهُ ؛ كَإِيمَانِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَنْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى مَوْتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ .

ثَالِثُهَا : لَا يَأْمُرُ بِهِ وَلَا يُرِيدُهُ؛ كَكُفْرِ مَنْ ذُكِرَ.

رَابِعُهَا : يُرِيدُهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ ؛ كَكُفْرِ الْكُفَّارِ ، فَإِنَّهُ أَرَادَهُ ، بِدَلِيلِ وُقُوعِهِ ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

... ...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف : ٢٨] .

قَالَ الْإِمَامُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى [تَفْلِيسُ إِبْلِيسَ]– أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ – مَا نَصُّهُ :

« ... **وَبَعْدُ** ، فَإِنِّي نَظَرْتُ ، فَرَأَيْتُ دَائِرَةِ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ تَدُورُ عَلَى خَطِّ الْأَمْرِ وَمَرْكَزِ الْإِرَادَةِ ، وَبَيْنَهُمَا تَدْقِيقٌ يَدِقُّ عَنِ التَّحْقِيقِ ، وَمَضِيقٌ يَفْتَقِرُ سَالِكُهُ إِلَى رَفِيقِ التَّوْفِيقِ ؛ فَالْأَمْرُ يَهَبُ ، وَالْإِرَادَةُ تَنْهَبُ ، فَمَا وَهَبَهُ الْأَمْرُ نَهَبَتْهُ الْإِرَادَةُ ، وَالْأَمْرُ يَقُولُ : افْعَلْ ؛ وَالْإِرَادَةُ تَقُولُ : لَا أَفْعَلُ ؛ وَالْفَعَّالُ الْمُرِيدُ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ؛ فَقَوْمٌ عَلَقُوا بِالْأَمْرِ فَضَلُّوا ، وَقَوْمٌ عَلَقُوا بِالْإِرَادَةِ فَزَلُّوا ، وَقَوْمٌ جَمَعُوا بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ فَهُدُوا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَاسْتَقَلُّوا .

فَأَمَّا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِالْأَمْرِ – فَأَضَافُوا الْفِعْلَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَجَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ تَقْدِيرًا وَفِعْلًا ، وَقَالُوا : إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقِ الشَّرَّ وَلَمْ يُقَدِّرْهُ وَلَمْ يُرِدْهُ ، وَإِنَّمَا هُوَمِنْ خَلْقِ أَنْفُسِنَا وَفِعْلِهَا ، لَيْسَ للهِ فِيهِ إِرَادَةٌ ، وَزَعَمُوا بِجَهْلِهِمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْزِيهًا لِلْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الرَّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ أَنْ يَجْعَلَهَا لِعَبْدِهِ وَيُقَدِّرَهَا عَلَيْهِ – فَعَمُوا بِمَا زَعَمُوا، وَضَلُّوا مِنْ حَيْثُ نَزَّهُوا، فَأَشْرَكُوا بِاللهِ ، إِذْ شَارَكُوا اللهَ فِي فِعْلِهِ وَخَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ ؛ وَلَزِمَهُمْ – فِي اعْتِقَادِهِمْ – أَنْ يَكُونَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – عَاجِزًا فِي حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ ، لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ أَكْثَرُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَالشَّرَّ أَعَمُّ مِنَ الْخَيْرِ ، وَالْكُفْرَ أَعَمُّ مِنَ الْإِيمَانِ .

فَإِذَا اعْتَقَدتَّ أَنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ الشَّرَّ وَلَا الْمَعْصِيَةَ – وَأَنْتَ قَدْ أَردتَّهَا لِنَفْسِكَ – وُجِدَ مُرَادُكَ دُونَ مُرَادِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَإِرَادَتُكَ غَالِبَةٌ لِإِرَادَتِهِ ، فَقَدْ غَلَبْتَهُ – بِزَعْمِكَ – فِي حُكْمِهِ ، وَقَهَرْتَهُ فِي مُلْكِهِ ، وَمَحَوْتَ إِرَادَتَهُ وَأَثْبَتَّ إِرَادَتَكَ أَنْتَ ، وَكَانَ الَّذِي تُرِيدُ ، لَا الَّذِي يُرِيدُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَهَذَا – وَاللهِ – قَبِيحٌ بِعَبْدٍ مَخْلُوقٍ مَرْزُوقٍ ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِمَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَمَنْ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ؟ !!

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

ثُمَّ لَا يَخْلُو :

إِمَّا أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى – قَبْلَ وُقُوعِكَ فِي الْمَعْصِيَّةِ – عَالِمًا بِمَا يَكُونُ مِنْكَ أَمْ لَا .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ غَيْرُ عَالِمٍ . كَفَرْتَ إِجْمَاعًا .

وَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ عَالِمٌ بِمَعْصِيَتِكَ قَبْلَ وُقُوعِهَا مِنْكَ ،

فَلَا يَخْلُو :

إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى مَنْعِكَ مِنْهَا ، وَدَفْعِكَ عَنْهَا ، أَمْ لَا .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ . فَقَدْ كَفَرْتَ إِجْمَاعًا .

وَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَنْعِكَ مِنْهَا . ثُمَّ لَا يَمْنَعُكَ مِنْهَا ، وَلَا يَدْفَعُكَ عَنْهَا ، وَهُوَ لَا يُرِيدُهَا – عَلَى زَعْمِكَ –

… …

أَكْذَبْتَ نَفْسَكَ ، وَأَبْطَلْتَ مَذْهَبَكَ .

فَثَبَتَ – حِينَئِذٍ – أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ قَبْلَ كَوْنِكَ ، وَأَرَادَهَا مِنْكَ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر : ٤٩] .

وَأَمَّا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِالْإِرَادَةِ – وَهِيَ : الْمَشِيئَةُ – فَأَحَالُوا فِعْلَهُمْ وَعَمَلَهُمْ عَلَى الْخَالِقِيَّةِ ، وَقَطَعُوا نِطَاقَ الْعُبُودِيَّةِ ، وَتَبَرَّءُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَقَالُوا: نَحْنُ قَوْمٌ مَجْبُورُونَ بِحُكْمِهِ ، مَقْهُورُونَ بِمَشِيئَتِهِ ، لَوْ شَاءَ – سُبْحَانَهُ – لَهَدَانَا، فَنَحْنُ مُسْتَعْمَلُونَ فِيمَا قَدَّرَهُ عَلَيْنَا وَقَضَاهُ فِينَا ، فَنَحْنُ فِي قَبْضَةِ قَهْرِهِ ، لَا تَتَوَجَّهُ عَلَيْنَا حُجَّةُ أَمْرِهِ .

فَلَزِمَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ هَذا : إِبْطَالُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ؛ فَلَا مَعْنًى لِإِنْزَالِ الْكُتُبِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ، فَإِنَّ اللهَ– عَزَّ وَجَلَّ – أَنْزَلَ الْكُتُبَ مَشْحُونَةً بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَأَرْسَلَ الرُّسَلَ دُعَاةً إِلَى اللهِ تَعَالَى ، أَدِلَّاءَ عَلَى الطَّرِيقِ وَالشَّرَائِعِ ، أَعْلَامًا عَلَى مَحَجَّةِ الدِّينِ ، قَائِمِينَ بِالْحُدُودِ ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء : ١٥ - ١٦] رُؤَسَاءَهَا بِالطَّاعَةِ وَالْقِيَامِ بِالْأَحْكَامِ ﴿ فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾

[الإسراء : ١٦] **أَيْ** : خَرَجُوا عَنْ مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ وَنَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ ﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾ [الإسراء : ١٦] **أَيْ**: وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ ﴿ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء : ١٦] .

فَجَعَلَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ حُجَّةً عَلَى الْعِبَادِ ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥]

فَمَنْ تَمَسَّكَ بِـ " الْمَشِيئَةِ " ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى " الْأَمْرِ " ، فَقَدْ قَطَعَ نِطَاقَ الْعُبُودِيَّةِ ، وَأَبْطَلَ حُجَّةَ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ

وَ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ ، وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] .

فَقَدْ أَشَارَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى حُكْمِ " الْأَمْرِ " ، وَإِلَى حُكْمِ " الْمَشِيئَةِ " ، تَنْبِيهًا لَكَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِطَرَفِي " الْأَمْرِ " وَ " الْإِرَادَةِ " .

أَمَّا الْأَمْرُ : فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ فِعْلًا ، وَأَضَافَهُ إِلَيْكَ إِضَافَةً كَسْبِيَّةً وَسَبَبِيَّةً ، لَا إِضَافَةً خَلْقِيَّةً ، فَإِنَّ الشَّيْءَ يُضَافُ إِلَى السَّبَبِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ – مُخْبِرًا عَنِ الْأَصْنَامِ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [ابراهيم : ٣٦] مَعَ أَنَّهُنَّ أَحْجَارٌ لَا يَسْمَعْنَ وَلَا يُبْصِرْنَ ؛ فَلَمَّا كُنَّ سَبَبًا لِلْإِضْلَالِ أَضَافَهُ إِلَيْهِنَّ .

وَمَا مِثَالُ إِضَافَةِ الْعَمَلِ إِلَيْكَ إِلَّا مِثَالُ حِمْلٍ ثَقِيلٍ بَيْنَ يَدَيْ رَجُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا قَادِرٌ عَلَى حَمْلِهِ وَنَقْلِهِ ، وَالْآخَرُ عَاجِزٌ عَنْ حَمْلِهِ وَنَقْلِهِ ؛ فَرَفَعَاهُ جَمِيعًا وَاشْتَرَكَا فِي نَقْلِهِ. فَهُوَ إِنَّمَا يُضَافُ – فِي الْحَقِيقَةِ – إِلَى الْقَوِيِّ الْقَادِرِ ؛ وَإِنَّمَا لِذَلِكَ الْعَاجِزِ نَوْعُ اشْتِرَاكٍ مَعَهُ فِي نَقْلِهِ مَجَازًا، لَا حَقِيقَةً .

فَالْحَقُّ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَثْبَتَ لَكَ فِعْلًا ، لِتُوَجَّهَ حُجَّةُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عَلَيْكَ ؛ وَجَعَلَ الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ إِلَيْهِ ، وَالْهِدَايَةَ وَالضَّلَالَةَ بِيَدَيْهِ ، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

٢٠٥ – وَمِثْلُــهُ الرِّضَــا ، فَلَــيْسَ يَرْضَــى كُفْــرَانَ أَصْــحَابِ الْقُلُــوبِ الْمَرْضَــى

٢٠٦ – أَيْ: لَا يُكَلِّــفُ النُّفُــوسَ مَــا نَهَــى عَنْــهُ ، وَلَا يُحِــبُّ غَيًّــا شَــانَهَا

٢٠٧ – وَكُــلُّ مَــا أَرَادَ فَهْــوَ كَــائِنُ وَإِنْ نَهَــى عَنْــهُ وَأَخْطَــا الْمَــائِنُ

[الأنبياء : ٢٣] ، وَأَنْتَ مُسْتَعْمَلٌ بِالِاخْتِيَارِ ، مَسْلُوبُ الِاخْتِيَارِ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص : ٦٨] » . اِنْتَهَى .

((**وَمِثْلُهُ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْأَمْرِ ، فِي كَوْنِهِ غَيْرَ الْإِرَادَةِ . وَمُبْتَدَأٌ ((**مِثْلُهُ**)) : ((**الرِّضَا**)) بِكَسْرِ الرَّاءِ مَقْصُورًا .

وَفَرَّعَ عَلَى كَوْنِ " الرِّضَا " غَيْرَ " الْإِرَادَةِ " فَقَالَ : ((**فَلَيْسَ**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**يَرْضَى**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**كُفْرَانَ**)) بِضَمِّ الْكَافِ ؛ **أَيْ** : كُفْرَ ((**أَصْحَابِ الْقُلُوبِ الْمَرْضَى**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ، وَفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيِ** : الْمَرِيضَةِ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠] .

وَفَسَّرَ ((**الرِّضَا**)) **فَقَالَ** : ((**أَيْ : لَا يُكَلِّفُ**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا؛ أَيِ: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

((**النُّفُوسَ**)) **أَيِ** : الْأَرْوَاحَ بِـ ((**مَا**)) **أَيِ** : الْفِعْلِ الَّذِي ((**نَهَى**)) **أَيِ** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنْهُ نَهْيًا جَازِمًا أَوْ لَا ((**عَنْهُ**)) عَائِدُ ((**مَا**)) قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف : ٢٨]

((**وَلَا يُحِبُّ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الْبَاءِ ؛ **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**غَيًّا**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، فَمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ ؛ **أَيْ** : ضَلَالًا ((**شَانَهَا**)) بِإِعْجَامِ الشِّينِ ؛ **أَيْ** : عَابَ النُّفُوسَ ، **أَيْ** : لَا يُثِيبُهُمْ عَلَيْهِ .

[حَلُولُو] فِي شَرْحِ [جَمْعِ الْجَوَامِعِ] :

ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّتِنَا إِلَى أَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَبْدَهُ ، وَرِضَاهُ عَنْهُ ، مَعْنَاهُمَا: إِرَادَتُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – إِثَابَةَ عَبْدِهِ وَإِكْرَامَهُ . فَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ .

وَذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ ، وَأَنَّ مَعْنَاهُمَا : إِثَابَةُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَبْدِهِ وَإِكْرَامُهُ .

((**وَكُلُّ مَا**)) **أَيِ** : الشَّيْءُ الَّذِي ((**أَرَادَ**)) **أَيِ** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وُقُوعَهُ ((**فَهْوَ**)) **أَيْ** : مَا أَرَادَ اللهُ وُقُوعَهُ ((**كَائِنُ**)) **أَيْ** : وَاقِعٌ إِنْ أَمَرَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِهِ ، كَالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ؛ بَلْ ((**وَإِنْ نَهَى**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**عَنْهُ**)) كَالْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ ((**وَأَخْطَا الْمَائِنُ**)) **أَيِ** : الْكَاذِبُ فِي قَوْلِهِ : لَا يُرِيدُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مَا نَهَى عَنْهُ .

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

... ...

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ... ﴾ [السجدة : ١٣] الْآيَةَ ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة : ٥٥] ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ... ﴾ [الأنعام : ١٢٥] الْآيَةَ .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ .

[تَنْبِيهٌ]

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكُلَّ بِإِرَادَتِهِ – حَتَّى الْفِتَنِ ، وَالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ، وَإِيلَامِ الْأَطْفَالِ وَالْبَهَائِمِ – فَاعْلَمْ أَنَّ لَهُ فِي طَيِّ ذَلِكَ حِكَمًا لَا تَحُومُ حَوْلَهَا الْعُقُولُ ، فَسَلِّمْ تَسْلَمْ ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ يُخَالِجَ قَلْبَكَ شَيْءٌ مِنَ الِاعْتِرَاضِ وَتَقُولُ : لِمَ كَانَ ؛ أَوْ : لَمْ يَكُنْ . وَتَقَعُ فِي الْحَيْرَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا ابْنُ الرَّاوِنْدِيِّ – أَحَدُ زَنَادِقَةِ الْإِسْلَامِ – **إِذْ قَالَ :**

(كَمْ عَالِمٍ عَالِمٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ ... وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقَا
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً ... وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقَا)

وَلَقَدْ أَجَادَ مَنْ رَدَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ :

(كَمْ مِنْ أَرِيبٍ فَهِمٍ قَلْبُهُ ... مُسْتَكْمَلُ الْعَقْلِ مُقِلٌّ عَدِيمْ
وَمِنْ جَهُولٍ مُكْثِرٌ مَالُهُ ... { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمْ })

وَمَنْ قَالَ :

(بُؤْسُ اللَّبِيبِ وَطِيبُ عَيْشِ الْجَاهِلِ ... قَدْ أَرْشَدَاكَ إِلَى حَكِيمٍ كَامِلِ)

وَمِنْ قِطْعَةٍ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

(وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ ... بُؤْسُ اللَّبِيبِ وَطِيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ)

وَانْظُرْ كَيْفَ خَفِيَ عَلَى هَذَا الزِّنْدِيقِ آيٌ مِنَ التَّنْزِيلِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم** ... ﴾ [الزخرف : ٣٢] الْآيَةَ

.. ..

وَلِلهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

(كَمْ عَالِمٍ يَسْكُنُ بَيْتًا بِالْكَرَا	وَجَاهِلٍ يَمْلِكُ دُورًا وَقُرَى
فَإِنْ قَرَأْتَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ	{ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ } زَالَ الْمِرَا) »

.

اِنْتَهَى .

قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – : « أَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – يُرِيدُ أَنْ يُعْصَى ؟! . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – : نَعَمْ. فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا يُرِيدُ ذَلِكَ ! . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا حَالَ بَيْنَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَبَيْنَ إِرَادَتِهِ مَا وَقَعَ فِي مُلْكِهِ ؟ » .

وَقَالَ مُعْتَزِلِيٌّ لِيَهُودِيٍّ : « أَسْلِمْ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِذَا شَاءَ رَبُّ السَّمَاءِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ! . فَقَالَ الْمُعْتَزِلِيُّ : قَدْ شَاءَ وَغَلَبَكَ الشَّيْطَانُ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِذَا غَلَبَهُ الشَّيْطَانُ فَأَنَا مَعَ الْغَالِبِ » .

فَانْظُرْ سَخَافَةَ اعْتِقَادِ الْمُعْتَزِلِيِّ الَّذِي لَمْ يُرْضِهِ عَاقِلٌ حَتَّى الْيَهُودِيُّ !! .
وَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزِلِيُّ لِلْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفِرَائِينِيِّ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – مُعَرِّضًا لَهُ :
« سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْفَحْشَاءِ » . فَتَفَطَّنَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ، فَقَالَ : « سُبْحَانَ مَنْ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ » .

فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ : « أَيُرِيدُ رَبُّنَا أَنْ يُعْصَى؟! » . فَقَالَ الْأُسْتَاذُ : « أَيُعْصَى رَبُّنَا قَهْرًا ؟! » .

فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ : « أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى ، وَقَضَى عَلَيَّ بِالرَّدَى ، ءَأَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسَاءَ ؟ » .

فَقَالَ الْأُسْتَاذُ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

« إِنْ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَكَ فَقَدْ أَسَاءَ ، وَإِنْ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَهُ فَذَاكَ فَضْلُهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » .

فَبُهِتَ عَبْدُ الْجَبَّارِ، وَقَالَ الْحَاضِرُونَ : « وَاللهِ ، مَا لِهَذَا جَوَابٌ !!! » .
وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةَ وَقَعَتْ بَيْنَ رَجُلٍ وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ابْنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ؛ فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] !! .
وَيُحْكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا سُرِقَتْ نَاقَتُهُ ، فَجِيءَ بِهِ إِلَى عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ الْقَدَرِيِّ لِيَدْعُوَ لَهُ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّ نَاقَةَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ سُرِقَتْ ، وَلَمْ تُرِدْ سَرِقَتَهَا ، فَرُدَّهَا عَلَيْهِ .

٢٠٨ – وَلَيْسَ عَنْ مَا شَاءَهُ مَحِيدُ لِأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
٢٠٩ – تَجْرِي عَلَى اخْتِيَارِهِ الْأَقْدَارُ فِي الْخَلْقِ وَالْإِيرَادُ وَالْإِصْدَارُ

فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : بِاللهِ عَلَيْكَ يَا شَيْخُ ، كُفَّ عَنِّي مِنْ دُعَائِكَ هَذَا .
قَالَ : وَلِمَ ؟! . **قَالَ** : لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُرِدْ سَرِقَتَهَا – وَقَدْ سُرِقَتْ – فَيُرِيدُ رَدَّهَا ، وَلَا تُرَدُّ » .

((**وَلَيْسَ عَنْ**)) وُقُوعِ ((**مَا**)) أَيِ : الشَّيْءِ الَّذِي . صِلَةُ ((**مَحِيدُ**)) .
((**شَاءَهُ**)) **أَي** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَاسْمُ ((**لَيْسَ**)) : ((**مَحِيدُ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : مَخْلَصٌ ((**لِأَنَّهُ**)) **أَيِ** : اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**يَفْعَلُ**)) **أَي** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَا**)) **أَي** : الشَّيْءَ الَّذِي

((**يُرِيدُ**)) **أَي** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِعْلَهُ ، وَإِلَّا لَزِمَ كَوْنُهُ مَقْهُورًا مَغْلُوبًا ؛ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .
((**تَجْرِي**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : تَقَعُ وَتُوجَدُ ((**عَلَى اخْتِيَارِهِ**)) **أَي** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَفَاعِلُ
((**تَجْرِي**)) : ((**الْأَقْدَارُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ، جَمْعُ " قَدَرٍ " ؛ **أَيْ** : خَلْقُهُ الْأَشْيَاءَ عَلَى وَفْقِ عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ

((**فِي الْخَلْقِ وَالْإِيرَادُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، فَمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ **أَيْ** : الِابْتِدَاعُ وَالِابْتِدَاءُ ((**وَالْإِصْدَارُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَي** : الْإِعَادَةُ بَعْدَ الْفَنَاءِ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :
فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يُرِيدُ تَعَالَى الْقَبِيحَ وَيَفْعَلُهُ عَلَى مَا زَعَمْتُمْ أَنَّ الْجَمِيعَ أَثَرُ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ؟! .
قُلْنَا : الْقَبِيحُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَبْدِ فَقَطْ ؛ وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى ، فَالْأَفْعَالُ إِمَّا فَضْلٌ أَوْ عَدْلٌ ؛ فَلَا قُبْحَ .

قَالَ سَيِّدِي عَلِيٌّ وَفَا رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

(سَمِعْتُ اللهَ فِي سِرٍّ يَقُولُ أَنَا فِي الْمُلْكِ وَحْدِي لَا أَزُولُ
وَحَيْثُ الْكُلُّ مِنِّي لَا قَبِيحٌ وَقُبْحُ الْقُبْحِ مِنْ حَيْثِي جَمِيلُ)

(**الثَّانِي**) :
قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **فَإِنْ قِيلَ** : يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ فِعْلِ الْعَبْدِ وَاقِعًا بِإِرَادَةِ اللهِ تَعَالَى – ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٨]- أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مَجْبُورًا مَقْهُورًا ؛ وَحِينَئِذٍ لَا يَبْقَى مَحَلٌّ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَيَلْزَمُ صِحَّةُ الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ ، وَيَكُونَ عِقَابُ الْعِبَادِ عَلَى مَعَاصِيهِمْ – بَعْدَ أَنِ اضْطَرَّهُمْ إِلَيْهَا — ظُلْمًا ؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ مُنَاقِضٌ لِنُصُوصِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَهَذِهِ شُبْهَةُ

الْمُعْتَزِلَةِ ، فَكَيْفَ التَّفَصِّي مِنْهَا ؟ .
قُلْنَا : الْعَبْدُ فِي أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ – وَإِنْ كَانَ مَجْبُورًا – فَهُوَ فِي قَالَبِ مُخْتَارٍ ؛ وَكُلُّ أَحَدٍ يَفْرِقُ بِالضَّرُورَةِ بَيْنَ حَرَكَةِ الْبَطْشِ وَحَرَكَةِ الِارْتِعَاشِ ؛ فَتَفَضَّلَ تَعَالَى بِإِسْقَاطِ التَّكْلِيفِ فِي حَالِ الِاضْطِرَارِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَرَتَّبَ – بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ – التَّكْلِيفَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ عَلَى الِاخْتِيَارِ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ ، وَهُوَ الَّذِي قَارَنَتْهُ الْقُدْرَةُ الْحَادِثَةُ بِلَا تَأْثِيرٍ لَهَا أَصْلًا – كَمَا مَرَّ – وَإِنْ كَانَ مَجْبُورًا عَلَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ ، لِأَنَّ الْعَبِيدَ مِلْكُهُ، يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ شَاءَ ، وَ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] وَهِيَ الْمِلْكُ ؛ وَيَسْتَحِيلُ وَصْفُهُ تَعَالَى بِالظُّلْمِ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت : ٤٦] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس : ٤٤] ؛ وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ : " إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي " .
وَإِنَّمَا اسْتَحَالَ ، لِأَنَّ تَصَرُّفَ الْمَالِكِ فِي مِلْكِهِ يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ ظُلْمًا ، وَلِأَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا كَانَ ظُلْمًا لِكَوْنِهِ مَنْهِيًّا عَنْهُ ، وَلَا نَاهِيَ لَهُ تَعَالَى ، وَلِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْجَهْلَ أَوِ السَّفَهَ ، لِأَنَّهُ : وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ ؛ وَكِلَاهُمَا مُحَالٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى » . اهـ .

(**الثَّالِثُ**) :
قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :
« وَقَدْ حَكَى الْبَدْرُ الزَّرْكَشِيُّ أَنَّهُ تَنَاظَرَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا :
" فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : أَمَا أَجِدُ أَحَدًا أُحَاكِمُ إِلَيْهِ رَبِّي ؟! .
فَقَالَ أَبُو مُوسَى : أَنَا ذَلِكَ الْحَاكِمُ .
فَقَالَ عَمْرٌو : أَيُقَدِّرُ عَلَيَّ الشَّيْءَ ثُمَّ يُعَاقِبُنِي عَلَيْهِ ؟! .
قَالَ : نَعَمْ .
قَالَ عَمْرٌو : وَلِمَ ؟! .
قَالَ : لِأَنَّهُ لَا يَظْلِمُكَ .
فَسَكَتَ عَمْرٌو وَلَمْ يَجِدْ جَوَابًا " .
وَفِي [مُسْلِمٍ] : " أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ سَأَلَ أَبَا الْأَسْوَدِ عَمَّا قُضِيَ عَلَى الْكَافِرِينَ مِنْ كُفْرِهِمْ : أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا ؟ .
قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ ، فَـ ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .
فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ : أَحْسَنْتَ ؛ وَإِنَّمَا أَرَدتُّ أَنْ أُجَرِّبَ عَقْلَكَ " .
وَعَدَمُ صِحَّةِ الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ فِي قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ... ﴾ [النحل : ٣٥] الْآيَةَ ، ﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾ [الزخرف : ٢٠] ، لِأَنَّ الْمَالِكَ الْمُتَصَرِّفَ فِي مِلْكِهِ كَيْفَ شَاءَ ، لَمْ يَقْبَلْ الِاحْتِجَاجَ بِهِ ، لَا لِأَنَّ الْقَدَرَ – فِي نَفْسِهِ –

غَيْرُ قَاهِرٍ لِلْعَبْدِ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَقْبَلَ الِاحْتِجَاجَ بِهِ لَكَانَ ذَلِكَ لَهُ ، بَلْ لَهُ إِثَابَةُ الْعَاصِي وَتَعْذِيبُ الْمُطِيعِ ، وَإِثَابَةُ الْكُلِّ أَوْ تَعْذِيبُ الْكُلِّ .

قَالَ الْإِمَامُ الْحَوْضِيُّ :

(لَوْ رَحِمَ الْعَاصِي وَعَذَّبَ الْمُطِيعْ ... أَوْ رَحِمَ الْكُلَّ وَعَذَّبَ الْجَمِيعْ
لَكَانَ مَا فَعَلَ مِنْ ذَا مُمْكِنَا ... وَكَانَ حُكْمُهُ جَمِيلًا حَسَنَا) » .

اِهـ .

(الرَّابِعُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَلِعَدَمِ قَبُولِ الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ لَطِيفَةٌ ، وَهِيَ : أَنَّ الْعَبْدَ – قَبْلَ الْفِعْلِ – غَيْرُ مُطَّلِعٍ عَلَى مَا جَرَى بِهِ الْقَدَرُ ، لِعَدَمِ اطِّلَاعِهِ عَلَى الْغَيْبِ ، فَلَا يَقْصِدُ بِفِعْلِهِ الْمَنْهِيِّ مُوَافَقَةَ الْقَدَرِ ، بَلْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الْفِعْلَ سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِهِ .

قَالَ الشَّعْرَانِيُّ فِي [الْعُهُودِ] :

" يُحْكَى أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ : يَا رَبِّ ، تَأْمُرُنِي بِالسُّجُودِ لِآدَمَ وَلَمْ تُرِدْ ذَلِكَ مِنِّي ؟! ، فَلَوْ أَرَدتَّهُ مِنِّي لَوَقَعَ وَلَمْ أُخَالِفْ ! .

قَالَ : مَتَى عَلِمْتَ أَنِّي لَمْ أُرِدْهُ مِنْكَ ؟ قَبْلَ الْإِبَايَةِ أَمْ بَعْدَهَا ؟ .

قَالَ : بَلْ بَعْدَهَا .

قَالَ : فَبِذَلِكَ أَخَذْتُكَ » . اِهـ .

(الْخَامِسُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **فَإِنْ قُلْتَ** : كَيْفَ احْتَجَّ آدَمُ بِالْقَدَرِ وَقُبِلَ احْتِجَاجُهُ بِهِ فِيمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ :

" اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : يَا آدَمُ ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ ! .

فَقَالَ لَهُ آدَمُ : يَا مُوْسَى ، اِصْطَفَاكَ اللهُ ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟! .

فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ... ثَلَاثًا " .

قُلْتُ : أَحْسَنُ الْأَجْوِبَةِ ، مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّادٍ فِي جَوَابٍ لَهُ عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ لِمَنْ يَلُومُهُ عَلَى التَّفْرِيطِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ : " مَا وُفِّقْنَا لِذَلِكَ ! " .

وَحَاصِلُهُ :
أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ تَارَةً يَكُونُ خَطَأً ، وَتَارَةً يَكُونُ صَوَابًا بِاخْتِلَافِ الْقَصْدِ .
فَإِنْ قَالَهُ صَاحِبُهُ عَلَى سَبِيلِ الِانْتِصَارِ لِنَفْسِهِ ، وَالِاحْتِجَاجِ لَهَا ، وَنَفْيِ اللَّوْمِ عَنْهَا، فَهُوَ خَطَأٌ ، لِأَنَّ الْعَبْدَ – مِنْ حَيْثُ هُوَ عَبْدٌ – لَا يَلِيقُ بِهِ الِاحْتِجَاجُ لِنَفْسِهِ، وَالِانْتِصَارُ لَهَا ، وَنَفْيُ اللَّوْمِ عَنْهَا بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ ، وَإِظْهَارُ أَنْ لَا حَقَّ لَهُ عَلَيْهِ – وَإِنْ كَانَ فِي كَلَامِهِ مَنْطِقٌ بِالْحِكْمَةِ وَمَحْضُ الْحَقِّ – وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ : ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا** ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [النحل : ٣٥] ؛ وَلِذَا ، لَمْ يَعْذِرْهُمُ الْحَقُّ ، مَعَ أَنَّ كَلَامَهُمْ – فِي نَفْسِهِ – صَحِيحٌ ، يَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ اعْتِقَادُ مُضَمَّنِهِ .
وَإِنْ قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْبَارِ عَنْ نُفُوذِ قُدْرَةِ اللهِ وَقَضَائِهِ ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا مَهْرَبَ لَهُ مِنْهُ ؛ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِنُصْرَةِ النَّفْسِ ، وَالِاحْتِجَاجِ لَهَا ، بَلْ مَعَ شِدَّةِ افْتِقَارٍ ، وَظُهُورِ انْكِسَارٍ ، وَاسْتِحْضَارِ الْعَبْدِ أَنَّ للهِ أَنْ يُؤَاخِذَهُ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ . فَهُوَ صَوَابٌ .
وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ قَوْلُ آدَمَ : " أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ ؟! " .
وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ". **أَيْ** : غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ .
وَالْمُرَادُ : لَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَحَلًّا لِلِاعْتِرَاضِ بَعْدُ ، لِأَنَّهُ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ ، وَقَدْ عَلِمَ مُوسَى أَنَّهُ كَانَ مُعْتَرِفًا بِهِ ، وَأَنَّهُ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ لِذَلِكَ ، فَلَا مَحَلَّ لِلَّوْمِ .
وَمَعْنَى : " قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً " :
أَنَّهُ أَظْهَرَ قَضَاءَهُ بِذَلِكَ لِلْمَلَائِكَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، أَوْ كَتَبَ قَضَاءَهُ بِذَلِكَ فِي التَّوْرَاةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَفِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ أَنَّ آدَمَ قَالَ :
" بِكَمْ وَجدتَّ اللهَ كَتَبَ ذَلِكَ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُخْلَقَ ؟ . قَالَ : بِأَرْبَعِينَ .

(السَّادِسُ) :
فَإِنْ قِيلَ : إِذَا كَانَ الْكُفْرُ قَضَاءً مِنَ اللهِ تَعَالَى – وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَاجِبٌ – لَزِمَ وُجُوبُ الرِّضَا بِالْكُفْرِ ؛ وَالرِّضَا بِالْكُفْرِ كُفْرٌ، فَكَيْفَ يَجِبُ ؟! .
قُلْنَا : الْكُفْرُ مَقْضِيٌّ ، لَا قَضَاءٌ ؛ وَالْوَاجِبُ إِنَّمَا هُوَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ الَّذِي هُوَ التَّعَلُّقُ التَّنْجِيزِيُّ لِلْإِرَادَةِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ.
وَمَعْنَى الرِّضَا بِهِ : تَرْكُ الْمُنَازَعَةِ وَالِاعْتِرَاضِ ؛ وَاعْتِقَادُ ثُبُوتِ الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالصَّوَابِ وَعَدَمِ الظُّلْمِ ؛ وَهَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ وُجُوبَ الرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ ، وَلَا يُنَافِي وُجُوبَ السَّعْيِ فِي الِانْتِقَالِ عَنْهُ إِنْ كَانَ مَذْمُومًا شَرْعًا .
وَقَدْ سُئِلَ سَيِّدِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَاسِيُّ عَنْ إِيضَاحِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْقَضَاءِ الَّذِي يَجِبُ الرِّضَا بِهِ ، وَالْمَقْضِيِّ الَّذِي لَا يَجِبُ الرِّضَا بِهِ ؟ .
فَأَجَابَ : " تَبْيِينُ الْجَوَابِ بِضَرْبِ مَثَلٍ ، هُوَ :
أَنَّ الطَّبِيبَ الْمَاهِرَ إِذَا دَبَّرَ لَكَ دَوَاءً مُرًّا بَشِعًا ، فَذُقْتَهُ وَاسْتَبْشَعْتَهُ ، فَإِنِ اسْتَبْشَعْتَهُ مِنْ حَيْثُ مَرَارَتُهُ ، صَدَّقَكَ إِذَا سَلَّمْتَ لَهُ حُسْنَ تَدْبِيرِهِ وَنَظَرِهِ .
وَإِنْ سَفَّهْتَ تَدْبِيرَهُ وَنَظَرَهُ وَزَعَمْتَ أَنَّ الصَّوَابَ الْعُدُولُ عَنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ ، قَلَبَ عَلَيْكَ تَسْفِيهَكَ ، وَكُنْتَ مُخْطِئًا .

فَكَذَا الْقَضَاءُ ، تَدْبِيرُ اللهِ لِعِبَادِهِ ، وَاخْتِيَارُهُ لِمَا يَتَصَرَّفُ بِهِ فِيهِمْ ، فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ .
وَالْمَقْضِيُّ : مَا وَقَعَ عَلَيْهِ التَّدْبِيرُ وَالِاخْتِيَارُ، مِمَّا هُوَ وَصْفُ الْعَبْدِ ؛ فَإِذَا رَضِيَ بِوَصْفِ الرَّبِّ ، فَلَا يَضُرُّ أَنْ لَا يَرْضَى وَصْفَ الْعَبْدِ الَّذِي هُوَ مُدَبَّرٌ وَمُخْتَارٌ ، لَا نَفْسَ التَّدْبِيرِ وَالِاخْتِيَارِ . اهـ مُوَشَّحًا .

وَأَمَّا مَا أُجِيبَ بِهِ أَيْضًا مِنَ اخْتِلَافِ الِاعْتِبَارِ ، وَأَنَّ الشَّيْءَ – مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ – يُكْرَهُ ، وَمِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ مَقْضِيًّا يُرْضَى بِهِ ، فَبَعِيدٌ ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يُكَلَّفُ بِمَحَبَّتِهِ وَالرِّضَا بِهِ – وَلَوْ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ مَقْضِيًّا – بَلْ لَا يَجُوزُ هَذَا .
وَأَمَّا رِضَا اللهِ وَمَحَبَّتُهُ : فَعَلَى وَفْقِ الْأَمْرِ ، لَا الْإِرَادَةِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر : ٧] ، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] ، ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [النساء: ١٤٨] كَمَا قَالَ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف : ٢٨] . وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ عَامًّا لِمَنْ شَاءَ لَهُ الْهِدَايَةَ وَمَنْ شَاءَ لَهُ الْإِضْلَالَ ، صَارَ أَعَمَّ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس : ٢٥] .

وَبِمَا قَرَّرْنَاهُ فِي هَذِهِ الْمَبَاحِثِ يَتَخَرَّجُ الْجَوَابُ عَلَى قَوْلِ ذَلِكَ الْيَهُودِيِّ :

(أَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ ذِمِّي دِينِكُمْ ... تَحَيَّرَ دَلُّوهُ بِأَوْضَحِ حُجَّةِ
إِذَا مَا قَضَى رَبِّي بِكُفْرِي بِزَعْمِكُمْ ... وَلَمْ يَرْضَهُ مِنِّي فَمَا وَجْهُ حِيلَتِي ؟!
قَضَى بِضَلَالِي ثُمَّ قَالَ : ارْضَ بِالْقَضَا ! ... فَهَلْ أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي فِيهِ شِقْوَتِي ؟!
دَعَانِي وَسَدَّ الْبَابَ دُونِي فَهَلْ إِلَى ... دُخُولِي سَبِيلٌ ؟ بَيِّنُوا لِي قَضِيَّتِي
إِذَا شَاءَ رَبِّي الْكُفْرَ مِنِّي مَشِيئَةً ... فَهَلْ أَنَا عَاصٍ بِاتِّبَاعِ الْمَشِيئَةِ ؟!
وَهَلْ لِي رِضَا مَا لَيْسَ يَرْضَاهُ سَيِّدِي ؟! ... وَقَدْ حِرْتُ دُلُّونِي عَلَى كَشْفِ حَيْرَتِي
وَهَلْ لِي اخْتِيَارٌ أَنْ أُخَالِفَ حُكْمَهُ ؟ ... فَبِاللهِ فَاشْفُوا بِالْبَرَاهِينِ عِلَّتِي)

وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ [الْمِعْيَارِ] جَوَابَيْنِ عَنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِأَبِي سَعِيدِ بْنِ لُبٍّ ، أَحَدُهُمَا يَنِيفُ عَلَى الثَّلَاثِينَ بَيْتًا ، **وَالْآخَرُ هُوَ قَوْلُهُ :**

(قَضَى اللهُ كُفْرَ الْكَافِرِينَ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَرْضَاهُ تَكْلِيفًا لَدَى كُلِّ أُمَّةِ
نَهَى خَلْقَهُ عَمَّا أَرَادَ وُقُوعَهُ ... وَإِنْفَاذَهُ، وَالْمُلْكُ أَبْلَغُ حُجَّتِي
فَنَرْضَى قَضَاءَ الرَّبِّ حُكْمًا وَإِنَّمَا ... كَرَاهَتُنَا مَصْرُوفَةٌ لِلْخَطِيئَةِ
فَتَعْصَى إِذَا لَمْ تَنْتَهِجْ طُرُقَ شَرْعِهِ ... وَإِنْ كُنْتَ تَمْشِي فِي طَرِيقِ الْمَشِيئَةِ
إِلَيْكَ اخْتِيَارُ الْكَسْبِ وَالرَّبُّ خَالِقٌ ... مُرِيدٌ لِتَدْبِيرٍ لَهُ فِي الْخَلِيقَةِ
وَمَا لَمْ يُرِدْهُ اللهُ لَيْسَ بِكَائِنٍ ... تَعَالَى وَجَلَّ اللهُ رَبُّ الْبَرِيَّةِ
فَهَذَا جَوَابٌ عَنْ مَسَائِلِ سَائِلٍ ... جَهُولٍ يُنَادِي وَهْوَ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ :

أَيَــــا عُلَمَــــاءَ الـــدِّينِ ذِمِّـــي دِيــــنَكُمْ تَحَيَّــــرَ دَلْــــوُهُ بِأَوْضَــــحِ حُجَّـــــةِ) »

اِهـ كَلَامُ ابْنِ كِيرَانَ .

وَقَوْلُهُ : " إِذَا مَا قَضَى رَبِّي " . **أَيْ** : أَرَادَ .

وَقَوْلُهُ : " بِزَعْمِكُمْ " . **أَيْ** : مَعْشَرَ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ .

وَإِنَّمَا قَالَ : " بِزَعْمِكُمْ " . لِأَنَّ الَّذِي نَظَمَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ عَلَى لِسَانِ يَهُودِيٍّ ، **وَيُقَالُ** : إِنَّهُ ابْنُ الْبَقَقِيِّ – بِمُوَحَّدَةٍ وَقَافَيْنِ ، أُولَاهُمَا مَفْتُوحَةٌ – وَهُوَ الَّذِي قُتِلَ عَلَى الزَّنْدَقَةِ فِي وِلَايَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَالْمُعْتَزِلَةُ – قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى – قَالُوا : إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُرِدِ الشَّرَّ ، كَالْكُفْرِ .

وَقَوْلُهُ : " وَلَمْ يَرْضَهُ مِنِّي " . **أَيْ** : بِزَعْمِكُمْ . **أَيْ** : سَخِطَ عَلَيَّ بِسَبَبِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ** ﴾ [الزمر : ٧] فَالرِّضَا عِنْدَنَا مُغَايِرٌ لِلْإِرَادَةِ لَا عَيْنُهَا ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ كَمَا عَلِمْتَ .

وَقَوْلُهُ : " فَمَا وَجْهُ حِيلَتِي ؟! " . **أَيْ** : فِي عَدَمِ عَذَابِي عَلَى كُفْرٍ قَضَاهُ رَبِّي عَلَيَّ ، وَلَمْ يَرْضَهُ لِي .

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى احْتِجَاجِهِ بِالْقَضَاءِ .

وَنَحْنُ نَقُولُ لَهُ فِي وَجْهِ الْحِيلَةِ : أَسْلِمْ تَنْجُ ، فَإِنَّكَ مَأْمُورٌ بِهِ ، وَلَسْتَ إِلَّا مُكَلَّفًا بِهِ ، وَلَا يَنْفَعُكَ الِاحْتِجَاجُ بِالْقَضَاءِ ؛ فَإِنْ خَالَفْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ مُعَذَّبٌ عَلَى كُفْرِكَ ، لِمُخَالَفَتِكَ مَا أُمِرْتَ بِهِ ، مَعَ كَوْنِكَ مُخْتَارًا لَسْتَ مَجْبُورًا ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ لَكَ كَسْبًا ، بِهِ الْمَدْحُ وَالثَّوَابُ ، وَالذَّمُّ وَالْعِقَابُ .

وَقَوْلُهُ : " قَضَى بِضَلَالِي " . **أَيْ** : أَرَادَ ضَلَالِي ، وَهُوَ الْكُفْرُ . وَهَذَا مَعْلُومٌ مِمَّا قَبْلَهُ ، ذَكَرَهُ لِيَرْبِطَ بِهِ قَوْلَهُ :

" **ثُمَّ قَالَ** : ارْضَ بِالْقَضَاءِ ! " . **يَعْنِي** : الْمَقْضِيَّ . بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : " فَهَلْ أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي فِيهِ شِقْوَتِي ؟! " . وَهُوَ الْكُفْرُ .

وَجَوَابُ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ لَهُ : يَجِبُ عَلَيْكَ الرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ مِنْ حَيْثُ صُدُورُهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِكَ مِنْ جِهَةِ اكْتِسَابِكَ لَهُ ، وَوُقُوعِهِ عَلَى يَدَيْكَ ، فَيَحْرُمُ عَلَيْكَ الرِّضَا بِهِ ، وَيَجِبُ عَلَيْكَ الْإِقْلَاعُ مِنْهُ فَوْرًا .

وَقَوْلُهُ :

(فَــإِنْ كُنْــتُ بِالْمَقْضِــيِّ – يَــا قَــوْمِ – رَاضِــيًا فَــــــرَبِّي لَا يَرْضَــــــى بِشُــــــؤْمِ بَلِيَّــــتِي)

يَعْنِي : وَإِذَا قُلْتُمْ بِوُجُوبِ رِضَائِي بِالْمَقْضِيِّ الَّذِي فِيهِ شِقْوَتِي، فَرَبِّي لَا يَرْضَاهُ، فَكَيْفَ تُوجِبُونَ عَلَيَّ مَا لَيْسَ يَرْضَاهُ ؟! .

فَلِذَا قَالَ : " وَهَلْ لِي رِضَا مَا لَيْسَ يَرْضَاهُ خَالِقِي ؟! " .

نَقُولُ لَهُ فِي جَوَابِهِ : يَجِبُ عَلَيْكَ الرِّضَا بِمَا لَيْسَ يَرْضَاهُ خَالِقُكَ سُبْحَانَهُ – كَكُفْرِكَ – مِنْ حَيْثُ صُدُورُهُ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا ، لَا مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِكَ كَمَا عَلِمْتَ .

وَقَوْلُهُ : " قَدْ حِرْتُ دُلُّونِي عَلَى كَشْفِ حَيْرَتِي " .

نَقُولُ لَهُ : لَا حَيْرَةَ ، وَقَدْ دَلَلْنَاكَ عَلَى كَشْفِهَا .

وَقَوْلُهُ : " دَعَانِي " . **أَيْ** : رَبِّي إِلَى الْإِسْلَامِ .

وَقَوْلُهُ : " وَسَدَّ الْبَابَ " . **أَيْ** : عَلَيَّ ، لِأَنَّهُ قَدْ قَضَى بِكُفْرِي ، وَلَمْ يَرْضَهُ مِنِّي ، وَأَوْجَبَ عَلَيَّ الرِّضَا بِهِ ، " فَهَلْ إِلَى * * دُخُولِي سَبِيلٌ ... ؟ " إِلَخْ .

نَقُولُ لَهُ : **لَمْ** يَسُدَّ عَلَيْكَ الْبَابَ ، وَلَكَ فِي دُخُولِهِ سَبِيلٌ ، بِامْتِثَالِ مَا أُمِرْتَ بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ؛ وَالرِّضَا بِالْكُفْرِ وَاجِبٌ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ صُدُورُهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِكَ ، فَيَحْرُمُ عَلَيْكَ الرِّضَا بِهِ كَمَا عَلِمْتَ . فَقَدْ بَيَّنَّا لَكَ قَضِيَّتَكَ .

وَقَوْلُهُ :

" إِذَا شَـــــاءَ رَبِّي الْكُفْـــــرَ مِـــــنِّي مَشِـــــيئَةً   فَهَـــلْ أَنَـــا عَـــاصٍ بِاتِّبَـــاعِ الْمَشِـــيئَةِ ؟! " .

نَقُولُ لَهُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ : نَعَمْ ، أَنْتَ عَاصٍ بِاتِّبَاعِ مَا شَاءَ اللهُ إِذَا كَانَ لَمْ يَرْضَ لَكَ بِهِ ، وَنَهَاكَ عَنْهُ ، وَأَمَرَكَ بِضِدِّهِ ، كَمَا عَلِمْتَ .

وَقَوْلُهُ : " وَهَلْ لِي اخْتِيَارٌ أَنْ أُخَالِفَ حُكْمَهُ ؟ " .

يَعْنِي : وَإِذَا قُلْتُمْ بِعِصْيَانِي بِاتِّبَاعِ مَا شَاءَهُ اللهُ مِنِّي، وَحَكَمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْكُفْرِ ، هَلْ لِي إِرَادَةٌ وَقُدْرَةٌ عَلَى مُخَالَفَةِ مَا حَكَمَ بِهِ عَلَيَّ ، **أَيْ** : قَضَاهُ وَأَرَادَهُ، لَا اخْتِيَارَ لِي فِي ذَلِكَ ، إِنَّمَا الْمُخْتَارُ لَهُ ، وَخَالِقُ الِاخْتِيَارِ فِيَّ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَكَيْفَ يُعَذِّبُنِي عَلَى ذَلِكَ ؟! .

نَقُولُ لَهُ فِي جَوَابِهِ : نَعَمْ ، لَا اخْتِيَارَ لَكَ فِي ذَلِكَ ، لَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَكَمَ وَقَضَى عَلَيْكَ بِدَوَامِ الْكُفْرِ حَتَّى تَقُولَ : لَا اخْتِيَارَ لِي فِي مُخَالَفَتِهِ ؟! . هَلْ كَانَ لَكَ عِلْمٌ بِذَلِكَ قَبْلَهُ ؟! . فَلَعَلَّكَ تَقُولُ : لَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ . فَمِنْ هُنَا أُخِذْتَ ، لِأَنَّ مُقْتَضَى عَدَمِ عِلْمِكَ بِذَلِكَ قَبْلَهُ أَنَّكَ تَمْتَثِلُ أَمْرَهُ – سُبْحَانَهُ – وَنَهْيَهُ الْوَارِدَيْنِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ، فَلْتُسْلِمْ تَسْلَمْ .

وَقَدْ حَجَّ إِبْلِيسُ – أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهُ – رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ، أَنْتَ الَّذِي قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالِامْتِنَاعِ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ ، فَلِمَ أَبْعَدتَّنِي مِنْ رَحْمَتِكَ ؟! .

فَقَالَ اللهُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي قَضَيْتُ عَلَيْكَ بِالِامْتِنَاعِ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ؟ هَلْ كَانَ لَكَ عِلْمٌ بِذَلِكَ قَبْلَ امْتِنَاعِكَ؟ فَقَالَ : لَا . فَقَالَ اللهُ لَهُ : مِنْ هُنَا أُخِذتَ . فَخُصِمَ اللَّعِينُ وَأُلْزِمَ الْحُجَّةَ .

وَقَوْلُهُ : " فَبِاللهِ فَاشْفُوا بِالْبَرَاهِينَ عِلَّتِي " .

قَدْ شَفَيْنَاهَا بِالْبَرَاهِينِ ، وَبِاللهِ نَسْتَعِينُ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

وَقَوْلُ أَبِي سَعِيدِ بْنِ لُبٍّ : " وَالْمُلْكُ أَعْظَمُ حُجَّةً " . جَوَابٌ عَنِ الْمَسْئَلَةِ الْأُولَى ، أَعْنِي قَوْلَهُ : " إِذَا مَا قَضَى رَبِّي ... ". إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ .

أَيْ : أَنَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – قَضَى بِكُفْرِهِ وَأَرَادَهُ مِنْهُ ، وَنَهَاهُ عَنْهُ وَعَاقَبَهُ عَلَيْهِ ، ﴿ **لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** ﴾

[الأنبياء : ٢٣] لِأَنَّهُ مِلْكُهُ ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَذَلِكَ عَدْلٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الظُّلْمِ، لِأَنَّهُ : التَّصَرُّفُ فِي مِلْكِ الْغَيْرِ .

وَقَوْلُهُ : " فَلَا نَرْضَ فِعْلًا قَدْ نَهَى عَنْهُ شَرْعُهُ " . جَوَابٌ لِقَوْلِهِ : " قَضَى بِضَلَالِي ثُمَّ قَالَ : ارْضَ بِالْقَضَاءِ ! " .

أَي : ارْضَ بِالْقَضَاءِ وَلَا تَعْتَرِضْ ، وَلَا تَرْضَ بِالْمَقْضِيِّ ؛ **أَيْ** : لَا تَرْضَ ذَاتَ الْفِعْلِ وَارْضَ بِوَصْفِهِ – أَيِ الْقَضَاءِ – وَلَا تُحِبَّ الْفِعْلَ وَسَلِّمْ لِلْقَضَاءِ ، **أَيْ** : لَا تُنَازِعْ وَلَا تَعْتَرِضْ .

وَقَوْلُهُ : " إِلَيْكَ اخْتِيَارُ الْكَسْبِ ... " إلخ . جَوَابٌ عَنْ قَوْلِهِ : " إِذَا شَاءَ رَبِّي الْكُفْرَ مِنِّي مَشِيئَ ... " إلخ .

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَالِقٌ لِفِعْلِ الْعَبْدِ وَمُرِيدٌ لَهُ، وَلَكِنَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – جَعَلَ مَنَاطَ التَّكْلِيفِ كَسْبَ الْعَبْدِ، فَحَيْثُ كَانَ الْكَسْبُ مُخَالِفًا لِلْأَمْرِ ، عُوقِبَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ لَمْ نَطَّلِعْ عَلَى الْحِكْمَةِ لِتِلْكَ الْإِرَادَةِ الْمُخَالِفَةِ لِلْأَمْرِ ؛ وَلَا نَقُولُ : إِنَّ الْفِعْلَ لِلْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي بِخَلْقِ الْعَبْدِ ، لَا بِإِرَادَةِ الرَّبِّ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَقَعَ فِي مُلْكِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مَا لَا يُرِيدُ ، وَذَلِكَ مُحَالٌ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْمُجِيبِ : " وَمَا لَمْ يُرِدْهُ اللهُ لَيْسَ بِكَائِنِ " .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْفَجِيجِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [ابْنِ عَاشِرٍ] بَعْدَ ذِكْرِهِ سُؤَالَ الْيَهُودِيِّ وَجَوَابَ ابْنِ لُبٍّ عَنْهُ مَا نَصُّهُ :

« ثُمَّ قَالَ – **أَي** : ابْنُ لُبٍّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : الْبَيْتُ الْأَوَّلُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ** ﴾ [الأنعام : ١٠٧] ، ﴿ **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ** ﴾ [الأنعام : ١٣٧] ، مَعَ قَوْلِهِ : ﴿ **وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ** ﴾ [الزمر : ٧] .

وَالْبَيْتُ الثَّانِي مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] ؛ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ : الْمِلْكُ .

كَمَا فِي [مُسْلِمٍ] : " سَأَلَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – أَبَا الْأَسْوَدِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَمَّا قَضَى اللهُ عَلَى الْكَافِرِينَ : هَلْ يَكُونُ ظُلْمًا ؟ .

فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ ، ﴿ **لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

فَقَالَ عِمْرَانُ : إِنَّمَا أَرَدتُّ أَنْ أُجَرِّبَ عَقْلَكَ " .

وَالْبَيْتُ الثَّالِثُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير : ٢٩] .

وَالْبَيْتُ الرَّابِعُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ** ﴾ [النور : ٦٣] مَعَ قَوْلِهِ : ﴿ **مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ** ﴾ [الأنعام : ٣٩]

وَالْبَيْتُ الْخَامِسُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٢٥﴾ ﴾

[يونس : ٢٥] ، فَعَمَّ بِالدَّعْوَةِ ، وَخَصَّ بِالْهِدَايَةِ .

وَالْبَيْتُ السَّادِسُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ [الأعراف : ١٨٦] .

وَالْبَيْتُ السَّابِعُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

وَالْبَيْتُ الثَّامِنُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾[النحل : ٣٧] ». اهـ .

وَمِمَّنْ أَجَابَهُ : **الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ الْقُونُوِيُّ كَمَا قَالَ الْعَارِفُ الشَّعْرَانِيُّ فِي [الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ] فِي [الْمَبْحَثِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ]** :

« إِنَّ بَعْضَ الْيَهُودِ بِالشَّامِ نَظَمَ أَبْيَاتًا وَأَرْسَلَهَا إِلَى الشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ الْقُونُوِيِّ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجَوَابَ عَنْهَا ، **وَهِيَ** :

(أَيَا عُلَمَاءَ الدِّينِ … … … … … … … … …) إِلَخْ

فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – بِقَوْلِهِ :

(صَدَقْتَ ، قَضَى الرَّبُّ الْحَكِيمُ بِكُلِّ مَا ... يَكُونُ وَمَا قَدْ كَانَ وِفْقَ الْمَشِيئَةِ
وَهَذَا إِذَا حَقَّقْتَهُ مُتَأَمِّلًا ... فَلَيْسَ يَسُدُّ الْبَابَ مِنْ بَعْدِ دَعْوَةِ
لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ قَضَاءَهُ ... لِأَمْرٍ عَلَى تَعْلِيقِهِ بِشَرِيطَةِ
يَجُوزُ وَلَا يَأْبَاهُ عَقْلٌ كَمَا تَرَى ... حُدُوثُ أُمُورٍ بَعْدَ أُخْرَى تَأَدَّتِ
كَمَا الرِّيُّ بَعْدَ الشُّرْبِ وَالشِّبَعِ الَّذِي ... يَكُونُ عَقِيبَ الْأَكْلِ فِي كُلِّ مَرَّةِ
فَلَيْسَ بِبِدْعٍ أَنْ يَكُونَ مُعَلَّقًا ... قَضَاءُ الْإِلَهِ الْحَقِّ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
بِكُفْرِكَ مَهْمَا كُنْتَ بِالْكُفْرِ رَاضِيًا ... عَلَيْكَ بِأَسْبَابِ الْهُدَى وَالسَّلَامَةِ
فَمِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ مَا قَدْ رَفَضْتَهُ ... مَعَ الْأَمْنِ وَالْإِمْكَانِ : لَفْظُ الشَّهَادَةِ
فَأَنْتَ كَمَنْ لَا يَأْكُلُ الدَّهْرَ قَائِلًا ... أَمُوتُ بِجُوعِي إِذْ قَضَى لِي بِجَوْعَتِي !) » .

وَحَاصِلُ هَذَا الْجَوَابِ :

أَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى، لَكِنْ قَضَاؤُهُ تَعَالَى مِنْهُ مُعَلَّقٌ، وَمِنْهُ مُبْرَمٌ؛ فَكُفْرُ الْكَافِرِ لَا يُعْلَمُ أَنَّهُ مُبْرَمٌ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ كَافِرًا ، وَأَمَّا فِي حَالِ الْحَيَاةِ : فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُعَلَّقٌ بَقَاؤُهُ بِدَوَامِ رَضَاهُ بِهِ ، وَعَدَمِ تَعَاطِي أَسْبَابِ الْخُرُوجِ مِنْهُ ؛ فَإِذَا تَعَاطَاهَا بِنُطْقِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، اِنْقَطَعَ بَقَاؤُهُ ، كَمَا أَنَّ الْجَائِعَ مُعَلَّقٌ دَوَامُ جُوعِهِ بِعَدَمِ تَعَاطِي أَسْبَابِ الْخُرُوجِ مِنْهُ ؛ فَإِذَا تَعَاطَاهَا بِتَنَاوُلِهِ الطَّعَامَ ، اِنْقَطَعَ جُوعُهُ ؛ وَالْعَبْدُ لَمْ يُطْلِعْهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْقَضَاءَ مُبْرَمٌ ، وَقَدْ أَمَرَهُ بِتَعَاطِي أَسْبَابِ الْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَسَهَّلَهَا لَهُ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَمْتَثِلَ مَا أَمَرَهُ مَوْلَاهُ بِهِ ، وَلَا يَحْتَجَّ بِأَنَّ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مَقْضِيٌّ عَلَيْهِ إِلَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَاضِي ، لَا الْمُسْتَقْبَلِ ، فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ عُذْرٌ ، وَللهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ .

وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْإِرَادَةَ غَيْرُ الْأَمْرِ وَالرِّضَا – كَمَا تَقَدَّمَ تَحْقِيقُهُ – فَكُلُّ مَأْمُورٍ بِهِ فَهُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَهُ تَعَالَى ، لَكِنَّهُ قَدْ يَكُونُ مُرَادًا لَهُ ، وَقَدْ يَكُونُ غَيْرَ مُرَادٍ لَهُ ، فَمَا كَانَ مُرَادَهُ وَقَعَ ، وَمَا لَا فَلَا .

وَالْمَنْهِيُّ عَنْهُ غَيْرُ مَرْضِيٍّ عِنْدَهُ تَعَالَى ، ثُمَّ إِنَّهُ إِنْ أَرَادَ وُقُوعَهُ مِنَ الْعَبْدِ وَقَعَ ، وَإِلَّا فَلَا .

وَيَتَرَتَّبُ عَلَى فِعْلِ الْعَبْدِ لِلْمَأْمُورِ بِهِ : الثَّوَابُ ؛ وَهُوَ مَعْنَى الرِّضَا ؛ وَعَلَى فِعْلِهِ لِلْمَنْهِيِّ عَنْهُ : الْعِقَابُ ؛ وَهُوَ مَعْنَى عَدَمِ الرِّضَا .

وَالَّذِي خَلَقَ الْمَأْمُورَ بِهِ ، وَالْمَنْهِيَّ عَنْهُ : اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ ؛ وَالْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ تَأْثِيرٌ ، وَإِنَّمَا لَهُ مُجَرَّدُ الْكَسْبِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى مَنَاطَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ .

وَلَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ، يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ .

فَإِذَا تُحُقِّقَ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِخَلْقِ اللهِ – سُبْحَانَهُ — وَإِرَادَتِهِ ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى كَلَّفَ الْعَبْدَ ، وَجَعَلَ كَسْبَهُ مَنَاطَ

التَّكْلِيفِ : فَعَلَى الْعَبْدِ التَّوَجُّهُ إِلَى الْكَسْبِ – كَمَا يَتَوَجَّهُ لِكَسْبِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ – وَقَدْ أَجْرَى اللهُ تَعَالَى عَادَتَهُ بِحُصُولِ ذَلِكَ .

فَقَوْلُ السَّائِلِ :

(دَعَـــــــانِي وَسَـــــــدَّ الْبَـــــــابَ دُونِي … … … … … …)

كَلَامٌ بَاطِلٌ ، فَإِنَّ اللهَ – تَعَالَى – دَعَاهُ وَفَتَحَ لَهُ الْبَابَ ، وَجَعَلَ لَهُ الْأَسْبَابَ ؛ وَالَّذِي مَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ: رِضَاؤُهُ بِالْكُفْرِ ، وَعَدَمُ تَوَجُّهِهِ لِتَعَاطِي كَسْبِ أَسْبَابِ الْخُرُوجِ مِنْهُ ، فَعَلَيْهِ التَّوَجُّهُ إِلَى اللهِ – تَعَالَى — بِكُلِّيَّتِهِ ، لِيُسَهِّلَ لَهُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُوَصِّلُهُ إِلَى الْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَى ، لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ** ﴾ [النور : ٢١] .

وَقَدْ ذَيَّلَ ابْنُ خَاتِمَةَ كُلَّ بَيْتٍ مِنْ أَبْيَاتِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ لُبٍّ ، فَقَالَ :

(قَضَـــى الـــرَّبُّ كُفْـــرَ الْكَـــافِرِينَ وَلَمْ يَكُـــنْ	لِيَرْضَـــــاهُ تَكْلِيفًـــــا لَـــــدَى كُـــلِّ أُمَّـــــةِ
وَإِلَّا فَقَـــــــدْ كَـــــــانَ الْعَلِـــــيمَ بِأَنَّـــــــهُ	يَكُـــــونُ وَلَمْ يُجْبُـــــرْ عَلَـــــى فِعْـــــلِ ذَرَّةِ
وَلَـــوْ كَـــانَ يَرْضَـــاهُ لَمَـــا افْتَـــرَقَ الْـــوَرَى	فَـــــرِيقَيْنِ فِي الْأُخْـــــرَى لِنَـــــارٍ وَجَنَّـــــةِ
نَهَـــــى خَلْقَـــــهُ عَمَّـــــا أَرَادَ وُقُوعَـــــهُ	وَإِنْفَـــــاذَهُ، وَالْمُلْـــــكُ أَبْلَـــــغُ حُجَّـــــةِ
عَلَـــــى أَنَّـــــهُ فِي ذَاكَ لَـــــيْسَ بِجَـــــائِرٍ	إِذِ الْمُلْـــــكُ مِنْـــــهُ مُطْلَقًـــــا فِي الْبَرِيَّـــــةِ
وَمَـــا صَـــحَّ هَـــذَا الْجَـــوْرُ إِلَّا لِأَنَّنَـــا	مَلَكْنَـــا وَلَكِـــنْ لَـــيْسَ مِلْـــكَ حَقِيقَـــةِ
فَنَرْضَـــى قَضَـــاءَ الـــرَّبِّ حُكْمًـــا وَإِنَّمَـــا	كَرَاهَتُنَـــــــا مَصْـــــــرُوفَةٌ لِلْخَطِيئَـــــــةِ
فَنَكْرَهُـــهُ مِـــنْ حَيْـــثُ ذَلِـــكَ لَا لِمَـــا	غَـــدَا فِعْـــلَ رَبٍّ عَـــادِلٍ فِي الْقَضِـــيَّةِ
فَأَفْعَالُنَـــا قِسْـــمَانِ : جَـــوْرٌ وَطَاعَـــةٌ	وَأَفْعَالُـــهُ : مَـــا بَـــيْنَ عَـــدْلٍ وَمِنَّـــةِ

فَـلَا تَـرْضَ فِعْـلًا قَـدْ نَهَـى عَنْـهُ شَـرْعُهُ ... وَسَـلِّمْ لِتَـدْبِيرٍ وَحُكْـمِ مَشِـيئَةِ
وَإِنْ كَـانَ فِعْـلًا وَاحِـدًا فَنَسـبْتَهُ ... إِلَيْـكَ ، يُسَـمَّى الـذَّنْبُ لَا لِلْمَشِـيئَةِ

فَأَنْـتَ مَحَـلُّ وَصْـفِهِ قَـائِمٌ بِـهِ ... قَضَـى كَسْـبَهُ فِيـهِ بِنَعْـتٍ وَنِسْـبَةِ
دَعَـا الْكُـلَّ تَكْلِيفًـا وَوَفَّـقَ بَعْضَـهُمْ ... بِخَـصَّ بِتَوْفِيـقٍ ، وَعَـمَّ بِـدَعْوَةِ
وَلَـيْسَ عَلَيْـهِ أَنْ يُوَفِّـقَ مَـا قَضَـى ... لَـهُ أَزَلًا فِي عِلْمِـهِ بِضَـلَالَةِ
وَكَيْـفَ وَلَا حَجْـرَ عَلَيْـهِ ؟! وَإِنَّمَـا ... يَكُـونُ قَبِيحًـا زَائِـغٌ عَـنْ شَـرِيعَةِ
فَتَعْصَـى إِذَا لَمْ تَنْـتَهِجْ طُـرْقَ شَـرْعِهِ ... وَإِنْ كُنْـتَ تَمْشِـي فِي طَرِيـقِ الْمَشِـيئَةِ
وَلَا عُـذْرَ فِي دَعْـوَاكَ جَبْـرًا ، فَمَـنْ يَقُـلْ ... " فَعَلْـتُ " فَمُخْتَـارٌ بِحُكْـمِ الْبَدِيهَـةِ
هُمَـا جِهَتَـانِ امْتَـازَ حُكْمُهُمَـا سِـوَى ... لِـذِي بَصَـرٍ لَمْ يَسْـتَتِرْ عَـنْ بَصِـيرَةِ
إِلَيْـكَ اخْتِيَـارُ الْكَسْـبِ وَالـرَّبُّ خَـالِقٌ ... مُرِيـدٌ بِتَـدْبِيرٍ لَـهُ فِي الْخَلِيقَـةِ
وَتَعْرِيـفُ مَـا بَـيْنَ اضْـطِرَارٍ مُجَـرَّدٍ ... وَبَـيْنَ اخْتِيَـارٍ مُـدْرَكٍ بِالضَّـرُورَةِ
وَمَـا لَمْ يُـرِدْهُ اللهُ لَـيْسَ بِكَـائِنٍ ... تَعَـالَى وَجَـلَّ اللهُ رَبُّ الْبَرِيَّـةِ
وَلَـوْ بَـانَ فِي ذَا الْخَلْـقِ غَيْـرُ مُـرَادِهِ ... وَتَمَّ لِعَبْـدٍ دُونَـهُ لَمْـحَ نَظْـرَةِ
لَكَـانَ مَلِيـكُ الْمُلْـكِ فِيـهِ مُنَازَعًـا ... وَيَـأْبَى لَـهُ شِـرْكًا عُلُـوُّ الْأُلُوهَـةِ
فَمَـنْ شَـرَحَ التَّسْـلِيمُ بَاطِنَـهُ نَجَـا ... وَنَـالَ مِـنَ الْإِسْـلَامِ أَكْمَـلَ نِعْمَـةِ
وَإِنْ ضَـاقَ صَـدْرًا سَـدَّ فِي وَجْهِـهِ وَلَمْ ... يَفُـزْ مِـنْ سَـنَا ذَاكَ الْمَقَـامِ بِلَمْحَـةِ
فَهَـذَا جَـوَابٌ عَـنْ مَسَـائِلِ سَـائِلٍ ... جَهُـولٍ يُنَـادِي وَهْـوَ أَعْمَـى الْبَصِـيرَةِ :
أَيَـا عُلَمَـاءَ الـدِّينِ ذَمِّـيَ دِيـنَكُمْ ... تَحَيَّـرَ دَلْـوُهُ بِأَوْضَـحِ حُجَّـةِ)

نَقَلَهُ بَعْضُ شُرَّاحِ [رِسَالَةِ الْإِمَامِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ] نَفَعَنَا اللهُ بِهِ .

وَأَجَابَ – أَيْضًا – الْعَارِفُ بِاللهِ تَعَالَى سَيِّدِي عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابْلِسِيُّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – فَقَالَ :

(دَلَّلْنَـاكَ يَـا مَـنْ أَنْـتَ ذَمَّ دِينَنَـا ... فَـلَا تَتَحَيَّـرْ وَاسْـتَمِعْ لِمَقَـالَتِي
نَعَـمْ ، قَـدْ قَضَـى رَبِّي بِكُفْـرِكَ عِنْـدَنَا ... وَلَمْ يَرْضَـهُ ، لَكِـنْ قَضَـى بِـالْإِرَادَةِ

... ...

كَقَاضٍ بِقَصْدٍ قَدْ قَضَى بِجِنَايَةٍ ... عَلَيْكَ ، وَلَا يَرْضَى بِتِلْكَ الْجِنَايَةِ

فَإِنَّ قَبِيحَ الْفِعْلِ لَمْ يَرْضَ عَاقِلٌ ... بِهِ ، وَالْقَضَا حَقٌّ شَرِيفُ الْمَزِيَّةِ

وَمَا فَعَلَ الْقَاضِي قَبِيحًا وَإِنَّمَا ... فَعَلْتَ قَبِيحًا أَنْتَ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ

فَأَلْزَمَكَ الرَّحْمَنُ أَنْ تَرْضَ بِالْقَضَا ... وَلَا تَرْضَ بِالْمَقْضِيِّ ، فَافْهَمْ طَرِيقَتِي

فَإِنْ كَانَ خَيْرًا مَا قَضَى كَانَ رَاضِيًا ... وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَيْسَ يَرْضَى بِشِرَّةٍ

قَضَى بِضَلَالٍ فِيكَ وَهْوَ يُضِلُّ مَنْ ... يَشَاءُ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةِ

فَكُنْ بِالْقَضَا مِنْ رَبِّكَ الْحَقِّ رَاضِيًا ... وَلَا تَرْضَ بِالْمَقْضِيِّ ، أَيْ : بِالشَّقَاوَةِ

وَقَدْ شَاءَ رَبِّي أَنْ تَشَاءَ لِمَا يَشَا ... فَإِنْ شِئْتَ عِصْيَانًا عَصَيْتَ بِجَهْلَةِ

وَمَا أَنْتَ مَجْبُورٌ ، وَرَبُّكَ خَالِقٌ ... لَكَ الِاخْتِيَارَ الْمَحْضَ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ

وَحَيْثُ اخْتِيَارٌ فِيكَ خِلْقَةُ رَبِّنَا ... كَبَاقِي صِفَاتٍ ، مِثْلُ حَوْلٍ وَقُوَّةِ

فَإِنَّكَ مُخْتَارٌ ، وَلَا جَبْرَ هَهُنَا ... وَكَلَّفَكَ الْمَوْلَى بِأَنْوَاعِ كُلْفَةِ

وَمَا الشَّرْطُ فِي الْمَخْلُوقِ يَقْدِرُ أَنَّهُ ... يُخَالِفُ حُكْمَ الْخَالِقِ الْمُتَثَبِّتِ

فَكُنْ رَاضِيًا بِاللهِ رَبًّا وَبِالنَّبِي ... نَبِيًّا وَبِالدِّينِ الْحَنِيفِيِّ مِلَّةِ

تَكُنْ مُسْلِمًا مِثْلِي وَمِثْلَ مَعَاشِرِي ... وَتَلْحَقْ بِنَا أَهْلِ الْكَمَالِ الْأَئِمَّةِ

وَإِلَّا فَدُمْ فِي الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالرَّدَى ... تُؤَدِّي الْخَرَاجَ الْحَقَّ مِنْ بَعْدِ جِزْيَةِ

حَقِيرًا ذَلِيلًا إِنْ أَبَيْتَ تَخَطَّفَتْ ... حَشَاكَ حِدَادُ السُّمْرِ وَالْمَشْرَفِيَّةِ

وَهَذَا جَوَابِي ، أَحْمَدُ اللهَ بَعْدَهُ ... وَأُهْدِي إِلَى الْمُخْتَارِ أَسْنَى تَحِيَّةِ

وَقَدْ قَالَهُ عَبْدُ الْغَنِيِّ بِرَبِّهِ ... تَبَارَكَ ، لَا بِالنَّفْسِ تِلْكَ الْفَقِيرَةِ

وَرِضْوَانُ رَبِّي – جَلَّ – عَنْ آلِ أَحْمَدٍ ... وَأَصْحَابِهِ جَمْعًا وَبِالْخَيْرِ تَمَّتِ)

اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

(**السَّابِعُ**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **فَإِنْ قِيلَ** : هَلْ يَجُوزُ إِطْلَاقُ أَنَّ اللهَ أَرَادَ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ وَالشُّرُورَ وَخَلَقَهَا – لِصِحَّةِ ذَلِكَ فِي الِاعْتِقَادِ – أَوْ لَا يَجُوزُ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ : خَلَقَ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا – وَنَحْوَ ذَلِكَ – تَأَدُّبًا، وَحَذَرًا مِنْ إِيهَامِ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ حَسَنَةٌ ، مَأْمُورٌ بِهَا ، أَوْ يَجُوزُ حَيْثُ لَا إِيهَامَ ، وَيُمْنَعُ مَعَهُ ؟ .

قُلْتُ : قَدْ قِيلَ بِكُلٍّ مِنَ الثَّلَاثَةِ ، وَوَسَطُهَا أَوْسَطُهَا ، وَاخْتَارَهُ الْقَلْشَانِيُّ وَغَيْرُهُ ؛ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ** ... ﴾ [النساء : ٧٩] الْآيَةَ ، مَعَ قَوْلِهِ قَبْلُ : ﴿ **قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ** ﴾[النساء : ٧٨] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ **صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ** ... ﴾ [الفاتحة : ٧] الْآيَةَ – إِذْ لَمْ يَقُلْ : " وَلَا الَّذِينَ أَضْلَلْتَهُمْ " كَمَا قَالَ :

… …

﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٧]- وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ ... ﴾ [الجن : ١٠] } الْآيَةَ ،

فَبُنِيَ فِعْلُ الْإِرَادَةِ – فِي جَانِبِ الشَّرِّ – لِلْمَفْعُولِ ؛ وَأُظْهِرَ – فِي جَانِبِ الْخَيْرِ – الْفَاعِلُ ، وَهُوَ ﴿ رَبُّهُمْ ﴾

[الجن: ١٠] ؛ وَقَوْلُ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ... ﴾ [الشعراء : ٧٨] إِلَى : ﴿ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾

[الشعراء : ٨٠] ، لَمْ يَقُلْ : " وَإِذَا أَمْرَضَنِي " – عَلَى أُسْلُوبِ الْأَفْعَالِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ – أَدَبًا ؛ وَقَوْلُ الْخَضِرِ :

﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف : ٧٩] مَعَ قَوْلِهِ : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ... ﴾ [الكهف : ٨٢] }

إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف : ٨٢] فَنَسَبَ إِرَادَةَ الْعَيْبِ لِنَفْسِهِ ، وَإِرَادَةَ بُلُوغِ الْأَشُدِّ وَاسْتِخْرَاجِ الْكَنْزِ رَحْمَةً لِلَّهِ ، أَدَبًا فِي التَّعْبِيرِ .

وَفِي دُعَاءٍ نَبَوِيٍّ : " الْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ " . **أَيْ** : لَيْسَ مَنْسُوبًا إِلَيْكَ مِنْ حَيْثُ هُوَ شَرٌّ ، وَلِذَلِكَ

اقْتَصَرَ عَلَى الْخَيْرِ فِي آيَةِ : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] .

وَمِمَّا رُوعِيَتْ فِيهِ الْحَقِيقَةُ : الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ : " أَنَا اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَطُوبَى لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلْخَيْرِ، وَأَجْرَيْتُ الْخَيْرَ عَلَى يَدِهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلشَّرِّ ، وَأَجْرَيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدِهِ " .

وَمِمَّا رُوعِيَ فِيهِ الْحَقِيقَةُ وَالْأَدَبُ مَعًا : مَا فِي مُنَاجَاةِ [الْحِكَمِ] :

" إِلَهِي ، إِنْ ظَهَرَتِ الْمَحَاسِنُ مِنِّي فَبِفَضْلِكَ ، وَلَكَ الْمِنَّةُ عَلَيَّ ؛ وَإِنْ ظَهَرَتِ الْمَسَاوِي مِنِّي فَبِعَدْلِكَ ، وَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ " .

وَأَمَّا مَا هُوَ مَحْمُودٌ شَرْعًا مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ : فَيُنْسَبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً – خَلْقًا، وَإِيجَادًا ، وَشَرِيعَةً – أَدَبًا ؛ وَإِلَى الْعَبْدِ شَرِيعَةً لَا حَقِيقَةً ، لِكَسْبِهِ لَهُ ، وَيَنْبَغِي لِصَاحِبِهِ الِاقْتِصَارُ عَلَى نِسْبَتِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدَبًا .

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : " إِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ حَسَنَةً قَالَ : يَا رَبِّ ، بِفَضْلِكَ اسْتَعْمَلْتُ ، وَأَنْتَ أَعَنْتَ، وَأَنْتَ سَهَّلْتَ : شَكَرَ اللهُ لَهُ وَقَالَ : يَا عَبْدِي ، بَلْ أَنْتَ أَطَعْتَ ، وَأَنْتَ تَقَرَّبْتَ وَإِنْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ : أَنَا أَطَعْتُ ، وَعَمِلْتُ ، وَتَقَرَّبْتُ : أَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ : يَا عَبْدِي ، أَنَا وَفَّقْتُ ، وَأَنَا أَعَنْتُ وَسَهَّلْتُ .

وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً فَقَالَ : يَا رَبِّ ، أَنْتَ قَدَّرْتَ ، وَقَضَيْتَ ، وَحَكَمْتَ : غَضِبَ الْمَوْلَى عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا عَبْدِي ، بَلْ أَنْتَ أَسَأْتَ ، وَجَهِلْتَ ، وَعَصَيْتَ .

وَإِنْ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَنَا ظَلَمْتُ ، وَأَنَا أَسَأْتُ ، وَأَنَا جَهِلْتُ : أَقْبَلَ الْمَوْلَى عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا عَبْدِي ، أَنَا قَدَّرْتُ ، وَقَضَيْتُ ، وَقَدْ غَفَرْتُ ، وَحَلِمْتُ ، وَسَتَرْتُ " » . اهـ .

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ تَعَالَى هِيَ النَّافِذَةُ – كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ... ﴾ [القصص: ٦٨] الْآيَةَ – أَوْرَثَهُ ذَلِكَ إِسْقَاطَ التَّدْبِيرِ مَعَ اللهِ ، وَتَرْكَ الْحَسَدِ ، فَإِنَّهُ اعْتِرَاضٌ عَلَى اخْتِيَارِ الْحَقِّ ، كَمَا قِيلَ :

... ...

(أَلَا قُـــــلْ لِمَـــــنْ بَــــاتَ لِي حَاسِــــدًا ... أَتَــــدْرِي عَلَـــى مَـــنْ أَسَـــأْتَ الْأَدَبْ ؟!

أَسَـــــأْتَ عَلَـــــى اللهِ فِي حُكْمِـــــهِ ... لِأَنَّــــكَ لَمْ تَــــرْضَ لِي مَــــا وَهَـــبْ

فَجَـــــازَاكَ عَــــنِّي بِـــــأَنْ زَادَنِي ... وَسَــــدَّ عَلَيْــــكَ وُجُــــوهَ الطَّلَـــبْ)

وَأَوْرَثَهُ الرِّضَا بِمَا يَبْرُزُ بِهِ الْقَدَرُ .

قَالَ مُحَمَّدٌ الْبَاقِرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

" نَدْعُو اللهَ تَعَالَى فِيمَا نُحِبُّ ، فَإِذَا وَقَعَ مَا نَكْرَهُ لَمْ نُخَالِفِ اللهَ فِيمَا حَبَّ " .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

(يَـــــا خَالِقًـــــا لِمَـــــا يَشَـــــا ... مِمَّـــــا يَشَـــــا كَيْـــــفَ يَشَـــــا

وَمُعْطِيًـــــــا لِمَـــــــا يَشَـــــــا ... وَمَانِعًـــــــا لِمَـــــــا يَشَـــــــا

إِنْ لَمْ تُقَــــــدِّرْ مَــــــا نَشَـــــا ... فَـــــالْطُفْ بِنَـــــا فِيمَـــــا تَشَـــــا

كَـــــيْ لَا يَكُـــــونَ مَـــــا نَشَـــــا ... خِـــــلَافَ مَـــــا أَنْـــــتَ تَشَـــــا)

وَلِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

(فَمَـــــا شِـــــئْتَ كَـــــانَ وَإِنْ لَمْ أَشَـــــا ... وَمَـــــا شِـــــئْتُ إِنْ لَمْ تَشَـــــا لَمْ يَكُـــــنْ

خَلَقْــــتَ الْعِبَــــادَ عَلَــــى مَــــا عَلِمْـــــ ... ـــــتَ فَفِــــي الْعِلْــــمِ يَجْــــرِي الْفَــــتَى وَالْمُسِــــنّْ

فَهَــــــذَا هَــــــدَيْتَ وَهَــــــذَا خَذَلْـــــــ ... ـــــــتَ وَهَــــــذَا أَعَنْــــــتَ وَذَا لَمْ تُعِـــــنْ

أَوْ هَــــــذَا شَــــــقِيٌّ وَهَــــــذَا سَــــــعِيدٌ ... وَهَــــــذَا قَبِــــــيحٌ وَهَــــــذَا حَسَــــــنٌ

وَهَــــــذَا قَـــــوِيٌّ وَهَــــــذَا ضَــــــعِيفٌ ... وَكُــــــــلٌّ بِأَعْمَالِــــــــهِ مُــــــــرْتَهَنْ)

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ]

٢١٠ – وَالْعَـــالَمُ : اسْـــمُ مَـــا سِـــوَى الـــدَّيَّانِ ... مِـــــنْ نَـــــوْعَيِ الْأَعْـــــرَاضِ وَالْأَعْيَـــــانِ

٢١١ – فَـــالْعَيْنُ : مَـــا بِنَفْسِـــهِ يَقُـــومُ ... وَمَـــا عَـــدَاهُ : الْعَـــرَضُ الْمَرْقُـــومُ

٢١٢ – وَلَمْ يُحَقَّـــقْ غَيْـــرَ ذَيْـــنِ قِسْـــمُ ... وَكُـــلُّ مَـــا أُلِّـــفَ فَهْـــوَ الجِْسْـــمُ

٢١٣ – وَمَـــا انْتَهَـــى لِحَـــدِّ مَنْـــعِ الْقَسْـــمِ ... فَـــالجَْوْهَرُ الْفَـــرْدُ الشَّـــهِيرُ الْوَسْـــمِ

٢١٤ – وَهْـــوَ عَلَـــى مَـــذْهَبِنَا الْمَحْمُـــودِ ... يُوصَـــفُ بِالْحُـــدُوثِ وَالْوُجُـــودِ

٢١٥ – هَـــذَا ، وَفِي الْقَـــوْلِ بِـــهِ إِزَاحَـــةْ ... لِظُلْمَـــةِ الْغَـــاوِينَ وَاسْـــتِرَاحَةْ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ [حُدُوثِ الْعَالَمِ]

بِفَتْحِ اللَّامِ ؛ **أَيْ** : وُجُودِهِ بَعْدَ عَدَمٍ . الَّذِي انْبَنَى عَلَيْهِ جَمِيعُ الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ .

((**وَالْعَالَمُ**)) بِفَتْحِ اللَّامِ ((**اسْمُ مَا**)) **أَيْ** : مَوْجُودٍ ((**سِوَى**)) بِكَسْرِ السِّينِ ؛ **أَيْ** : غَيْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الدَّيَّانِ**)) بِفَتْحِ الدَّالِ ، وَشَدِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ، ثُمَّ نُونٍ ؛ **أَيِ** : الْمُجَازِي عَلَى الْأَعْمَالِ .

وَبَيَّنَ ((**مَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِنْ نَوْعَيِ**)) بِفَتْحِ النُّونِ وَالْعَيْنِ – مُثَنَّى " نَوْعٍ " – بِلَا نُونٍ ، لِإِضَافَتِهِ إِلَى

((**الْأَعْرَاضِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَإِهْمَالِ الْعَيْنِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ جَمْعُ " عَرَضٍ " ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالرَّاءِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ؛ وَهُوَ : مَا يَقُومُ بِغَيْرِهِ ((**وَالْأَعْيَانِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " عَيْنٍ " ؛ **أَيْ** : مَا قَامَ بِنَفْسِهِ .

((**فَالْعَيْنُ :**)) **أَيِ** : الذَّاتُ حَقِيقَتُهُ ((**مَا**)) **أَيْ** : مَوْجُودٌ ((**بِنَفْسِهِ**)) صِلَةُ ((**يَقُومُ**)) **أَيْ** : يُوجَدُ ، فَلَا يَحْتَاجُ لِمَحَلٍّ ، **أَيْ** : ذَاتٍ يَقُومُ بِهِ ((**وَمَا عَدَاهُ :**)) **أَيِ** : الْعَيْنَ ، وَهُوَ الْمَوْجُودُ الَّذِي يَقُومُ بِغَيْرِهِ هُوَ : ((**الْعَرَضُ الْمَرْقُومُ**)) **أَيِ** : الْمَكْتُوبُ الْمُبَيَّنُ .

((**وَلَمْ يُحَقَّقْ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْقَافِ الْأَوَّلِ مُثَقَّلًا . وَقَوْلُهُ : ((**غَيْرُ**)) هَـ ((**ـذَيْنِ**)) **أَيِ** : الْعَيْنِ وَالْعَرَضِ ، حَالٌ مِنْ ((**قِسْمُ**)) . وَنَائِبُ فَاعِلِ ((**يُحَقَّقْ**)) : ((**قِسْمُ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : ثَالِثٌ لِلْعَالَمِ ، فَهُوَ مُنْحَصِرٌ فِيهِمَا عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَغَيْرُهُمَا أَحَالَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ ، وَأَثْبَتَهُ الْحُكَمَاءُ ، وَاخْتَارَ الْمُحَقِّقُونَ الْوَقْفَ عَنْهُ ، لِتَعَارُضِ أَدِلَّةِ الْفَرِيقَيْنِ وَضَعْفِهَا .

((**كُلُّ مَا**)) **أَيْ** : مَوْجُودٍ ((**أُلِّفَ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : رُكِّبَ مِنْ جُزْأَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ((**فَهْوَ الْجِسْمُ** .. **وَمَا**)) **أَيِ** : الْمَوْجُودُ الَّذِي ((**انْتَهَى لِحَدِّ مَنْعِ الْقَسْمِ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : الِانْقِسَامِ

((**فَـ**)) هُوَ ((**ـالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الشَّهِيرُ الْوَسْمِ**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ ، وَسُكُونِ السِّينِ ؛ **أَيِ** : التَّسْمِيَةِ بِهَذَا الِاسْمِ

((**وَهْوَ**)) **أَيِ** : الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ ((**عَلَى مَذْهَبِنَا**)) أَهْلِ السُّنَّةِ ، صِلَةُ ((**يُوصَفُ**)) . ((**الْمَحْمُودِ**)) **أَيِ** : الصَّحِيحِ . وَخَبَرُ ((**وَهْوَ**)) : ((**يُوصَفُ بِالْحُدُوثِ وَالْوُجُودِ**)) بَعْدَ عَدَمٍ .

اِعْلَمْ ((**هَذَا**)) **أَيْ** : كَوْنَ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ مَوْجُودًا حَادِثًا ((**وَفِي الْقَوْلِ بِهِ**)) **أَيِ** : وُجُودِ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَحُدُوثِهِ

((**إِزَاحَةْ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، وَالزَّايِ ، وَإِهْمَالِ الْحَاءِ ؛ **أَيْ** : إِزَالَةٌ ((**لِظُلْمَةِ**)) بِضَمِّ الظَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : شُبْهَةِ

٢١٦ - وَفِي حُـــدُوثِ مَـــا سِـــوَى اللهِ الْغَـــرَضْ   إِذْ كُـــلُّ عَـــيْنٍ لَـــيْسَ يَخْلُـــو عَـــنْ عَـــرَضْ

٢١٧ - مِثْـــلُ الـــرَّوَائِحِ أَوِ الْأَكْـــوَانِ   فَـــلَا تَكُـــنْ عَـــنْ شَـــرْحِهَا بِـــالْوَانِي

٢١٨ - وَلْنَقْتَصِـــرْ هُنَـــا عَلَـــى الْأَكْـــوَانِ   فَإِنَّهَـــا لِلْقَصْـــدِ كَـــالْعُنْوَانِ

٢١٩ - وَهْـــيَ اجْتِمَـــاعٌ أَوْ سُـــكُونٌ أَوْ مَـــا   نَـــافَى ، وَكُـــلٌّ لِلْحُـــدُوثِ أَوْمَـــا

٢٢٠ - لِأَنَّهَـــا مُحَقَّـــقٌ فِيهَـــا الْعَـــدَمْ   عِنْـــدَ طُـــرُوِّ ضِـــدِّهَا ، فَـــلَا قِـــدَمْ

((**الْغَاوِينَ**)) بِغَيْنٍ مُعْجَمَةٍ ؛ **أَيِ** : الضَّالِّينَ ((**وَاسْتِرَاحَةْ**)) **أَيْ** : لِأَهْلِ السُّنَّةِ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ مُتَنَاهِي الْأَطْرَافِ بِالْمُشَاهَدَةِ ، فَوَجَبَ كَوْنُهُ مُرَكَّبًا مِنْ أَجْزَاءٍ مُتَنَاهِيَةٍ ، إِذْ يَلْزَمُ مِنْ تَنَاهِي الْكُلِّ تَنَاهِي أَجْزَائِهِ ضَرُورَةً ، وَلِأَنَّ الْجِسْمَ لَوْ لَمْ تَتَناهَ أَجْزَاؤُهُ لَزِمَ وُجُودُ حَوَادِثَ لَا نِهَايَةَ لَهَا - وَهُوَ مُحَالٌ - وَلَزِمَ مُسَاوَاةُ الذَّرَّةِ الْفِيلَ ، لِأَنَّ مَا لَا يَتَنَاهَى لَا يَفْضُلُ عَلَى مَا لَا يَتَنَاهَى ، وَهَذَا بَاطِلٌ ضَرُورَةً وَمُشَاهَدَةً .

((**وَفِي**)) ثُبُوتِ ((**حُدُوثِ مَا**)) **أَيِ** : الْعَالَمَ الَّذِي ((**سِوَى**)) بِكَسْرِ السِّينِ ؛ **أَيْ** : غَيْرِ ((**اللهِ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، **أَيْ** : وُجُودُهُ بَعْدَ عَدَمٍ .

وَمُبْتَدَأُ ((**فِي حُدُوثِ مَا سِوَى اللهِ**)) : ((**الْغَرَضْ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالرَّاءِ ؛ **أَيِ** : الْمَقْصُودُ لِابْتِنَاءِ جَمِيعِ الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَيْهِ .

وَعَلَّلَ حُدُوثَ مَا سِوَى اللهِ بِقَوْلِهِ : ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**كُلُّ عَيْنٍ**)) **أَيْ** : ذَاتٍ مِمَّا سِوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَيْسَ يَخْلُو عَنْ عَرَضْ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالرَّاءِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ .

وَالْأَعْرَاضُ ((**مِثْلُ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**الرَّوَائِحِ**)) جَمْعُ رَائِحَةٍ ((**أَوِ الْأَكْوَانِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْكَافِ ، آخِرُهُ نُونٌ ؛ جَمْعُ كَوْنٍ ((**فَلَا تَكُنْ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**عَنْ شَرْحِهَا**)) **أَيْ** : مَعْرِفَةِ الْأَكْوَانِ ، صِلَةُ ((**بِالْوَانِي**)) **أَيِ** : الْمُتَرَاخِي ((**وَلْنَقْتَصِرْ هُنَا**)) **أَيْ** : فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**عَلَى الْأَكْوَانِ فَإِنَّهَا**)) **أَيِ** : الْأَكْوَانَ ((**لِلْقَصْدِ**)) **أَيِ** : الْمَقْصُودِ، صِلَةُ ((**كَالْعُنْوَانِ**)) بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ؛ أَيِ: التَّرْجَمَةِ فِي الْإِيصَالِ ((**وَهْيَ**)) **أَيِ** : الْأَكْوَانُ ((**اجْتِمَاعٌ**)) بَيْنَ عَيْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ((**أَوْ سُكُونٌ**)) **أَيْ** : عَدَمُ حَرَكَةٍ وَ ((**أَوْ**)) بِمَعْنَى الْوَاوِ ((**مَا**)) **أَيِ** : الْعَرَضُ الَّذِي ((**نَافَى**)) **أَيْ** : قَابَلَ الِاجْتِمَاعَ ، وَهُوَ الِافْتِرَاقُ ؛ وَقَابَلَ السُّكُونَ ، وَهُوَ الْحَرَكَةُ ؛

فَالْأَكْوَانُ أَرْبَعَةٌ :

١ - الِاجْتِمَاعُ **٢ -** وَالِافْتِرَاقُ .

وَالذَاتُ لَا تَخْلُو عَنْ أَحَدِهِمَا .

٣ - وَالسُّكُونُ **٤ -** وَالْحَرَكَةُ .

وَالذَاتُ لَا تَخْلُو عَنْ أَحَدِهِمَا .

((**وَكُلٌّ**)) مِنَ الْأَكْوَانِ الْأَرْبَعَةِ ((**لِلْحُدُوثِ**)) **أَيِ** : الْوُجُودِ بَعْدَ عَدَمٍ ((**أَوْمَا**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : أَشَارَ .

وَعَلَّلَ إِيمَاءَهَا لِلْحُدُوثِ بِقَوْلِهِ : ((**لِأَنَّهَا**)) **أَيِ** : الْأَكْوَانَ ((**مُحَقَّقٌ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْقَافِ الْأُولَى مُثَقَّلَةً ((**فِيهَا**)) **أَيِ** : الْأَكْوَانِ . وَنَائِبُ فَاعِلِ ((**مُحَقَّقٌ**)) : ((**الْعَدَمْ عِنْدَ طُرُوِّ**)) بِضَمِّ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الْوَاوِ ؛

٢٢١ – وَكُلُّ مَا بَانَ بِعَقْلٍ قِدَمُهُ	كَانَ مُحَالًا دُونَ رَيْبٍ عَدَمُهُ
٢٢٢ – وَكُلُّ مَا لَازَمَ حَادِثًا وَجَبْ	لَهُ مِنَ الْحُدُوثِ مَا لَهُ انْتَسَبْ
٢٢٣ – وَعَدَّ الِاجْتِمَاعَ مِنْ نَوْعِ الْعَرَضْ	كَذَاكَ الِافْتِرَاقُ بَعْضٌ اعْتَرَضْ
٢٢٤ – وَقَالَ: بَلْ أَمْرَانِ نِسْبِيَّانِ	لَمْ يَصِلَا الْوُجُودَ فِي التِّبْيَانِ
٢٢٥ – فَبَانَ مِمَّا قَدْ مَضَى بِالسَّرْدِ	حُدُوثُ مَا سِوَى الْإِلَهِ الْفَرْدِ

أَيْ : وُجُودِ ((**ضِدِّهَا**)) **أَيِ** : الْأَكْوَانِ . فَإِذَا وُجِدَ الِاجْتِمَاعُ عُدِمَ الِافْتِرَاقُ ، وَبِالْعَكْسِ ، لِأَنَّهُمَا ضِدَّانِ ، وَهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ بِالضَّرُورَةِ . وَإِذَا وُجِدَ السُّكُونُ عُدِمَتِ الْحَرَكَةُ ، وَبِالْعَكْسِ ؛ لِذَلِكَ ((**فَلَا قِدَمْ**)) بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ؛ لِلْأَكْوَانِ ، لِأَنَّ الْقَدِيمَ لَا يَنْعَدِمُ .

((**وَكُلُّ مَا**)) **أَيْ** : شَيْءٍ ((**بَانَ**)) **أَيْ** : ظَهَرَ وَثَبَتَ ((**بِعَقْلٍ قِدَمُهُ**)) بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ ((**كَانَ مُحَالًا**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ((**دُونَ رَيْبٍ**)) **أَيْ** : تَرَدُّدٍ . وَاسْمُ ((**كَانَ**)) : ((**عَدَمُهُ**)) وَالْأَجْسَامُ مُلَازِمَةٌ لِلْأَكْوَانِ ((**وَكُلُّ مَا**))

أَيْ : شَيْءٍ ((**لَازَمَ**)) شَيْئًا ((**حَادِثًا وَجَبْ**)) **أَيْ** : ثَبَتَ ((**لَهُ**)) **أَيْ** : مُلَازِمِ الْحَادِثِ ((**مِنَ الْحُدُوثِ**)) – بَيَانُ ((**مَا**)) — **أَيِ** : الْحُدُوثِ الَّذِي ((**لَهُ**)) صِلَةُ ((**انْتَسَبْ .. وَعَدَّ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الدَّالِ كَذَلِكَ ؛ **أَيْ** : حَسَبَ وَجَعَلَ ((**الِاجْتِمَاعَ**)) بَيْنَ شَيْئَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ((**مِنْ نَوْعِ الْعَرَضْ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالرَّاءِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ، صِلَةُ ((**عَدَّ**)) . ((**كَذَاكَ**)) **أَيْ** : الِاجْتِمَاعُ فِي كَوْنِ عَدِّهِ مِنْ نَوْعِ الْعَرَضِ مُعْتَرَضًا .
وَمُبْتَدَأُ ((**كَذَا**)) : ((**الِافْتِرَاقُ**)) . وَخَبَرُ ((**عَدَّ**)) : ((**بَعْضٌ**)) مِنْ مُحَقِّقِي الْمُتَكَلِّمِينَ ((**اعْتَرَضْ**)) الْبَعْضُ عَدَّهُمَا مِنَ الْعَرَضِ بِأَنَّهُمَا لَوْ كَانَا عَرَضَيْنِ : فَإِمَّا أَنْ يَقُومَا بِمَجْمُوعِ الْجَوْهَرَيْنِ ، أَوْ بِكُلٍّ مِنْهُمَا ، أَوْ بِأَحَدِهِمَا فَقَطْ .
وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ ، لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى انْقِسَامِ مَا لَا يَنْقَسِمُ .
وَكَذَا الثَّانِي ، لِأَنَّ الْوَاحِدَ بِالشَّخْصِ لَا يَقُومُ بِمَحَلَّيْنِ .
وَكَذَا الثَّالِثُ ، لِأَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى كُلٍّ مِنْهُمَا نِسْبَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَلَا يَقُومُ بِأَحَدِهِمَا فَقَطْ، وَلِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْآخَرُ فِي صُورَةِ الِاجْتِمَاعِ غَيْرَ مُجْتَمِعٍ ، وَفِي صُورَةِ الِافْتِرَاقِ غَيْرَ مُفْتَرِقٍ ؛ وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ ، لِأَنَّهُ خِلَافُ الْوَاقِعِ ((**وَقَالَ :**)) ذَلِكَ الْبَعْضُ ((**بَلْ**)) هُمَا ((**أَمْرَانِ نِسْبِيَّانِ**)) **أَيْ** : إِضَافِيَّانِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمُجْتَمِعَيْنِ أَوِ الْمُفْتَرِقَيْنِ ، كَالْأُخُوَّةِ الَّتِي بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ ، وَالشَّرِكَةِ الَّتِي بَيْنَ الشَّرِيكَيْنِ ((**لَمْ يَصِلَا**)) **أَيْ** : الِاجْتِمَاعُ وَالِافْتِرَاقُ إِلَى ((**الْوُجُودَ**)) الْمُصَحِّحِ لِلرُّؤْيَةِ ((**فِي التِّبْيَانِ**)) **أَيِ** : الْخَارِجِ الْمُشَاهَدِ .
وَالنِّسَبُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ : أُمُورٌ اعْتِبَارِيَّةٌ ذِهْنِيَّةٌ ، لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ ، وَإِلَّا كَانَتْ فِي مَحَلٍّ ، لِامْتِنَاعِ قِيَامِهَا بِنَفْسِهَا ؛ وَكَوْنُهَا فِي مَحَلٍّ نِسْبَةٌ أَيْضًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَحَلِّهَا ، فَلَهُ مَحَلٌّ أَيْضًا ... وَهَكَذَا إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ ، وَهُوَ تَسَلْسُلٌ مُحَالٌ .
((**فَبَانَ**)) **أَيْ** : ظَهَرَ ((**مِمَّا**)) **أَيِ** : الدَّلِيلِ الَّذِي ((**قَدْ مَضَى**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ((**بِالسَّرْدِ**)) بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ؛ **أَيِ** : الذِّكْرِ . وَفَاعِلُ ((**بَانَ**)) : ((**حُدُوثُ مَا**)) **أَيِ** : الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ ((**سِوَى**)) بِكَسْرِ السِّينِ ؛ **أَيْ** : غَيْرِ ((**الْإِلَهِ**)) **أَيِ** : اللهِ الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ ((**الْفَرْدِ**)) **أَيِ** : الْوَاحِدِ فِي الذَّاتِ ، وَالصِّفَاتِ ، وَالْأَفْعَالِ .

٢٢٦ – وَلَا يَـتِمُّ الْمُبْتَغَـى لِلطَّالِـبِ	إِلَّا بِعِلْـمِ السَّـبْعَةِ الْمَطَالِـبِ
٢٢٧ – إِثْبَـاتُ أَعْـرَاضٍ وَكَـوْنُ الْعَـيْنِ	تُـلَازِمُ الْأَعْـرَاضَ دُونَ مَـيْنِ
٢٢٨ – وَالْمَنْـعُ لِلْكُمُـونِ وَالظُّهُـورِ	وَالِانْتِقَـالِ الْمُـدَّعَى بِـالزُّورِ
٢٢٩ – أَوْ أَنَّهَـا قَائِمَـةٌ بِنَفْسِـهَا	أَوْ كَوْنُهَـا قَدِيمَـةً فِي جِنْسِـهَا
٢٣٠ – أَيْ قَـوْلُهُمْ: لَـيْسَ لَهَـا مِـنْ أَوَّلْ	فَـالْأَرْبَعَ ارْدُدْ وَاعْضُـدِ الْمُعَـوَّلْ
٢٣١ – وَانْـفِ التَّغَيُّـرَ عَـنِ الْقَـدِيمِ	تَسِـرْ بِـنَهْجِ السُّـنَّةِ الْقَـوِيمِ

((**وَلَا يَتِمُّ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ((**الْمُبْتَغَى**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَي** : الْمَطْلُوبُ ((**لِل**)) شَّخْصِ الـ ((**طَّالِبِ**)) إِثْبَاتَ حُدُوثِ الْعَالَمِ ، لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**إِلَّا بِعِلْمِ السَّبْعَةِ الْمَطَالِبِ**)) .

وَبَيَّنَ الْمَطَالِبَ السَّبْعَةَ بِقَوْلِهِ :

أَوَّلُهَا : ((**إِثْبَاتُ أَعْرَاضٍ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَإِهْمَالِ الْعَيْنِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ، جَمْعُ " عَرَضٍ " ؛ **أَيْ** : مَا افْتَقَرَ إِلَى ذَاتٍ يَقُومُ بِهَا .

((**وَ**)) **ثَانِيهَا** ((**كَوْنُ الْعَيْنِ**)) **أَي** : الْجَوْهَرِ وَالذَّاتِ ((**تُلَازِمُ الْأَعْرَاضَ دُونَ مَيْنِ**)) **أَيْ** : كَذِبٍ ((**وَ**)) **ثَالِثُهَا** ((**الْمَنْعُ لِلْكُمُونِ**)) **أَي** : اسْتِتَارِ الْأَعْرَاضِ فِي الْجَوَاهِرِ ((**وَالظُّهُورِ**)) لِلْأَعْرَاضِ بَعْدَ كُمُونِهَا ((**وَ**)) **رَابِعُهَا** مَنْعُ ((**الِانْتِقَالِ**)) لِلْعَرَضِ مِنَ جَوْهَرٍ إِلَى جَوْهَرٍ آخَرَ ((**الْمُدَّعَى**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ مُثَقَّلًا وَالْعَيْنِ ((**بِالزُّورِ**)) بِضَمِّ الزَّايِ ؛ **أَي** : الْكَذِبِ . **وَخَامِسُهَا** ((**أَوْ أَنَّهَا**)) **أَيْ** : الْأَعْرَاضَ ((**قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا**)) **وَسَادِسُهَا** ((أَوْ كَوْنُهَا)) أَيِ: الْأَعْرَاضِ ((قَدِيمَةً فِي جِنْسِهَا)) وَفَسَّرَ قِدَمَهَا فِي جِنْسِهَا بِقَوْلِهِ:

((**أَيْ قَوْلُهُمْ :**)) **أَي** : الْفَلَاسِفَةِ ((**لَيْسَ لَهَا**)) **أَي** : الْأَعْرَاضِ ((**مِنْ**)) زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ . وَاسْمُ ((**لَيْسَ**)) : ((**أَوَّلْ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْوَاوِ مُثَقَّلًا ((**فَالْأَرْبَعَ**)) **أَي** : الْكُمُونُ ، وَالظُّهُورُ ، وَالِانْتِقَالُ ، وَقِيَامُهَا بِنَفْسِهَا ، وَقِدَمُ جِنْسِهَا ؛ مَفْعُولُ ((**ارْدُدْ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ وَالدَّالِ الْأُولَى ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : أَبْطِلْ ((**وَاعْضُدِ**)) **أَي** : اعْتَمِدْ فِي رَدِّهَا عَلَى ((**الْمُعَوَّلْ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الْوَاوِ مُثَقَّلًا ؛ **أَي** : الْبُرْهَانَ الْقَطْعِيَّ ((**وَ**)) سَابِعُهَا ((**انْفِ التَّغَيُّرَ عَنِ**)) الشَّيْءِ ((**الْقَدِيمِ تَسِرْ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ((**بِنَهْجِ**)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْهَاءِ ، آخِرُهُ جِيمٌ ؛ **أَيْ** : طَرِيقِ ((**السُّنَّةِ**)) بِضَمِّ السِّينِ ، وَشَدِّ النُّونِ ((**الْقَوِيمِ**)) **أَي** : الْمُسْتَقِيمِ .

وَوَجْهُ تَوَقُّفِ حُدُوثِ الْعَالَمِ عَلَى الْمَطَالِبِ السَّبْعَةِ :

أَنَّهُ جَعَلَ الْعَالَمَ قِسْمَيْنِ :

١ – جَوْهَرٌ **٢** – وَعَرَضٌ .

وَاسْتَدَلَّ عَلَى حُدُوثِ الْأَعْرَاضِ بِتَغَيُّرِهَا مِنْ عَدَمٍ إِلَى وُجُودٍ ، وَبِالْعَكْسِ .

وَعَلَى حُدُوثِ الْجَوْهَرِ: بِمُلَازَمَتِهِ لِلْعَرَضِ ، فَاحْتِيجَ إِلَى إِثْبَاتِ الْعَرَضِ، وَإِلَّا فَلَا يَتِمُّ الدَّلِيلُ .

وَثُبُوتُ الْعَرَضِ مُشَاهَدٌ ضَرُورِيٌّ ، إِذْ كُلُّ عَاقِلٍ يُحِسُّ مِنْ نَفْسِهِ مَعَانِيَ زَائِدَةً عَلَى جَوْهَرِهِ ، مِنَ اجْتِمَاعِهِ بِغَيْرِهِ ، وَافْتِرَاقِهِ مِنْهُ ، وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ ، وَنُطْقِهِ ، وَلَوْنِهِ ، وَطُولِهِ ، وَعَرْضِهِ ، وَعِلْمِهِ ، وَإِرَادَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ ، ... وَغَيْرِهَا .

٢٣٢ – وَاحْــذَرْ هُنَــا أَقْــوَالَ أَهْــلِ الْفَلْسَــفَةْ	فَإِنَّهَــــا مَحْـــــضُ الضَّـــــلَالِ وَالسَّـــــفَهْ
٢٣٣ – جَــرُّوا بِهَـــا مِـــنْ غَـــيِّهِمْ ذُيُـــولَا	فِي قِـــــــدَمِ الــــــنَّفْسِ أَوِ الْهَيُـــــــولَى
٢٣٤ – وَغَيْرَهَــــا مِـــنَ الْأَقَاوِيـــلِ الَّـــتِي	أَقْـــدَامُ مَـــنْ فِيهَـــا تَلَاهُـــمْ زَلَّـــتِ
٢٣٥ – فَـــلَا قَـــدِيمَ غَيْـــرُ ذِي الْجَـــلَالِ	نَسْـــأَلُهُ الْأَمْـــنَ مِـــنَ الضَّـــلَالِ

وَمُلَازَمَةُ الْجَوْهَرِ لِلْعَرَضِ مُشَاهَدَةٌ ضَرُورِيَّةٌ أَيْضًا ، إِذْ لَا يُعْقَلُ جَوْهَرٌ خَالٍ عَنْ عَرَضٍ ، مِنْ سُكُونٍ أَوْ حَرَكَةٍ ، أَوِ اجْتِمَاعٍ أَوْ افْتِرَاقٍ ، ... أَوْ غَيْرِهَا .

وَتَغَيُّرُ الْأَعْرَاضِ مِنْ عَدَمٍ إِلَى وُجُودِ ، وَمِنْ وُجُودٍ إِلَى عَدَمٍ ، مُشَاهَدٌ ضَرُورِيٌّ أَيْضًا ، وَالْقَوْلُ بِكُمُونِهَا وَظُهُورِهَا بَاطِلٌ ، لِاسْتِلْزَامِهِ اجْتِمَاعَ الضِّدَّيْنِ – كَالسُّكُونِ وَالْحَرَكَةِ فِي الْجَوْهَرِ – وَهُوَ مُحَالٌ بِالضَّرُورَةِ . وَالْقَوْلُ بِانْتِقَالِ الْعَرَضِ مِنْ جَوْهَرٍ لِآخَرَ بَاطِلٌ ، لِاسْتِلْزَامِهِ قِيَامَ الْعَرَضِ بِنَفْسِهِ فِيمَا بَيْنَ الْجَوْهَرَيْنِ ، وَهُوَ مُحَالٌ ؛ وَكَذَا الْقَوْلُ بِقِيَامِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَالْقَوْلُ بِقِدَمِ جِنْسِهَا بَاطِلٌ ، لِاسْتِلْزَامِهِ التَّسَلْسُلَ الْمُحَالَ .

وَنَفْيُ تَغَيُّرِ الْقَدِيمِ دَلِيلُهُ : أَنَّ تَغَيُّرَهُ مُسْتَلْزِمٌ حُدُوثَهُ ، وَهُوَ مُحَالٌ ، لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الدَّوْرَ أَوِ التَّسَلْسُلَ .

((**وَاحْذَرْ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**هُنَا**)) **أَيْ** : فِي مَقَامِ حُدُوثِ الْعَالَمِ ؛ صِلَةُ ((**أَقْوَالَ أَهْلِ الْفَلْسَفَةْ فَإِنَّهَا**)) **أَيْ** : أَقْوَالَ الْفَلَاسِفَةِ هُنَا ((**مَحْضُ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ **أَيْ** : خَالِصُ ((**الضَّلَالِ**)) **أَي** : الْكُفْرِ ((**وَالسَّفَهْ**)) **أَي** : الْكَذِبِ الَّذِي لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ .

((**جَرُّوا**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَضَمِّ الرَّاءِ مُثَقَّلًا ؛ **أَي** : الْفَلَاسِفَةُ . وَصِلَةُ ((**جَرُّوا**)) : ((**بِهَا**)) **أَيْ** : أَقْوَالِهِمْ

((**مِنْ غَيِّهِمْ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : كُفْرِ الْفَلَاسِفَةِ . حَالٌ مِنْ ((**ذُيُولَا**)) . وَمَفْعُولُ ((**جَرُّوا**)) :

((**ذُيُولَا**)) بِضَمِّ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ؛ جَمْعُ ذَيْلٍ ((**فِي قِدَمِ**)) بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ ((**النَّفْسِ**)) **أَي** : الذَّاتِ

((**أَوِ الْهَيُولَى**)) بِفَتْحِ الْهَاءِ ، وَضَمِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ؛ **أَيْ** : مَوَادِّ الْأَشْيَاءِ وَأُصُولِهَا .

((**وَ**)) احْذَرْ ((**غَيْرَهَا**)) **أَيْ** : أَقْوَالَ الْفَلَاسِفَةِ الَّتِي هِيَ ضَلَالٌ خَالِصٌ وَكُفْرٌ .

وَبَيَّنَ غَيْرَهَا بِقَوْلِهِ : ((**مِنَ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي أَقْدَامُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " قَدَمٍ "؛ **أَيْ** : عُقُولُ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَي** : الَّذِي ((**فِيهَا**)) **أَي** : الْأَقَاوِيلِ ؛ صِلَةُ ((**تَلَاهُمْ**)) **أَيْ** : تَبِعَ الْفَلَاسِفَةَ . وَخَبَرُ ((**أَقْدَامُ**)) :

((**زَلَّتِ**)) **أَيْ** : ضَلَّتْ وَمَالَتْ عَنِ الْحَقِّ . ((**فَلَا قَدِيمَ**)) **أَيْ** : مِنَ الذَّوَاتِ ((**غَيْرُ ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ

((**الْجَلَالِ**)) بِجِيمٍ ؛ **أَي** : الْعَظَمَةِ ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**نَسْأَلُهُ**)) **أَي** : اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْأَمْنَ**)) **أَي** : السَّلَامَةَ ((**مِنَ الضَّلَالِ**)) **أَي** : الْكُفْرِ .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي الْجَائِزِ]

٢٣٦ – وَجَــــــائِزٌ فِي حَقِّــــــهِ تَعَــــالَى	أَنْ يَخْلُــــــقَ الْأَنَــــــامَ وَالْأَفْعَــــــالَا
٢٣٧ – كَــــــذَلِكَ التَّكْلِيــــــفُ لِلْعِبَــــادِ	وَهَــــــدْيُهُمْ لِــــــنَهْجِ رُشْــــدٍ بَــــادِ
٢٣٨ – فَلَــــيْسَ أَمْـــرٌ وَاجِبًــــا عَلَيْـــهِ	مِنْهَــــــا، بَــــلِ اخْتِيَــــارُهُ إِلَيْــــهِ
٢٣٩ – وَلَا صَــــلَاحَ وَاجِــــبٌ أَوْ أَصْــــلَحَا	هَــــذَا الَّـــذِي دَانَ بِــــهِ مَــــنْ أَفْلَحَــــا
٢٤٠ – فَكُــــــلُّ مَــــا أَرَادَهُ الصَّــــــوَابُ	سَــــــوَاءٌ الْعِقَــــابُ وَالثَّــــــوَابُ
٢٤١ – فَــــذَاكَ بِالْعَــــدْلِ وَذَا بِالْفَضْــــلِ	مِــــنْ فَاعِــــلِ مَــــا شَــــاءَ دُونَ عَضْــــلِ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[الْجَائِزِ]** فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ**)) **أَيْ** : وَصْفِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَ ((**تَعَالَى أَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ، صِلَتُهُ ((**يَخْلُقَ**)) **أَيْ** : يُوجِدَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْأَنَامَ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، فَنُونٍ ؛ **أَيِ** : الذَّوَاتِ ((**وَ**)) أَنْ يَخْلُقَ ((**الْأَفْعَالَا**)) الْقَائِمَةَ بِالذَّوَاتِ ، اِضْطِرَارِيَّةً أَوِ اخْتِيَارِيَّةً ((**كَذَلِكَ**)) **أَيْ** : خَلْقِ الْأَنَامِ وَالْأَفْعَالِ فِي الْجَوَازِ فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**التَّكْلِيفُ**)) **أَيِ** : الْإِلْزَامُ بِمَا فِيهِ كُلْفَةٌ وَمَشَقَّةٌ ((**لِلْعِبَادِ**)) الْبَالِغِينَ الْعَاقِلِينَ ((**وَ**)) كَذَلِكَ ((**هَدْيُهُمْ**)) **أَيِ** : الْعِبَادِ ((**لِنَهْجِ**)) **أَيْ** : طَرِيقِ ((**رُشْدٍ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ ((**بَادِ**)) **أَيْ** : ظَاهِرٍ

((**فَلَيْسَ أَمْرٌ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : شَيْءٌ ((**وَاجِبًا عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
وَبَيَّنَ الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ : ((**مِنْهَا**)) **أَيْ** : خَلْقِ الْأَنَامِ ، وَالْأَفْعَالِ ، وَالْهُدَى لِنَهْجِ الرَّشَادِ ((**بَلِ اخْتِيَارُهُ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**إِلَيْهِ**)) **أَيْ** : خَلْقُ الْمَذْكُورَاتِ ، إِنْ شَاءَ فَعَلَهُ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ ((**وَلَا صَلَاحَ**)) لِلْعِبَادِ ، وَهُوَ ضِدُّ الْفَسَادِ ((**وَاجِبٌ**)) عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**أَوْ أَصْلَحَا**)) اِسْمُ تَفْضِيلٍ مِنْهُ ، مَعْنَاهُ : الزَّائِدُ فِي الصَّلَاحِ .
مَثَلًا : إِذَا كَانَ شَخْصٌ يَتَضَرَّرُ مِنْ تَرْكِ أَكْلِ اللَّحْمِ ، فَأَكْلُ لَحْمِ الْبَقَرِ صَلَاحٌ فِي حَقِّهِ ، وَلَحْمُ الضَّأْنِ أَصْلَحُ ؛ وَالْعَفْوُ بِلَا تَنْعِيمٍ صَلَاحٌ ، وَمَعَهُ أَصْلَحُ ؛ فَلَيْسَ وَاجِبًا عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
((**هَذَا**)) **أَيِ** : اعْتِقَادُ أَنَّهُ لَمْ يَجِبْ عَلَى اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – شَيْءٌ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ ، وَأَنَّهَا كُلَّهَا جَائِزَةٌ فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُوَ ((**الَّذِي دَانَ**)) بِإِهْمَالِ الدَّالِ وَالنُّونِ ؛ **أَيْ** : تَدَيَّنَ وَعَبَدَ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –

((**بِهِ**)) **أَيْ** : جَوَازِ فِعْلِ كُلِّ مُمْكِنٍ وَتَرْكِهِ فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
وَفَاعِلُ ((**دَانَ**)) : ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْعَبْدُ الَّذِي ((**أَفْلَحَا**)) **أَيْ** : نَجَا مِنَ الشَّقَاوَةِ ، وَفَازَ بِالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
((**فَكُلُّ مَا**)) **أَيْ** : شَيْءٍ ((**أَرَادَهُ**)) اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ ((**الصَّوَابُ سَوَاءٌ الْعِقَابُ**)) لِلْعِبَادِ ((**وَالثَّوَابُ**)) لَهُمْ .
((**فَذَاكَ**)) **أَيِ** : الْعِقَابُ ((**بِالْعَدْلِ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْإِتْقَانِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْمِلْكِ ((**وَذَا**)) **أَيِ** :

٢٤٢ – وَمَـــا لِعَقْـــلٍ وَحْـــدَهُ تَوَصُّـــلُ إِلَى قَبِـــــيحٍ أَوْ إِلَى مَـــــا يَجْمُـــــلُ
٢٤٣ – بَـــلْ مَـــا بِفِعْلِـــهِ أُمِرْنَـــا فَالْحَسَـــنْ وَضِـــــدُّهُ انْقَـــــادَ لِقُـــــبْحٍ بِالرَّسَـــــنْ
٢٤٤ – وَلَـــوْ عَلَيْـــهِ وَجَـــبَ الصَّـــلَاحُ سُـــــبْحَانَهُ عَـــــمَّ الْـــــوَرَى الْفَـــــلَاحُ

الثَّوَابُ ((بِالْفَضْلِ)) **أَيِ** : الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ مِنَ اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَكِلَاهُمَا يُوجِبُ حَمْدَهُ – سُبحَانَهُ وَتَعَالَى – حَالَ كَوْنِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ ((**مِنْ**)) اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**فَاعِلِ مَا**)) **أَيِ** : الشَّيْءِ الَّذِي ((**شَاءَ**)) **أَيْ** : أَرَادَ اللهُ – سُبحَانَهُ وَتَعَالَى – فِعْلَهُ ((**دُونَ عَضْلٍ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : مَنْعٍ ، فَالْأَفْعَالُ كُلُّهَا صَوَابٌ وَحَسَنٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ، لِأَنَّهَا إِمَّا فَضْلٌ وَإِمَّا عَدْلٌ ، لَا غَيْرَ ؛ فَالْإِيمَانُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالْكُفْرُ ، وَالْعِصْيَانُ ، سَوَاءٌ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَالْإِثَابَةُ وَالْعِقَابُ كَذَلِكَ ، وَتَرْتِيبُ الْإِثَابَةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ، وَالْعِقَابِ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ ، بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَلَوْ عَكَسَ ذَلِكَ لَكَانَ صَوَابًا وَحَسَنًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ فَالْإِنَابَةُ وَالْإِحْسَانُ وَالْإِنْعَامُ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَا لِعِلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ فِي الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ .

وَالْعِقَابُ بِمَحْضِ عَدْلِهِ ، لَا لِعِلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**وَمَا**)) **أَيْ** : لَيْسَ ((**لِعَقْلٍ**)) حَالَ كَوْنِهِ ((**وَحْدَهُ**)) **أَيْ** : مُنْفَرِدًا عَنِ الشَّرْعِ . وَاسْمُ ((**مَا**)) : ((**تَوَصُّلُ**)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ وَالْوَاوِ ، وَضَمِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ مُثَقَّلًا ؛ وَصِلَةُ ((**تَوَصُّلُ**)) : ((**إِلَى**)) إِدْرَاكِ قُبْحِ ((**قَبِيحٍ**)) شَرْعًا ، **أَيْ** : مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، نَهْيًا جَازِمًا أَمْ لَا ((**أَوْ إِلَى**)) إِدْرَاكِ جَمَالِ ((**مَا**)) **أَيِ** : الشَّيْءِ الَّذِي ((**يَجْمُلُ**)) بِفَتْحِ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْجِيمِ ، وَضَمِّ الْمِيمِ ؛ شَرْعًا ؛ **أَيْ** : يُؤْمَرُ بِهِ أَمْرًا جَازِمًا أَمْ لَا ((**بَلْ مَا**)) **أَيِ** : الشَّيْءِ الَّذِي ((**بِفِعْلِهِ**)) صِلَةُ ((**أُمِرْنَا**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الْمِيمِ ؛ **أَيْ** : أَمَرَنَا اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِهِ ، أَمْرًا جَازِمًا أَوْ غَيْرَ جَازِمٍ ((**فَ**)) هُوَ ((**الْحَسَنْ**)) بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالسِّينِ ؛ الْجَمِيلُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ فَاعِلُهُ الثَّوَابَ ، وَتَارِكُهُ الْعِقَابَ أَوِ الْعِتَابَ ((**وَضِدُّهُ**)) **أَيْ** : مَا أُمِرْنَا بِفِعْلِهِ ، وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أُمِرْنَا بِتَرْكِهِ ، أَمْرًا جَازِمًا أَمْ لَا ، الَّذِي يَسْتَحِقُّ تَارِكُهُ الثَّوَابَ ، وَفَاعِلُهُ الْعِقَابَ أَوِ الْعِتَابَ ((**انْقَادَ**)) **أَيِ** : انْتَسَبَ ((**لِقُبْحٍ بِالرَّسَنْ**)) بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، فَنُونٍ ؛ **أَيِ** : الزِّمَامِ وَالْمَقُودِ .

وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُدْرِكُ وَحْدَهُ الْحُسْنَ وَالْقُبْحَ الشَّرْعِيَّيْنِ ، **وَذَلِكَ أَنَّ الْحُسْنَ وَالْقُبْحَ يُطْلَقَانِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ** :

١ – أَحَدُهَا : الْكَمَالُ وَالنَّقْصُ . وَهَذَانِ عَقْلِيَّانِ اتِّفَاقًا .

٢ – ثَانِيهَا : مُلَايَمَةُ الطَّبْعِ وَمُنَافَرَتُهُ . وَهَذَانِ عَادِيَّانِ ، يَخْتَلِفَانِ بِاخْتِلَافِ الْعَوَائِدِ وَالطَّبَائِعِ .

٣ – ثَالِثُهَا : الْمَأْمُورُ بِهِ وَالْمَنْهِيُّ عَنْهُ . وَهَذَانِ شَرْعِيَّانِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، لِاسْتِوَاءِ الْأَفْعَالِ كُلِّهَا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا ، فَتَخْصِيصُ بَعْضِهَا بِالْأَمْرِ بِهِ الْجَازِمِ ، وَبَعْضِهَا بِالْأَمْرِ بِهِ غَيْرِ الْجَازِمِ ، وَبَعْضِهَا بِالنَّهْيِ عَنْهُ الْجَازِمِ ، وَبَعْضِهَا بِالنَّهْيِ عَنْهُ غَيْرِ الْجَازِمِ ، وَبَعْضِهَا بِالتَّخْيِيرِ .

وَتَرْتِيبُ الثَّوَابِ عَلَى فِعْلِ الْأَوَّلَيْنِ ، وَالْعِقَابِ عَلَى تَرْكِ أَوَّلِهِمَا ، وَالْعِتَابِ عَلَى تَرْكِ ثَانِيهِمَا ؛ وَتَرْتِيبُ الثَّوَابِ عَلَى تَرْكِ الْأَخِيرَيْنِ ، وَالْعِقَابِ عَلَى فِعْلِ أَوَّلِهِمَا ، وَالْعِتَابِ عَلَى فِعْلِ ثَانِيهِمَا : كُلُّ ذَلِكَ بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ،

٢٤٥ – وَكَـــانَ خَلْقُهُـــمْ بِـــدَارِ الْمَـــأْوَى أَصْـــلَحَ مِـــنْ تَعْرِيضِـــهِمْ لِـــلَّأْوَى
٢٤٦ – وَلِلتَّكَـــالِيفِ بِهَـــذِي الـــدَّارِ وَمَـــا يُقَاسُـــونَ مِـــنَ الْأَكْـــدَارِ
٢٤٧ – إِنْ قِيـــلَ : زَادَهُـــمْ بِـــذَاكَ أَجْـــرَا لَهُـــمْ عَلَـــى قَـــدْرِ الْعَنَـــاءِ أَجْـــرَى
٢٤٨ – قُلْنَـــا : الْإِلَـــهُ قَـــادِرٌ أَنْ يُوصِـــلَهْ إِلَـــيْهِمْ دُونَ أُمُـــورٍ مُعْضِـــلَهْ
٢٤٩ – وَأَيْضًـــا الَّـــذِي عَلَـــى الْكُفْـــرِ هَلَـــكْ تَكْلِيفُـــهُ بِـــهِ إِلَى ضَـــيْرٍ سَـــلَكْ
٢٥٠ – بَـــلْ خَلْقُـــهُ إِنْ عَـــاشَ خِـــدْنَ الْبُـــوسِ إِذْ هُـــوَ فِي الـــدَّارَيْنِ ذُو الْعُبُـــوسِ

لَا عِلَّةَ لِلْفِعْلِ فِيهِ عَقْلًا ، لَا بِذَاتِهِ ، وَلَا بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ .

فَالْحُسْنُ الشَّرْعِيُّ : مَا أَمَرَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِهِ ، وَاجِبًا أَوْ مَنْدُوبًا .

وَالْقَبِيحُ الشَّرْعِيُّ : مَا نَهَى اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنْهُ ، مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوهًا .

وَمَا خَيَّرَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْمُكَلَّفَ فِيهِ فَهُوَ الْمُبَاحُ ، لَيْسَ بِحَسَنٍ وَلَا قَبِيحٍ .

((**وَلَوْ عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ صِلَةُ ((**وَجَبَ الصَّلَاحُ**)) لِلْعِبَادِ ((**سُبْحَانَهُ**)) **أَيْ** : تَنْزِيهُ اللهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ . وَجَوَابُ ((**لَوْ**)) : ((**عَمَّ**)) بِفَتْحَيْنِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : شَمَلَ ((**الْوَرَى**)) **أَيْ** : بَنِي آدَمَ . وَفَاعِلُ ((**عَمَّ**)) : ((**الْفَلَاحُ**)) **أَيِ** : النَّجَاةُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، وَالْفَوْزُ بِكُلِّ نَعِيمٍ .

((**وَكَانَ خَلْقُهُمْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ ، مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِمَفْعُولِهِ ، وَفَاعِلُهُ مَحْذُوفٌ ، **أَيْ** : خَلْقُ اللهِ الْوَرَى

((**بِدَارِ الْمَأْوَى**)) **أَيِ** : الْجَنَّةِ ، وَتَخْلِيدُهُمْ فِيهَا ((**أَصْلَحَ**)) لَهُمْ ((**مِنْ تَعْرِيضِهِمْ**)) بِإِعْجَامِ الضَّادِ ، وَهُوَ أَيْضًا مَصْدَرٌ مُضَافٌ لِمَفْعُولِهِ ، وَفَاعِلُهُ مَحْذُوفٌ ، **أَيْ** : جَعْلُ اللهِ لَهُمْ مُعَرَّضِينَ ((**لِلَّأْوَى**)) بِفَتْحِ اللَّامِ الثَّانِيَةِ مُثَقَّلَةً ، وَسُكُونِ الْهَمْزِ ، وَفَتْحِ الْوَاوِ ؛ **أَيِ** : الْمَشَاقِّ وَالْمَصَائِبِ .

((**وَ**)) أَصْلَحُ لَهُمْ مِنْ تَعْرِيضِهِمْ ((**لِلتَّكَالِيفِ بِهَذِي الدَّارِ**)) الدُّنْيَا ((**وَمَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**يُقَاسُونَـ**)) **ـهُ** فِيهَا .

وَبَيَّنَ ((**مَا**)) **بِقَوْلِهِ** : ((**مِنَ الْأَكْدَارِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْمُكَدِّرَاتِ لَهُمْ .

وَاللَّوَازِمُ الثَّلَاثَةُ بَاطِلَةٌ بِالْمُشَاهَدَةِ ، فَمَلْزُومُهَا بَاطِلٌ ، وَهُوَ وُجُوبُ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

((**إِنْ قِيلَ :**)) مِنْ جَانِبِ الْمُعْتَزِلَةِ جَوَابًا عَنِ الدَّلِيلِ السَّابِقِ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**زَادَهُمْ**)) **أَيِ** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْوَرَى ((**بِذَاكَ**)) **أَيِ** : الْمَذْكُورِ مِنْ خَلْقِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَتَعْرِيضِهِمْ لِمَشَاقِّهَا وَمَصَائِبِهَا ، وَتَكْلِيفِهِمْ فِيهَا ، وَمُقَاسَاتِهِمْ أَكْدَارَهَا .

وَمَفْعُولُ ((**زَادَهُمْ**)) : ((**أَجْرًا لَهُمْ**)) **أَيِ** : الْوَرَى ؛ صِلَةُ ((**أَجْرَى**)) الْآتِي آخِرَ الْبَيْتِ .

((**عَلَى قَدْرِ الْعَنَاءِ**)) بِإِهْمَالِ الْعَيْنِ ، وَالْمَدِّ ؛ **أَيِ** : التَّعَبِ مِنْ مَشَاقِّ الدُّنْيَا وَمَصَائِبِهَا وَتَكَالِيفِهَا وَمُقَاسَاةِ أَكْدَارِهَا ؛ صِلَةُ ((**أَجْرَى**)) اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ذَلِكَ الْأَجْرَ، **أَيْ** : أَوْصَلَهُ إِلَيْهِمْ . وَالْجُمْلَةُ صِفَةُ

٢٥١ - فَـــأَيْنَ مَـــا مِـــنَ الصَّـــلَاحِ يُـــدَّعَى　　لَـــــهُ ؟! وَذَا أَنْـــــفَ اعْتِـــــزَالٍ جَـــــدَّعَا
٢٥٢ - وَقِصَّـــــةُ الشَّـــــيْخِ مَـــــعَ الْجُبَّـــــائِي　　تَـــــرُدُّ قَـــــوْلَ الْكَـــــاذِبِ الْأَبَّـــــائِي

((أَجْرَا)) .
((قُلْنَا :)) مَعْشَرُ أَهْلِ السُّنَّةِ جَوَابًا عَنْ هَذَا الرَّدِّ ((الْإِلَهُ)) أَيِ : اللهُ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

((قَادِرٌ)) عَلَى ((أَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ((يُوصِلَهْ)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ فَفَتْحٍ ؛ أَيِ : الْأَجْرَ ((إِلَيْهِمْ))

أَيِ : الْوَرَى ((دُونَ أُمُورٍ مُعْضِلَةْ)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرِ ضَادٍ مُعْجَمَةٍ ؛ أَيْ : مُتْعِبَةٌ شَاقَّةٌ ، وَهُوَ الْأَصْلَحُ لَهُمْ

((وَ)) نَئِيضُ ((أَيْضًا)) إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ ، فَنَقُولُ : الشَّخْصُ ((الَّذِي عَلَى الْكُفْرِ)) صِلَةُ ((هَلَكْ))

بِفَتْحِ الْهَاءِ وَاللَّامِ ؛ أَيْ : مَاتَ ((تَكْلِيفُهُ)) مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِمَفْعُولِهِ ، وَالْفَاعِلُ مَحْذُوفٌ ، أَيْ : تَكْلِيفُ اللهِ

الشَّخْصَ الَّذِي مَاتَ كَافِرًا بِالْإِيمَانِ وَالْعِبَادَاتِ ((بِهِ)) أَيِ : الَّذِي هَلَكَ كَافِرًا ؛ صِلَةُ ((سَلَكْ)) .

((إِلَى ضَيْرٍ)) بِفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ ؛ أَيْ : عَذَابٍ شَدِيدٍ ؛ صِلَةُ ((سَلَكْ)) . فَمَا هُوَ

الصَّلَاحُ الَّذِي حَصَلَ لَهُ ؟! ؛ ((بَلْ خَلْقُهُ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ ، مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِمَفْعُولِهِ ، وَفَاعِلُهُ مَحْذُوفٌ

، أَيْ : خَلْقُ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْكَافِرَ ((إِنْ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفُ شَرْطٍ ، شَرْطُهُ : ((عَاشَ))

الْكَافِرُ . وَتَنَازَعَ ((خَلْقُ)) وَ ((عَاشَ)) فِي قَوْلِهِ : ((خِدْنَ)) بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ

، فَنُونٍ ؛ أَيْ : رَفِيقَ وَمُلَازِمَ ((الْبُوسِ)) بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ الْمُبْدَلَةِ مِنَ الْهَمْزَةِ ، لِلتَّخْفِيفِ ؛ أَيِ :

الْفَقْرِ الشَّدِيدِ وَهُوَ كَافِرٌ .
وَخَبَرُ ((خَلْقُهُ)) مُقَدَّرٌ ، أَيْ : يُبْطِلُ قَوْلَ الْمُعْتَزِلَةِ : " يَجِبُ عَلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَلْقُ الصَّلَاحِ

وَالْأَصْلَحِ لِعِبَادِهِ .
وَعَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ : ((إِذْ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((هُوَ)) أَيِ : الْكَافِرُ الْمُلَازِمُ لِلْفَقْرِ الشَّدِيدِ ((فِي الدَّارَيْنِ)) أَيِ :

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ((ذُو)) أَيْ : صَاحِبُ ((الْعُبُوسِ)) بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ ؛ أَيِ : الْحُزْنِ وَالْقَبْضِ .

((فَأَيْنَ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْمُثَنَّاةِ ، ظَرْفُ زَمَانٍ مُضَمَّنٌ مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ ، خَبَرُ ((مَا)) أَيِ :
الصَّلَاحُ الَّذِي ((مِنَ الصَّلَاحِ)) بَيَانُ ((مَا)) ؛ وَصِلَتُهُ : ((يُدَّعَى)) بِضَمِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ، وَفَتْحِ الدَّالِ وَالْعَيْنِ
مُثَقَّلًا ؛ وَصِلَةُ ((يُدَّعَى)) : ((لَهُ ؟!)) أَيِ : الْكَافِرِ خِدْنِ الْبُؤْسِ ((وَ)) هَـ ((ذَا)) أَيِ : الْمَذْكُورُ مِنْ خَلْقِ
اللهِ الْكَافِرَ الَّذِي عَلِمَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هَلَاكَهُ كَافِرًا ، وَخَلْقِهِ الْكَافِرَ الْبَئِيسَ ((أَنْفَ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ،
مَفْعُولُ ((جَدَّعَ)) ؛ ((اعْتِزَالٍ)) أَيِ : اعْتِقَادِ خَلْقِ الْعِبَادِ أَفْعَالَهُمُ الِاخْتِيَارِيَّةَ ((جَدَّعَا)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلَ

… … .. …

الدَّالِ ؛ أَيْ : قَطَّعَ . أَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ ((**ذَا**)) ؛ وَالْكَلَامُ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِبْطَالِ .
((**وَقِصَّةُ**)) بِكَسْرِ الْقَافِ ، وَشَدِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : حِكَايَةُ ((**الشَّيْخِ**)) **أَيِ** : الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ ((**مَعَ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْعَيْنِ ؛ شَيْخِهِ ((**الْجُبَّائِي**)) بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَشَدِّ الْمُوَحَّدَةِ ، وَكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : أَبِي عَلِيٍّ كَبِيرِ الْمُعْتَزِلَةِ . وَخَبَرُ ((**قِصَّةُ**)) : ((**تَرُدُّ**)) بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَضَمِّ الرَّاءِ ، وَشَدِّ الدَّالِ ؛ **أَيْ** : تُبْطِلُ ((**قَوْلَ**)) الْمُعْتَزِلِيِّ ((**الْكَاذِبِ الْأَبَّائِي**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَشَدِّ الْمُوَحَّدَةِ ، وَكَسْرِ الْهَمْزِ قَبْلَ يَاءِ

النَّسَبِ ؛ **أَيْ** : شَدِيدِ الْإِبَاءِ ، **أَيْ** : الِامْتِنَاعِ مِنَ الرُّجُوعِ عَنِ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ كَانَ مُعْتَزِلِيًّا … حَتَّى جَرَتِ الْقِصَّةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْخِهِ الْجُبَّائِيِّ ، فَعَرَفَ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ بَاطِلٌ ، فَرَجَعَ عَنْهُ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ **وَقِصَّتُهُمَا** :

أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ سَأَلَ الْجُبَّائِيَّ عَنْ ثَلَاثَةٍ :
١ – مَاتَ أَحَدُهُمْ قَبْلَ بُلُوغِهِ .
٢ – وَآخَرُ بَعْدَهُ كَافِرًا .
٣ – وَآخَرُ بَعْدَهُ مُؤْمِنًا ؟ .

فَقَالَ الْجُبَّائِيُّ : الصَّغِيرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْكَبِيرُ الْمُؤْمِنُ فِي الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ، وَالْكَبِيرُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ .
فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : مَا بَالُ الصَّغِيرِ قُصِرَ بِهِ عَنِ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ؟ .
فَقَالَ : لِأَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلَ الْكَبِيرِ الْمُؤْمِنِ .
فَقَالَ الشَّيْخُ : مِنْ حُجَّتِهِ عَلَى مَذْهَبِكُمْ أَنْ يَقُولَ : يَا رَبِّ ، كَانَ الْأَصْلَحُ لِي إِبْقَائِي حَيًّا ، حَتَّى أَصِلَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ! .
فَقَالَ الْجُبَّائِيُّ : يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : عَلِمْتُ أَنِّي لَوْ أَبْقَيْتُكَ حَتَّى تَبْلُغَ لَكَفَرْتَ وَخُلِّدتَّ فِي النَّارِ ، فَالْأَصْلَحُ لَكَ مَوْتُكَ صَغِيرًا .
فَقَالَ الشَّيْخُ : يَقُولُ الْكَافِرُ – بَلْ وَكُلُّ كَافِرٍ فِي النَّارِ – : يَا رَبِّ ، كُنَّا نَرْضَى مِنْكَ بِأَدْنَى مِنْ مَرْتَبَةِ هَذَا الصَّبِيِّ ، فَلِمَ لَمْ تُمِتْنَا صِغَارًا وَقَدْ عَلِمْتَ كُفْرَنَا بَعْدَ بُلُوغِنَا ؟! .

فَبُهِتَ الْجُبَّائِيُّ وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُجِيبَ بِكَلِمَةٍ !!! وَقَالَ : أَبِكَ جُنُونٌ ؟! .
فَقَالَ الشَّيْخُ : لَا ، بَلْ وَقَفَ حِمَارُكَ فِي الْعَقَبَةِ ، تَعَالَى أَنْ تُوزَنَ أَحْكَامُ ذِي الْجَلَالِ بِمِيزَانِ الِاعْتِدَالِ .
وَتَرَكَهُ وَنَصَرَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، حَتَّى صَارَ إِمَامَهُمْ وَشَيْخَهُمْ ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ .

٢٥٣ – وَمَــا اعْتَــرَى الْأَطْفَــالَ مِــنْ آلَامِ يَقْضِـــي لِأَهْـــلِ السُّـــنَّةِ الْأَعْــــلَامِ

٢٥٤ – وَالْحَــقُّ لَا يَخْفَــى عَلَــى ذِي عَــيْنِ وَاللهُ نَرْجُـــو عِصْـــمَةً مِــــنْ مَـــيْنِ

((وَمَا)) أَيِ : الْمَرَضُ الَّذِي ((اعْتَرَى)) أَي : أَصَابَ ((الْأَطْفَالَ مِنْ آلَامِ)) جَمْعُ " أَلَمٍ " ؛ أَيْ : أَمْرَاضٍ ؛ بَيَانُ ((مَا)) ؛ وَخَبَرُهُ : ((يَقْضِي)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ أَيْ : يَحْكُمُ ((لِأَهْلِ السُّنَّةِ)) بِضَمِّ السِّينِ ، وَشَدِّ النُّونِ ؛ بِأَنَّ مَذْهَبَهُمْ هُوَ الْحَقُّ ((الْأَعْلَامِ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " عَلَمٍ " ، أَيْ : جَبَلٍ كَبِيرٍ عَالٍ جِدًّا ؛ وَمِثْلُ الْأَطْفَالِ الْبَهَائِمُ ، لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ ، فَلَزِمَ – عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ – أَنَّ أَمْرَاضَهُمْ ظُلْمٌ ، وَأَنَّ لَهُمُ الْحُجَّةَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ ، فَمَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ بَاطِلٌ .

((وَالْحَقُّ)) وَهُوَ أَنَّ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا بِمَحْضِ اخْتِيَارِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَنَّهُ إِمَّا فَضْلٌ ، وَإِمَّا عَدْلٌ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] ، وَ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

((لَا يَخْفَى عَلَى ذِي)) أَيْ : صَاحِبِ ((عَيْنِ)) أَيْ : بَصِيرَةٍ ((وَاللهُ)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا غَيْرَهُ ؛ فَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى التَّعْظِيمِ بِقَوْلِهِ : ((نَرْجُو)) وَقُدِّمَ عَلَيْهِ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ ((عِصْمَةً)) أَيْ : حِفْظًا وَصِيَانَةً

((مِنْ مَيْنِ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيْ : كَذِبٍ وَخَطَإٍ فِي الِاعْتِقَادِ ، وَالْأَفْعَالِ ، وَالْأَقْوَالِ .

[تَنْبِيهٌ]

حِكْمَةُ إِيلَامِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْأَطْفَالَ حُصُولُ الثَّوَابِ عَلَيْهِ لِأَبَوَيْهِمْ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي يُثَابُ الشَّخْصُ عَلَيْهَا ، وَلِهَذَا قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ : شَدَائِدُ الدُّنْيَا مِمَّا يَلْزَمُ الْعَبْدَ الشُّكْرُ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهَا نِعَمٌ حَقِيقَةً .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي الرُّؤْيَةِ]

٢٥٥ – وَرُؤْيَــــــةُ الْإِلَــــــهِ بِالْأَبْصَــــــارِ   تَجُــــــوزُ عِنْــــــدَ أَهْــــــلِ الِاسْتِبْصَــــــارِ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ حُكْمِ [الرُّؤْيَةِ]

بِضَمِّ الرَّاءِ ، وَسُكُونِ الْهَمْزِ ؛ أَيْ : رُؤْيَةِ الْعِبَادِ للهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِأَبْصَارِهِمْ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَبَعْدَهُ.

أَمَّا قَبْلَهُ: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة : ٢٢ – ٢٣] .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ :

« أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ . قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ . قَالُوا : لَا . قَالَ : فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ . قَالُوا : لَا . قَالَ : فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ » .

وَأَمَّا بَعْدَهُ : فَرَوَى مُسْلِمٌ حَدِيثَ :

« إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : هَلْ تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ . فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِينَا مِنَ النَّارِ ؟ . فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ » .

زَادَ فِي رِوَايَةٍ :

« ثُمَّ تَلَا : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] » .

فَالْحُسْنَى : الْجَنَّةُ . وَالزِّيَادَةُ : النَّظَرُ إِلَيْهِ تَعَالَى .

اِهَـ مِنَ ابْنِ كِيرَانَ .

((**وَرُؤْيَةُ الْإِلَهِ**)) **أَي** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِمَفْعُولِهِ . وَصِلَةُ ((**وَرُؤْيَةُ**)) : ((**بِالْأَبْصَارِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ لِلْعِبَادِ ، وَظَاهِرُهُ أَنَّهَا بِالْحَدَقِ فَقَطْ ، وَهُوَ **أَحَدُ** أَقْوَالٍ ثَلَاثَةٍ . **ثَانِيهَا** : أَنَّهَا بِجَمِيعِ الْوُجُوهِ ، لِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]

ثَالِثُهَا : أَنَّهَا بِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ ؛ كَمَا نُقِلَ عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ .

وَخَبَرُ ((**رُؤْيَةُ**)) : ((**تَجُوزُ**)) بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَضَمِّ الْجِيمِ ، آخِرُهُ زَايٌ مُعْجَمَةٌ . وَصِلَةُ ((**تَجُوزُ**)) : ((**عِنْدَ أَهْلِ الِاسْتِبْصَارِ**)) **أَي** : الْبَصَائِرِ السَّلِيمَةِ مِنَ الْعَمَى ، حَالَ كَوْنِ رُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

٢٥٦ – دُونَ تَقَابُـــــــــلٍ أَوِ اتِّصَـــــــــالِ بَـــــلْ الَّـــــذِي يَلِيـــــقُ بِـــــالْجَلَالِ

٢٥٧ – وَأَهْـــــلُ الِاعْتِـــــزَالِ وَالضَّـــــلَالِ قَضَـــــوْا بِأَنَّهَـــــا مِـــــنَ الْمُحَـــــالِ

٢٥٨ – إِذْ فَسَّـــــرُوا الرُّؤْيَـــــةَ بِالشُّـــــعَاعِ وَذَاكَ – فِي ذَا الْبَـــــابِ – ذُو امْتِنَـــــاعِ

٢٥٩ – وَإِنَّمَـــا الرُّؤْيَـــةُ مَعْـــنًى خُلِقَـــا فِي الشَّـــيْءِ ، بِـــالْمَرْئِيِّ قَـــدْ تَعَلَّقَـــا

((**دُونَ تَقَابُلٍ**)) بِضَمِّ الْبَاءِ ؛ بَيْنَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَبَيْنَ مَنْ رَآهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**أَوِ**)) **أَيْ** : وَدُونَ

((**اتِّصَالٍ**)) لِلْأَشِعَّةِ الْمُنْفَصِلَةِ مِنْ بَصَرِ مَنْ رَآهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بَلْ**)) الَّذِي يَكُونُ حَالَ رُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْحَالُ ((**الَّذِي يَلِيقُ**)) **أَيْ** : يَصِحُّ ((**بِالْجَلَالِ**)) بِجِيمٍ ؛ **أَيْ** : عَظَمَةِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مِنْ نَفْيِ الْكَيْفِ ، وَالشَّبَهِ ، وَالِانْحِصَارِ ، وَالصِّغَرِ وَالْكِبَرِ ، وَالْقُرْبِ وَالْبُعْدِ ، وَالْجِهَةِ ؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ إِدْرَاكٌ، فَكَمَا يُعْلَمُ يُرَى ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**وَأَهْلُ الِاعْتِزَالِ وَالضَّلَالِ قَضَوْا**)) بِفَتْحِ الْقَافِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : حَكَمُوا ((**بِأَنَّهَا**)) **أَيْ** : رُؤْيَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مِنَ الْمُحَالِ**)) فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**فَسَّرُوا**)) **أَيْ** : أَهْلُ الِاعْتِزَالِ ((**الرُّؤْيَةَ بِا**)) تِّصَالِ ا ((**لشُّعَاعِ**)) الْمُنْفَصِلِ مِنْ عَيْنِ الرَّائِي بِالْمَرْئِيِّ ((**وَذَاكَ**)) **أَي** : اتِّصَالُ الشُّعَاعِ

((**فِي ذَا الْبَابِ**)) **أَيْ** : رُؤْيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ صِلَةُ ((**امْتِنَاعِ**)) . ((**ذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**امْتِنَاعِ**)) **أَيِ** : اسْتِحَالَةٍ . ((**وَإِنَّمَا الرُّؤْيَةُ**)) عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ ((**مَعْنًى خُلِقَا**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ، وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ ((**فِي الشَّيْءِ**)) الرَّائِي

((**بِالْمَرْئِيِّ**)) صِلَةُ ((**قَدْ تَعَلَّقَا**)) **أَي** : الْمَعْنَى . وَالْأَلِفُ لِلْإِطْلَاقِ ؛ وَالْجُمْلَةُ نَعْتٌ ثَانٍ لِـ ((**مَعْنًى**)) .
وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهِ عَقْلًا اتِّصَالُ شُعَاعٍ ، وَلَا مُقَابَلَةٍ ، وَلَا قُرْبٍ، وَلَا جِهَةٍ ؛ وَإِنَّمَا هَذِهِ الْأُمُورُ عَادِيَّةٌ ، يَجُوزُ تَخَلُّفُهَا وَوُقُوعُ الرُّؤْيَةِ بِدُونِهَا ، كَمَا وَقَعَ عِلْمُنَا بِهِ ، إِذْ كُلٌّ مِنْهُمَا إِدْرَاكٌ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **قَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ** : " وَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ ، مَعَ أَنَّهُ يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ مُنَزَّهًا ، فَكَذَا بِالْبَصَرِ ، إِذْ كُلٌّ مِنْهُمَا مَخْلُوقٌ " .

قَالَ : " وَفِي الْحَقِيقَةِ، الرُّؤْيَةُ هِيَ الْمَعْرِفَةُ فِي الدُّنْيَا كَمَلَتْ ، فَتَتَفَاوَتُ بِتَفَاوُتِهَا ، وَجَعْلِهِ إِشَارَةَ آيَةِ : ﴿ **رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا** ﴾ [التحريم : ٨] ، كَمَا أَنَّ ظُلْمَةَ الْجَهْلِ تَكُونُ – إِذْ ذَاكَ – حِجَابًا » . اهـ .

وَالْمَنْفِيُّ فِي آيَةِ ﴿ **لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ** ﴾ [الأنعام : ١٠٣] إِنَّمَا هُوَ الْإِدْرَاكُ بِكَيْفٍ ، **أَيْ** : تَكْيِيفٍ لِلْمَوْلَى بِجِهَةٍ وَنَحْوِهَا ، وَانْحِصَارٍ ، لِاسْتِحَالَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِ تَعَالَى

.

٢٦٠ – وَكَــوْنُ مُوسَـــى سَـــأَلَ الْجَلِــيلَا فِي أَمْرِهَــــا غَــــدَا لَنَـــا دَلِـــيلَا

٢٦١ – إِذْ مِثْلُـــهُ لَا يَجْهَـــلُ الْمُحَـــالَا فِي حَــــقِّ مَــــنْ كَلَّمَــــهُ تَعَــــالَى

٢٦٢ – وَقَــدْ رَأَى خَيْــرُ الْــوَرَى الــدَّيَّانَا لَيْلَــــةَ الْإِسْــــرَاءِ بِــــهِ عَيَانَــــا

٢٦٣ – فِي الْمَــــذْهَبِ الْمُصَــــحَّحِ الْمَشْــــهُورِ وَهْــــوَ الَّــــذِي يُنْمَــــى إِلَى الْجُمْهُــــورِ

٢٦٤ – وَالْمُؤْمِنُـــونَ خَصَّـــهُمْ فِي الْآخِـــرَةْ بِهَـــا مُنِــــيلُهُمْ مَزَايَـــا فَـــاخِرَةْ

٢٦٥ – كَمَــا أَتَــى عَــنْ صَــاحِبِ السِّــيَادَةْ فَالْجَنَّـــــةُ الْحُسْــــنَى وَذِي الزِّيَــــادَةْ

((**وَكَوْنُ**)) رَسُولِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مُوسَى**)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**سَأَلَ**)) **أَيْ** : مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْجَلِيلَا**)) بِجِيمٍ ؛ **أَيِ** : الْعَظِيمَ . وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .

وَصِلَةُ ((**سَأَلَ**)) : ((**فِي أَمْرِهَا**)) **أَيْ** : شَأْنِ الرُّؤْيَةِ، بِقَوْلِهِ : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

((**غَدَا**)) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : صَارَ سُؤَالُ مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُرِيَهُ إِيَّاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَنَا**)) مَعْشَرَ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ صِلَةُ ((**دَلِيلَا**)) عَلَى جَوَازِهَا عَقْلًا ((**إِذْ مِثْلُهُ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فِي الْوَصْفِ وَالرُّتْبَةِ ((**لَا يَجْهَلُ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ وَمَفْعُولُ ((**يَجْهَلُ**)) : الشَّيْءَ

((**الْمُحَالَا فِي حَقِّ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهِ الَّذِي ((**كَلَّمَهُ**)) **أَيْ** : مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ اللهُ سُبْحَانَهُ وَ((**تَعَالَى**)) ، وَالْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ مِنْ سُؤَالِ الْمُحَالِ ، لِحُرْمَتِهِ .

((**وَقَدْ رَأَى خَيْرُ**)) **أَيْ** : أَفْضَلُ ((**الْوَرَى**)) **أَيِ** : الْعَالَمِينَ ، وَهُوَ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمَفْعُولُ ((**رَأَى**)) : اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الدَّيَّانَا**)) بِفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ، آخِرُهُ نُونٌ ، وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ ؛ **أَيِ** : الَّذِي يُجَازِي الْعِبَادَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ . وَصِلَةُ ((**رَأَى**)) : ((**لَيْلَةَ**)) حُصُولِ ((**الْإِسْرَاءِ**)) مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ((**بِهِ**)) **أَيْ** : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رُؤْيَةً ((**عَيَانَا**)) **أَيْ** : حَاصِلَةً بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَصِلَةُ ((**رَأَى**)) : ((**فِي الْمَذْهَبِ**)) **أَيِ** : الْقَوْلِ ((**الْمُصَحَّحِ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ، وَفَتْحِ الصَّادِ وَالْحَاءِ الْأَوَّلِ الْمُهْمَلَيْنِ ((**الْمَشْهُورِ**)) وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَنَسٍ ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَعَلَيْهِ الْأَشْعَرِيُّ وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ ((**وَهْوَ**)) **أَيِ** : الْمَذْهَبُ الْمُصَحَّحُ الْمَشْهُورُ ((**الَّذِي يُنْمَى**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ **أَيْ** : يُنْسَبُ ((**إِلَى الْجُمْهُورِ**)) **أَيْ** : أَكْثَرِ الْأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ ((**وَالْمُؤْمِنُونَ خَصَّهُمْ**)) اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مِنْ فَضْلِهِ بِرُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَصِلَةُ ((**خَصَّهُمْ**)) : ((**فِي**)) الدَّارِ ((**الْآخِرَةْ**)) قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ [القيامة : ٢٢ – ٢٣] .

((**بِهَا**)) **أَيْ** : رُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ صِلَةُ ((**خَصَّهُمْ**)) . وَفَاعِلُ ((**خَصَّ**)) : ((**مُنِيلُهُمْ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ؛ **أَيْ** : مُعْطِي الْمُؤْمِنِينَ ((**مَزَايَا**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ فَزَاي ؛ **أَيْ** : عَطَايَا تَمَيَّزُوا بِهَا عَنْ غَيْرِهِمْ ((**فَاخِرَةْ**)) **أَيْ** : عَظِيمَةً ((**كَمَا**))

أَيِ : الْحَدِيثِ الَّذِي ((**أَتَى**)) **أَيْ** : رُوِيَ فِي [صَحِيحِ مُسْلِمٍ] بِسَنَدِهِ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((**عَنْ**)) رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**صَاحِبِ السِّيَادَةْ**)) عَلَى أَوْلَادِ آدَمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ [يونس : ٢٦] .

٢٦٦ – وَكَـــمْ أَحَادِيـــثَ بِهَـــا صَـــرِيحَةْ مَرْوِيَّـــةٌ مِـــنْ طُـــرُقٍ صَـــحِيحَةْ

٢٦٧ – كَقَوْلِـــهِ : « كَمَـــا تَـــرَوْنَ الْقَمَـــرَا » وَقَبْـــلَ هَـــذَا : « سَـــتَرَوْنَ ... » الْخَبَـــرَا

٢٦٨ – وَوَجْـــهُ ذَا التَّشْـــبِيهِ دُونَ مِرْيَـــةِ نَفْـــيُ تَـــزَاحُمٍ بِحَـــالِ الرُّؤْيَـــةِ

٢٦٩ – لَا أَنَّـــهُ مِـــنْ كُـــلِّ وَجْـــهٍ أَشْـــبَهَهْ جَـــلَّ الْإِلَـــهُ أَنْ يَكُـــونَ فِي جِهَـــةْ

((**فَالْجَنَّةُ**)) هِيَ ((**الْحُسْنَى وَ**)) هـ ((**لِذِي**)) **أَيْ** : رُؤْيَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هِيَ ((**الزِّيَادَةْ**))

((**وَكَمْ**)) **أَيْ** : كَثِيرٌ مِنْ ((**أَحَادِيث بِهَا**)) **أَيِ** : الرُّؤْيَةِ؛ صِلَةُ ((**صَرِيحَةْ**)) . وَخَبَرُ ((**كَمْ**)) : ((**مَرْوِيَّةٌ**)) عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَصِلَةُ ((**مَرْوِيَّةٌ**)) : ((**مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةْ .. كَقَوْلِهِ**)) **أَيْ** : رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ : ((« **كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَا**)) لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَا تُضَامُّونَ — أَوْ : لَا تُضَارُّونَ – فِي رُؤْيَتِهِ » .

((**وَ**)) قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**قَبْلَ هَذَا**)) **أَيْ** : قَوْلِهِ :

((**كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَا**)) : ((« **سَتَرَوْنَ**)) رَبَّكُمْ ... » أَكْمِلِ ((**الْخَبَرَا**)) **أَيِ** : الْحَدِيثَ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ :

« إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَا تُضَامُّونَ — أَوْ : لَا تُضَارُّونَ – فِي رُؤْيَتِهِ » .

((**وَوَجْهُ**)) هـ ((**لِذَا التَّشْبِيهِ**)) لِرُؤْيَةِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِرُؤْيَةِ الْقَمَرِ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ ((**دُونَ مِرْيَةِ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ **أَيْ** : شَكٍّ . وَخَبَرُ ((**وَجْهُ**)) : ((**نَفْيُ**)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ؛ **أَيْ** : عَدَمُ ((**تَزَاحُمٍ**)) بِفَتْحِ التَّاءِ وَالزَّايِ ، وَضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ بَيْنَ الرَّائِيَيْنِ ((**بِحَالِ**)) **أَيْ** : فِي حَالِ حُصُولِ ((**الرُّؤْيَةِ .. لَا أَنَّهُ**)) **أَيِ** : اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مِنْ كُلِّ وَجْهٍ**)) صِلَةُ ((**أَشْبَهَهْ**)) **أَيِ** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْقَمَرَ ((**جَلَّ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : عَظُمَ وَتَنَزَّهَ ((**الْإِلَهُ**)) **أَيِ** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنْ ((**أَنْ يَكُونَ فِي جِهَةْ**)) مِنَ الْجِهَاتِ السِّتِّ ، أَوْ جِسْمًا ، أَوْ مُقَدَّرًا ، أَوْ مُتَلَوِّنًا ، أَوْ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ .

[تَنْبِيهٌ]

نَصَّ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ زَكْرِي فِي شَرْحِهِ عَلَى عَقِيدَةِ الْإِمَامِ ابْنِ الْحَاجِبِ عَلَى أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ : «كَانَ عَلَى مَذْهَبِ الِاعْتِزَالِ أَوَّلًا ، إِلَى أَنْ رَأَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ رَمَضَانَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، أَمَا قَرَأْتَ الْحَدِيثَ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ تَقْرَأْ فِيهِ أَنِّي قُلْتُ : « سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ » ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ؛ قَالَ : فَلِمَ لَمْ تَقُلْ بِهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ قَامَتْ عَلَى اسْتِحَالَةِ رُؤْيَتِهِ ، فَأَوَّلْتُ الْخَبَرَ . فَقَالَ : أَمَا إِنَّكَ سَتَجِدُ الْأَمْرَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، فَقُلْ بِالرُّؤْيَةِ .

فَانْتَبَهَ مَرْعُوبًا ، وَتَحَيَّرَ ، وَلَمْ يَدْرِ مَا يَفْعَلُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا وَيْلَتِي إِنْ قُلْتُ عَلَى اللهِ تَعَالَى مَا لَا عِلْمَ لِي بِهِ ، وَيَا وَيْلَتِي إِنْ خَالَفْتُ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَجَعَلَ يَتَحَيَّرُ وَيَبْكِي ، حَتَّى عَزَمَ عَلَى تَرْكِ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَاشْتَغَلَ بِالْقُرْآنِ وَبِالْحَدِيثِ .

فَلَمَّا كَانَ الْعَشْرُ الْأَوْسَطُ ، رَآهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، مَا عَمِلْتَ فِيمَا قُلْتُ لَكَ ؟

… …

قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، تَرَكْتُ عِلْمَ الْكَلَامِ ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ . فَغَضِبَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

فَقَالَ : آمُرُكَ بِالشَّيْءِ تَتْرُكُهُ ؟! .

فَانْتَبَهَ الشَّيْخُ مَرْعُوبًا حَزِينًا بَاكِيًا ، فَجَعَلَ يَقُولُ : مَاذَا أَقُولُ لِلنَّاسِ فِي مَذْهَبٍ نَصَرْتُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَرْجِعُ عَنْهُ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَةِ النَّوْمِ ؟! فَيَقُولُ النَّاسُ : رَجُلٌ مَجْنُونٌ مُوَسْوَسٌ ! .

فَلَمْ يَزَلْ فِي تَحَيُّرِهِ إِلَى لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ قَاصِدًا إِحْيَاءَهَا ، فَلَمَّا أَتَى الْجَامِعَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ ، حَتَّى صَارَتْ أَعْضَاؤُهُ كَالْجِبَالِ ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ مِنَ النَّوْمِ مَا لَمْ يَعْهَدْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ حَزِينًا ، لِمَا فَاتَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا نَامَ ، رَآهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، مَا عَمِلْتَ فِيمَا قُلْتُ لَكَ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَاذَا أَقُولُ لِلنَّاسِ فِي مَذْهَبٍ نَصَرْتُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ؟! أَتْرُكُهُ بِمُجَرَّدِ النَّوْمِ فَيَقُولُ النَّاسُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ! . فَقَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : كَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ فِيَّ ، وَمَا صَدَّنِي ذَلِكَ عَنِ الْحَقِّ ؛ وَأَثْبِتْ مَسْئَلَةَ الرُّؤْيَةِ ، وَاللهُ يُلْهِمُكَ الْحُجَّةَ .

فَانْتَبَهْتُ ، وَقَدْ أَلْهَمَنِي اللهُ تَعَالَى الْحُجَّةَ ، فَأَثْبَتُّهَا بِأَدِلَّتِهَا الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ » . اهـ .

أَفَادَهُ ابْنُ الْأَعْمَشِ .

وَإِنْ أَرَدتَّ تَحْقِيقَ مَبَاحِثِ الرُّؤْيَةِ ، فَعَلَيْكَ بِـ [الْكُبْرَى] وَمَا كَتَبْنَاهُ عَلَيْهَا .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي أَحْكَامِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ]

٢٧٠ – وَبِعْثَةُ الرُّسْلِ إِلَيْنَا جَائِزَةْ فِي حَقِّهِ ، وَكُلَّ خَيْرٍ حَائِزَةْ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[أَحْكَامِ]** بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ : حُكْمٍ **[الرِّسَالَةِ]** **أَيْ** : إِيحَاءِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِشَرْعٍ لِإِنْسَانٍ ذَكَرٍ حُرٍّ ، وَأَمَرَهُ بِتَبْلِيغِهِ . **[وَ]** أَحْكَامِ **[النُّبُوَّةِ]** بِضَمِّ النُّونِ وَالْمُوَحَّدَةِ ، وَشَدِّ الْوَاوِ ؛ **أَيْ** : إِيحَاءِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِإِنْسَانٍ ذَكَرٍ حُرٍّ بِشَرْعٍ ، سَوَاءٌ أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ أَمْ لَا .

((**وَبِعْثَةُ**)) بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : إِرْسَالُ ((**الرُّسْلِ**)) بِضَمِّ الرَّاءِ ، وَسُكُونِ السِّينِ ، لِلْوَزْنِ ، جَمْعُ " رَسُولٍ " ؛ **أَيْ** : إِنْسَانٌ ذَكَرٌ حُرٌّ ، أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ .

وَصِلَةُ ((**بِعْثَةُ**)) : ((**إِلَيْنَا**)) مَعْشَرَ الْمُكَلَّفِينَ . وَخَبَرُ ((**بِعْثَةُ**)) : ((**جَائِزَةْ**)) عَقْلًا ((**فِي حَقِّهِ**)) **أَيْ** : صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، خِلَافًا لِمَنْ أَوْجَبَهُ ، كَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ ، وَزَادَتِ الْفَلَاسِفَةُ الْإِيجَابَ ؛ وَكَلَامُ الْمُعْتَزِلَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى قَاعِدَتِهِمُ الْفَاسِدَةِ ، وَهِيَ : وُجُوبُ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ عَلَى اللهِ تَعَالَى .

قَالُوا : النِّظَامُ الْمُؤَدِّي إِلَى صَلَاحِ حَالِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ – فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ – لَا يَتِمُّ إِلَّا بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ ؛ وَكُلُّ مَا هُوَ كَذَلِكَ ، فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى اللهِ ، فَإِرْسَالُ الرُّسُلِ وَاجِبٌ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا لَكَ هَدْمَ تِلْكَ الْقَاعِدَةِ .

وَكَلَامُ الْفَلَاسِفَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى قَاعِدَتِهِمُ الْفَاسِدَةِ أَيْضًا ، وَهِيَ : التَّعْلِيلُ وَالطَّبْعُ .

قَالُوا : يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وُجُودُ الْعَالَمِ بِالتَّعْلِيلِ أَوْ بِالطَّبْعِ ، وَيَلْزَمُ مِنْ وُجُودِ الْعَالَمِ ، وُجُودُ مَنْ يُصْلِحُهُ .

وَقَدْ حَقَّقْنَا لَكَ – فِيمَا تَقَدَّمَ – أَنَّهُ تَعَالَى فَاعِلٌ بِالِاخْتِيَارِ ، لَا بِطَرِيقِ الْإِجْبَارِ .

وَمَا ذَكَرْنَاهُ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ نَحْوُهُ فِي [الْمَقَاصِدِ] وَغَيْرِهَا .

وَذَكَرَ الْعَلَّامَةُ السَّمَرْقَنْدِيُّ أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الْإِرْسَالَ ، لِنَفْيِهِمْ كَوْنَهُ تَعَالَى مُخْتَارًا ؛ وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ الشِّيعَةَ بَدَلَهُمْ .

وَخِلَافًا أَيْضًا لِمَنْ أَحَالَهُ ، كَالسُّمَنِيَّةِ – بِضَمِّ السِّينِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ مُخَفَّفَةً ، نِسْبَةً إِلَى " سُومَنَات " بَلَدٌ بِالْهِنْدِ ، قَوْمٌ كُفَّارٌ ، يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ .

وَالْبَرَاهِمَةِ ، نِسْبَةٌ إِلَى بَرْهَامَ رَئِيسِهِمْ ، وَهُمْ كُفَّارٌ أَيْضًا ، وَكَلَامُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى قَاعِدَتِهِمُ الْفَاسِدَةِ أَيْضًا ، وَهِيَ : التَّحْسِينُ وَالتَّقْبِيحُ الْعَقْلِيَّيْنِ .

قَالُوا : إِنَّ إِرْسَالَ الرُّسُلِ عَبَثٌ لَا يَلِيقُ فِعْلُهُ بِالْحَكِيمِ ، لِأَنَّ الْعَقْلَ يُغْنِي عَنْهُ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِنْ أَدْرَكَ الْعَقْلُ حُسْنَهُ ، فِعْلَهُ وَإِنْ لَمْ تُبْعَثْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَإِنْ أَدْرَكَ قُبْحَهُ ، تَرَكَهُ كَذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْ وَاحِدًا مِنْهُمَا ، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ فَعَلَهُ ، وَإِلَّا تَرَكَهُ كَذَلِكَ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا لَكَ أَنَّ الْحَسَنَ : مَا حَسَّنَهُ الشَّرْعُ ، وَالْقَبِيحَ : مَا قَبَّحَهُ الشَّرْعُ .

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ تِلْكَ الْعَقَائِدِ الزَّائِغَةِ .

٢٧١ - كَـــيْ يُبْلِغُونَـــا أَمْــرَهُ وَنَهْيَــهْ فَمَـــنْ أَجَـــابَهُمْ غَـــدَا ذَا نُهْيَـــةْ

٢٧٢ - وَمَـــنْ أَبَى فَسَـــاقِطٌ فِي هُــوَّةْ وَمَـــا بِكَسْـــبٍ تُــــدْرَكُ النُّبُـــوَّةْ

٢٧٣ - وَلَا بِحِيلَــــــةٍ أَوْ ارْتِيَـــــاضِ لَكِــنْ بِفَضْـــلِ ذِي النَّـــدَى الْفَيَّـــاضِ

٢٧٤ - يَخُـــصُّ مَـــنْ أَرَادَ بِالْعِنَايَـــةْ وَبِالرِّسَـــــــالَةِ أَوِ الْوِلَايَـــــــةْ

((**وَكُلَّ**)) مَفْعُولُ : ((**حَائِزَةْ**)) . ((**خَيْرٍ**)) دُنْيَوِيٍّ أَوْ أُخْرَوِيٍّ ((**حَائِزَةْ**)) بِإِهْمَالِ الْحَاءِ ؛ **أَيْ** : جَامِعَةٌ . عَطْفٌ عَلَى ((**جَائِزَةْ**)) بِالْجِيمِ .

((**كَيْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفُ تَعْلِيلٍ ، صِلَةُ : ((**بِعْثَةُ**)) . ((**يُبْلِغُونَا**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْبَاءِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ ؛ **أَي** : الرُّسُلُ النَّاسَ ((**أَمْرَهُ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : طَلَبَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْفِعْلَ طَلَبًا جَازِمًا أَمْ لَا .

((**وَ**)) يُبْلِغُونَا ((**نَهْيَهْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : طَلَبَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - التَّرْكَ كَذَلِكَ .

((**فَمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَي** : الَّذِي ((**أَجَابَهُمْ**)) **أَيْ** : أَطَاعَ الرُّسُلَ ((**غَدَا**)) بِإِعْجَامِ الْغَيْنِ ، وَإِهْمَالِ الدَّالِ ؛ أَيْ: صَارَ ((**ذَا**)) **أَيْ** : صَاحِبَ ((**نُهْيَةْ**)) بِضَمِّ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْهَاءِ ، فَمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ ؛ **أَيْ** : عَقْلٍ كَامِلٍ ، لِتَخْلِيصِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ ، وَفَوْزِهِ بِالْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ .

((**وَمَنْ أَبَى**)) **أَي** : امْتَنَعَ مِنْ إِجَابَتِهِمْ ((**فَ**)) **هُوَ** ((**سَاقِطٌ فِي هُوَّةْ**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : هَاوِيَةٍ ، وَنَارٍ حَامِيَةٍ . ((**وَمَا**)) نَافِيَةٌ ((**بِكَسْبٍ**)) صِلَةُ ((**تُدْرَكُ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : تُنَالُ ((**النُّبُوَّةْ .. وَلَا**)) تُدْرَكُ ((**بِحِيلَةٍ أَوْ ارْتِيَاضِ**)) **أَيْ** : تَهْذِيبٍ لِلنَّفْسِ ((**لَكِنْ**)) تُدْرَكُ ((**بِفَضْلِ**)) اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ ((**النَّدَى**)) بِفَتْحِ النُّونِ ؛ **أَي** : الْعَطَاءِ ((**الْفَيَّاضِ**)) **أَي** : الْكَثِيرِ ((**يَخُصُّ**)) **أَي** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَي** : الَّذِي ((**أَرَادَ**)) اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نُبُوَّتَهُ وَرِسَالَتَهُ .

وَصِلَةُ ((**يَخُصُّ**)) : ((**بِالْعِنَايَةْ**)) **أَي** : الْإِعَانَةِ وَالتَّوْفِيقِ ((**وَبِالرِّسَالَةِ أَوِ الْوِلَايَةْ**)) قَالَ سَيِّدُنَا يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [يوسف : ٣٨] .

٢٧٥ – وَهْــوَ – أَيِ الرَّسُــولُ – إِنْسَــانٌ ذَكَــرْ أَوْحَــى لَــهُ مَــنْ لَمْ تُكَيِّفْــهُ الْفِكَــرْ

((وَهْوَ – أَيِ الرَّسُولُ – إِنْسَانٌ)) لَا مَلَكٌ ؛ وَلَا يَرِدُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ [الحج : ٧٥] ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ — وَاللهُ أَعْلَمُ – : أَنَّهُمْ سُفَرَاءُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ ، لِيُبَلِّغُوهُمْ عَنِ اللهِ تَعَالَى الشَّرَائِعَ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« وَالْحِكْمَةُ – كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّعْرَانِيُّ فِي [الْيَوَاقِيتُ وَالْجَوَاهِرُ]– أَنَّ الْإِرْسَالَ اخْتِبَارٌ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ بِبَعْضِهِمْ ، كَمَا : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ [القمر : ٢٤] قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩ ﴾ [الأنعام : ٩] ؛ وَأَيْضًا ، عَامَّةُ الْخَلْقِ لَا يُنَاسِبُهُمْ إِرْسَالُ الرُّوحَانِيِّ الْمَحْضِ ، عَلَى إِشَارَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥ ﴾ [الإسراء : ٩٥] » . اهـ .

وَلَا جِنِّيٌّ ؛ وَلَا يَرِدُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ [الأنعام : ١٣٠] لِأَنَّ مَعْنَاهُ – وَاللهُ أَعْلَمُ – : أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْ بَعْضِكُمْ ؟ وَهُمُ الْإِنْسُ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢ ﴾ [الرحمن : ٢٢] ، فَالْمُرَادُ : مِنْ أَحَدِهِمَا . أَوِ الْمُرَادُ بِرُسُلِ الْجِنِّ : السُّفَرَاءُ مِنْهُمْ ؛ **أَيِ** : النُّوَّابُ مِنْهُمْ عَنِ الرُّسُلِ ، لَا رُسُلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى .

وَلَا غَيْرُهُمَا مِنْ بَقِيَّةِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَمَنْ قَالَ : " فِي كُلِّ أُمَّةٍ نَذِيرٌ " . **بِمَعْنَى** : أَنَّهُ فِي كُلِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ رَسُولٌ : فَقَدْ كَفَرَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ ﴾ [فاطر : ٢٤] فَهُوَ فِي أُمَمِ الْبَشَرِ الْمَاضِيَةِ .

((ذَكَرْ)) بِفَتْحِ الذَّالِ وَالْكَافِ . لَا أُنْثَى ، بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ يُقَالُ لَهَا إِنْسَانٌ ؛ **وَقِيلَ** : يُقَالُ لَهَا إِنْسَانَةٌ .

... ...

فِي [الْقَامُوسِ] :

« **وَالْمَرْءُ : إِنْسَانٌ ، وَبِالْهَاءِ عامِّيَّةٌ ، وسُمِعَ فِي شِعْرٍ كَأَنَّهُ مُوَلَّدٌ** :

(لَقَدْ كَسَتْنِي فِي الْهَوَى   مَلَابِسَ الصَّبِّ الغَزِلْ
إِنْسَانَةٌ فَتَّانَةٌ   بَدْرُ الدُّجَى مِنْهَا خَجِلْ
إِذَا زَنَتْ عَيْنِي بِهَا   مِنَ الدُّمُوعِ تَغْتَسِلْ) »

. اهـ

وَعَلَيْهِ ، فَتَكُونُ خَارِجَةً بِإِنْسَانٍ ؛ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ .

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِنُبُوَّةِ مَرْيَمَ ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، وَحَوَّاءَ ، وَأُمِّ مُوسَى – وَاسْمُهَا يُوحَانْذُ ، بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ – وَهَاجَرَ، وَسَارَّةَ : فَهُوَ مَرْجُوحٌ وَإِنْ كَانَ قَوْلَ الْأَشْعَرِيِّ ، لِأَنَّ الْأُنُوثَةَ صِفَةُ نَقْصٍ ، فَلَا تَلِيقُ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ ، إِذِ الْمَرْأَةُ لَا تَصْلُحُ لِلسَّلْطَنَةِ وَالْقَضَاءِ فِي الْحُدُودِ ، وَكَذَا فِي الْقِصَاصِ ، وَلِأَنَّ اللهَ – تَعَالَى – لَمْ يَسْتَثْنِ امْرَأَةً فِي قَوْلِهِ : ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا** ﴾ [الأنبياء : ٧] ، وَلِأَنَّ الرِّسَالَةَ تَقْتَضِي الِاشْتِهَارَ بِالدَّعْوَةِ ؛ وَالْأُنُوثَةُ تَقْتَضِي السِّتْرَ ، لِأَنَّ النِّسَاءَ مَأْمُورَاتٌ بِالْقَرَارِ فِي الْبُيُوتِ ، مَمْنُوعَاتٌ عَنِ الْكَلَامِ الْجَهْرِ ، وَالْخُرُوجِ وَالدُّخُولِ إِلَّا لِحَاجَةٍ ، وَمِنَ الِاجْتِمَاعِ عَلَى غَيْرِ الْمَحَارِمِ ، وَهُوَ يُنَافِي الِاشْتِهَارَ وَدَعْوَى النُّبُوَّةِ . اهـ . نُوبِيٌّ .
أَفَادَهُ بَعْضُ حَوَاشِي شَرْحِ مُلَّا عَلِيٍّ قَارِي عَلَى [بَدْءِ الْأَمَالِي] .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« وَلَا يَكُونُ أُنْثَى ؛ وَالْإِيحَاءُ لِأُمِّ مُوسَى إِلْهَامٌ فِي جُزْئِيَّةٍ ، عَلَى حَدِّ : ﴿ **وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ** ﴾ [النحل : ٦٨] ؛ وَالْمُثْبِتُ لِلنُّبُوَّةِ : الْإِيحَاءُ بِشَرْعٍ كُلِّيٍّ .

قَالَ صَاحِبُ [بَدْءُ الْأَمَالِي] :

(وَمَا كَانَتْ نَبِيًّا قَطُّ أُنْثَى   وَلَا عَبْدٌ وَشَخْصٌ ذُو افْتِعَالِ)

أَيْ : فِعْلٍ قَبِيحٍ » . اهـ .

قَالَ مُلَّا عَلِيٌّ :

« وَأَرَادَ بِـ " الِافْتِعَالِ " : السِّحْرَ وَالْكَذِبَ ، كَمَا تُؤْذِنُ بِهِ الصِّيغَةُ ... » .

ثُمَّ قَالَ : « وَمِنَ الشَّرَائِطِ أَيْضًا : الْحُرِّيَّةُ ، لِأَنَّ الرِّقِّيَّةَ أَثَرُ الْكُفْرِ ... » .

ثُمَّ قَالَ : « مِمَّا يُؤَكِّدُ شَرْطَ الْحُرِّيَّةِ : أَنَّ الرِّقِّيَّةَ وَصْفُ نَقْصٍ ، وَيَسْتَنْكِفُ النَّاسُ عَنْ صَاحِبِهَا أَنْ يَقْتَدُوا بِهِ » . اهـ .

وَكُتِبَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَوَاشِي مَا نَصُّهُ :

« **قَوْلُهُ** : " لِأَنَّ الرِّقِّيَّةَ أَثَرُ الْكُفْرِ " . **أَيْ** : غَالِبًا ، وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ لَمْ يَكْفُرْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِاللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَلِأَنَّهُ لَا وِلَايَةَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وِلَايَةٌ عَلَى غَيْرِهِ ؟! .

وَلَا يَرِدُ لُقْمَانُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا ، بَلْ كَانَ تِلْمِيذَ الْأَنْبِيَاءِ ، لِأَنَّهُ وَرَدَ أَنَّهُ كَانَ تِلْمِيذًا لِأَلْفِ نَبِيٍّ » . اهـ .

قَالَ مُلَّا عَلِيٌّ : « وَاخْتُلِفَ فِي لُقْمَانَ ، فَقِيلَ : نَبِيٌّ ؛ وَقِيلَ : لَا ، بَلْ هُوَ وَلِيٌّ ؛ وَهُوَ الْحَقُّ » . اهـ .

قَالَ بَعْضُ مَنْ حَشَّاهُ مَا نَصُّهُ :

« **قَوْلُهُ** : " وَاخْتُلِفَ فِي لُقْمَانَ ، فَقِيلَ : نَبِيٌّ ... " إِلَخْ . لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ** ﴾ [لقمان : ١٢] ، وَهِيَ عِنْدَهُمُ النُّبُوَّةُ ؛ وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيٍّ ، وَحَمَلُوا ﴿ **ٱلْحِكْمَةَ** ﴾ فِي الْآيَةِ عَلَى الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ ؛ بَلْ كَانَ حَكِيمًا وَلِيًّا كَثِيرَ التَّفَكُّرِ وَالصَّمْتِ وَحُسْنِ النَّظَرِ ، أَحَبَّ اللهَ تَعَالَى فَأَحَبَّهُ اللهُ تَعَالَى ، وَأَعْطَاهُ الْحِكْمَةَ، **أَي** : الْعِلْمَ مَعَ الْعَمَلِ » . اهـ . نُوبِيٌّ .

وَيُشْتَرَطُ أَيْضًا فِي النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ أَنْ يَكُونَا سَلِيمَيْنِ مِنْ مُنَفِّرٍ طَبْعًا ، فَمَنْ كَانَ فِيهِ مُنَفِّرٌ – كَعَمًى وَبَرَصٍ وَجُذَامٍ – فَلَا يَكُونُ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا .

وَلَا يَرِدُ بَلَاءُ أَيُّوبَ ، وَعَمَى يَعْقُوبَ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ حَقِيقِيًّا ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ ظَاهِرِيٌّ ؛ وَلَا يَرِدُ أَيْضًا بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ حَقِيقِيٌّ ، لِطُرُوِّهِ بَعْدَ تَقَرُّرِ النُّبُوَّةِ ، وَالْكَلَامُ فِيمَا قَارَنَهَا .

((**أَوْحَى**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ، وَفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : أَوْصَلَ ((**لَهُ**)) **أَي** : الْإِنْسَانِ الذَّكَرِ شَرْعًا ، بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ . وَفَاعِلُ ((**أَوْحَى**)) : ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَي** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي ((**لَمْ تُكَيِّفْهُ**)) **أَيْ** : تُدْرِكْ كَيْفِيَّتَهُ ((**الْفِكَرْ**)) بِكَسْرِ الْفَاءِ ، وَفَتْحِ الْكَافِ ؛ **أَي** : الْعُقُولُ .

٢٧٦ – وَقَـــالَ : بَلِّـــغْ مَـــنْ بُعِثْـــتَ فِـــيهِمْ　　　حُكْمًـــــا دُعُـــــوا إِلَيْـــــهِ يَقْتَفِـــــيهِمْ

٢٧٧ – وَإِنْ يَـــكُ الْـــوَحْيُ بِحُكْـــمٍ قُصِـــرَا　　　عَلَيْـــــهِ فَـــــالنَّبِيُّ فِيمَـــــا شُـــــهِرَا

((**وَقَالَ :**)) اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلْإِنْسَانِ الذَّكَرِ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ ((بَلِّغْ)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا مُعْجَمَ الْغَيْنِ

((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**بُعِثْتَ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ثُمَّ فَتْحٍ . وَصِلَةُ ((**بُعِثْتَ**)) : ((**فِيهِمْ**)) .
وَمَفْعُولُ ((**بَلِّغْ**)) : ((**حُكْمًا**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ ((**دُعُوا**)) بِضَمِّ الدَّالِ وَالْعَيْنِ ؛ **أَيِ** : الَّذِينَ بُعِثْتَ فِيهِمْ . وَصِلَةُ
((**دُعُوا**)) : ((**إِلَيْهِ**)) **أَيِ** : الْحُكْمِ ((**يَقْتَفِيهِمْ**)) **أَيْ** : يَتَّبِعُهُمْ ، وَيَتَعَلَّقُ بِهِمْ .
((**وَإِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ شَرْطٍ ؛ شَرْطُهُ : ((**يَكُ الْوَحْيُ**)) إِلَى الْإِنْسَانِ الذَّكَرِ ((**بِحُكْمٍ**)) بِضَمٍّ
فَسُكُونٍ ؛ صِلَةُ ((**الْوَحْيُ**)) : ((**قُصِرَا**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ؛ **أَيِ** : الْحُكْمُ . وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ . وَصَلَةُ ((**قُصِرَ**)) :

((**عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : الْإِنْسَانِ الذَّكَرِ . وَجَوَابُ ((**إِنْ**)) : ((**فَـ**)) **هُوَ** ((**ـالنَّبِيُّ فِيمَا**)) **أَيِ** : الْقَوْلِ الَّذِي

((**شُهِرَا**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ . أَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي مَا يَجِبُ لَهُمْ وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ]

٢٧٨ - وَصِدْقُ رُسْلٍ وَاجِبٌ فِي كُلِّ مَا ... قَالُوا ، فَكُنْ لِصِدْقِهِمْ مُسَلِّمَا
٢٧٩ - وَالْكَذِبَ اعْدُدْهُ مِنَ الْمُحَالِ ... فِي جَانِبِ الرُّسْلِ بِكُلِّ حَالِ
٢٨٠ - لِأَنَّهُ يُفْضِي لِوَصْفِ الْبَارِي ... سُبْحَانَهُ بِالْخُلْفِ فِي الْإِخْبَارِ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[مَا]** **أَيِ** : الْوَصْفِ الَّذِي **[يَجِبُ لَهُمْ]** **أَيِ** : الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **[وَمَا]** **أَيِ** : الْوَصْفِ الَّذِي **[يَسْتَحِيلُ]** عَلَيْهِمْ **[وَمَا]** أَيِ : الْوَصْفِ الَّذِي **[يَجُوزُ]** فِي حَقِّهِمْ .

((**وَصِدْقُ رُسْلٍ**)) - بِسُكُونِ السِّينِ ، لِلْوَزْنِ - لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - **أَيْ** : مُطَابَقَةُ خَبَرِهِمْ لِلْوَاقِعِ . وَخَبَرُ ((**صِدْقُ**)) : ((**وَاجِبٌ**)) **أَيْ** : لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِعَدَمِهِ . وَصِلَةُ ((**صِدْقُ**)) : ((**فِي كُلِّ مَا**)) **أَيِ** : الْقَوْلِ الَّذِي ((**قَالُوا**)) **أَيِ** : الرُّسُلُ ((**فَكُنْ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**لِصِدْقِهِمْ**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ ، صِلَةُ ((**مُسَلِّمَا**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ((**وَالْكَذِبَ**)) **أَيْ** : عَدَمُ مُطَابَقَةِ خَبَرِهِمْ لِلْوَاقِعِ ((**اعْدُدْهُ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**مِنَ الْمُحَالِ**)) **أَيْ** : لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِوُجُودِهِ ((**فِي جَانِبِ الرُّسْلِ**)) بِسُكُونِ السِّينِ أَيْضًا ((**بِكُلِّ حَالِ**)) فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَالصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ .

فِي [الشِّفَا] لِلْقَاضِي عِيَاضٍ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - :
« حِكَايَةُ الْإِجْمَاعِ عَلَى امْتِنَاعِ مُخَالَفَةِ خَبَرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْوَاقِعِ فِيمَا طَرِيقُهُ الْبَلَاغُ ، لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا وَلَا خَطأً ، فِي حَالَيِ الرِّضَا وَالسَّخَطِ ... » .
قَالَ : « وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَأَكْتُبُ كُلَّ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قُلْتُ : فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا حَقًّا ... » .

ثُمَّ ذَكَرَ خِلَافًا فِيمَا لَيْسَ سَبِيلُهُ الْبَلَاغَ - كَإِخْبَارِهِ عَنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ، وَأَحْوَالِ نَفْسِهِ - فَجَوَّزَ بَعْضُهُمْ عَدَمَ الْمُطَابَقَةِ فِي ذَلِكَ حَالَ السَّهْوِ ؛ وَنَقَلَ إِجْمَاعَ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَا طَرِيقُهُ الْبَلَاغُ ، فَلَا تَجُوزُ الْمُخَالَفَةُ فِيهِ أَيْضًا ، لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا وَلَا خَطأً ، وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَهُ » .
اهـ مِنَ ابْنِ كِيرَانَ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ .

ثُمَّ عَلَّلَ اسْتِحَالَةَ الْكَذِبِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ :
((**لِأَنَّهُ**)) **أَيِ** : الْكَذِبَ مِنَ الرُّسُلِ ((**يُفْضِي**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : يُؤَدِّي ((**لِوَصْفِ**)) اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْبَارِي**)) **أَيِ** : الْخَالِقِ لِلْعَالَمِ ((**سُبْحَانَهُ**)) **أَيْ** : تَنْزِيهُهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ . وَصِلَةُ ((**وَصْفِ**)) :

٢٨١ – مِـنْ أَجْـلِ تَصْـدِيقٍ لَهُـمْ بِـالْمُعْجِزَةْ عَاضِـدَةً لِمَـا ادَّعَـوْهُ مُنْجِـزَةْ

٢٨٢ – وَهْـوَ كَقَـوْلِ اللهِ : هَـذَا الْعَبْـدُ يَصْـدُقُ فِيمَـا مِنْـهُ عَنَّـا يَبْـدُو

٢٨٣ – وَكُـلُّ مَـنْ صَـدَّقَ كَاذِبًـا نُمِـي لِلْكَـذِبِ الَّـذِي بِـهِ ذَاكَ رُمِـي

٢٨٤ – وَهْـوَ – أَيِ الْكَـذِبُ – مُسْـتَحِيلُ فِي حَـقِّ رَبٍّ وَصْـفُهُ جَلِيـلُ

٢٨٥ – لِأَنَّـهُ يُخْـبِرُ وَفْـقَ عِلْمِـهِ وَذَاكَ صِـدْقٌ ثَابِـتٌ فِي حُكْمِـهِ

((**بِالْخُلْفِ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَي** : الْكَذِبِ ((**فِي الْإِخْبَارِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ وَخُلْفُهُ مُحَالٌ ، فَكَذِبُهُمْ مُحَالٌ .

وَعَلَّلَ الْإِفْضَاءَ وَالْمُلَازَمَةَ بِقَوْلِهِ :

((**مِنْ أَجْلِ تَصْدِيقٍ**)) مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَهُمْ**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ . وَصِلَةُ ((**تَصْدِيقٍ**)) : ((**بِالْمُعْجِزَةْ**)) **أَيِ** : الشَّيْءِ الْخَارِقِ لِلْعَادَةِ الْمُتَحَدَّى بِهِ ، لِدَعْوَى الرِّسَالَةِ ؛ حَالَ كَوْنِهَا ((**عَاضِدَةً**)) **أَيْ** : مُقَوِّيَةً ((**لِمَا**)) **أَيِ** : الْأَمْرِ الَّذِي ((**ادَّعَوْهُ**)) **أَيِ** : الرُّسُلُ ، حَالَ كَوْنِهَا ((**مُنْجِزَةْ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : مُنْفَذَةٌ مُمْضِيَّةٌ

((**وَهْوَ**)) **أَيْ** : تَصْدِيقُهُمْ بِالْمُعْجِزَةِ ((**كَقَوْلِ اللهِ :**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**هَذَا الْعَبْدُ**)) الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ لَكُمْ

((**يَصْدُقُ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ ؛ **أَيِ** : الْعَبْدُ ((**فِيمَا**)) **أَيِ** : الْقَوْلِ الَّذِي ((**مِنْهُ**)) **أَيِ** : الْعَبْدِ ، صِلَةُ

((**يَبْدُو**)) . ((**عَنَّا**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ النُّونِ ، وَضَمِيرُ الْعَظَمَةِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، صِلَةُ ((**يَبْدُو**)) **أَيْ** : يَظْهَرُ . ((**وَكُلُّ مَنْ**)) بِفَتْحِ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**صَدَّقَ**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلَ الدَّالِ ؛ شَخْصًا

((**كَاذِبًا**)) . وَخَبَرُ ((**كُلُّ**)) : ((**نُمِي**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : نُسِبَ ((**لِلْكَذِبِ الَّذِي بِهِ**)) **أَيِ** : الْكَذِبِ . صِلَةُ ((**رُمِي**)) : ((**ذَاكَ**)) **أَيِ** : الْكَاذِبُ ((**رُمِي**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ .

((**وَهْوَ – أَيِ الْكَذِبُ – مُسْتَحِيلُ**)) لَا يُصَدِّقُ الْعَقْلُ بِوُجُودِهِ ((**فِي حَقِّ رَبٍّ وَصْفُهُ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ

((**جَلِيلُ**)) **أَيْ** : عَظِيمٌ .

وَعَلَّلَ اسْتِحَالَةَ الْكَذِبِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ :

((**لِأَنَّهُ**)) **أَيِ** : الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**يُخْبِرُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ عَنِ الشَّيْءِ إِخْبَارًا ((**وَفْقَ**)) بِفَتْحِ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : مُوَافِقَ ((**عِلْمِهِ**)) **أَيِ** : الرَّبِّ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالشَّيْءِ ((**وَذَاكَ**)) **أَيْ** : إِخْبَارُهُ وَفْقَ عِلْمِهِ ((**صِدْقٌ ثَابِتٌ فِي حُكْمِهِ**)) .

وَحَاصِلُ دَلِيلِ وُجُوبِ صِدْقِهِمْ أَنْ تَقُولَ :

لَوْ لَمْ تَصْدُقِ الرُّسُلُ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – لَلَزِمَ الْكَذِبُ فِي خَبَرِهِ تَعَالَى، لِتَصْدِيقِهِ لَهُمْ تَعَالَى بِالْمُعْجِزَةِ النَّازِلَةِ

... ...

مُنَزَّلَةَ قَوْلِهِ تَعَالَى : " صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّي " .

وَتَصْدِيقُ الْكَاذِبِ كَذِبٌ ، وَالْكَذِبُ مُحَالٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، فَمَلْزُومُهُ – وَهُوَ عَدَمُ صِدْقِهِمْ – مُحَالٌ .
وَإِذَا كَانَ عَدَمُ صِدْقِهِمْ مُحَالًا ، وَجَبَ صِدْقُهُمْ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

[تَنْبِيهٌ]

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْكَذِبُ مَعَ أَنَّهُ وَرَدَ : " لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كِذْبَاتٍ " ؟ .

وَعِبَارَةُ ابْنِ كِيرَانَ :
« (**الثَّالِثُ**) :
حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ : " لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كِذْبَاتٍ ، اِثْنَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ :
١ – قَوْلُهُ : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات : ٨٩] .
٢ – وَقَوْلُهُ : ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء : ٦٣] .
وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَّةَ ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَّةُ – وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ – فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ هَهُنَا امْرَأَةً لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ . فَأَرْسَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَسْأَلُهُ عَنْهَا ؛ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : أُخْتِي ، ثُمَّ أَوْصَاهَا أَنْ تَقُولَ لَهُ ذِلِكَ إِذَا سَأَلَهَا ، قَالَ : فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا ، وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً ، فَقَالَ : اِدْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ .
فَفَعَلَتْ ، فَعَادَ ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَفَعَلَتْ ، فَعَادَ ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْأُولَيَيْنِ ،
فَقَالَ : اِدْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي ، فَلَكِ اللهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ ، فَفَعَلَتْ، فَأُطْلِقَتْ يَدُهُ ، فَدَعَا الَّذِي أَتَاهُ بِهَا ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ .
فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي ، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ انْصَرَفَ ، فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي ، فَقَالَ : مَهِيمْ ؟! قَالَتْ : خَيْرًا ، كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا " .
وَالْجَوَابُ :
أَنَّ تَسْمِيَتَهَا " كِذْبَاتٌ " إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الصُّورَةِ فَقَطْ ، وَكُلُّهَا مِنَ الْمَعَارِيضِ الَّتِي فِيهَا مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ .
فَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات : ٨٩] : فَقَدْ كَانَ لِقَوْمِهِ عِيدٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيُعَظِّمُونَ آلِهَتَهُمْ ، وَكَانُوا نَجَّامِينَ ، فَقَالُوا لِإِبْرَاهِيمَ : أَلَا تَخْرُجُ مَعَنَا إِلَى عِيدِنَا غَدًا ؟ .
فَنَظَرَ فِي النُّجُومِ إِيهَامًا ، إِذْ لَمْ يَعْتَمِدْ عَلَيْهَا – لِئَلَّا يُنْكِرُوا عَلَيْهِ وَيُكَذِّبُوهُ ، فَلَا يَدَعُوهُ يَتَخَلَّفُ – فَقَالَ : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات : ٨٩] **أَيْ** : سَأَسْقَمُ ، إِذْ كُلُّ حَيٍّ مُعَرَّضٌ لِذَلِكَ وَلَوْ عِنْدَ النَّزْعِ ؛ أَوْ : سَقِيمُ الْقَلْبِ ، لِمَا

٢٨٦ – وَوَاجِبٌ أَمَانَةٌ أَيْ عِصْمَةْ لِلرُّسْلِ ، جَلَّ قَدْرُهُمْ عَنْ وَصْمَةْ

٢٨٧ – وَيَسْتَحِيلُ مِنْهُمُ ارْتِكَابُ ذِي نَهْيٍ ، وَقَوْلَ ذِي الضَّلَالَةِ انْبِذِ

٢٨٨ – وَلَوْ فَرَضْتَ مِنْهُمُو إِيقَاعَهْ لَانْقَلَبَ الْمَنْهِيُّ عَيْنَ الطَّاعَةْ

٢٨٩ – لِأَمْرِ رَبِّنَا بِالِاقْتِدَا بِهِمْ فِي غَيْرِ مَقْصُورٍ عَلَى جَنَابِهِمْ

أُشَاهِدُهُ مِنْ كُفْرِكُمْ وَعِنَادِكُمْ ، أَوْ : سَقِيمُ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ ، مِنْ جِهَةِ أَنَّكُمْ لَا تُصْغُونَ لِلدَّلَائِلِ الْقَاطِعَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ **بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا** ﴾ [الأنبياء : ٦٣] : فَهُوَ مُعَلَّقٌ بِشَرْطِ نُطْقِهِ ، **أَيْ** : إِنْ كَانَ يَنْطِقُ فَهُوَ فَعَلَهُ . عَلَى طَرِيقِ التَّبْكِيتِ لَهُمْ ؛ وَلَيْسَ الشَّرْطُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ **فَسْـَٔلُوهُمْ** ﴾ [الأنبياء : ٦٣] ، بَلْ هَذَا جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ ، أَوْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ مُعْظَمُ السَّبَبِ الْحَامِلِ عَلَى الْكَسْرِ .

وَعَنِ الْكِسَائِيِّ : أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى: ﴿ **فَعَلَهُۥ** ﴾ [الأنبياء : ٦٣] ، **أَيْ** : فَعَلَهُ مَنْ فَعَلَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ ؛ ثُمَّ يَبْتَدِي : ﴿ **كَبِيرُهُمْ هَٰذَا** ﴾ [الأنبياء : ٦٣] عَلَى أَنَّهُ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ ، ثُمَّ يَقُولُ : ﴿ **فَسْـَٔلُوهُمْ** .... ﴾ [الأنبياء : ٦٣] إلخ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : " وَلَا يَخْفَى تَكَلُّفُهُ " .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : " أُخْتِي " : فَالْمُرَادُ – كَمَا بَيَّنَهُ فِي الْحَدِيثِ – أَنَّهَا أُخْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ صِدْقٌ ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات : ١٠] » .

اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَقَوْلُهُ : " مَهِيمْ " : **أَيْ** : مَا أَمْرُكَ ؟ وَمَا الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ؟ . وَهِيَ كَلِمَةٌ يَمَانِيَةٌ ، وَوَزْنُهَا " مَفْعِلٌ " .

اُنْظُرِ [الْمِصْبَاحَ] .

((**وَوَاجِبٌ أَمَانَةٌ أَيْ عِصْمَةْ لِلرُّسْلِ**)) بِسُكُونِ السِّينِ ؛ **أَيْ** : حِفْظُ اللهِ تَعَالَى جَمِيعَ جَوَاحِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مِنْ فِعْلِ مَا نَهَاهُمُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنْهُ نَهْيَ تَحْرِيمٍ أَوْ كَرَاهَةٍ ، فَلَا يَقَعُ مِنْهُمْ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ ، لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا ، لَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَلَا بَعْدَهَا ، بَلْ وَلَا مُبَاحٌ بِقَصْدِ الشَّهْوَةِ ، وَإِذَا وَقَعَ مِنْهُمْ يَكُونُ بِنِيَّةٍ تُصَيِّرُهُ قُرْبَةً .

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – :

« فِي وُضُوئِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَرَّةً مَرَّةً ، وَمَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ ، هُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَفْضَلُ فِي حَقِّهِ مِنَ التَّثْلِيثِ ، لِبَيَانِ الْجَوَازِ ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ ؛ فَأَفْعَالُهُمْ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – دَائِرَةٌ بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالْمَنْدُوبِ ؛ وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ ابْنُ السُّبْكِيِّ عَلَى عَدَمِ وُقُوعِ الْمُحَرَّمِ مِنْ نَبِيِّنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ يَجْرِي فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – بِالْعِصْمَةِ ؛ وَعَلَى عَدَمِ وُقُوعِ الْمَكْرُوهِ بِالنُّدْرَةِ ، فَقَالَ : " وَفِعْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – غَيْرُ مُحَرَّمٍ ، لِلْعِصْمَةِ ؛ وَغَيْرُ مَكْرُوهٍ ، لِلنُّدْرَةِ " .

٢٩٠ – وَاللهُ لَا يَـــأْمُرُ بِالْفَحْشَــا فَـــلَا   يَـــأْتُونَ غَيْـــرَ طَاعَـــةٍ كَمَـــا انْجَـــلَا
٢٩١ – وَأَوِّلَـــنْ بِلَائِـــقٍ مُشْـــتَبِهَا   كَمَـــا أَتَـــى فِي يُوسُـــفٍ { هَـــمَّ بِهَـــا }

قَالَ شَارِحُهُ الْعَلَّامَةُ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : " وَفِعْلُهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – غَيْرُ مُحَرَّمٍ ، وَغَيْرُ مَكْرُوهٍ ؛ لِعِصْمَتِهِ ؛ وَغَيْرُ مَكْرُوهٍ، لِنُدْرَةِ وُقُوعِ ذَلِكَ مِنْ آحَادِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَيْفَ مِنْ سَيِّدِ الْمُتَّقِينَ ؟! » . اِهـ .
أَفَادَهُ سَيِّدِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الصَّادِقِ الْعَبَّادِيُّ الطَّرَابُلْسِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى مَنْظُومَةِ سَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ الْأَوْجْلِيِّ .

((**جَلَّ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : عَظُمَ ((**قَدْرُهُمْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الرُّسُلِ . وَصِلَةُ ((**جَلَّ**)) : ((**عَنْ وَصْمَةْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ وَإِهْمَالِ الصَّادِ ؛ **أَيْ** : عَيْبٍ .
((**وَيَسْتَحِيلُ مِنْهُمُ**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ ((**ارْتِكَابُ**)) أَيِّ فِعْلٍ ((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ ((**نَهْيٍ** ، **وَقَوْلَ**)) مَفْعُولُ ((**انْبِذِ**)) .
((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ ((**الضَّلَالَةِ انْبِذِ**)) بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيِ** : اطَّرِحْ .
((**وَلَوْ فَرَضْتَ**)) **أَيْ** : قَدَّرْتَ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**مِنْهُمُو**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ . بِإِشْبَاعِ الْمِيمِ ، لِلْوَزْنِ ، صِلَةُ ((**إِيقَاعَهْ**)) **أَيِ** : الْمَنْهِيِّ عَنْهُ ((**لَانْقَلَبَ الْمَنْهِيُّ**)) عَنْهُ ((**عَيْنَ الطَّاعَةْ**)) . وَعَلَّلَ الْمُلَازَمَةَ بِقَوْلِهِ :
((**لِأَمْرِ رَبِّنَا**)) النَّاسَ ((**بِالِاقْتِدَا**)) بِالْقَصْرِ ، لِلْوَزْنِ ((**بِهِمْ**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَٱتَّبِعُوهُ** ﴾ [الأعراف : ١٥٨] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام : ٩٠] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **فَٱتَّبِعُونِي** ﴾ [آل عمران : ٣١] .
((**فِي**)) شَيْءٍ ((**غَيْرِ مَقْصُورٍ عَلَى جَنَابِهِمْ**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ .

((**وَاللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَا**)) بِالْقَصْرِ ((**فَلَا يَأْتُونَ**)) **أَيِ** : الرُّسُلُ ((**غَيْرَ طَاعَةٍ كَمَا انْجَلَا**)) **أَيِ** : اتَّضَحَ .
وَحَاصِلُ بُرْهَانِ وُجُوبِ الْأَمَانَةِ لَهُمْ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – أَنْ تَقُولَ :
لَوْ خَانُوا بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ، لَانْقَلَبَ الْمُحَرَّمُ أَوِ الْمَكْرُوهُ طَاعَةً فِي حَقِّهِمْ ، لَكِنَّ التَّالِيَ – وَهُوَ انْقِلَابُ الْمُحَرَّمِ أَوِ الْمَكْرُوهِ طَاعَةً مَأْمُورًا بِهَا – بَاطِلٌ، فَالْمُقَدَّمُ – وَهُوَ وُقُوعُ الْخِيَانَةِ مِنْهُمْ —كَذَلِكَ ؛ فَثَبَتَ نَقِيضُهُ ، وَهُوَ عَدَمُ وُقُوعِهَا مِنْهُمْ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .
بَيَانُ الْمُلَازَمَةِ :
أَنَّ اللهَ أَمَرَنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ، وَهُوَ لَا يَأْمُرُ بِمُحَرَّمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ ، وَإِنَّمَا يَأْمُرُ بِالطَّاعَاتِ .
وَبَيَانُ الِاسْتِثْنَائِيَّةِ :
أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ** ﴾ [الأعراف : ٢٨] ، وَلِأَنَّ انْقِلَابَ الْمُحَرَّمِ أَوِ الْمَكْرُوهِ طَاعَةً ، يَلْزَمُ عَلَيْهِ اجْتِمَاعُ النَّقِيضَيْنِ ، **وَهُمَا :**

... ...

---

١ – الْإِذْنُ ، مِنْ جِهَةِ التَّرْغِيبِ فِي اتِّبَاعِ الرَّسُولِ

٢ – وَعَدَمُهُ ، لِمَا فُرِضَ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ أَوْ مَكْرُوهٌ .

((**وَأَوِّلَنْ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الْوَاوِ مُثَقَّلًا ((**بِـ**)) مَعْنًى ((**ـلَائِقٍ**)) **أَيْ** : جَائِزٍ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
وَمَفْعُولُ ((**أَوِّلْ**)) : ((**مُشْتَبِهًا**)) **أَيْ** : خَفِيًّا مُوهِمًا الْمُحَالَ فِي حَقِّهِمْ ، وَارِدًا فِي الْقُرْءَانِ أَوِ الْحَدِيثِ .
((**كَمَا أَتَى**)) فِي الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ((**فِي**)) قِصَّةِ ((**يُوسُفٍ**)) – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى : ((**هَمَّ**)) **أَيْ** : يُوسُفُ ((**بِهَا**)) **أَيِ** : امْرَأَةِ الْعَزِيزِ ، فَيُؤَوَّلُ بِتَقْدِيرِ مُضَافٍ بَيْنَ الْبَاءِ وَالْهَاءِ ، **أَيْ** :

" بِزَجْرِهَا " ؛ أَوْ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَالْأَصْلُ : " لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ، هَمَّ بِهَا ، فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ هَمٌّ بِهَا ، لِرُؤْيَتِهِ بُرْهَانَ رَبِّهِ " .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :
« وَيُوسُفُ هَمَّ ، لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ، فَرُؤْيَةُ الْبُرْهَانِ الْجَلَالِيِّ مَانِعَةٌ مِنَ الْهَمِّ ؛ وَالْمُرَادُ : هَمَّ – بِالتَّشْدِيدِ – فِي التَّخَلُّصِ ، لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ الرَّأْفَةِ ، فَتَخَلَّصَ بِلُطْفٍ بِهَا، لِضَعْفِ الْمَرْأَةِ .
وَلَا يَلِيقُ مَا يُقَالُ : الْهَمُّ بِالْمَعْصِيَةِ لَا يُكْتَبُ » .

اِهـ .

قَالَ الْمُحَقِّقُ ابْنُ كِيرَانَ :

« **الْآيَةُ الثَّانِيَةُ** : قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ يُوسُفَ وَامْرَأَةِ الْعَزِيزِ : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ** ﴾ [يوسف : ٢٤] ؛ وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا ، قَوْلُ الْعَلَّامَةِ ابْنِ زَكْرِي : إِنَّ الْبَاءَ – فِي الْمَوْضِعَيْنِ – سَبَبِيَّةٌ ؛

وَ{ هَمَّ } **بِمَعْنَى** : حَزِنَ .
وَالْمَعْنَى : وَلَقَدْ حَزِنْتَ بِسَبَبِهَا ، وَأَصَابَهَا الْهَمُّ مِنْ أَجْلِهِ حِينَ لَمْ يُطَاوِعْهَا عَلَى مُرَادِهَا ، وَحَزِنَ وَأَصَابَهُ الْهَمُّ

بِسَبَبِهَا ، لِمَا لَهَا عَلَيْهِ مِنَ الْيَدِ وَالسَّطْوَةِ ، فَخَافَ أَنْ تُبَالِغَ فِي نَكَالِهِ ، أَوْ أَنْ تَنْسِبَهُ إِلَى الْعَارِ ، كَخَوْفِ مُوسَى

الْمَذْكُورِ فِي : ﴿ **فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ** ﴾ [الشعراء : ٢١] ، ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ** ﴾ [القصص : ٢١] .

فَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿ **وَهَمَّ بِهَا** ﴾ [يوسف : ٢٤] مَعْطُوفًا عَلَى : ﴿ **هَمَّتْ بِهِۦ** ﴾ [يوسف : ٢٤] كَمَا هُوَ ظَاهِرُ

٢٩٢ – وَكَوْنِ وَالِدِ الْوَرَى قَدْ أَكَلَا ... وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا أَشْكَلَا

٢٩٣ – وَقُلْ إِذَا اسْتَدْلَلْتَ لِلتَّبْلِيغِ ... لَوْ كَتَمُوا لَكَانَ ذَا تَسْوِيغِ

٢٩٤ – فَيَكْتُمُ الْمَرْءُ الْعُلُومَ النَّافِعَةْ ... عَنْ طَالِبٍ لَهَا وَيَغْدُو مَانِعَةْ

٢٩٥ – كَيْفَ وَقَدْ بَاءَ ذَوُو الْكِتْمَانِ ... لِلرُّشْدِ بِاللَّعْنَةِ فِي الْقُرْءَانِ ؟!

اللَّفْظِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[يوسف : ٢٤] : اِبْتِدَاءُ كَلَامٍ ، وَهُوَ شَرْطٌ حُذِفَ جَوَابُهُ ، **أَيْ** :

" لَوْلَا اسْتَحْضَرَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ نَجَاتِهِ وَكَوْنِ الْعَاقِبَةِ لَهُ ، لَلَازَمَهُ الْحُزْنُ ، لَكِنْ تَذَكَّرَ ذَلِكَ، فَسُرِّيَ عَنْهُ " .

وَيُؤَيِّدُ هَذَا : التَّعْبِيرُ فِي جَانِبِهَا بِـ " الْهَمِّ " مَعَ أَنَّ الَّذِي كَانَ عِنْدَهَا التَّصْمِيمُ وَالْعَزْمُ الَّذِي هُوَ أَقْوَى .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ... ﴾ [يوسف : ٣٣] الْآيَةَ ؛ فَهُوَ كَقَوْلِهِ : ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾ [يوسف : ٥٣] تَبَرُّؤٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، وَلَجَا إِلَى اللهِ ، وَرُجُوعٌ إِلَى عِصْمَتِهِ ، وَاعْتِمَادٌ عَلَيْهِ » .

اِهَـ .

((**وَكَوْنِ وَالِدِ الْوَرَى**)) **أَيْ** : آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((**قَدْ أَكَلَا**)) بِأَلِفِ الْإِطْلَاقِ . مِنَ الشَّجَرَةِ بَعْدَ نَهْيِهِ عَنْهُ ، فَيُؤَوَّلُ بِأَنَّهُ : نَسِيَ نَهْيَهُ عَنْهُ ؛ كَمَا أَشَارَ لَهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِقَوْلِهِ : ﴿ فَنَسِىَ ﴾[طه : ١١٥] ؛ وَقَدْ رَفَعَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – التَّكْلِيفَ عَنِ النَّاسِي . أَوْ بِأَنَّهُ : تَأَوَّلَ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« وَمَا أَوْهَمَ الْمَعْصِيَةَ ، لَا يَجُوزُ النُّطْقُ بِهِ – فِي غَيْرِ مَوْرِدِهِ – إِلَّا لِلْبَيَانِ ؛ وَأَصْلُهُ :

" حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ " .

فَآدَمُ تَأَوَّلَ ، أَوْ لَهُ سِرٌّ فِي ذَلِكَ مَعَ سَيِّدِهِ وَإِنْ لَمْ نَعْلَمْهُ ؛ حَتَّى نَقَلَ فِي [الْيَوَاقِيتِ] : عَنْ أَبِي سَعْدِ بْنِ التِّلْمِسَانِيِّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – : لَوْ كُنْتُ بَدَلَ آدَمَ لَأَكَلْتُ الشَّجَرَةَ كُلَّهَا ، وَلَا تَفْهَمْ رِفْعَةَ مَقَامِهِ عَلَى آدَمَ – **أَيْ** : وَإِنَّمَا كَانَ يَغْلِبُهُ الْحَالُ ، لِضَعْفِ ثَبَاتِهِ بِالنِّسْبَةِ لِآدَمَ – ، ثُمَّ هُوَ مَنْ سَبَقَ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فِي سَنَّهِ التَّوْبَةَ وَعَدَمَ الْإِيَاسِ » . اِهَـ .

((**وَ**)) أَوِّلَنْ ((**مَا سِوَى ذَلِكَ**)) الْمَذْكُورِ فِي قِصَّتَيْ آدَمَ وَيُوسُفَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَبَيَّنَ ((**مَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِمَّا أَشْكَلَا**)) **أَيْ** : خَفِيَ ظَاهِرُهُ . وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ . كَقِصَّةِ نُوحٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى ، وَدَاوُدَ ، وَسُلَيْمَانَ ، وَيُونُسَ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ ظَاهِرُهُ غَيْرُ مُرَادٍ قَطْعًا ، وَهُوَ مُؤَوَّلٌ بِمَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ .

وَانْظُرِ [الشِّفَاءَ] ، أَوْ شَرْحَ [صُغْرَى الصُّغْرَى] .

٢٩٦ – وَالْمُصْـــطَفَى الْمُعْجِـــزُ كُــلَّ الْفُصَـــحَا أَدَّى الرِّسَـــــــالَةَ وَكُـــــــلًّا نَصَـــــحَا

٢٩٧ – وَاقْتَضَـــتِ الْآيَـــاتُ فِي الْكِتَـــابِ تَبْلِيغَـــــــهُ وَالنَّفْـــــــيَ لِلْعِتَـــــــابِ

٢٩٨ – فَـــاللهُ يَجْزِيـــهِ أَجَـــلَّ مَـــا بِـــهِ جَـــــازَى نَبِيًّـــا ذَا مَقَـــامٍ نَابِـــهِ

((وَقُلْ)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ . أَيُّهَا النَّاظِرُ فِيهَا ((إِذَا اسْتَدْلَلْتَ)) أَيْ : أَرَدْتَّ الِاسْتِدْلَالَ ((لِـ)) وُجُوب ((ـالتَّبْلِيغِ)) لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَمَفْعُولُ ((قُلْ)) : ((لَوْ كَتَمُوا)) أَي : الرُّسُلُ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ ((لَكَانَ)) كَتْمُهُمْ

((ذَا)) أَيْ : صَاحِبَ ((تَسْوِيغ)) بِإِعْجَامِ الْغَيْنِ ؛ أَيْ : تَجْوِيزٍ لِكَتْمِ النَّاسِ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ ، لَكِنْ كَتْمُهَا لَا يَسُوغُ ، فَكَتْمُهُمْ مُحَالٌ ، فَوَجَبَ تَبْلِيغُهُمْ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وَإِنْ سَاغَ الْكَتْمُ ((فَيَكْتِمُ الْمَرْءُ)) أَي : الْإِنْسَانُ الْمُكَلَّفُ ((الْعُلُومَ)) الشَّرْعِيَّةَ ((النَّافِعَةَ)) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَصِلَةُ ((يَكْتِمُ)) : ((عَنْ)) إِنْسَانٍ ((طَالِبٍ لَهَا)) أَي : الْعُلُومِ النَّافِعَةِ ((وَيَغْدُو)) بِفَتْحِ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ أَيْ : يَصِيرُ الْمَرْءُ ((مَانِعَهْ)) أَيْ : طَالِبَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ ، وَلَا يَأْثَمُ الْمَرْءُ بِمَنْعِهِ ، لِاقْتِدَائِهِ فِيهِ بِالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

((كَيْفَ)) اِسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ مَعْنَاهُ النَّفْيُ ؛ أَيْ : لَا يُقَالُ : إِنَّهُ يَجُوزُ كِتْمَانُ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ ((وَ)) الْحَالُ أَنَّهُ ((قَدْ بَاءَ)) بِمُوَحَّدَةٍ مَمْدُودًا ؛ أَيْ : رَجَعَ ((ذَوُو)) أَيْ : أَصْحَابُ ((الْكِتْمَانِ لِلرُّشْدِ)) بِضَمِّ الرَّاءِ ، وَسُكُونِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ؛

أَي : الْعِلْمِ النَّافِعِ . وَصِلَةُ ((بَاءَ)) : ((بِاللَّعْنَةِ)) أَي : الطَّرْدَةِ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَصِلَةُ ((اللَّعْنَةِ)) :

((فِي الْقُرْءَانِ)) الْعَزِيزِ ، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٩] .

((وَ)) سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ((الْمُصْطَفَى)) بِفَتْحِ الْفَاءِ ؛ أَي : الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَفَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ ((الْمُعْجِزُ)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ ، وَكَسْرِ الْجِيمِ ، فَزَايٍ ؛ أَي : الْمُثْبِتُ عَجْزَ ((كُلَّ الْفُصَحَا)) بِضَمِّ الْفَاءِ ، وَفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَالْحَاءِ كَذَلِكَ ، جَمْعُ " فَصِيحٍ " ؛ أَيْ : ذِي مَلَكَةٍ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى الْكَلَامِ الْفَصِيحِ ، بِالْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ، وَجَوَامِعِ الْكَلِمِ . وَخَبَرُ ((الْمُصْطَفَى)) : ((أَدَّى)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ

مُثَقَّلًا ؛ أَيْ : بَلَّغَ ((الرِّسَالَةَ)) أَي : الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِتَبْلِيغِهَا ((وَكُلًّا)) بِضَمِّ الْكَافِ ، وَشَدِّ اللَّامِ . مِنَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ، مَفْعُولُ ((نَصَحَا))

أَي : الْمُصْطَفَى . وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .

((وَاقْتَضَتِ)) أَيْ : دَلَّتْ وَأَفْهَمَتْ ((الْآيَاتُ)) الَّتِي ((فِي الْكِتَابِ)) أَي : الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ . وَمَفْعُولُ

((اقْتَضَتِ)) : ((تَبْلِيغَهُ)) أَي : الْمُصْطَفَى مَا أَمَرَهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِتَبْلِيغِهِ ((وَ)) اقْتَضَتْ ((النَّفْيَ لِلْعِتَابِ)) أَي : الْمُعَاتَبَةِ عَنِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

... ...

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤ ﴾ [الذاريات : ٥٤] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ [المنافقون : ١] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٩٩ ﴾ [يونس : ٩٩] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم : ٤] .

((**فَاللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**يَجْزِيهِ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى تَأْدِيَتِهِ الرِّسَالَةَ ، وَنُصْحِهِ الْأُمَّةَ بِجَزَاءٍ ((**أَجَلَّ**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : أَعْظَمَ ((**مَا**)) **أَيِ** : الْجَزَاءِ الَّذِي ((**بِهِ**)) **أَيِ** : الْجَزَاءِ ؛ صِلَةُ ((**جَازَى**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**نَبِيًّا ذَا**)) **أَيْ** : صَاحِبَ ((**مَقَامٍ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ؛ **أَيْ** : شَرَفٍ وَفَضْلٍ ((**نَابِهٍ**)) بِنُونٍ ، ثُمَّ مُوَحَّدَةٍ ؛ **أَيْ** : عَالٍ مُرْتَفِعٍ .

وَحَاصِلُ دَلِيلِ التَّبْلِيغِ أَنْ تَقُولَ :

لَوْ وَقَعَ مِنْهُمْ كِتْمَانُ شَيْءٍ مِنْ شَرْعِهِ الَّذِي أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ إِلَى الْعِبَادِ ، لَكَانَ التَّأَسِّي — **أَيْ** : الِاقْتِدَاءُ بِهِمْ — لَازِمًا لَنَا ، فَيَلْزَمُنَا أَيْضًا كِتْمَانُ مَا أُمِرْنَا بِتَبْلِيغِهِ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ ؛ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، اِجْتَمَعَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، وَهُوَ الْإِذْنُ وَعَدَمُ الْإِذْنِ ، وَهُوَ أَيْضًا مُحَالٌ ، كَمَا تَقَدَّمَ دَلِيلُهُ .

وَبَيَانُ ذَلِكَ :

أَنَّهُمْ لَوْ كَتَمُوا ، لَانْقَلَبَ الْكِتْمَانُ طَاعَةً فِيحَقِّهِمْ ، لِأَنَّ اللهَ – تَعَالَى – قَدْ أَمَرَنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ، وَهُوَ جَمْعٌ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ : الْإِذْنِ ، وَعَدَمِ الْإِذْنِ .

فَالْإِذْنُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ... ﴾ [الحشر : ٧] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَعَدَمُ الْإِذْنِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ ﴾ [البقرة : ١٥٩] .

وَمَا أَدَّى إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ فَهُوَ مُحَالٌ ، فَوَجَبَ ثُبُوتُ التَّبْلِيغِ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

فَدَلِيلُ التَّبْلِيغِ يُسَاوِي دَلِيلَ الْأَمَانَةِ فِي التَّقْرِيرِ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ .

اِهَـ مِنْ شَرْحِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْآوُجْلِي عَلَى مَنْظُومَةِ الشَّيْخِ عَلِيٍّ الْمِسَلَّاتِيِّ ، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى .

... ...

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **الصِّدْقُ** : مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ ، لَا لِلِاعْتِقَادِ ، خِلَافًا لِلنَّظَّامِ ؛ وَلَا لَهُمَا ، خِلَافًا لِلْجَاحِظِ وَالرَّاغِبِ .

وَالْكَذِبُ : عَدَمُ مُطَابَقَةِ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ وَقَالَ النَّظَّامُ : " مُخَالَفَتُهُ لِلِاعْتِقَادِ وَلَوْ خَطَأً ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ اعْتِقَادٌ فَوَاسِطَةٌ " . كَمَا فِي [جَمْعِ الْجَوَامِعِ] ، خِلَافًا لِمَا فِي [إِيضَاحِ] الْقَزْوِينِيِّ : أَنَّ النَّظَّامَ يَنْفِي الْوَاسِطَةَ .

وَعِنْدَ الْجَاحِظِ : الْكَذِبُ : مُخَالَفَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ وَالِاعْتِقَادِ ؛ كَمَا أَنَّ الصِّدْقَ : مُطَابَقَتُهُ لَهُمَا ؛ فَإِنْ وَافَقَ أَحَدَهُمَا دُونَ الْآخَرِ ، أَوْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ اعْتِقَادٌ ، فَوَاسِطَةٌ .

وَقَالَ الرَّاغِبُ : الْكَذِبُ الْمُطْلَقُ : مُخَالَفَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ وَالِاعْتِقَادِ ؛ كَمَا أَنَّ الصِّدْقَ التَّامَّ : مُطَابَقَتُهُ لَهُمَا ؛ فَإِنْ طَابَقَ أَحَدَهُمَا وَخَالَفَ الْآخَرَ ، فَصِدْقٌ وَكَذِبٌ بِاعْتِبَارَيْنِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ اعْتِقَادٌ – كَالْمُبَرْسَمِ – فَوَاسِطَةٌ ، لَا يُوصَفُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا » . اهـ .

(**الثَّانِي**) :

الْمُعْجِزَةُ : أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، مَقْرُونٌ بِالتَّحَدِّي الَّذِي هُوَ دَعْوَى الرِّسَالَةِ أَوِ النُّبُوَّةِ ، مَعَ عَدَمِ الْمُعَارَضَةِ .

وَقَدِ اعْتَبَرَ الْمُحَقِّقُونَ فِيهَا سَبْعَةَ قُيُودٍ :

١ – الْأَوَّلُ : أَنْ تَكُونَ قَوْلًا؛ كَالْقُرْءَانِ ، أَوْ فِعْلًا ؛ كَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَوْ تَرْكًا ؛ كَعَدَمِ إِحْرَاقِ النَّارِ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ : الصِّفَةُ الْقَدِيمَةُ ، كَمَا إِذَا قَالَ : آيَةُ صِدْقِي : كَوْنُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مَوْصُوفًا بِصِفَةِ الِاخْتِرَاعِ .

٢ – الثَّانِي : أَنْ تَكُونَ خَارِقَةً لِلْعَادَةِ .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ : غَيْرُ الْخَارِقِ لَهَا؛ كَمَا إِذَا قَالَ : آيَةُ صِدْقِي : طُلُوعُ الشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ ، وَغُرُوبُهَا كَذَلِكَ مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ .

٣ – الثَّالِثُ : أَنْ تَكُونَ عَلَى يَدِ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ أَوِ الرِّسَالَةَ .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ : **الْكَرَامَةُ** ؛ **وَهِيَ** : مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدِ عَبْدٍ ظَاهِرِ الصَّلَاحِ .

وَالْمَعُونَةُ ؛ **وَهِيَ** : مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدِ بَعْضِ الْعَوَامِّ ، تَخْلِيصًا لَهُ مِنْ شِدَّةٍ نَزَلَتْ بِهِ .

وَالِاسْتِدْرَاجُ ؛ **وَهُوَ** : مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدِ فَاسِقٍ خَدِيعَةً وَمَكْرًا بِهِ .

وَالْإِهَانَةُ : **وَهِيَ**: مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدِهِ تَكْذِيبًا لَهُ ، كَمَا وَقَعَ لِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : " إِنَّ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى عَيْنِ الْأَعْمَى فَيُبْصِرَ ؛ فَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَافْعَلْ مِثْلَهُ .

فَقَالَ : اِئْتُونِي بِأَعْمَى ؛ فَوُجِدَ هُنَاكَ أَعْوَرُ ؛ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عَيْنِ الْأَعْوَرِ ، فَعَمِيَتِ الصَّحِيحَةُ " .

وَرُوِيَ أَنَّهُ : " دَعَا لِأَعْوَرَ أَنْ تَصِيرَ عَيْنُهُ الْعَوْرَاءُ صَحِيحَةً ؛ فَصَارَتِ الصَّحِيحَةُ عَوْرَاءَ " .

وَرُوِيَ أَنَّهُ : " تَفَلَ فِي عَيْنِ أَعْوَرَ لِتَبْرَأَ ، فَعَمِيَتِ الصَّحِيحَةُ " .

وَرُوِيَ أَنَّهُ : " تَفَلَ فِي بِئْرٍ لِيَكْثُرَ مَاؤُهَا ، فَغَاضَتْ ؛ وَتَفَلَ فِي أُخْرَى لِيَعْذُبَ مَاؤُهَا ، فَصَارَتْ مِلْحًا أُجَاجًا " .

... ...

---

٤ – الرَّابِعُ : أَنْ تَكُونَ مَقْرُونَةً بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ أَوِ الرِّسَالَةِ حَقِيقَةً ، أَوْ حُكْمًا بِأَنْ تَأَخَّرَتْ بِزَمَنٍ يَسِيرٍ .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ : **الْإِرْهَاصُ** ؛ **وَهُوَ** : مَا كَانَ سَابِقًا عَلَى النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ، تَأْسِيسًا لَهُمَا ؛ كَإِظْلَالِ الْغَمَامِ لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَبْلَ بِعْثَتِهِ .

٥ – الْخَامِسُ : أَنْ تَكُونَ مُوَافِقَةً لِلدَّعْوَى .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ : الْمُخَالِفُ لَهَا ؛ كَمَا إِذَا قَالَ : " آيَةُ صِدْقِي : اِنْفِلَاقُ الْبَحْرِ " . فَانْفَلَقَ الْجَبَلُ .

٦ – السَّادِسُ : أَنْ لَا تَكُونَ مُكَذِّبَةً لَهُ .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ : مَا إِذَا كَانَتْ مُكَذِّبَةً لَهُ ؛ كَمَا إِذَا قَالَ : " آيَةُ صِدْقِي : نُطْقُ هَذَا الْجَمَادِ " . فَنَطَقَ بِأَنَّهُ كَذَّابٌ ؛ بِخِلَافِ مَا إِذَا قَالَ: " آيَةُ صِدْقِي: نُطْقُ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمَيِّتِ وَإِحْيَاؤُهُ ". فَأَحْيَاهُ اللهُ تَعَالَى وَنَطَقَ بِأَنَّهُ كَذَّابٌ ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ اخْتِيَارٌ ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَخْتَارُ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، فَلِذَا لَمْ يُعْتَبَرْ تَكْذِيبُهُ ، بِخِلَافِ الْجَمَادِ ، فَإِنَّهُ لَا اخْتِيَارَ لَهُ ، فَلِذَا اعْتُبِرَ تَكْذِيبُهُ .

٧ – السَّابِعُ : أَنْ تَكُونَ مُعَارَضَتُهُ مُتَعَذِّرَةً .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ شَيْئَانِ :

١ – السِّحْرُ

٢ – الشَّعْوَذَةُ .

فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يُمْكِنُ مُعَارَضَتُهُ وَالْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ .

وَجَعْلُ السِّحْرِ خَارِجًا بِهَذَا الْقَيْدِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّهُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ؛ وَهُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَرَفَةَ ، وَالسَّعْدُ فِي [الْمَقَاصِدِ] ، خِلَافًا لِلْقَرَافِيِّ فِي قَوْلِهِ : " بِأَنَّهُ مُعْتَادٌ ، وَغَرَابَتُهُ لِلْجَهْلِ بِأَسْبَابِهِ ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَتَعَاطَاهُ أَجَابَ مَعَهُ ". وَمَشَى عَلَيْهِ فِي [الْكُبْرَى] حَيْثُ قَالَ : « وَمِنَ الْمُعْتَادِ : السِّحْرُ وَنَحْوُهُ » . وَعَلَيْهِ ، فَهُوَ خَارِجٌ بِقَوْلِهِ : " خَارِقٌ ".

وَالشَّعْوَذَةُ : خِفَّةٌ فِي الْيَدِ تُرِي الشَّيْءَ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ؛ كَأَنْ يَتَرَآى مِنْ صَاحِبِهَا أَنَّهُ يَقْطَعُ عُضْوًا ، أَوْ يَحْرِقُ ثَوْبًا مَثَلًا ثُمَّ يُعِيدُهُ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ .

وَيُقَالُ فِيهَا " **شَعْبَذَةٌ** " بِالْبَاءِ أَيْضًا ؛ وَيُقَالُ لِمُتَعَاطِيهَا – كَالْحُوَاةِ – : " أَبُو مُسَلِّي " ، لِأَنَّهُ يُسَلِّي النَّاسَ عَنْ أَشْغَالِهِمْ .

٨ – وَزَادَ بَعْضُهُمْ ثَامِنًا : **وَهُوَ** : أَنْ لَا تَكُونَ فِي زَمَنِ نَقْضِ الْعَادَةِ ؛ كَزَمَنِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا .

وَخَرَجَ بِذَلِكَ : مَا يَقَعُ مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ مِنْ أَمْرِهِ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ فَتُمْطِرُ ، وَالْأَرْضَ بِالْإِنْبَاتِ فَتُنْبِتُ .

(**الثَّالِثُ**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَقَدْ ضَرَبَ الْعُلَمَاءُ لِدَلَالَةِ الْمُعْجِزَةِ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ مِثَالًا تَتَبَيَّنُ بِهِ ، فَقَالُوا :

مِثَالُ ذَلِكَ :

أَنْ يَقُومَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ مَلِكٍ جَمَعَ فِيهِ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ – وَهُمْ بِمَرْأًى مِنَ الْمَلِكِ وَمَسْمَعٍ – فَيَقُولُ : إِنَّ الْمَلِكَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ بِكَذَا وَكَذَا ، وَهَا هُوَ ذَا عَالِمٌ بِمَقَالَتِي لَكُمْ ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِي إِنْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ ؛ وَآيَةُ صِدْقِي فِيمَا ادَّعَيْتُ عَلَيْهِ أَنْ أَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُصَدِّقَنِي بِأَنْ يَفْعَلَ كَذَا – وَلَمْ تَجْرِ عَادَتُهُ بِهِ – يَخُصُّنِي بِهِ عَمَّنْ يُرِيدُ مُعَارَضَتِي وَتَكْذِيبِي؛ ثُمَّ يَطْلُبُ مِنَ الْمَلِكِ الْفِعْلَ ؛ فَيَفْعَلُهُ لَهُ كَمَا طَلَبَ ، وَلَا يُجِيبُ مُعَارِضَهُ إِلَى مِثْلِهِ ؛ فَيُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ صَدَّقَهُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ مِنَ الْمَلِكِ نَازِلٌ مُنَزَّلَةَ صَرِيحِ قَوْلِهِ لَهُمْ : قَدْ صَدَقَ فِيمَا ادَّعَى مِنْ بَعْثِي إِيَّاهُ إِلَيْكُمْ ، وَفِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِّي » . اهـ .

(الرَّابِعُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَهَذِهِ الثَّلَاثُ الْوَاجِبَاتُ ، كُلٌّ مِنْهَا اخْتَصَّ بِإِفَادَةِ مَا لَمْ يُفِدْهُ الْآخَرُ ، **أَيْ** : فَلَا يُسْتَغْنَى عَنْ وَاحِدٍ مِنْهَا بِغَيْرِهِ ؛ فَإِنَّ امْتِنَاعَ الْكَذِبِ سَهْوًا لَا يُسْتَفَادُ إِلَّا مِنْ وُجُوبِ الصِّدْقِ ، دُونَ الْأَمَانَةِ وَالتَّبْلِيغِ ؛ وَامْتِنَاعُ غَيْرِ الْكَذِبِ مِنَ الْمُحَرَّمِ وَالْمَكْرُوهِ —كَالْحَسَدِ وَصَيْدِ اللَّهْوِ – لَا يُسْتَفَادُ إِلَّا مِنْ وُجُوبِ الْأَمَانَةِ ، دُونَ الصِّدْقِ وَالتَّبْلِيغِ ؛ وَامْتِنَاعُ الْكِتْمَانِ سَهْوًا فِيمَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لَا يُسْتَفَادُ إِلَّا مِنْ وُجُوبِ التَّبْلِيغِ ، دُونَ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ .

وَيُشْتَرَطُ الثَّلَاثَةُ فِي مَنْعِ تَبْدِيلِ شَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ عَمْدًا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ** ﴾ [يونس : ١٥] ، لِأَنَّهُ كَذِبٌ عَلَى اللهِ ، وَمَعْصِيَةٌ ، وَكِتْمَانٌ لِلْمُبَدَّلِ .

وَيَشْتَرِكُ الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ فِي مَنْعِ الزِّيَادَةِ عَمْدًا عَلَى الْمَأْمُورِ بِتَبْلِيغِهِ ، لِأَنَّهُ كَذِبٌ وَمَعْصِيَةٌ ، لَا كِتْمَانٌ .

وَيَشْتَرِكُ الصِّدْقُ وَالتَّبْلِيغُ فِي مَنْعِ التَّبْدِيلِ سَهْوًا ، لِأَنَّهُ كَذِبٌ وَكِتْمَانٌ .

وَيَشْتَرِكُ الْأَمَانَةُ وَالتَّبْلِيغُ فِي مَنْعِ كَتْمِ شَيْءٍ مِنَ الْمَأْمُورِ بِتَبْلِيغِهِ عَمْدًا ، لِأَنَّهُ مَعْصِيَةٌ وَكِتْمَانٌ » . اهـ .

(الْخَامِسُ) :

يَجِبُ أَيْضًا لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ — الْفَطَانَةُ ، **أَيْ** : التَّفَطُّنُ وَالتَّيَقُّظُ ، لِإِلْزَامِ الْخُصُومِ وَإِبْطَالِ دَعَاوِيهِمُ الْبَاطِلَةِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ** ﴾ [الأنعام : ٨٣] ، وَالْإِشَارَةُ عَائِدَةٌ إِلَى مَا احْتَجَّ بِهِ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَى قَوْمِهِ ، مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ** … ﴾ [الأنعام : ٧٦] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ … **وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْمِ نُوحٍ : ﴿ **يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا** ﴾ [هود : ٣٢] **أَيْ** : خَاصَمْتَنَا فَأَطَلْتَ جِدَالَنَا ؛ أَوْ : أَتَيْتَ بِأَنْوَاعِهِ ؛ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل : ١٢٥]

أَيْ : بِالطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، بِحَيْثُ تَشْتَمِلُ عَلَى نَوْعِ إِرْفَاقٍ بِهِمْ .

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فَطِنًا – بِأَنْ كَانَ مُغَفَّلًا – لَا تُمْكِنُهُ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ وَلَا الْمُجَادَلَةُ .

[فَصْلٌ فِي مَا يَجُوزُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ]

٢٩٩ – وَغَيْــــرُ قَــــادِحٍ مِــــنَ الْأَعْــــرَاضِ   فِي حَقِّهِــــــمْ يَجُــــــوزُ كَـــــالْأَمْرَاضِ
٣٠٠ – لِلْأَجْــــرِ وَالتَّشْــــرِيعِ وَالتَّخَلِّــــي   عَــــنْ زَهْــــرَةِ الــــدُّنْيَا أَوِ التَّسَــــلِّي

فَجُمْلَةُ الْوَاجِبَاتِ فِي حَقِّهِمْ أَرْبَعَةٌ :

١ – الصِّدْقُ ٢ – وَالْأَمَانَةُ ٣ – وَالتَّبْلِيغُ ٤ – وَالْفَطَانَةُ .

وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِمْ أَضْدَادُهَا ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَيْضًا :

١ – فَضِدُّ الصِّدْقِ الْكَذِبُ

٢ – وَضِدُّ الْأَمَانَةِ الْخِيَانَةُ

٣ – وَضِدُّ التَّبْلِيغِ الْكِتْمَانُ

٤ – وَضِدُّ الْفَطَانَةِ الْغَفْلَةُ وَعَدَمُ الْفِطْنَةِ .

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[مَا يَجُوزُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ]** عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

((وَ)) وَصْفٌ ((**غَيْرُ قَادِحٍ**)) بِقَافٍ ؛ **أَيْ** : مُنْقِصٍ ((**مِنَ الْأَعْرَاضِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَإِهْمَالِ الْعَيْنِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ، وَ" أَلْ " فِيهَا لِلْعَهْدِ ؛ **أَيِ** : الْأَعْرَاضِ الْمَعْهُودَةِ لِلْبَشَرِ ؛ جَمْعُ " عَرَضٍ " ، بَيَانُ ((**غَيْرُ**)) .

وَاحْتَرَزْنَا بِـ " الْأَعْرَاضِ " عَنْ صِفَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ ، فَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّ الْحَادِثَ لَا يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْقَدِيمِ ، خِلَافًا لِلنَّصَارَى – لَعَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى – فِي قَوْلِهِمْ بِاتِّحَادِ جُزْءِ الْإِلَهِ – وَهُوَ الْعِلْمُ – بِجَسَدِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، **وَيُعَبِّرُونَ عَنْهُ بِقَوْلِهِمْ :**

" اِتَّحَدَ اللَّاهُوتُ – **أَيْ** : بَعْضُ الْإِلَهِ – بِالنَّاسُوتِ " . **أَيْ** : جَسَدِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَاحْتَرَزْنَا بِـ : " الْمَعْهُودَةِ لِلْبَشَرِ " عَنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ ، فَإِنَّهَا لَا تَجُوزُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا ، كَعَدَمِ الذُّكُورَةِ وَالْأُنُوثَةِ ، وَعَدَمِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنِّكَاحِ ؛ خِلَافًا لِجَهَلَةِ الْعَرَبِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ الرَّسُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِصِفَةِ الْمَلَائِكَةِ ، فَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَى تَكْذِيبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَيْثُ قَالُوا : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧] ، فَرَدَّ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠] .

وَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ : ((**وَغَيْرُ قَادِحٍ**)) مِمَّا يَقْدَحُ ، كَالْعَمَى ، وَالْجُذَامِ ، وَالْبَرَصِ ، وَالْجُنُونِ ، ... وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنَفِّرَاتِ ؛ وَكَالْأَكْلِ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَالْحِجَامَةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْحِرَفِ الدَّنِيئَةِ ، وَالِاحْتِلَامِ الصَّادِرِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَأَمَّا خُرُوجُ الْمَنِيِّ مِنَ امْتِلَاءِ الْأَوْعِيَةِ فَجَائِزٌ عَلَيْهِمْ .

وَصِلَةُ ((**قَادِحٍ**)) : ((**فِي حَقِّهِمْ**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ . وَخَبَرُ ((**غَيْرُ**)) : ((**يَجُوزُ**)) غَيْرُ الْقَادِحِ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ

٣٠١ - إِذْ خِيرَةُ الْعِبَادِ عَنْهَا أَعْرَضُوا وَرَبَّهُمْ قَرْضًا جَمِيلًا أَقْرَضُوا

٣٠٢ - وَاللهُ لَمْ يُرِدْ لِأَنْبِيَائِهِ بِهَا جَزَاءً وَلِأَوْلِيَائِهِ

٣٠٣ - فَيَحْصُلِ الزُّهْدُ مِنَ الْأَنَامِ فِي عَيْشِهَا الذَّاهِبِ كَالْمَنَامِ

٣٠٤ - فَكُلُّ مَنْ أُمِدَّ بِالتَّوْفِيقِ مِمَّنْ رَأَى بِأَعْيُنِ التَّحْقِيقِ

٣٠٥ - يَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهَا خَسِيسَةْ وَيَحْذَرُ التَّمْوِيهَ وَالدَّسِيسَةْ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وَذَلِكَ الَّذِي لَا يَقْدَحُ فِي حَقِّهِمْ : ((**كَالْأَمْرَاضِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " مَرَضٍ " ، وَيُمْرِضُهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

((**لِلْأَجْرِ**)) **أَيْ** : عَلَيْهِ ((**وَ**)) بِمَعْنَى أَوْ ((**التَّشْرِيعِ**)) **أَيْ** : تَبْيِينِ الشَّرَائِعِ لِأُمَمِهِمْ فِي الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَنَحْوِهَا ((**وَ**)) بِمَعْنَى أَوْ ((**التَّخَلِّي**)) بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيِ** : التَّنَزُّهِ وَالتَّبَاعُدِ

((**عَنْ زَهْرَةِ**)) **أَيْ** : زِينَةِ ((**الدُّنْيَا أَوِ التَّسَلِّي**)) بِفَتْحِ التَّاءِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ مُثَقَّلَةً ؛ **أَيِ** : التَّصَبُّرِ عَلَى مَشَاقِّ الدُّنْيَا ، وَالتَّأَسِّي فِي تَحَمُّلِهَا بِهِمْ .

((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**خِيرَةُ**)) بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : أَفْضَلُ ((**الْعِبَادِ**)) بِكَسْرِ الْعَيْنِ ، وَخِفَّةِ الْمُوَحَّدَةِ ((**عَنْهَا**)) **أَيْ** : زَهْرَةِ الدُّنْيَا ؛ صِلَةُ ((**أَعْرَضُوا**)) وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ ((**خِيرَةُ**)) .

((**وَرَبَّهُمْ**)) مَنْصُوبٌ عَلَى التَّعْظِيمِ بِـ ((**أَقْرَضُوا**)) . ((**قَرْضًا جَمِيلًا**)) مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ مُبَيِّنٌ نَوْعَ ((**أَقْرَضُوا**))

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

((**وَاللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَمْ يُرِدْ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ((**لِأَنْبِيَائِهِ**)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بِهَا**)) **أَيْ** : فِي الدُّنْيَا ؛ صِلَةُ ((**جَزَاءً وَ**)) لَا ((**لِأَوْلِيَائِهِ**)) **أَيِ** : الْمُؤْمِنِينَ ((**فَـ**)) **إِذَا** حَصَلَتِ الْأَمْرَاضُ وَالْمَصَائِبُ وَالْمَشَاقُّ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((**يَحْصُلِ الزُّهْدُ**)) **أَيْ** : عَدَمُ الرَّغْبَةِ . وَصِلَةُ ((**يَحْصُلِ**)) : ((**مِنَ الْأَنَامِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالنُّونِ ؛ **أَيِ** : النَّاسِ .

وَصِلَةُ ((**الزُّهْدُ**)) : ((**فِي عَيْشِهَا**)) **أَيْ** : مَا يُعَاشُ بِهِ فِي الدُّنْيَا ((**الذَّاهِبِ**)) **أَيِ** : الْفَانِي الْمُنْقَضِي

((**كَالْمَنَامِ**)) **أَيِ** : الْمَرْئِيِّ فِي النَّوْمِ ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾ [النحل : ٩٦] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٢٦] .

((**فَكُلُّ**)) بِضَمِّ الْكَافِ ، وَشَدِّ اللَّامِ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْإِنْسَانُ الَّذِي ((**أُمِدَّ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : أَنْعَمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَلَيْهِ ((**بِالتَّوْفِيقِ**)) **أَيْ** : خَلْقِ قُدْرَةِ الطَّاعَةِ .

٣٠٦ - وَلَمْ يَفُــزْ مِنْهَــا سِــوَى مَــنِ ادَّخَــرْ   أَعْمَــــالَ طَاعَــــةٍ بِهَــــا قَــــدِ افْتَخَــــرْ

٣٠٧ - وَهْـــيَ خَـــرَابٌ مَـــا بِهَـــا إِقَامَـــةْ   وَاللهَ نَرْجُـــــو حُسْـــــنَ الاِسْـــــتِقَامَةْ

وَبَيَّنَ ((مَنْ أُمِدَّ بِالتَّوْفِيقِ)) بِقَوْلِهِ : ((مِمَّنْ رَأَى بِأَعْيُنِ)) بِضَمِّ الْيَاءِ، جَمْعُ " عَيْنٍ " ؛ ((التَّحْقِيقِ)) **أَيْ** : إِدْرَاكِ الشَّيْءِ عَلَى الْوَجْهِ الْحَقِّ ، الْوَاقِعِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ .

وَخَبَرُ ((كُلُّ)) : ((يَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهَا)) **أَيِ** : الدُّنْيَا ((خَسِيسَةٌ)) **أَيْ** : حَقِيرَةٌ ، فَلِذَا لَمْ يَرْضَهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - دَارَ جَزَاءٍ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى الْكَافِرَ مِنْهَا جَرْعَةَ مَاءٍ » .

((وَيَحْذَرُ)) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : يَخَافُ مَنْ أُمِدَّ بِالتَّوْفِيقِ ((التَّمْوِيهَ)) بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَسُكُونِ الْمِيمِ ؛ **أَيِ** : التَّزْيِينَ الظَّاهِرِيَّ ((وَالدَّسِيسَةْ)) **أَيِ** : الْمَضَرَّةَ الْمَدْسُوسَةَ .

((وَلَمْ يَفُزْ)) **أَيْ** : يَنْجُ ((مِنْـ)) شَرِّ ((ـهَا)) **أَيِ** : الدُّنْيَا ((سِوَى)) بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ مَقْصُورًا ؛ **أَيْ** : غَيْرُ ((مَنِ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((ادَّخَرْ)) بِدَرْجِ الْهَمْزَةِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ مُثَقَّلًا ، وَإِعْجَامِ الْخَاءِ ؛ **أَيْ** : اقْتَنَى ((أَعْمَالَ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " عَمَلٍ " ((طَاعَةٍ)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((بِهَا)) **أَيِ** : الطَّاعَاتِ ؛ صِلَةُ ((افْتَخَرْ)) . ((قَدِ افْتَخَرْ)) بِجَزَائِهَا فِي الْآخِرَةِ .

((وَهْيَ)) **أَيِ** : الدُّنْيَا ((خَرَابٌ)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، آخِرُهُ بَاءٌ ؛ **أَيْ** : فَانِيَةٌ ((مَا)) نَافِيَةٌ ((بِهَا)) **أَيْ** : فِي الدُّنْيَا؛ صِلَةُ ((إِقَامَةْ)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : سُكْنَى دَائِمَةٌ ((وَاللهَ)) مَنْصُوبٌ عَلَى التَّعْظِيمِ ، وَقُدِّمَ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ ؛ **أَيْ** : ((نَرْجُو)) اللهَ لَا غَيْرَهُ ((حُسْنَ الاِسْتِقَامَةْ)) **أَيِ** : التَّوْفِيقِ .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي عَدَدِ الرُّسُلِ]

٣٠٨ – وَعِــدَّةُ الرُّسْــلِ الْكِــرَامِ الْكُمَّــلِ ... فِي اسْــمِ (مُحَمَّــدٍ) بَــدَتْ بِالْجُمَّــلِ
٣٠٩ – مِــيمٌ وَحَــاءٌ ثُمَّ مِــيمٌ كُــرِّرَتْ ... وَبَعْــدَهَا دَالٌ كَمَــا قَــدْ قُــرِّرَتْ
٣١٠ – وَكُلُّهُــمْ مِــنْ رَبِّــهِ مُؤَيَّــدُ ... بِمُعْجِــزَاتٍ لَا تَنَالُهَــا الْيَــدُ
٣١١ – قَــدْ قَارَنَــتْ دَعْــوَاهُمُ الرِّسَــالَةْ ... مَــعَ التَّحَــدِّي لَفْظًــا اَوْ بِالْحَالَــةْ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[عَدَدِ الرُّسُلِ]** عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

((**وَعِدَّةُ**)) بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَشَدِّ الدَّالِ الْمُهْمَلَيْنِ ؛ **أَيْ** : عَدَدُ ((**الرُّسْلِ**)) بِسُكُونِ السِّينِ لِلْوَزْنِ ((**الْكِرَامِ**)) **أَيْ** : أَصْحَابِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْكُمَّلِ**)) بِضَمٍّ الْكَافِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيِ** : الَّذِينَ كَمَّلَهُمُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ((**فِي اسْمِ**)) صِلَةُ ((**بَدَتْ**)) .
وَبَيَّنَ الِاسْمَ بِـ ((**مُحَمَّدٍ بَدَتْ**)) **أَيْ** : ظَهَرَتْ ((**بِـ**)) **حِسَابِ** ((**ـالْجُمَّلِ**)) بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ مُثَقَّلًا .
وَبَيَّنَ وَجْهَ بُدُوِّ عِدَّتِهِمْ فِي ((**مُحَمَّدٍ**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِيمٌ**)) اِسْمُ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ مِنْهُ ، وَحِسَابُهُ بِالْجُمَّلِ : تِسْعُونَ .
((**وَحَاءٌ**)) اِسْمُ الْحَرْفِ الثَّانِي مِنْهُ مَمْدُودًا ، وَحِسَابُهُ بِهِ : عَشَرَةٌ ؛ أَوْ مَقْصُورًا ، وَهُوَ بِهِ : تِسْعَةٌ .
((**ثُمّ مِيمٌ كُرِّرَتْ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ بِالتَّضْعِيفِ ؛ اِسْمُ الْحَرْفِ الثَّالِثِ ، وَحِسَابُهُمَا بِهِ : مِائَةٌ وَثَمَانُونَ .
((**وَبَعْدَهَا**)) **أَيِ** : الْمِيمِ الْمُكَرَّرَةِ ((**دَالٌ**)) اِسْمُ الْحَرْفِ الرَّابِعِ مِنْهُ ، وَحِسَابُهُ بِهِ : خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ .
وَجُمْلَةُ ذَلِكَ : ثَلَاثُمِائَةٌ وَخَمْسَةٌ ، أَوْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ . وَذَلِكَ عَدَدُ الرُّسُلِ عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَتَيْنِ .
وَأَوَّلُهُمْ : أَبُونَا آدَمُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ **وَآخِرُهُمْ** : سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
وَعِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ : مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا .
وَالرُّسُلُ الْمَذْكُورُونَ مِنْهُمْ ((**كَمَا**)) **أَيْ** : مِثْلِ الْوَجْهِ الَّذِي ((**قَدْ**)) حَرْفُ تَحْقِيقٍ ((**قُرِّرَتْ**)) بِضَمِّ الْقَافِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ الْأُولَى مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : عِدَّةُ الرُّسُلِ الَّتِي بَدَتْ فِي لَفْظِ ((**مُحَمَّدٍ**)) فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ .
((**وَكُلُّهُمْ**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((**مِنْ رَبِّهِ**)) **أَيِ** : اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي أَرْسَلَهُ ؛ صِلَةُ ((**مُؤَيَّدُ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمُثَنَّاةِ تَحْتُ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : مُقَوًّى ((**بِمُعْجِزَاتٍ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ، مُقَارِنَةٌ لِدَعْوَى الرِّسَالَةِ ، مَطْلُوبًا مُعَارَضَتُهَا ((**لَا تَنَالُهَا**)) **أَيْ** : لَا تُدْرِكُهَا وَتَعْجَزُ عَنْهَا
((**الْيَدُ**)) **أَيِ** : الْقُدْرَةُ الْحَادِثَةُ .
((**قَدْ**)) حَرْفُ تَحْقِيقٍ ((**قَارَنَتْ**)) الْمُعْجِزَاتُ ((**دَعْوَاهُمُ**)) **أَيِ** : الرُّسُلِ ((**الرِّسَالَةْ**)) **أَيِ** : الْإِرْسَالَ لَهُمْ مِنَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِأُمَمِهِمْ ((**مَعَ التَّحَدِّي**)) بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَكَسْرِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ مُثَقَّلَةً ؛ **أَيْ** : طَلَبِ الْمُعَارَضَةِ ((**لَفْظًا**)) **أَيْ** : بِالْقَوْلِ ، بِأَنْ يَقُولَ : " هَذِهِ مُعْجِزَتِي، فَأْتُوا بِمِثْلِهَا " . قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٣] .
((**اَوْ بِالْحَالَةْ**)) الْحَاصِلَةِ لِلرَّسُولِ ، بِأَنْ يَقُولَ : " مُعْجِزَتِي كَذَا " . وَتَدُلُّ حَالُهُ عَلَى طَلَبِ مُعَارَضَتِهَا .
وَقَدْ اشْتَمَلَ كَلَامُ الْمُصَنِّفِ عَلَى تَعْرِيفِ الْمُعْجِزَةِ .

٣١٢ – وَمُعْجِـــزَاتُ الْمُصْـــطَفَى الْكَثِـــيرَةْ	دَلَّـــــتْ عَلَـــــى رُتْبَتِـــــهِ الْأَثِـــــيرَةْ
٣١٣ – لِأَنَّ مُعْجِـــزَاتِ غَـــيْرِهِ انْقَضَـــتْ	بِعَصْـــرِهِمْ كَمَـــا مَشِـــيئَةٌ قَضَـــتْ
٣١٤ – وَبَعْـــضُ مُعْجِـــزَاتِ طَـــهَ بَـــاقِ	لِأَنَّـــــهُ الْحَـــــائِزُ لِلسِّـــــبَاقِ
٣١٥ – فَكَـــمْ وَكَـــمْ آيٍ بِهَـــا تَحَـــدَّى	إِحْصَـــاؤُهَا بِالْعَـــدِّ فَـــاقَ الْحَـــدَّا

((**وَمُعْجِزَاتُ الْمُصْطَفَى**)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**الْكَثِيرَةْ**)) الَّتِي لَا تَنْحَصِرُ فِي عَدَدٍ عَلَى الصَّحِيحِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ ، فَإِنَّ إِحْدَاهَا – وَهُوَ الْقُرْءَانُ الْعَزِيزُ – لَا تُحْصَى الْمُعْجِزَاتُ الَّتِي اشْتَمَلَ هُوَ عَلَيْهَا ، فَكَيْفَ يُحْصَى جَمِيعُهَا ؟! .

((**دَلَّتْ عَلَى رُتْبَتِهِ الْأَثِيرَةْ**)) **أَي** : الَّتِي اسْتَأْثَرَ بِهَا ، وَاخْتُصَّ بِهَا عَنْ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

((**لِأَنَّ مُعْجِزَاتِ غَيْرِهِ**)) **أَي** : الْمُصْطَفَى مِنَ الْمُرْسَلِينَ ((**انْقَضَتْ بِـ**)) **انْقِضَاءِ** ((**عَصْرِهِمْ**)) **أَيْ** : زَمَنِهِمْ ((**كَمَا**)) **أَيْ** : الِانْقِضَاءِ الَّذِي ((**مَشِيئَةٌ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ، وَكَسْرِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : إِرَادَةٌ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**قَضَتْ**))

أَيْ : حَكَمَتْ وَخَصَّصَتْ ، ((**وَبَعْضُ مُعْجِزَاتِ طَهَ**)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**بَاقِ**)) بَعْدَ انْقِضَاءِ عَصْرِهِ، مُسْتَمِرٌّ عَلَى مَمَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مُشَاهَدٌ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ((**لِأَنَّهُ**)) **أَيْ** : طَهَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

((**الْحَائِزُ**)) بِإِهْمَالِ الْحَاءِ ، وَإِعْجَامِ الزَّايِ ؛ **أَي** : الْآخِذُ ((**لِلسِّبَاقِ**)) بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَالْمُوَحَّدَةِ ، ثُمَّ قَافٍ ؛ **أَي** : الْمُتَسَابَقِ إِلَيْهِ ، الَّذِي مَنْ حَازَهُ قَبْلَ غَيْرِهِ عُدَّ سَابِقًا .

((**فَكَمْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : كَثِيرٌ ((**وَكَمْ**)) **أَيْ** : كَثِيرٌ مِنْ ((**آيٍ**)) بِمَدِّ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " آيَةٍ " ((**بِهَا**)) **أَي** : الْآيِ ؛ صِلَةُ ((**تَحَدَّى**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَي** : اسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِي دَعْوَاهُ الرِّسَالَةَ ، وَطَلَبَ مُعَارَضَتَهَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى مُعَارَضَتِهَا .

((**إِحْصَاؤُهَا**)) **أَي** : الْآيِ الَّتِي تَحَدَّى بِهَا ((**بِالْعَدِّ**)) صِلَةُ ((**فَاقَ**)) **أَيْ** : جَاوَزَ ((**الْحَدَّا**)) .

وَقَدْ أَلَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي مُعْجِزَاتِهِ وَخَصَائِصِهِ تَآلِيفَ ، فَلَمْ يَبْلُغُوا فِيهَا ، وَلَمْ يَنْتَهُوا إِلَى الْغَايَةِ ، وَلَمْ يُحْصِهَا إِلَّا اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي أَيَّدَهُ وَأَكْرَمَهُ وَخَصَّهُ بِهَا .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْءَانِ]

٣١٦ – وَحَسْبُكَ الْقُرْءَانُ ذُو الْآيَاتِ وَحِفْظُهُ لِآخِرِ الْغَايَاتِ
٣١٧ – فَهْوَ لِوَعْدِ الْحَقِّ ذُو إِنْجَازِ وَفِيهِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْإِعْجَازِ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ [إِعْجَازِ الْقُرْءَانِ] مَنْ يُرِيدُ مُعَارَضَتَهُ

((وَحَسْبُكَ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيْ : يَكْفِيكَ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] فِي إِيمَانِكَ بِأَنَّ مُعْجِزَاتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَا يُحْصِيهَا الْخَلْقُ ((الْقُرْءَانُ)) الْعَزِيزُ ((ذُو)) أَيْ : صَاحِبُ ((الْآيَاتِ)) أَي : الْمُعْجِزَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّذِي مَلَأَ الْأَرْضَ ، وَهُوَ وَحْيُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي نَزَّلَهُ عَلَى عَبْدِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِلْإِعْجَازِ بِسُورَةٍ مِنْهُ ، فَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَالْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا الْمُتَأَخِّرِ عَنْ هِجْرَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَخَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، يَقْرَعُ أَسْمَاعَ الْخَلْقِ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ ، إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ ، فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، سَهْلِهَا وَحَزْنِهَا ، حَضَرِهَا وَبَدْوِهَا .

وَتَطَاوُلُ زَمَانِ ذَلِكَ – مَعَ كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْحُسَّادِ وَأَهْلِ التَّمْوِيهِ وَالْعِنَادِ، وَكَثْرَةِ أَهْلِ الطَّعْنِ فِي الدِّينِ وَالْإِلْحَادِ ، وَأَصْحَابِ الْخَوَارِقِ وَالْخَوَاصِّ ، وَأَهْلِ الشَّعْوَذَةِ وَالْعَزَائِمِ وَالِاسْتِخْدَامَاتِ – فَلَا يَشُكُّ عَاقِلٌ فِي أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، صَدَّقَ بِهِ رَسُولَهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِوَجْهٍ مِنَ الْحِيَلِ ، مِنَ السِّحْرِ ، وَالِاسْتِخْدَامِ، وَالْعَزَائِمِ ، وَالطِّلَّسْمَاتِ ، وَخَاصِّيَّةٍ مِنَ الْخَوَاصِّ ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

[الإسراء : ٨٨] .

((وَ)) حَسْبُكَ ((حِفْظُهُ)) أَي : الْقُرْءَانِ ، مِنَ الْإِبْطَالِ ، وَالتَّغْيِيرِ ، وَالتَّبْدِيلِ ، وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ ، مِنْ وَقْتِ إِنْزَالِهِ ((لِآخِرِ الْغَايَاتِ)) مَعَ كَثْرَةِ الْمُلْحِدِينَ السَّاعِينَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزَّيْغِ ، وَلَا سِيَّمَا الْقَرَامِطَةِ ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر : ٩] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

[التوبة : ٣٢] .

((فَهْوَ)) أَي : الْقُرْءَانُ ((لِوَعْدِ)) بِكَسْرِ اللَّامِ ، وَفَتْحِ الْوَاوِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛ صِلَةُ ((إِنْجَازِ)) .

((الْحَقِّ)) أَي : اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِحِفْظِهِ ((ذُو)) أَيْ : صَاحِبُ ((إِنْجَازِ)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ، وَجِيمٍ ثُمَّ زَايٍ ؛ أَيْ : تَنْفِيذٍ .

يَعْنِي : أَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَعَدَ بِحِفْظِهِ ، وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ فَحَفِظَهُ .

٣١٨ – كَنَظْمِهِ الْبَدِيعِ فِي أُسْلُوبِهِ وَعَجْزِ مَنْ بَارَاهُ عَنْ مَطْلُوبِهِ

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« ... **وَمِنْهَا** : حِفْظُهُ مِنْ تَغْيِيرِ كَلِمَةٍ ، أَوْ حَرْفٍ ، أَوْ شَكْلَةٍ ، مِمَّا صَحَّ عَنِ الرَّسُولِ .
دَخَلَ يَهُودِيٌّ عَلَى الْمَأْمُونِ فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ الْكَلَامَ ، فَدَعَاهُ الْمَأْمُونُ لِلْإِسْلَامِ ، فَأَبَى ؛ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ سَنَةٍ مُسْلِمًا ، فَتَكَلَّمَ فِي الْفِقْهِ فَأَحْسَنَ ؛ فَقَالَ الْمَأْمُونُ : " مَا سَبَبُ إِسْلَامِكَ ؟ قَالَ : اِنْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدَكَ، فَأَرَدتُّ أَنْ أَسْتَخْبِرَ الْأَدْيَانَ ، فَعَمَدتُّ إِلَى التَّوْرَاةِ ، فَكَتَبْتُ ثَلَاثَ نُسَخٍ ، فَزِدتُّ وَنَقَصْتُ فِيهَا ، فَأَدْخَلْتُهَا الْكَنِيسَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي ؛ وَعَمِلْتُ فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَدْخَلْتُ الْبِيْعَةَ فَاشْتُرِيَ ؛ وَكَتَبْتُ ثَلَاثَ مَصَاحِفَ ، فَزِدتُّ وَنَقَصْتُ فِيهَا ، فَأَدْخَلْتُهَا الْوَرَّاقِينَ ، فَلَمَّا تَصَفَّحُوهَا، وَوَجَدُوا الزَّيْدَ وَالنَّقْصَ ، رَمَوْا بِهَا إِلَيَّ وَلَمْ يَشْتَرُوهَا ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ مَحْفُوظٌ، فَأَسْلَمْتُ " .

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : هَذَا الْمَعْنَى مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٤]
أَي : التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ؛ وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ [الحجر : ٩] ... الْآيَةَ ؛ فَوَكَلَ حِفْظَ الْكِتَابَيْنِ لَهُمْ فَضَيَّعُوا ، وَضَمِنَ حِفْظَ الْقُرْءَانِ فَلَمْ يُضَيَّعْ » . اِهَـ .

((**وَفِيهِ**)) **أَي** : الْقُرْءَانِ ((**أَنْوَاعٌ مِنَ الْإِعْجَازِ**)) **أَيْ** : إِثْبَاتِ عَجْزِ مَنْ يُعَارِضُهُ ؛ **وَتِلْكَ الْأَنْوَاعِ** :
((**كَنَظْمِهِ**)) **أَيْ** : تَرْكِيبِ الْقُرْءَانِ ((**الْبَدِيعِ**)) **أَي** : الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ ((**فِي أُسْلُوبِهِ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ وَاللَّامِ ؛ **أَيْ** : طَرِيقَةِ الْقُرْءَانِ الْمُخَالِفَةِ لِطَرِيقِ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي نَثْرِهَا وَنَظْمِهَا وَسَجْعِهَا ، إِذْ لَمْ يَعْهَدُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ ، وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى مِنْهَاجِهِ فِي أُسْلُوبِهِمْ .
((**وَعَجْزِ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَي** : الَّذِي ((**بَارَاهُ**)) بِمُوَحَّدَةٍ ؛ **أَيْ** : عَارَضَ الْقُرْءَانَ ؛ وَصِلَةُ ((**عَجْزِ**)) :
((**عَنْ مَطْلُوبِهِ**)) **أَيْ** : مُبَارِيهِ ، وَقَدِ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ جُزَّالُهُمْ ، وَفُصَحَاؤُهُمْ، وَبُلَغَاؤُهُمْ ؛ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَعُلِمَ بِالضَّرُورَةِ ، مَعَ كَثْرَتِهِمْ وَتَهَالُكِهِمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ حَتَّى انْتَشَرَ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ ، وَهِيَ مَحْشُوَّةٌ بِالْحُسَّادِ ، وَأَهْلِ الْعِنَادِ ، وَمَنْ يَدُسُّ فِي الدِّينِ طُرُقَ الْإِلْحَادِ ؛ فَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ بَعْدَ هَذَا يُمَاثِلُ الْقُرْءَانَ أَوْ يُشْبِهُهُ ؛ فَلَا شَكَّ فِي عَجْزِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ عَنْ ذَلِكَ ضَرُورَةً .

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَفِي [جَامِعِ الْمِعْيَارِ] : " أَنَّ قِسِّيسًا أَوْرَدَ عَلَى ابْنِ رَشِيقٍ : أَنَّ الْعَجْزَ عَنْ مُعَارَضَةِ الْكَلَامِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ ، **لِأَنَّ الْحَرِيرِيَّ قَالَ فِي بَيْتَيْنِ** :

(سِمْ سِمَةً تُحْمَدُ آثَارُهَا وَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سِمْسِمَةْ
وَالْمَكْرُ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتِهِ كَيْ تَقْتَنِي السُّودَدَ وَالْمَكْرُمَةْ)

... ...

أَنَّهُمَا أَمِنَا أَنْ يُعَزَّزَا بِثَالِثٍ ، وَتَدَاوَلَهُمَا الْأُدَبَاءُ فَمَا زَادُوا عَلَيْهِمَا ؟! .

قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ : فَجَعَلْتُ أُفَرِّقُ بَيْنَ الْقُرْءَانِ وَكَلَامِ الْحَرِيرِيِّ ، وَهُوَ يَقْدَحُ فِي الْفَرْقِ ، فَفَتَحَ اللهُ فِي الْحَالِ بِثَالِثٍ ، **فَقُلْتُ لَهُ** :

عَلَى أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَغْفُلُوا عَنِ الْبَيْتَيْنِ ، بَلْ زَادُوا بَيْتًا لَا أَذْكُرُ قَائِلَهُ – وَلَمْ أَنْسُبْهُ لِنَفْسِي لِئَلَّا يَزْدَرِيَهُ – **فَأَنْشَدتُّهُ** :

(وَالْمَهْــــرُ مَهْــــرُ الْحُـــورِ وَهْـــوَ التُّقَـــى   بَـــــادِرْ بِـــــهِ الْكُبْـــــرَةَ وَالْمَهْرُمَـــــةْ)

فَانْقَطَعَ » . اِهَـ .

وَقَدِ اعْتَرَفَ الْبُلَغَاءُ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِأَنَّ الْقُرْءَانَ لَا يُدْرَكُ شَأْوُهُ ؛ **فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ** :

« وَاللهِ ، إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ ، وَمُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى ، وَإِنَّهُ لَيُحَطِّمُ مَا تَحْتَهُ » .

وَنَامَ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَأَيْقَظَهُ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ يَتَشَهَّدُ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : " أَنَا مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ ، أُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ وَغَيْرَهَا ، سَمِعْتُ أَسِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِكُمْ : ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾** ﴾ [النور : ٥٢] فَإِذَا فِيهَا جَمِيعُ مَا أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " .

وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ : ﴿ **فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** ﴾ [الحجر : ٩٤] فَسَجَدَ ، وَقَالَ : " سَجَدتُّ لِفَصَاحَتِهِ " .

وَسَمِعَ آخَرُ : ﴿ **فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا** ﴾ [يوسف : ٨٠] قَالَ : " أَشْهَدُ أَنَّ مَخْلُوقًا لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا " .

وَسَمِعَ الْأَصْمَعِيُّ كَلَامَ جَارِيَةٍ خُمَاسِيَّةٍ أَوْ سُدَاسِيَّةٍ ، فَقَالَ : " قَاتَلَكِ اللهُ ، مَا أَفْصَحَكِ ! قَالَتْ : أَيُعَدُّ هَذَا فَصَاحَةً مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ...** ﴾ [القصص : ٧] الْآيَةَ ؟! ، فَجَمَعَ فِي آيَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ ، وَخَبَرَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ !! " .

وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ حِينَ سَمِعَ الْقُرْءَانَ :

« وَاللهِ ، مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، مَا هُوَ بِالشِّعْرِ ، وَلَا بِالسِّحْرِ ، وَلَا بِالْكَهَانَةِ » .

قَالَ السَّعْدُ :

« الْمَذْهَبُ ، أَنَّ اللهَ – تَعَالَى – قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بِأَفْصَحَ مِنْهُ وَأَبْلَغَ ، لَكِنِ اقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ الْقَدْرِ لِكِفَايَتِهِ فِي الْإِعْجَازِ ، كَصَابِغٍ يُبْرِزُ مِنْ مَصْنُوعِهِ مَا لَيْسَ غَايَةَ مَقْدُورِهِ ، ثُمَّ يَدْعُو حُذَّاقَ الصِّنَاعَةِ إِلَى مَا يُوَازِي أَوْ يُدَانِي دُونَ مَا أَبْدَاهُ .

فَإِنْ قِيلَ : هَلْ هُوَ مُتَفَاوِتٌ فِي الْبَلَاغَةِ ؟ **قُلْنَا** : لَا ، نَعَمْ يَتَفَاوَتُ بِكَثْرَةِ الِاعْتِبَارَاتِ وَالنُّكَتِ وَاللَّطَائِفِ الَّتِي تَجِبُ رِعَايَتُهَا وَقِلَّتِهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفُوتَ – فِيمَا قَلَّتْ فِيهِ – شَيْءٌ تَجِبُ رِعَايَتُهُ .

مَثَلًا : لَطَائِفُ : ﴿ **وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي ...** ﴾ [هود : ٤٤] الْآيَةَ ؛ أَبْلَغُ مِنْ لَطَائِفِ سُورَةِ

٣١٩ – وَالْجَمْـــــعِ لِلْعُلُـــــومِ وَالْأَسْـــــرَارِ وَكَوْنِـــــهِ يَحْلُـــــو مَـــــعَ التَّكْـــــرَارِ
٣٢٠ – وَفِي الْجَزَالَـــــةِ بِوَجْـــــهٍ أَعْلَـــــى وَالـــــرَّوْعِ فِي الْقُلُـــــوبِ حِـــــينَ يُتْلَـــــى

الْكَافِرُونَ ؛ وَالْكُلُّ لَمْ يُهْمَلْ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهُ .
وَقَوْلُهُمْ : " الطَّرَفُ الْأَعْلَى وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ، كِلَاهُمَا حَدُّ الْإِعْجَازِ ". لَمْ يُرِيدُوا بِهِ اشْتِمَالَ الْقُرْءَانِ عَلَى مَا يَقْرُبُ مِنَ الطَّرَفِ الْأَعْلَى ، بَلْ أَرَادُوا التَّنْبِيهَ عَلَى أَنَّ ثَمَّ مَرْتَبَةً بَيْنَ الْقُرْءَانِ وَكَلَامِ الْبَشَرِ ، لَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَشَرُ أَيْضًا، وَهِيَ كَالسُّورِ الْحَائِلِ ، لِيُعْلَمَ أَنَّ الْقُرْءَانَ فَوْقَ مَا فَوْقَ طَوْقِ الْبَشَرِ .
وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ : "كَانَ فِي طَوْقِهِمْ مُعَارَضَتُهُ، فَصُرِفُوا ". فَهُوَ – وَإِنْ قَالَهُ الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرُهُ — ضَعِيفٌ ، إِذِ الْأَنْسَبُ – حِينَئِذٍ – أَنْ يَكُونَ الْقُرْءَانُ فِي أَدْنَىٰ مَرَاتِبِ الْبَلَاغَةِ ، لِتَظْهَرَ خَرْقُ الْعَادَةِ فِي صَرْفِهِمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ ذَلِكَ ، وَقَدْ جَرَتْ عَادَتُهُ تَعَالَى بِتَأْيِيدِ رُسُلِهِ بِمُعْجِزَاتٍ مِنْ جِنْسِ مَا تَمَهَّرَ فِيهِ قَوْمُهُمْ مِنَ الْعُلُومِ ، زِيَادَةً فِي إِلْزَامِ الْحُجَّةِ؛ فَقَوْمُ مُوسَى مَهَرُوا فِي السِّحْرِ وَبَلَغُوا الْغَايَةَ ، فَأُعْطِيَ آيَةَ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً تَتَلَقَّفُ حِبَالَ السَّحَرَةِ وَعِصِيَّهُمْ ؛ وَلِذَلِكَ، مَا زَادَ السَّحَرَةُ – وَهُمْ أُلُوفٌ – عَلَى أَنْ آمَنُوا وَسَجَدُوا ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ مَا رَأَوْا مِنَ الْعَصَا خَارِجٌ عَنْ جِنْسِ السِّحْرِ .
وَقَوْمُ عِيسَى مَهَرُوا فِي الطِّبِّ، فَأُعْطِيَ أَنْ كَانَ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ، حَتَّى إِنَّهُ أَبْرَأَ – فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ – خَمْسِينَ أَلْفًا بِالدُّعَاءِ، بِشَرْطِ الْإِيمَانِ .
وَبُعِثَ الْخَلِيلُ فِي قَوْمٍ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الطَّبِيعِيَّاتُ ، فَأُعْطِيَ أَنْ صَارَتِ النَّارُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا .
وَنَبِيُّنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نَشَأَ فِي قَوْمٍ يَتَسَاجَلُونَ وَيَتَفَاخَرُونَ بِالْبَلَاغَةِ وَيَتَنَاشَدُونَ ؛ فَأُعْطِيَ الْقُرْءَانَ الْمُعْجِزَ بِبَلَاغَتِهِ » . اهـ .

((وَ)) كَـ ((ـالْجَمْعِ لِلْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ)) الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ، لِأَنَّهُ أَصْلُ الْمَعَارِفِ الدِّينِيَّةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَالسِّيَاسَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْأُخْرَوِيَّةِ ؛ فَكُلُّهَا مُسْتَنْبَطَةٌ مِنْهُ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .
((وَ)) كَـ ((ـكَوْنِهِ)) أَيْ : الْقُرْءَانِ ((يَحْلُو مَعَ التَّكْرَارِ)) بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ ، بَلْ كَثْرَةُ تَكْرَارِهِ تَزِيدُهُ حَلَاوَةً ، وَقَدْ وَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِأَنَّهُ : « لَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ » .
قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :
« ... **وَمِنْهَا** : أَنَّهُ لَا يَمَلُّهُ قَارِئُهُ وَسَامِعُهُ ، وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا حَلَاوَةً، وَكُلُّ كَلَامٍ سِوَاهُ – وَإِنْ كَانَ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْحُسْنِ بِمَكَانٍ – تُمَلُّ إِعَادَتُهُ ، إِذْ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْعَادَاتِ مُعَادَاتُ الْمُعَادَاتِ ؛ وَقَدْ نَبَّهَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ : " وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ " . **أَيْ** : لَا يَبْلَى الْقُرْءَانُ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ مَعَ كَثْرَةِ تَرْدِيدِهِ .
وَمِنْهَا : جَمْعُهُ لِعُلُومٍ وَمَعَارِفَ لَمْ تُعْهَدْ وَلَا تَنْفَدُ ؛ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ : " وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ " .
وَعَنْ عَلِيٍّ : " لَوْ أَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ أَضَعَ عَلَى الْفَاتِحَةِ وِقْرَ سَبْعِينَ بَعِيرًا لَفَعَلْتُ " .
قَالَ الشَّعْرَانِيُّ وَالسَّنُوسِيُّ : " أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللهِ وَاسِعٌ، وَأَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَفْهَمُونَ مِنْهُ عُلُومًا وَأَسْرَارًا ،

.. ..

وَأَنَّ الْكُلَّ مَقْصُودٌ مَا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى مَا لَا يَقْبَلُهُ اللَّفْظُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ خَرَجَ، فَلَا فَهْمَ وَلَا عِلْمَ » . اهـ .

((**وَ**)) كَوْنِهِ ((**فِي الْجَزَالَةِ**)) بِفَتْحِ الجِيمِ ؛ **أَيِ** : الْبَلَاغَةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى مَعَ قِلَّةِ حُرُوفِهِ وَتَنَاسُبِ مَخَارِجِهَا ((**بِوَجْهٍ أَعْلَى**)) خَارِجٍ عَنْ مَقْدُورِ الْبَشَرِ ((**وَ**)) كَإِدْخَالِ ((**الرَّوْعِ**)) بِفَتْحِ الرَّاءِ ؛ **أَيِ** : الْخَوْفِ ، وَالْهَيْبَةِ ، وَالْخَشْيَةِ ((**فِي الْقُلُوبِ**)) لِقَارِئِيهِ وَسَامِعِيهِ ((**حِينَ يُتْلَى**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ **أَيْ** : يُقْرَأُ الْقُرْءَانُ ، وَلَوْ لَمْ يُعْرَفْ مَعْنَاهُ وَلَا تَفْسِيرُهُ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** ... ﴾ [الزمر : ٢٣] الْآيَةَ ، ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ** ... ﴾ [الحشر : ٢١] الْآيَةَ .

قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ : « سَمِعْتُ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ ، فَلَمَّا بَلَغَ :

﴿ **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ** ... ﴾ [الطور : ٣٥] الْآيَاتِ ؛ كَادَ قَلْبِي يَتَفَطَّرُ ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي » .

وَلَمَّا تَلَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ **حمٓ** ① ﴾ [فصلت : ١] عَلَى عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ : ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ** ... ﴾ [فصلت: ١٣] الْآيَةَ ؛ أَمْسَكَ عُتْبَةُ فَمَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِيَدِهِ ، وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ .

وَرَامَ يَحْيَى بْنُ حَكَمٍ الْغَزْلِيُّ – بَلِيغُ الْأَنْدَلُسِ فِي وَقْتِهِ – أَنْ يَحْذُوَ حَذْوَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ، قَالَ: « فَاعْتَرَتْنِي خَشْيَةٌ حَمَلَتْنِي عَلَى التَّوْبَةِ » .

وَمَرَّ نَصْرَانِيٌّ بِقَارِئٍ ، فَوَقَفَ يَبْكِي ، فَقِيلَ لَهُ : " مِمَّ بَكَيْتَ ؟ فَقَالَ : لِلْهِجَاءِ وَالنَّظْمِ " .

وَكَانَ ابْنُ مُغِيثٍ يَرِقُّ لِسَمَاعِهِ كَثِيرًا وَيَبْكِي ، فَسَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ **يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ** ... ﴾ [الزخرف : ٦٨] الْآيَاتِ ؛ فَصَاحَ وَغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَقَاءَ شَيْئًا أَخْضَرَ ، وَمَا اسْتَتَمَّ يَوْمُهُ إِلَّا مَيِّتًا .

وَمَرَّ بَعْضُ الصَّالِحِينَ بِبَغْدَادَ عَلَى صَبِيٍّ يَبْكِي بِبَابِ مَكْتَبٍ ، فَسَأَلَهُ ، قَالَ : "كَتَبَ الْمُعَلِّمُ فِي لَوْحِي سَطْرًا أَبْكَانِي :

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ **أَلْهَىٰكُمُ** ... ﴾ [التكاثر : ١] إِلَى ﴿ ... **تَعْلَمُونَ** ④ ﴾ [التكاثر : ٤] . تَهْدِيدٌ بَعْدَ تَهْدِيدٍ ، وَتَخْوِيفٌ بَعْدَ تَخْوِيفٍ .

قَالَ : أَخِّرْ بُكَاءَكَ حَتَّى يَكْتُبَ لَكَ سَطْرًا أَبْلَغَ : ﴿ **لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ** ⑥ ... ﴾ [التكاثر : ٦] إلخ .

فَاضْطَرَبَ الصَّبِيُّ وَسَقَطَ مَيِّتًا ؛ فَوَثَبَ الْمُعَلِّمُ عَلَى الرَّجُلِ ، فَرَفَعُوهُ لِلْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ : دَعُوهُ ، قَدْ أَسْرَعَ الصَّبِيُّ إِلَى مَنَازِلِ السَّعَادَةِ " .

وَذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ وَالسَّمَرْقَنْدِيُّ أَنَّ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيَّ صَلَّى الْعِشَاءَ خَلْفَ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَقَرَأَ :

٣٢١ – وَمَـا احْتَـوَى عَلَيْـهِ مِـنْ أَنْبَـاءِ ... غَيْـبٍ بِتَصْـرِيحٍ وَبِالْإِيمَـاءِ
٣٢٢ – وَفِيـهِ مِـنْ هَـذَا أُمُـورٌ تَكْثُـرُ ... وَالْـبَعْضُ بِـالْفَيْضِ عَلَيْهَـا يَعْثُـرُ
٣٢٣ – وَمِنْـهُ مَـا ابْـنُ بَرَّجَـانَ أَظْهَـرْ ... فِي أَخْـذِ بَيْـتِ الْمَقْـدِسِ الْمُطَهَّـرْ
٣٢٤ – مِـنْ قَوْلِـهِ : {بِضْـعِ سِـنِينَ} قَبْـلَ أَنْ ... يَكُـونَ ثُمَّ كَـانَ طِبْقًـا فِي الـزَّمَنْ

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾ [التكاثر : ١] ؛ فَشَهَقَ أَبُو ثَعْلَبَةَ شَهْقَةً ؛ فَقَرَأَ : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ [التكاثر : ٢] ؛ فَشَهَقَ شَهْقَةً أُخْرَى ، فَفَارَقَ الدُّنْيَا .
أَفَادَهُ الْمُحَقِّقُ ابْنُ كِيرَانَ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

((وَ)) كَ ((ـمَا)) أَيِ : الَّذِي ((احْتَوَى)) أَيِ : اشْتَمَلَ الْقُرْءَانُ ((عَلَيْهِ)) عَائِدُ ((مَا)) .
وَبَيَّنَ ((مَا)) بِقَوْلِهِ : ((مِنْ أَنْبَاءِ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " نَبَإٍ " ؛ أَيْ : أَخْبَارٍ عَنْ ((غَيْبٍ)) بِإِعْجَامِ الْغَيْنِ؛ أَيْ: شَيْءٍ
غَائِبٍ، مَاضٍ أَوْ مُسْتَقْبَلٍ. وَصِلَةُ ((أَنْبَاءِ)): ((بِتَصْرِيحٍ وَ)) بِمَعْنَى: أَوْ ((بِالْإِيمَاءِ)) أَيِ : الْإِشَارَةِ ((وَفِيهِ)) أَيِ : الْقُرْءَانِ ((مِنْ هَذَا)) أَيِ : الْإِنْبَاءِ بِالْغَيْبِ ؛ بَيَانُ : ((أُمُورٌ تَكْثُرُ وَالْبَعْضُ)) مِنَ النَّاسِ ((بِالْفَيْضِ)) بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ أَيِ : الْإِنْعَامِ وَالْإِلْهَامِ وَالْإِلْقَاءِ فِي الْقَلْبِ بِلَا وَاسِطَةِ بَشَرٍ وَلَا مَلَكٍ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
صِلَةُ ((يَعْثُرُ)) : ((عَلَيْهَا)) أَيِ : الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ ؛ صِلَةُ ((يَعْثُرُ)) بِفَتْحِ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَضَمِّ الْمُثَلَّثَةِ ؛ أَيْ : يَطَّلِعُ ؛ وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ ((الْبَعْضُ)) .
وَهَذِهِ طَرِيقَةُ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ وَالْأَحْوَالِ ، وَلَا تَتَنَاهَى ، بَلْ هِيَ عَلَى حَسَبِ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ ، وَبَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦ ﴾ [يوسف : ٧٦] .
وَبَعْضٌ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا بِالتَّعْلِيمِ وَالِاكْتِسَابِ ، فَيَقَعُ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُوَافِقًا لِإِخْبَارِهِ ، فَيَتَزَايَدُ الْإِيمَانُ ، وَيَقْوَى الْبُرْهَانُ ؛ وَهَذَا الْإِخْبَارُ ، مِنْهُ مَا هُوَ بِصَرِيحِ الْكَلَامِ ، كَإِخْبَارِهِ بِظُهُورِ الدِّينِ ، وَاسْتِخْلَافِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَدُخُولِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَصْحَابِهِ مَكَّةَ ، وَغَلَبَةِ الرُّومِ بِفَارِسَ ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ، وَرَدِّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَى مَكَّةَ ... وَغَيْرِهَا .
وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .
وَمِنْهُ مَا هُوَ بِالْإِيمَاءِ دُونَ التَّصْرِيحِ ؛ كَاسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَرِدَّةِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ... ﴾ [المائدة : ٥٤] الْآيَةَ ، وَكَطَلَبِ الْجِهَادِ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ ، لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [الفتح : ١٦] هُمْ أَهْلُ الرِّدَّةِ فِي قَوْلٍ ، وَالرُّومُ وَفَارِسُ فِي قَوْلٍ ؛ وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

… …

وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُشِيرَةِ إِلَى مَا يَقَعُ مِنَ النَّوَازِلِ ، وَقَدْ وَقَعَتْ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهِيَ لَا تَنْحَصِرُ .

((**وَمِنْهُ**)) **أَيْ** : مَا عُثِرَ عَلَيْهِ بِالْفَيْضِ ((**مَا**)) **أَيِ** : الْمَعْنَى الَّذِي ((**ابْنُ بَرَّجَانَ**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلَ الرَّاءِ ، وَبِالْجِيمِ ، آخِرُهُ نُونٌ .

وَخَبَرُ ((**ابْنُ**)) : ((**أَظْهَرْ**)) ابْنُ بَرَّجَانَ ؛ وَعَائِدُ ((**مَا**)) مَحْذُوفٌ ، وَالْأَصْلُ : أَظْهَرَهُ .

((**فِي أَخْذِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الْمُطَهَّرْ**)) الرُّومِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَصِلَةُ ((**أَخْذِ**)) : ((**مِنْ قَوْلِهِ :**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((﴿ بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم: ٤])) . وَصِلَةُ ((**أَظْهَرْ**)) : ((**قَبْلَ أَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، صِلَةُ ((**يَكُونَ**)) **أَيْ** : يُوجَدُ أَخْذُ الرُّومِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ((**ثُمَّ كَانَ**)) **أَيْ** : وُجِدَ أَخْذُ الرُّومِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ حَالَ كَوْنِهِ ((**طِبْقًا**)) بِكَسْرِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيْ** : مُطَابِقًا وَمُوَافِقًا لِمَا أَظْهَرَهُ ابْنُ بَرَّجَانَ . وَصِلَةُ ((**كَانَ**)) : ((**فِي الزَّمَنْ**)) .

ذَكَرَ ابْنُ بَرَّجَانَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الرُّومِ :

أَنَّ الرُّومَ يَتَغَلَّبُونَ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَيَبْقَى بِأَيْدِيهِمْ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ؛ وَيُغْلَبُونَ وَيَخْرُجُونَ مِنْهُ ، وَيُفْتَحُ ، وَيَبْقَى لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا ؛ أَخَذَهُ مِنْ حِسَابِ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [الروم : ٤] بِالْجُمَّلِ ، وَأَضَافَ إِلَى ذَلِكَ مَعْنِي " الْبِضْعِ " فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَاءَ اثْنَانِ ، وَالضَّادَ تِسْعُونَ ، وَالْعَيْنَ سَبْعُونَ ، وَالسِّينَ ثَلَاثُمِائَةٌ ، وَالنُّونَ خَمْسُونَ ، وَالْيَاءَ عَشْرَةٌ ، وَالنُّونَ خَمْسُونَ ؛ وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ اِثْنَانِ وَسَبْعُونَ وَخَمْسِمِائَةٌ ؛ وَزَادَ عَلَيْهِ مَعْنِي " الْبِضْعِ " مِنْ ثَلَاثٍ إِلَى تِسْعٍ ، لَكِنْ جَعَلَهُ عَشَرَةً احْتِيَاطًا ، فَصَارَ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةً ؛ وَهِيَ غَايَةُ غَلَبَةِ الرُّومِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَتُنْزَعُ مِنْهُمْ فِي سَنَةِ ثَلَاثَةٍ وَثَمَانِينَ ، فَكَانَ كَذَلِكَ .

أَبُو شَامَةَ .

وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ مَا اتَّفَقَ ؛ وَقَدْ مَاتَ ابْنُ بَرَّجَانَ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَفِي ، وَتُوُفِّيَ الْمُقْتَفِي سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَاتَ ابْنُ بَرَّجَانَ قَبْلَهُ ؛ وَوَقَعَتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ ، وَأَخَذَ الرُّومُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بَعْدَ حِصَارِهَا شَهْرًا وَنِصْفًا ، وَقَتَلُوا بِهَا أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا ، مِنْهُمْ عُلَمَاءُ ، وَعُبَّادٌ ، وَزُهَّادٌ ، وَهَدَمُوا الْمَشَاهِدَ ، وَجَمَعُوا الْيَهُودَ فِي الْكَنِيسَةِ وَأَحْرَقُوهَا عَلَيْهِمْ ؛ ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْهُمُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينُ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

٣٢٥ – وَبَعْضُـــهُمْ فِي وَجْـــهِ إِعْجَـــازِهِ نَحَـــا لِـــــرَدِّ بَعْـــــضٍ وَسِـــــوَاهُ رَجَّحَـــــا
٣٢٦ – وَاخْتَلَفُـــوا: هَـــلْ كَـــانَ فِي طَـــوْقِ الْبَشَـــرْ مِـــنْ قَبْـــلُ لَكِـــنْ صُـــرِفُوا كَمَـــا انْتَشَـــرْ
٣٢٧ – أَوْ لَمْ يَكُـــنْ فِي طَـــوْقِهِمْ؟ وَصُـــحِّحَا وَالْبَحْـــــــثُ فِي ذَاكَ يَطُـــــولُ شَـــــرْحَا

((**وَبَعْضُهُمْ**)) **أَي** : الْعُلَمَاءِ ((**فِي وَجْهِ**)) **أَيْ** : سَبَبِ وَعِلَّةِ ؛ صِلَةُ ((**نَحَا**)) .
((**إِعْجَازِهِ**)) **أَي** : الْقُرْءَانِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ ((**نَحَا**)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَإِهْمَالِ الْحَاءِ ؛ **أَيْ** : مَالَ ((**لِرَدِّ بَعْضٍ**)) مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي قَالَهَا غَيْرُهُ فِي وَجْهِ إِعْجَازِهِ ((**وَسِوَاهُ**)) بِكَسْرِ السِّينِ ؛ **أَي** : الْبَعْضِ الَّذِي رَدَّهُ ؛ مَفْعُولُ ((**رَجَّحَا**)) **أَي** : الْبَعْضُ وَجْهًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي رَدَّهُ . وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .
يَعْنِي : أَنَّ الْعُلَمَاءَ اتَّفَقُوا عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْءَانِ ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَجْهِهِ ، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَرُدُّ قَوْلَ غَيْرِهِ ، وَيُرَجِّحُ قَوْلًا آخَرَ سِوَاهُ :
فَقَالَ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ : وَجْهُهُ : فَصَاحَتُهُ وَجَزَالَتُهُ فَقَطْ .
وَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْقَاضِي : بَلْ بِالْمَجْمُوعِ .
وَقَالَ الشَّيْخُ وَالنَّظَّامُ : بِالصَّرْفِ ، وَإِنْ كَانَ فِي مَقْدُورِهِمْ .
وَقَالَ قَوْمٌ : بَلْ عَدَمُ مُنَاقَضَةِ آيَاتِهِ ، وَتَصْدِيقُ بَعْضِهَا بَعْضًا .
وَقَالَ قَوْمٌ : بَلْ إِخْبَارُهُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ .
وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ قِدَمُهُ .
وَقَالَ غَيْرُهُمْ : بَلْ كَوْنُهُ عِبَارَةً عَنِ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ .

((**وَاخْتَلَفُوا**)) **أَي** : الْعُلَمَاءُ فِي جَوَابِ : ((**هَلْ كَانَ**)) الْقُرْءَانُ ((**فِي طَوْقِ**)) **أَيْ** : طَاقَةِ وَقُدْرَةِ ((**الْبَشَرْ**)) مُعَارَضَتُهُ وَالْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ ((**مِنْ قَبْلُ**)) بِالضَّمِّ عِنْدَ حَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ؛ **أَيْ** : قَبْلَ صَرْفِهِمْ عَنْهُ ((**لَكِنْ صُرِفُوا**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : صَرَفَهُمُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَالْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ((**كَمَا انْتَشَرْ**)) **أَيْ** : شَاعَ وَاشْتَهَرَ ((**أَوْ لَمْ يَكُنْ**)) الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهِ ((**فِي طَوْقِهِمْ**)) **أَي** : الْبَشَرِ ؟ ((**وَصُحِّحَا**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ . هَذَا الْقَوْلُ . وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .
وَالْقَوْلَانِ لِلشَّيْخِ .
وَضُعِّفَ الْأَوَّلُ بِأَنَّهُ : لَوْ كَانَ كَذَلِكَ ، لَنُقِلَ عَنِ الْعَرَبِ مِثْلُ الْقُرْءَانِ قَبْلَ بَعْثِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ نُقِلَ لَوُجِدَ ، لِأَنَّهُ مِمَّا يُرْغَبُ فِيهِ أَشَدَّ الرَّغْبَةِ ، وَتَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي إِلَى نَقْلِهِ .
وَأَيْضًا : لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَكَانَ كَوْنُ الْقُرْءَانِ فِي أَدْنَى مَرَاتِبِ الْبَلَاغَةِ أَنْسَبَ بِظُهُورِ إِعْجَازِهِ ! كَيْفَ وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْبَلَاغَةِ ؟! .
((**وَالْبَحْثُ**)) **أَي** : الْكَلَامُ ((**فِي ذَاكَ**)) **أَيْ** : كَوْنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ لَمْ يَكُنْ فِي طَوْقِهِمْ ، أَوْ كَانَ وَصُرِفُوا عَنْهُ ((**يَطُولُ شَرْحَا**)) تَمْيِيزٌ مُحَوَّلٌ عَنْ فَاعِلِ ((**يَطُولُ**)) .

٣٢٨ – وَأَخْبَــــرَ اللهُ بِعَجْـــزِ الْإِنْـــسِ وَالْجِـــنِّ عَـــنْ إِتْيَـــانِهِمْ بِـــالْجِنْسِ

٣٢٩ – مِـــنْ مِثْلِــهِ ، وَطُولِبُــوا بِسُـــورَةْ فَمَـــا اسْـــتَطَاعُوا مِثْلَهَـــا ضَـــرُورَةْ

٣٣٠ – وَمَـــنْ لِجِلْبَـــابِ الْحَيَـــاءِ زَاحَـــا مُعَارِضًـــا لَـــهُ حَـــوَى افْتِضَـــاحَا

٣٣١ – كَمِثْـــلِ مَـــا جَـــاءَ بِـــهِ مُسَـــيْلِمَةْ مِـــنْ تُرَّهَـــاتٍ بِـــاخْتِلَالٍ مُعْلِمَـــةْ

٣٣٢ – رَكِيكَـــةٍ فِي لَفْظِهَـــا وَالْمَعْـــنَى كَقَوْلِـــهِ : (وَالطَّاحِنَـــاتِ طَحْنَـــا)

((وَأَخْبَرَ اللهُ)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ((بِعَجْزِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَنْ إِتْيَانِهِمْ بِالْجِنْسِ .. مِنْ مِثْلِهِ)) أَيِ : الْقُرْءَانِ ، فِي الْبَلَاغَةِ وَالْجَزَالَةِ ، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

((وَطُولِبُوا)) أَيِ : الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ؛ أَيْ : أَمَرَهُمُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِإِتْيَانِهِمْ ((بِسُورَةْ)) مِنْ مِثْلِهِ ، وَلَوْ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ ، كَسُورَةِ الْكَوْثَرِ ((فَمَا)) نَافِيَةٌ ((اسْتَطَاعُوا مِثْلَهَا ضَرُورَةْ)) ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة : ٢٣ – ٢٤] .

((وَمَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيِ : الَّذِي ((لِجِلْبَابِ)) بِكَسْرِ الْجِيمِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، وَمُوَحَّدَتَيْنِ بَيْنَهُمَا أَلِفٌ ؛ صِلَةُ ((زَاحَ)) ؛ أَيْ : ثَوْبِ ((الْحَيَاءِ)) وَإِضَافَتُهُ مِنْ إِضَافَةِ الْمُشَبَّهِ بِهِ لِلْمُشَبَّهِ ((زَاحَا)) أَيْ : أَزَالَ وَأَبْعَدَ . وَأَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ ؛ حَالَ كَوْنِهِ ((مُعَارِضًا لَهُ)) أَيِ : الْقُرْءَانِ . وَخَبَرُ ((مَنْ زَاحَ ...)) إلخ : ((حَوَى)) أَيْ : حَازَ

((افْتِضَاحَا)) لِنَفْسِهِ ، وَذَلِكَ ((كَمِثْلِ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((مَا)) أَيِ : الَّذِي ((جَاءَ)) أَيْ : تَكَلَّمَ ((بِهِ)) عَائِدُ ((مَا)) ؛ ((مُسَيْلِمَةْ)) الْكَذَّابُ مِنْ أَرْضِ الْيَمَامَةِ ؛ إِدَّعَى النُّبُوَّةَ فِي زَمَنِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَتَبَ كِتَابًا وَبَعَثَهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ صُورَتُهُ :

« مِنْ عِنْدِ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللهِ ، إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ؛ **أَمَّا بَعْدُ** : فَإِنَّ الْأَرْضَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ نِصْفَيْنِ ، لِي نِصْفُهَا ، وَلَكَ نِصْفُهَا » .

فَأَرْسَلَ لَهُ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ لَهُ : « مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ، إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ، **أَمَّا بَعْدُ** : فَإِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » .

وَبَيَّنَ ((مَا)) بِقَوْلِهِ : ((مِنْ تُرَّهَاتٍ)) بِضَمِّ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ مُثَقَّلًا ، آخِرُهُ مُثَنَّاةٌ ؛ أَيْ : كَلِمَاتٍ بَاطِلَةٍ

((بِاخْتِلَالٍ)) بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ ؛ أَيْ : فَسَادِ عَقْلٍ ؛ صِلَةُ ((مُعْلِمَةْ)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ((رَكِيكَةٍ)) بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَكَسْرِ الْكَافِ الْأُولَى وَفَتْحِ الثَّانِيَةِ ، بَيْنَهُمَا مُثَنَّاةٌ تَحْتِيَّةٌ سَاكِنَةٌ ؛ أَيْ : ثَقِيلَةٍ ((فِي لَفْظِهَا وَالْمَعْنَى)) وَتِلْكَ التُّرَّهَاتُ

((كَقَوْلِهِ)) أَيْ : مُسَيْلِمَةَ: « وَالْبَاذِرَاتِ زَرْعًا . وَالْحَاصِدَاتِ حَصْدًا . وَالذَّارِيَاتِ قَمْحًا . ((وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا)) . وَالْخَابِزَاتِ خَبْزًا . وَالثَّارِدَاتِ ثَرْدًا . وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا .

٣٣٣ – وَغَـيْرِهِ مِمَّـا انْتَحَـاهُ الْأَبْلَـهُ وَهْـوَ بِنَـوْعِ الْهَـذَيَانِ أَشْـبَهُ
٣٣٤ – وَهَـلْ يُقَـاسُ ذَا بِـ {إِنَّ اللهَ يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ} وَمَـا تَلَاهَـا ؟!
٣٣٥ – وَأَيْنَ مَـا هَـذَى بِـهِ فِي الضِّـفْدَعِ مِـنْ قَـوْلِ رَبِّنَـا تَعَـالَى {فَاصْـدَعِ} ؟!
٣٣٦ – أَجَارَنَـا اللهُ مِـنَ الْخِـذْلَانِ وَالْغَـيِّ فِي الْإِسْـرَارِ وَالْإِعْـلَانِ

لَقَدْ فُضِّلْتُمْ عَلَى أَهْلِ الْوَبَرِ . وَمَا سَبَقَكُمْ أَهْلُ الْمَدَرِ » .

فِي مُعَارَضَةِ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ ... ﴾ [الصافات : ١] ، وَقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ ... ﴾ [الذاريات : ١] ، وَقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ ... ﴾ [المرسلات : ١]

، وَقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ ... ﴾ [النازعات : ١] .

((**وَغَيْرِهِ**)) **أَيِ** : " الطَّاحِنَاتِ ... " إِلَخ .

وَبَيَّنَ ((**غَيْرِهِ**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِمَّا**)) **أَيِ** : الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الَّذِي ((**انْتَحَاهُ**)) **أَيِ** : اخْتَرَعَهُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ

((**الْأَبْلَهُ**)) **أَيِ** : الَّذِي لَا يَعِي مَا يَقُولُ ((**وَهْوَ**)) **أَيِ** : الْقَوْلُ الَّذِي انْتَحَاهُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ ((**بِنَوْعِ**

الْهَذَيَانِ)) **أَيِ** : الْقَوْلِ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ ؛ صِلَةُ ((**أَشْبَهُ**)) **أَيْ** : أَشَدُّ شَبَهًا ، كَقَوْلِهِ فِي مُعَارَضَةِ سُورَةِ الْفِيلِ : « الْفِيلُ مَا الْفِيلُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ . لَهُ ذَنَبٌ وَبِيلٌ . وَخُرْطُومٌ طَوِيلٌ . وَإِنَّ ذَلِكَ فِي خَلْقِ رَبِّنَا لَقَلِيلٌ » .
والتِّيلُ : الذَّكَرُ .
وَكَقَوْلِهِ فِي مُعَارَضَةِ سُورَةِ الْكَوْثَرِ : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْعَقْعَقَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَازْعَقْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْلَقُ » .

وَمَا أَلْطَفَ قَوْلِ الْعَارِفِ الْأَبُوصِيرِيُّ فِي الْبُرْدَةِ :

(رَدَّتْ بَلَاغَتُهَـا دَعْـوَى مُعَارِضِـهَا رَدَّ الْغَيُـورِ يَـدَ الْجَـانِي عَـنِ الْحُـرُمِ)

يَعْنِي : أَنَّ آيَاتِ الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ تَرُدُّ بَلَاغَتُهَا كُلَّ مَنْ يَدَّعِي مُعَارَضَتَهَا ، كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ الْغَيُورَ – وَهُوَ كَثِيرُ الْغَيْرَةِ – إِذَا وَجَدَ جَانِيًا عَلَى حَرِيمِهِ ، فَإِنَّهُ يَدْفَعُهُ بِشِدَّةٍ وَقُوَّةٍ ، وَلَوْ أَدَّى إِلَى قَتْلِهِ .
وَقَوْلُهُ : « رَدَّ » مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِقَوْلِهِ : « رَدَّتْ » . وَقَوْلُهُ : « الْغَيُورِ » صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ ، **أَيِ** : الرَّجُلِ .
وَقَوْلُهُ : « الْحُرُمِ » جَمْعُ " حُرْمَةٍ " .

((**وَهَلْ**)) اِسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ مَعْنَاهُ النَّفْيُ ؛ **أَيْ** : لَا ((**يُقَاسُ**)) وَيُشَابِهُ وَيُمَاثِلُ **هَـ** ((**ـذَا**)) **أَيْ** : هَذَيَانُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ ((**بِـ**)) قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ((﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ **وَمَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**تَلَاهَا** ؟!))

… …

أَيْ : تَبِعَ الْآيَةَ فِي الْقُرْءَانِ ، مِنْ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل : ٩٠] .

((وَأَيْنَ)) مِقْدَارُ ((مَا)) أَيِ : الْكَلَامِ الَّذِي ((هَذَى)) مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ ((بِهِ فِي)) شَأْنِ ((الضِّفْدَعِ)) بِكَسْرِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الْفَاءِ ؛ مِنْ قَوْلِهِ : « يَا ضِفْدَعُ بِنْتَ ضِفْدَعِينَ . كَمْ تُنَقْنِقِينَ . أَعْلَاكِ فِي الْمَاءِ وَأَسْفَلُكِ فِي الطِّينِ . لَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ . وَلَا الشَّرَابَ تَمْنَعِينَ » .
فَبَلَغَ هَذَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – فَقَالَ : « إِنَّهُ كَلَامٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِلٍّ » . أَيْ : أَصْلٍ جَيِّدٍ .

((مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا)) سُبْحَانَهُ وَ ((تَعَالَى : ﴿ فَٱصْدَعْ ؟!)) بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] .
((أَجَارَنَا)) أَيْ : حَفِظَنَا ((اللهُ)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِفَضْلِهِ ((مِنَ الْخِذْلَانِ)) بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ، آخِرُهُ نُونٌ ؛ أَيْ : خَلْقِ قُدْرَةِ الْمَعْصِيَةِ فِينَا ((وَ)) أَجَارَنَا مِنَ ((الْغَيِّ)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَشَدِّ الْيَاءِ ؛ أَيْ : الضَّلَالِ . وَصِلَةُ ((أَجَارَنَا)) : ((فِي الْإِسْرَارِ)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ أَيِ : الْبَاطِنِ ((وَالْإِعْلَانِ)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ أَيِ : الظَّاهِرِ . وَالْجُمْلَةُ دُعَائِيَّةٌ ، وَأَتَى بِهَا خَبَرِيَّةَ اللَّفْظِ تَفَاؤُلًا بِإِجَابَتِهِ ، وَتَنْبِيهًا عَلَى قُوَّةِ رَجَائِهِ حَتَّى كَأَنَّهَا حَصَلَتْ ، وَأَخْبَرَ عَنْهَا تَحَدُّثًا بِهَا ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى : ١١] .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي السَّمْعِيَّاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَالْبَرْزَخِيَّةِ وَالْبِعْثَةِ]

٣٣٧ - وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ أَحْمَدَ الْمَخْصُوصِ بِالْإِكْبَارِ

٣٣٨ - فَذَاكَ حَقٌّ كَائِنٌ لَا يُمْتَرَى فِيهِ وَ {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى}

٣٣٩- مِثْلُ السُّؤَالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَالْبَعْثِ لِلْأَبْدَانِ يَوْمَ الْحَشْرِ

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[السَّمْعِيَّاتِ]** **أَيِ** : الْأُمُورِ الثَّابِتَةِ بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْءَانِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ

[الْأُخْرَوِيَّةِ] **أَيِ** : الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْآخِرَةِ **[وَالْبَرْزَخِيَّةِ]** **أَيِ** : الَّتِي تَحْصُلُ فِي الْقَبْرِ **[وَالْبِعْثَةِ]** بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيْ** : إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَسَوْقِهِمْ إِلَى مَحَلِّ الْوُقُوفِ لِلْحِسَابِ .

((**وَكُلُّ مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**جَاءَ**)) **أَيْ** : رُوِيَ . وَبَيَّنَ ((**مَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِنَ الْإِخْبَارِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، مَصْدَرُ " أَخْبَرَ " ((**عَنْ**)) سَيِّدِنَا وَرَسُولِنَا ((**أَحْمَدَ**)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**الْمَخْصُوصِ**)) **أَيِ** : الَّذِي خَصَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بِالْإِكْبَارِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : التَّعْظِيمِ وَالتَّفْضِيلِ عَلَى سَائِرِ الْعَالَمِينَ .

وَخَبَرُ ((**كُلُّ مَا جَاءَ ...**)) إِلَخْ : ((**فَذَاكَ**)) **أَيِ** : الَّذِي جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**حَقٌّ**)) بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الْقَافِ ؛ **أَيْ** : ثَابِتٌ ((**كَائِنٌ**)) **أَيْ** : وَاقِعٌ فِي الْآخِرَةِ وَالْبَرْزَخِ ((**لَا يُمْتَرَى**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : لَا يُشَكُّ ((**فِيـ**)) **وُقُوعِ** ((**ـهِ وَ { مَا**)) نَافِيَةٌ ((**كَانَ**)) **أَيْ** : مَا أَخْبَرَ بِهِ سَيِّدُنَا أَحْمَدُ مِنْ أَحْوَالِ الْقَبْرِ وَمَا بَعْدَهُ ((**حَدِيثًا يُفْتَرَى }**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : يُكْذَبُ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَذَلِكَ الَّذِي أَخْبَرَنَا بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((**مِثْلُ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**السُّؤَالِ**)) مِنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ لِلْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ وَجَوَابِهِ .

رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ، رَفَعَهُ :

« إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؟

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ؛ فَيُقَالُ لَهُ : اُنْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا فِي الْجَنَّةِ ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا .

وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ! كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ؛ فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ؛ وَيُضْرَبُ بِمَطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً يَصِيحُ مِنْهَا صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ » .

وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ :

« فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟

فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : رَبِّيَ اللهُ ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ ، وَالرَّجُلُ الْمَبْعُوثُ رَسُولُ اللهِ .

وَيَقُولُ الْكَافِرُ فِي الثَّلَاثِ : لَا أَدْرِي » .

... ...

وَلِلْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ :

« إِنَّ الْمُؤْمِنَ تَكُونُ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَالصَّوْمُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَفِعْلُ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ لِلنَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ؛ فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : لَيْسَ مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ ؛ وَمِنْ يَمِينِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ ؛ وَمِنْ شِمَالِهِ فَيَقُولُ الصَّوْمُ كَذَلِكَ ؛ وَمِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرِ وَمَا مَعَهُ كَذَلِكَ ؛ فَيُقَالُ لَهُ : اِجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ وَقَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَرِيبَةً مِنَ الْغُرُوبِ ، فَيُقَالُ : أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْئَلُكَ ؟ فَيَقُولُ : دَعَانِي أُصَلِّي ؛ فَيُقَالُ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ ، فَأَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْئَلُكَ ؟ فَيَقُولُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ يَقُولُ فِي الثَّالِثَةِ : عَمَّ تَسْأَلُونَ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَصَدَّقْنَا وَاتَّبَعْنَا ؛ فَيُقَالُ: صَدَقْتَ ، عَلَى هَذَا حَيِيتَ ، وَعَلَيْهِ مِتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ ... » الْحَدِيثَ .

رُوِيَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – رَأَى أَبَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : « أَتَانِي الْمَلَكَانِ فَقَالَا : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَقُلْتُ : رَبِّيَ اللهُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ؛ وَأَنْتُمَا مَنْ رَبُّكُمَا ؟ فَنَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ فَقَالَ : إِنَّهُ عُمَرُ !! » .

[قَالَ] الثَّعْلَبِيُّ : قَالَ سَهْلُ بْنُ عَمَّارٍ : « رَأَيْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَ: أَتَانِي الْمَلَكَانِ فَظَّانِ غَلِيظَانِ ، فَقَالَا : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ ؛ فَأَخَذْتُ بِلِحْيَتِي الْبَيْضَاءِ فَقُلْتُ : أَلِمِثْلِي يُقَالُ هَذَا وَقَدْ عَلَّمْتُ النَّاسَ جَوَابَكُمَا ثَمَانِينَ سَنَةً ؟! فَذَهَبَا » .

أَفَادَهُ ابْنُ كِيرَانَ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

السُّؤَالُ خَاصٌّ بِأُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَقِيلَ : لَيْسَ خَاصًّا بِهَا ، بَلْ كُلُّ نَبِيٍّ تُسْئَلُ عَنْهُ أُمَّتُهُ .

وَعَلَى الْأَوَّلِ : فَالْمُرَادُ : أُمَّةُ الدَّعْوَةِ ، الْمُؤْمِنُونَ ، وَالْمُنَافِقُونَ ، وَالْكُفَّارُ ، عِنْدَ الْجُمْهُورِ .

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي [التَّمْهِيدِ] : « لَا يُسْئَلُ الْكَافِرُ ، وَإِنَّمَا يُسْئَلُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُنَافِقُونَ ، لِانْتِسَابِهِمْ ظَاهِرًا لِلْإِسْلَامِ ».

(الثَّانِي) :

سُمِّيَ هَذَانِ الْمَلَكَانِ بِـ " مُنْكَرٍ ، وَنَكِيرٍ " لِإِتْيَانِهِمَا الْمَيِّتَ بِصُورَةٍ مُنْكَرَةٍ ، لِأَنَّهُمَا لَا يُشْبِهَانِ خَلْقَ الْآدَمِيِّينَ ، وَلَا خَلْقَ الْمَلَائِكَةِ ، وَلَا خَلْقَ الطَّيْرِ ، وَلَا خَلْقَ الْبَهَائِمِ ، وَلَا خَلْقَ الْهَوَامِّ ؛ بَلْ هُمَا خَلْقٌ بَدِيعٌ ، وَلَيْسَ فِي خَلْقِهِمَا أُنْسٌ لِلنَّاظِرِينَ ، فَإِنَّهُمَا – كَمَا فِي الْحَدِيثِ – : « أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، أَعْيُنُهُمَا كَقُدُورِ النُّحَاسِ مِنْ شِدَّةِ حُمْرَتِهِمَا » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « ... كَالْبَرْقِ ، وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ ، إِذَا تَكَلَّمَا يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمَا كَالنَّارِ ، بِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِطْرَاقٌ مِنْ حَدِيدٍ ، لَوْ ضُرِبَ بِهِ الْجِبَالُ لَذَابَتْ » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « ... بِيَدِ أَحَدِهِمَا مِرْزَبَّةٌ ، لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا أَهْلُ مِنًى مَا أَقَلُّوهَا » . جَعَلَهُمَا اللهُ تَعَالَى تَذْكِرَةً لِلْمُؤْمِنِ ،

وَهَتْكًا لِسِتْرِ الْمُنَافِقِ ، وَهَمًّا لِلْمُؤْمِنِ ، طَائِعًا أَوْ لَا ؛ وَيَرْتَفِقَانِ بِالْمُؤْمِنِ ، وَيَقُولَانِ لَهُ إِذَا وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْجَوَابِ :

« نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ » .

وَيَنْتَهِرَانِ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ ؛ فَكُلُّ أَحَدٍ – سَوَاءٌ كَانَ مُؤْمِنًا طَائِعًا أَوْ عَاصِيًا ، أَوْ كَافِرًا – يَرَاهُمَا عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ظَوَاهِرُ الْأَحَادِيثِ .

وَقِيلَ : الْمُؤْمِنُ الْمُوَفَّقُ لَهُ " مُبَشِّرٌ وَبَشِيرٌ " ؛ وَأَمَّا الْكَافِرُ ، وَالْمُؤْمِنُ الْعَاصِي ، فَلَهُمَا " مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ " .

قِيلَ : وَمَعَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ ، يُقَالُ لَهُ : " نَاكُورٌ " ، وَيَجِيءُ قَبْلَهُمَا مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ : " رُومَانُ " . اهـ .

وَحَدِيثُهُ مَوْضُوعٌ ، وَقِيلَ : فِيهِ لِينٌ .

(الثَّالِثُ) :

السُّؤَالُ يَكُونُ بَعْدَ تَمَامِ الدَّفْنِ عِنْدَ انْصِرَافِ النَّاسِ ، وَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَظَاهِرِ الْأَحَادِيثِ ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعِيدُ الرُّوحَ إِلَى الْبَدَنِ جَمِيعِهِ .

قَالَ الْجَلَالُ السُّيُوطِيُّ :

(وَكُلُّـــــــهُ يَحْيَـــــا لَـــــــدَى الْجُمْهُـــــورِ لَا جُـــــــزْؤُهُ ، لِظَـــــــاهِرِ الْمَـــــــأْثُورِ)

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ بِإِعَادَتِهَا إِلَى النِّصْفِ الْأَعْلَى فَقَطْ .

وَقَالَ جَمَاعَةٌ : " السُّؤَالُ لِلْبَدَنِ بِلَا رُوحٍ " . وَأَنْكَرَهُ الْجُمْهُورُ ؛ كَمَا غَلَّطُوا مَنْ قَالَ : " السُّؤَالُ لِلرُّوحِ بِلَا بَدَنٍ " .

وَمَعَ إِعَادَتِهَا لَهُ لَا يَنْتَفِي إِطْلَاقُ اسْمِ " الْمَيِّتِ " عَلَيْهِ ، لِأَنَّ حَيَاتَهُ – حِينَئِذٍ – لَيْسَتْ كَامِلَةً ، بَلْ مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ كَتَوَسُّطِ النَّوْمِ بَيْنَهُمَا ؛ وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ – وَقْتَ السُّؤَالِ – مِنْ حَوَاسِّهِ وَعَقْلِهِ وَعِلْمِهِ ، مَا يَفْهَمُ بِهِ الْخِطَابَ ، وَيَرُدُّ بِهِ الْجَوَابَ ؛ وَأَحَدُهُمَا يَكُونُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَالَّذِي يُبَاشِرُ السُّؤَالَ هُوَ الْوَاقِفُ مِنْ جِهَةِ رِجْلَيْهِ ، لِأَنَّهُ الَّذِي قِبَالَةَ وَجْهِهِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« ... وَانْظُرْ ، هَلْ هُوَ مُنْكَرٌ أَوْ نَكِيرٌ ، أَوْ تَارَةً وَتَارَةً ؟ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ » . اِنْتَهَى .

وَقَالَ أَيْضًا :

« قَوْلُهُ : " مُنْكَرٌ " بِفَتْحِ الْكَافِ ؛ قَالَ الْمُصَنِّفُ : " لِأَنَّهُمَا خَلْقٌ لَا يُشْبِهَانِ خَلْقَ الْآدَمِيِّينَ ... " إِلَخْ » .

... ...

ثُمَّ قَالَ :

« وَاعْلَمْ أَنَّ الْقِيَاسَ جَوَازُ الْكَسْرِ فِي " مُنْكَرٍ " ، لِإِنْكَارِهِ عَلَى الْعَاصِي » . اهـ .

وَيُؤَيِّدُهُ : مَا سَبَقَ فِي " مُبَشِّرٍ " ، فَإِنَّهُ اسْمُ فَاعِلٍ ؛ وَ" نَكِيرٌ " (فَعِيلٌ) ، إِمَّا بِمَعْنَى (مَفْعُولٌ) أَوْ (فَاعِلٌ) عَلَى حَدِّ مَا سَبَقَ .

وَقَدْ صَرَّحَ أَئِمَّتُنَا بِتَأْدِيبِ مَنْ قَالَ لِوَجْهِ غَضْبَانَ : "كَأَنَّهُ وُجْهُ مُنْكَرٍ ... " وَنَحْوَ ذَلِكَ، لِمَا فِيهِ مِنْ شَائِبَةِ تَنْقِيصِ الْمَلَائِكَةِ ؛ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ خَلْقِهِمْ كَذَلِكَ – لِحِكْمَةٍ كَمَا سَبَقَ – جَوَازُ تَعَرُّضِنَا لَهُمْ .

(**الرَّابِعُ**) :

أَحْوَالُ الْمَسْئُولِينَ مُخْتَلِفَةٌ :

فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلَانِهِ جَمِيعًا ، تَشْدِيدًا عَلَيْهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُهُ أَحَدُهُمَا ، تَخْفِيفًا عَلَيْهِ .

وَيَسْأَلَانِ كُلَّ أَحَدٍ بِلِسَانِهِ عَلَى الصَّحِيحِ ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ : " إِنَّهُ بِالسُّرْيَانِيِّ مَرَّةً وَاحِدَةً " .

وَفِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ : « أَنَّهُ يُسْئَلُ ثَلَاثًا » .

وَقَالَ الْجَلَالُ : « يُسْئَلُ الْمُؤْمِنُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَالْكَافِرُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » . **قَالَ** : « وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَعْيِينِ وَقْتِ السُّؤَالِ فِي غَيْرِ يَوْمِ الدَّفْنِ » .

(**الْخَامِسُ**) :

يَسْأَلَانِ الْمَيِّتَ وَلَوْ تَمَزَّقَتْ أَعْضَاؤُهُ ، أَوْ أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ ، أَوْ ذُرِّيَ فِي الرِّيحِ ؛ إِذْ قُدْرَةُ اللهِ – تَعَالَى – صَالِحَةٌ لِإِعَادَةِ الرُّوحِ فِي أَعْضَائِهِ وَلَوْ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً ، وَلَا بُعْدَ فِي ذَلِكَ ؛ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُعَادَ كَمَا كَانَ .

(**السَّادِسُ**) :

إِذَا مَاتَ جَمَاعَةٌ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بِأَقَالِيمَ مُخْتَلِفَةٍ ، **فَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ** : « يَجُوزُ أَنَّ اللهَ – تَعَالَى – يُعْظِمُ جُثَّتَهُمَا ، وَيُخَاطِبَانِهَا مُخَاطَبَةً وَاحِدَةً » .

وَقَالَ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ : «يَجُوزُ تَعَدُّدُ الْمَلَائِكَةِ الْمُعَدَّةِ لِلسُّؤَالِ ، وَصَرَّحَ بِهِ الْحَلِيمِيُّ فِي [مِنْهَاجِـ] ـهِ ، فَقَالَ : وَالَّذِي يُشْبِهُ ، أَنْ يَكُونَ مَلَائِكَةُ السُّؤَالِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَيُسَمَّى بَعْضُهُمْ " مُنْكَرًا " ، وَبَعْضُهُمْ " نَكِيرًا " ؛ فَيُبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَيِّتٍ اثْنَانِ مِنْهُمْ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ » .

(**السَّابِعُ**) :

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ :

« **اِخْتَلَفَتِ الْأَحَادِيثُ فِي كَيْفِيَّةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ** :

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُسْئَلُ عَنْ بَعْضِ اعْتِقَادَاتِهِ ، وَمِنْهُ مَنْ يُسْئَلُ عَنْ كُلِّهَا .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – : " يُسْئَلُونَ عَنِ الشَّهَادَتَيْنِ " . وَقَالَ عِكْرِمَةُ : " يُسْئَلُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرِ التَّوْحِيدِ " .

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُمَا يَقُولَانِ : " مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ " . وَإِنَّمَا يَقُولَانِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَعْظِيمٍ ، لِأَنَّ مُرَادَهُمَا بِذَلِكَ الْفِتْنَةُ ، لِأَجْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الصَّادِقُ فِي الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِهِ ؛ فَالْأَوَّلُ يُجِيبُ ، وَالثَّانِي يَقُولُ : " لَوْ كَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ الْقَدْرُ الَّذِي كَانَ يَدَّعِيهِ فِي رِسَالَتِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، لَمْ يَكُنْ هَذَا الْمَلَكُ يُنْبِئُ عَنْهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْكِنَايَةِ " . وَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ : " لَا أَدْرِي " . فَيَشْقَى شَقَاءَ الْأَبَدِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى » .

أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ نَاقِلًا لَهُ عَنِ [الْيَوَاقِيتِ وَالْجَوَاهِرِ] .

(الثَّامِنُ) :

هَذَا السُّؤَالُ هُوَ عَيْنُ فِتْنَةِ الْقَبْرِ ؛ وَقِيلَ : هِيَ التَّلَجْلُجُ فِي الْجَوَابِ ؛ **وَقِيلَ** : هِيَ مَا وَرَدَ مِنْ حُضُورِ إِبْلِيسَ – أَعَاذَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْهُ – فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْقَبْرِ مُشِيرًا إِلَى نَفْسِهِ عِنْدَ قَوْلِ الْمَلَكَيْنِ : " مَنْ رَبُّكَ ؟ " طَالِبًا مِنْهُ جَوَابَهُ بِـ :

" هَذَا رَبِّي " .

وَلَمْ يَثْبُتْ حُضُورُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلَا رُؤْيَةُ الْمَيِّتِ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ السُّؤَالِ .

(التَّاسِعُ) :

لَيْسَ السُّؤَالُ عَامًّا لِكُلِّ أَحَدٍ ، بَلْ يُسْتَثْنَى مَنْ وَرَدَ الْأَثَرُ بِعَدَمِ سُؤَالِهِ ، كَالْأَنْبِيَاءِ ، فَالصَّحِيحُ أَنَّهُمْ لَا يُسْئَلُونَ ؛

وَقِيلَ : يُسْئَلُونَ عَنْ جِبْرِيلَ وَالْوَحْيِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سَيِّدُهُمُ الْأَعْظَمُ ، سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَحَلَّ الْخِلَافِ ؛ وَكَالصِّدِّيقِينَ ، وَالشُّهَدَاءِ ، وَالْمُرَابِطِينَ ، وَالْمُلَازِمِينَ كُلَّ لَيْلَةٍ لِقِرَاءَةِ :

﴿ تَبَٰرَكَ ... ﴾ [الملك : ١] مِنْ حِينَ وُصُولِ الْخَبَرِ إِلَيْهِمْ ؛ وَالْمُرَادُ بِمُلَازَمَتِهِمْ : إِتْيَانُهُمْ بِهَا فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهِمْ، فَلَا يَضُرُّهُمْ تَرْكُهُمْ لَهَا مَرَّةً بِعُذْرٍ ، سَوَاءٌ قَرَأَهَا الشَّخْصُ عِنْدَ نَوْمِهِ أَوْ قَبْلَهُ ؛ وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا سُورَةُ السَّجْدَةِ – **أَيْ** :

﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ [السجدة : ١] – ، وَقِيلَ : ﴿ حمٓ ۝١ ﴾ ؛ وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَوْلَى كَذَلِكَ .

وَكَذَا مَنْ قَرَأَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ... ﴾ [الإخلاص : ١] ، وَمَرِيضُ الْبَطْنِ ، لِمَا وَرَدَ :

« مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ » .

وَالْمَيِّتُ بِالطَّاعُونِ أَوْ بِغَيْرِهِ فِي زَمَنِهِ ، وَهُوَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ ؛ وَالْغَرِيقُ ، وَالْمَيِّتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَتَدْخُلُ بِزَوَالِ الْخَمِيسِ وَلَوْ لَمْ يُدْفَنْ إِلَّا يَوْمَ السَّبْتِ أَوْ يَوْمَهَا ؛ وَالْمُلَقَّنُ ، لِأَنَّ فِي حَدِيثِ التَّلْقِينِ أَنَّ الْمَلَكَيْنِ يَقُولَانِ : « مَا يُقْعِدُنَا عِنْدَ هَذَا وَقَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ ؟! » . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الَّذِي لَا يُسْئَلُ أَصْلًا هُوَ شَهِيدُ الْحَرْبِ ؛ وَأَمَّا الْبَاقِي فَيُسْئَلُونَ سُؤَالًا خَفِيفًا ؛ وَبَعْضُهُمْ أَبْقَى الْعِبَارَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا .

٣٣٩ – ... ... وَعَـــــــــذَابِ الْقَـــــــبْرِ ... ...

(الْعَاشِرُ) :

جَزَمَ السُّيُوطِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَنَّ السُّؤَالَ خَاصٌّ بِالْمُكَلَّفِينَ دُونَ الْأَطْفَالِ . وَهُوَ الظَّاهِرُ .

وَالظَّاهِرُ أَيْضًا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يُسْئَلُونَ ؛ وَأَمَّا الْجِنُّ ، فَجَزَمُ السُّيُوطِيُّ أَيْضًا بِسُؤَالِهِمْ ، لِتَكْلِيفِهِمْ ، وَعُمُومِ أَدِلَّةِ السُّؤَالِ لَهُمْ .

(الْحَادِي عَشَرَ) :

حِكْمَةُ السُّؤَالِ : إِظْهَارُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مَا كَتَمَهُ الْعِبَادُ فِي الدُّنْيَا مِنْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ ، أَوْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ ؛ فَيُبَاهِي اللهُ تَعَالَى بِالْمُؤْمِنِينَ الْمَلَائِكَةَ ، وَيَفْضَحُ غَيْرَهُمْ – وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى — عِنْدَهُمْ .

((**وَعَذَابِ**)) الْمَيِّتِ أَوْ نَعِيمِهِ فِي ((**الْقَبْرِ**)) .

أَمَّا عَذَابُهُ : فَلِحَدِيثِ : « عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ » . رَوَاهُ الشَّيْخَانِ .

وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر : ٤٦] **أَيْ** : فِي الْبَرْزَخِ ، بِدَلِيلِ :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ... ﴾ [غافر : ٤٦] الْآيَةَ ؛ وَوَرَدَ تَفْسِيرُ ﴿ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] بِعَذَابِ الْقَبْرِ فِي حَدِيثِ الْبَزَّارِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا ، وَالطَّبَرَانِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا؛ وَرَوَى الشَّيْخَانِ حَدِيثَ : « أَنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » .

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ حَدِيثَ : « تَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ ، فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ » .

ثُمَّ قِيلَ : عَذَابُ الْقَبْرِ لِلرُّوحِ فَقَطْ . وَأَكْثَرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّهُ لِلْبَدَنِ وَالرُّوحِ . قَالَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ .

وَهَلْ هُوَ بَعْدَ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ بِجُمْلَتِهِ ؟ وَعَلَيْهِ الْحَلِيمِيُّ ؛ أَوْ بَعْدَ إِحْيَاءِ أَقَلِّ جُزْءٍ تَحِلُّهُ الْحَيَاةُ وَالْعَقْلُ ؟ وَعَلَيْهِ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَابْنُ حَزْمٍ .

اِهـ مِنَ ابْنِ كِيرَانَ .

وَعِبَارَةُ عَبْدِ السَّلَامِ :

« وَمَحَلُّهُ الْبَدَنُ وَالرُّوحُ جَمِيعًا – بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَقِّ – بَعْدَ إِعَادَةِ الرُّوحِ إِلَيْهِ ، أَوْ إِلَى جُزْءٍ مِنْهُ ، إِنْ قُلْنَا إِنَّ الْمُعَذَّبَ بَعْضُ الْجَسَدِ ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ كَوْنُ الْمَيِّتِ قَدْ تَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ ، أَوْ أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ ، أَوْ حِيتَانُ الْبَحْرِ ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ » . اِنْتَهَتْ .

قَالَ الْمُحَقِّقُ الْأَمِيرُ :

« قَوْلُهُ : " بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَقِّ " . وَلَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ أَنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ، فَإِنَّهُ تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْكُفَّارِ بِظَاهِرِ حَالِ الْمَيِّتِ .

وَلَا قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الدخان : ٥٦] فَإِنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ ، فَإِنَّهُ اقْتِصَارٌ عَلَى مَا يُشَاهِدُهُ الْمُخَاطَبُونَ فِي أَهْوَالِ السَّكَرَاتِ .

وَلَا : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٨] ، وَ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر : ١١] ، فَإِنَّهُ لَا حَصْرَ فِيهِ، مَعَ أَنَّ الِاسْتِدْلَالَ فِي الْأُولَى يُنَاسِبُ مَا شُوهِدَ ، مَعَ إِمْكَانِ الِالْتِفَاتِ لِمُطْلَقِ التَّعَدُّدِ ، عَلَى حَدِّ : ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ [الملك : ٤] .

وَقَدْ كَثُرَتْ أَدِلَّةُ حَيَاةِ الْقَبْرِ وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ عَذَابِهِ .

قَوْلُهُ : " بَعْدَ إِعَادَةِ الرُّوحِ " . قَالَ السَّعْدُ فِي شَرْحِ [مَقَاصِدِهِ] : " وَأَمَّا مَا يَقُولُ بِهِ الصَّالِحِيَّةُ وَالْكَرَّامِيَّةُ مِنْ جَوَازِ التَّعْذِيبِ بِدُونِ الْحَيَاةِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ شَرْطًا لِلْإِدْرَاكِ " ؛ وَابْنُ الرَّاوِنْدِيِّ : " مِنْ أَنَّ الْحَيَاةَ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ مَيِّتٍ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ ضِدًّا لِلْحَيَاةِ ، بَلْ هُوَ آفَةٌ كُلِّيَّةٌ مُعْجِزَةٌ عَنِ الْأَفْعَالِ الِاخْتِيَارِيَّةِ ، غَيْرُ مُنَافِيَةٍ لِلْعِلْمِ " ؛ فَبَاطِلٌ ، لَا أَصْلَ لَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ » .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

إِنَّمَا أَضَافَ الْمُصَنِّفُ الْعَذَابَ لِلْقَبْرِ ، لِكَوْنِهِ الْغَالِبَ ، وَإِلَّا، فَكُلُّ مَيِّتٍ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى تَعْذِيبَهُ عُذِّبَ ، قُبِرَ أَوْ لَمْ يُقْبَرْ؛ وَلَوْ صُلِبَ ، أَوْ غَرِقَ فِي بَحْرٍ ، أَوْ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ ، أَوْ حُرِقَ حَتَّى صَارَ رَمَادًا وَذُرِّيَ فِي الرِّيحِ .

أَوْ يُقَالُ : قَبْرُ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِهِ ؛ وَلَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ كَوْنُ الْمَيِّتِ تَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ .

(الثَّانِي) :

عَذَابُ الْقَبْرِ يَكُونُ لِلْكُفَّارِ ، وَالْمُنَافِقِينَ ، وَعُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَكِنْ يَدُومُ عَلَى الْأَوَّلَيْنِ ، وَيَنْقَطِعُ عَنْ بَعْضِ عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ مَنْ خَفَّتْ جَرَائِمُهُمْ مِنَ الْعُصَاةِ، فَإِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِحَسَبِهَا، وَقَدْ يُرْفَعُ عَنْهُمْ بِدُعَاءٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ؛ وَمَنْ لَا يُسْئَلُ فِي قَبْرِهِ لَا يُعَذَّبُ فِيهِ أَيْضًا .

وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ :

مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَابْنُ مَاجَهْ :

« عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : " يُسَلِّطُ اللهُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ تِنِّينًا ، تَنْهَشُهُ وَتَلْدَغُهُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ؛ لَوْ أَنَّ تِنِّينًا مِنْهَا نَفَخَ

عَلَى الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ خَضْرَاءَ » .

قِيلَ : وَالْحِكْمَةُ فِي هَذَا الْعَدَدِ : أَنَّهُ كَفَرَ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى الْحُسْنَى ، وَهِيَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ .

(الثَّالِثُ) :

مِنْ عَذَابِهِ أَيْضًا : ضَغْطَتُهُ ، وَهِيَ الْتِقَاءُ حَافَّتَيْهِ ، وَوَرَدَ أَنَّ الْأَرْضَ تَضُمُّهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا ، سَوَاءٌ كَانَ صَالِحًا أَوْ طَالِحًا ، إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ ، وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ؛ وَلَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، الَّذِي اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِهِ .

وَأَمَّا نَعِيمُهُ :

فَلِمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي بَلَغَتْ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ ؛ وَلَا يَخْتَصُّ أَيْضًا بِمَنْ قُبِرَ – وَالْمُنَعَّمُ أَيْضًا الْبَدَنُ وَالرُّوحُ — وَلَا بِمَوْتَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا بِالْمُكَلَّفِينَ .

وَمِنْ نَعِيمِهِ : تَوْسِعَتُهُ سَبْعِينَ ذِرَاعًا عَرْضًا ، وَكَذَا طُولًا .

وَمِنْهُ أَيْضًا : فَتْحُ طَاقَةٍ فِيهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَامْتِلَاؤُهُ بِالرَّيْحَانِ ، وَجَعْلُهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَجَعْلُ قِنْدِيلٍ فِيهِ ، فَيُنَوِّرُ لَهُ قَبْرَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ .

أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « تَعَلَّمِ الْخَيْرَ وَعَلِّمْهُ النَّاسَ ، فَإِنِّي مُنَوِّرٌ لِمُعَلِّمِ الْعِلْمِ وَمُتَعَلِّمِهِ قُبُورَهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَوْحِشُوا لِمَكَانِهِمْ » .

وَعَنْ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ — مَرْفُوعًا : « مَنْ نَوَّرَ فِي مَسَاجِدِ اللهِ ، نَوَّرَ اللهُ لَهُ فِي قَبْرِهِ » .

وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ .

((وَالْبَعْثِ)) أَيِ : الْإِحْيَاءِ وَالسَّوْقِ ((**لِلْأَبْدَانِ**)) الْمَيِّتَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج : ٧] ((**يَوْمَ الْحَشْرِ**)) **أَيِ**: الْجَمْعِ لِلْحِسَابِ . ابْنُ كِيرَانَ .

وَالْبَعْثُ لُغَةً : التَّحْرِيكُ وَالْإِنْهَاضُ .

وَشَرْعًا : إِحْيَاءُ الْمَوْتَى لِلْجَزَاءِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج : ٧] .

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ ﴾ [المدثر : ٨] ، **قَالَ** : « هُوَ الصُّورُ ،

وَ﴿ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ ﴾ [النازعات : ٦] النَّفْخَةُ الْأُولَى ، وَ﴿ ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ ﴾ [النازعات : ٧] الثَّانِيَةُ » .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَاضِعًا سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ فَيَنْفُخُ ؟! ... » الْحَدِيثَ .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ ، وَمَالِكٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ :

« مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ؛ قِيلَ : أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَبَيْتُ ؛ قِيلَ : شَهْرًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ؛ قِيلَ : سَنَةً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ؛ ثُمَّ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، مِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وَعَجْبُ الذَّنَبِ عَظْمٌ مُسْتَدِيرٌ فِي أَصْلِ الْعَجُزِ.

وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُبْعَثُ ، وَأَوَّلُ وَارِدٍ الْمَحْشَرَ ، كَمَا أَنَّهُ أَوَّلُ دَاخِلٍ الْجَنَّةَ ، وَبَعْدَهُ سَيِّدُنَا نُوحٌ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – كَمَا وَرَدَ ، لَكِنْ وَرَدَ أَنَّ بَعْدَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ؛ وَحَمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنَّهُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ .

وَمَرَاتِبُ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ مُتَفَاوِتَةٌ :

فَمِنْهُمُ الرَّاكِبُ ، وَهُوَ الْمُتَّقِي .

وَمِنْهُمُ الْمَاشِي عَلَى رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ قَلِيلُ الْعَمَلِ .

وَمِنْهُمُ الْمَاشِي عَلَى وَجْهِهِ ، وَهُوَ الْكَافِرُ .

[تَنْبِيهَانِ]

(**الْأَوَّلُ**) :

هَذَا الْحَشْرُ الْمَذْكُورُ هُنَا أَحَدُ أَنْوَاعِ الْحَشْرِ مِنْ حَيْثُ هُوَ .

ثَانِيهَا : صَرْفُ النَّاسِ مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ .

وَهَذَانِ النَّوْعَانِ فِي الْآخِرَةِ.

ثَالِثُهَا : إِخْرَاجُ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى الشَّأْمِ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الحشر : ٢] .

رَابِعُهَا : سَوْقُ النَّارِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ عَدَنٍ بِالْيَمَنِ لِلْكُفَّارِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ قُرْبَ قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَى الْمَحْشَرِ ، فَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا ، فَتَدُورُ الدُّنْيَا كُلَّهَا ، وَتَطِيرُ وَلَهَا دَوِيٌّ كَدَوِيِّ الرَّعْدِ الْقَاصِفِ .

وَحِكْمَتُهَا : الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهَا مُرْسَلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى ، وَانْسَاقَ مَعَهَا سَلِمَ مِنْهَا ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ أَحْرَقَتْهُ وَأَكَلَتْهُ ؛ وَبَعْدَ سَوْقِهَا لَهُمْ إِلَى الْمَحْشَرِ يَمُوتُونَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى بَعْدَ مُدَّةٍ ؛ وَهَذَانِ النَّوْعَانِ فِي الدُّنْيَا .

فَأَنْوَاعُ الْحَشْرِ أَرْبَعَةٌ ، وَجَعَلَهَا الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ كَثِيرَةً جِدًّا ، وَعَدَّ مِنْهَا حَشْرَ الذَّرِّ يَوْمَ :

.. ..

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وَغَيْرَ ذَلِكَ .

أُنْظُرِ [الْيَوَاقِيتَ] لِلشَّعْرَانِيِّ.

وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى » . ثُمَّ يُؤْمَرُ إِسْرَافِيلُ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، اِثْنَتَانِ مِنْهَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي أَوَّلِ الْآخِرَةِ ، فَيُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ نَفْخَةَ الْفَزَعِ وَيُدِيمَهَا وَيُطَوِّلَهَا ، فَلَا يَبْرَحُ كَذَا عَامًا ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل : ٨٧] ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ ... ﴾ [يس : ٤٩] الْآيَةَ ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ص : ١٥] ؛ وَهَذِهِ هِيَ النَّفْخَةُ الْأُولَى ، وَعِنْدَهَا أَهْوَالٌ كَثِيرَةٌ لِلْأَحْيَاءِ لَا لِلْأَمْوَاتِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِهَا .

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ نَفْخَةَ الصَّعْقِ ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨] فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : « يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، مَنْ بَقِيَ مِنْ خَلْقِي ؟ – وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ – فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، بَقِيَ جِبْرِيلُ ، وَمِيكَائِيلُ ، وَإِسْرَافِيلُ ، وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ ، وَأَنَا . فَيَأْمُرُهُ اللهُ بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ ؛ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ أَعْلَمُ ، بَقِيَ عَبْدُكَ الضَّعِيفُ مَلَكُ الْمَوْتِ ؛ فَيَقُولُ : أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلِي : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت : ٥٧] ؟ فَمُتْ ، فَيَمُوتُ » .

فَإِذَا عَمَّ عِبَادَ اللهِ الْفَنَاءُ ، وَاسْتَوَى فِيهِ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَنْ فِي السَّمَاءِ ، نَظَرَ اللهُ تَعَالَى إِلَى سَمَائِهِ وَهِيَ خَالِيَةٌ مِنْ سُكَّانِهَا ، وَإِلَى الْأَرْضِ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، فَيُنَادِي : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر : ١٦] ؟ ثَلَاثًا ، فَلَا سَامِعَ يَسْمَعُ ، وَلَا مُجِيبَ يَتَكَلَّمُ ؛ فَيُجِيبُ – جَلَّ وَعَلَا – نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ : الْمُلْكُ ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر : ١٦] » . هَكَذَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ.

فَإِذَا مَضَى بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ عَامًا ، يُنْزِلُ اللهُ تَعَالَى مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ ، يُقَالُ لَهُ :

" مَاءُ الْحَيَاةِ " ، فَتُمْطِرُ السَّمَاءُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، حَتَّى يَكُونَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِ النَّاسِ قَدْرَ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ الْأَجْسَادَ فَتَنْبُتُ مِنْ عَجْبِ الذَّنَبِ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ .

قَالَ كَعْبٌ : وَيَأْمُرُ اللهُ الْأَرْضَ وَالْبِحَارَ وَالطُّيُورَ وَالسِّبَاعَ بِرَدِّ مَا أَكَلَتْ مِنْ أَجْسَادِهَا ، حَتَّى الشَّعْرَةَ الْوَاحِدَةَ ، فَتَتَكَامَلُ أَجْسَامُهُمْ ؛ وَتَأْكُلُ الْأَرْضُ ابْنَ آدَمَ ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ ، فَإِنَّهُ يَبْقَى ، وَيَنْشَأُ الْخَلْقُ مِنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ ؛ فَإِذَا تَكَامَلَتْ وَرَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ يُحْيِي اللهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ أَوَّلًا ، لِيَنْفُخَ النَّفْخَةَ الثَّالِثَةَ ، نَفْخَةَ الْبَعْثِ ، فَيَأْخُذُ الصُّورَ – وَهُوَ قَرْنٌ مِنْ نُورٍ – ثُمَّ يَدْعُو اللهُ تَعَالَى الْأَرْوَاحَ وَيُلْقِيهَا فِي الصُّورِ ، وَيَأْمُرُ بِالنَّفْخِ فِيهِ ، فَتَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ مِثْلَ النَّحْلِ فِي الْخُرُوجِ وَهَيْئَتِهِ ، لَا فِي الصُّورَةِ ، لِأَنَّ رُوحَ كُلِّ شَخْصٍ عَلَى صُورَتِهِ ، فَتَمْشِي فِي الْأَجْسَادِ مَشْيَ السُّمِّ مِنَ اللَّدِيغِ ؛ ثُمَّ يُحْيِي رُؤَسَاءَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ أَهْلَ الْأَرْضِ؛ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ – كَمَا تَقَدَّمَ – نَبِيُّنَا صَلَّى

٣٤٠ – بِعَيْنِهَـــــا لَا مِثْلِهَـــــا إِجْمَاعَـــــا ... وَالِاخْـــــتِلَافُ بَعْـــــدَ هَـــــذَا شَـــــاعَا

٣٤١ – هَـــلْ ذَاكَ عَـــنْ تَفْرِيـــقٍ تِلْـــكَ الْأَجْـــزَا ... أَوْ عَـــــدَمٍ مَحْـــــضٍ إِلَيْهَـــــا يُعْـــــزَى ؟

٣٤٢ – لَكِـــــنَّ هَـــــذَا بِاعْتِبَـــــارِ مَـــــا وَرَدْ ... وَالْكُـــــلُّ فِي الْجَـــــوَازِ بِالْعَقْـــــلِ اطَّـــــرَدْ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ بَقِيَّةُ الْخَلَائِقِ ، فَيَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَنفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ ، وَقَدْ عَقَدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ .

(**الثَّانِي**) :

الْبَعْثُ عِبَارَةٌ عَنْ : إِحْيَاءِ اللهِ تَعَالَى الْمَوْتَى وَإِخْرَاجُهُ لَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ ، بَعْدَ جَمْعِهِ – تَعَالَى – الْأَجْزَاءَ الْأَصْلِيَّةَ ، وَهِيَ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا الْبَقَاءُ مِنْ أَوَّلِ الْعُمُرِ إِلَى آخِرِهِ ، وَلَوْ قُطِعَتْ قَبْلَ مَوْتِهِ ؛ بِخِلَافِ الَّتِي لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا الْبَقَاءُ ، كَالظُّفُرِ .

وَالْحَشْرُ عِبَارَةٌ عَنْ : سَوْقِهِمْ جَمِيعًا إِلَى الْمَوْقِفِ – وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَقِفُونَ فِيهِ مِنْ أَرْضِ الْقُدْسِ الْمُبَدَّلَةِ ، الَّتِي لَمْ يُعْصَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا – لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ .

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ يُجَازَى – وَهُمُ الْمَلَكُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ – وَبَيْنَ مَنْ لَا يُجَازَى – كَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ – عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ .

وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُحْشَرُ إِلَّا مَنْ يُجَازَى ؛ وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الْكَامِلِ ، وَأَمَّا السَّقْطُ – وَهُوَ الَّذِي لَمْ تَتِمَّ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ – فَإِنْ أُلْقِيَ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ ، أُعِيدَ بِرُوحِهِ ، وَيَصِيرُ عِنْدَ دُخُولِهِ الْجَنَّةَ كَأَهْلِهَا فِي الْجَمَالِ وَالطُّولِ ؛ وَإِنْ أُلْقِيَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ ، كَانَ كَسَائِرِ الْأَجْسَامِ الَّتِي لَا رُوحَ فِيهَا ، كَالْحَجَرِ ، فَيُحْشَرُ ثُمَّ يَصِيرُ تُرَابًا حَالَ كَوْنِ الْأَبْدَانِ :

((**بِعَيْنِهَا**)) الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا ((**لَا مِثْلِهَا**)) .

وَالْإِلْزَامُ : أَنَّ الْمُثَابَ أَوِ الْمُعَذَّبَ غَيْرُ الَّذِي أَطَاعَ أَوْ عَصَى . وَهُوَ بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَالْمَبْعُوثُ عَيْنُ هَذَا الْبَدَنِ لَا مِثْلِهِ إِجْمَاعًا، كَمَا فِي [الْكُبْرَى] ؛ وَحَكَى ابْنُ عَطِيَّةَ عَنْ بَعْضِ الْأُصُولِيِّينَ أَنَّهُ جَوَّزَ كَوْنَ الْبَعْثِ لِغَيْرِ هَذِهِ الْأَجْسَادِ . **قَالَ** : وَهَذَا – عِنْدِي – خِلَافٌ لِظَاهِرِ كِتَابِ اللهِ ؛ وَلَوْ كَانَتْ غَيْرَهَا فَكَيْفَ كَانَتْ تَشْهَدُ الْجُلُودُ وَالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ ؟! » . اهـ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **جُلُودًا غَيْرَهَا** ﴾ [النساء : ٥٦] **فَقِيلَ** : الْغَيْرِيَّةُ بِاعْتِبَارِ اخْتِلَافِ الزَّمَانِ .

وَتَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ مَا نَقَلَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ عَنْ بَعْضِ الْأُصُولِيِّينَ بِأَنَّ مُرَادَهُ : الْقَدْرُ الزَّائِدُ عَلَى الْبَدَنِ الْمُفَارِقِ لِلدُّنْيَا ، لِأَنَّهُ وَرَدَ أَنَّ الْكَافِرَ يَكُونُ ضِرْسُهُ فِي النَّارِ كَجَبَلِ أُحُدٍ ؛ وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ ، سِتِّينَ ذِرَاعًا .

٣٤٣ ـ وَاسْتُثْنِ مِنْ ذَا الْخُلْفِ عَجْبُ الذَّنَبِ   وَمَا أَتَتْ فِيهِ النُّصُوصُ كَالنَّبِي

وَهَذَا أَيْضًا هُوَ الْمُرَادُ مِمَّا يُعْزَى لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْغَزَّالِيِّ وَعِزِّ الدِّينِ ؛ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى هَذَا ((**إِجْمَاعًا**

وَالِاخْتِلَافُ)) بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ((**بَعْدَ هَذَا**)) صِلَةُ ((**شَاعَا**)) أَلِفُهُ لِلْإِطْلَاقِ .

وَبَيَّنَ الِاخْتِلَافَ الْحَاصِلَ – بَعْدَ الْإِجْمَاعِ عَلَى بَعْثِ الْأَبْدَانِ بِأَعْيَانِهَا – بِقَوْلِهِ ، فَاخْتُلِفَ فِي جَوَابِ : ((**هَلْ ذَاكَ**))

أَيْ : بَعْثُ الْأَبْدَانِ بِأَعْيَانِهَا يَحْصُلُ ((**عَنْ تَفْرِيقِ تِلْكَ الْأَجْزَا**)) لِلْأَبْدَانِ ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى فِيهَا جَوْهَرَانِ فَرْدَانِ عَلَى الِاتِّصَالِ ((**أَوْ**)) يَحْصُلُ بِعْدَ ((**عَدَمٍ**)) لِلْأَبْدَانِ ((**مَحْضٍ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ؛ **أَيْ** : خَالِصٍ عَنْ شَائِبَةِ الْوُجُودِ ((**إِلَيْهَا**)) **أَيِ** : الْأَبْدَانِ ؛ صِلَةُ ((**يُعْزَى**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الزَّايِ ؛ **أَيْ** : يُنْسَبُ ؛ وَالْجُمْلَةُ نَعْتٌ ثَانٍ لِـ ((**عَدَمٍ**)) .

((**لَكِنَّ**)) بِتَشْدِيدِ النُّونِ ((**هَذَا**)) **أَيِ** : الِاخْتِلَافَ فِي كَوْنِ إِعَادَةِ عَيْنِ الْأَبْدَانِ عَنْ تَفْرِيقٍ أَوْ عَدَمٍ ((**بِاعْتِبَارِ**

مَا)) **أَيِ** : الْحَدِيثِ الَّذِي ((**وَرَدْ**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ وَالرَّاءِ ؛ **أَيْ** : رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((**وَالْكُلُّ**)) **أَيْ** : وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ كَوْنِ الْإِعَادَةِ عَنْ تَفْرِيقٍ ، وَكَوْنِهَا عَنْ عَدَمٍ ((**فِي الْجَوَازِ**)) صِلَةُ ((**اطَّرَدْ**

بِالْعَقْلِ)) . وَخَبَرُ ((**الْكُلُّ**)) : ((**اطَّرَدْ**)) .

وَالْمَعْنَى : أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا جَائِزٌ عَقْلًا .

((**وَاسْتُثْنِ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ((**مِنْ**)) هـ ((**ـذَا الْخُلْفِ**)) **أَيِ** : الْخِلَافِ . وَنَائِبُ فَاعِلِ " اسْتُثْنِيَ " : ((**عَجْبُ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْجِيمِ ، فَمُوَحَّدَةٍ ، مُضَافٌ إِلَى ((**الذَّنَبِ**)) بِفَتْحِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَالنُّونِ ، فَمُوَحَّدَةٍ ؛ وَمَعْنَى الْمُرَكَّبِ الْإِضَافِيِّ : عُظَيْمٌ دَقِيقٌ كَالْأَرُزَّةِ فِي آخِرِ سِلْسِلَةِ الظَّهْرِ فِي الْعُصْعُصِ ، خَاصٌّ بِالْإِنْسَانِ ، كَمَغْرِزِ الذَّنَبِ لِلدَّابَّةِ – بِكَسْرِ الرَّاءِ ، مِنْ بَابِ " ضَرَبَ " – فَإِنَّهُ لَا يَنْعَدِمُ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ ، وَهُوَ :

« لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، مِنْهُ خَلْقُ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَفِي [مُسْلِمٍ] :

« كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ ، مِنْهُ خُلِقَ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ » .

وَفِي حَدِيثِهِ الْآخَرِ : « إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا » .

[تَنْبِيهَانِ]

(**الْأَوَّلُ**) :

مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ عَجْبَ الذَّنَبِ لَا يَنْعَدِمُ ، هُوَ الْأَقْوَى فِي النَّظَرِ ؛ وَصَحَّحَ الْإِمَامُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْمُزَنِيُّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ يَنْعَدِمُ ، تَمَسُّكًا بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٢٦] ، وَوَافَقَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ ، وَقَالَ : إِنَّهُ آخِرُ

٣٤٤ - وَاخْتَلَفُوا فِي عَوْدِ وَقْتٍ وَعَرَضْ ... وَبَعْضُهُمْ إِعَادَةَ الْوَقْتِ اعْتَرَضْ

٣٤٥ - بِقَوْلِهِ - جَلَّ - : جُلُودًا غَيْرَهَا ... فَارْكَبْ مَطَايَا الْبَحْثِ وَاعْرِفْ سَيْرَهَا

٣٤٦ - فَلَيْسَ إِلَّا الْغَيْرُ بِالْأَزْمَانِ ... لِلْمَنْعِ مِنْ غَيْرِيَّةِ الْأَبْدَانِ

مَا يَبْلَى مِنَ الْمَيِّتِ . أَوِ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ –كَمَا فِي ابْنِ كِيرَانَ – أَنَّهُ لَا يَبْلَى بِالتُّرَابِ ، بَلْ بِلَا تُرَابٍ ، كَمَوْتِ مَلَكِ الْمَوْتِ بِلَا مَلَكِ الْمَوْتِ .

(**الثَّانِي**) :

أُخْتُلِفَ ، هَلْ بَقَاءُ عَجْبِ الذَّنَبِ تَعَبُّدِيٌّ أَوْ مُعَلَّلٌ ؟ .

وَالْأَرْجَحُ : أَنَّهُ تَعَبُّدِيٌّ ، لِضَعْفِ مَا عَلَّلَ بِهِ الْقَائِلُ بِأَنَّهُ مُعَلَّلٌ ، فَإِنَّهُ عَلَّلَهُ بِجَوَازِ كَوْنِهِ جُعِلَ عَلَامَةً لِلْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْإِعَادَةِ عَلَى إِحْيَاءِ كُلِّ شَخْصٍ بِجَوَاهِرِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا .

وَوَجْهُ ضَعْفِهِ : أَنَّ الْمَلَائِكَةَ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ هَذَا الْأَمْرُ ، مَعَ أَنَّهُمْ يُعِيدُونَ كُلَّ شَخْصٍ بِجَوَاهِرِهِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى ، عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ اللَّبْسُ فِيهِ نَفْسِهِ .

((**وَ**)) اسْتُثْنِيَ مِنَ الْخِلَافِ أَيْضًا ((**مَا**)) **أَيِ** : الْبَدَنُ الَّذِي ((**أَتَتْ**)) **أَيْ** : رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**فِيهِ النُّصُوصُ**)) **أَيِ** : الْأَحَادِيثُ الْمُصَرِّحَةُ بِأَنَّهُ لَا يَفْنَى ، وَذَلِكَ ((**كَالنَّبِي**)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ ، وَالْعُلَمَاءِ ، وَالْمُؤَذِّنِينَ ، وَالشُّهَدَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَالْعَرْشِ ، وَالْكُرْسِيِّ ، وَالْجَنَّةِ ، وَالنَّارِ ، وَالرُّوحِ ، وَالْحُورِ الْعِينِ ... وَنَحْوِ ذَلِكَ .

((**وَاخْتَلَفُوا**)) **أَيِ** : الْعُلَمَاءُ ((**فِي عَوْدِ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ؛ **أَيْ** : إِعَادَةِ ((**وَقْتٍ**)) عَلَى قَوْلَيْنِ ، أَرْجَحُهُمَا : أَنَّهُ يُعَادُ جَمِيعُ أَزْمِنَةِ الْأَبْدَانِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا ، لِتَشْهَدَ لَهَا وَعَلَيْهَا بِمَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي .

وَمُقَابِلُهُ : اِمْتِنَاعُ إِعَادَتِهِ ، لِاجْتِمَاعِ الْمُتَنَافِيَاتِ ، كَالْمَاضِي ، وَالْحَالِ ، وَالِاسْتِقْبَالِ .

وَأَجَابَ الْقَائِلُ بِالْأَوَّلِ : بِأَنَّ إِعَادَتَهُ لَيْسَتْ دَفْعِيَّةً ، بَلْ عَلَى التَّدْرِيجِ ، حَسْبَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا ، لَكِنْ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ .

((**وَ**)) فِي عَوْدِ ((**عَرَضْ**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالرَّاءِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ . عَلَى قَوْلَيْنِ أَيْضًا :

فَالَّذِي مَالَ إِلَيْهِ إِمَامُنَا الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ : أَنَّهُ يُعَادُ بِشَخْصِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا قَائِمًا بِالْجِسْمِ حَالَ الْحَيَاةِ حِينَ إِعَادَةِ الْجِسْمِ ؛ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعَرَضِ الَّذِي يَطُولُ بَقَاؤُهُ ، كَالْبَيَاضِ ، وَبَيْنَ غَيْرِهِ ، كَالصَّوْتِ ؛ وَلَا بَيْنَ مَا هُوَ مَقْدُورٌ لِلْعَبْدِ ، كَالضَّرْبِ ، وَبَيْنَ غَيْرِهِ ، كَالْعِلْمِ .

وَلَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ إِعَادَتُهُ بِالتَّلَبُّسِ بِهِ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا ، بَلْ مَا كَانَ مُلَازِمًا لِلذَّاتِ –كَالْبَيَاضِ وَالطُّولِ – فَإِنَّهُ يُعَادُ مُتَعَلِّقًا بِهَا ؛ وَمَا كَانَ غَيْرَهُ –كَضَرْبٍ، وَكُفْرٍ ، وَسَائِرِ الْمَعَاصِي ؛ وَصَلَاةٍ ، وَصَوْمٍ ، وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ – فَإِنَّهُ يُعَادُ

٣٤٧ – فَبَـــــانَ أَنَّ الْوَقْـــــتَ لَا يُعَـــــادُ مِـــــنْ ذَلِـــكَ الْحَصْـــرِ الَّـــذِي يُفَـــادُ

مُصَوَّرًا بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ إِنْ كَانَ طَاعَةً ، وَبِصُورَةٍ قَبِيحَةٍ إِنْ كَانَ سَيِّئَةً .

هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ ، وَالتَّفْوِيضُ أَحْسَنُ .

فَإِنْ قِيلَ : يَلْزَمُ – عَلَى ذَلِكَ – اجْتِمَاعُ الْمُتَنَافِيَاتِ ، كَالطُّولِ وَالْقِصَرِ ، وَالْكِبَرِ وَالصِّغَرِ؟ ! .

أُجِيب : بِأَنَّ إِعَادَتَهُ لَيْسَتْ دَفْعِيَّةً ، بَلْ تَدْرِيجِيَّةً حَسْبَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا ؛ لَكِنْ يَمُرُّ جَمِيعُ الْأَعْرَاضِ كَلَمْحِ الْبَصَرِ ، وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وَمُقَابِلُهُ : اِمْتِنَاعُ إِعَادَتِهِ مُطْلَقًا، فَيُوجَدُ الْجِسْمُ بِعَرَضٍ آخَرَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَكُّ عَقْلًا عَنْ عَرَضٍ .

وَهُوَ مَذْهَبُ بَعْضِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَيْضًا .

((**وَبَعْضُهُمْ**)) **أَي** : الْعُلَمَاءِ ، وَهُوَ الْإِمَامُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ ((**إِعَادَةَ**)) مَفْعُولُ ((**اعْتَرَضْ**)) وَمُضَافٌ إِلَى ((**الْوَقْتِ**)) . وَخَبَرُ ((**بَعْضُهُمْ**)) : ((**اعْتَرَضْ .. بِقَوْلِهِ**)) **أَي** : اللهِ ((**جَلَّ**)) وَعَزَّ . وَمَفْعُولُ ((**ـقَوْلِ**)) الْمُضَافِ لِفَاعِلِهِ كَلِمَةُ : ﴿ نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ ((**جُلُودًا غَيْرَهَا**))﴾ **أَي** : الزَّمَانُ الَّذِي فِيهِ تُعَادُ غَيْرُ الزَّمَنِ الَّذِي مَضَى فِي الدُّنْيَا .

((**فَارْكَبْ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**مَطَايَا الْبَحْثِ**)) **أَي** : التَّحْقِيقِ . وَإِضَافَتُهُ مِنْ إِضَافَةِ الْمُشَبَّهِ بِهِ إِلَى الْمُشَبَّهِ . ((**وَاعْرِفْ سَيْرَهَا**)) وَإِلَّا ضَلَلْتَ فِي الْمَفَازَةِ ((**فَلَيْسَ**)) ثَابِتًا ((**إِلَّا الْغَيْرُ بِالْأَزْمَانِ لِلْمَنْعِ**)) **أَي** : الِاسْتِحَالَةِ ((**مِنْ غَيْرِيَّةِ الْأَبْدَانِ**)) لِاسْتِلْزَامِهَا مُجَازَاةَ غَيْرِ الْعَامِلِ فِي الدُّنْيَا بِالثَّوَابِ أَوِ الْعَذَابِ ؛ وَاللَّازِمُ – وَهُوَ مُجَازَاةُ غَيْرِ الْعَامِلِ – مَمْنُوعٌ ، فَمَلْزُومُهُ – وَهُوَ غَيْرِيَّتُهَا – مَمْنُوعٌ ؛ فَثَبَتَ نَقِيضُهُ ، وَهُوَ إِعَادَتُهَا بِعَيْنِهَا ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

((**فَبَانَ**)) **أَيْ** : ظَهَرَ ((**أَنَّ الْوَقْتَ لَا يُعَادُ**)) فِي الْآخِرَةِ . وَصِلَةُ ((**ـبَانَ**)) : ((**مِنْ ذَلِكَ الْحَصْرِ**)) الْمُتَقَدِّمِ فِي قَوْلِنَا : ((**فَلَيْسَ إِلَّا الْغَيْرُ بِالْأَزْمَانِ**)) . ((**الَّذِي يُفَادُ**)) بِفَاءٍ ، بِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء : ٥٦] .

[قَالَ] ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي [سِرَاجِ الْمُرِيدِينَ] :

« لَمْ يَرِدْ فِي إِعَادَةِ الزَّمَانِ نَصٌّ ؛ وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْءَانِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَقْتَ لَا يُعَادُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء : ٥٦] ؛ فَالْغَيْرِيَّةُ غَيْرِيَّةُ الزَّمَانِ ، لَا غَيْرِيَّةُ الْجُلُودِ ، لِأَنَّ الْجُلُودَ الَّتِي عَصَتْ هِيَ الَّتِي تُعَادُ بِعَيْنِهَا إِذَا عُدِمَتْ أَوْ تَفَرَّقَتْ » . اهـ .

**** **** **** ****

[فَصْلٌ فِي الْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ]

[فَصْلٌ فِي] بَيَانِ **[الْحِسَابِ]** عَلَى الْأَعْمَالِ ، خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا ، قَوْلًا كَانَتْ أَوْ فِعْلًا ، تَفْصِيلًا بَعْدَ أَخْذِ كُتُبِهَا ، وَهَذَا يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، إِنْسًا وَجِنًّا ، إِلَّا مَنِ اسْتُثْنِيَ مِنْهُمْ ، فَفِي الْحَدِيثِ :

« يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ ؛ فَقِيلَ لَهُ : هَلَّا اسْتَزَدتَّ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ : اِسْتَزَدْتُّهُ فَزَادَنِي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ » . أَوْ كَمَا وَرَدَ .

وَالثَّلَاثُ حَثَيَاتٍ ثَلَاثُ دُفُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عَدَدٍ ؛ فَهَؤُلَاءِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَكُونُ أَدْنَى إِلَى الرَّحْمَةِ ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ ؛ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ مَنْ يَكُونُ أَدْنَى إِلَى الْغَضَبِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ .

١ – فَطَائِفَةٌ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛

٢ – وَطَائِفَةٌ تَدْخُلُ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛

٣ – وَطَائِفَةٌ تُوقَفُ لِلْحِسَابِ .

فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ النُّصُوصِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

الْحِسَابُ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ... ﴾ [الحاقة : ١٩] الْآيَةَ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [البقرة : ٢٠٢] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية : ٢٥ - ٢٦] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة : ١٨] .

وَالسُّنَّةِ :

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا » .

وَالْإِجْمَاعِ :

فَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ .

(الثَّانِي) :

الْحِسَابُ لُغَةً : الْعَدُّ . وَاصْطِلَاحًا : تَوْقِيفُ اللهِ الْعِبَادَ – قَبْلَ انْصِرَافِهِمْ مِنَ الْمَحْشَرِ – عَلَى أَعْمَالِهِمْ مُطْلَقًا – أَيْ : يُكَلِّمُهُمْ فِي شَأْنِهَا – وَكَيْفِيَّةِ مَا لَهَا مِنَ الثَّوَابِ ، وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الْعِقَابِ ؛ **أَيْ** : يَرْفَعُ عَنْهُمُ الْحِجَابَ وَيُسْمِعُهُمُ كَلَامَهُ الْقَدِيمَ ؛ أَوْ صَوْتًا يَدُلُّ عَلَيْهِ ، يَخْلُقُهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي أُذُنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ ، أَوْ فِي مَحَلٍّ

يَقْرُبُ مِنْ أُذُنِهِ ، بِحَيْثُ لَا تَبْلُغُ قُوَّةُ ذَلِكَ الصَّوْتِ مَنْعَ الْغَيْرِ مِنْ سَمَاعِ مَا كُلِّفَ بِهِ . وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ .

وَتَتَّسِعُ قُدْرَتُهُ تَعَالَى لِمُحَاسَبَتِهِمْ مَعًا، كَمَا تَتَّسِعُ لِإِحْدَاثِهِمْ مَعًا ، وَلَا يَشْغَلُهُ تَعَالَى مُحَاسَبَةُ أَحَدٍ عَنْ أَحَدٍ ، حَتَّى إِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرَى أَنَّهُ الْمُحَاسَبُ وَحْدَهُ .

رُوِيَ أَنَّهُ يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ فِي قَدْرِ حَلْبِ شَاةٍ أَوْ نَاقَةٍ . وَقَالَ الْحَسَنُ : حِسَابُهُ أَسْرَعُ مِنْ لَمْحَةِ الْبَصَرِ . وَقِيلَ : يَخْلُقُ اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمْ عُلُومًا ضَرُورِيَّةً بِمَقَادِيرِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ . قَالَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ .

وَقِيلَ : يُوقِفُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيُؤْتِيهِمْ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ ، فِيهَا سَيِّئَاتُهُمْ وَحَسَنَاتُهُمْ ، فَيَقُولُ : " هَذِهِ سَيِّئَاتُكُمْ، وَقَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْهَا ، وَهَذِهِ حَسَنَاتُكُمْ ، وَقَدْ ضَاعَفْتُهَا لَكُمْ " .

وَهَذَا الْقَوْلُ نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، وَفِيهِ قُصُورٌ ، لِأَنَّ الْحِسَابَ غَيْرُ قَاصِرٍ عَلَى هَذَا الْمِقْدَارِ ؛ وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْكَافِرَ يُنْكِرُ ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَوَارِحُهُ .

(**الثَّالِثُ**) :

أَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ؛ وَكَيْفِيَّتُهُ مُخْتَلِفَةٌ ، فَمِنْهُ الْيَسِيرُ ، وَالْعَسِيرُ ، وَالسِّرُّ ، وَالْجَهْرُ ، وَالتَّوْبِيخُ ، وَالْفَضْلُ ، وَالْعَدْلُ ، عَلَى حَسَبِ الْأَعْمَالِ ، ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

(**الرَّابِعُ**) :

حِكْمَتُهُ : إِظْهَارُ تَفَاوُتِ الْمَرَاتِبِ فِي الْكَمَالِ ، وَفَضَائِحِ أَصْحَابِ النَّقْصِ ، زِيَادَةً فِي اللَّذَّاتِ وَالْآلَامِ ، فَفِيهِ تَرْغِيبٌ فِي الْحَسَنَاتِ وَزَجْرٌ عَنِ السَّيِّئَاتِ .

[وَالْمِيزَانِ] لِلْأَعْمَالِ ، سَوَاءٌ كَانَتْ صَادِرَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مِنَ الْكُفَّارِ .

فَإِنْ قُلْتَ : وَزْنُ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ ظَاهِرٌ ، لِأَنَّ لَهُمْ حَسَنَاتٌ تُقَابِلُ سَيِّئَاتِهِمْ ؛ وَأَمَّا وَزْنُ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ فَلَا يَظْهَرُ ، لِأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ حَسَنَاتٌ تُقَابِلُ سَيِّئَاتِهِمْ ! .

قُلْتُ : قَدْ يُوجَدُ مِنْهُمْ أَعْمَالٌ لَا تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا عَلَى نِيَّتِهَا، كَصِلَةِ رَحِمٍ ، وَعِتْقٍ ؛ فَتُجْعَلُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ فِي مُقَابَلَةِ غَيْرِ الْكُفْرِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ ؛ وَأَمَّا الْكُفْرُ – وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى – فَلَا فَائِدَةَ فِي وَزْنِهِ ، لِأَنَّ عَذَابَهُ مُسْتَمِرٌّ ؛ وَصَرَّحَ الْقُرْطُبِيُّ بِوَزْنِهِ ، فَقَالَ : « تُجْمَعُ هَذِهِ الْأُمُورُ وَتُوضَعُ فِي مِيزَانِهِ فَيَرْجُحُ الْكُفْرُ بِهَا . فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ تَقُولُ بِوَزْنِ أَعْمَالِهِمْ مَعَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف : ١٠٥] ؟ **قُلْتُ** : مَعْنَاهُ : لَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا نَافِعًا ، فَالْآيَةُ عَلَى تَقْدِيرِ صِفَةٍ ؛ أَوِ الْمَنْفِيُّ : إِقَامَةُ الْوَزْنِ لَهُمْ لَا عَلَيْهِمْ » .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

الدَّلِيلُ عَلَى الْمِيزَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ... ﴾ [المؤمنون : ١٠٢] إلخ ، وَالْجَمْعُ لِلتَّعْظِيمِ ، لِأَنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّهُ وَاحِدٌ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ وَلِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ ؛ وَأَخَذَ الْحَسَنُ بِظَاهِرِ الْجَمْعِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَالَ : لِكُلِّ أَحَدٍ مِيزَانٌ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : النَّاسُ مُجْمِعُونَ عَلَى خِلَافِهِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَحَدٍ وَزْنٌ وَالْمِيزَانُ وَاحِدٌ ؛ وَقِيلَ : لِكُلِّ عَامِلٍ مَوَازِينُ ، يُوزَنُ بِكُلٍّ مِنْهَا صِنْفٌ مِنْ عَمَلِهِ .

(الثَّانِي) :

الْمِيزَانُ لَهُ قَصَبَةٌ وَعَمُودٌ وَكِفَّتَانِ ، كِفَّةٌ مِنْ نُورٍ لِلْحَسَنَاتِ ، وَكِفَّةٌ مِنْ ظُلْمَةٍ لِلسَّيِّئَاتِ ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَوْسَعُ مِنْ طِبَاقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ وَكِفَّةُ الْحَسَنَاتِ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مُقَابِلَ الْجَنَّةِ ، وَكِفَّةُ السَّيِّئَاتِ عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ مُقَابِلَ النَّارِ ؛ يَزِنُ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى الصِّرَاطِ – وَقِيلَ قَبْلَهُ – فَيَأْخُذُ بِعَمُودِهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى لِسَانِهِ ، وَمِيكَائِيلُ أَمِينٌ عَلَيْهِ ؛ وَخِفَّةُ الْمَوْزُونِ وَثِقَلِهِ عَلَى صُورَتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَقِيلَ : عَلَى عَكْسِ صُورَتِهِ فِيهَا ؛ فَالثَّقِيلُ يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى ، وَالْخَفِيفُ يَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] .

(الثَّالِثُ) :

مَكَانُ الْوَزْنِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَوَقْتُهُ بَعْدَ الْحِسَابِ ، لِأَنَّهُ لِلْجَزَاءِ ، فَالْمُحَاسَبَةُ لِتَقْدِيرِ الْأَعْمَالِ ، وَالْوَزْنُ لِإِظْهَارِ مَقَادِيرِهَا ، لِيَكُونَ الْجَزَاءُ بِحَسَبِهَا ، وَلَا يَكُونُ فِي حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ ، لِحَدِيثِ : « يَا مُحَمَّدُ ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ » .

وَأَحْرَى الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَكَذَا لَا يَكُونُ لِلْمَلَائِكَةِ ، لِأَنَّهُ فَرْعٌ عَنِ الْحِسَابِ ، وَعَنْ كِتَابَةِ الْأَعْمَالِ ، خَصُوصًا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الصُّحُفَ هِيَ الَّتِي تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ .

(الرَّابِعُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَالْحِكْمَةُ فِي الْوَزْنِ – مَعَ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ – أَنْ يَظْهَرَ لِلْعَبْدِ حَالُهُ ؛ فَيَكُونُ الثِّقَلُ أَمَارَةً لِعَدَمِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ إِنْ قُلْنَا إِنَّ الْإِيمَانَ يُوزَنُ ؛ أَوْ أَمَارَةً عَلَى الْعَفْوِ إِنْ قُلْنَا إِنَّ الْمَوزُونَ غَيْرُهُ ؛ وَعَلَيْهِ ، فَقَدْ يُثْقِلُ اللهُ الْحَسَنَةَ الْوَاحِدَةَ عَلَى مِلْءِ الْأَرِضِ كَبَائِرَ إِذَا أَرَادَ الْفَضْلَ ؛ وَقَدْ يُرَجِّحُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً عَلَى مِلْءِ الْأَرِضِ حَسَنَاتٍ إِذَا أَرَادَ الْعَدْلَ ؛ وَيُوقِفُ ثَوَابَ تِلْكَ الْحَسَنَاتِ إِلَى فَرَاغِ نُفُوذِ الْوَعِيدِ ، وَلَا تَسْقُطُ بِمَا قَابَلَهَا أَوْ غَلَبَهَا كَمَا يَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ ؛ وَلِهَذَا أُمِرَ الْمُؤْمِنُ أَنْ لَا يَحْتَقِرَ طَاعَةً ، إِذْ لَعَلَّ رِضَاهُ تَعَالَى فِيهَا ، وَلَا مَعْصِيَةً ، إِذْ لَعَلَّ سَخَطَهُ فِيهَا .

أَوْ أَنْ يَعْرِفَ الْعَبْدُ مَقَادِيرَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، فَإِنَّهُ بِالْحِسَابِ يَعْرِفُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ ، ثُمَّ بِنَشْرِ الصُّحُفِ يَعْلَمُ الْمَقْبُولَ وَالْمَرْدُودَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، وَالْمَغْفُورَ وَالْمُؤَاخَذَ بِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ ؛ ثُمَّ بِالْوَزْنِ يَعْلَمُ مِقْدَارَ ثَوَابِ الْمَقْبُولِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، وَمِقْدَارَ عِقَابِ الْمُؤَاخَذِ بِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ . قَالَهُ ابْنُ دِهَاقٍ .

وَفِيهِ : أَنَّهُ مُنَافٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ ... ﴾ [الانشقاق : ٧ – ٨] إلخ ، الْمُقْتَضِي تَقَدُّمَ إِيتَاءِ الصُّحُفِ عَلَى الْحِسَابِ ، أَوْ إِظْهَارَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ لِعَامَّةِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ ، زِيَادَةً فِي الْمَسَرَّةِ وَالْإِسَاءَةِ .

فِي [تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ] :

" عَنْ أَنَسٍ : أَنَّ مَلَكًا يُوَكَّلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمِيزَانِ ابْنِ آدَمَ ، فَإِنْ ثَقُلَ نَادَى بِصَوْتٍ يُسْمِعُ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ : أَلَا سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا ؛ وَإِنْ خَفَّ نَادَى : أَلَا شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبَدًا .

أَوْ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، إِظْهَارًا لِكَمَالِ الْعَدْلِ ، نَظِيرَ مَا قِيلَ فِي نَسْخِ الْأَعْمَالِ مَعَ عِلْمِهِ بِهَا » . اهـ .

(الْخَامِسُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَأَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ الْمِيزَانَ ، وَقَالُوا : هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدْلِ . قَالَ الزَّجَّاجُ : فَخَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ » . اِنْتَهَى .

[وَالصِّرَاطِ] هُوَ لُغَةً : الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ ، مَأْخُوذٌ مِنْ "صَرَطَهُ، يَصْرُطُهُ " إِذَا ابْتَلَعَهُ ، لِابْتِلَاعِهِ الْمَارَّةَ .

وَشَرْعًا : جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ يَرِدُهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ حَتَّى الْكُفَّارُ ، خِلَافًا لِلْحَلِيمِيِّ ، حَيْثُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَمُرُّونَ عَلَيْهِ ؛ وَلَعَلَّ مُرَادَهُ الطَّائِفَةُ الَّتِي تُرْمَى مِنَ الْمَوْقِفِ فِي جَهَنَّمَ مِنْ غَيْرِ مُرُورٍ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهَا – أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا – بَيْنَ الْمَوْقِفِ وَالْجَنَّةِ ، فَأَوَّلُهُ فِي الْمَوْقِفِ، وَآخِرُهُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، وَكُلُّ الْخَلْقِ سَاكِتُونَ حَالَ مُرُورِهِمْ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ ، فَيَقُولُونَ : « اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » كَمَا فِي الصَّحِيحِ ؛ وَفِي التِّرْمِذِيِّ : « شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ : رَبِّ سَلِّمْ » .

وَلِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا : « وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى جَنْبَيْهِ يَقُولُونَ : رَبِّ سَلِّمْ رَبِّ سَلِّمْ » .

فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْكُلَّ يَقُولُ ذَلِكَ ؛ وَطُولُهُ ثَلَاثَةُ آلَافِ سَنَةٍ ، أَلْفٌ صُعُودٌ ، وَأَلْفٌ هُبُوطٌ ، وَأَلْفٌ اسْتِوَاءٌ؛ وَفِي رِوَايَةٍ : « خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفِ سَنَةٍ ، خَمْسَةُ آلَافٍ صُعُودٌ ، وَخَمْسَةُ آلَافٍ هُبُوطٌ ، وَخَمْسَةُ آلَافٍ اسْتِوَاءٌ » .

وَفِي كَلَامِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ مَا يُفِيدُ عَدَمَ التَّعْوِيلِ عَلَى ظَاهِرِ هَذِهِ الْآلَافِ ، مَعَ أَنَّ مَآلَهُ الِامْتِدَادُ لِلْعُلُوِّ حَتَّى يُوَصِّلَ لِلْجَنَّةِ ، فَإِنَّهَا عَالِيَةٌ جِدًّا ؛ وَأَفَادَ الْعَارِفُ الشَّعْرَانِيُّ أَنَّهُ لَا يُوصَلُ لَهَا حَقِيقَةً ، بَلْ يُوصَلُ لِمَرَجِهَا الَّذِي فِيهِ الدَّرَجُ الْمُوَصِّلُ لَهَا .

قَالَ : وَيُوضَعُ لَهُمْ هُنَاكَ مَائِدَةٌ . قَالَ : وَيَقُومُ أَحَدُهُمْ فَيَتَنَاوَلُ مِمَّا تَدَلَّى هُنَاكَ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ؛ وَجِبْرِيلُ أَوَّلَهُ ، وَمِيكَائِيلُ وَسَطَهُ ، يَسْأَلَانِ النَّاسَ عَنْ عُمُرِهِمْ فِيمَا أَفْنَوْهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِمْ فِيمَا أَبْلَوْهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِمْ مَاذَا عَمِلُوا بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِمْ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبُوهُ وَأَيْنَ أَنْفَقُوهُ ؛ وَالْمَلَائِكَةُ صَافُّونَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، يَخْطِفُونَهُمْ بِالْكَلَالِيبِ فِي حَافَّتَيْهِ ، وَهِيَ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا تُصَوَّرُ بِصُورَةِ كَلَالِيبَ مِثْلِ شَوْكِ السَّعْدَانِ . نَبْتٌ مَعْرُوفٌ .

٣٤٨ – وَهَكَذَا الْحِسَابُ وَالْمِيزَانُ ... مِمَّا بِهِ قَدْ وَجَبَ الْإِيمَانُ

٣٤٩ – وَتُوزَنُ الصُّحْفُ بِلَا إِشْكَالِ ... وَقِيلَ: بَلْ أَمْثِلَةُ الْأَعْمَالِ

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

الدَّلِيلُ عَلَيْهِ : الْكِتَابُ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ [يس : ٦٦] .

وَالسُّنَّةُ : قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِيِّ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ » .

وَاتِّفَاقُ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ ، **أَيْ** : بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ إِبْقَائِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَصَرْفِهِ عَنْهُ ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ كَثِيرٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ طَرِيقُ الْجَنَّةِ وَطَرِيقُ النَّارِ ؛ وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهِ : الْأَدِلَّةُ الْوَاضِحَةُ .

(**الثَّانِي**) :

أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ – وَلَوِ السَّبْعُونَ أَلْفًا – ثُمَّ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأُمَّتُهُ ، ثُمَّ سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأُمَّتُهُ ... وَهَكَذَا ، يُدْعَوْنَ نَبِيًّا نَبِيًّا ، وَأُمَّةً أُمَّةً ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ سَيِّدَنَا نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأُمَّتُهُ ؛ وَكُلُّ أُمَّةٍ خَلَصَتْ تَلْقَاهَا الْمَلَائِكَةُ تَدُلُّهَا عَلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ .

(**الثَّالِثُ**) :

الْحِكْمَةُ فِيهِ : التَّحَسُّرُ لِلْكُفَّارِ بِفَوْزِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ اشْتِرَاكِهِمْ فِي الْعُبُورِ ، لِأَنَّ الصَّحِيحَ مُرُورُهُمْ عَلَيْهِ ؛ وَإِظْهَارُ النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَظِيمِ فَضْلِهِ تَعَالَى .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **[فَائِدَةٌ]** : عَلَى قَدْرِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمَعْنَوِيِّ الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِآيَةِ : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [الفاتحة : ٦] **أَيِ** : الدِّينَ الْحَقَّ ؛ يَكُونُ الثَّبَاتُ وَالنَّجَاةُ عَلَى الصِّرَاطِ الْحِسِّيِّ ؛ وَمَنْ زَاغَ عَنِ الشَّرِيعَةِ هُنَا ، زَلَّتْ قَدَمُهُ هُنَالِكَ » . اِهـ .

((**وَهَكَذَا**)) **أَيِ** : الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ السُّؤَالِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَالْبَعْثِ ، فِي أَنَّهُ يَقَعُ يَقِينًا بِلَا شَكٍّ

((**الْحِسَابُ وَالْمِيزَانُ**)) وَنَحْوُهُمَا ((**مِمَّا بِهِ**)) صِلَةُ ((**الْإِيمَانُ**)) . ((**قَدْ**)) لِلتَّحْقِيقِ ((**وَجَبَ**)) شَرْعًا وُجُوبَ الْأُصُولِ . وَفَاعِلُ ((**وَجَبَ**)) : ((**الْإِيمَانُ**)) **أَيِ** : التَّصْدِيقُ.

((**وَتُوزَنُ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَفَتْحِ الزَّايِ ((**الصُّحْفُ**)) بِضَمِّ الصَّادِ ، وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ الْمَكْتُوبُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ .

وَهَذَا الَّذِي رَجَّحَهُ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ .

((**بِلَا إِشْكَالِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ((**وَقِيلَ : بَلْ**)) الَّذِي يُوزَنُ ((**أَمْثِلَةُ الْأَعْمَالِ**)) وَهَذَا الَّذِي رَجَّحَهُ الْإِمَامُ الطَّبَرِيُّ

وَغَيْرُهُ .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« ثُمَّ الَّذِي رَجَّحَهُ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّ الْمَوْزُونَ صُحُفُ الْأَعْمَالِ ، لِحَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ – وَحَسَّنَهُ – وَالْحَاكِمِ – وَصَحَّحَهُ – عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ — رَفَعَهُ :

" إِنَّ اللهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ ، فَيَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ؛ فَيَقُولُ : أَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ؛ فَيَقُولُ : أَلَكَ حَسَنَةٌ ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ ؛ فَيَقُولُ: بَلَى ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ ؛ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ ، فِيهَا :

(أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) ؛ فَيَقُولُ : أَحْضِرْ وَزْنَكَ ؛ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟! فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ؛ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ » . اهـ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ : أَنَّ ثِقَلَ الْمِيزَانِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّ كِفَّةَ الثِّقَلِ تُرْفَعُ إِلَى فَوْق .

وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَوْزُونَ الْأَعْمَالُ نَفْسُهَا ، بِأَنْ تُجَسَّمَ الطَّاعَاتُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، وَالسَّيِّئَاتُ فِي صُورَةٍ قَبِيحَةٍ ، لِظَاهِرِ حَدِيثِ [مُسْلِمٍ] : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ … » الْحَدِيثَ .

وَحَدِيثِ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ : « بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ ! : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدُهُ » .

وَحَدِيثِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ : « لَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ » .

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمَوْزُونَ الْعَامِلُونَ ، لِظَاهِرِ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ : « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ » .

وَفِي لَفْظٍ : « يَأْتِي الرَّجُلُ الْأَكُولُ الشَّرُوبُ الْعَظِيمُ ، فَيُوزَنُ بِحَبَّةٍ فَلَا يَزِنُهَا » .

وَحَدِيثِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ : « أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَجْنِي سِوَاكًا ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تُلْقِيهِ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ ؛ فَقَالَ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ قَالُوا : مِنْ حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ ؛ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ : " بِأَنْ تُجَسَّمَ الطَّاعَاتُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ " . **أَيْ** : نُورَانِيَّةٍ ، ثُمَّ تُطْرَحُ فِي كِفَّةِ النُّورِ ، وَهِيَ الْيُمْنَى الْمُعَدَّةُ لِلْحَسَنَاتِ .

وَقَوْلُهُ : " وَالسَّيِّئَاتُ فِي صُورَةٍ قَبِيحَةٍ " . **أَيْ** : ظُلْمَانِيَّةٍ ، ثُمَّ تُطْرَحُ فِي كِفَّةِ الظُّلْمَةِ ، وَهِيَ الشِّمَالُ الْمُعَدَّةُ لِلسَّيِّئَاتِ ، فَتَخِفُّ ؛ وَهَذَا فِي الْمُؤْمِنِ .

وَأَمَّا الْكَافِرُ : فَتَخِفُّ حَسَنَاتُهُ ، وَتَثْقُلُ سَيِّئَاتُهُ ، بِعَدْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قَالَ اللهُ تَعَالَى :

٣٥٠ – وَالْأَخْـذُ لِلْكُتْـبِ بِـهِ الـنَّصُّ أَتَـى وَالْخُلْـفُ فِي الْعَاصِـي لَـدَيْهِمْ ثَبَتَـا

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ ... ﴾ [المؤمنون : ١٠٣] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ ...تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٥] .

وَلَا يَرِدُ : أَنَّ فِي ذَلِكَ قَلْبُ الْحَقَائِقِ ، وَهُوَ مَمْنُوعٌ ، لِأَنَّ امْتِنَاعَهُ مُخْتَصٌّ بِقَلْبِ أَقْسَامِ الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ .

وَأَمَّا انْقِلَابُ الْمَعْنَى جِرْمًا ، فَلَا يَمْتَنِعُ ؛ وَقِيلَ : يَخْلُقُ اللهُ أَجْسَامًا عَلَى عَدَدِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ ، مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ لَهَا .

((**وَالْأَخْذُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ((**لِلْكُتْبِ**)) الَّتِي كَتَبَتْ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ مَا فَعَلَهُ الْعِبَادُ فِي الدُّنْيَا – بِضَمِّ الْكَافِ ، وَسُكُونِ التَّاءِ ، جَمْعُ "كِتَابٍ" – بِيَمِينِ الْمُؤْمِنِ ، وَشِمَالِ الْكَافِرِ .

((**بِهِ**)) **أَيْ** : أَخْذِ الْكُتُبِ . صِلَةُ ((**أَتَى**)) .

((**النَّصُّ**)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَإِهْمَالِ الصَّادِ ؛ **أَيِ** : الْقُرْءَانُ : ﴿ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة : ١٩ - ٢٧] ، **فَيَقُولُ الْأَوَّلُ** لِأَهْلِ الْمَحْشَرِ فَرَحًا :

﴿ هَآؤُمُ ﴾ [الحاقة : ١٩] **أَيْ** : خُذُوا . فَهُوَ اسْمُ فِعْلٍ لِجَمَاعَةِ الذُّكُورِ . ﴿ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ ﴾ [الحاقة : ١٩ – ٢٠] **أَيْ** : عَلِمْتُ . لِأَنَّهُ جَازِمٌ . ﴿ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة : ٢٠] .

وَيَقُولُ الثَّانِي – لِمَا يَرَى مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ – : ﴿ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا ﴾ [الحاقة : ٢٥ - ٢٧] أَيِ : الْمَوْتَةَ الَّتِي مَاتَهَا ﴿ كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحاقة : ٢٧] **أَيِ** : الْقَاطِعَةَ لِأَمْرِهِ فَلَمْ يُبْعَثْ بَعْدَهَا .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق : ٧ – ١٢] .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ {مَا} فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، إِذِ الْكَافِرُ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ، وَمِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ ، لِمَا وَرَدَ أَنَّهُ : " تُغَلُّ يُمْنَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَتُلْوَى يُسْرَاهُ إِلَى خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيُعْطَى كِتَابَهُ ". **وَقِيلَ** : " تُدْخَلُ يُسْرَاهُ مِنْ صَدْرِهِ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَيُعْطَى

٣٥١ – هَـــلْ بِيَمِـــينٍ أَوْ بِشِـــمَالٍ يُعْطَـــى كِتَابَـــهُ ؟ وَمَـــنْ يَقِـــفْ مَـــا أَخْطَـــا

٣٥٢ – إِذْ لَمْ يَـــرِدْ فِيـــهِ صَـــرِيحٌ يُعْمَـــلُ عَلَيْـــهِ ، وَالْـــوَارِدُ فِيـــهِ مُجْمَـــلُ

كِتَابَهُ ".

وَاخْتُلِفَ فِي الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي : هَلْ يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، أَوْ بِشِمَالِهِ ؟ ثَالِثُهَا : الْوَقْفُ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

[الإسراء : ١٣] الْآيَةَ .

وَأَمَّا الْحَدِيثُ :

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ كُلَّ يَوْمٍ صَحِيفَةٌ ، فَإِذَا طُوِيَتْ وَلَيْسَ فِيهَا اسْتِغْفَارٌ ، طُوِيَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، وَإِذَا طُوِيَتْ وَفِيهَا اسْتِغْفَارٌ، طُوِيَتْ وَلَهَا نُورٌ يَتَلَأْلَأُ » .

((**أَتَى**)) وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ فَقَدْ كَفَرَ ((**وَالْخُلْفُ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، فَفَاءٍ ؛ **أَيِ** : اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ ((**فِي**)) أَخْذِ الْمُؤْمِنِ ((**الْعَاصِي**)) كِتَابَهُ ((**لَدَيْهِمْ**)) صِلَةُ ((**ثَبَتَا**)) **أَيِ** : الْخُلْفُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ . وَالْأَلِفُ لِلْإِطْلَاقِ ؛ فِي جَوَابِ :

((**هَلْ بِيَمِينٍ**)) عَلَامَةٌ عَلَى عَدَمِ خُلُودِهِ فِي النَّارِ ؛ وَبِهِ جَزَمَ الْمَاوَرْدِيُّ وَقَالَ : إِنَّهُ الْمَشْهُورُ . ثُمَّ حَكَى الْقَوْلَ بِالْوَقْفِ ؛ قَالَ : « وَلَا قَائِلَ : إِنَّهُ يَأْخُذُهُ بِشِمَالِهِ » . ((**أَوْ بِشِمَالٍ**)) وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ جِدًّا .

وَقَوْلُهُ : ((**بِيَمِينٍ**)) صِلَةُ ((**يُعْطَى**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ الْعَاصِي ((**كِتَابَهُ ؟**)) قَبْلَ دُخُولِهِ النَّارَ ؛ **وَقِيلَ** : بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا ((**وَمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْعَالِمُ الَّذِي ((**يَقِفْ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : يَتَوَقَّفْ وَيَكُفَّ لِسَانَهُ عَنِ التَّكَلُّمِ فِي ذَلِكَ ((**مَا**)) نَافِيَةٌ ((**أَخْطَا**)) .

وَعَلَّلَ عَدَمَ خَطَئِهِ فَقَالَ : ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**لَمْ يَرِدْ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ((**فِي**)) أَخْذِ ((**ـهِ**)) بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ نَصٌّ ((**صَرِيحٌ يُعْمَلُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ ((**عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : النَّصِّ الصَّرِيحِ ((**وَالْوَارِدُ فِيهِ**)) **أَيْ** : أَخْذِ الْعَاصِي كِتَابَهُ ((**مُجْمَلُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ **أَيْ** : مُحْتَمِلٌ لِلْأَمْرَيْنِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾... ﴾ [الانشقاق : ٧] شَامِلٌ لِلْمُؤْمِنِ الصَّافِي ، وَالْمُؤْمِنِ الْمُخَلِّطِ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :
كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْخُذُ كِتَابَهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ – لِعِصْمَتِهِمْ – وَمَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَرَئِيسُهُمْ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ .

(الثَّانِي) :
إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ جُعِلَ كِتَابُهُ فِي خَزَانَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَإِذَا كَانَ النَّاسُ فِي الْمَوْقِفِ ، بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رِيحًا فَتُطَيِّرُهَا مِنْ تِلْكَ الْخَزَانَةِ ، وَتَلْزَمُهَا الْأَعْنَاقُ ، فَلَا يُخْطِئُ كِتَابٌ عُنُقَ صَاحِبِهِ ، ثُمَّ تُنَادِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ فَتَأْخُذُهَا مِنْ أَعْنَاقِهِمْ وَتُعْطِيهَا لَهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ ؛ وَإِذَا أَخَذَ الْمُؤْمِنُ كِتَابَهُ ، وَجَدَ حُرُوفَ كِتَابَتِهِ نَيِّرَةً أَوْ مُظْلِمَةً ، بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ الْحَسَنَةِ أَوِ الْقَبِيحَةِ ؛
وَإِذَا أَخَذَهُ الْكَافِرُ ، وَجَدَهَا مُظْلِمَةً .

وَأَوَّلُ خَطٍّ فِيهَا : ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء : ١٤] . فَإِذَا قَرَأَهُ الْمُؤْمِنُ ابْيَضَّ وَجْهُهُ ، كَمَا يَسْوَدُّ وَجْهُ الْكَافِرِ إِذَا قَرَأَهُ، بَلْ مِنَ الْكُفَّارِ مَنْ لَمْ يَقْرَأْهُ ، لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَبَائِحِ ، فَيَأْخُذُهُ – بِسَبَبِ ذَلِكَ – الدَّهْشَةُ وَالرُّعْبُ حَتَّى يَذْهَلَ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

(الثَّالِثُ) :
أَوَّلُ مَنْ يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ مُطْلَقًا : سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَلَهُ شُعَاعٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ ؛ وَبَعْدَهُ أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ .
وَأَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِشِمَالِهِ : أَخُوهُ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ بَادَرَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالْحَرْبِ يَوْمَ بَدْرٍ ؛ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهُ بِيَمِينِهِ ، فَيَجْذِبُهُ مَلَكٌ فَيَخْلَعُ يَدَهُ ، فَيَأْخُذُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ .

(الرَّابِعُ) :
كُلُّ أَحَدٍ يَقْرَأُ كِتَابَهُ – وَلَوْ كَانَ أُمِّيًّا – قِرَاءَةً حَقِيقِيَّةً عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ .

ثُمَّ الْقَارِءُونَ لَهُ قِسْمَانِ :
١ – قِسْمٌ يَكْتَفِي بِقِرَاءَةِ نَفْسِهِ ، كَالتَّابِعِينَ لِغَيْرِهِمْ فِي الْخَيْرِ .
٢ – وَقِسْمٌ لَا يَكْتَفِي بِهَا ، بَلْ يَدْعُو أَهْلَ حَاضِرَتِهِ لِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ ، إِعْجَابًا مِمَّا فِيهِ ، كَالرُّؤَسَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ .
وَقِيلَ : مَجَازِيَّةٌ عَنْ عِلْمِ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا لَهُ وَعَلَيْهِ .

٣٥٣ - وَكَالصِّــرَاطِ ذِي الْكَلَالِيــبِ وَمَــنْ أُنْقِــذَ مِنْــهُ فَهْــوَ بِــالْفَوْزِ قَمَــنْ

٣٥٤ - جِسْــرٌ عَلَــى مَــتْنِ جَهَــنَّمَ الَّــتِي يَهْــوِي بِهَــا مَــنْ رِجْلُــهُ قَــدْ زَلَّــتِ

٣٥٥ - وَمَــا يُقَــالُ : إِنَّــهُ أَرَقُّ مِــنْ شَــعَرٍ ؛ صَــدِّقْهُ فَهْــوَ حَــقُّ

٣٥٦ - وَفِي صَــحِيحِ مُسْــلِمٍ مَــا أَرْشَــدْ إِلَيْــهِ، وَالضَّــرِيرُ فِيــهِ أَنْشَــدْ

٣٥٧ - وَالــرَّبُّ لَا يُعْجِــزُهُ إِمْشَــاؤُهُمْ عَلَيْــهِ ، إِذْ لَمْ يُعْيِــهِ إِنْشَــاؤُهُمْ

٣٥٨ - تَبًّــا لِقَــوْمٍ أَلْحَــدُوا فِي أَمْــرِهِ مَــا قَــدَرُوا الْإِلَــهَ حَــقَّ قَــدْرِهِ

((**وَكَالصِّرَاطِ ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ ((**الْكَلَالِيبِ**)) جَمْعُ "كَلُّوبٍ" بِفَتْحِ الْكَافِ ، وَضَمِّ اللَّامِ الْمُثَقَّلَةِ ؛ **أَيِ** : الْمَخَاطِيفِ مِنَ الْحَدِيدِ الْمُعْوَجَّةِ الرَّأْسِ ((**وَمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**أُنْقِذَ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ، وَكَسْرِ الْقَافِ ،
وَفَتْحِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيِ** : نُجِّيَ ((**مِنْهُ**)) **أَيِ** : الصِّرَاطِ ((**فَهْوَ**)) **أَيِ** : الَّذِي أُنْقِذَ مِنَ الصِّرَاطِ ((**بِالْفَوْزِ**)) بِفَتْحِ الْفَاءِ ، وَإِعْجَامِ الزَّايِ ؛ الظَّفْرُ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ، وَالْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ ؛ صِلَةُ ((**قَمَنْ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْمِيمِ ؛ **أَيْ** : حَقِيقٌ .
وَالصِّرَاطُ : ((**جِسْرٌ**)) بِكَسْرِ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا وَسُكُونِ السِّينِ . مَمْدُودٌ ((**عَلَى مَتْنِ**)) **أَيْ** : أَعْلَى ((**جَهَنَّمَ**)) اللَّهُمَّ نَجِّنَا مِنْهَا بِفَضْلِكَ ((**الَّتِي يَهْوِي**)) **أَيْ** : يَسْقُطُ ((**بِهَا**)) **أَيْ** : جَهَنَّمَ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**رِجْلُهُ قَدْ زَلَّتِ**)) عَنِ الصِّرَاطِ .
((**وَمَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**يُقَالُ : إِنَّهُ**)) **أَيِ** : الصِّرَاطَ ((**أَرَقُّ مِنْ شَعَرٍ**)) بِفَتْحِ الشِّينِ وَالْعَيْنِ . وَخَبَرُ ((**مَا**)) جُمْلَةُ :

((**صَدِّقْهُ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : مَا يُقَالُ ((**فَهْوَ**)) **أَيْ** : مَا يُقَالُ ((**حَقُّ**)) **أَيْ** : ثَابِتٌ ((**وَفِي صَحِيحِ**)) الْإِمَامِ ((**مُسْلِمٍ**)) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((**مَا**)) **أَيْ** : حَدِيثٌ ((**أَرْشَدْ**)) **أَيْ** : هَدَى ((**إِلَيْهِ**)) **أَيْ** : مَا يُقَالُ : إِنَّهُ أَرَقُّ مِنْ شَعَرٍ ، وَأَحَدُّ مِنْ سَيْفٍ ؛ **وَنَصُّ الْحَدِيثِ** : « وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ ... » **ثُمَّ قَالَ** : « وَعَلَى جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ... » **ثُمَّ قَالَ** : « تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ... » **ثُمَّ قَالَ** : « ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ؛ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ : دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ ... » ثُمَّ قَالَ : « قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَرَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ » .

((**وَ**)) الْعَالِمُ الَّذِي لَقَبُهُ ((**الضَّرِيرُ**)) وَهُوَ يُوسُفُ ، أَوْ يَعْقُوبُ ، مِنْ أَشْيَاخِ الْقَاضِي عِيَاضٍ ((**فِيهِ**)) **أَيِ** : الصِّرَاطِ ؛ صِلَةُ ((**أَنْشَدْ**)) . ((**وَالرَّبُّ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَا يُعْجِزُهُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيِ** : الرَّبَّ ((**إِمْشَاؤُهُمْ**))

أَيْ : جَعْلُهُمْ مَاشِينَ ((**عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : الصِّرَاطِ الْأَرَقِّ مِنَ الشَّعْرَةِ، الْأَحَدِّ مِنَ السَّيْفِ ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**لَمْ يُعْيِهِ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : لَمْ يُتْعِبِ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**إِنْشَاؤُهُمْ**)) **أَيْ** : إِيجَادُهُمْ وَخَلْقُهُمْ مِنْ عَدَمٍ . ((**تَبًّا**)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ ، وَشَدِّ الْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيْ** : أَسْأَلُ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – هَلَاكًا ((**لِقَوْمٍ أَلْحَدُوا**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : غَيَّرُوا ((**فِي أَمْرِهِ**)) **أَيْ** : حُكْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَا**)) نَافِيَةٌ ((**قَدَرُوا**)) بِفَتْحِ الْقَافِ وَالدَّالِ مُخَفَّفًا ؛ **أَيْ** : عَظَّمُوا ((**الْإِلَهَ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**حَقَّ قَدْرِهِ**)) .

٣٥٩ - وَلِلْقَـــــــرَافِي هُنَـــــا كَـــــــلَامُ   مِـــــنْ أَجْلِـــــهِ نِـــــيطَ بِـــــهِ الْمَـــــلَامُ

((وَلِـ)) ـلْإِمَامِ الْكَبِيرِ شِهَابِ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ ا ((ـلْقَرَافِي)) نَسَبٌ لِلْقَرَافَةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْتِي مِنْ جِهَتِهَا ، أَصْلُهُ مِنَ " الْبَهْنَسَا " ، تُوُفِّيَ بِـ " دَيْرِ الطِّينِ " سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمَائَةٍ ، وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ ، وَكَانَ نَادِرَةَ الزَّمَانِ ، أَخَذَ عَنِ الْعِزِّ وَغَيْرِهِ .

((هُنَا كَلَامُ مِنْ أَجْلِهِ)) أَي : الْكَلَامُ ؛ صِلَةُ ((نِيطَ)) بِكَسْرِ النُّونِ ، وَإِهْمَالِ الطَّاءِ ؛ أَيْ : عُلِّقَ ((بِهِ)) أَي : الْقَرَافِيِّ .

وَنَائِبُ فَاعِلِ ((نِيطَ)) : ((الْمَلَامُ)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ؛ أَي : اللَّوْمُ .

قَالَ : « كَوْنُ الصِّرَاطِ أَرَقَّ مِنَ الشَّعْرَةِ ، لَمْ يَثْبُتْ بِدَلِيلٍ قَطْعِيٍّ ، بَلْ ظَاهِرُ الشَّرْعِ خِلَافُهُ ، وَأَنَّهُ عَرِيضٌ ، ذُو طَرِيقَيْنِ : يُمْنَى ، تُفْضِي إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَيُسْرَى ، إِلَى النَّارِ ؛ وَإِنَّ عَلَيْهِ كَلَالِيبَ وَحَسَكًا ، وَذَلِكَ كُلُّهُ يَنْفِي كَوْنَهُ أَرَقَّ مِنَ الشَّعْرَةِ » اهَـ .

[قَالَ] الْبَيْهَقِيُّ :

« لَمْ أَجِدْ كَوْنَهُ " أَرَقَّ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ " فِي الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ ، وَإِنَّمَا رُوِيَتْ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ » .

وَعِبَارَةُ ابْنِ كِيرَانَ :

« وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : " بَلَغَنِي أَنَّهُ أَرَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ " . وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ : " بَلَغَنَا أَنَّ الصِّرَاطَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ ، وَلِبَعْضِ النَّاسِ مِثْلُ الْوَادِي الْمُتَّسِعِ " . اهَـ .

وَقَالَ الْقَرَافِيُّ :

" لَمْ يَصِحَّ فِي الصِّرَاطِ – أَنَّهُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ – شَيْءٌ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ عَرِيضٌ ، وَفِيهِ طَرِيقَانِ : يُمْنَى ، وَيُسْرَى ؛ فَأَهْلُ السَّعَادَةِ يُسْلَكُ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ ذَاتَ الشِّمَالِ ؛ وَفِيهِ طَاقَاتٌ ، كُلُّ طَاقَةٍ تُنَفِّذُ لِطَبَقَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ " . اهَـ .

وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ نَاجِي بِحَدِيثِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ .

قَالَ زَرُّوقٌ : " لَكِنَّهُ – أَيْ : حَدِيثَ مُسْلِمٍ – أُعِلَّ بِالْإِرْسَالِ " .

وَقَالَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ الْأُجْهُورِيُّ :

" الظَّوَاهِرُ تَدُلُّ لِمَا قَالَهُ الْقَرَافِيُّ ، فَلَا يُعْدَلُ عَنْهَا ؛ مِنْهَا : حَدِيثُ : " إِنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ " . وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ". اهَـ .

٣٦٠ – وَالنَّـــــاسُ إِذْ ذَاكَ ذَوُوا أَحْـــــوَالِ   نَـــاجٍ سَـــرِيعًا أَوْ مَـــعَ الْأَهْـــوَالِ
٣٦١ – وَمِــــنْهُمُ الْمُوبَـــقُ وَالْمُخَـــرْدَلُ   مِمَّـــنْ بِـــهِ عَـــنِ الْجِنَـــانِ يُعْـــدَلُ
٣٦٢ – لِلنَّـــارِ ، وَهْـــيَ مَسْـــكَنُ الْكُفَّـــارِ   وَمَـــنْ أَبَى مِـــنْ طَاعَـــةِ الْغَفَّـــارِ

وَأَنْكَرَهُ أَكْثَرُ الْمُعْتَزِلَةِ رَأْسًا ؛ **قَالُوا** : لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْمُرُورُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَمْكَنَ فَهُوَ تَعْذِيبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .
قُلْنَا : اللهُ قَادِرٌ عَلَى إِجَازَتِهِمْ عَلَيْهِ وَتَسْهِيلِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَمُرُّونَ كَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَغَيْرِهِمَا ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ » . اِنْتَهَى .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : « إِنَّهُ يَدِقُّ وَيَتَّسِعُ بِحَسَبِ ضِيقِ النُّورِ وَانْتِشَارِهِ ، فَعَرْضُ صِرَاطِ كُلِّ أَحَدٍ بِقَدْرِ انْتِشَارِ نُورِهِ ، فَإِنَّ نُورَ كُلِّ إِنْسَانٍ لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَلَا يَمْشِي أَحَدٌ فِي نُورِ أَحَدٍ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ دَقِيقًا فِي حَقِّ قَوْمٍ ، وَعَرِيضًا فِي حَقِّ آخَرِينَ » . اِنْتَهَى.

((**وَالنَّاسُ إِذْ ذَاكَ**)) **أَيْ** : حِينَ الْمُرُورِ عَلَى الصِّرَاطِ ((**ذَوُوا**)) بِفَتْحِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ، وَضَمِّ الْوَاوِ ؛ **أَيْ** : أَصْحَابُ ((**أَحْوَالِ**)) مُخْتَلِفَةٍ فِي الْمُرُورِ ، بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمْ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْ حُرُمَاتِ اللهِ تَعَالَى ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَسْرَعَ إِعْرَاضًا عَمَّا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى ، كَانَ أَسْرَعَ مُرُورًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؛ فَمِنْهُمْ فَرِيقٌ ((**نَاجٍ**)) مِنَ الْوُقُوعِ فِي جَهَنَّمَ ، وَهُوَ السَّالِمُ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، الَّذِي خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِسَابِقَةِ الْحُسْنَى ، فَيَمُرُّ عَلَيْهِ مَرًّا ((**سَرِيعًا**)) كَالْبَرْقِ اللَّامِعِ ، أَوْ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ ، أَوْ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ ((**أَوْ**)) نَاجٍ ((**مَعَ الْأَهْوَالِ**)) مِنْ خَدْشِ الْكَلَالِيبِ ، وَالْحَسَكِ ، وَسَفْعِ النَّارِ ؛ وَهُوَ مَنْ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، وَلَكِنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ .
((**وَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ**)) بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيْ** : الْمُهْلَكُ بِعَمَلِهِ ؛ **وَهَذَا أَقْسَامٌ** :
١ – الْأَوَّلُ : يَهْوِي فِي النَّارِ عِنْدَمَا وَضَعَ قَدَمَهُ .
٢ – وَالثَّانِي : مَنْ يَنْخَرِقُ بِهِ الْجِسْرُ ، فَيَنْخَسِفُ بِهِ فِي النَّارِ .
٣ – الثَّالِثُ : مَنْ تَخْطِفُهُ الزَّبَانِيَةُ ، وَالْكَلَالِيبُ ، وَالْحَسَكُ .

((**وَ**)) مِنْهُمُ ((**الْمُخَرْدَلُ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ؛ أَوِ الْجِيمِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ .
وَمَعْنَاهُ عَلَى الْخَاءِ : الْمُقَطَّعُ كَالْخَرْدَلِ .
وَعَلَى الْجِيمِ : الْمُشْرِفُ عَلَى الْهَلَاكِ .
حَالَ كَوْنِهِ ((**مِمَّنْ**)) **أَيْ** : الْفَرِيقِ الَّذِي ((**بِهِ**)) صِلَةُ ((**يُعْدَلُ**)) . ((**عَنِ الْجِنَانِ**)) صِلَةُ ((**يُعْدَلُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ .
فِي الْحَدِيثِ : « فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُ كَطَرَفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرِّيحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ ؛ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » .

... ...

وَصِلَةُ ((يُعْدَلُ)) : ((لِلنَّارِ ، وَهْيَ)) أَيِ : النَّارُ ((مَسْكَنُ الْكُفَّارِ)) فِي الْآخِرَةِ ، مُخَلَّدُونَ فِيهَا ((وَ)) مَسْكَنُ ((مَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيِ : الْعَاصِي الَّذِي ((أَبَى)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْمُوَحَّدَةِ ؛ أَيِ : امْتَنَعَ ((مِنْ طَاعَةِ)) اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((الْغَفَّارِ)) أَيْ : كَثِيرِ الْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ ، الَّتِي بَيْنَهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَبَيْنَهُمْ ، إِلَّا الْإِشْرَاكَ ؛ لَكِنَّ الْعُصَاةَ لَا يُخَلَّدُونَ فِيهَا ، بَلْ يَمْكُثُونَ فِيهَا الْمُدَّةَ الَّتِي أَرَادَهَا اللهُ تَعَالَى لَهُمْ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا .

وَالْحَاصِلُ :

أَنَّ الْفَرِيقَ السَّالِمَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي النَّارِ قِسْمَانِ :

١ – قِسْمٌ نَاجٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا ؛ وَهَذَا هُوَ الْمُسْلِمُ الطَّائِعُ السَّالِمُ مِنَ السَّيِّئَاتِ .

٢ – وَقِسْمٌ نَاجٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا ، لَكِنْ يَحْصُلُ لَهُ أَهْوَالٌ ، كَخَدْشِ الْكَلَالِيبِ ؛ وَهَذَا بَعْضُ الْعُصَاةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ تَرَجَّحَتْ حَسَنَاتُهُمْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ .

وَالْفَرِيقُ الْغَيْرُ السَّالِمِ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا قِسْمَانِ أَيْضًا :

١ – الْكُفَّارُ ؛ وَهُمْ مُخَلَّدُونَ فِيهَا .

٢ – وَالْعُصَاةُ الَّذِينَ تَرَجَّحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ ؛ وَهُمْ غَيْرُ مُخَلَّدِينَ فِيهَا .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

طَبَقَاتُ النَّارِ سَبْعٌ :

١ – أَعْلَاهَا " جَهَنَّمُ " ، وَهِيَ لِمَنْ يُعَذَّبُ عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَصِيرُ خَرَابًا بِخُرُوجِهِمْ مِنْهَا .

٢ – وَتَحْتَهَا " لَظَى " ، وَهِيَ لِلْيَهُودِ .

٣ – ثُمَّ " الْحُطَمَةُ " ، وَهِيَ لِلنَّصَارَى .

٤ – ثُمَّ " السَّعِيرُ " ، وَهِيَ لِلصَّابِئِينَ ، وَهُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الْيَهُودِ .

٥ – ثُمَّ " سَقَرُ " ، وَهِيَ لِلْمَجُوسِ .

٦ – ثُمَّ " الْجَحِيمُ " ، وَهِيَ لِعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ .

٧ – ثُمَّ " الْهَاوِيَةُ " ، وَهِيَ لِلْمُنَافِقِينَ .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **قَالَ زَرُّوقٌ** : وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ قَاطِعٌ غَيْرُ ذِكْرِ الْأَسْمَاءِ ، **فَقِيلَ** : هِيَ طَبَقَاتٌ ؛ **وَقِيلَ** : اسْمٌ لِجُمْلَتِهَا ؛ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَوْقِيفٌ » . اهـ .

(**الثَّانِي**) :
ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ أَنَّ نَارَ الدُّنْيَا مَا أَخْرَجَهَا اللهُ إِلَى النَّاسِ مِنْ جَهَنَّمَ حَتَّى غُمِسَتْ فِي الْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا أَحَدٌ ، مِنْ حَرِّهَا ، وَكَفَى بِهَا زَاجِرًا ؛ وَبَعْدِ أَخْذِ نَارِ الدُّنْيَا مِنْهَا ، أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ؛ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، وَحَرُّهَا هَوَاءٌ مُحْرِقٌ ، وَلَا جَمْرَ لَهَا سِوَى بَنِي آدَمَ وَالْأَحْجَارِ الْمُتَّخَذَةِ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ** ﴾ [البقرة : ٢٤] .

(**الثَّالِثُ**) :
نَارُ الدُّنْيَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .
قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :
« وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ : نَارُكُمْ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ؛ قَالُوا : وَاللهِ ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ : فُضِّلَتْ عَنْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا » .

(**الرَّابِعُ**) :
أَجْسَامُ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ مُخْتَلِفَةُ الْمَقَادِيرِ ، حَتَّى وَرَدَ أَنَّ ضِرْسَ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَفَخِذَهُ مِثْلُ " وَرْقَانَ " ، وَهُمَا جَبَلَانِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ .

(**الْخَامِسُ**) :
قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :
« وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَفَعَهُ : يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ ، فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ ، فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ﴿ **مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧** ﴾ [الغاشية : ٦ - ٧] ، ثُمَّ يَسْتَغِيثُونَ ، فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ ، فَيُدْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بِكَلَالِيبِ الْحَدِيدِ ، فَإِذَا دَنَا مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَى وُجُوهَهُمْ ، فَإِذَا دَخَلَ بُطُونَهُمْ قَطَّعَ مَا فِي بُطُونِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : أُدْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ ، عَسَاهُمْ يُخَفِّفُونَ عَنَّا ؛ فَيَدْعُونَهُمْ ؛ فَيَقُولُونَ : ﴿ **...أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠** ﴾ [غافر : ٥٠] ؛ فَيَقُولُونَ : أُدْعُوا مَالِكًا ، فَيَقُولُونَ: ﴿ **يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** ﴾ [الزخرف : ٧٧] فَيُجِيبُهُمْ : ﴿ **إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧** ﴾ [الزخرف : ٧٧] – **قَالَ الْأَعْمَشُ** : نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ مَالِكًا وَإِجَابَتِهِ مِقْدَارَ أَلْفِ عَامٍ – فَيَقُولُونَ : أُدْعُوا رَبَّكُمْ ، فَلَا تَجِدُونَ خَيْرًا مِنْهُ ، فَيَقُولُونَ : ﴿ **رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ...** ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] إِلَى : ﴿ **...ظَٰلِمُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] ، فَيُجِيبُهُمْ : ﴿ **ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨** ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَيْئَسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، فَيَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالشَّهِيقِ ، وَيَدْعُونَ بِالْوَيْلِ

٣٦٣ - وَوَاجِبٌ أَنْ يُنْفَذَ الْوَعِيدُ فِي بَعْضِ الْعُصَاةِ دُونَ مَا تَوَقُّفِ
٣٦٤ - وَمَا بِنَوْعٍ وَاحِدٍ يَخْتَصُّ مِنْهُمْ وَفِي الْأَنْوَاعِ جَاءَ النَّصُّ
٣٦٥ - لَكِنَّ ذَا الْعِصْيَانِ لَا يُخَلَّدُ فِيهَا، وَذُو الْكُفْرِ بِهَا مُؤَبَّدُ

وَالثُّبُورِ .

زَادَ رَزِينٌ : فَيُقَالُ لَهُمْ : ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الفرقان : ١٤] » . اهـ .

(السَّادِسُ) :

النَّارُ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ ، أَوْجَدَهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِيمَا مَضَى كَالْجَنَّةِ ، فَمَنْ أَنْكَرَ وُجُودَهُمَا بِالْمَرَّةِ فَهُوَ كَافِرٌ ، كَالْفَلَاسِفَةِ ؛ وَمَنْ أَنْكَرَ وُجُودَهُمَا فِيمَا مَضَى وَقَالَ : إِنَّهُمَا يُوجَدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - كَأَبِي هَاشِمٍ وَعَبْدِ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزِلِيَّيْنِ - فَهُوَ فَاسِقٌ.

((**وَوَاجِبٌ**)) سَمْعًا ((**أَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ؛ صِلَتُهُ ((**يُنْفَذَ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ، نَائِبُ فَاعِلِهِ : ((**الْوَعِيدُ**)) مِنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِتَعْذِيبِ الْعُصَاةِ ؛ وَصِلَةُ ((**يُنْفَذَ**)) : ((**فِي بَعْضِ الْعُصَاةِ دُونَ مَا**)) زَائِدَةٌ ((**تَوَقُّفِ** .. **وَمَا**)) نَافِيَةٌ ((**بِنَوْعٍ وَاحِدٍ**)) مِنْ أَنْوَاعِ الْعُصَاةِ ؛ صِلَةُ ((**يَخْتَصُّ**)) تَنْفِيذُهُ

((**مِنْهُمْ**)) **أَيِ** : الْعُصَاةِ ((**وَفِي الْأَنْوَاعِ**)) لِلْعُصَاةِ ؛ صِلَةُ ((**جَاءَ**)) **أَيْ** : وَرَدَ ((**النَّصُّ**)) عَنِ الشَّارِعِ بِتَنْفِيذِ الْوَعِيدِ فِي بَعْضِ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهُمْ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾

[غافر : ١٧] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة : ٨] .

((**لَكِنَّ**)) بِشَدِّ النُّونِ ((**ذَا**)) **أَيْ** : صَاحِبَ ((**الْعِصْيَانِ**)) الْمُؤْمِنَ ((**لَا يُخَلَّدُ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ((**فِيهَا**)) **أَيِ** : النَّارِ ((**وَذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**الْكُفْرِ بِهَا**)) **أَيِ** : النَّارِ ؛ صِلَةُ

((**مُؤَبَّدُ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْمُوَحَّدَةِ .

يَعْنِي :

أَنَّهُ يَجِبُ سَمْعًا تَعْذِيبُ بَعْضٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ مِنْ عُصَاةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، اِرْتَكَبَ كَبِيرَةً مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ يُعْذَرُ بِهِ ، وَمَاتَ بِلَا تَوْبَةٍ ؛ بِخِلَافِ مَنِ ارْتَكَبَ صَغِيرَةً ، أَوِ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً مُتَأَوِّلًا ، أَوِ ارْتَكَبَهَا وَمَاتَ بَعْدَ التَّوْبَةِ .

وَهَلِ الْمُرَادُ بِـ " هَذِهِ الْأُمَّةِ " أُمَّةُ الدَّعْوَةِ ، فَتَشْمَلُ الْكُفَّارَ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ الْمُعَذَّبُ عَلَى الْكَبَائِرِ غَيْرِ الْكُفْرِ بَعْضَ الْكُفَّارِ ؛ وَعَلَى هَذَا ، يَجُوزُ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ؟

أَوْ أُمَّةُ الْإِجَابَةِ ، فَلَا تَشْمَلُ الْكُفَّارَ ، فَلَا يَكُونُ الْبَعْضُ الْمُعَذَّبُ عَلَى الْكَبَائِرِ بَعْضَ الْكُفَّارِ ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا ؟ وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ .

وَالْمُرَادُ بِالْبَعْضِ الْمَذْكُورِ : طَائِفَةٌ ، وَلَوْ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْعُصَاةِ ، كَالزُّنَاةِ ، وَقَتَلَةِ الْأَنْفُسِ ، وَشَرَبَةِ الْخَمْرِ

... ...

... وَهَكَذَا .
فَلَا بُدَّ مِنْ نُفُوذِ الْوَعِيدِ لِطَائِفَةٍ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ أَقَلُّهَا وَاحِدٌ .
وَمَعَ كَوْنِ الْوَعِيدِ يُنْفَذُ فِيهِ ، فَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ قَطْعًا ، بَلْ يَخْرُجُ مِنْهَا وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيُخَلَّدُ فِيهَا ؛ بِخِلَافِ الْكُفَّارِ ، فَإِنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ فِيهَا .

وَالْحَاصِلُ :
أَنَّ النَّاسَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ١ – مُؤْمِنٌ ٢ – وَكَافِرٌ .
فَالْكَافِرُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ إِجْمَاعًا .
وَالْمُؤْمِنُ عَلَى قِسْمَيْنِ : ١ – طَائِعٌ ٢ – وَعَاصٍ .
فَالطَّائِعُ فِي الْجَنَّةِ إِجْمَاعًا .
وَالْعَاصِي عَلَى قِسْمَيْنِ : ١ – تَائِبٌ ٢ – وَغَيْرُ تَائِبٍ .
فَالتَّائِبُ فِي الْجَنَّةِ إِجْمَاعًا .
وَغَيْرُ التَّائِبِ فِي الْمَشِيئَةِ ، وَعَلَى تَقْدِيرِ عَذَابِهِ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :
« **[فَائِدَةٌ]** :
اِتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ عُصَاةَ الْجِنِّ يُعَاقَبُونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَيَدْخُلُونَ النَّارَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة : ١٣] ، ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ... ﴾ [الأنعام : ١٢٨] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ ... قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] ، ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ... ﴾ [الجن : ١٤] } إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ ... فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن : ١٥] .

وَاخْتَلَفُوا فِي ثَوَابِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَاتِ :
فَقِيلَ : لَا ثَوَابَ لَهُمْ إِلَّا النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ ، وَأَنَّهُمْ يَصِيرُونَ تُرَابًا ، كَغَيْرِ الْعَاقِلِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، لِاقْتِصَارِهِمْ عَلَى النَّجَاةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف : ٣١] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف : ٣١] . وَبِهِ قَالَ أَبُو الزِّنَادِ ، وَأَبُو حَنِيفَةَ ، وَغَيْرُهُمَا .
وَقِيلَ : يُثَابُونَ ؛ وَعَلَيْهِ مَالِكٌ ، وَالشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ [الأنعام : ١٣٢] ؛ وَاسْتَدَلَّ ابْنُ الْقَاسِمِ لَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الجن : ١٤] ؛

٣٦٦ – وَكَالشَّفَاعَةِ لِأَزْكَى مُرْسَلِ فَاضْرَعْ إِلَى الْمَنَّانِ فِيهَا وَسَلِ
٣٦٧ – وَقَدْ أَتَتْ أَنْوَاعُهَا مَنْصُوصَةْ وَالْبَعْضُ – كَالْكُبْرَى – بِهِ مَخْصُوصَةْ
٣٦٨ – لِأَنَّهَا أَظْهَرَتِ ارْتِفَاعَهْ إِذْ وَجَّهَ الْكُلُّ لَهُ الشَّفَاعَةْ

وَلَيْسَ بِنَصٍّ جَلِيٍّ فِي ذَلِكَ خِلَافًا لِابْنِ رُشْدٍ .

وَعَلَى إِثَابَتِهِمْ :

فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، أَخْذًا بِالْعُمُومَاتِ ، وَرُبَّمَا يُلَوِّحُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٥٦] **أَيْ** : إِلَى أَنْ يَطْمِثَهُنَّ الْفَرِيقَانِ عِنْدَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ .

وَعَلَى دُخُولِهِمْ :

فَقَالَ الضَّحَّاكُ : يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : لَا ، وَيُلْهَمُونَ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ مَا يَجِدُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ . **قَالَ الْمُحَاسَبِيُّ** : وَهُمْ فِيهَا مَعَنَا عَكْسُ الدُّنْيَا ، نَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنَا .

وَغَيْرُ الْجُمْهُورِ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَهَا ؛ فَحَكَى ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنْ مَالِكٍ ، وَالشَّافِعِيِّ ، وَأَحْمَدَ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رَبَضِهَا ، نَرَاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَا .

وَقِيلَ : يَكُونُونَ عَلَى الْأَعْرَافِ ، لِحَدِيثِ الْبَيْهَقِيِّ فِي [الشُّعَبِ] عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا :

" إِنَّ مُؤْمِنِي الْجِنِّ لَهُمْ ثَوَابٌ وَعَلَيْهِمْ عِقَابٌ ؛ فَسَأَلْنَا عَنْ ثَوَابِهِمْ ؟ فَقَالَ : عَلَى الْأَعْرَافِ ، وَلَيْسُوا فِي الْجَنَّةِ ؛ فَقَالُوا : مَا الْأَعْرَافُ ؟ قَالَ : حَائِطُ الْجَنَّةِ ، تَجْرِي مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَتَنْبُتُ فِيهِ الْأَشْجَارُ " .

[قَالَ] الذَّهَبِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا . وَقِيلَ بِالْوَقْفِ » . اهـ .

((**وَكَالشَّفَاعَةِ**)) **هِيَ لُغَةً** : الْوَسِيلَةُ وَالطَّلَبُ . **وَعُرْفًا** : سُؤَالُ الْخَيْرِ مِنَ الْغَيْرِ لِلْغَيْرِ . وَصِلَةُ ((**الشَّفَاعَةِ**)) :

((**لِأَزْكَى**)) **أَيْ** : أَطْهَرِ وَأَشْرَفِ نَبِيٍّ ((**مُرْسَلِ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ((**فَاضْرَعْ**)) **أَيْ** : تَضَرَّعْ وَتَذَلَّلْ ((**إِلَى الْمَنَّانِ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ، وَشَدِّ النُّونِ الْأُولَى ؛ **أَيْ** : كَثِيرِ الْإِنْعَامِ ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**فِيـ**)) **طَلَبِ** ((**هَا**)) **أَيِ** : الشَّفَاعَةِ ((**وَسَلِ**)) بِفَتْحِ السِّينِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ ((**وَقَدْ أَتَتْ**)) **أَيْ** : وَرَدَتْ فِي الْأَحَادِيثِ ((**أَنْوَاعُهَا**))

أَيِ : الشَّفَاعَةِ ؛ حَالَ كَوْنِهَا ((**مَنْصُوصَةْ وَالْبَعْضُ**)) مِنْ أَنْوَاعِهَا ((**كَـ**)) **الشَّفَاعَةِ** ((**كَالْكُبْرَى**)) وَهِيَ الشَّفَاعَةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ ((**بِهِ**)) **أَيْ** : أَزْكَى الْمُرْسَلِينَ ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ صِلَةُ ((**مَخْصُوصَةْ**)) قَطْعًا ، وَهِيَ أَوَّلُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، **أَيْ** : يَحْمَدُكَ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ ، وَيُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ لَهُ ثَلَاثُ ذُؤَابَاتٍ : ذُؤَابَةٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَأُخْرَى بِالْمَغْرِبِ، وَأُخْرَى بِالْوَسَطِ ؛ وَالْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ دُونَهُمْ تَحْتَ ذَلِكَ اللِّوَاءِ ، وَآخِرُهُ اسْتِقْرَارُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ .

وَعَلَّلَ اخْتِصَاصَهَا بِهِ بِقَوْلِهِ : ((**لِأَنَّهَا**)) **أَيِ** : الشَّفَاعَةَ الْكُبْرَى ((**أَظْهَرَتِ ارْتِفَاعَهْ**)) **أَيْ** : عُلُوَّ رُتْبَتِهِ عَلَى

٣٦٩ – وَالْأَنْبِيَـــا تَقُـــولُ : نَفْسِـــي نَفْسِـــي سِـــــوَاهُ ، فَالْفَضْــــلُ لَـــــهُ كَالشَّــــمْسِ

الْجَمِيعِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَعَلَّلَ إِظْهَارَهَا ارْتِفَاعَهُ فَقَالَ : ((**إِذْ وَجَّهَ**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلًا ((**الْكُلُّ**)) **أَيْ** : كُلُّ أَهْلِ الْمَوْقِفِ ((**لَهُ**)) **أَيْ** : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَمَفْعُولُ ((**وَجَّهَ**)) : ((**الشَّفَاعَةَ**)) .

((**وَ**)) وَالْحَالُ ((**الْأَنْبِيَا تَقُولُ : نَفْسِي نَفْسِي**)) لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا ؛ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِ الرَّبِّ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ ((**سِوَاهُ**)) **أَيْ** : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَقُولُ :

« نَفْسِي » ، بَلْ يَقُولُ : « أَنَا لَهَا » ، وَيَشْفَعُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ ، فَيَقْبَلُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – شَفَاعَتَهُ بِفَضْلِهِ .

فَثَبَتَ لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ :

١ – الْأَوَّلُ : كَوْنُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شَافِعًا .

٢ – وَالثَّانِي : كَوْنُهُ مُشَفَّعًا ؛ أَيْ : مَقْبُولُ الشَّفَاعَةِ .

٣ – وَالثَّالِثُ : كَوْنُهُ مُقَدَّمًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا ، فَهُوَ الَّذِي يَفْتَحُ بَابَهَا .

وَبَيَانُ ذَلِكَ :

أَنَّهُ إِذَا قَامَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّالِثَةِ ، يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ ، وَقَدْ عَقَدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَشَخَصُوا بِأَبْصَارِهِمْ ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ [القمر : ٨] ، ﴿ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ ﴾ [الحج : ٢] ، وَالِهِينَ حَيَارَى ، لَا يَعْرِفُونَ شَرْقًا وَلَا غَرْبًا ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، لَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ مَنْ إِلَى جَانِبِهِ أَرَجُلٌ أَمِ امْرَأَةٌ ؟ وَالْمَرْأَةُ كَذَلِكَ ، قَدِ اشْتَغَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِحَالِ نَفْسِهِ ؛ ثُمَّ يُوَكِّلُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – بِكُلِّ نَفْسٍ مَلَكًا يَسُوقُهَا إِلَى الْمَوْقِفِ ، وَشَاهِدًا مِنْ نَفْسِهِ ، وَهُوَ جُمْلَةُ أَعْضَائِهِ وَجَسَدِهِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِهِمْ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ – **قِيلَ** : إِنَّهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ – وَإِذَا اجْتَمَعَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ تَنَاثَرَتِ النُّجُومُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَطُمِسَ ضَوْءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، فَتَشْتَدُّ الظُّلْمَةُ ، وَيَعْظُمُ الْأَمْرُ ، ثُمَّ تُشَقُّ السَّمَاءُ – عَلَى غِلَظِهَا وَصَلَابَتِهَا – فَتَسْمَعُ الْخَلَائِقُ لِانْشِقَاقِهَا صَوْتًا عَظِيمًا تَدْهَشُ لِهَوْلِهِ الْأَلْبَابُ ، وَتَخْضَعُ لِشِدَّتِهِ الرِّقَابُ ؛ ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ هَابِطُونَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَائِكَةُ سَمَاءِ الدُّنْيَا يُحِيطُونَ بِالْخَلْقِ ، ثُمَّ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ خَلْفَهُمْ دَائِرَةً ثَانِيَةً كَذَلِكَ ، حَتَّى تَكُونَ سَبْعَ دَوَائِرَ ، فِي كُلِّ دَائِرَةٍ مَلَائِكَةُ سَمَاءٍ ، ثُمَّ تَسِيلُ السَّمَاءُ فَتَكُونُ كَالْمُهْلِ – **أَيِ** : النُّحَاسِ الْمُذَابِ – فَيُطْوَى بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ تَنْهَارُ وَتَذُوبُ وَتَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ ؛ ثُمَّ تَقْرُبُ الشَّمْسُ مِنْ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا سَبْعُونَ ضِعْفًا، وَتُقَابِلُهُمْ بِوَجْهِهَا – وَهِيَ الْآنَ فِي الدُّنْيَا فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، وَمُقَابِلَةٌ لِلْأَرْضِ بِظَهْرِهَا – فَتَغْلِي أَدْمِغَتُهُمْ ، وَيَشْتَدُّ الْكَرْبُ وَالِازْدِحَامُ ، حَتَّى يَصِيرَ عَلَى كُلِّ قَدَمٍ أَلْفُ قَدَمٍ؛ وَيَكْثُرُ الْعَرَقُ ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ وَآذَانِهِمْ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ .

وَلَيْسَ هَذَا عَلَى عُمُومِهِ ، لِأَنَّ النَّاسَ – يَوْمَئِذٍ – فِي الْعَرَقِ مُخْتَلِفُونَ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى إِبْطَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُومُ فِيهِ عَوْمًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُصِيبُهُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي ظَلِّ الْعَرْشِ مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ إِكْرَامَهُ . ثُمَّ تَقِفُ النَّاسُ مَا شَاءَ اللهُ ، حَتَّى يَطُولَ الْوُقُوفُ ، وَيَشْتَدَّ بِهِمُ الْكَرْبُ شَاخِصِينَ نَحْوَ السَّمَاءِ لَا يَنْطِقُونَ — **قِيلَ** : قَدْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ سِنِيِّ الدُّنْيَا – فَإِذَا طَالَ انْتِظَارُهُمْ ، طَلَبُوا مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ ، لِيَسْتَرِيحُوا مِنَ الْوُقُوفِ وَالْكَرْبِ ؛ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اِنْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ ، نَسْأَلُهُ أَنْ يَشْفَعَ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا . فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَيْهَا ؛ فَيَأْتُونَ آدَمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَيَقُولُونَ لَهُ : « أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ تَعَالَى بِيَدِهِ ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَكَ ؛ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَصْرِفَنَا مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ » . فَيَقُولُ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ كَانَ مِنِّي أَمْرٌ أَوْجَبَ خَوْفِي مِنْهُ ، فَلَا جَرَاءَةَ لِي عَلَى الشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ ، نَفْسِي نَفْسِي ؛ اِذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ يَشْفَعْ لَكُمْ » . فَيَذْهَبُونَ إِلَى نُوحٍ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَيَقُولُونَ لَهُ : « أَنْتَ أَوَّلُ رُسُلِ اللهِ بَعْدَ آدَمَ ، وَرِسَالَتُكَ عَامَّةٌ ، وَمَنْزِلَتُكَ عَالِيَةٌ ؛ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَهُ » . فَيَقُولُ لَهُمْ مَقَالَةَ آدَمَ ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ — فَيَأْتُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ : « أَنْتَ خَلِيلُ اللهِ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَهُ » . فَيَقُولُ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَى مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَيَأْتُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ : « أَنْتَ كَلِيمُ اللهِ ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَهُ » . فَيَقُولُ لَهُمْ كَذَلِكَ ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَى عِيسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَيَأْتُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ : « أَنْتَ رُوحُ اللهِ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَهُ » . فَيَدُلُّهُمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَوَجْهُهُ يَضِيءُ عَلَى أَهْلِ الْمَوْقِفِ ، فَيُنَادُونَهُ مِنْ دُونِ مِنْبَرِهِ الْعَالِي : « يَا حَبِيبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَسَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ؛ قَدْ عَظُمَ الْأَمْرُ ، وَجَلَّ الْخَطْبُ ، وَطَالَ الْوُقُوفُ ، وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ ؛ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فِي فَصْلِ الْأَمْرِ ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يُؤْمَرُ بِهِ إِلَيْهَا ؛ وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُؤْمَرُ بِهِ إِلَيْهَا ؛ الْغَوْثَ الْغَوْثَ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَنْتَ صَاحِبُ الْجَاهِ ، الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » . قَالَ : « فَيَبْكِي النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَيَقُولُ : أَنَا لَهَا » . ثُمَّ يَقُومُ مَقَامًا عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ، لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ غَيْرُهُ قَطُّ ، وَيَسْجُدُ للهِ تَعَالَى ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءً يُلْهِمُهُ اللهُ إِيَّاهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لَمْ يَنْطِقْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ غَيْرُهُ قَطُّ ؛ فَيُنَادَى : يَا مُحَمَّدُ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ سُجُودٍ ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ . ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، وَيَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى بِمَحَامِدَ يُعَلِّمُهُ اللهُ إِيَّاهَا ، لَمْ يَحْمَدْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ؛ وَيَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ فِي الِانْصِرَافِ ؛ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مُرْ بِعِبَادِكَ إِلَى الْحِسَابِ ، فَقَدِ اشْتَدَّ الْكَرْبُ . فَيُجَابُ إِلَى ذَلِكَ » .

فَهَذَا أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ لِإِرَاحَةِ النَّاسِ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي يَحْمَدُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ .

٣٦٩ – ... ... ، فَالْفَضْـــــلُ لَـــــهُ كَالشَّـــــمْسِ

٣٧٠ – فَيُنْقِـــذُ الْجَمِيـــعَ مِـــنْ غُمُـــومِ قَـــدِ اعْتَرَتْهُمُـــو وَمِـــنْ هُمُـــومِ

٣٧١ – وَهْـــيَ وُعُـــودُ رَبِّـــهِ يُوفِيهَـــا لَـــهُ ، فَنَسْـــأَلُ اللهَ الـــدُّخُولَ فِيهَـــا

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

إِنَّمَا لَمْ يُلْهَمُوا الْمَجِيءَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، لِإِظْهَارِ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الثَّانِي) :

الْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ بِالتَّرَدُّدِ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ ، أَنَّهُمْ مَشَاهِيرُ الرُّسُلِ ، وَأَصْحَابُ الشَّرَائِعِ الَّتِي عُمِلَ بِهَا زَمَنًا طَوِيلًا ، مَعَ كَوْنِ سَيِّدِنَا آدَمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – الْأَبَ الْأَكْبَرَ ؛ وَسَيِّدِنَا نُوحٍ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – الْأَبَ الثَّانِيَ ؛ وَسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – أَبَ الْأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – ؛ وَسَيِّدِنَا مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – أَكْثَرَهُمْ تَبَعًا بَعْدَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَسَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ، وَهُوَ مِنْ أُمَّتِهِ أَيْضًا .

(الثَّالِثُ) :

سُئِلَ الْإِمَامُ الْبُلْقَيْنِيُّ عَنْ حُكْمِ سُجُودِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ حَيْثُ الْوُضُوءُ ؟ .

فَأَجَابَ :

بِأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى طَهَارَتِهِ مِنْ غُسْلِ الْمَوْتِ ، لِأَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ ، لَمْ تَنْتَقِضْ طَهَارَتُهُ؛ وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنَّهُ تَوَضَّأَ مِنَ الْحَوْضِ ؛

وَفِي [الْبُدُورُ] :

« الْآخِرَةُ لَيْسَتْ بِدَارِ تَكْلِيفٍ ، فَلَا يَتَوَقَّفُ السُّجُودُ فِيهَا عَلَى الْوُضُوءِ » . اهـ .

((**فَالْفَضْلُ لَهُ**)) **أَيْ** : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ ((**كَـ**)) **ـالْفَضْلِ لِـ**

((**ـلشَّمْسِ**)) عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ((**فَيُنْقِذُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : يُخْرِجُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ((**الْجَمِيعَ**)) مِنْ أَهْلِ الْمَوْقِفِ ((**مِنْ غُمُومٍ**)) بِإِعْجَامِ الْغَيْنِ ((**قَدِ اعْتَرَتْهُمُو**)) **أَيِ** : الْجَمِيعَ . بِإِشْبَاعِ الْمِيمِ ، لِلْوَزْنِ ((**وَمِنْ هُمُومٍ .. وَهْيَ**)) **أَيِ** : الشَّفَاعَةُ الْكُبْرَى ((**وُعُودُ**)) بِضَمِّ الْوَاوِ ، جَمْعُ " وَعْدٍ " ((**رَبِّهِ**)) **أَيْ** : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**يُوفِيهَا**)) **أَيْ** : رَبُّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الشَّفَاعَةَ الْكُبْرَى ((**لَهُ**)) **أَيْ** : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**فَنَسْأَلُ اللهَ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الدُّخُولَ فِيهَا**)) **أَيْ** : شَفَاعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ كَشَفَاعَتِهِ فِي عَدَمِ دُخُولِ النَّارِ ، وَشَفَاعَتِهِ فِي الْحِسَابِ ، وَشَفَاعَتِهِ فِي تَعْجِيلِ دُخُولِ الْجَنَّةِ ، وَشَفَاعَتِهِ فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ فِيهَا ، وَشَفَاعَتِهِ فِي لِمَنْ مَاتَ بِمَدِينَتِهِ ، أَوْ مَكَّةَ ، أَوْ بِطَرِيقِ الْحَجِّ ؛ وَشَفَاعَتِهِ لِمَنْ أَكْثَرَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَغَيْرِهَا .

... ...

وَعِبَارَةُ ابْنِ كِيرَانَ :

« **وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ ، فَهِيَ أَنْوَاعٌ :**

١ – أَعْظَمُهَا الشَّفَاعَةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ ، وَالْإِرَاحَةِ مِنْ طُولِ الْمَوْقِفِ ، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بَعْدَ تَرَدُّدِ الْخَلَائِقِ إِلَى نَبِيٍّ بَعْدَ نَبِيٍّ .

٢ – الثَّانِيَةُ : الشَّفَاعَةُ فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

قَالَ النَّوَوِيُّ : " وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ ". وَتَرَدَّدَ فِي ذَلِكَ التَّقِيَّانِ: ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ، وَالسُّبْكِيُّ.

٣ – الثَّالِثَةُ : الشَّفَاعَةُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا .

[قَالَ] عِيَاضٌ : " وَلَيْسَتْ مُخْتَصَّةً بِهِ " . وَتَرَدَّدَ فِي ذَلِكَ النَّوَوِيُّ . قَالَ السُّبْكِيُّ : " لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ تَصْرِيحُ بِذَلِكَ وَلَا بِنَفْيِهِ " .

٤ – الرَّابِعَةُ : فِي إِخْرَاجِ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ ؛ وَيَشْتَرِكُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ ، وَالْمَلَائِكَةُ ، وَالْمُؤْمِنُونَ .

٥ – الْخَامِسَةُ : فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا ؛ وَجَوَّزَ النَّوَوِيُّ اخْتِصَاصَهَا بِهِ .

٦ – السَّادِسَةُ : فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَمَّنِ اسْتَحَقَّ الْخُلُودَ –كَأَبِي طَالِبٍ – ، وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ السُّيُوطِيُّ فِي شَرْحِ [الْكَوْكَبُ السَّاطِعُ] بَعْدَ ذِكْرِ الْأَنْوَاعِ السِّتَّةِ :

" وَفِي كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ السِّتِّ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ :

فِي الصَّحِيحِ : أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ .

وَأَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، فَقَالَ : لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي ، فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ . وَفِي رِوَايَةٍ : وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ حَدِيثَ : " خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ شَطْرُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى ، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ ؟! لَا ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَّائِينَ " .

وَفِي الْحَدِيثِ : " شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي " . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَجَمَاعَةٌ .

وَخَالَفَتِ الْمُعْتَزِلَةُ فِي الشَّفَاعَةِ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ ، بِنَاءً عَلَى قَوْلِهِمْ بِامْتِنَاعِ الْعَفْوِ عَنْ مُرْتَكِبِهَا .

لَنَا : مَا سَبَقَ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد : ١٩] ، ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر : ٤٨] ؛

إِذْ لَوْ لَمْ تَكُنْ ثَمَّ شَفَاعَةٌ أَصْلًا ، لَمْ يَبْقَ لِنَفْيِهَا عَنْ خُصُوصِ الْكُفَّارِ فِي مَقَامِ تَقْبِيحِ حَالِهِمْ مَعْنًى .

وَاحْتَجَّ الْمُعْتَزِلَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة : ٤٨] ،

وَقَوْلِهِ : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر : ١٨] .

٣٧٢ – وَحَوْضُـــــهُ مِمَّـــــا بِـــــهِ الـــــنَّصُّ وَرَدْ وَفِيــــهِ خُلْــــفٌ : هَـــلْ بِـــهِ الْهَـــادِي انْفَـــرَدْ ؟

وَالْجَوَابُ :
بَعْدَ تَسْلِيمِ دَلَالَتِهَا عَلَى الْعُمُومِ فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَحْوَالِ ، أَنَّهُ يَجِبُ تَخْصِيصُهَا بِالْكُفَّارِ ، جَمْعًا بَيْنَ الْأَدِلَّةِ .
وَلَمَّا كَانَ أَصْلُ الْعَفْوِ وَالشَّفَاعَةِ ثَابِتًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ ، قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بِالْعَفْوِ عَنِ الصَّغَائِرِ مُطْلَقًا ، وَالْكَبَائِرِ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، وَبِالشَّفَاعَةِ لِزِيَادَةِ الثَّوَابِ .
وَيَرِدُ الْأَوَّلَ : أَنَّ التَّائِبَ وَصَاحِبَ الصَّغَائِرِ الْمُجْتَنِبَ لِلْكَبَائِرِ ، لَا يَسْتَحِقَّانِ الْعَذَابَ عِنْدَهُمْ ؛ فَمَا مَعْنَى الْعَفْوِ ؟!.
وَيَرِدُ الثَّانِيَ : أَنَّ النُّصُوصَ شَاهِدَةٌ عَلَى ثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ فِي الْعَفْوِ عَنِ الْجِنَايَةِ .
قُلْتُ : وَالْمُعْتَزِلَةُ الْمُنْكِرُونَ لِلشَّفَاعَةِ هُمُ الْمُرَادُ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَنِيعٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَبِضْعَةَ عَشَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَفَعُوهُ : " شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا " .
فَعُقُوبَتُهُمْ عَلَى إِنْكَارِهَا أَنْ يُحْرَمُوهَا ؛ لَا أَحْرَمَنَا اللهُ مِنْهَا بِفَضْلِهِ » . انْتَهَتْ .

[تَنْبِيهَانِ]

(الْأَوَّلُ) :
الْمَوْلَى – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – يَشْفَعُ فِيمَنْ قَالَ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " . وَلَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ؛ وَشَفَاعَتُهُ تَعَالَى عِبَارَةٌ عَنْ عَفْوِهِ .
وَكَذَلِكَ يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ : الْأَنْبِيَاءُ ، وَالرُّسُلُ ، وَالْمَلَائِكَةُ ؛ وَشَفَاعَتُهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ ، فَأَوَّلُهُمْ فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَآخِرُهُمْ فِيهَا التِّسْعَةَ عَشَرَ الَّتِي عَلَى النَّارِ ، وَالصَّحَابَةُ ، وَالشُّهَدَاءُ ، وَالْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ ، وَالْأَوْلِيَاءُ ؛ كُلٌّ عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(الثَّانِي) :
لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ مِمَّنْ ذُكِرَ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِ مُدَّةِ الْمُؤَاخَذَةِ الْمُحَتَّمَةِ .
فَإِنْ قُلْتَ : الشَّفَاعَةُ حِينَئِذٍ لَا فَائِدَةَ فِيهَا ! .
قُلْتُ : بَلْ لَهَا فَائِدَةٌ ، وَهِيَ إِظْهَارُ مَزِيَّةِ الشَّافِعِ عَلَى غَيْرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ لَوْلَا الشَّفَاعَةُ لَجَوَّزْنَا الْبَقَاءَ وَعَدَمَهُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ لَنَا .
وَبِالْجُمْلَةِ : فَذَلِكَ مِنْ بَابِ الْقَضَاءِ الْمُعَلَّقِ .

((**وَحَوْضُهُ**)) – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الَّذِي يُعْطَاهُ فِي الْآخِرَةِ ؛ وَهُوَ جِسْمٌ مَخْصُوصٌ ، كَبِيرٌ ، مُتَّسِعُ الْجَوَانِبِ ، يَكُونُ عَلَى الْأَرْضِ الْمُبَدَّلَةِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْبَيْضَاءُ كَالْفِضَّةِ ؛ تَرِدُهُ أُمَّتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرَبُ لِدَفْعِ الْعَطَشِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُ لِلتَّلَذُّذِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُ لِتَعْجِيلِ الْمَسَرَّةِ .
وَاخْتِلَافُهُمْ فِي الشُّرْبِ عَلَى حَسَبِ تَمَسُّكِهِمْ بِشَرِيعَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَدَمِ تَبْدِيلِهِمْ وَتَغْيِيرِهِمْ فِيهَا شَيْئًا إِلَى أَنْ مَاتُوا .

... ...

وَأَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ – الذُّكُورُ وَالْإِنَاثُ – حَوْلَهُ ، وَعَلَيْهِمْ أَقْبِيَةُ الدِّيبَاجِ ، وَمَنَادِيلُ مِنْ نُورٍ ، وَبِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقُ مِنْ فِضَّةٍ ، وَأَقْدَاحٌ مِنْ ذَهَبٍ ، يَسْقُونَ آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ الَّذِينَ صَبَرُوا عِنْدَ فَقْدِهِمْ ؛ وَأَمَّا الَّذِينَ سَخِطُوا عِنْدَ فَقْدِهِمْ ، فَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي سُقْيِهِمْ .

أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – مِنْ صِفَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« لَهُ حَوْضٌ أَبْعَدُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، فِيهِ آنِيَةٌ مِثْلُ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَهُ لَوْنُ كُلِّ شَرَابِ الْجَنَّةِ ، وَطَعْمُ كُلِّ ثِمَارِهَا » .

وَمَعْنَى كَوْنِهِ : « لَهُ لَوْنُ كُلِّ شَرَابِ الْجَنَّةِ » : أَنَّ بَعْضَهُ لَوْنُهُ أَحْمَرُ ، وَبَعْضَهُ لَوْنُهُ أَبْيَضُ ، ... وَهَكَذَا .

فَلَا يُقَالُ فِيهِ : مُحَالٌ ، وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ .

وَمَعْنَى كَوْنِهِ لَهُ « طَعْمُ كُلِّ ثِمَارِهَا » : أَنَّ لَهُ طَعْمَ الْخُوخِ ، وَالْمَوْزِ ، وَالتُّفَّاحِ ، وَالْمِشْمِشِ ، ... وَغَيْرِهَا ؛ فَمَنْ يَشْرَبْ مِنْهُ يَجِدْ طَعْمَ ثِمَارِ الْجَنَّةِ .

((**مِمَّا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**بِهِ**)) عَائِدُ ((**مَا**)) صِلَةُ ((**وَرَدْ**)) . ((**النَّصُّ**)) **أَيِ** : الْحَدِيثُ ((**وَرَدْ**)) عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ ، حَيْثُ نَفَوْهُ ، وَقَدْ فَسَقُوا بِذَلِكَ ، كَكُلِّ مُنْكِرٍ لَهُ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَكِيزَانُهُ أَكْثَرُ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا » . رَوَاهُ الشَّيْخَانِ .

وَقَدْ وَرَدَ تَحْدِيدُهُ بِجِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْبُعْدِ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَوْضِي مِنْ عَدَنٍ إِلَى عَمَّانِ الْبَلْقَاءِ ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا ... » . الْحَدِيثَ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ .

وَذَلِكَ نَحْوُ شَهْرٍ .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ ، فِيهِ الْآنِيَةُ مِثْلُ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ » . رَوَاهُ الشَّيْخَانِ . وَذَلِكَ نَحْوُ شَهْرَيْنِ .

وَقَوْلُهُ : « مِثْلُ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ » لَا يُنَافِي قَوْلَهُ فِي الرِّوَايَةِ السَّابِقَةِ : « أَكْثَرُ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ » لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِالْأَقَلِّ أَوَّلًا ، وَبِالْأَكْثَرِ ثَانِيًا .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَوْضِي كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَأَيْلَةَ » .

وَذَلِكَ نَحْوُ شَهْرٍ كَالْأُولَى .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَوْضِي كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ . وَهُوَ كَالَّذِي قَبْلَهُ .

فَخَاطَبَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كُلَّ قَوْمٍ بِالْجِهَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا ؛ وَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ الْمَسَافَةِ ، لِأَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِاتِّسَاعِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَأَخْبَرَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالْمَسَافَةِ الْقَصِيرَةِ أَوَّلًا ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِالطَّوِيلَةِ .

وَأَشَارَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – إِلَى أَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَطْوَلِهَا مَسَافَةً .

٣٧٣ – وَهْــوَ الْأَصَــحُّ ، أَوْ لِكُــلِّ مُرْسَــلِ حَــوْضٌ مِــنَ الْعَــذْبِ الرَّحِيــقِ السَّلْسَــلِ ؟
٣٧٤ – وَكَوْنُـــهُ بَعْـــدَ الصِّـــرَاطِ مُخْتَلَـــفْ فِيـــهِ ، وَبَعْـــضٌ بِالتَّعَـــدُّدِ اعْتَـــرَفْ
٣٧٥ – وَذَوْدُ ذِي التَّغْيِـــيرِ عَنْـــهُ قَـــدْ بَـــدَا وَمَـــنْ يَذُقْـــهُ لَـــيْسَ يَظْمَـــا أَبَـــدَا
٣٧٦ – وَاللهُ لَا يَحْرِمُنَـــا مِـــنْ شُـــرْبِ مِنْـــهُ بِجَـــاهِ الْمُصْـــطَفَى ذِي الْقُـــرْبِ

((**وَفِيهِ**)) **أَيِ** : الْحَوْضِ ((**خُلْفٌ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، فَفَاءٍ ؛ **أَيِ** : اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي جَوَابِ : ((**هَلْ بِهِ**)) **أَيِ** : الْحَوْضِ ؛ صِلَةُ ((**انْفَرَدْ**)) . ((**الْهَادِي**)) **أَيْ** : سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((**انْفَرَدْ**)) **أَيِ** : اخْتَصَّ عَنْ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ ؟

((**وَهْوَ**)) **أَيِ** : انْفِرَادُ الْهَادِي بِهِ الْقَوْلُ ((**الْأَصَحُّ ، أَوْ لِكُلِّ مُرْسَلِ**)) بِفَتْحِ السِّينِ ((**حَوْضٌ**)) تَرِدُهُ أُمَّتُهُ ((**مِنَ الْعَذْبِ الرَّحِيقِ**)) **أَيِ** : الْخَمْرِ ((**السَّلْسَلِ ؟**)) **أَيِ** : الْمَاءِ الْعَذْبِ ، أَوِ الْبَارِدِ ؛ فَلَعَلَّهُ أَرَادَ شِبْهَ الرَّحِيقِ .
((**وَكَوْنُهُ**)) **أَيِ** : الْحَوْضِ ((**بَعْدَ الصِّرَاطِ**)) أَوْ قَبْلَهُ ((**مُخْتَلَفْ**)) بِفَتْحِ اللَّامِ ((**فِيهِ ، وَبَعْضٌ**)) مِنَ الْعُلَمَاءِ ((**بِالتَّعَدُّدِ**)) لِلْحَوْضِ ؛ صِلَةُ ((**اعْتَرَفْ**)) **أَيْ قَالَ** : لَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَوْضٌ قَبْلَهُ وَحَوْضٌ بَعْدَهُ .
((**وَذَوْدُ**)) بِفَتْحِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ، وَإِهْمَالُ الدَّالِ ؛ **أَيْ** : طَرْدُ وَإِبْعَادُ ((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ

((**التَّغْيِيرِ**)) لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**عَنْهُ**)) **أَيِ** : الْحَوْضِ ((**قَدْ بَدَا**)) **أَيْ** : ظَهَرَ وَثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ، فَيُطْرَدُ عَنْهُ الْمُرْتَدُّ ، وَالْمُخَالِفُ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ –كَالْخَوَارِجِ ، وَالرَّوَافِضِ ، وَالْمُعْتَزِلَةِ عَلَى اخْتِلَافِ فِرَقِهِمْ – وَالظَّلَمَةُ الْجَائِرُونَ ، وَالْمُعْلِنُ بِالْكَبَائِرِ ، الْمُسْتَخِفُّ بِالْمَعَاصِي ، وَأَهْلُ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ ، وَالْكُفَّارُ يُطْرَدُونَ حِرْمَانًا ، فَلَا يَشْرَبُونَ مِنْهُ أَبَدًا ، وَالْعُصَاةُ يُطْرَدُونَ مِنْهُ عُقُوبَةً لَهُمْ ، ثُمَّ يَشْرَبُونَ مِنْهُ قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ عَلَى الصَّحِيحِ .
((**وَمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**يَذُقْهُ**)) **أَيِ** : الْحَوْضَ ((**لَيْسَ يَظْمَا أَبَدَا .. وَاللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَا يَحْرِمُنَا مِنْ شُرْبِ مِنْهُ**)) **أَيِ** : الْحَوْضِ ((**بِجَاهِ الْمُصْطَفَى**)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ ((**الْقُرْبِ**)) بِضَمِّ الْقَافِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ؛ الْمَعْنَوِيِّ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **وَوَرَدَ فِي صِفَتِهِ آثَارٌ ، مُحَصَّلُهَا :**
أَنَّهُ نَهْرٌ ، طُولُهُ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ ؛ وَفِي رِوَايَةٍ : " أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ إِلَى عَدَنٍ " . وَفِي رِوَايَةٍ : " مَسِيرَةُ شَهْرٍ " .
وَعَرْضُهُ كَطُولِهِ ؛ حَافَّتَاهُ مِنْ زَبَرْجَدٍ ، وَطِينُهُ الْمِسْكُ ، وَحَصْبَاؤُهُ الدُّرُّ ، وَآنِيَتُهُ مِنْ فِضَّةٍ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ ؛ وَفِي رِوَايَةٍ : " أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ " . وَفِي رِوَايَةٍ : " مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ " .
وَلِلتِّرْمِذِيِّ فِي وَصْفِ الْكَوْثَرِ عَنْ أَنَسٍ رَفَعَهُ : " فِيهِ طَيْرٌ ، أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزُورِ ؛ فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ ! ؛ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا " .
وَعِنْدَ الثَّعْلَبِيِّ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا عَلَى أَرْكَانِهِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ : " فَمَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَأَبْغَضَ عُمَرَ لَمْ يَسْقِهِ

٣٧٧ - وَالْجَنَّـــــــةُ الَّـــــــتِي أَعَـــــــدَّ اللهُ ... حَـــــــقٌّ لِمَــــــــنْ إِنْعَامَــــــــهُ أَوْلَاهُ
٣٧٨ - وَالْمُؤْمِنُــــونَ بِالْأَمَـــانِ أُسْـــعِدُوا ... فِيهَـــــا وَفِي أَوْجِ التَّهَـــــانِي أُصْـــــعِدُوا
٣٧٩ - وَكَيْــفَ لَا وَقَــدْ تَنَــاهَى كُــلُّ سُــو ... عَــنْهُمْ وَنَــالُوا مَــا اشْــتَهَتْهُ الْأَنْفُــسُ ؟!
٣٨٠ - وَأُتْحِفُـــوا مِـــنَ الْعَطَايَـــا وَالْبُشَـــرْ ... مَـــا لَمْ يَكُـــنْ يَخْطُـــرُ فِي قَلْـــبِ الْبَشَـــرْ
٣٨١ - وَمِــنْ رِضَــا الــرَّحْمَنِ مَــا قَــرَّتْ بِــهِ ... عُيُـــونُهُمْ مَـــعْ أَمْـــنِهِمْ مِـــنْ سَـــلْبِهِ
٣٨٢ - وَزَادَهُـــمْ مِـــنْ بَعْـــدِ هَـــذَا كُلِّـــهِ ... رُؤْيَـــتَهُمْ مَـــنْ عَمَّهُـــمْ بِفَضْـــلِهِ

أَبُو بَكْرٍ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ وَأَبْغَضَ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسْقِهِ عُمَرُ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ وَأَبْغَضَ عَلِيًّا لَمْ يَسْقِهِ عُثْمَانُ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا وَأَبْغَضَ عُثْمَانَ لَمْ يَسْقِهِ عَلِيٌّ " .

وَفِي [مُسْلِمٍ] : " تَرِدُ أُمَّتِي عَلَيَّ الْحَوْضَ ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ ؛ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، تَعْرِفُنَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيَّ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَصْحَابِي أَصْحَابِي . فَيَقُولُ : وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟ " .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ : " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ، وَلَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ ، حَتَّى إِذَا هَوِيتُ إِلَيْهِمْ لِأُنَاوِلَهُمْ ، اُخْتُلِجُوا دُونِي ، فَأَقُولُ : أَيْ رَبِّ، أُصَيْحَابِي ! فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؛ فَأَقُولُ : سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي " .

وَلِلتِّرْمِذِيِّ : " أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا تَرِدُهُ أُمَّتُهُ ، وَأَنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً " .

وَاخْتُلِفَ ، هَلْ هُوَ قَبْلَ الصِّرَاطِ ؟ وَصَوَّبَهُ الْغَزَّالِيُّ ؛ أَوْ بَعْدَهُ ؟ ؛ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَهُمَا حَوْضَانِ :

١ – الْأَوَّلُ : قَبْلَ الصِّرَاطِ ، وَقَبْلَ الْمِيزَانِ عَلَى الْأَصَحِّ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ عِطَاشًا ، فَيَرِدُونَهُ قَبْلَ الْمِيزَانِ .

٢ – وَالثَّانِي : فِي الْجَنَّةِ .

وَكِلَاهُمَا يُسَمَّى كَوْثَرًا ؛ وَأَحَادِيثُ ذِكْرِ الْحَوْضِ مُتَوَاتِرَةٌ ، رُوِيَتْ عَنْ نَحْوِ سِتِّينَ مِنَ الصَّحَابَةِ » . اِنْتَهَى .

((**وَالْجَنَّةُ الَّتِي أَعَدَّ**)) **هَا** ((**اللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**حَقٌّ**)) ثَابِتٌ بِالْقُرْءَانِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَصِلَةُ ((**أَعَدَّ**)) **هَا** : ((**لِمَنْ**)) **أَيِ** : الْفَرِيقِ الَّذِي ((**إِنْعَامَهُ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ أَيِ : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ مَفْعُولٌ لِمَحْذُوفٍ ، فَسَّرَهُ وَدَلَّ عَلَيْهِ : ((**أَوْلَاهُ**)) **أَيْ** : أَعْطَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَالْهَاءُ عَائِدٌ ((**مَنْ**)) .

((**وَالْمُؤْمِنُونَ بِالْأَمَانِ**)) مِنْ كُلِّ شَرٍّ ؛ صِلَةُ ((**أُسْعِدُوا**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الْعَيْنِ ((**فِيهَا**)) **أَيِ** : الْجَنَّةِ ((وَفِي **أَوْجِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ، فَجِيمٍ ؛ **أَيْ** : أَعْلَى ؛ صِلَةُ ((**أُصْعِدُوا**)) . ((**التَّهَانِي**)) بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَكَسْرِ النُّونِ ؛ جَمْعُ " تَهْنِئَةٍ " **أَيِ** : التَّفْرِيحُ بِمَا يَسُرُّ ، وَالدُّعَاءُ بِدَوَامِهِ ؛ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : الدَّرَجَاتُ الْعُلَا الَّتِي يُهَنَّى بِهَا مَنْ وَصَلَهَا .

((**أُصْعِدُوا**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الْعَيْنِ ؛ **أَيْ** : جُعِلُوا صَاعِدِينَ ((**وَكَيْفَ لَا**)) يَكُونُونَ مُسْعَدِينَ بِالْأَمْنِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ ،

وَلَا مُصْعَدِينَ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَا ((وَ)) الْحَالُ أَنَّهُمْ ((**قَدْ تَنَاهَى كُلُّ سُو**)) بِضَمِّ السِّينِ ؛ فِي الْبُعْدِ ((**عَنْهُمْ**)) **أَيِ** : الْمُؤْمِنِينَ ((**وَنَالُوا**)) **أَيْ** : أَدْرَكَ الْمُؤْمِنُونَ ((**مَا**)) **أَيِ** : النَّعِيمَ الَّذِي ((**اشْتَهَتْهُ الْأَنْفُسُ ؟! .. وَأُتْحِفُوا**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ، وَكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : أُهْدُوا وَأُعْطُوا ((**مِنَ الْعَطَايَا وَالْبُشَرْ**)) بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ ، وَفَتْحِ الْجِيمِ الْمُعْجَمَةِ ، جَمْعُ " بُشْرَى " ؛ **أَيْ** : مَا يُبَشَّرُ بِهِ . بَيَانُ ((**مَا**)) الْآتِي .

((**مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَضَمٍّ ((**فِي قَلْبِ الْبَشَرْ**)) بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ .

((**وَمِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**رِضَا**)) بِكَسْرِ الرَّاءِ ، وَفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ، مَقْصُورٌ ((**الرَّحْمَنِ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ . بَيَانُ ((**مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**قَرَّتْ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ وَالرَّاءِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : فَرِحَتْ ((**بِهِ**)) عَائِدُ ((**مَا**)) .

((**عُيُونُهُمْ**)) **أَيِ** : الْمُؤْمِنِينَ ((**مَعْ**)) بِسُكُونِ الْعَيْنِ ، لِلْوَزْنِ ((**أَمْنِهِمْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيِ** : الْمُؤْمِنِينَ ((**مِنْ سَلْبِهِ**)) **أَيْ** : إِزَالَتِهِ عَنْهُمْ .

((**وَزَادَهُمْ**)) **أَيِ** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْمُؤْمِنِينَ ((**مِنْ بَعْدِ**)) بِفَتْحِ الْبَاءِ ((**هَذَا**)) الْمَذْكُورِ ((**كُلِّهِ**)) .

وَمَفْعُولُ ((**زَادَهُمْ**)) : ((**رُؤْيَتَهُمْ**)) **أَيِ** : الْمُؤْمِنِينَ . مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِفَاعِلِهِ . وَمَفْعُولُهُ : ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي ((**عَمَّهُمْ**)) **أَيِ** : الْمُؤْمِنِينَ ((**بِفَضْلِهِ**)) **أَيِ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بِلَا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارٍ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] ، فَـ ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ : الْجَنَّةُ ؛ وَالزِّيَادَةُ : النَّظَرُ إِلَيْهِ تَعَالَى .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ بَعْدَ ذِكْرِهِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَبَعْدَهُ ، وَذِكْرِهِ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ :

« وَقَدْ نَقَلْنَا لَكَ عِبَارَتَهُ فِيمَا سَبَقَ فِي [فَصْلُ الرُّؤْيَةِ] مَا نَصُّهُ :

" وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ عَلَى وُقُوعِ الرُّؤْيَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ الْوَارِدَ فِي ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ ، حَتَّى ظَهَرَتْ مَقَالَةُ الْمُعْتَزِلَةِ الْمُحِيلِينَ لَهَا ؛ فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْحَقِّ بِوَجْهَيْنِ :

١ – الْأَوَّلُ : أَنَّا قَاطِعُونَ بِرُؤْيَةِ الْأَعْيَانِ وَالْأَعْرَاضِ ، ضَرُورَةَ أَنَّا نُفَرِّقُ بِالْبَصَرِ بَيْنَ جِسْمٍ وَجِسْمٍ ، وَعَرَضٍ وَعَرَضٍ ؛ وَلَا بُدَّ لِلْحُكْمِ الْمُشْتَرَكِ مِنْ عِلَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ ، **وَهِيَ** : إِمَّا الْوُجُودُ ، أَوِ الْحُدُوثُ ، أَوِ الْإِمْكَانُ . إِذْ لَا رَابِعَ يَشْتَرِكُ بَيْنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَعْرَاضِ .

وَالْحُدُوثُ : الْوُجُودُ عَنْ عَدَمٍ . **وَالْإِمْكَانُ**: عَدَمُ ضَرُورَةِ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ . وَظَاهِرٌ أَنَّهُ لَا مَدْخَلَ لِلْعَدَمِ فِي الْعِلَّةِ ، فَيَتَعَيَّنُ الْوُجُودُ ، وَهُوَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الصَّانِعِ وَغَيْرِهِ ، فَتَصِحُّ رُؤْيَتُهُ ، لِتَحَقُّقِ عِلَّةِ الصِّحَّةِ ، وَهِيَ الْوُجُودُ ، وَيَتَوَقَّفُ امْتِنَاعُهَا عَلَى ثُبُوتِ كَوْنِ شَيْءٍ مِنْ خَوَاصِّ الْمُمْكِنِ شَرْطًا ، أَوْ مِنْ خَوَاصِّ الْوَاجِبِ مَانِعًا ؛ وَلَمْ يَثْبُتْ ، وَالْأَصْلُ عَدَمُهُ .

وَعَلَى هَذَا ، فَيَصِحُّ رُؤْيَةُ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ ، مِنَ الْأَصْوَاتِ ، وَالطُّعُومِ ، وَالرَّوَائِحِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ وَإِنَّمَا لَا تُرَى ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ فِي الْعَبْدِ رُؤْيَتَهَا بِطَرِيقِ جَرْيِ الْعَادَةِ ، لَا لِامْتِنَاعِ رُؤْيَتِهَا .

٢ – الثَّانِي : أَنَّ مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – سَأَلَهَا ، فَلَوْ لَمْ تَكُنْ ، لَكَانَ طَلَبُهَا جَهْلًا بِمَا يَجُوزُ فِي ذَاتِ الْبَارِي وَمَا

لَا يَجُوزُ ، أَوْ سَفَهًا وَعَبَثًا ؛ وَالْأَنْبِيَاءُ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذَلِكَ .
وَأَيْضًا ، فَإِنَّ وُقُوعَهَا مُعَلَّقٌ عَلَى اسْتِقْرَارِ الْجَبَلِ ، وَهُوَ مُمْكِنٌ ، وَالْمُعَلَّقُ عَلَى الْمُمْكِنِ مُمْكِنٌ ، إِذْ مَعْنَى التَّعْلِيقِ : الْإِخْبَارُ بِثُبُوتِ الْمُعَلَّقِ عِنْدَ ثُبُوتِ الْمُعَلَّقِ عَلَيْهِ . وَالْمُحَالُ لَا يَثْبُتُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّقَادِيرِ الْمُمْكِنَةِ .
فَإِنْ أَجَابُوا :

بِأَنَّ سُؤَالَ مُوسَى كَانَ لِأَجْلِ قَوْمِهِ ، إِذْ قَالُوا : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ [النساء : ١٥٣] فَسَأَلَهَا لِيَعْلَمُوا امْتِنَاعَهَا كَمَا عَلِمَهُ ، وَبِأَنَّ الْمُعَلَّقَ عَلَيْهِ مُحَالٌ لَا مُمْكِنٌ ، إِذْ هُوَ اسْتِقْرَارُ الْجَبَلِ حَالَ تَحَرُّكِهِ .
قُلْنَا :
كُلُّ ذَلِكَ خِلَافُ الظَّاهِرِ ، لَا ضَرُورَةَ فِي ارْتِكَابِهِ ؛ عَلَى أَنَّ قَوْمَ مُوسَى السَّائِلِينَ لَهَا ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ، كَفَاهُمْ إِخْبَارُهُ بِامْتِنَاعِهَا ، وَإِلَّا لَمْ يُصَدِّقُوهُ فِي إِخْبَارِهِ عَنِ اللهِ أَنَّهُ حَكَمَ بِامْتِنَاعِهَا عِنْدَمَا طَلَبَهَا ؛ فَبَقِيَ السُّؤَالُ عَبَثًا ؛ وَالِاسْتِقْرَارُ حَالَ التَّحْرِيكِ مُمْكِنٌ لَا مُحَالٌ ، بِأَنْ يَقَعَ السُّكُونُ بَدَلَ الْحَرَكَةِ ، وَإِنَّمَا الْمُحَالُ اجْتِمَاعُهُمَا .

وَاحْتَجَّ الْمُعْتَزِلَةُ بِوَجْهَيْنِ :
١ – أَحَدُهُمَا : أَنَّ الرُّؤْيَةَ مَشْرُوطَةٌ بِأَنْ يَكُونَ الْمَرْئِيُّ فِي جِهَةٍ ، وَمُقَابَلَةِ الرَّائِي لَهُ ، وَاتِّصَالِ الشُّعَاعِ مِنَ الرَّائِي إِلَيْهِ ، وَثُبُوتِ مَسَافَةٍ مَخْصُوصَةٍ بَيْنَهُمَا ، مِنْ عَدَمِ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ جِدًّا . وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ فِي حَقِّ الْبَارِي تَعَالَى .

وَجَوَابُهُ :
مَنْعُ هَذَا الِاشْتِرَاطِ ، وَقِيَاسُ الْغَائِبِ عَلَى الشَّاهِدِ فَاسِدٌ ، وَإِنَّمَا الشَّرْطُ الْوُجُودُ .
فَإِنْ قِيلَ : لَوْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَالْحَاسَّةُ سَلِيمَةٌ ، لَوَجَبَ أَنْ يُرَى الْآنَ ، وَإِلَّا لَجَازَ أَنْ يَكُونَ بِحَضْرَتِنَا جِبَالٌ شَاهِقَةٌ لَا نَرَاهَا ، وَأَنَّهُ سَفْسَطَةٌ ! .

قُلْنَا :
مَمْنُوعٌ ، فَإِنَّ الرُّؤْيَةَ – عِنْدَنَا – بِخَلْقِ اللهِ تَعَالَى ، لَا تَجِبُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الشَّرَائِطِ .

٢ – ثَانِيهَا : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

وَجَوَابُهُ :
أَنَّ (أَلْ) لَيْسَتْ لِلِاسْتِغْرَاقِ ، أَوْ هُوَ عَامٌّ مَخْصُوصٌ بِالْكَافِرِينَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين : ١٥] ، بِدَلِيلِ : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ [القيامة : ٢٣] وَغَيْرِهِ ؛ أَوْ هُوَ مِنْ بَابِ سَلْبِ الْعُمُومِ ، لَا عُمُومِ السَّلْبِ؛ **أَيْ** : لَا تُدْرِكُهُ كُلُّ الْأَبْصَارِ ، بَلْ بَعْضُهَا ؛ أَوِ الْمَنْفِيُّ هُوَ الْإِدْرَاكُ ، أَيِ الْإِحَاطَةُ ، وَهِيَ أَخَصُّ مِنَ الرُّؤْيَةِ ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِهِ نَفْيُهَا ؛ أَوِ الْمَنْفِيُّ الرُّؤْيَةُ فِي الدُّنْيَا ، إِذْ لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى عُمُومِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالِ ؛ وَفِي هَذَا نَظَرٌ ، بَلْ

٣٨٣ – فَنَسْــــأَلُ الْكَـــــرِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَـــا مِـــــنْهُمْ ، وَأَنْ يُيَسِّـــــرَ النَّفْـــعَ لَنَـــا

قَدِ اسْتُدِلَّ بِالْآيَةِ عَلَى الْجَوَازِ ، إِذْ هِيَ مَسُوقَةٌ لِلتَّمَدُّحِ ، وَلَوِ امْتَنَعَتْ مَا حَصَلَ تَمَدُّحٌ بِنَفْيِهَا ، كَالْمَعْدُومِ ، لَا يُمْدَحُ بِعَدَمِ رُؤْيَتِهِ ، لِامْتِنَاعِهَا ؛ وَإِنَّمَا التَّمَدُّحُ فِي أَنَّهُ تُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ وَلَا يُرَى ، لِلتَّمَنُّعِ وَالتَّعَزُّزِ بِحِجَابِ الْكِبْرِيَاءِ ... » . اهـ .

ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ كِيرَانَ مَا أَنْشَدَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ [سُورَةِ الْأَعْرَافِ] مِنْ هِجَائِهِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ قَوْلِهِ :

لَجَمَاعَـــــــــــــــــــــةٌ ... ... إلخ

وَمَا رَدَّ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِ ؛ فَانْظُرْهُ إِنْ شِئْتَ .

((**فَنَسْأَلُ**)) اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْكَرِيمَ**)) الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى ، وَإِذَا أَعْطَى زَادَ عَلَى مُنْتَهَى الرَّجَا ، وَلَا يُبَالِي كَمْ أَعْطَى ، وَلَا لِمَنْ أَعْطَى ؛ وَإِنْ رُفِعَتْ حَاجَةٌ إِلَى غَيْرِهِ لَا يَرْضَى ، وَلَا يُضَيِّعُ مَنْ لَاذَ بِهِ وَالْتَجَا ، وَيُغْنِيهِ عَنِ الْوَسَائِلِ وَالشُّفَعَا ((**أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ**)) **أَيِ** : الْمُؤْمِنِينَ ((**وَأَنْ يُيَسِّرَ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ الْأُولَى ، وَفَتْحِ الثَّانِيَةِ ، وَكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : يُسَهِّلَ ((**النَّفْعَ لَنَا**)) .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« يَجِبُ الْإِيمَانُ بِخُلُودِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْكَافِرِينَ فِي النَّارِ ؛ وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ الْآنَ ، خِلَافًا لِأَكْثَرِ الْمُعْتَزِلَةِ أَنَّهُمَا يُخْلَقَانِ يَوْمَ الْجَزَاءِ .

لَنَا : قِصَّةُ آدَمَ وَحَوَّاءَ ، وَإِسْكَانُهُمَا الْجَنَّةَ ، وَالْآيَاتُ الظَّاهِرَةُ فِي إِعْدَادِهِمَا ، مِثْلُ : ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة : ٢٤] ، إِذْ لَا ضَرُورَةَ فِي الْعُدُولِ عَنِ الظَّاهِرِ .

فَإِنْ عُورِضَ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا** ... ﴾ [القصص : ٨٣] .

قُلْنَا : يُحْتَمَلُ الْحَالُ وَالِاسْتِمْرَارُ ، وَلَوْ سُلِّمَ ، فَقِصَّةُ آدَمَ تَبْقَى سَالِمَةً مِنَ الْمُعَارِضِ .

وَفِي الْحَدِيثِ : " اِطَّلَعْتُ عَلَى النَّارِ فَوَجَدتُّ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ " ، وَ " اِشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا " .

وَغَيْرُ ذَلِكَ .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ : " لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ ، قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا . فَحَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ :

... ...

اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . وَلَمَّا خَلَقَ النَّارَ قَالَ لِجِبْرِيلَ : اِذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا ، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ : وَعِزَّتِكَ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا » . اِهـ .

قَالُوا : لَوْ كَانَتَا مَوْجُودَتَيْنِ لَفَنِيَتَا بَعْدُ، لِآيَةِ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] ، فَيَجِبُ إِعَادَتُهُمَا بَعْدُ ، وَلَا فَائِدَةَ فِي ذَلِكَ .

قُلْنَا :

هُمَا مِنَ الْمُسْتَثْنَيَاتِ مِنْ عُمُومِ الْآيَةِ ؛ وَالْمُسْتَثْنَيَاتُ سَبْعٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، جُمِعَتْ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ :

(سَبْعٌ مِنَ الْمَخْلُوقِ غَيْرُ فَانِيَةْ ... الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْهَاوِيَةْ
وَقَلَمٌ والرُّوحُ وَالْأَرْوَاحُ ... وَجَنَّةٌ فِي عَرْضِهَا نَرْتَاحُ)

وَأَيْضًا ، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ : أَنَّ كُلَّ حَادِثٍ هَالِكٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ ، بِمَعْنَى : أَنَّ الْوُجُودَ الْإِمْكَانِيَّ – بِالنَّظَرِ إِلَى الْوُجُودِ الْوَاجِبِ – بِمَنْزِلَةِ الْعَدَمِ ، لِاحْتِيَاجِهِ ابْتِدَاءً وِفَاقًا وَدَوَامًا عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ احْتِيَاجِ بَقَاءِ الْحَادِثِ إِلَى الِاسْتِنَادِ إِلَى الْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ .

(الثَّانِي) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَرَدَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ آيَاتٌ وَآثَارٌ لَا تُحْصَى ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] ، ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ ... ﴾ [محمد : ١٥] إلخ ، ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ... ﴾ [الزخرف : ٧١] الْآيَةَ ، ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الواقعة : ٢٨] الْآيَةَ ، ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ... ﴾ [الإنسان : ١٩] الْآيَةَ ، ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ ﴾ [الواقعة : ١٧ - ١٨] ... } الْآيَةَ ، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ... ﴾ [الرحمن : ٤٦] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

وَلْنَقْتَصِرْ عَلَى نَزْرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ تَبَرُّكًا :

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، مِمَّ خَلِقَ الْخَلْقُ ؟ قَالَ : مِنَ الْمَاءِ . قُلْتُ : الْجَنَّةُ ، مَا بِنَاؤُهَا ؟ قَالَ : لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَبَلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ ، مَنَ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ ، وَيُخَلَّدُ وَلَا يَمُوتُ ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ ... " . الْحَدِيثَ .

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مَرْفُوعًا : " فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً ، وَمِنْهَا تَتَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةُ ، وَمِنْ فَوْقِهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ".

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا : " لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ ، أَوْ مَوْضِعُ قَدِّهِ ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا ، وَلَنَصِيفُهَا – يَعْنِي الْخِمَارَ – خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " . وَ " قَدُّ الشَّيْءِ " : قَدْرُهُ .

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ عَلِيٍّ رَفَعَهُ : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعًا لِلْحُورِ الْعِينِ ، يُغَنِّينَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ تَسْمَعِ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا ، يَقُلْنَ : نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ " .

وَأَخْرَجَ هُوَ وَالشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ : " إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ ، لَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَتْفُلُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ وَالْأَلَنْجُوجُ ، أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ " .

" الأَلُوَّةُ وَالْأَلَنْجُوجُ " : مِنْ أَسْمَاءِ الْعُودِ الَّذِي يُتَبَخَّرُ بِهِ ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا : " الْكِبَاءُ " .

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ فِي أُخْرَى : " وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ؛ قِيلَ : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : جِشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ " .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْخُدْرِيِّ رَفَعَهُ : " أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَةِ مَنْزِلَةً الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفِ خَادِمٍ ، وَاثْنَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً ، وَتُنْصَبُ لَهُمْ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ ، كَمَا بَيْنَ الْجَابِيَةِ إِلَى صَنْعَاءَ .

(**الثَّالِثُ**) :

أُخْتُلِفَ فِي الْجَنَّةِ ، هَلْ هِيَ سَبْعُ جَنَّاتٍ مُتَجَاوِرَةٌ ، أَفْضَلُهَا وَأَوْسَطُهَا الْفِرْدَوْسُ ، وَهِيَ أَعْلَاهَا ، وَالْمُجَاوَرَةَ لَا تُنَافِي الْعُلُوَّ ، وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهَا تَتَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ؛ وَيَلِيهَا فِي الْأَفْضَلِيَّةِ جَنَّةُ عَدْنٍ ، ثُمَّ جَنَّةُ الْخُلْدِ ، ثُمَّ جَنَّةُ النَّعِيمِ ، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى ، وَدَارُ السَّلَامِ ، وَدَارُ الْجَلَالِ .

وَالْجِنَانُ كُلُّهَا مُتَّصِلَةٌ بِمَقَامِ الْوَسِيلَةِ ، لِيَتَنَعَّمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِمُشَاهَدَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِظُهُورِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ مِنْهَا ، لِأَنَّهَا تُشْرِقُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ تُشْرِقُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ؟ .

وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

أَوْ أَرْبَعٌ ؟ وَرَجَّحَهُ جَمَاعَةٌ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٦] : جَنَّةُ النَّعِيمِ ،

... ...

وَجَنَّةُ الْمَأْوَى ؛ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الرحمن : ٦٢] : جَنَّةُ عَدْنٍ ، وَجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ . كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ . وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ .

أَوْ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا جَارِيَةٌ عَلَيْهَا ، لِتَحَقُّقِ مَعَانِيهَا فِيهَا ، إِذْ يَصْدُقُ عَلَى الْجَمِيعِ جَنَّةُ عَدْنٍ ، أَيْ إِقَامَةٍ ، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى ، **أَيْ** : مَأْوَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَنَّةُ الْخُلْدِ ، وَدَارُ السَّلَامِ ، لِأَنَّ جَمِيعَهَا لِلْخُلُودِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَحُزْنٍ ؛ وَجَنَّةُ النَّعِيمِ ، لِأَنَّهَا كُلَّهَا مَشْحُونَةٌ بِأَصْنَافِهِ ؟ .

(الرَّابِعُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **[تَتِمَّةٌ]** :

قَالَ فِي [النِّقَايَةِ] وَشَرْحِهَا : وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ ؛ وَقِيلَ : فِي الْأَرْضِ ؛ وَقِيلَ بِالْوَقْفِ .

وَالْأَوَّلُ يُفِيدُهُ قَوْلُهُ : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا ﴾ [البقرة : ٣٨] .

قُلْتُ : وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ لَمَّا فَرَغَ مِنْ ذِكْرِ عُرُوجِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ : " ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ " .

وَالثَّانِي هُوَ ظَاهِرُ حَدِيثِ أَبِي نُعَيْمٍ فِي [تَارِيخِ أَصْبِهَانَ] عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا : " إِنَّ جَهَنَّمَ مُحِيطَةٌ بِالدُّنْيَا ، وَإِنَّ الْجَنَّةَ مِنْ وَرَائِهَا ، فَلِذَلِكَ كَانَ الصِّرَاطُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ " . اهـ .

وَنَقِفُ عَنِ النَّارِ ، **أَيْ** : نَقُولُ بِقَوْلِ الْوَقْفِ ، وَإِنَّ مَحَلَّهَا حَيْثُ يَعْلَمُ اللهُ .

وَقِيلَ : تَحْتَ الْأَرْضِ ، لِمَا رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي [الشُّعَبِ] عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : " إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ ، أُمِرَ بِالْفَلَقِ فَيَنْكَشِفُ عَنْ سَقَرَ ، وَهُوَ غِطَاؤُهَا ، فَتَخْرُجُ مِنْهُ نَارٌ تُنَشِّفُ الْبَحْرَ الْمُنْطَبِقَ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، الْحَاجِزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ الْعَيْنِ ، فَتَشْتَعِلُ فِي الْأَرْضِ ، فَتَدَعَهَا جَمْرَةً وَاحِدَةً " .

وَقِيلَ : عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، لِمَا رُوِيَ عَنْ وَهْبٍ أَيْضًا : " أَشْرَفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَلَى جَبَلِ (قَافْ) فَقَالَ : يَا قَافْ ، أَخْبِرْنِي عَنْ عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى ؛ قَالَ : إِنَّ شَأْنَ رَبِّنَا لَعَظِيمٌ ، وَإِنَّ وَرَائِي أَرْضًا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فِي خَمْسِمِائَةِ عَامٍ مِنْ جِبَالِ ثَلْجٍ ، يُحَطِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَوْلَا هِيَ لَاحْتَرَقْتُ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ " .

وَرَوَى الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – قَالَ : " الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ ، وَالنَّارُ فِي الْأَرْضِ " . اهـ .

وَقِيلَ : مَحَلُّهَا فِي السَّمَاءِ أَيْضًا » . اهـ .

**** **** **** ****

[خَاتِمَةٌ نَسْأَلُ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – حُسْنَهَا فِي مَسَائِلَ نَافِعَةٍ]

٣٨٤ – وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْقَدَرِ خَيْرٍ وَضِدِّهِ كَمَا فِي الْخَبَرِ

((**وَوَاجِبٌ**)) شَرْعًا ((**إِيمَانُنَا**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : تَصْدِيقُنَا ((**بِالْقَدَرِ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ؛

أَيْ : عِلْمِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَإِرَادَتِهِ الْأَشْيَاءَ الْمُمْكِنَةَ قَبْلَ وُجُودِهَا ((**خَيْرٍ**)) **أَيْ** : طَاعَةٍ وَمَنْفَعَةٍ

((**وَضِدِّهِ**)) **أَيِ** : الْخَيْرِ ، مِنْ مَعْصِيَةٍ وَمَضَرَّةٍ ((**كَمَا**)) **أَيِ** : الَّذِي أَتَى ((**فِي الْخَبَرِ**)) **أَيِ** : الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **أَيْ** : يَجِبُ اعْتِقَادُ أَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى ، وَإِرَادَتَهُ ، وَقُدْرَتَهُ ؛ تَعَلَّقَتْ – فِي الْأَزَلِ – بِالْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِيمَا لَا يَزَالُ ، فَلَا حَادِثَ – خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا – إِلَّا وَهُوَ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ تَعَالَى ، وَإِرَادَتِهِ ، وَقُدْرَتِهِ ؛ لَا كَمَا زَعَمَ مَعبَدٌ الْجُهَنِيُّ وَشِيعَتُهُ :

" أَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ " **أَيْ** : مُسْتَأْنَفٌ ، لَمْ يَسْبِقْ عِلْمُ اللهِ بِهِ ؛ وَلَا كَمَا زَعَمَتِ الْمُعْتَزِلَةُ : أَنَّ الْكُفْرَ ، وَالشُّرُورَ ، وَالْمَعَاصِيَ ؛ وَاقِعَةٌ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ وَاقِعَةٌ بِقُدْرَتِهِمُ الْحَادِثَةِ ، لَا بِقُدْرَتِهِ تَعَالَى ؛ وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ لَا نِزَاعَ فِي كُفْرِ مُنْكِرِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى الْجُزْئِيَّاتِ .

وَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَفَعَهُ : لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ » . اهـ .

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ – كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ – أَنَّهُ قَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ، وَيُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَيُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ » .

وَفِي [الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ] : « الْإِيمَانُ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ » .

[قَالَ] الْأُبِّيُّ : « الْقَدَرُ – فِي عُرْفِ الْمُتَكَلِّمِينَ – تَعَلُّقُ عِلْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَإِرَادَتِهِ أَزَلًا بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وُقُوعِهَا ؛ **وَقِيلَ** : إِرَادَتُهَا فَقَطْ . وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ » .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« وَاخْتُلِفَ فِي الْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ ، هَلْ هُمَا مُتَرَادِفَانِ ؛ وَهُمَا تَعَلُّقُ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ فِي الْأَزَلِ بِالْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِيمَا لَا يَزَالُ ؟ . أَوْ هُمَا مُتَغَايِرَانِ ؟ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ ؛ ثُمَّ قَالَ الْأَكْثَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ : الْقَدَرُ سَابِقٌ عَلَى الْقَضَاءِ ، فَالْقَدَرُ

٣٨٥ – وَذُو السَّعَادَةِ السَّعِيدُ فِي الْأَزَلْ وَضِدُّهُ الشَّقِيُّ حَيْثُمَا نَزَلْ
٣٨٦ – وَكُلُّهُمْ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقْ لَهُ ، فَدَاجٍ أَمْرُهُ وَمُؤْتَلِقْ

هُوَ مَا مَرَّ ، وَالْقَضَاءُ : إِبْرَازُ الْكَائِنَاتِ فِيمَا لَا يَزَالُ عَلَى وَفْقِ الْقَدَرِ السَّابِقِ ، فَهُوَ حَادِثٌ ؛ وَقِيلَ عَكْسُهُ ، فَيَنْعَكِسُ تَفْسِيرُهُمَا ؛ وَقِيلَ : حَادِثَانِ وَالْقَضَاءُ سَابِقٌ ؛ وَهُوَ : حُصُولُ الْأَشْيَاءِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مُجْمَلَةً ؛ وَالْقَدَرُ : إِبْرَازُهَا لِأَوْقَاتِهَا ؛ وَقِيلَ عَكْسُهُ » . اهـ .

وَإِثْبَاتُ الْقَدَرِ هِيَ عَقِيدَةُ جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِي آخِرِ قَرْنِ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ – طَائِفَةٌ قَالُوا : إِنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ وُقُوعِهَا .
[قَالَ] عِيَاضٌ : « وَلَا خِلَافَ فِي كُفْرِهِمْ ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي كُفْرِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمَازِرِيِّ أَنَّ الْخِلَافَ فِي كُفْرِ الْفَرِيقَيْنِ » .

((**وَذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**السَّعَادَةِ**)) هُوَ ((**السَّعِيدُ**)) **أَيْ** : الَّذِي عَلِمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**فِي الْأَزَلْ**)) **أَيْ** : مَا لَا ابْتِدَاءَ لَهُ ؛ سَعَادَتَهُ إِذَا خَلَقَهُ ((**وَضِدُّهُ**)) **أَيِ** : السَّعِيدُ، وَهُوَ ((**الشَّقِيُّ**)) مَنْ عَلِمَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي الْأَزَلِ شَقَاوَتَهُ إِذَا خَلَقَهُ ((**حَيْثُمَا نَزَلْ**)) **أَيْ** : وُجِدَ ((**وَكُلُّهُمْ**)) **أَيْ** : ذَوِي السَّعَادَةِ وَذَوِي الشَّقَاوَةِ ((**مُيَسَّرٌ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : مُسَهَّلٌ ((**لِمَا**)) **أَيِ** : الْعَمَلِ الَّذِي ((**خُلِقْ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ اللَّامِ، فَقَافٍ ؛ **أَيْ** : ذُو السَّعَادَةِ وَذُو الشَّقَاوَةِ ((**لَهُ**)) **أَيِ** : الْعَمَلِ ؛ عَائِدُ ((**مَا**)) .

فَالسَّعِيدُ يُيَسِّرُهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلْإِيمَانِ وَالطَّاعَاتِ ؛ وَالشَّقِيُّ يُيَسِّرُهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠** ﴾ [الليل : ٥ – ١٠] .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :
« وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ أَيْضًا : " أَنَّ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ ، فِيمَ الْعَمَلُ ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ ؟ قَالَ : فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ؛ قَالَ : فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ قَالَ : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَكُلُّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ " .
وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩** ﴾ [الرحمن : ٢٩] **فَالْمُرَادُ** : شُئُونٌ يُبْدِيهَا لَا يَبْتَدِيهَا .
ذَكَرَ صَاحِبُ [الْكَشَّافِ] أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ طَاهِرٍ قَالَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضْلِ : " أَشْكَلَ عَلَيَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩** ﴾ [الرحمن : ٢٩] مَعَ مَا صَحَّ أَنَّ الْقَلَمَ جَفَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : هِيَ شُئُونٌ يُبْدِيهَا – **أَيْ** : يُظْهِرُهَا عَلَى وَفْقِ قَضَائِهِ فِي الْأَزَلِ – لَا شُئُونٌ يَبْتَدِيهَا – **أَيْ** : يُنْشِئُهَا الْآنَ ، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ

٣٨٧ – وَالْكُـــلُّ لَا يَخْـــرُجُ عَـــنْ حُكْـــمِ الْقَضَـــا وَلَـــيْسَ مَـــا أَظْلَـــمَ مِثْـــلَ مَـــا أَضَـــا

سَابِقٌ – فَقَامَ عَبْدُ اللهِ وَقَبَّلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ " .
وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ ابْنَ الْجَوْزِيِّ جَلَسَ يَوْمًا عَلَى كُرْسِيِّ وَعْظِهِ ، فَذَكَرَ الْآيَةَ ، فَوَقَفَ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ : فَمَا يَفْعَلُ رَبُّكَ الْآنَ ؟ ؛ فَسَكَتَ ، وَبَاتَ مَهْمُومًا ، فَرَأَى الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَسَأَلَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : " إِنَّ السَّائِلَ هُوَ الْخَضِرُ ، وَسَيَعُودُ إِلَيْكَ ، فَقُلْ لَهُ : شُئُونٌ يُبْدِيهَا لَا يَبْتَدِيهَا ، يَخْفِضُ أَقْوَامًا وَيَرْفَعُ آخَرِينَ " ؛ فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ : صَلَّى اللهُ عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ » . اهـ .

((**فَـ**)) ـ**الشَّقِيُّ** ((**ـدَاجٍ**)) بِإِهْمَالِ الدَّالِ ، ثُمَّ جِيمٍ ؛ **أَيْ** : مُظْلِمٌ ((**أَمْرُهُ**)) **أَيْ** : عَمَلُهُ ((**وَ**)) السَّعِيدُ ((**مُؤْتَلِقْ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الْهَمْزِ ، وَفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ ، وَكَسْرِ اللَّامِ ، فَقَافٍ ؛ **أَيْ** : مُضِيءٌ وَمُسْتَنِيرٌ عَمَلُهُ .

((**وَالْكُلُّ**)) مِنَ السُّعَدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ ((**لَا يَخْرُجُ عَنْ حُكْمِ الْقَضَا**)) مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، **أَيْ** : إِرَادَتِهِ وَخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**وَلَيْسَ مَا أَظْلَمَ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ وَهُوَ كُفْرُ الْأَشْقِيَاءِ وَمَعَاصِيهِمْ ((**مِثْلَ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**مَا أَضَا**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ؛ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالطَّاعَاتُ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ** ﴾ [الرعد : ١٦] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠** ﴾ [فاطر : ١٩ – ٢٠] .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ السَّعِيدَ : مَنْ عَلِمَ اللهُ فِي الْأَزَلِ مَوْتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَإِنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ كُفْرٌ ؛ وَالشَّقِيَّ : مَنْ عَلِمَ اللهُ فِي الْأَزَلِ مَوْتَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَإِنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ إِسْلَامٌ .
فَالسَّعَادَةُ : الْمَوْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ . **وَالشَّقَاوَةُ** : الْمَوْتُ عَلَى الْكُفْرِ ؛ الْمُقَدَّرَانِ لَهُ فِي الْأَزَلِ ؛ فَلَيْسَ كُلٌّ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ عِنْدَهُمْ بِاعْتِبَارِ الْوَصْفِ الْقَائِمِ بِهِ فِي الْحَالِ – مِنَ الْإِسْلَامِ فِي الْأَوَّلِ ، وَالْكُفْرِ فِي الثَّانِي – بَلْ بِاعْتِبَارِ مَا سَبَقَ أَزَلًا فِي عِلْمِهِ تَعَالَى ، كَمَا عَلِمْتَ .
وَعَلَى مَذْهَبِهِمْ ، لَا يُتَصَوَّرُ فِي السَّعِيدِ – أَيْ فِي الْأَزَلِ – أَنْ يَشْقَى ؛ وَلَا فِي الشَّقِيِّ كَذَلِكَ أَنْ يَسْعَدَ ؛ فَلَمْ يَتَحَوَّلْ عِنْدَهُمُ السَّعِيدُ وَالشَّقِيُّ عَمَّا خُتِمَ – بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ – لَهُ ؛ فَالسَّعِيدُ لَا يَنْقَلِبُ شَقِيًّا ، وَبِالْعَكْسِ ، وَإِلَّا لَزِمَ انْقِلَابُ الْعِلْمِ جَهْلًا ، وَتَبَدُّلُ الْإِيمَانِ كُفْرًا عِنْدَ الْمَوْتِ وَعَكْسُهُ ؛ وَهُوَ بَدِيهِيُّ الِاسْتِحَالَةِ .

وَالْحَاصِلُ :
أَنَّ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ – عِنْدَ الْأَشْعَرِيَّةِ – أَزَلِيَّتَانِ ، **أَيْ** : مُقَدَّرَتَانِ فِي الْأَزَلِ ، لَا يَتَغَيَّرَانِ وَلَا يَتَبَدَّلَانِ ، لِأَنَّ السَّعَادَةَ هِيَ الْمَوْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِ عِلْمِ اللهِ أَزَلًا بِذَلِكَ ؛ وَالشَّقَاوَةَ هِيَ الْمَوْتُ عَلَى الْكُفْرِ بِذَلِكَ الِاعْتِبَارِ كَمَا

تَقَدَّمَ .
فَالْخَاتِمَةُ تَدُلُّ عَلَى السَّابِقَةِ ، فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِالْإِسْلَامِ ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَزَلِ كَانَ مِنَ السُّعَدَاءِ وَإِنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ كُفْرٌ ؛ وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِالْكُفْرِ ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَزَلِ كَانَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ وَإِنْ تَقَدَّمَهُ إِسْلَامٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ مُشِيرًا إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ :

(إِذَا الْمَـــرْءُ لَمْ يُخْلَـــقْ سَـــعِيدًا تَخَلَّفَــــتْ ظُنُــــونُ مُرَبِّيــــهِ وَخَــــابَ الْمُؤَمَّــــلُ
فَمُوسَــــى الَّــــذِي رَبَّــــاهُ جِبْرِيــــلُ كَــــافِرُ وَمُوسَــــى الَّــــذِي رَبَّــــاهُ فِرْعَــــوْنُ مُرْسَــــلُ)

وَذَهَبَتِ الْمَاتُرِيدِيَّةُ : إِلَى أَنَّ السَّعَادَةَ هِيَ الْإِسْلَامُ فِي الْحَالِ ؛ وَالشَّقَاوَةُ هِيَ الْكُفْرُ كَذَلِكَ ؛ فَالسَّعِيدُ هُوَ الْمُسْلِمُ فِي الْحَالِ ، وَإِذَا مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَقَدِ انْقَلَبَ شَقِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ سَعِيدًا ؛ وَالشَّقِيُّ هُوَ الْكَافِرُ فِي الْحَالِ ، وَإِذَا مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَدْ انْقَلَبَ سَعِيدًا بَعْدَ أَنْ كَانَ شَقِيًّا .

فَقَدْ قَطَعُوا النَّظَرَ عَنْ حَالَةِ الْمَوْتِ ، وَنَظَرُوا لِلْحَالَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ الْآنَ ؛ فَلِذَلِكَ يُجَوِّزُونَ التَّغَيُّرَ وَالتَّبَدُّلَ ؛ بِخِلَافِ الْأَشْعَرِيَّةِ ، فَإِنَّهُمْ نَظَرُوا لِلْحَالَةِ الَّتِي يَمُوتُ عَلَيْهَا الشَّخْصُ ، وَهِيَ لَا تَتَغَيَّرُ .

فَعَلَى مَذْهَبِهِمْ – أَيِ الْمَاتُرِيدِيَّةِ – يُتَصَوَّرُ أَنَّ السَّعِيدَ قَدْ يَشْقَى ، بِأَنْ يَرْتَدَّ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّ الشَّقِيَّ قَدْ يَسْعَدُ ، بِأَنْ يُسْلِمَ بَعْدَ الْكُفْرِ .
وَعَلَيْهِ أَيْضًا ، السَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ غَيْرُ أَزَلِيَّتَيْنِ ، بَلْ يَتَغَيَّرَانِ وَيَتَبَدَّلَانِ ، كَمَا عَلِمْتَ .
وَكَذَا ذَكَرَ ذَلِكَ الشَّبْرَخِيتِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الْأَرْبَعِينَ] ، وَعِبَارَتُهُ فِي هَذَا الشَّرْحِ – وَإِنْ كَانَتْ مَعْلُومَةً مِمَّا قَبْلُ – لِزِيَادَةِ الْفَائِدَةِ : « **وَاخْتَلَفَ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ فِي الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ** :
فَقَالَ الْأَشَاعِرَةُ : هُمَا أَزَلِيَّتَانِ — **أَيْ** : مُقَدَّرَتَانِ فِي الْأَزَلِ – لَا يَتَغَيَّرَانِ وَلَا يَتَبَدَّلَانِ ؛ **فَالسَّعَادَةُ** : الْمَوْتُ عَلَى الْإِيمَانِ ، لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ بِهَا كَذَلِكَ ؛ **وَالشَّقَاوَةُ** : الْمَوْتُ عَلَى الْكُفْرِ ، لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ الْأَزَلِيِّ بِهَا كَذَلِكَ ؛ **وَالسَّعِيدُ** : مَنْ عَلِمَ اللهُ فِي الْأَزَلِ مَوْتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ وَإِنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ كُفْرٌ ؛ **وَالشَّقِيُّ** : مَنْ عَلِمَ اللهُ فِي الْأَزَلِ مَوْتَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَإِنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ إِيمَانٌ .
وَعَلَى هَذَا ، فَلَا يُتَصَوَّرُ فِي السَّعِيدِ أَنْ يَشْقَى ، وَلَا فِي الشَّقِيِّ أَنْ يَسْعَدَ .

وَقَالَ الْمَاتُرِيدِيَّةُ : **السَّعِيدُ** : هُوَ الْمُسْلِمُ ؛ **وَالشَّقِيُّ** : هُوَ الْكَافِرُ ؛ **وَالسَّعَادَةُ** : الْإِسْلَامُ ؛ **وَالشَّقَاوَةُ** : الْكُفْرُ .
وَعَلَيْهِ ، فَيُتَصَوَّرُ أَنَّ السَّعِيدَ قَدْ يَشْقَى ، بِأَنْ يَرْتَدَّ بَعْدَ الْإِيمَانِ ؛ وَأَنَّ الشَّقِيَّ قَدْ يَسْعَدُ ، بِأَنْ يُؤْمِنَ بَعْدَ الْكُفْرِ ؛ وَأَنَّ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ غَيْرُ أَزَلِيَّتَيْنِ ، بَلْ يَتَغَيَّرَانِ وَيَتَبَدَّلَانِ » . اِنْتَهَتْ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَإِنَّمَا الْأَزَلِيُّ الْقَدِيمُ عِنْدَهُم : الْإِسْعَادُ وَالْإِشْقَاءُ ، فَلَا يَتَغَيَّرَانِ وَلَا يَتَبَدَّلَانِ ، لِأَنَّهُمَا مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى ، قَائِمَانِ بِذَاتِهِ تَعَالَى ،

كَسَائِرِ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ عِنْدَهُمْ ، كَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ ؛ وَلِذَا قَالَ صَاحِبُ [الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ] وَهُوَ مَاتُرِيدِيٌّ :

« السَّعِيدُ قَدْ يَشْقَى ، بِأَنْ يَرْتَدَّ بَعْدَ الْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ بِهِ سَعِيدًا ؛ وَالشَّقِيُّ قَدْ يَسْعَدُ ، بِأَنْ يُؤْمِنَ بَعْدَ الْكُفْرِ الَّذِي كَانَ بِهِ مِنْ قَبْلُ شَقِيًّا ثُمَّ صَارَ سَعِيدًا بِالْإِيمَانِ » . اهـ .

قَالَ شَارِحُهَا السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ : « وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي الْمَعْنَى بَيْنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ » . اهـ. رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .
وَانْظُرْهُ تَزْدَدْ عِلْمًا .

وَكَذَا ذَكَرَ أَنَّ الْخُلْفَ بَيْنَهُمَا لَفْظِيٌّ لَا مَعْنَوِيٌّ : الشَّيْخُ اللَّقَانِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [جَوْهَرَتِـ]ـهِ ، فَقَالَ فِيهِ :
« الْحَقُّ ، أَنَّ الْخُلْفَ بَيْنَهُمَا لَفْظِيٌّ ، لِأَنَّ الْأَشْعَرِيَّ لَا يُحِيلُ ارْتِدَادَ الْمُسْلِمِ الْغَيْرِ الْمَعْصُومِ ، وَلَا يُحِيلُ إِسْلَامَ الْكَافِرِ الْغَيْرِ الْمَحْتُومِ عَلَيْهِ بِالشَّقَاوَةِ .
وَأَنَّ الْمَاتُرِيدِيَّ لَا يُجَوِّزُ عَلَى مَنْ عَلِمَ اللهُ مَوْتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الِارْتِدَادَ عَنْهُ بِحَيْثُ يَمُوتُ عَلَى الْكُفْرِ ؛ وَلَا يُجَوِّزُ عَلَى مَنْ عَلِمَ اللهُ مَوْتَهُ عَلَى الْكُفْرِ إِسْلَامَهُ عِنْدَ الْوَفَاةِ » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَكَذَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ عَبْدُ السَّلَامِ فِي شَرْحِهِ عَلَيْهَا ، فَقَالَ :
« الْخُلْفُ بَيْنَهُمَا لَفْظِيٌّ ، لِأَنَّ الْأَشْعَرِيَّ لَا يُحِيلُ ارْتِدَادَ الْمُسْلِمِ ... » إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ وَالِدُهُ فِي عِبَارَتِهِ قَبْلُ .

قَالَ الشَّيْخُ الْعَدَوِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى هَذَا الشَّرْحِ مُوَجِّهًا أَنَّ الْخُلْفَ لَفْظِيٌّ مَا نَصُّهُ :
« **قَوْلُهُ** : " لِأَنَّ الْأَشْعَرِيَّ لَا يُحِيلُ ارْتِدَادَ الْمُسْلِمِ الْغَيْرِ الْمَعْصُومِ " . فَوَافَقَ الْمُاتُرِيدِيَّ فِي أَنَّ السَّعَادَةَ – بِمَعْنَى الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ – تَتَغَيَّرُ .
وَقَوْلُهُ : " وَلَا إِسْلَامَ الْكَافِرِ الْغَيْرِ الْمَحْتُومِ عَلَيْهِ بِالشَّقَاوَةِ " . فَوَافَقَ الْمُاتُرِيدِيَّ فِي أَنَّ الشَّقَاوَةَ – بِمَعْنَى الْكُفْرِ عِنْدَهُ – تَتَغَيَّرُ .
وَقَوْلُهُ : " وَالْمَاتُرِيدِيُّ لَا يُجَوِّزُ الِارْتِدَادَ عَلَى مَنْ عَلِمَ اللهُ مَوْتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ " . **أَيْ** : فَوَافَقَ الْأَشْعَرِيَّ عَلَى أَنَّ السَّعَادَةَ – بِمَعْنَى الْمَوْتِ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ – الْمُقَدَّرَةَ فِي الْأَزَلِ لَا تَتَغَيَّرُ .
وَقَوْلُهُ : " وَلَا الْإِسْلَامَ عَلَى مَنْ عَلِمَ اللهُ مَوْتَهُ عَلَى الْكُفْرِ " . فَوَافَقَ الْأَشْعَرِيَّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ الشَّقَاوَةَ – بِمَعْنَى الْمَوْتِ عَلَى الْكُفْرِ – الْمُقَدَّرَةَ فِي الْأَزَلِ لَا تَتَغَيَّرُ .
فَنَتَجَ مِنْ هَذَا : صِحَّةُ كَوْنِ الْخِلَافِ لَفْظِيًّا ، وَأَنَّ النِّزَاعَ إِنَّمَا هُوَ فِي مُجَرَّدِ التَّسْمِيَةِ » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَالْحَاصِلُ :
أَنَّ الْخُلْفَ بَيْنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ لَيْسَ مَعْنَوِيًّا – وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَتَرَآى مِنْ ظَاهِرِ

... ...

الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ عَنْهُمَا – بَلِ الْحَقُّ أَنَّهُ لَفْظِيٌّ ، **أَيْ** : رَاجِعٌ لِمُجَرَّدِ الْمُرَادِ مِنْ لَفْظِ " سَعَادَةٍ " وَلَفْظِ " شَقَاوَةٍ " مَعَ اتِّفَاقِهِمَا فِي الْأَحْكَامِ ؛ فَلَوْ نَظَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى مَا نَظَرَ إِلَيْهِ الْآخَرُ مِنْ تَفْسِيرِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ ، لَسَلَّمَهُ الْآخَرُ وَلَمْ يُخَالِفْهُ فِيهِ .

هَذَا ، وَمِمَّا يَدُلُّ لِمَا قَالَهُ الْأَشْعَرِيُّ – بَلْ وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ أَيْضًا عَلَى مَا عَلِمْتَ مِنْ أَنَّ الْخُلْفَ بَيْنَهُمَا لَفْظِيٌّ – نَحْوُ حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ :

« إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ؛ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » .

وَحَدِيثِ مُسْلِمٍ – كَمَا فِي شَرْحِ ابْنِ حَجَرٍ عَلَى [الْأَرْبَعِينَ] – :

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي هَذَا الشَّرْحِ :

« وَإِنَّمَا اقْتُصِرَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى قِسْمَيْنِ – مَعَ أَنَّ الْأَقْسَامَ أَرْبَعَةٌ – لِظُهُورِ حُكْمِ الْقِسْمَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ ، وَهُمَا :

١ – مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

٢ – أَوِ النَّارِ ؛ مِنْ أَوَّلِ عُمُرِهِ إِلَى آخِرِهِ » . اهـ .

هَذَا ، وَقَرَّرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْخُلْفَ بَيْنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ لَفْظِيٌّ ، لَكِنْ بِاعْتِبَارٍ آخَرَ ؛ وَلِذَا قَالَ أَبُو عَذَبَةَ فِي [الرَّوْضَةِ الْبَهِيَّةِ فِيمَا بَيْنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ] :

« إِنَّ مَنْ قَالَ بِعَدَمِ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ ، فَقَدْ نَظَرَ إِلَى مَا فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى ؛ وَمَنْ قَالَ بِالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ فِيهِمَا ، فَقَدْ نَظَرَ إِلَى مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ؛ وَلَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى مَا لَاحَظَهُ الْآخَرُ ، لَسَلَّمَهُ » .

وَكَذَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْيُوسِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى [الْكُبْرَى] لِلسَّنُوسِيِّ ، مَعَ زِيَادَةِ اعْتِبَارٍ آخَرَ ؛ وَعِبَارَتُهُ فِي هَذِهِ الْحَاشِيَةِ :

« وَقَعَ نِزَاعٌ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَنَّ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ يَتَبَدَّلَانِ أَوْ لَا ؟ .

فَمَذْهَبُ الْأَشَاعِرَةِ : إِلَى أَنَّهُمَا لَا يَتَبَدَّلَانِ .

وَمَذْهَبُ الْمَاتُرِيدِيَّةِ : إِلَى أَنَّهُمَا قَدْ يَتَبَدَّلَانِ . كَمَا فِي [عَقَائِدِ النَّسَفِيِّ] وَغَيْرِهَا ، مِنْ أَنَّ السَّعِيدَ قَدْ يَشْقَى ، بِأَنْ يَرْتَدَّ بَعْدَ الْإِيمَانِ ؛ وَالشَّقِيَّ قَدْ يَسْعَدُ ، بِأَنْ يُؤْمِنَ بَعْدَ الْكُفْرِ .

وَاحْتَجَّ هَؤُلَاءِ بِنَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد : ٣٩] .

٣٨٨ – وَمَـــا إِلَى الْأَعْمَـــالِ ظَـــاهِرًا رَجَـــعْ فَـــذَاكَ إِسْـــلَامٌ بِـــهِ الْعَبْـــدُ انْتَفَـــعْ
٣٨٩ – وَمَرْجِـــــعُ الْإِيمَـــانِ لِلْإِذْعَـــانِ بِالْقَلْـــــبِ وَالتَّصْـــــدِيقِ بِالْجَنَـــــانِ

قِيلَ : وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْمُعْتَزِلَةُ .

وَالْحَقُّ ، أَنَّهُ لَا خِلَافَ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى ، لِأَنَّ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى لَا يَتَبَدَّلُ وَلَا يَتَغَيَّرُ الْبَتَّةَ ؛ وَمَا فِي عِلْمِ الْحَفَظَةِ ، أَوِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، يُمْكِنُ فِيهِ الْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ .

فَمُرَادُ الْأَشْعَرِيَّةِ : الِاعْتِبَارُ الْأَوَّلُ ؛ **وَمُرَادُ غَيْرِهِمُ** : الثَّانِي . وَالْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى الْمَعْنَيَيْنِ بِتَمَامِهَا .

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي حَدِيث : " إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ... " إِلَخ :

فِي هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ السَّعِيدَ قَدْ يَشْقَى ، وَأَنَّ الشَّقِيَّ قَدْ يَسْعَدُ ، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ ؛ وَأَمَّا مَا عَلِمَ اللهُ ، فَلَا يَتَغَيَّرُ » . اهـ اِنْتَهَتْ .

((**وَمَا**)) **أَي** : الَّذِي ((**إِلَى الْأَعْمَالِ**)) صِلَةُ ((**رَجَعْ**)) . ((**ظَاهِرًا**)) **أَيْ** : فِي الظَّاهِرِ؛ صِلَةُ ((**رَجَعْ**)) .
وَخَبَرُ ((**مَا**)) : ((**فَذَاكَ**)) **أَي** : الرَّاجِعُ إِلَى الْأَعْمَالِ فِي الظَّاهِرِ ((**إِسْلَامٌ بِهِ**)) **أَي** : الْإِسْلَامُ ؛ صِلَةُ

((**انْتَفَعْ**)) . ((**الْعَبْدُ**)) **أَي** : الْمَخْلُوقُ ((**انْتَفَعْ**)) .

يَعْنِي : أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي يَنْتَفِعُ الْعَبْدُ بِهَا ، كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ .

((**وَمَرْجِعُ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : رُجُوعُ حَقِيقَةِ ((**الْإِيمَانِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ((**لِلْإِذْعَانِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ((**بِالْقَلْبِ**)) .

وَفَسَّرَ الْإِذْعَانَ بِقَوْلِهِ : ((**وَالتَّصْدِيقِ بِالْجَنَانِ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ ؛ أَيِ : الْقَلْبِ .

يَعْنِي : أَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ مَجِيئُهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – إِجْمَالًا ؛ كَمَا قَالَهُ الْعَلَّامَةُ السَّعْدُ وَغَيْرُهُ .

وَالْمُرَادُ بِتَصْدِيقِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ – فِي ذَلِكَ : الْإِذْعَانُ لَهُ وَقَبُولُهُ ؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ : وُقُوعَ نِسْبَةِ الصِّدْقِ إِلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ إِذْعَانٍ وَقَبُولٍ لَهُ ، حَتَّى يَلْزَمَ الْحُكْمُ بِإِيمَانِ كَثِيرٍ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ حَقِّيَّةَ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٦] . قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « لَقَدْ عَرَفْتُهُ حِينَ رَأَيْتُهُ كَمَا أَعْرِفُ ابْنِي ، وَمَعْرِفَتِي لِمُحَمَّدٍ أَشَدُّ » . اهـ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ فِي شَرْحِهِ عَلَى ابْنِ عَاشِرٍ :

« **[فَصْلٌ]** :

فِي بَيَانِ الْإِسْلَامِ وَقَوَاعِدِهِ ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ ، وَالدِّينِ، أَخْذًا مِنْ حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ وَلَفْظُ مُسْلِمٍ عَنْ عُمَرَ :

" بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ: صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ .

قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ .

قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ . قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ " .

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" سَلُونِي ، فَهَابُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ ؛ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ ... " الْحَدِيثَ .

وَعِنْدَ النَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي ذَرٍّ مَعًا :

"كَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ ، فَلَا يَدْرِي أَهُوَ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ ؛ فَطَلَبْنَا لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَى ، فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّا لَجُلُوسٌ عِنْدَهُ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَطْيَبُ النَّاسِ رِيحًا ، كَأَنَّ ثِيَابَهُ لَا يَمَسُّهَا دَنَسٌ ؛ حَتَّى سَلَّمَ مِنْ طَرَفِ السِّمَاطِ ، قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا مُحَمَّدُ ؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّلَامَ ؛ فَقَالَ : أَأَدْنُو يَا مُحَمَّدُ ؟ فَقَالَ : اُدْنُهْ ؛ فَمَا زَالَ يَقُولُ : أَأَدْنُو مِرَارًا ؛ وَيَقُولُ : اُدْنُهْ ؛ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... " الْحَدِيثَ .

وَلِلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ زِيَادَةُ : " وَلِقَائِهِ " فِي الْإِيمَانِ .

وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ عِنْدَ ذِكْرِهِ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ : " أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ بَعْلَهَا " . وَلَهُ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ : " وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا " .

وَلَهُ فِي أُخْرَى : " وَإِذَا كَانَتِ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ ، فَذَالِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا " .

وَلَهُمَا بَعْدَ ذِكْرِ تِلْكَ الْأَشْرَاطِ : " فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ؛ ثُمَّ تَلَا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾

[لقمان : ٣٤] الْآيَةَ ؛ ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ ؛ فَقَالَ : رُدُّوهُ ؛ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ ، جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ " .
وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : " أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا " .
وَفِي [الْبُخَارِيِّ] : " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا " .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : عُلُومُ الشَّرِيعَةِ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وَمُتَشَعِّبَةٌ مِنْهُ ، فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُسَمَّى : " أُمَّ السُّنَّةِ " ، كَمَا سُمِّيَتِ الْفَاتِحَةُ : " أُمَّ الْقُرْءَانِ " ، لِتَضَمُّنِهَا جُلَّ مَعَانِيهِ » . اهـ .

(الثَّانِي) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **الإِسْلَامُ لُغَةً** : الِانْقِيَادُ وَالِاسْتِسْلَامُ . **وَشَرْعًا** : اِسْمٌ لِلنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، أَوْ هُوَ وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُ . كَمَا يُفِيدُهُ كَلَامُ عِيَاضٍ .

وَيُطْلَقُ شَرْعًا بِمَعْنَى : الْفَرْدِ الْكَامِلِ . فَيَكُونُ اسْمًا لِطَاعَةِ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ ، قَوْلًا وَفِعْلًا ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ؛ وَبِهَذَا فَسَّرَهُ النَّاظِمُ حَيْثُ قَالَ : (وَطَاعَةُ الْجَوَارِ) . **أَيِ** : الْكَوَاسِبِ ، جَمْعُ " جَارِحَةٍ " ، وَهِيَ : اللِّسَانُ ، وَالْعَيْنَانِ ، وَالْأُذُنَانِ ، وَالْيَدَانِ ، وَالرِّجْلَانِ ، وَالْبَطْنُ ، وَالْفَرْجُ . (الْجَمِيعُ قَوْلًا وَفِعْلًا) . يَشْمَلُ عَمَلَ الْقَلْبِ ، كَالنِّيَّةِ ، وَالِاعْتِبَارُ هُوَ الْإِسْلَامُ الرَّفِيعُ ، أَيِ الْكَامِلُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنِ الطَّاعَةُ بِجَمِيعِ الْجَوَارِحِ ، بَلْ بِبَعْضِهَا فَقَطْ ، فَلَيْسَ بِإِسْلَامٍ كَامِلٍ ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِسْلَامًا نَاقِصًا ، أَوْ يَكُونَ غَيْرَ إِسْلَامٍ أَصْلًا ، لِأَنَّ هَذِهِ الطَّاعَةَ بِالْبَعْضِ ، إِنْ كَانَتْ طَاعَةُ اللِّسَانِ بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَقَطْ ، أَوْ مَعَ طَاعَةٍ بِبَعْضِ الْجَوَارِحِ الْبَاقِيَةِ دُونَ بَعْضٍ ، أَوْ فِي بَعْضِ التَّكَالِيفِ دُونَ بَعْضٍ ، فَإِسْلَامٌ نَاقِصٌ ؛ وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً بِغَيْرِ اللِّسَانِ دُونَ النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ – حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا كَمَا سَبَقَ تَحْقِيقُهُ – فَلَيْسَتْ بِإِسْلَامٍ أَصْلًا .

وَبِكَوْنِ الْإِسْلَامِ شَرْعًا – بِالنَّظَرِ إِلَى حَقِيقَتِهِ – إِنَّمَا هُوَ النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ بَقِيَّةِ الْأَعْمَالِ إِلَّا فِي الْفَرْدِ الْكَامِلِ مِنْهُ :

يَنْدَفِعُ السُّؤَالُ الْوَارِدُ عَلَى تَفْسِيرِهِ فِي الْحَدِيثِ بِالْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ بِأَنْ يُقَالَ : يَلْزَمُ عَلَيْهِ : أَنْ لَا يَكُونَ مُسْلِمًا إِلَّا مَنْ فَعَلَ جَمِيعَهَا ؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ ، لِحَدِيثِ : " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ " . وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مُسْلِمٌ، فَقَدْ جَعَلَ النُّطْقَ وَحْدَهُ كَافِيًا فِي الْإِسْلَامِ .

وَالْمُرَادُ النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعًا، لِأَنَّ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " عِبَارَةٌ عَنْهُمَا ، مِنْ بَابِ الِاكْتِفَاءِ ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ : مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وَحَاصِلُ الِانْدِفَاعِ : أَنَّهُ حَيْثُ فُسِّرَ الْإِسْلَامُ بِعَمَلِ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ – كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ الْمَذْكُورِ – فَالْمُرَادُ : تَفْسِيرُ الْإِسْلَامِ الْكَامِلِ ، وَهُوَ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ النَّاظِمُ بِـ (الرَّفِيعِ) ؛ وَحَيْثُ دَلَّ عَلَى حُصُولِ الْإِسْلَامِ بِمُجَرَّدِ النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، **فَالْمُرَادُ** : مُطْلَقُ الْإِسْلَامِ ، وَأَقَلُّ مَا تَتَحَقَّقُ بِهِ مَاهِيَّتُهُ .

فَإِنْ قُلْتَ : **تَلَخَّصَ إِذَنْ** : أَنَّ الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ – عَلَى مَا فَسَّرَهُ بِهِ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ – هُوَ الْأَرْكَانُ الْخَمْسَةُ ، فَمَنْ أَتَى بِهَا فَقَدْ حَصَّلَ الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ ؛ وَالنَّاظِمُ شَرَطَ فِي حُصُولِ الْإِسْلَامِ الرَّفِيعِ عَمَلَ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، قَوْلًا

وَفِعْلًا ! .

قُلْتُ : الِاقْتِصَارُ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَى الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ ، لِأَهَمِّيَّتِهَا، وَتَأَكُّدِهَا ، وَكَوْنِهَا مُعْظَمَ خِصَالِهِ ، عَلَى حَدِّ : " الْحَجُّ عَرَفَةُ " ، لَا لِكِفَايَتِهَا فِي حُصُولِ مُسَمَّى الْإِسْلَامِ الْكَامِلِ بِهِ ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَنَسٍ

مَرْفُوعًا : " الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ " . فَشَمَلَ قَوْلُهُ : " الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ " جَمِيعَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ .

فَإِنْ قُلْتَ : الِاعْتِقَادَاتُ إِنْ جُعِلَتْ دَاخِلَةً فِي مُسَمَّى الْإِسْلَامِ ، فَهُوَ خِلَافُ تَفْسِيرِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ ، لِأَنَّهُ جَعَلَهَا مُسَمَّى الْإِيمَانِ ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا مِنْ مُسَمَّى الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ صَرِيحُ قَوْلِهِ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ : " الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ " . وَإِنْ جُعِلَتْ غَيْرَ دَاخِلَةٍ فِيهِ ، لَزِمَ أَنْ تَكُونَ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ – بِدُونِ الِاعْتِقَادِ – إِسْلَامًا ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ نِفَاقٌ ! .

قُلْتُ : الِاعْتِقَادُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ دَاخِلٍ فِي حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ الْمُفَسَّرِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ ، لَكِنَّهُ شَرْطٌ فِي الِاعْتِدَادِ بِالْإِسْلَامِ شَرْعًا ، فَيَلْزَمُ مِنَ انْتِفَاءِ الِاعْتِقَادِ انْتِفَاءُ الِاعْتِدَادِ بِالْإِسْلَامِ وَاعْتِبَارِهِ ، لَا انْتِفَاءُ وُجُودِهِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] ، وَذَلِكَ – **أَعْنِي** : عَدَمَ انْتِفَاءِ وُجُودِهِ أَصْلًا عِنْدَ انْتِفَاءِ الِاعْتِقَادِ – دَلِيلٌ عَلَى خُرُوجِ الِاعْتِقَادِ عَنْ حَقِيقَتِهِ .

فَإِنْ قُلْتَ : كَلَامُ النَّاظِمِ يَقْتَضِي دُخُولَ الِاعْتِقَادَاتِ فِي مُسَمَّى الْإِسْلَامِ الْكَامِلِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ : (طَاعَةُ الْجَوَارِحِ الْجَمِيعُ ...) إِلَخْ شَامِلٌ لَهَا ! .

قُلْتُ : بَلْ هِيَ خَارِجَةٌ بِقَوْلِهِ : (قَوْلًا وَفِعْلًا) ، لِأَنَّ الِاعْتِقَادَاتِ لَيْسَتْ قَوْلًا وَفِعْلًا ، بَلْ هِيَ كَيْفِيَّاتٌ قَائِمَةٌ بِالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ .

فَإِنْ قُلْتَ : هِيَ مُكَلَّفٌ بِهَا ، وَلَا تَكْلِيفَ إِلَّا بِفِعْلٍ، فَهِيَ أَفْعَالٌ ! .

قُلْتُ : التَّكْلِيفُ بِهَا تَكْلِيفٌ بِأَسْبَابِهَا الْمُؤَدِّيَةِ إِلَيْهَا ، كَإِلْقَاءِ الذِّهْنِ ، وَصَرْفِ النَّظَرِ ، وَتَوْجِيهِ الْحَوَاسِّ ، وَرَفْعِ الْمَوَانِعِ ؛ نَعَمْ ، يَدْخُلُ فِي مُسَمَّى الْإِسْلَامِ الْكَامِلِ أَعْمَالُ الْقَلْبِ ، كَالنِّيَّةِ ، وَالرِّضَا ، وَالتَّوَكُّلِ ، وَحُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ : (قَوْلًا وَفِعْلًا) شَامِلٌ لَهَا .

فَإِنْ قُلْتَ : هِيَ لَا تَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ : " الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ " ! .

قُلْتُ : فِيهِ تَغْلِيبُ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ ، لِأَنَّ الْخِصَالَ الظَّاهِرَةَ أَكْثَرُ ، أَوِ الْمُرَادُ بِـ " الْإِسْلَامُ " فِيهِ : مَا يُحْكَمُ بِهِ شَرْعًا لِمَنْ يُشَاهَدُ مِنْهُ » . اهـ .

(**الثَّالِثُ**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **الْإِيمَانُ لُغَةً** : مُطْلَقُ التَّصْدِيقِ . **وَشَرْعًا** : تَصْدِيقُ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ مَجِيئُهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى إِجْمَالًا . قَالَهُ السَّعْدُ وَغَيْرُهُ .

وَالْمُرَادُ بِـ (التَّصْدِيقِ) فِيمَا ذُكِرَ : الْإِذْعَانُ وَالْقَبُولُ لِحُكْمِ خَبَرِ الْمُخْبِرِ ، لَا مُجَرَّدُ نِسْبَةِ الصِّدْقِ إِلَى الْخَبَرِ أَوِ الْمُخْبِرِ مِنْ غَيْرِ إِذْعَانٍ وَقَبُولٍ ؛ وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ الْغَزَّالِيُّ وَغَيْرُهُ ؛ وَهَذَا هُوَ التَّصْدِيقُ عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ ، فَقَدْ صَرَّحَ ابْنُ سِينَا

رَئِيسُهُمْ أَنَّ التَّصْدِيقَ الْمُقَابِلَ لِلتَّصَوُّرِ هُوَ الْإِذْعَانُ وَالْقَبُولُ لِلنِّسْبَةِ ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهَا وَاقِعَةٌ أَوْ لَيْسَتْ بِوَاقِعَةٍ .

قَالَ السَّعْدُ : " وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي الْفَارِسِيَّةِ بِـ (كُرُويدِنْ) " . إِلَّا أَنَّهَا – كَمَا فِي شَرْحِ [الْمَقَاصِدِ]– لَفْظَةٌ تَقْتَضِي الْقَطْعَ مَعَ الْإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ ، كَمَا هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي الْإِيمَانِ الشَّرْعِيِّ .

وَالتَّصْدِيقُ الْمَنْطِقِيُّ يَعُمُّ الْقَطْعِيَّ وَالظَّنِّيَّ ؛ فَالتَّصْدِيقُ – بِتَفْسِيرِ الْإِيمَانِ ، وَبِالْمَعْنَى الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِـ (كُرُويدِنْ) – أَخَصُّ مِنْهُ بِالْمَعْنَى الْمَنْطِقِيِّ ؛ وَلَمَّا كَانَ هَذَا التَّصْدِيقُ أَمْرًا قَلْبِيًّا بَاطِنِيًّا لَا اطِّلَاعَ لَنَا عَلَيْهِ ، نَاطَهُ الشَّرْعُ – ثُبُوتًا وَانْتِفَاءً – بِأُمُورٍ ظَاهِرَةٍ مُنْضَبِطَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ ؛ فَفِي الثُّبُوتِ ضَبَطَهُ بِالتَّلَفُّظِ بِالشَّهَادَتَيْنِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ ؛ وَفِي الِانْتِفَاءِ نِيطَ بِظُهُورِ أَمَارَاتِ التَّكْذِيبِ ، كَشَدِّ زُنَّارٍ اخْتِيَارًا ، وَسُجُودٍ لِشَمْسٍ أَوْ صَنَمٍ اخْتِيَارًا ، أَوِ اسْتِخْفَافٍ بِنَبِيٍّ أَوْ بِالْكَعْبَةِ ... وَنَحْوِ ذَلِكَ .

فَلَا بُدَّ فِي حُكْمِنَا بِالْإِيمَانِ عَلَى شَخْصٍ مِنَ التَّلَفُّظِ بِالشَّهَادَتَيْنِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ ، وَانْتِفَاءِ الْأَمَارَاتِ الْمَذْكُورَةِ .

ثُمَّ إِنَّهُ قَدِ اخْتَلَفَ جَوَابُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ فِي تَفْسِيرِ هَذَا التَّصْدِيقِ : فَأَجَابَ مَرَّةً بِأَنَّهُ الْمَعْرِفَةُ بِوُجُودِ الْبَارِي ، وَإِلَاهِيَّتِهِ ، وَقِدَمِهِ ... وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَأَجَابَ مَرَّةً بِأَنَّهُ قَوْلٌ فِي النَّفْسِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْمَعْرِفَةَ وَلَا يَصِحُّ دُونَهَا .

وَارْتَضَى الْقَاضِي الْبَاقِلَّانِيُّ الثَّانِيَ ، لِأَنَّ التَّصْدِيقَ وَالتَّكْذِيبَ بِالْأَقْوَالِ أَجْدَرُ . وَكَذَا ارْتَضَاهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي [الْإِرْشَادِ] ، فَقَالَ : " التَّحْقِيقُ أَنَّ التَّصْدِيقَ كَلَامُ النَّفْسِ ، وَلَكِنْ لَا يَثْبُتُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّا أَوْضَحْنَا أَنَّ كَلَامَ النَّفْسِ يَثْبُتُ عَلَى حَسَبِ الِاعْتِقَادِ " .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَرِيفٍ : " وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ الْمَجْمُوعُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَذَلِكَ الْكَلَامُ النَّفْسِيُّ » . اهـ .

وَقَدْ تَلَخَّصَ أَنَّهُ :

لَا بُدَّ فِي تَحَقُّقِ الْإِيمَانِ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ :

١ – أَحَدُهَا : الْمَعْرِفَةُ . وَهِيَ التَّجَلِّي وَالِانْكِشَافُ لِحَقِّيَّةِ دَعْوَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِحَيْثُ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا عُلِمَ ضَرُورَةً مَجِيئُهُ بِهِ احْتِمَالُ النَّقِيضِ بِوَجْهٍ ؛ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ – وَهِيَ الْكَيْفِيَّاتُ النَّفْسَانِيَّةُ دُونَ الْأَفْعَالِ الِاخْتِيَارِيَّةِ – فَقَدْ سَبَقَ أَنَّهُ يَصِحُّ التَّكْلِيفُ بِهَا بِاعْتِبَارِ مُبَاشَرَةِ أَسْبَابِهَا الْمُؤَدِّيَةِ إِلَيْهَا ، مِنْ تَوْجِيهِ الْحَوَاسِّ ، وَصَرْفِ النَّظَرِ ، وَرَفْعِ الْمَوَانِعِ .

وَبِاعْتِبَارِ ذَاتِهَا كَانَ الْإِيمَانُ مُسْتَفَادًا بِالدَّلِيلِ .

٢ – ثَانِيهَا : حَدِيثُ النَّفْسِ التَّابِعُ لِلْمَعْرِفَةِ اللَّازِمُ لَهَا .

٣ – ثَالِثُهَا : الِاسْتِسْلَامُ، وَالِانْقِيَادُ ، وَالْإِذْعَانُ . **بِمَعْنَى** : قَبُولُ الْأَحْكَامِ ، وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ الْإِجْلَالَ وَعَدَمَ الِاسْتِخْفَافِ ، بِشَدِّ زُنَّارٍ وَنَحْوِهِ ؛ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ آنِفًا .

وَلِعَدَمِ الِاسْتِسْلَامِ وَالْإِذْعَانِ الْمَذْكُورِ ، حَكَمْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ بِالْكُفْرِ ، مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَيْقِنُونَ أَمْرَهُ ، إِلَّا أَنَّهُمُ اسْتَكْبَرُوا وَلَمْ يُذْعِنُوا ، فَلَمْ يَكُونُوا مُصَدِّقِينَ ؛ وَكَذَا أَبُو طَالِبٍ الَّذِي قَالَ يُخَاطِبُ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ :

(وَدَعَــوْتَنِي وَزَعَمْــتَ أَنَّــكَ نَاصِــحِي　　وَلَقَــدْ صَــدَقْتَ وَكُنْــتَ ثَمَّ أَمِينَــا
وَعَرَضْــتَ دِينًــا لَا مَحَالَــةَ أَنَّــهُ　　مِــنْ خَــيْرِ أَدْيَــانِ الْبَرِيَّــةِ دِينَــا)

وَبِالنَّظَرِ إِلَى الِانْقِيَادِ وَالِاسْتِسْلَامِ ، عَدُّوا الْإِيمَانَ فِعْلًا قَلْبِيًّا ، أَوْ بِالنَّظَرِ إِلَى حَدِيثِ النَّفْسِ ، أَوْ بِالنَّظَرِ إِلَى أَسْبَابِ الْمَعْرِفَةِ .

فَظَهَرَ أَنْ لَيْسَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ مُجَرَّدَ كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ – عَلَى مَا زَعَمَتِ الْكَرَّامِيَّةُ – بَلِ الْإِيمَانُ أَمْرٌ قَلْبِيٌّ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، ﴿ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦] ،
﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ [الحجرات : ١٤] .
وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » . وَقَالَ لِأُسَامَةَ حِينَ قَتَلَ مَنْ قَالَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) : « هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ !! » .

فَإِنْ قِيلَ : الْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ ؛ وَأَهْلُ اللُّغَةِ لَا يَعْرِفُونَ مِنْ لَفْظِ (التَّصْدِيقِ) إِلَّا التَّصْدِيقَ بِاللِّسَانِ ، وَأَيْضًا ، النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَصْحَابُهُ يَقْنَعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِ بِكَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ ، وَيَحْكُمُونَ بِإِيمَانِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِفْسَارٍ لِمَا فِي قَلْبِهِ ؟! .

قُلْنَا : لَا خَفَاءَ فِي أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي التَّصْدِيقِ لُغَةً عَمَلُ الْقَلْبِ ، حَتَّى لَوْ فَرَضْنَا عَدَمَ وَضْعِ لَفْظِ (التَّصْدِيقِ) لِمَعْنًى ، أَوْ وَضْعِهِ لِمَعْنًى غَيْرِ التَّصْدِيقِ الْقَلْبِيِّ ، لَمْ يَحْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْعُرْفِ أَنَّ مَنْ قَالَ " صَدَّقْتُ " مُصَدِّقٌ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُؤْمِنٌ بِهِ ؛ وَلِهَذَا صَحَّ نَفْيُ الْإِيمَانِ عَنْ بَعْضِ الْمُقِرِّينَ بِاللِّسَانِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ ﴾ [البقرة : ٨] ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾
[الحجرات : ١٤] .
وَلَا نِزَاعَ فِي أَنَّ الْمُقِرَّ بِاللِّسَانِ فَقَطْ يُسَمَّى مُؤْمِنًا لُغَةً وَشَرْعًا بِحَسَبِ الظَّاهِرِ ، وَتُجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِيمَانِ ، لَكِنْ ذَلِكَ لِظَنِّ الْمُوَاطَأَةِ ؛ وَإِنَّمَا نِزَاعُنَا فِي كَوْنِهِ مُؤْمِنًا عِنْدَ اللهِ وَالنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالصَّحَابَةِ ، كَمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ بِإِيمَانِ الْمُقِرِّ بِاللِّسَانِ كَانُوا يَحْكُمُونَ بِكُفْرِ الْمُنَافِقِ ؛ وَأَيْضًا ، الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ مَنْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ ، وَمَنَعَهُ مِنَ النُّطْقِ خَرَسٌ وَنَحْوُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ ؛ فَبَطَلَ قَوْلُ الْكَرَّامِيَّةِ الْمَذْكُورُ : " إِنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ كَلِمَتَا الشَّهَادَةِ " .
وَقَدْ تَبَيَّنَ أَيْضًا أَنَّ الْإِيمَانَ يُبَايِنُ الْإِسْلَامَ مَفْهُومًا ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦ ﴾ [الذاريات : ٣٥ - ٣٦] فَلَا يَدُلُّ عَلَى اتِّحَادِ مَفْهُومِهِمَا ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى تَصَادُقِ الْمُشْتَقَّيْنِ مِنْهُمَا عَلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَقَدْ قَالَ سَعْدُ الدِّينِ – كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ السَّيِّدُ فِي حَوَاشِي [الْمُطَوَّلِ]– :
« إِنَّ تَصَادُقَ الْمُشْتَقَّيْنِ – كَالنَّاطِقِ وَالضَّاحِكِ – عَلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ لَا يَدُلُّ عَلَى تَصَادُقِ مَأْخَذَيْهِمَا ، فَضْلًا عَنِ اتِّحَادِ

٣٩٠ – وَنُطْقُ ذِي الْقُدْرَةِ شَرْطٌ فِيهِ عَلَى اخْتِلَافٍ، كُتْبُهُمْ تَحْوِيهِ

الْمَأْخَذَيْنِ ؛ فَيَصْدُقُ أَنَّ النَّاطِقَ ضَاحِكٌ ، وَلَا يَصْدُقُ أَنَّ النُّطْقَ ضَحِكٌ؛ وَقَوْلُ النَّسَفِيِّ كَغَيْرِهِ: " الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ وَاحِدٌ ". لَمْ يُرِدْ بِهِ اتِّحَادَ الْمَفْهُومِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُمَا مُتَلَازِمَانِ بِحَسَبِ حُكْمِ الْحَاكِمِ مِنَّا ، بِمَعْنَى : أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُحْكَمَ عَلَى أَحَدٍ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ ، أَوْ مُسْلِمٌ وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، لِعَدَمِ الِاطِّلَاعِ عَلَى حَقِيقَةِ مَا فِي الْقَلْبِ .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ شَرْعًا :

١ – عَطْفُهَا عَلَيْهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرًا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٧] .

٢ – وَتَقْيِيدُ الْعَمَلِ بِالْإِيمَانِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [طه : ١١٢] .

٣ – وَإِثْبَاتُ الْإِيمَانِ لِمَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْأَعْمَالِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ [الحجرات : ٩] .

فَسَقَطَ قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ : " إِنَّ الْأَعْمَالَ جُزْءٌ مِنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ ، يَنْتَفِي بِانْتِفَائِهَا " . حَتَّى جَعَلُوا الْعَاصِيَ خَارِجًا عَنِ الْإِيمَانِ ، غَيْرَ دَاخِلٍ فِي الْكُفْرِ ؛ فَأَثْبَتُوا مَنْزِلَةً بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ .
نَعَمْ ، السَّلَفُ يُطْلِقُونَ (الْإِيمَانَ) عَلَى الْكَامِلِ الْمُنَجِّي ، وَهُوَ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْأَعْمَالِ ، فَيَقُولُونَ – وَمِنْهُمُ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي [رِسَالَتِ]ـهِ – : " الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ ، وَتَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ » . اهـ .

((**وَنُطْقُ**)) بِضَمِّ النُّونِ ، وَسُكُونِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ ((**الْقُدْرَةِ**)) عَلَى النُّطْقِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، كَـ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " . وَخَبَرُ ((**نُطْقُ**)) : ((**شَرْطٌ فِيهِ**)) **أَيِ** : الْإِيمَانِ ((**عَلَى اخْتِلَافٍ**)) بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي كَوْنِ النُّطْقِ شَرْطًا فِي الْإِيمَانِ ، أَوْ لَيْسَ بِشَرْطٍ فِيهِ ؟ ((**كُتْبُهُمْ**)) بِسُكُونِ التَّاءِ ؛ **أَيِ** : الْعُلَمَاءِ الَّتِي أَلَّفُوهَا فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ ((**تَحْوِيهِ**)) **أَيِ** : اخْتِلَافَهُمْ فِي ذَلِكَ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كِيرَانَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَاشِرٍ :

« (**كَانَتْ لِذَا عَلَامَةَ الْإِيمَانِ** * * **كَانَتْ هِيَ**) **أَيِ** : الْكَلِمَةُ الْمُشَرَّفَةُ (**لِذَا**) **أَيْ** : لِجَمْعِهَا تِلْكَ الْمَعَانِيَ الَّتِي هِيَ عَقَائِدُ الْإِيمَانِ (عَلَامَةَ الْإِيمَانِ) فِي الشَّرْعِ ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَا ، كَمَا فِي [الصُّغْرَى] .
وَفِيهِ أُمُورٌ :
١ – **أَحَدُهَا** : أَنَّهَا تَتَعَيَّنُ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَكْفِي لِذَلِكَ غَيْرُهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ حَكَى السُّبْكِيُّ وَغَيْرُهُ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ :

أ – تَعَيُّنُهَا

ب – وَالِاكْتِفَاءُ بِكُلِّ مَا يَدُلُّ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .

... ...

وَفِي نِكَاحِ [الْمُدَوَّنَةِ] وَغَيْرِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى الثَّانِي ، لِأَنَّهُ قَالَ : " لَا تُوطَأُ الْأَمَةُ الْمَجُوسِيَّةُ حَتَّى تُجِيبَ إِلَى الْإِسْلَامِ بِأَمْرٍ يُعْرَفُ ، كَصَلَاتِهَا وَنَحْوِهَا " . اهـ .

وَالْخِلَافُ مَبْنِيٌّ عَلَى اعْتِبَارِ التَّعَبُّدِ بِمَا عَيَّنَهُ الشَّارِعُ ، أَوِ النَّظَرِ إِلَى الْمَعَانِي وَالْمَقَاصِدِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا كَيْفَمَا كَانَ ، قَوْلًا أَوْ فِعْلًا بِأَيِّ لُغَةٍ كَانَ .

يَدُلُّ لِلْأَوَّلِ : الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا < لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ > ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ " .

وَيَدُلُّ لِلثَّانِي : حَدِيثُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي قَتْلِهِ الَّذِينَ قَالُوا : " صَبَأْنَا " وَلَمْ يُحْسِنُوا غَيْرَ ذَلِكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ . وَوَدَاهُمْ ، وَعَذَرَ خَالِدًا بِالِاجْتِهَادِ .

٢ – ثَانِيهَا : **قَالَ الْأُبِّيُّ** : " لَا يُشْتَرَطُ لَفْظُ التَّشَهُّدِ ، وَلَا النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ؛ بَلْ لَوْ قَالَ : اللهُ وَاحِدٌ وَمُحَمَّدٌ رَسُولٌ . كَانَ مُسْلِمًا " . اهـ .

فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَبْنِيًّا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ يَحْصُلُ الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَبْنِيًّا عَلَى اشْتِرَاطِ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ بِعَيْنِهَا أَيْضًا ؛ فَيُفِيدُ أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ لَا يَشْتَرِطُ الصِّيغَةَ الْمَخْصُوصَةَ ، وَالتَّرْتِيبَ الْمُعَيَّنَ ، بَلْ مَا فِي قُوَّتِهِ مِثْلُهُ .

٣ – ثَالِثُهَا : أَنَّ التَّلَفُّظَ بِالشَّهَادَتَيْنِ عَلَامَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا فَقَطْ ، لِدَلَالَتِهِ عَلَى التَّصْدِيقِ الْخَفِيِّ عَنَّا ؛ فَالْمُنَافِقُ مُؤْمِنٌ فِيمَا بَيْنَنَا ، تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُسْلِمِينَ ، كَافِرٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى " أُمِرْنَا أَنْ نَحْكُمَ بِالظَّاهِرِ ، وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرُ " ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

وَعَكْسُهُ مَنْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يُقِرَّ بِلِسَانِهِ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهُ ؛ فَهُوَ إِذَا كَانَ كَافِرًا بَاقٍ عَلَى كُفْرِهِ فِيمَا بَيْنَنَا ، فَلَا يُنْكَحُ ، وَلَا يُورَثُ ، وَلَا يُغَسَّلُ ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَلَا يُدْفَنُ فِي قُبُورِ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَمَّا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ – إِذَا لَمْ يَكُنِ امْتِنَاعُهُ كِبْرًا ، أَوْ حَذَارَ سُبَّةٍ – فَهَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ ؟ .

أُخْتُلِفَ فِيهِ ، فَقِيلَ : نَعَمْ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ النُّطْقَ شَرْطٌ لِإِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ فَقَطْ ، مِنْ مُنَاكَحَةٍ ، وَتَوَارُثٍ ، وَغَيْرِهِمَا ؛ فَلَا تُجْرَى عَلَيْهِ تِلْكَ الْأَحْكَامُ إِلَّا بَعْدَ النُّطْقِ وَالْإِعْلَانِ بِهِ وَظُهُورِهِ لِمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ إِجْرَاءُ الْأَحْكَامِ مِنْ إِمَامٍ وَغَيْرِهِ .

وَهَذَا – **أَعْنِي** : كَوْنَ الْمُصَدِّقِ بِقَلْبِهِ مُؤْمِنًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى قَبْلَ النُّطْقِ – هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ ابْنُ رُشْدٍ ، وَهُوَ الَّذِي فَهِمَهُ مِنَ [الْمُدَوَّنَةِ] ، فَفِيهَا لِابْنِ الْقَاسِمِ : " إِنِ اغْتَسَلَ – وَقَدْ أَجْمَعَ عَلَى الْإِسْلَامِ – أَجْزَأَهُ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا اغْتَسَلَ لَهُ " .

[قَالَ] ابْنُ رُشْدٍ : " لِأَنَّ إِسْلَامَهُ بِالْقَلْبِ إِسْلَامٌ حَقِيقِيٌّ ، لَوْ مَاتَ قَبْلَ نُطْقِهِ مَاتَ مُؤْمِنًا " . اهـ .

وَعَلَى هَذَا الْغَزَّالِيُّ أَيْضًا ، فَإِنَّهُ قَالَ : "كَيْفَ يُعَذَّبُ مَنْ قَلْبُهُ مَمْلُوءٌ بِالْإِيمَانِ ؟! " .

وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ ، غَيْرَ أَنَّهُ لِخَفَائِهِ نِيطَ الْحُكْمُ بِالْإِقْرَارِ الظَّاهِرِ ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ ، غَيْرُ مُؤْمِنٍ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا ، عَكْسَ الْمُنَافِقِ .

وَهَذَا الْقَوْلُ نُسِبَ لِلْجُمْهُورِ وَأَبِي مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيِّ .

وَقِيلَ : لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا عِنْدَ اللهِ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ النُّطْقَ شَطْرٌ – **أَيْ** : رُكْنٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، كَمَا نَسَبَهُ الْجَلَالُ السُّيُوطِيُّ لِأَكْثَرِ السَّلَفِ ، كَأَبِي حَنِيفَةَ ، وَالشَّافِعِيِّ – أَوْ عَلَى أَنَّهُ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ ، كَمَا عَلَيْهِ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي

[شَرْحُ الصُّغْرَى] ، وَابْنُ الْغَرْسِ .
وَقَوْلُ عِيَاضٍ : " إِنَّ التَّصْدِيقَ وَحْدَهُ لَيْسَ بِإِيمَانٍ ، وَلَا يُنْجِي مِنَ النَّارِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ " .
يُحْتَمَلُ بِنَاؤُهُ عَلَى الشَّطْرِيَّةِ وَعَلَى الشَّرْطِيَّةِ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ ؛ وَقَدْ نَاقَشَهُ الْأُبِّيُّ فِي نَقْلِهِ عَنِ اتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِقَوْلِ ابْنِ رُشْدٍ وَغَيْرِهِ : " إِنَّ النُّطْقَ شَرْطٌ فِي إِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ " . وَالْمُصَدِّقُ بِقَلْبِهِ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى كَمَا مَرَّ .

وَالْحَاصِلُ :
أَنَّ النُّطْقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ اخْتُلِفَ : هَلْ هُوَ شَطْرٌ أَوْ شَرْطٌ ؟ .
وَعَلَى الشَّرْطِيَّةِ اخْتُلِفَ : هَلْ هُوَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ ؟ أَوْ فِي إِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَقَطْ ؟ .
فَإِنْ قُلْتَ : قَدْ ذَكَرَ فِي [شَرْحِ الصُّغْرَى] قَوْلًا بِأَنَّهُ لَيْسَ شَرْطًا وَلَا شَطْرًا ! .
قُلْتُ : مُرَادُهُ بِهِ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ شَرْطٌ فِي إِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَقَطْ ، إِذْ هُوَ عَلَيْهِ غَيْرُ شَطْرٍ وَلَا شَرْطٍ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ ؛ فَالْمَنْفِيُّ فِي هَذَا الْقَوْلِ الشَّرْطِيَّةُ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ فَقَطْ ، لَا مُطْلَقُ الشَّرْطِيَّةِ ، بِدَلِيلِ مُقَابَلَتِهِ بِالْقَوْلِ بِأَنَّهُ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ .
فَإِنْ قُلْتَ : لَعَلَّ نَافِيَ الشَّطْرِيَّةِ وَالشَّرْطِيَّةِ لَا يَقُولُ إِنَّ النُّطْقَ شَرْطٌ – وَلَوْ فِي إِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ – بَلِ الشَّرْطُ فِي ذَلِكَ هُوَ ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ كُلِّ دَالٍّ عَلَى الْإِسْلَامِ ، مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ! .
قُلْتُ : الْمُرَادُ بِالنُّطْقِ – الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْخِلَافِ فِي الشَّرْطِيَّةِ – النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ عِنْدَ مَنْ يُعَيِّنُهَا لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ؛ أَوِ الْإِتْيَانُ بِكُلِّ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ دَالٍّ عَلَيْهِ عِنْدَ مَنْ يَكْتَفِي بِذَلِكَ . فَهُمَا خِلَافَانِ فِي مَسْأَلَتَيْنِ .
أَمَّا غَيْرُ الْمُتَمَكِّنِ مِنَ النُّطْقِ – لِخَرَسٍ ، أَوْ مُفَاجَأَةِ مَوْتٍ – فَوُجُوبُ النُّطْقِ سَاقِطٌ عَنْهُ ؛ وَحَكَى فِي [شَرْحِ الصُّغْرَى]– تَبَعًا لِعِيَاضٍ – قَوْلًا بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِيمَانٌ إِلَّا بِالنُّطْقِ بِالْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ مُطْلَقًا وَلَوْ مِنَ الْعَاجِزِ ؛ وَبَنَاهُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ – أَيْ : شَطْرٌ وَرُكْنٌ لَهُ – وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّهُ تَكْلِيفٌ بِالْمُحَالِ لِذَاتِهِ ؛ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا ، فَالْحَقُّ أَنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ ؛ وَقَدْ حَكَى جَمَاعَةٌ الْإِجْمَاعَ عَلَى عُذْرِهِ وَعَدَمِ تَكْلِيفِهِ بِالنُّطْقِ .
وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْقَائِلِينَ بِرُكْنِيَّةِ النُّطْقِ – **أَيْ** : بِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ مَاهِيَّةِ الْإِيمَانِ – يُرِيدُونَ بِـ (النُّطْقِ) : اللَّفْظَ ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ ، كَالْإِشَارَةِ مِنَ الْأَخْرَسِ ، وَكَالْعَزْمِ عَلَيْهِ مِمَّنْ عَاجَلَهُ الْمَوْتُ .
فَإِنْ قُلْتَ : لَعَلَّهُمْ أَرَادُوا أَنَّهُ رُكْنٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقَادِرِ فَقَطْ ؟ .
قُلْتُ : الْمَاهِيَّةُ لَا تَخْتَلِفُ أَجْزَاؤُهَا بِاخْتِلَافِ أَفْرَادِهَا ، فَلَا يَكُونُ النُّطْقُ جُزْءًا مِنْ مَاهِيَّةِ إِيمَانِ زَيْدٍ دُونَ إِيمَانِ عَمْرٍو مَثَلًا ، وَإِلَّا لَكَانَ حَقِيقَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، وَهُوَ بَاطِلٌ ، لِلْقَطْعِ بِأَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ الْمَأْمُورَ بِهَا حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ ، لَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِهِمْ ؛ بِخِلَافِ الْقَوْلِ بِالشَّرْطِيَّةِ ، فَإِنَّهُ لَا مَحْذُورَ فِي اشْتِرَاطِ الشَّرْطِ فِي بَعْضِ الْأَفْرَادِ دُونَ بَعْضٍ .
وَأَمَّا الْآبِي كِبْرًا ، أَوْ حَيَاءً ، أَوْ حَذَارَ سُبَّةٍ – كَأَبِي طَالِبٍ – فَكَافِرٌ قَطْعًا .

٣٩١ – وَالْخُلْـــفُ فِي النُّقْصَـــانِ وَالزِّيَـــادَةْ مُقَـــــرَّرٌ عِنْـــــدَ ذَوِي الْإِفَـــــادَةْ

٣٩٢ – وَقِيـــــلَ: لِلْأَعْمَـــالِ يَرْجِعَـــانِ فَيَنْتَفِــــي الْخِـــلَافُ فِي الْمَعَـــانِي

وَإِلَى هَذَا التَّقْسِيمِ أَشَارَ صَاحِبُ [الْمَرَاصِدِ] بِقَوْلِهِ :

(وَمَـــنْ يَكُـــنْ ذَا النُّطْـــقِ مِنْـــهُ مَـــا اتَّفَـــقْ فَـــإِنْ يَكُـــنْ عَجْـــزًا يَكُـــنْ كَمَـــنْ نَطَـــقْ

وَإِنْ يَكُـــنْ نَشَـــأَ عَـــنْ إِبَـــاءِ فَحُكْمُـــهُ الْكُفْـــرُ بِـــلَا امْـــتِرَاءِ

وَإِنْ يَكُـــنْ لِغَفْلَـــةٍ فَكَالْإِبَـــا وَذَا الَّـــذِي حَكَـــى عِيَـــاضٌ مَـــذْهَبَا

وَقِيـــلَ : كَـــالنُّطْقِ ؛ وَلِلْجُمْهُـــورِ نُسِـــبَ وَالشَّـــيْخِ أَبِي مَنْصُـــورِ)

وَهَذَا التَّقْسِيمُ – كَمَا قَالَ الشَّيْخُ الْمِسْنَاوِيُّ – إِنَّمَا هُوَ فِي الْكَافِرِ ، خِلَافًا لِلشَّارِحِ ، إِذْ جَعَلَهُ فِيمَنْ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ . وَقَدْ جَزَمَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَنَّ مَنْ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، لَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وُجُوبَ الْفُرُوعِ فَقَطْ ، يَنْوِي بِهَا الْوُجُوبَ ، فَإِنْ تَرَكَهُ مَعَ الْإِمْكَانِ ، أَوْ تَرَكَ نِيَّةَ الْوُجُوبِ ، فَعَاصٍ فَقَطْ؛ وَلَمْ نَرَ فِي ذَلِكَ خِلَافًا .

فَإِنْ قُلْتَ : يَلْزَمُ الْقَائِلَ بِالرُّكْنِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِإِيمَانِ الْكَافِرِ ، أَنْ يَقُولَ بِهَا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ ، لِمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ الْمَاهِيَّةَ لَا تَخْتَلِفُ فِي أَفْرَادِهَا ؛ وَعَلَيْهِ ، فَيَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ النُّطْقِ عَدَمُ الْإِيمَانِ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ أَيْضًا ! .

قُلْتُ : مَنْ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ بَاقٍ عَلَى فِطْرَةِ يَوْمِ الْمِيثَاقِ ، وَهُنَاكَ حَصَلَ التَّصْدِيقُ وَالْإِقْرَارُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْإِيمَانُ ، فَلَمْ يَحْتَجْ لِإِنْشَاءِ الْإِيمَانِ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ النَّشْأَةِ الثَّانِيَةِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » . اهـ .

((**وَالْخُلْفُ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، فَفَاءٍ ؛ **أَيِ** : اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ ((**فِي**)) قَبُولِ الْإِيمَانِ

لِـ ((**ـالنُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةْ**)) وَعَدَمِ قَبُولِهِمَا .

وَخَبَرُ ((**الْخُلْفُ**)) : ((**مُقَرَّرٌ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْقَافِ وَالرَّاءِ الْأَوَّلِ ((**عِنْدَ ذَوِي**)) **أَيْ** : أَصْحَابِ

((**الْإِفَادَةْ .. وَقِيلَ**)) النُّقْصَانُ وَالزِّيَادَةُ ((**لِلْأَعْمَالِ**)) صِلَةُ ((**يَرْجِعَانِ فَيَنْتَفِي الْخِلَافُ فِي الْمَعَانِي**)) .

وَذَلِكَ ، أَنَّ مَذْهَبَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الطَّاعَاتِ ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا ؛ وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ الْعَزِيزُ ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ .

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ : لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ .

وَقِيلَ : إِيمَانُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ، وَإِيمَانُ غَيْرِهِمْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ .

وَقِيلَ : مُرَادُ الْجُمْهُورِ بِزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ : زِيَادَةُ الطَّاعَةِ وَنُقْصَانُهَا ؛ فَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ فِي الْمَعْنَى .

... ...

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ هُنَا ، مَسْأَلَةُ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ :**

اِعْلَمْ أَنَّهُ اخْتُلِفَ فِي الْعِلْمِ الْحَادِثِ – وَهُوَ عِلْمُ الْمَخْلُوقِ – هَلْ يَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الْمَعْلُومِ ؟ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَشْعَرِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ . أَوْ هُوَ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ تَتَعَدَّدُ مُتَعَلَّقَاتُهَا ، وَهِيَ الْمَعْلُومَاتُ الْكَثِيرَةُ ؟ وَبِهِ قَالَ بَعْضُ الْأَشَاعِرَةِ .

وَعَلَى كُلٍّ ، **فَقَالَ الْأَكْثَرُونَ** : يَتَفَاوَتُ مِنْ حَيْثُ الْجَزْمُ ، فَإِنَّ الْجَزْمَ فِي كَوْنِ الْوَاحِدِ نِصْفَ الِاثْنَيْنِ مَثَلًا ، أَقْوَى مِنْهُ فِي كَوْنِ الْعَالَمِ حَادِثًا .

وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ كَمَا فِي [جَمْعِ الْجَوَامِعِ] :

" لَا يَتَفَاوَتُ ، وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ بِكَثْرَةِ الْمُتَعَلَّقَاتِ إِنْ قُلْنَا بِاتِّحَادِ الْعِلْمِ مَعَ تَعَدُّدِ الْمَعْلُومِ، أَوْ بِقِلَّةِ تَخَلُّلِ الْغَفَلَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ إِنْ قُلْنَا إِنَّ الْعِلْمَ يَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الْمَعْلُومِ " .

إِذَا تَمَهَّدَ هَذَا ، فَعَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ إِنَّ الْعِلْمَ يَتَفَاوَتُ ، فَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، أَيْ : يَكُونُ بَعْضُ أَفْرَادِهِ أَقْوَى مِنْ بَعْضٍ فِي الْجَزْمِ ؛ وَنَسَبَهُ السَّعْدُ لِبَعْضِ الْمُحَقِّقِينَ ؛ وَعَلَيْهِ ، فَلَا إِشْكَالَ فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] **أَيْ** : لِيَزْدَادَ طَمَأْنِينَةً ، وَإِلَّا فَأَصْلُ الطَّمَأْنِينَةِ كَانَ حَاصِلًا ؛ وَعَلَيْهِ أَيْضًا ، يَظْهَرُ أَنَّ إِيمَانَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَيْسَ كَآحَادِ الْأُمَّةِ ، وَأَنَّ إِيمَانَ أَبِي بَكْرٍ أَقْوَى مِنْ إِيمَانِ غَيْرِهِ مِنَ الْأُمَّةِ : < مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِصَلَاةٍ ، وَلَا صِيَامٍ ، وَإِنَّمَا فَضَلَكُمْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ > . وَعَنْ عَلِيٍّ : < لَوْ كُشِفَ لِيَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدتُّ يَقِينًا > .

وَهَذَا الْقَوْلُ مُخْتَارُ النَّوَوِيِّ .

وَعَلَى قَوْلِ الْمُحَقِّقِينَ إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَتَفَاوَتُ مِنْ حَيْثُ الْجَزْمُ ، فَالْإِيمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ؛ **قَالُوا** : لِأَنَّ مَا يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ احْتِمَالُ النَّقِيضِ ، فَلَا يَكُونُ جَزْمًا ؛ وَأَجَابُوا عَنِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى زِيَادَتِهِ وَنَقْصِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] ، ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر : ٣١] بِأَوْجُهٍ:

١ – أَحَدُهَا : أَنَّ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ الْمُتَعَلَّقَاتِ وَقِلَّتِهَا ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ آمَنُوا فِي الْجُمْلَةِ ، ثُمَّ كَانَ يَأْتِي فَرْضٌ بَعْدَ فَرْضٍ ، فَيُؤْمِنُونَ بِكُلِّ فَرْضٍ تَجَدَّدَ ؛ وَهَذَا يُتَصَوَّرُ فِي عَصْرِهِ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – وَبَعْدَهُ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ إِجْمَالًا فِيمَا عُلِمَ إِجْمَالًا ، وَتَفْصِيلًا فِيمَا عُلِمَ تَفْصِيلًا ؛ وَالتَّفَاصِيلُ يُطَّلَعُ عَلَيْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَلَا خَفَاءَ أَنَّ التَّفَاصِيلَ أَزْيَدُ ، **أَيْ** : أَكْمَلُ .

٢ – ثَانِيهَا : أَنَّ الثَّبَاتَ وَالدَّوَامَ عَلَى الْإِيمَانِ زِيَادَةٌ لَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ .

وَحَاصِلُهُ : أَنَّهُ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَزْمَانِ ، لِأَنَّهُ عَرَضٌ ، وَالْعَرَضُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ إِلَّا بِتَجَدُّدِ الْأَمْثَالِ ؛ وَقَوْلُ السَّعْدِ فِي اعْتِرَاضِ هَذَا الْوَجْهِ أَنَّ حُصُولَ الْمِثْلِ لِلشَّيْءِ بَعْدَ انْعِدَامِ الشَّيْءِ لَا يَكُونُ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي شَيْءٍ ، كَمَا فِي سَوَادِ الْجِسْمِ : يُرَدُّ بِأَنَّ تَوَالِيَ الْأَمْثَالِ كَثِيرَةٌ فِي آحَادِهَا ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ تَزَايُدٌ .

٣ – ثَالِثُهَا : أَنَّ الْمُرَادَ زِيَادَةُ ثَمَرَتِهِ ، وَإِشْرَاقُ نُورِهِ وَضِيَائِهِ فِي الْقَلْبِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ بِالْأَعْمَالِ ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي .

٤ – رَابِعُهَا : أَنَّ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ ، أَوْ فِي مُسَمَّى مُطْلَقِ

الْإِيمَانِ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ .

٥ – خَامِسُهَا : أَنَّ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ بِاعْتِبَارِ قِلَّةِ تَخَلُّلِ الْغَفَلَاتِ وَكَثْرَتِهَا ، كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ : " لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي الطُّرُقِ " .

فنبَّهَ عَلَى أَنَّ الْغَفْلَةَ تَخْتَلِسُهُمْ فِي غَيْبَتِهِمْ عَنْهُمْ ، وَتَتَحَامَاهُمْ بِحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ .

٦ – سَادِسُهَا : أَنَّ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ الْأَدِلَّةِ ، أَوْ وُضُوحِهَا فِي نَفْسِهَا وَعَدَمِ ذَلِكَ .

وَقِيلَ : الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، رِعَايَةً لِلْإِطْلَاقَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَالثَّلَاثَةُ رُوِيَتْ لِمَالِكٍ ، كَمَا قَالَهُ زَرُّوقٌ فِي شَرْحِ [الرِّسَالَةِ] ، وَاشْتُهِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : " يَزِيدُ " ، وَلَا يَقُولُ : " يَنْقُصُ " ؛ وَسَأَلَهُ ابْنُ نَافِعٍ عَنْ ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِ ؛ فَقَالَ : أَبْرَمْتُمُونَا !! » .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« الْأَصَحُّ – كَمَا فِي [جَمْعِ الْجَوَامِعِ] – أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَجُوزُ، بَلْ يَتَرَجَّحُ – كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – أَنْ يَقُولَ :

" أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ " . فَيُعَلِّقُ بِالْمَشِيئَةِ خَوْفًا مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ ، لَا شَكًّا فِي الْحَالِ ؛ وَمَنَعَ أَبُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهُ ذَلِكَ ، لِإِيهَامِهِ الشَّكَّ فِي الْحَالِ فِي الْإِيمَانِ .

(الثَّانِي) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« الْإِيمَانُ مَخْلُوقٌ للهِ تَعَالَى ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهُ ، وَلَا مَعْنَى لِمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، لِأَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ وَأَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ للهِ تَعَالَى .

(الثَّالِثُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« **الْإِيمَانُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ** :

١ – إِيمَانُ الْمُنَافِقِينَ بِأَلْسِنَتِهِمْ دُونَ قُلُوبِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا ، لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ وَصَوْنِ أَمْوَالِهِمْ ؛ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

٢ – وَإِيمَانُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، لَكِنْ لَمْ يَتَخَلَّقُوا بِمُقْتَضَاهُ، وَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِمْ ثَمَرَاتُ الْيَقِينِ؛ فَيُدَبِّرُونَ مَعَ اللهِ ، وَيَرْجُونَ وَيَخَافُونَ غَيْرَهُ ، وَيَجْتَرِءُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ .

٣ – وَإِيمَانُ الْمُقَرَّبِينَ ، وَهُمُ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ اسْتِحْضَارُ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ ، فَانْطَبَقَتْ بِذَلِكَ بَوَاطِنُهُمْ ، وَصَارَتْ

بَصَائِرُهُمْ تُشَاهِدُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا صَادِرَةً مِنْ عَيْنِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ ثَمَرَاتُ ذَلِكَ ، فَلَا يُعَوِّلُونَ عَلَى شَيْءٍ سِوَى اللهِ ، فَلَا يَخَافُونَ وَلَا يَرْجُونَ غَيْرَهُ ، لِأَنَّ الْخَلْقَ ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان : ٣] ، وَلَا يُحِبُّونَ غَيْرَهُ ، لِأَنَّهُ لَا مُحْسِنَ سِوَاهُ ، وَلِهَذَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ:

" وَهَبْ لَنَا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ بِكَ ، حَتَّى لَا نَخَافَ غَيْرَكَ ، وَلَا نَرْجُوَ غَيْرَكَ ، وَلَا نُحِبَّ غَيْرَكَ ، وَلَا نَعْبُدَ شَيْئًا سِوَاكَ " .

وَلَا يَعْتَرِضُونَ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ ، لِأَنَّهُ الْحَكِيمُ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء : ٦٥] ، وَرَأَوْا الْآخِرَةَ مَحَلَّ الْقَرَارِ ، فَسَعَوْا لَهَا سَعْيًا .

فِي [الْحِكَمِ] : " لَوْ أَشْرَقَ نُورُ الْيَقِينِ لَرَأَيْتَ الْآخِرَةَ أَقْرَبَ مِنْ أَنْ تَرْحَلَ إِلَيْهَا ، وَلَرَأَيْتَ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ ظَهَرَتْ كَسْفَةُ الْفَنَاءِ عَلَيْهَا " .

٤ – وَإِيمَانُ أَهْلِ الْفَنَاءِ فِي التَّوْحِيدِ ، الْمُسْتَغْرِقِينَ فِي الْمُشَاهَدَةِ ، كَمَا قَالَ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ : " وَأَغْرِقْنِي فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ " ، وَقَالَ : " وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَحُلْ بينِي وَبَيْنَ غَيْرِكَ " .

وَهَذَا الْمَقَامُ يَحْصُلُ وَيَنْقَطِعُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ لِعُرْوَةَ لَمَّا كَلَّمَهُ عُرْوَةُ فِي أَمْرٍ وَهُمَا فِي الطَّوَافِ فَلَمْ يُجِبْهُ :

" إِنَّا كُنَّا نَتَرَاءَى اللهَ بَيْنَ أَعْيُنِنَا " ، وَقَوْلُ عَلِيٍّ فِيمَا قِيلَ :

(نَظَرْتُ رَبِّي بِعَيْنِ قَلْبِي … فَقُلْتُ : لَا شَكَّ أَنْتَ أَنْتَ)

وَقَوْلُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ : " إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى اللهِ بِبَصَرِ الْإِيقَانِ وَالْإِيمَانِ ، فَأَغْنَانَا ذَلِكَ عَنْ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ ، وَنَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْخَلْقِ ، هَلْ فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ سِوَى الْمَلِكِ الْحَقِّ ؟! فَلَا نَرَاهُمْ ، وَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَنَرَاهُمْ كَالْهَبَاءِ فِي الْهَوَاءِ ، إِنْ فَتَّشْتَهُمْ لَمْ تَجِدْهُمْ شَيْئًا " .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ :

(كَبُرَ الْعَيَانُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ … صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعَيَانِ تَوَهُّمَا)

وَيَقُولُ آخَرُ :

(مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ … وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ
مُذْ تَجَمَّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقَا … فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعُ)

٣٩٣ – وَاللَّــــوْحُ وَالْقَلَـــــمُ وَالْكُرْسِــــيُّ وَالْعَـــــرْشُ ذُو الْجَسَـــــامَةِ الْقُدْسِـــــيُّ

(الرَّابِعُ) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« اِعْلَمْ أَنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ النِّعَمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَكَ بِهَا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ الْإِيمَانَ ، وَكَرَّهَ إِلَيْكَ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، فَضْلًا مِنْهُ وَنِعْمَةً بِلَا اسْتِحْقَاقٍ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ ، وَمَيَّزَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِكَ بِذَلِكَ ؛ فَاقْدُرْ هَذِهِ النِّعْمَةَ قَدْرَهَا ، وَقُمْ بِوَاجِبِ شُكْرِهَا ، فَإِنَّهَا أَسَاسُ السَّلَامَاتِ وَالْكَرَامَاتِ ؛

أَمَّا السَّلَامَةُ : فَبِهَا يَكُونُ النَّجَاةُ – بِعَوْنِ اللهِ – مِنْ أَهْوَالِ الْقَبْرِ ، وَالْقِيَامَةِ ، وَالْمِيزَانِ ، وَالصِّرَاطِ ، وَالنَّارِ ، وَمِنَ الطَّرْدِ ، وَالْبُعْدِ ، وَالْغَضَبِ .

وَأَمَّا الْكَرَامَاتُ : فَبِهَا يُنَالُ نَعِيمُ الْقَبْرِ ، مِنَ اتِّسَاعِهِ ، وَالْأَنِيسِ الصَّالِحِ فِيهِ ، وَفَتْحِ بَابٍ إِلَى الْجَنَّةِ لِدُخُولِ رَوْحِهَا إِلَيْهِ ، وَنَعِيمِ الْقِيَامَةِ ، مِنَ الْحُورِ وَالْقُصُورِ ، وَأَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ وَالْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ ، وَالنَّظَرِ لِوَجْهِ اللهِ .

وَقَدْ سَمِعَ الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَنْ يَقُولُ : " الْحَمْدُ للهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ لَتَحْمَدُ اللهَ عَلَى نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ " .

وَقِيلَ : لَا كَلِمَةَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ وَلَا أَعْظَمُ عِنْدَهُ شُكْرًا مِنْ قَوْلِ الْعَبْدِ : " الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْنَا وَهَدَانَا لِلْإِسْلَامِ " .

وَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، وَقَالَ يُوسُفُ : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف : ١٠١] ؛ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِلَّا النَّجَاةُ مِنْ شَدَائِدِ الْقِيَامَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ : " نَفْسِي نَفْسِي ، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي " .

وَلَوْ كَانَ لِلرَّجُلِ عَمَلُ سَبْعِينَ نَبِيًّا لَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ – كَمَا قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ – لَكَانَ كَافِيًا .

وَيَرْحَمُ اللهُ الْقَائِلَ :

(سُـــبْحَانَ مَـــنْ لَـــوْ سَـــجَدْنَا بِـــالْعُيُونِ لَـــهُ عَلَـــى شَـــبَا الشَّـــوْكِ وَالْمُحْمَـــى مِـــنَ الْإِبَـــرِ

لَمْ نَبْلُـــغِ الْعُشْـــرَ مِـــنْ مِقْـــدَارِ نِعْمَتِـــهِ وَلَا الْعُشَـــيْرَ وَلَا عُشْـــرًا مِـــنَ الْعُشَـــرِ) »

اِنْتَهَى.

((**وَاللَّوْحُ**)) الْمَحْفُوظُ ، وَهُوَ جِسْمٌ نُورَانِيٌّ ، كَتَبَ فِيهِ الْقَلَمُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَهُوَ يَكْتُبُ فِيهِ الْآنَ عَلَى التَّحْقِيقِ ، مِنْ أَنَّهُ يَقْبَلُ الْمَحْوَ وَالْإِثْبَاتَ ؛ وَنُفَوِّضُ عِلْمَ حَقِيقَتِهِ للهِ تَعَالَى .

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ : « إِنَّ للهِ لَوْحًا ، أَحَدُ وَجْهَيْهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ ، وَالثَّانِي زُمُرُّدَةٌ خَضْرَاءُ » .

((**وَالْقَلَمُ**)) الْكَاتِبُ فِيهِ ، وَهُوَ جِسْمٌ عَظِيمٌ نُورَانِيٌّ ، خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَأَمَرَهُ بِكَتْبِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قِيلَ : هُوَ مِنَ " الْيَرَاعِ " وَهُوَ الْقَصَبُ ؛ وَالْأَوْلَى أَنْ نُفَوِّضَ عِلْمَ حَقِيقَتِهِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**وَالْكُرْسِيُّ**)) وَهُوَ جِسْمٌ عَظِيمٌ نُورَانِيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ مُلْتَصِقٌ بِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ؛ وَالْأَوْلَى الْإِمْسَاكُ عَنِ الْخَوْضِ فِي حَقِيقَتِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى ؛ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ غَيْرُ الْعَرْشِ ، خِلَافًا لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ .

((**وَالْعَرْشُ ذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**الْجَسَامَةِ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالسِّينِ ؛ **أَيِ** : الْجِسْمِ الْعَظِيمِ النُّورَانِيِّ الْعُلْوِيِّ ؛ **قِيلَ** : مِنْ نُورٍ ؛ **وَقِيلَ** : مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ ؛ وَقِيلَ : مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ . وَالْأَوْلَى تَفْوِيضُ عِلْمِ حَقِيقَتِهِ للهِ تَعَالَى .

٣٩٤ – وَالْكَـــــاتِبُونَ وَاجِـــــبٌ إِيمَانُنَـــــا بِكُلِّهِـــــمْ، فَـــــرْضٌ بِهِـــــمْ إِيقَانُنَـــــا

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ غَيْرُ كُرَوِيٍّ ، بَلْ هُوَ قُبَّةٌ فَوْقَ الْعَالَمِ ذَاتُ أَعْمِدَةٍ أَرْبَعَةٍ ، تَحْمِلُهُ أَرْبَعَةُ مَلَائِكَةٍ فِي الدُّنْيَا ، وَثَمَانٍ فِي الْآخِرَةِ ، لِزِيَادَةِ الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ فِي الْآخِرَةِ ؛ رُءُوسُهُمْ عِنْدَ الْعَرْشِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، وَأَقْدَامُهُمْ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، وَقُرُونُهُمْ كَقُرُونِ الْوَعِلِ – **أَيْ** : بَقَرِ الْوَحْشِ – مَا بَيْنَ أَصْلِ قَرْنِ أَحَدِهِمْ إِلَى مُنْتَهَاهُ خَمْسِمِائَةُ عَامٍ .

وَقِيلَ : كُرَوِيٌّ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأَجْسَامِ . وَهُوَ خِلَافُ التَّحْقِيقِ .

((**الْقُدْسِيُّ**)) **أَيِ** : الْمَنْسُوبُ لِلْقُدْسِ ، **أَيِ** : الطُّهْرِ .

[تَنْبِيهٌ]

اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْعَرْشُ ، خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى لِحِكَمٍ يَعْلَمُهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِنْ قَصُرَتْ عُقُولُنَا عَنْ إِدْرَاكِهَا ؛ لَا لِاحْتِيَاجِهِ تَعَالَى إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا ؛ فَلَمْ يَخْلُقِ اللَّوْحَ لِضَبْطِ مَا يَخَافُ نِسْيَانَهُ ، وَلَا الْقَلَمَ لِاسْتِحْضَارِ مَا غَابَ عَنْ عِلْمِهِ تَعَالَى ، وَلَا الْكُرْسِيَّ لِلْجُلُوسِ عَلَيْهِ ، وَلَا الْعَرْشَ لِلِاتِّقَاءِ .

((**وَ**)) الْمَلَائِكَةُ ((**الْكَاتِبُونَ**)) أَعْمَالَ الْعِبَادِ ؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِ مَلَكَانِ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا رَقِيبٌ ، **أَيْ** : حَافِظٌ ؛ وَعَتِيدٌ ، **أَيْ** : حَاضِرٌ ؛ خِلَافًا لِمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ أَحَدَهُمَا رَقِيبٌ ، وَالْآخَرَ عَتِيدٌ ؛ وَهُمَا لَا يَتَغَيَّرَانِ مَا دَامَ حَيًّا ، فَإِذَا مَاتَ يَقُومَانِ عَلَى قَبْرِهِ يُسَبِّحَانِ ، وَيُهَلِّلَانِ ، وَيُكَبِّرَانِ ، وَيَكْتُبَانِ ثَوَابَهُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا ؛ وَيَلْعَنَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ كَانَ كَافِرًا .

وَقِيلَ : لِكُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَلَكَانِ ، فَلِلْيَوْمِ مَلَكَانِ ، وَلِلَّيْلَةِ مَلَكَانِ ؛ فَتَكُونُ الْمَلَائِكَةُ أَرْبَعَةً ، يَتَعَاقَبُونَ عِنْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ ، وَيُؤَرِّخُونَ مَا يَكْتُبُونَ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ بِالْأَيَّامِ وَالْجُمَعِ وَالْأَعْوَامِ وَالْأَمَاكِنِ .

وَمَلَكُ الْحَسَنَاتِ مِنْ نَاحِيَةِ الْيَمِينِ ، وَمَلَكُ السَّيِّئَاتِ مِنْ نَاحِيَةِ الْيَسَارِ ؛ وَالْأَوَّلُ أَمِينٌ أَوْ أَمِيرٌ عَلَى الثَّانِي ، فَإِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ حَسَنَةً بَادَرَ مَلَكُ الْيَمِينِ إِلَى كَتْبِهَا ، وَإِذَا فَعَلَ سَيِّئَةً قَالَ مَلَكُ الْيَسَارِ لِمَلَكِ الْيَمِينِ : أَأَكْتُبُ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ أَوْ يَتُوبُ . فَإِذَا مَضَى سِتُّ سَاعَاتٍ فَلَكِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ ، قَالَ لَهُ : اُكْتُبْ ، أَرَاحَنَا اللهُ مِنْهُ . وَهَذَا دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ ، لِيَتَحَوَّلَا عَنْ مُشَاهَدَةِ الْمَعْصِيَةِ ، لِأَنَّهُمَا يَتَأَذَّيَانِ بِذَلِكَ .

وَظَوَاهِرُ الْآثَارِ أَنَّ الْحَسَنَاتِ تُكْتَبُ مُمَيَّزَةً عَنِ السَّيِّئَاتِ ؛ فَقِيلَ : إِنَّ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِ أَوَّلُ كِتَابِهِ ، وَآخِرُهُ :

" هَذِهِ ذُنُوبُكَ قَدْ سَتَرْتُهَا وَغَفَرْتُهَا " .

وَحَسَنَاتُ الْكَافِرِ أَوَّلُ كِتَابِهِ ، وَآخِرُهُ : " هَذِهِ حَسَنَاتُكَ قَدْ رَدَدتُّهَا عَلَيْكَ وَمَا قَبِلْتُهَا " .

وَخَبَرُ ((**اللَّوْحُ**)) وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ : ((**وَاجِبٌ**)) عَلَيْنَا شَرْعًا ((**إِيمَانُنَا**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : تَصْدِيقُنَا

((**بِـ**)) **هِمْ** ((**ـكُلِّهِمْ**)) وَ((**فَرْضٌ**)) عَلَيْنَا ((**بِهِمْ**)) صِلَةُ ((**إِيقَانُنَا**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيْ** : جَزْمُنَا .

... ...

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

هَذِهِ الْكِتَابَةُ مِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ ، فَمَنْ أَنْكَرَهَا فَقَدْ كَفَرَ ، لِتَكْذِيبِهِ الْقُرْءَانَ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢** ﴾ [الانفطار : ١١ - ١٢] ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ لِحَاجَةٍ دَعَتْ إِلَيْهَا ، وَإِنَّمَا فَائِدَتُهَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَلِمَ بِهَا اسْتَحَى وَتَرَكَ الْمَعْصِيَةَ .

(**الثَّانِي**) :

الْكِتَابَةُ حَقِيقِيَّةٌ ، بِآلَةٍ وَقِرْطَاسٍ وَمِدَادٍ ، يَعْلَمُهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، حَمْلًا لِلنُّصُوصِ عَلَى ظَوَاهِرِهَا ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ : إِنَّهَا كِنَايَةٌ عَنِ الْحِفْظِ وَالْعِلْمِ .

وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ : « أَنَّ لِسَانَهُ قَلَمُهُمَا ، وَرِيقَهُ مِدَادُهُمَا » . وَالتَّفْوِيضُ أَوْلَى .

(**الثَّالِثُ**) :

أُخْتُلِفَ فِي مَحَلِّ هَذَيْنِ الْمَلَكَيْنِ مِنَ الشَّخْصِ :

فَقِيلَ : نَاجِذَاهُ ، **أَيْ** : آخِرُ أَضْرَاسِهِ ، الْأَيْمَنِ وَالْأَيْسَرِ . **وَقِيلَ** : عَاتِقَاهُ . **وَقِيلَ** : ذَقْنُهُ . **وَقِيلَ** : شَفَتَاهُ . **وَقِيلَ** : عُنْفُقَتُهُ.

وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ : « أَنَّهُ إِنْ قَعَدَ ، كَانَ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ ، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ ؛ وَإِنْ مَشَى ، كَانَ أَحَدُهُمَا أَمَامَهُ ، وَالْآخَرُ خَلْفَهُ ؛ وَإِنْ رَقَدَ ، كَانَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ » .

وَيُجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِأَنَّهُمَا لَا يَلْزَمَانِ مَحَلًّا وَاحِدًا . وَالْأَسْلَمُ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ الْوَقْفُ .

(**الرَّابِعُ**) :

لَا يَتْرُكَانِ شَيْئًا مِمَّا صَدَرَ مِنْهُ بِلَا كِتَابَةٍ ، سَوَاءٌ كَانَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا ؛ وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨** ﴾ [ق : ١٨] فِي خُصُوصِ الْقَوْلِ ؛ وَكَذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : « يَكْتُبُ كُلَّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْتُبُ قَوْلَهُ : " أَكَلْتُ ، شَرِبْتُ ، ذَهَبْتُ ، جِئْتُ ، رَأَيْتُ " ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ وَيَوْمُ الِاثْنَيْنِ ، عَرَضَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ ، فَأُقِرَّ مِنْهُمَا مَا كَانَ خَيْرًا وَشَرًّا ، وَأُلْقِيَ سَائِرُهُ ، **أَيْ** : بَاقِيهِ ، وَهُوَ الْمُبَاحُ وَالْمَكْرُوهُ ، فَتَلْتَقِمُهُ حِيتَانُ الْبَحْرِ فَتَمُوتُ مِنْهُ ، لِنَتْنِهِ ، فَيَخْرُجُ مِنْهُ دُودٌ يَأْكُلُ الزَّرْعَ » .

وَهَذَا صَرِيحٌ فِي كَتْبِ الْمُبَاحَاتِ ، فَيُؤَيِّدُ الْقَوْلَ بِكِتَابَتِهَا .

وَعَلَيْهِ ، فَيَكْتُبُهَا كَاتِبُ السَّيِّئَاتِ ، كَمَا فِي بَعْضِ الْآثَارِ ؛ وَاعْتَمَدَ بَعْضُهُمْ عَدَمَ كِتَابَتِهَا .

(**الْخَامِسُ**) :

أَقْسَامُ الْكَاتِبِينَ ثَلَاثَةٌ :

١ – الْكَاتِبُونَ عَلَى الْعِبَادِ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا .

٣٩٥ – وَأَنَّ لِلْعَبْـــــدِ كِرَامًــــا حَفَظَــــةْ لِكُـــــلِّ مَــــا أَخْفَــــاهُ أَوْ مَــــا لَفَظَــــهْ

٣٩٦ – وَيَجْعَــــــلُ اللهُ لَهُــــــمْ عَلَامَــــــةْ عَلَـــــى الضَّـــــمِيرِ ، فَاسْـــأَلِ السَّـــــلَامَةْ

---

٢ – وَالْكَاتِبُونَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالتَّصَرُّفِ فِي الْعَالَمِ كُلَّ عَامٍ .

٣ – وَالْكَاتِبُونَ مِنْ صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ كِتَابًا يُوضَعُ تَحْتَ الْعَرْشِ .

((**وَ**)) وَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِـ ((**ـأَنَّ لِلْعَبْدِ**)) الْمَخْلُوقِ مَلَائِكَةً ((**كِرَامًا**)) **أَيْ** : مُطِيعِينَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

((**حَفَظَةْ لِكُلِّ مَا**)) **أَيْ** : عَمَلٍ ((**أَخْفَاهُ**)) الْعَبْدُ ((**أَوْ مَا لَفَظَهْ**)) **أَيْ** : أَظْهَرَهُ الْعَبْدُ ((**وَيَجْعَلُ اللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَهُمْ**)) **أَي** : الْحَفَظَةِ ((**عَلَامَةْ عَلَى الضَّمِيرِ**)) **أَي** : الْمَعْنَى الَّذِي أَضْمَرَهُ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ بِأَعْضَائِهِ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ بِلِسَانِهِ ، فَيَكْتُبُونَهُ ((**فَاسْأَلِ**)) اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**السَّلَامَةْ**)) مِنَ الْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ وَالْخَفِيَّةِ .

وَالسَّلَامَةُ مِنْهَا تَكُونُ بِأَمْرَيْنِ :

١ – **الْأَوَّلُ** : أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ كُلَّ صَبَاحٍ عَلَى جَمِيعِ مَا عَمِلْتَهُ لَيْلًا ؛ وَكُلَّ مَسَاءٍ عَلَى جَمِيعِ مَا عَمِلْتَهُ نَهَارًا ؛ فَمَا وَجَدتَّ مِنْ حَسَنَةٍ ، حَمِدتَّ اللهَ عَلَيْهَا ؛ أَوْ مِنْ سَيِّئَةٍ ، اِسْتَغْفَرْتَ اللهَ تَعَالَى مِنْهَا ؛ وَالْأَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ أَنْ تُحَاسِبَهَا عَلَى كُلِّ فِعْلٍ قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، حَتَّى لَا تَتَلَبَّسَ بِهِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ حُكْمِ اللهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَمَا كَانَ خَيْرًا فَعَلْتَهُ ، وَمَا كَانَ غَيْرَهُ أَمْسَكْتَ عَنْهُ ؛ لِتُرِيحَ الْمَلَائِكَةَ مِنَ التَّعَبِ ؛ وَلِأَنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا ، هَانَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْآخِرَةِ .

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا » .

٢ – **الثَّانِي** : أَنْ تُقَصِّرَ أَمَلَكَ ، وَهُوَ رَجَاءُ مَا تُحِبُّهُ النَّفْسُ ، كَطُولِ عُمُرٍ ، وَزِيَادَةِ غِنًى .

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : « مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ ، قَلَّ هَمُّهُ ، وَتَنَوَّرَ قَلْبُهُ ، وَرَضِيَ بِالْقَلِيلِ » .

(........ ... ... وَبِضِـــــــــدِّهَا تَتَمَيَّـــــــــزُ الْأَشْـــــــــيَاءُ)

٣٩٧ – وَقِيــلَ : لَا يُكْتَـــبُ مَـــا فِي الْقَلْـــبِ   وَالْكُـــــلُّ لَا يَفُـــــوتُ عِلْـــــمَ الـــــرَّبِّ

٣٩٨ – وَلَــــيْسَ يَحْتَـــــاجُ إِلَى اسْـــــتِظْهَارِ   بِهِـــــمْ ، تَعَـــــالَى عَـــــالِمُ الْأَسْـــــرَارِ

((وَقِيلَ : لَا يُكْتَبُ)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الْيَاءِ ((مَا)) أَيِ : الْمَعْنَى الَّذِي اسْتَتَرَ ((فِي الْقَلْبِ)) لِعَدَمِ اطِّلَاعِ الْحَفَظَةِ عَلَيْهِ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ : « أَنْتُمْ حَفَظَةُ عَمَلِ عَبْدِي ، وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ... » الْحَدِيثَ .

((وَالْكُلُّ)) مِنَ الْعَمَلِ الظَّاهِرِ ، وَالْعَمَلِ الْبَاطِنِ ((لَا يَفُوتُ عِلْمَ الرَّبِّ)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بَلْ عِلْمُهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ : ٣] .

((وَلَيْسَ)) الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((يَحْتَاجُ)) فِي عِلْمِهِ أَعْمَالَ عِبَادِهِ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ ((إِلَى اسْتِظْهَارٍ)) أَيِ : اسْتِعَانَةٍ ((بِهِمْ)) أَيِ : الْحَفَظَةِ .

سُبْحَانَهُ وَ((تَعَالَى عَالِمُ الْأَسْرَارِ)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " سِرٍّ " ، أَيْ : شَيْءٍ خَفِيٍّ .

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةٌ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ ، فَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ ... ﴾ [الانفطار : ١٠] الْآيَةَ ، ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام : ٦١] ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ... ﴾ [ق : ١٧] الْآيَةَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَفَعَهُ : " صَاحِبُ الْيَمِينِ أَمِينٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ ، فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ حَسَنَةً ، كَتَبَهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ؛ فَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً ، فَأَرَادَ صَاحِبُ الشِّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا ، قَالَ لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ : أَمْسِكْ ؛ فَيُمْسِكُ سِتَّ سَاعَاتٍ ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللهَ فِيهَا ، لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْهُ ، كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ " .

وَفِي رِوَايَةٍ : " إِنَّ صَاحِبَ الْيَمِينِ يَقُولُ : دَعْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ ، لَعَلَّهُ يُسَبِّحُ أَوْ يَسْتَغْفِرُ " .

قِيلَ : وَلَا يَكْتُبُونَ الْخَوَاطِرَ وَالنِّيَّاتِ وَالذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا انْفَرَدَ اللهُ بِعِلْمِهِ .

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمْ يَكْتُبُونَهُ ، لِحَدِيثِ : " مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، كُتِبَتْ عَشْرًا ؛ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ ، وَلَمْ يَعْمَلْهَا ، لَمْ تُكْتَبْ " . وَفِي رِوَايَةٍ : " كُتِبَتْ حَسَنَةٌ " . وَوُفِّقَ بِـ : أَنَّهُ إِذَا تَرَكَهَا لِلهِ ، كُتِبَتْ حَسَنَةٌ وَإِلَّا فَلَا .

قِيلَ لِسُفْيَانَ : "كَيْفَ تَعْلَمُ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ الْعَبْدَ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ ؟ .

قَالَ : إِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ ، وَجَدُوا مِنْهُ رِيحَ الْمِسْكِ ؛ وَبِسَيِّئَةٍ ، وَجَدُوا مِنْهُ رِيحَ النَّتْنِ " .

[قَالَ] الْخَازِنُ : " وَفَائِدَةُ تَوْكِيلِ الْحَفَظَةِ بِالْإِنْسَانِ : أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ أَفْعَالَهُ وَأَقْوَالَهُ مُحْصَاةٌ فِي صُحُفٍ تُنْشَرُ وَتُقْرَأُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، كَانَ أَزْجَرَ لَهُ عَنِ الْقَبِيحِ وَالْمَعَاصِي " .

... ...

[قَالَ] **الثَّعْلَبِيُّ** : " قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُ شَقِيًّا ... جَاهِلَ الْقَلْبِ ، غَافِلَ الْيَقَظَاتِ

فَإِذَا كَانَ ذَا وَفَاءٍ ، وَرَأْيٍ ... حَذِرَ الْمَوْتَ ، فَاتَّقَى الْحَفَظَاتِ

إِنَّمَا النَّاسُ رَاحِلٌ وَمُقِيمُ ... فَالَّذِي فَاتَ لِلْمُقِيمِ عِظَاتُ) »

. اهـ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

قَوْلُ الْمُصَنِّفِ :

٣٩٥ – وَأَنَّ لِلْعَبْدِ كِرَامًا حَفَظَةْ ... لِكُلِّ ... ... إلخ

مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْحَفَظَةَ هُمُ الْكَتَبَةُ ؛ وَهُوَ خِلَافُ الرَّاجِحِ ؛ وَالرَّاجِحُ تَغَايُرُهُمَا .

وَعَلَيْهِ ، فَالْمُرَادُ بِـ (الْحَفَظَةِ) : الْحَافِظُونَ لِلْعَبْدِ مِنَ الْمَضَارِّ ؛ فَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ (الْمُعَقِّبَاتِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد : ١١] غَيْرُ الْكَاتِبِينَ ؛ وَيُقَوِّيهِ – كَمَا قَالَهُ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ – أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّ الْحَفَظَةَ يُفَارِقُونَ الْعَبْدَ ، بَلْ يُلَازِمُونَهُ أَبَدًا ؛ بِخِلَافِ الْكَتَبَةِ ، فَإِنَّهُمْ يُفَارِقُونَهُ عِنْدَ ثَلَاثِ حَاجَاتٍ :

١ – عِنْدَ قَضَاءِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ ، بَوْلًا أَوْ غَائِطًا .

٢ – وَعِنْدَ الْجِمَاعِ .

٣ – وَعِنْدَ الْغُسْلِ .

كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنْ كَتْبِ مَا يَصْدُرُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، لِأَنَّ اللهَ يَجْعَلُ لَهُمْ عَلَامَةً عَلَى ذَلِكَ .

وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ لَا يُفَارِقُونَهُ وَلَوْ كَانَ فِي بَيْتِهِ جَرَسٌ أَوْ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ .

وَأَمَّا حَدِيثُ : « لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ جَرَسٌ ... » وَنَحْوُهُ ؛ فَالْمُرَادُ : مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ .

(**الثَّانِي**) :

حِفْظُهُمْ لِلْعَبْدِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْقَضَاءِ الْمُعَلَّقِ ؛ وَأَمَّا الْمُبْرَمُ ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِنْفَاذِهِ، فَيَتَنَحَّوْنَ عَنْهُ حَتَّى يَنْفُذَ .

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – سَأَلَ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ عَدَدِ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْآدَمِيِّ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " لِكُلِّ آدَمِيٍّ عَشَرَةٌ بِاللَّيْلِ ، وَعَشَرَةٌ بِالنَّهَارِ : وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِهِ ، وَآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ ، وَاثْنَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَاثْنَانِ عَلَى جَبِينِهِ ، وَآخَرُ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِهِ ، فَإِنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ ، وَإِنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ ، وَاثْنَانِ عَلَى شَفَتَيْهِ ، لَيْسَ يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

٣٩٩ – وَمَــا لَــهُ – سُــبْحَانَهُ – مِــنْ أَسْمَــا قَدِيمَــــةٌ لَهَــــا الْمَقَــــامُ الْأَسْمَـــــى

وَالْعَاشِرُ يَحْرُسُهُ مِنَ الْحَيَّةِ أَنْ تَدْخُلَ فَاهُ " .

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ ذَكَرَ عِشْرِينَ مَلَكًا ؛ وَذَكَرَ الْعَلَّامَةُ الْأُبِّيُّ أَنَّهُ يَحْفَظُ لِابْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ كُلَّ آدَمِيٍّ يُوَكَّلُ بِهِ مِنْ حِينَ وُقُوعِهِ نُطْفَةً فِي الرَّحِمِ إِلَى مَوْتِهِ أَرْبَعُمِائَةِ مَلَكٍ .

(**الثَّالِثُ**) :

قَوْلُ الْمُصَنِّفِ :

٣٩٥ – ... لِلْعَبْــــــــــــــــــــــــدِ ... ...

شَامِلٌ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ ؛ وَقَدْ تَرَدَّدَ الْإِمَامُ الْجُزُولِيُّ فِي الْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ ، أَعَلَيْهِمْ حَفَظَةٌ أَمْ لَا ؟ ؛ ثُمَّ جَزَمَ بِأَنَّ الْجِنَّ عَلَيْهِمْ حَفَظَةٌ ، وَاسْتَبْعَدَ الْقَوْلَ بِذَلِكَ فِي الْمَلَائِكَةِ . قَالَ الْعَلَّامَةُ اللَّقَانِيُّ : وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ . اهـ .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا حَفَظَةَ عَلَيْهِمْ .

((**وَمَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ثَبَتَ ((**لَهُ**)) **أَيِ** : اللهِ ((**سُبْحَانَهُ**)) وَتَعَالَى .

وَبَيَّنَ ((**مَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِنْ أَسْمَا**)) بِالْقَصْرِ ، لِلْوَزْنِ ؛ جَمْعُ " اسْمٍ " ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ : مَا دَلَّ عَلَى الذَّاتِ بِمُجَرَّدِهَا ، كَـ " اللهُ " ، أَوْ بِاعْتِبَارِ الصِّفَةِ ، كَـ " الْعَالِمُ ، وَالْقَادِرُ " .

وَخَبَرُ ((**مَا**)) : ((**قَدِيمَةٌ**)) خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ ، حَيْثُ قَالُوا : إِنَّ أَسْمَاءَهُ تَعَالَى حَادِثَةٌ ، وَإِنَّهَا مِنْ وَضْعِ الْخَلْقِ .

فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ تُوصَفُ بِـ " الْقِدَمِ " مَعَ أَنَّهَا أَلْفَاظٌ ، وَهِيَ حَادِثَةٌ قَطْعًا ؟! .

قُلْتُ : **أُجِيبَ** : بِأَنَّ قِدَمَهَا بِاعْتِبَارِ التَّسْمِيَةِ بِهَا ؛ فَهُوَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي سَمَّى بِهَا ذَاتَهُ أَزَلًا .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« وَفِيهِ : أَنَّ التَّسْمِيَةَ وَضْعُ الِاسْمِ ؛ وَحَيْثُ كَانَ الِاسْمُ حَادِثًا ، فَالتَّسْمِيَةُ كَذَلِكَ ! .

وَأُجِيبَ أَيْضًا بِأَنَّ مَعْنَى قِدَمِهَا : أَنَّ اللهَ صَالِحٌ لَهَا أَزَلًا » .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **وَفِيهِ** : أَنَّ هَذَا لَا يَحْسُنُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : " إِنَّهَا مِنْ وَضْعِ الْخَلْقِ " . إِذْ لَا يُنَافِيهِ ! .

وَأُجِيبَ أَيْضًا : بِأَنَّ قِدَمَهَا مِنْ حَيْثُ عِلْمُ اللهِ تَعَالَى وَتَقْدِيرُهُ فِي الْأَزَلِ » .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **وَفِيهِ** : أَنَّ جَمِيعَ الْحَوَادِثِ كَذَلِكَ ! .

وَأُجِيبَ أَيْضًا : بِأَنَّ قِدَمَهَا مِنْ حَيْثُ مَدْلُولُهَا » .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **وَفِيهِ أَيْضًا** : أَنَّ قِدَمَ الْمَدْلُولِ يَرْجِعُ لِمَا سَبَقَ مِنْ قِدَمِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ ؛ وَلَا يَحْسُنُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِيمَا

سَبَقَ ، وَانْظُرْهُ ! .

وَأُجِيبَ أَيْضًا : بِأَنَّ قِدَمَهَا بِاعْتِبَارِ دَالِّهَا ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ » .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **وَفِيهِ أَيْضًا** : أَنَّهُ مَعْلُومٌ مِمَّا سَبَقَ ، وَلَا يَحْسُنُ رَدًّا ، مَعَ أَنَّ الْكَلَامَ دَالٌّ عَلَى جَمِيعِ أَقْسَامِ الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ ، فَلَا خُصُوصِيَّةَ لِلِاسْمِ » .

وَنَقَلَ الْعَلَّامَةُ الْمَلَّوِيُّ عَنْ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَغْرِبِيِّ مَا حَاصِلُهُ :

« إِنَّ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى الْقَدِيمِ أَسْمَاءٌ لَهُ ، هِيَ الْمَحْكُومُ عَلَيْهَا بِالْقِدَمِ ، كَمَا أَنَّ مِنْهُ أَمْرًا وَنَهْيًا ... إِلَخْ ؛ وَالْمُرَادُ بِالتَّسْمِيَةِ الْقَدِيمَةِ : دَلَالَةُ الْكَلَامِ أَزَلًا عَلَى مَعَانِي الْأَسْمَاءِ ، وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ تَبْعِيضٍ وَلَا تَجْزِئَةٍ فِي نَفْسِ الْكَلَامِ ، كَمَا سَبَقَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَنْشَرِحُ لَهُ الصَّدْرُ ، مَعَ تَفْوِيضِ كُنْهِ ذَلِكَ لَهُ تَعَالَى ، وَمَا هِيَ بِالْأَوْلَى » .

وَأَمَّا اعْتِرَاضُ الْعَلَّامَةِ الْمَلَّوِيِّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُمْ : لَمْ يَذْكُرُوا أَسْمَاءً مِنْ أَقْسَامِ الْكَلَامِ الِاعْتِبَارِيَّةِ ! .

فَجَوَابُهُ كَمَا سَبَقَ فِي :

« الْحَمْدُ للهِ ؛ إِنَّ تَقْسِيمَهُمْ لَيْسَ حَاصِرًا ، بَلِ اقْتَصَرُوا عَلَى الْأَهَمِّ بِاعْتِبَارِ مَا ظَهَرَ لَهُمْ إِذْ ذَاكَ ؛ كَيْفَ وَمَدْلُولُهُ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ ؟! » .

وَأَشَارَ الْعَلَّامَةُ الْمَلَّوِيُّ آخِرَ عِبَارَتِهِ إِلَى مَا حَاصِلُهُ :

« إِنَّ الْقِدَمَ هُنَا لَيْسَ بِمَعْنَى عَدَمِ الْأَوَّلِيَّةِ ، بَلْ بِمَعْنَى أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ قَبْلَ الْخَلْقِ ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ ؛ **أَيْ** : أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَضَعَهَا لِنَفْسِهِ قَبْلَ إِيجَادِنَا ، ثُمَّ أَلْهَمَهَا لِلنُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ ، ثُمَّ لِلْمَلَائِكَةِ ، ثُمَّ لِلْخَلْقِ » . فَلْيُنْظَرْ .

وَنَقَلَ مَوَادَّ " بَسْمَلَةٌ " : شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَنِ الْإِمَامِ الْقُرْطُبِيِّ مَا نَصُّهُ :

«مَنْ قَالَ " الِاسْمُ " مُشْتَقٌّ مِنَ " السُّمُوِّ " – وَهُوَ الْعُلُوُّ – يَقُولُ : لَمْ يَزَلِ اللهُ مَوْصُوفًا قَبْلَ وُجُودِ الْخَلْقِ ، وَعِنْدَ وُجُودِهِمْ ، وَبَعْدَ فَنَائِهِمْ ؛ لَا تَأْثِيرَ لَهُمْ فِي أَسْمَائِهِ ؛ وَهَذَا قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ .

وَمَنْ قَالَ : مُشْتَقٌّ مِنَ " السِّمَةِ " يَقُولُ : كَانَ فِي الْأَزَلِ بِلَا أَسْمَاءٍ وَلَا صِفَاتٍ ؛ فَلَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ جَعَلُوهَا لَهُ ، وَلَمَّا يُفْنِيهِمْ يَبْقَى بِلَاهَا .

وَهُوَ قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ . قَالَ السَّمِينُ : " وَهُوَ أَقْبَحُ مِنَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْءَانِ " . اهـ .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ غَيْرُ لَازِمٍ ، بَلْ هُمَا مَقَامَانِ مُنْفَكَّانِ ، فَتَدَبَّرْ » . انْتَهَى .

((**لَهَا**)) **أَيْ** : أَسْمَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْمَقَامُ**)) **أَيِ** : الشَّرَفُ وَالْعِظَمُ ((**الْأَسْمَى**)) **أَيِ** : الْأَعْلَى .

وَعِظَمُهَا مَعْنَاهُ : تَنَزُّهُهَا عَنْ أَنْ يُسَمَّى بِهَا الْغَيْرُ ، أَوْ عَنْ أَنْ تُفَسَّرَ بِمَا لَا يَلِيقُ ، أَوْ أَنْ تُذْكَرَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ التَّعْظِيمِ ؛ وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ .

وَاخْتُلِفَ : هَلْ بَيْنَهَا تَفَاضُلٌ أَوْ لَا ؟ .

فَقِيلَ : لَا تَفَاضُلَ بَيْنَهَا . وَفِي [الْيَوَاقِيتِ] عَنِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ : « إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى مُتَسَاوِيَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، لِرُجُوعِهَا كُلِّهَا إِلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنْ وَقَعَ فِيهَا تَفَاضُلٌ فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ آخَرَ ، كَالتَّخَلُّقِ بِمَدْلُولِ الِاسْمِ ، كَأَنْ يَتَخَلَّقَ

٤٠٠ – وَهْــــيَ لَنَـــا تُـــدْرَى بِالِاسْـــتِقْرَاءِ مِــــــنْ طُــــــرُقِ التَّوْقِيـــــــفِ لَا الْآرَاءِ

بِمَدْلُولِ "كَرِيمٍ " الَّذِي هُوَ الْكَرَمُ ، وَبِدَلُولِ " حَلِيمٍ " الَّذِي هُوَ الْحِلْمُ » .

وَالْحَقُّ أَنَّهَا مُتَفَاضِلَةٌ ؛ أَعْظَمُهَا لَفْظُ الْجَلَالَةِ ، وَهُوَ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ ، وَكَانَ سَيِّدِي عَلِيٌّ وَفَا – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – يَذْهَبُ إِلَى التَّفَاضُلِ ، وَيَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾[التوبة : ٤٠] : « هُوَ اسْمُ اللهِ ، فَإِنَّهُ أَعْلَى مَرْتَبَةً مِنْ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ ... » **قَالَ** :

« وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[العنكبوت : ٤٥] **أَيْ** : وَلَذِكْرُ اسْمِ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ » .

اِنْتَهَى مُلَخَّصًا مِنْ حَاشِيَةِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ .

((**وَهْيَ**)) **أَيْ** : أَسْمَاءُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَنَا**)) **أَيْ** : مَعْشَرَ الْمَخْلُوقِينَ ؛ صِلَةُ ((**تُدْرَى**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ ؛ **أَيْ** : تُعْلَمُ ((**بِالِاسْتِقْرَاءِ**)) **أَيْ** : تَتَبُّعِ آيَاتِ الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ، وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**مِنْ طُرُقِ**)) بِضَمِّ الطَّاءِ وَالرَّاءِ ، فَقَافٍ ؛ جَمْعُ طَرِيقٍ ((**التَّوْقِيفِ**)) **أَيِ** : التَّعْلِيمِ بِالْقُرْءَانِ ، أَوِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَوِ الْحَسَنَةِ ، أَوِ الْإِجْمَاعِ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ خَارِجٍ عَنْهَا ؛ بِخِلَافِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ إِنْ قُلْنَا إِنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنَ الْعِلْمِيَّاتِ ، **أَيْ** : الِاعْتِقَادَاتِ ، بِحَيْثُ يُعْتَقَدُ أَنَّ ذَلِكَ الِاسْمَ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى .

وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ ، بِحَيْثُ نَسْتَعْمِلُهُ وَنُطْلِقُهُ عَلَيْهِ تَعَالَى ، فَالْأَحَادِيثُ الضَّعِيفَةُ كَافِيَةٌ فِي ذَلِكَ ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا : الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ يُعْمَلُ بِهِ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ .

وَأَمَّا الْقِيَاسُ ، فَقِيلَ : كَالْإِجْمَاعِ مَا لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا .

وَعَلَيْهِ ، فَيُقَاسُ " وَاهِبٌ " – بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ – عَلَى " وَهَّابٌ " . وَأَطْلَقَ بَعْضُهُمْ مَنْعَ الْقِيَاسِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ اللَّقَانِيُّ :

« وَهُوَ الظَّاهِرُ ، لِاحْتِمَالِ إِيهَامِ أَحَدِ الْمُتَرَادِفَيْنِ دُونَ الْآخَرِ ، كَـ " الْعَالِمِ ، وَالْعَارِفِ ، وَالْجَوَادِ ، وَالسَّخِيِّ ، وَالْحَلِيمِ ، وَالْعَاقِلِ ، ... وَغَيْرِهَا » . اِنْتَهَى .

((**لَا**)) مِنْ طُرُقِ ((**الْآرَاءِ**)) بِمَدِّ الْهَمْزِ ؛ جَمْعُ " رَأْيٍ " ؛ **أَيْ** : الِاجْتِهَادِ .

وَمِثْلُ الْأَسْمَاءِ فِي ذَلِكَ : الصِّفَاتُ ، فَلَا نُثْبِتُ للهِ تَعَالَى اسْمًا وَلَا صِفَةً إِلَّا إِذَا وَرَدَ بِذَلِكَ تَوْقِيفٌ مِنَ الشَّارِعِ لَنَا وَإِنْ أَوْهَمَ ، كَـ " الصَّبُورُ ، وَالشَّكُورُ ، وَالْحَلِيمُ " ؛ **فَالْأَوَّلُ** : يُوهِمُ وُصُولَ مَشَقَّةٍ لَهُ تَعَالَى ، لِأَنَّ الصَّبْرَ : حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الْمَشَاقِّ . فَيُفَسَّرُ فِي حَقِّهِ بِـ " الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَنْ عَصَاهُ " .

وَالثَّانِي : يُوهِمُ وُصُولَ إِحْسَانٍ إِلَيْهِ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ : " كَثِيرُ الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ " ؛ مَعَ أَنَّ الْإِحْسَانَ كُلَّهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى .

قَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللهِ فِي آخِرِ [الْحِكَمِ] :

« أَنْتَ الْغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ غَنِيًّا عَنِّي ؟! » .

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّيْخِ آخِرَ [الْحِزْبِ الْكَبِيرِ]: « أَحْسَنَ إِلَيْكَ … وَأَسَاءَ إِلَيْكَ » .

فَمَجَازٌ ، مِنْ بَابِ : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ؛ خِلَافًا لِمَنْ تَوَقَّفَ فِيهِ ؛ فَيُفَسَّرُ فِي حَقِّهِ بِـ " الَّذِي يُجَازِي عَلَى يَسِيرِ الطَّاعَاتِ كَثِيرَ الدَّرَجَاتِ ، وَيُعْطِي بِالْعَمَلِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ نِعَمًا فِي الْآخِرَةِ غَيرَ مَحْدُودَةٍ " .

وَقِيلَ : " الْمُجَازِي عَلَى الشُّكْرِ " . **وَقِيلَ** : " الْمُثْنِي عَلَى مَنْ أَطَاعَهُ " .

وَالثَّالِثُ : يُوهِمُ وُصُولَ أَذًى إِلَيْهِ ، وَهُوَ – سُبْحَانَهُ – لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ بِأَذًى ؛ فَيُفَسَّرُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى بِـ " الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَنْ عَصَاهُ " . فَيَرْجِعُ لِمَعْنَى " الصَّبُورُ " .

وَلَا يَرِدُ عَلَى قَوْلِنَا : " وَهُوَ – تَعَالَى – لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ بِأَذًى " قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ » .

لِأَنَّ مَعْنَاهُ : أَنَّهُ فَعَلَ مَعَهُ فِعْلَ الْمُؤْذِي ؛ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ ، حَيْثُ جَوَّزُوا إِثْبَاتَ مَا كَانَ مُتَّصِفًا بِمَعْنَاهُ وَلَمْ يُوهِمْ نَقْصًا ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ تَوْقِيفٌ مِنَ الشَّارِعِ .

وَمَالَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ ، وَتَوَقَّفَ فِيهِ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، وَفَصَّلَ الْغَزَّالِيُّ ، فَجَوَّزَ إِطْلَاقَ الصِّفَةِ – وَهِيَ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى زَائِدٍ عَلَى الذَّاتِ – وَمَنَعَ إِطْلَاقَ الِاسْمِ ، وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَى نَفْسِ الذَّاتِ .

وَالْحَاصِلُ :

أَنَّ عُلَمَاءَ الْإِسْلَامِ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ إِطْلَاقِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى الْبَارِي – عَزَّ وَجَلَّ – إِذَا وَرَدَ بِهَا الْإِذْنُ مِنَ الشَّارِعِ ؛ وَعَلَى امْتِنَاعِهِ إِذَا وَرَدَ الْمَنْعُ مِنْهُ .

وَاخْتَلَفُوا حَيْثُ لَا إِذْنَ وَلَا مَنْعَ : وَالْمُخْتَارُ : مَنْعُ ذَلِكَ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ .

أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ اللَّقَانِيُّ فِي شَرْحِهِ الصَّغِيرِ عَلَى [جَوْهَرَتِـ]ـهِ .

[تَنْبِيهٌ]

أَسْمَاؤُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تَوْقِيفِيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ .

وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى : أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بَشَرٌ ، فَرُبَّمَا تُسُوهِلَ فِيهِ ، فَسُدَّتِ الذَّرِيعَةُ بِاتِّفَاقٍ ؛ وَأَمَّا مَقَامُ الْأُلُوهِيَّةِ ، فَأَجَلُّ مُحْتَرَمٍ ، فَقِيلَ فِيهِ بِعَدَمِ التَّوْقِيفِ .

وَنَظِيرُ ذَلِكَ : قَوْلُ الْمَالِكِيَّةِ : يُقْتَلُ سَابُّ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَوْ تَابَ ؛ بِخِلَافِ سَابِّ الْإِلَهِ ؛ وَمَا قِيلَ مِنَ تَمَثُّلِ الشَّيْطَانِ فِي الْمَنَامِ بِالْإِلَهِ دُونَ النَّبِيِّ ، وَقَوْلُنَا أَيْضًا : " يَحْرُمُ نِدَاؤُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِمُجَرَّدِ اسْمِهِ، بِخِلَافِ الْإِلَهِ " : مَا ذَاكَ إِلَّا لِحِمَايَةِ مَقَامِ النُّبُوَّةِ وَمَزِيدِ تَبْجِيلِهِ .

أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ .

٤٠١ – وَيُطْلَـــقُ (الشَّـــيْءُ) عَلَـــى الْمَوْجُـــودِ لَا غَـــــيْرِهِ فِي الْمَـــــذْهَبِ الْمَحْمُـــــودِ

((**وَيُطْلَقُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ((**الشَّيْءُ**)) **أَيْ** : هَذَا اللَّفْظُ ((**عَلَى الْمَوْجُودِ**)) قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَادِثًا ((**لَا**)) يُطْلَقُ " الشَّيْءُ " عَلَى ((**غَيْرِهِ**)) **أَيْ** : الْمَوْجُودِ ؛ وَصِلَةُ ((يُطْلَقُ)) : ((**فِي الْمَذْهَبِ الْمَحْمُودِ**)) وَهُوَ مَذْهَبُ إِمَامِنَا الْأَشْعَرِيِّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – وَغَيْرِهِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمَرْعَشِيُّ فِي كِتَابِهِ [نَشْرُ الطَّوَالِعِ] :

« **[الْفَصْلُ الْأَوَّلُ** : **فِي تَقْسِيمِ الْمَعْلُومَاتِ]** :

ذَهَبَ أَهْلُ الْحَقِّ إِلَى أَنَّ الْمَعْدُومَ الْمُمْكِنَ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَثَابِتٌ وَمُتَحَقِّقٌ فِي الْخَارِجِ ؛ وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ ؛ وَتُسَمَّى تِلْكَ الْوَاسِطَةُ – عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا – بِـ " الْحَالِ " ، وَلِهَذَا قَالُوا : مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعْلَمَ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَحَقِّقًا فِي الْخَارِجِ – وَهُوَ الْمَوْجُودُ – أَوْ لَا ، وَهُوَ الْمَعْدُومُ .

فَهَذَا التَّقْسِيمُ أَنْبَأَ أَنْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ ، وَأَنَّ الْمَعْدُومَ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَمُتَحَقِّقٌ فِي الْخَارِجِ .

وَذَهَبَ بَعْضُ الْأَشَاعِرَةِ – وَهُوَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ ، وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي قَوْلِهِ الْأَوَّلِ ، وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ – إِلَى أَنَّ الْمَعْدُومَ الْمُمْكِنَ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَمُتَحَقِّقٌ فِي الْخَارِجِ ، وَأَنَّ الْوَاسِطَةَ بَيْنَ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ أَمْرٌ حَقٌّ – وَهُوَ الْحَالُ – كَالْوُجُودِ ؛ وَلِهَذَا قَالُوا : مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعْلَمَ، إِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ تَحَقُّقٌ فِي الْخَارِجِ أَصْلًا ، لَا بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ ، وَلَا بِاعْتِبَارِ غَيْرِهِ ، وَهُوَ الْمَعْدُومُ ؛ أَوْ يَكُونَ لَهُ تَحَقُّقٌ فِي الْخَارِجِ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ ، لَا بِتَبَعِيَّةِ الْغَيْرِ ، وَهُوَ الْمَوْجُودُ ، أَوْ بِاعْتِبَارِ غَيْرِهِ ، وَهُوَ الْحَالُ .

فَهَذَا التَّقْسِيمُ أَنْبَأَ أَنَّ الْوَاسِطَةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْمَعْدُومَ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَمُتَحَقِّقٌ فِي الْخَارِجِ .

وَعَرَّفُوا الْحَالَ بِأَنَّهُ : " صِفَةٌ لِمَوْجُودٍ ، لَا مَوْجُودَةٍ وَلَا مَعْدُومَةٍ " .

فَقَوْلُهُ : " صِفَةٌ " يُخْرِجُ الذَّاتَ ، لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ حَالًا . **وَقَوْلُهُ** : " لِمَوْجُودٍ " يُخْرِجُ صِفَةَ الْمَعْدُومِ ، لِأَنَّ صِفَةَ الْمَعْدُومِ مَعْدُومَةٌ ، فَلَا تَكُونُ حَالًا .

وَقَوْلُهُ : " لَا مَوْجُودَةٍ " يُخْرِجُ الْأَعْرَاضَ ، لِأَنَّهَا مُتَحَقِّقَةٌ بِاعْتِبَارِ ذَوَاتِهَا ، فَهِيَ مِنْ قَبِيلِ الْمَوْجُودِ دُونَ الْحَالِ .

وَقَوْلُهُ : " وَلَا مَعْدُومَةٍ " يُخْرِجُ السُّلُوبَ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا الْمَوْجُودُ ، فَإِنَّهَا مَعْدُومَاتٌ ، لَا أَحْوَالٌ .

وَذَهَبَ أَكْثَرُ الْمُعْتَزِلَةِ إِلَى أَنَّ الْمَعْدُومَ الْمُمْكِنَ شَيْءٌ ، وَمُتَحَقِّقٌ فِي الْخَارِجِ ، وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ ؛ وَلِهَذَا قَالُوا : مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُعْلَمَ، إِنْ تَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِ – **أَيْ** : تَقَرَّرَ وَتَمَيَّزَ فِي الْخَارِجِ – فَهُوَ " الشَّيْءُ " .

وَالثَّابِتُ فِي الْخَارِجِ : الْمُتَنَاوِلُ لِلْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ الْمُمْكِنِ عِنْدَهُمْ .

وَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ فِي نَفْسِهِ – **أَيْ** : لَمْ يَتَقَرَّرْ ، وَلَمْ يَتَمَيَّزْ فِي الْخَارِجِ – فَهُوَ الْمَنْفِيُّ وَالْمُمْتَنِعُ .

ثُمَّ " الشَّيْءُ ، وَالثَّابِتُ " إِنْ كَانَ لَهُ كَوْنٌ فِي الْأَعْيَانِ فَهُوَ الْمَوْجُودُ ، وَإِلَّا فَهُوَ الْمَعْدُومُ الْمُمْكِنُ .

فَهَذَا التَّقْسِيمُ أَنْبَأَ أَنْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ الْمُطْلَقِ الشَّامِلِ لِلْمُمْكِنِ وَالْمُمْتَنِعِ ، وَأَنَّ الْمَعْدُومَ الْمُمْكِنَ شَيْءٌ وَثَابِتٌ فِي الْخَارِجِ . فَـ " الشَّيْءُ " وَ" الثَّابِتُ " عِنْدَهُمْ أَعَمُّ مِنَ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ الْمُمْكِنِ .

كُلُّ ذَلِكَ مَأْخُوذٌ مِنَ [الْمَوَاقِفِ] وَشَرْحِهِ .

... ...

وَقَالَ الْفَلَاسِفَةُ فِي تَقْسِيمِ الْمَعْلُومَاتِ :

كُلُّ مَا يَصِحُّ أَنْ يُعْلَمَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَحَقُّقٌ مَا فَهُوَ الْمَعْدُومُ ؛ وَإِنْ كَانَ ، فَإِنْ كَانَ تَحَقُّقُهُ فِي خَارِجِ الذِّهْنِ ، فَهُوَ الْمَوْجُودُ الْخَارِجِيُّ ، وَإِنْ كَانَ فِي الذِّهْنِ ، فَهُوَ الْمَوْجُودُ الذِّهْنِيُّ .

ثُمَّ إِنَّ الْمَوْجُودَ الْخَارِجِيَّ إِمَّا أَنْ لَا يَقْبَلَ الْعَدَمَ لِذَاتِهِ ، وَهُوَ الْوَاجِبُ لِذَاتِهِ ؛ أَوْ يَقْبَلَهُ ، وَهُوَ الْمُمْكِنُ » . اِنْتَهَى .

قَالَ السَّيِّدُ الْجُرْجَانِيُّ فِي حَاشِيَةِ [التَّجْرِيدِ] :

« **مَنْ قَالَ بِثُبُوتِ الْمَعْدُومِ ، كَانَ الثَّابِتُ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ :**

١ / ٢ – الْمَوْجُودُ وَالْمَعْدُومُ الْمُمْكِنُ .

٣ – وَالْحَالُ .

وَكَانَ الْمَعْدُومُ عِنْدَهُ قِسْمَيْنِ :

١ – الْمُمْتَنِعُ .

٢ – وَالْمُمْكِنُ .

وَمَنْ لَمْ يَقُلْ بِثُبُوتِ الْمَعْدُومِ ، كَانَ الثَّابِتُ عِنْدَهُ قِسْمَيْنِ :

١ – الْمَوْجُودُ .

٢ – وَالْحَالُ .

وَكَانَ " الْمَعْدُومُ " مُرَادِفًا لِـ " الْمَنْفِيِّ " .

وَمَنْ قَالَ بِثُبُوتِ " الْمَعْدُومِ " دُونَ " الْحَالِ "، كَانَ الثَّابِتُ عِنْدَهُ أَيْضًا قِسْمَيْنِ :

١ / ٢ – الْمَوْجُودُ وَالْمَعْدُومُ الْمُمْكِنُ .

وَكَانَ الْمَعْدُومُ أَيْضًا قِسْمَيْنِ :

١ – الْمَنْفِيُّ .

٢ – وَالْمُمْكِنُ .

وَمَنْ لَمْ يَقُلْ بِثُبُوتِ شَيْءٍ مِنْهُمَا، فَـ " الثَّابِتُ " عِنْدَهُ يُرَادِفُ " الْمَوْجُودَ " ، وَ" الْمَعْدُومُ " : " الْمَنْفِيَّ " .

فَظَهَرَ بِذَلِكَ : أَنَّ الْمُتَصَوَّرَ – **أَيْ** : مَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَصَوَّرَ – **لَهُ تَقْسِيمَاتٌ أَرْبَعٌ :**

١ – وَاحِدٌ مِنْهَا رُبَاعِيٌّ .

٢ / ٣ – وَاثْنَانِ ثُلَاثِيَّاتٌ .

٤ – وَوَاحِدٌ ثُنَائِيٌّ » . اهـ .

٤٠٢ – وَمَالِــــكٌ وَأَهْــــلُ الاِجْتِهَـــادِ	كُــــلٌّ إِلَى نَهْـــجِ الصَّـــوَابِ هَـــادِ
٤٠٣ – كَالشَّــــــافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَـــــةْ	وَأَحْمَـــــدٍ ذِي الرُّتْبَــــةِ الْمُنِيفَـــــةْ
٤٠٤ – وَكُلُّهُــمْ عَلَــى هُــدًى مِــنْ رَبِّهِــمْ	وَفِرْقَــــــةُ الْجُنَيْـــــدِ دِنْ بِحُـــــبِّهِمْ
٤٠٥ – فَــــإِنَّهُمْ طَـــرِيقُهُمْ مَرْضِــــيَّةْ	قَوِيمَـــــةٌ ، لِأَهْلِهَـــــا مَزِيَّـــــةْ
٤٠٦ – وَجَاحِـــدُ الْمَعْلُـــومِ بِالضَّـــرُورَةْ	جَـــاءَ بِكُفْـــرٍ وَانْتَحَـــى غُـــرُورَهْ
٤٠٧ – وَقَتْلُـــهُ لِلْكُفْـــرِ لَا لِلْحَـــدِّ	وَذَلِـــكَ الْجَـــزَاءُ لِلْمُرْتَـــدِّ
٤٠٨ – كَــذَا مَــنِ اسْــتَحَلَّ نَحْــوَ الْخَمْــرِ	مِمَّـــا امْتِنَاعُـــهُ شَـــهِيرُ الْأَمْـــرِ

((وَ)) الْإِمَامُ ((**مَالِكٌ**)) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((**وَأَهْلُ**)) **أَيْ** : أَصْحَابُ ((**الِاجْتِهَادِ**)) **أَيْ** : بَذْلِ الْوُسْعِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفَرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ ((**كُلٌّ**)) مِنْهُمْ ((**إِلَى نَهْجِ**)) **أَيْ** : طَرِيقِ ((**الصَّوَابِ**)) صِلَةُ ((**هَادِ** ..

كَـ)) **ـالْإِمَامِ** ((**ـالشَّافِعِيِّ وَ**)) الْإِمَامِ ((**أَبِي حَنِيفَةْ وَ**)) الْإِمَامِ ((**أَحْمَدٍ**)) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ((**ذِي**)) **أَيْ** : صَاحِبِ ((**الرُّتْبَةِ الْمُنِيفَةْ**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْفَاءِ ؛ **أَيِ** : الْمُرْتَفِعَةِ .

((**وَكُلُّهُمْ**)) **أَيْ** : أَهْلِ الِاجْتِهَادِ ((**عَلَى هُدًى**)) بِضَمِّ الْهَاءِ ((**مِنْ رَبِّهِمْ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَمَنَاقِبُ الْأَئِمَّةِ مُفْرَدَةٌ بِالتَّآلِيفِ ، فَلَا نُطِيلُ بِذِكْرِهَا .

((**وَفِرْقَةُ**)) بِكَسْرِ الْفَاءِ ؛ **أَيْ** : جَمَاعَةُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ ((**الْجُنَيْدِ**)) بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَفَتْحِ النُّونِ ؛ سَيِّدُ الصُّوفِيَّةِ عِلْمًا وَعَمَلًا ، وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي ثَوْرٍ صَاحِبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَمَنَاقِبُهُ أَيْضًا مَشْهُورَةٌ ، فَلَا نُطِيلُ أَيْضًا بِذِكْرِهَا.

((**دِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : تَدَيَّنْ وَتَقَرَّبْ إِلَى اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ((**بِحُبِّهِمْ** .. **فَإِنَّهُمْ**)) **أَيِ** : الْجُنَيْدَ وَأَصْحَابَهُ ((**طَرِيقُهُمْ مَرْضِيَّةْ قَوِيمَةٌ**)) **أَيْ** : مُسْتَقِيمَةٌ عَلَى وَفْقِ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ((**لِأَهْلِهَا**)) **أَيْ** : طَرِيقِ الْجُنَيْدِ

((**مَزِيَّةْ**)) **أَيْ** : فَضِيلَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الصُّوفِيَّةِ .

((**وَجَاحِدُ**)) **أَيْ** : مُنْكِرُ مَشْرُوعِيَّةِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ ((**الْمَعْلُومِ**)) مِنَ الدِّينِ ((**بِالضَّرُورَةْ**)) بِحَيْثُ يَعْرِفُهُ الْخَوَاصُّ وَالْعَوَامُّ ، كَحِلِّ الْبَيْعِ ، وَحُرْمَةِ الرِّبَا ((**جَاءَ بِكُفْرٍ وَانْتَحَى**)) **أَيْ** : قَصَدَ ((**غُرُورَهْ** .. **وَقَتْلُهُ**)) **أَيْ** : جَاحِدِ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ إِنْ لَمْ يَتُبْ ((**لِلْكُفْرِ لَا لِلْحَدِّ**)) فَلَا يُغَسَّلُ ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَلَا يُدْفَنُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ((**وَذَلِكَ**)) **أَيِ** : الْقَتْلُ لِلْكُفْرِ

((**الْجَزَاءُ لِلْمُرْتَدِّ**)) عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ تَقَرُّرِهِ لَهُ الَّذِي لَمْ يَتُبْ .

((**كَذَا**)) **أَيْ** : جَاحِدِ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ فِي قَتْلِهِ لِلْكُفْرِ لَا لِلْحَدِّ ((**مَنِ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**اسْتَحَلَّ نَحْوَ الْخَمْرِ**)) فِي الْإِسْكَارِ . وَبَيَّنَ ((**نَحْوَ الْخَمْرِ**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِمَّا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**امْتِنَاعُهُ**)) **أَيْ** : تَحْرِيمُهُ ((**شَهِيرُ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : مَشْهُورُ ((**الْأَمْرِ**)) بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

٤٠٩ – وَالنَّصُّ إِنْ أَوْهَمَ غَيْرَ اللَّائِقِ ... بِاللهِ ، كَالتَّشْبِيهِ بِالْخَلَائِقِ

٤١٠ – فَاصْرِفْهُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِجْمَاعَا ... وَاقْطَعْ عَنِ الْمُمْتَنِعِ الْأَطْمَاعَا

٤١١ – وَمَا لَهُ مِنْ ذَاكَ تَأْوِيلٌ فَقَطْ ... تَعَيَّنَ الْحَمْلُ عَلَيْهِ وَانْضَبَطْ

٤١٢ – كَمِثْلِ : { وَهُوَ مَعَكُمْ } فَأَوِّلِ ... بِالْعِلْمِ وَالرَّعْيِ ، وَلَا تُطَوِّلِ

٤١٣ – إِذْ لَا تَصِحُّ هَهُنَا الْمُصَاحَبَةْ ... بِالذَّاتِ ، فَاعْرِفْ أَوْجُهَ الْمُنَاسَبَةْ

((**وَالنَّصُّ**)) مِنَ الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ وَالْحَدِيثِ ((**إِنْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**أَوْهَمَ**)) **أَيْ** : أَدْخَلَ فِي الْوَهْمِ مَعْنًى ((**غَيْرَ**)) الْمَعْنَى ((**اللَّائِقِ**)) **أَيِ** : الْجَائِزِ فِي حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أَوْ فِي حَقِّ رُسُلِهِ ، أَوْ مَلَائِكَتِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
وَصِلَةُ ((**اللَّائِقِ**)) : ((**بِاللهِ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَذَلِكَ ((**كَالتَّشْبِيهِ**)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بِالْخَلَائِقِ**)) .
وَخَبَرُ ((**النَّصُّ ...**)) إِلَخْ : ((**فَاصْرِفْهُ**)) **أَيِ** : النَّصَّ ((**عَنْ ظَاهِرِهِ إِجْمَاعَا**)) **أَيْ** : بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى وُجُوبِ صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ ((**وَاقْطَعْ عَنِ**)) صِحَّةِ حَمْلِهِ عَلَى الْمَعْنَى الظَّاهِرِ مِنْهُ ((**الْمُمْتَنِعِ**)) صِلَةُ ((**الْأَطْمَاعَا**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ جَمْعُ " طَمَعٍ " . ((**وَمَا**)) **أَيِ** : النَّصُّ الْمُوهِمُ غَيْرَ اللَّائِقِ الَّذِي ((**لَهُ**)) .
وَبَيَّنَ ((**مَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِنْ ذَاكَ**)) **أَيِ** : النَّصِّ الْمُوهِمِ ... إِلَخْ .
وَمُبْتَدَأُ ((**لَهُ**)) : ((**تَأْوِيلٌ فَقَطْ**)) **أَيْ** : وَاحِدٌ .
وَخَبَرُ ((**مَا**)) جُمْلَةُ : ((**تَعَيَّنَ**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلًا ((**الْحَمْلُ**)) لِلنَّصِّ ((**عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : التَّأْوِيلِ الْوَاحِدِ ((**وَانْضَبَطْ**)) **أَيِ** : انْحَصَرَ الْمُرَادُ فِي ذَلِكَ التَّأْوِيلِ ؛ وَذَلِكَ الَّذِي لَهُ تَأْوِيلٌ وَاحِدٌ ((**كَمِثْلِ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
((﴿ **وَهُوَ** ﴾)) **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ((﴿ **مَعَكُمْ** ﴾)) أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ((**فَأَوِّلِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الْوَاوِ مُثَقَّلًا ؛ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ((**بِـ**)) **تَعَلُّقِ** ((**الْعِلْمِ**)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْمَخْلُوقِينَ أَيْنَمَا كَانُوا ((**وَ**)) بِتَعَلُّقِ ((**الرَّعْيِ**)) **أَيِ** : الْحِفْظِ مِنَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لَهُمْ ((**وَلَا تُطَوِّلِ**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ وَأَوِّلْ بِالْعِلْمِ وَالرَّعْيِ ؛
((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ ، فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**لَا تَصِحُّ هَهُنَا**)) **أَيْ** : فِي هَذِهِ الْآيَةِ ((**الْمُصَاحَبَةْ**)) مِنَ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلْخَلْقِ ((**بِالذَّاتِ**)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لِاسْتِلْزَامِهَا الْجِسْمِيَّةَ ، وَالِاسْتِقْرَارَ فِي مَكَانٍ ، وَالِانْحِصَارَ ؛ وَكُلُّهَا مُحَالَةٌ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قَالَ سَيِّدِي عَلِيٌّ الْمَرْصَفِيُّ فِي [مُخْتَصَرُ الرِّسَالَةِ الْقُشَيْرِيَّةُ] :
« وَسُئِلَ الْجُنَيْدُ عَنْ مَعْنَى " مَعَ " ؟ . فَقَالَ : " مَعَ " عَلَى مَعْنَيَيْنِ :
١ – مَعَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّصْرِ وَالْكَلَاءَةِ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه : ٤٦] .
٢ – وَمَعَ الْعَامَّةِ بِالْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ** ﴾ [المجادلة : ٧] . فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : مِثْلُكَ يَا جُنَيْدُ يَصْلُحُ دَالًّا لِلْأُمَّةِ عَلَى رَبِّهَا » . اهـ .

قَالَ الْأُسْتَاذُ الشَّعْرَانِيُّ فِي [الْيَوَاقِيتُ] :
« فَإِنْ قُلْتَ : فَهَلْ هُوَ تَعَالَى مَعَنَا فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْمَوَاطِنِ بِالذَّاتِ أَوْ بِالصِّفَاتِ ، كَالْعِلْمِ بِنَا ، وَالرُّؤْيَةِ لَنَا ، وَالسَّمَاعِ

لِكَلَامِنَا ؟ .

فَالْجَوَابُ كَمَا قَالَهُ الشَّيْخُ الْعَارِفُ بِاللهِ تَعَالَى تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ فِي رِسَالَتِهِ :
لَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ مَعِيَّةٌ ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا اسْتِوَاءٌ عَلَى الْعَرْشِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ لَنَا تَصْرِيحٌ بِذَلِكَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، فَلَا نَقُولُ عَلَى اللهِ مَا لَمْ نَعْلَمْ » . اهـ .

قَالَ الْعَارِفُ الشَّعْرَانِيُّ :

« قُلْتُ : وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنَ الْمُعْضِلَاتِ ، لِاخْتِلَافِ السَّلَفِ فِيهَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا ؛ وَلَكِنْ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ الْمَعِيَّةَ رَاجِعَةٌ لِلصِّفَاتِ لَا لِلذَّاتِ ، أَكْمَلُ فِي الْأَدَبِ مِمَّنْ يَقُولُ : إِنَّهُ تَعَالَى مَعَنَا بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَتِ الصِّفَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَا تُفَارِقُ الْمَوْصُوفَ .

وَقَدْ وقَعَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَقْدُ مَجْلِسٍ فِي (الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ) فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتسْعِمِائَةٍ بَيْنَ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ الْعَلَائِيِّ الْحَنَفِيِّ ، وَبَيْنَ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوَاهِبِيِّ الشَّاذُلِيِّ ؛ وَصَنَّفَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ فِيهَا رِسَالَةً ؛ وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ عُيُونَهَا ، لِتُحِيطَ بِهَا عِلْمًا ؛ فَأَقُولُ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ :

قَالَ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ الْعَلَائِيُّ الْحَنَفِيُّ، وَالشَّيْخُ زَكَرِيَّا ، وَالشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ بْنُ أَبِي شَرِيفٍ ، وَجَمَاعَةٌ : اللهُ مَعَنَا بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ لَا بِذَاتِهِ . فَقَالَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ : بَلْ هُوَ مَعَنَا بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ .

فَقَالُوا لَهُ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ؟ .

فَقَالَ : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ [محمد : ٣٥] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ ﴾ [الحديد : ٤] ؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ { اللهُ } عَلَمٌ عَلَى الذَّاتِ ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ الْمَعِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ ذَوْقًا وَعَقْلًا ، لِثُبُوتِهَا نَقْلًا وَعَقْلًا .

فَقَالُوا لَهُ : أَوْضِحْ لَنَا ذَلِكَ .

فَقَالَ : حَقِيقَةُ الْمَعِيَّةِ : مُصَاحَبَةُ شَيْءٍ لِآخَرَ ، سَوَاءٌ كَانَا وَاجِبَيْنِ ، كَذَاتِ اللهِ تَعَالَى مَعَ صِفَاتِهِ ؛ أَوْ جَائِزَيْنِ ، كَالْإِنْسَانِ مَعَ مِثْلِهِ ؛ أَوْ وَاجِبًا وَجَائِزًا، وَهُوَ مَعِيَّةُ اللهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ ، الْمَفْهُومَةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ [محمد : ٣٥] ، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

وَذَلِكَ لِمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّ مَدْلُولَ الِاسْمِ الْكَرِيمِ { اللهُ } إِنَّمَا هُوَ الذَّاتُ الْمُلَازِمَةُ لَهَا الصِّفَاتُ الْمُتَعَيِّنَةُ ، لِتَعَلُّقِهَا بِجَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ ؛ وَلَيْسَتْ كَمَعِيَّةٍ مُتَحَيِّزَيْنِ ، لِعَدَمِ مُمَاثَلَتِهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ الْمَوْصُوفِينَ بِالْجِسْمِيَّةِ الْمُفْتَقِرَةِ لِلَوَازِمِهَا الضَّرُورِيَّةِ ، كَالْحُلُولِ فِي الْجِهَةِ الْأَيْنِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ ؛ فَتَعَالَتْ مَعِيَّتُهُ تَعَالَى عَنِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ ، لِكَمَالِهِ تَعَالَى وَارْتِفَاعِهِ عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى : ١١] .

قَالَ : وَلِهَذَا قَرَّرْنَا انْتِفَاءَ الْقَوْلِ بِلُزُومِ الْحُلُولِ فِي حَيِّزِ الْكَائِنَاتِ عَلَى الْقَوْلِ بِمَعِيَّةِ الذَّاتِ ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ مَعِيَّةِ الصِّفَاتِ دُونَ الذَّاتِ انْفِكَاكُ الذَّاتِ عَنِ الصِّفَاتِ ، وَلَا بُعْدُهَا وَتَحَيُّزُهَا ، وَسَائِرُ لَوَازِمِهَا؛ وَحِينَئِذٍ ، فَيَلْزَمُ مِنْ مَعِيَّةِ الصِّفَاتِ لِشَيْءٍ ، مَعِيَّةُ الذَّاتِ لَهُ، وَعَكْسُهُ ، لِتَلَازُمِهِمَا ، مَعَ تَعَالِيهِمَا عَنِ الْمَكَانِ وَلَوَازِمِ الْإِمْكَانِ ، لِأَنَّهُ – تَعَالَى – مُبَايِنٌ لِصِفَاتِ خَلْقِهِ تَبَايُنًا مُطْلَقًا ؛ وَقَدْ قَالَ الْعَلَّامَةُ الْغَزْنَوِيُّ فِي شَرْحِ [عَقَائِدِ النَّسَفِيِّ] :

" إِنَّ قَوْلَ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَجُمْهُورِ النَّجَّارِيَّةِ : إِنَّ الْحَقَّ – تَعَالَى – بِكُلِّ مَكَانٍ ، بِعِلْمِهِ ، وَقُدْرَتِهِ ، وَتَدْبِيرِهِ ، دُونَ ذَاتِهِ .

بَاطِلٌ ، لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنَّ مَنْ عَلِمَ مَكَانًا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالْعِلْمِ فَقَطْ ، إِلَّا إِنْ كَانَتْ صِفَاتُهُ تَنْفَكُّ عَنْ ذَاتِهِ ، كَمَا هُوَ صِفَةُ عِلْمِ الْخَلْقِ ، لَا عِلْمِ الْحَقِّ " . اهـ .
عَلَى أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ اللهَ – تَعَالَى – مَعَنَا بِالْعِلْمِ فَقَطْ دُونَ الذَّاتِ ، اِسْتِقْلَالُ الصِّفَاتِ بِنَفْسِهَا دُونَ الذَّاتِ ؛ وَذَلِكَ غَيْرُ مَعْقُولٍ ! .

فَقَالُوا : فَهَلْ وَافَقَكَ أَحَدٌ غَيْرُ الْغَزْنَوِيِّ فِي ذَلِكَ ؟ .

فَقَالَ : نَعَمْ ، ذَكَرَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ اللَّبَّانِ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾** ﴾[الواقعة : ٨٥] :
" إِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى أَقْرَبِيَّتِهِ تَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ قُرْبًا حَقِيقِيًّا كَمَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ ، لِتَعَالِيهِ عَنِ الْمَكَانِ ، إِذْ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِقُرْبِهِ – تَعَالَى – مِنْ عَبْدِهِ قُرْبَهُ بِالْعِلْمِ، أَوِ الْقُدْرَةِ، أَوِ التَّدْبِيرِ مَثَلًا ، لَقَالَ : " وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ... " وَنَحْوَهُ ؛ فَلَمَّا قَالَ : ﴿ **وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾** ﴾ [الواقعة : ٨٥] دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْقُرْبُ الْحَقِيقِيُّ الْمُدْرَكُ بِالْبَصَرِ ؛ لَوْ كَشَفَ اللهُ عَنْ بَصَرِنَا فَإِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْبَصَرَ لَا تَعَلُّقَ لِإِدْرَاكِهِ بِالصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَقَائِقِ الْمَرْئِيَّةِ .
وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾** ﴾ [ق : ١٦] هُوَ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى مَا قُلْنَاهُ ، لِأَنَّ " أَفْعَلُ مِنْ " يَدُلُّ عَلَى الَاشْتِرَاكِ فِي اسْمِ الْقُرْبِ وَإِنِ اخْتَلَفَ الْكَيْفُ ؛ وَالِاشْتِرَاكُ بَيْنَ قُرْبِ الصِّفَاتِ وَقُرْبِ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، لِأَنَّ قُرْبَ الصِّفَاتِ مَعْنَوِيٌّ ،
وَقُرْبَ حَبْلِ الْوَرِيدِ حِسِّيٌّ ؛ فَفِي نِسْبَةِ أَقْرَبِيَّتِهِ – تَعَالَى – إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ – الَّذِي هُوَ حَقِيقِيٌّ – دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قُرْبَهُ – تَعَالَى — حَقِيقِيٌّ ، **أَيْ** : بِالذَّاتِ اللَّازِمِ لَهَا الصِّفَاتُ .

قَالَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ :
وَبِمَا قَرَّرْنَاهُ لَكُمْ، اِنْتَفَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ قُرْبَهُ – تَعَالَى – مِنَّا بِصِفَاتِهِ دُونَ ذَاتِهِ ؛ وَأَنَّ الْحَقَّ الصَّرِيحَ هُوَ قُرْبُهُ مِنَّا بِالذَّاتِ أَيْضًا ، إِذِ الصِّفَاتُ لَا تُعْقَلُ مُجَرَّدَةً عَنِ الذَّاتِ الْمُتَعَالِي كَمَا مَرَّ .

فَقَالَ لَهُ الْعَلَائِيُّ :

فَمَا قَوْلُكُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ [الحديد : ٤] ، فَإِنَّهُ يُوهِمُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي مَكَانٍ ؟! .
فَقَالَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ :

لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى الْمَكَانُ ، لِأَنَّ ﴿ **أَيْنَ** ﴾ [الحديد : ٤] فِي الْآيَةِ إِنَّمَا أُطْلِقَتْ لِإِفَادَةِ مَعِيَّةِ اللهِ تَعَالَى لِلْمُخَاطَبِينَ فِي الْأَيْنِ اللَّازِمِ لَهُمْ لَا لَهُ تَعَالَى كَمَا قَدَّمْنَا ، فَهُوَ مَعَ صَاحِبِ كُلِّ أَيْنٍ بِلَا أَيْنٍ » . اهـ .

فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الشَّيْخُ الْعَارِفُ بِاللهِ تَعَالَى سَيِّدِي مُحَمَّدٌ الْمَغْرِبِيُّ الشَّاذُلِيُّ – شَيْخُ الْجَلَالِ السُّيُوطِيِّ — فَقَالَ :
« مَا جَمَعَكُمْ هُنَا ؟ . فَذَكَرُوا لَهُ الْمَسْأَلَةَ . فَقَالَ : تُرِيدُونَ عِلْمَ هَذَا الْأَمْرِ ذَوْقًا أَوْ سَمَاعًا ؟ . فَقَالُوا : سَمَاعًا . فَقَالَ :

٤١٤ – وَمَـا لَـهُ مَحَامِـلُ الـرَّأْيِ اخْتَلَـفْ فِيـهِ، وَبِالتَّفْوِيضِ قَـدْ قَـالَ السَّـلَفْ
٤١٥ – مِـنْ بَعْـدِ تَنْزِيـهٍ، وَهَـذَا أَسْـلَمُ وَاللهُ بِـالْمُرَادِ مِنْهَـا أَعْلَـمُ
٤١٦ – لِـذَاكَ قَـالَ مَالِـكٌ إِذْ سُـئِلَا فِي الِاسْتِوَا : (وَالْكَيْـفُ مِنْـهُ جُهِـلَا)

مَعِيَّةُ اللهِ تَعَالَى أَزَلِيَّةٌ ، لَيْسَ لَهَا ابْتِدَاءٌ ، وَكَانَتِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا ثَابِتَةً فِي عِلْمِهِ أَزَلًا يَقِينًا بِلَا بِدَايَةٍ، لِأَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ تَعَلُّقًا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ ، لِاسْتِحَالَةِ وُجُودِ عِلْمِهِ الْوَاجِبِ وُجُودُهُ بِغَيْرِ مَعْلُومٍ ، وَاسْتِحَالَةِ طَرَيَانِ تَعَلُّقِهِ بِهَا ، لَمْ يَلْزَمْ عَلَيْهِ مِنْ حُدُوثِ عِلْمِهِ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ؛ وَكَمَا أَنَّ مَعِيَّتَهُ تَعَالَى أَزَلِيَّةٌ ، كَذَلِكَ هِيَ أَبَدِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ ، فَهُوَ – تَعَالَى – مَعَهَا بَعْدَ حُدُوثِهَا مِنَ الْعَدَمِ عَيْنًا عَلَى وَفْقِ مَا فِي الْعِلْمِ يَقِينًا ؛ وَهَكَذَا يَكُونُ الْحَالُ أَيْنَمَا كَانَتْ فِي عَوَالِمِ بَسَاطَتِهَا وَتَرْكِيبِهَا ، وَإِضَافَتِهَا وَتَجْرِيدِهَا ، مِنَ الْأَزَلِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ .

فَأَدْهَشَ الْحَاضِرِينَ بِمَا قَالَهُ . فَقَالَ لَهُمْ : اِعْتَقِدُوا مَا قَرَّرْتُهُ لَكُمْ فِي (الْمَعِيَّةِ) وَاعْتَمِدُوهُ ، وَدَعُوا مَا يُنَافِيهِ تَكُونُوا مُنَزِّهِينَ لِمَوْلَاكُمْ حَقَّ التَّنْزِيهِ ، وَمُخَلِّصِينَ لِعُقُولِكُمْ مِنْ شُبُهَاتِ التَّشْبِيهِ .

وَإِنْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ ذَوْقًا ، فَلْيُسْلِمْ قِيَادَهُ لِي أُخْرِجْهُ عَنْ وَظَائِفِهِ ، وَثِيَابِهِ ، وَمَالِهِ ، وَأَوْلَادِهِ ، وَأُدْخِلْهُ الْخَلْوَةَ ، وَأَمْنَعْهُ النَّوْمَ وَأَكْلَ الشَّهَوَاتِ ؛ وَأَنَا أَضْمَنُ لَهُ وُصُولَهُ إِلَى عِلْمِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ذَوْقًا وَكَشْفًا .

قَالَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ : فَمَا تَجَرَّأَ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ .

ثُمَّ قَامَ الشَّيْخُ زَكَرِيَّا ، وَالشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّينِ ، وَالْجَمَاعَةُ ، فَقَبَّلُوا يَدَهُ وَانْصَرَفُوا . اِهـ . فَتَأَمَّلْ يَا أَخِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَتَدَبَّرْهُ ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُهُ فِي كِتَابٍ الْآنَ » . اِهـ .

((**فَاعْرِفْ أَوْجُهَ الْمُنَاسَبَةِ**)) فِي التَّأْوِيلِ .

((**وَمَا**)) **أَيِ** : النَّصُّ الْمُوهِمُ غَيْرَ اللَّائِقِ بِاللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي ((**لَهُ مَحَامِلُ**)) **أَيْ** : تَأْوِيلَاتٌ صَحِيحَةٌ ، يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَى كُلٍّ مِنْهَا ((**الرَّأْيِ**)) **أَيِ** : اجْتِهَادِ الْعُلَمَاءِ ((**اخْتَلَفْ فِيهِ**)) **أَيْ** : مَا لَهُ مَحَامِلُ عَلَى **ثَلَاثَةِ مَذَاهِبَ** :

١ – (**الْأَوَّلُ**) : مَذْهَبُ السَّلَفِ ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ : ((**وَبِالتَّفْوِيضِ**)) لِلهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي الْمُرَادِ بِهِ ؛ صِلَةُ ((**قَدْ قَالَ السَّلَفْ**)) بِفَتْحِ السِّينِ وَاللَّامِ فَفَاءٍ ؛ **أَيِ** : الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُ التَّابِعِينَ ؛ **وَقِيلَ** : هُمْ مَنْ قَبْلَ الْخَمْسِمِائَةِ ، وَالْخَلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ ((**مِنْ بَعْدِ تَنْزِيهٍ**)) لِلهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ مِنْهُ

((**وَهَذَا**)) الْمَذْهَبُ ((**أَسْلَمُ**)) مِنَ الْخَطَرِ الَّذِي فِي حَمْلِهِ عَلَى مَعْنًى مُعَيَّنٍ ، لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ غَيْرُ الْمُرَادِ بِهِ

((**وَاللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**بِالْمُرَادِ**)) صِلَةُ ((**أَعْلَمُ**)) . ((**مِنْهَا**)) **أَيِ** : الْمَحَامِلِ ؛ صِلَةُ ((**ـالْمُرَادِ**)) .

((**أَعْلَمُ .. لِذَاكَ**)) **أَيْ** : كَوْنِ الْمُرَادِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عِلَّةً ((**قَالَ**)) الْإِمَامُ ((**مَالِكٌ**)) رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ ((**إِذْ**)) **أَيْ** : حِينَ ((**سُئِلَا**)) **أَيْ** : مَالِكٌ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ ((**فِي**)) شَأْنِ ((**الِاسْتِوَا**)) فِي قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه : ٥] .

وَمَفْعُولُ ((**قَالَ**)) : ((**الِاسْتِوَا**)) غَيْرُ مَجْهُولٍ ((**وَالْكَيْفُ مِنْهُ**)) **أَيِ** : الِاسْتِوَاءِ ((**جُهِلَا**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ،

« وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ ، وَمَا أَرَى السَّائِلَ إِلَّا ضَالًّا » وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ .

وَسُئِلَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

« آمَنْتُ بِاللهِ بِلَا تَشْبِيهٍ ، وَصَدَّقْتُ بِلَا تَمْثِيلٍ ، وَاتَّهَمْتُ نَفْسِي فِي الْإِدْرَاكِ ، وَأَمْسَكْتُ عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ كُلَّ الْإِمْسَاكِ » .

وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

« اِسْتَوَى كَمَا أَخْبَرَ ، لَا كَمَا يَخْطُرُ بِالْبَشَرِ » .

وَسُئِلَ جَعْفَرُ بْنِ نُصَيْرٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

« اِسْتَوَى عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ » .

وَسُئِلَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ:

« الرَّحْمَنُ لَمْ يَزَلْ ، وَالْعَرْشُ مُحْدَثٌ ، وَالْعَرْشُ بِالرَّحْمَنِ اسْتَوَى » .

وَقَالَ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

« مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ فِي شَيْءٍ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ ، فَقَدْ أَشْرَكَ ؛ لَوْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ لَكَانَ مَحْمُولًا ، وَلَوْ كَانَ فِي شَيْءٍ لَكَانَ مَحْصُورًا ، وَلَوْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ لَكَانَ مُحْدَثًا » .

قَالَ الْعَارِفُ الشَّعْرَانِيُّ فِي [الْيَوَاقِيتُ] :

« **قَالَ الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ فِي رِسَالَتِهِ** :

" يَجِبُ اعْتِقَادُ أَنَّ اللهَ – تَعَالَى – مَا اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ إِلَّا بِصِفَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى الذَّاتِ الْعَلِيِّ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَإِنْ كَانَتِ الصِّفَةُ لَا تُفَارِقُ الْمَوْصُوفَ فِي جَانِبِ الْحَقِّ تَعَالَى ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَرِدْ لَنَا التَّصْرِيحُ بِهِ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ؛ فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقُولَ عَلَى اللهِ مَا لَا نَعْلَمُ ، فَكَمَا أَنَّهُ تَعَالَى اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بِصِفَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ ، كَذَلِكَ الْعَرْشُ وَمَا حَوَاهُ بِهِ اسْتَوَى .

وَاعْلَمْ أَنَّ غَايَةَ الْعَقْلِ – فِي تَنْزِيهِ الْبَارِي عَنْ كَيْفِيَّةِ الْاسْتِوَاءِ – أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ اسْتِوَاءَ تَدْبِيرٍ ، كَمَا يَسْتَوِي الْمَلِكُ مِنَ الْبَشَرِ عَلَى مَمْلَكَتِهِ ، كَمَا قَالُوا فِي اسْتِشْهَادِهِمْ :

(قَـــــــدِ اسْـــــــــتَوَى بِشْـــــــــرٌ ... ...) إِلَخْ

وَأَيْنَ اسْتِوَاءُ الْبَشَرِ الَّذِي هُوَ مَخْلُوقٌ ، مِنَ اسْتِوَاءِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا ؟!! » . اِهـ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي [حَاشِيَةِ عَبْدِ السَّلَامِ] :

« وَفِي آخِرِ [حِكَمِ ابْنِ عَطَاءِ اللهِ] : " يَا مَنِ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، فَصَارَ الْعَرْشُ غَيْبًا فِي رَحْمَانِيَّتِهِ كَمَا صَارَتِ الْعَوَالِمُ غَيْبًا فِي عَرْشِهِ " .

فَكَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ : الرَّحْمَنُ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ . **بِمَعْنَى** : أَنَّ الْعَرْشَ وَإِنْ كَانَ أَكْبَرَ

الْمَخْلُوقَاتِ ، وَكُلُّهَا مُغَيَّبَةٌ فِيهِ ، هُوَ صَغِيرٌ بِالنِّسْبَةِ لِرَحْمَةِ اللهِ ، وَيُغَيِّبُهُ فِيهَا كَمَا تَغِيبُ الْعَوَالِمُ فِيهِ ، إِشَارَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

وَيُمْكِنُ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى اللَّطِيفَ هُوَ الْمُشَارُ لَهُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي " .

فَيُمْكِنُ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةَ الْكِتَابِ .

وَلَوْ قِيلَ : " الْقَهَّارُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " لَذَابَ الْعَرْشُ وَمَا فِيهِ " .

وَفِي [الْيَوَاقِيتُ] :

أَنْشَدَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ فِي الْبَابِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ [الْفُتُوحَاتِ] وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ :

(الْعَرْشُ – وَاللهِ – بِالرَّحْمَنِ مَحْمُولُ ... وَحَامِلُوهُ ، وَهَذَا الْقَوْلُ مَعْقُولُ
وَأَيُّ حَوْلٍ لِمَخْلُوقٍ وَمَقْدِرَةٍ ... لَوْلَاهُ ؟! جَاءَ بِهِ عَقْلٌ وَتَنْزِيلُ)

ثُمَّ نَقَلَ الشَّعْرَانِيُّ عَنْ أَبِي طَاهِرٍ الْقَزْوِينِيِّ أَنَّ فَاعِلَ ﴿ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ضَمِيرُ الْخَلْقِ؛ **أَيْ** : كَمُلَ وَتَمَّ بِالْعَرْشِ ، نَظِيرُ : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [البقرة : ٢٩] **أَيْ** : تَوَجَّهَ خَلْقُهُ . وَ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ [طه : ٥] خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ ، **أَيْ** : هُوَ الرَّحْمَنُ . فَلْيُتَأَمَّلْ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ : « ثُمَّ نَقَلَ الشَّعْرَانِيُّ ... » إِلَخ .

نَصُّ [الْيَوَاقِيتِ] :

« وَقَدْ رَأَيْتُ فِي كِتَابِ [سِرَاجُ الْعُقُولِ] : لِلشَّيْخِ أَبِي طَاهِرٍ الْقَزْوِينِيِّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – كَلَامًا نَفِيسًا فِي مَسْأَلَةِ الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَهَا أَنَا أُلَخِّصُ لَكَ عُيُونَهُ ، فَأَقُولُ وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ :

قَالَ فِي [الْبَابِ الثَّالِثِ] مِنْ كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] :

" اِعْلَمْ أَنَّ اللهَ – تَعَالَى – قَدْ خَلَقَنَا مِنَ الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ ، وَخَلَقَ فَوْقَنَا الْهَوَاءَ ، وَخَلَقَ مِنْ فَوْقِ الْهَوَاءِ السَّمَاوَاتِ ، طَبَقًا فَوْقَ طَبَقٍ ، وَخَلَقَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْكُرْسِيَّ ، وَخَلَقَ فَوْقَ الْكُرْسِيِّ الْعَرْشَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ ؛ وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ أَنَّ اللهَ – تَعَالَى – خَلَقَ فَوْقَ الْعَرْشِ شَيْئًا ؛ وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ ذِكْرِ السُّرَادِقَاتِ ، وَالشُّرُفَاتِ ، وَالْأَنْوَارِ ؛ فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْعَرْشِ وَتَوَابِعِهِ ؛ فَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] **أَيِ** : اسْتَتَمَّ خَلْقُهُ عَلَى الْعَرْشِ ، فَلَمْ يَخْلُقْ خَارِجَ الْعَرْشِ شَيْئًا ، وَجَمِيعُ مَا خَلَقَ وَيَخْلُقُ – دُنْيَا وَأُخْرَى – لَا يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ الْعَرْشِ ، لِأَنَّهُ حَاوٍ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ؛ وَمَعَ ذَلِكَ، فَلَا يَزِنُ فِي مَقْدُورَاتِهِ ذَرَّةً ، فَأَنَّى يَكُونُ مُسْتَقِرًّا ؟!! ... " .

... ...

ثُمَّ قَالَ أَبُو طَاهِرٍ :

" وَأَوْلَى مَا يُفَسَّرُ الْقُرْءَانُ بِالْقُرْءَانِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ...** ﴾ [القصص : ١٤] **أَيِ** : اسْتَتَمَّ شَبَابُهُ ؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ** ﴾ [الفتح : ٢٩] **أَيِ** : اسْتَتَمَّ ذَلِكَ الزَّرْعُ وَقَوِيَ .

وَإِذَا احْتَمَلَتِ الْآيَةُ أَوِ الْحَدِيثُ وَجْهًا صَحِيحًا سَالِمًا مِنَ الْإِشْكَالِ ، وَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّ النُّفُوسَ تَمِيلُ إِلَى الْخَوْضِ فِي الشُّبُهَاتِ .

وَقَدِ اخْتَلَفَ آرَاءُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فِي مَعْنَى آيَةِ الِاسْتِوَاءِ ، وَذَكَرُوا فِي تَفْسِيرِهَا كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ وَضَلَّتْ ، لِلشُّبْهَةِ بِذَلِكَ ، حَتَّى أَدَّاهُمْ إِلَى التَّصْرِيحِ بِالتَّجْسِيمِ ، وَاقْتَضَى الْأَمْرُ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ إِلَى التَّكْفِيرِ، وَالتَّضْلِيلِ ، وَالضَّرْبِ ، وَالشَّتْمِ ، وَالْقَتْلِ ، وَالنَّهْبِ ، وَالْأَلْقَابِ الْفَاضِحَةِ ؛ وَللهِ – تَعَالَى – فِي ذَلِكَ سِرٌّ عَجِيبٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ تَعَالَى ؛ مَعَ أَنَّ الْآيَةَ عَمَّا فَهِمُوهُ بِمَعْزِلٍ ، كَمَا ذَكَرْنَا ... " .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ :

" **وَإِيضَاحُ ذَلِكَ** :

أَنَّ اللهَ تَعَالَى مَا ذَكَرَ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ فِي جَمِيعِ الْقُرْءَانِ إِلَّا بَعْدَ ذِكْرِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَذَلِكَ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ :

١ – (**الْأَوَّلُ**) : فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ** ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

٢ – (**الثَّانِي**) : فِي سُورَةِ يُونُسَ : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ** ﴾ [يونس : ٣] .

٣ – (**الثَّالِثُ**) : فِي سُورَةِ طَهَ : ﴿ **تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥** ﴾ [طه : ٤ - ٥] .

٤ – (**الرَّابِعُ**) : فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ : ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ...** ﴾ [الفرقان : ٥٩] .

٥ – (**الْخَامِسُ**) : فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ : ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ** ﴾ [السجدة : ٤] .

٦ – (**السَّادِسُ**) : فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ** ﴾ [الحديد : ٤] .

وَالْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا : ثُمَّ اسْتَوَى الْخَلْقُ عَلَى الْعَرْشِ . **أَيِ** : اسْتَتَمَّ خَلْقُهُ بِالْعَرْشِ ، فَمَا خَلَقَ بَعْدَ الْعَرْشِ شَيْئًا ؛

كَمَا يُقَالُ : (اِسْتَقَرَّ الْمُلْكُ عَلَى الْأَمْرِ الْفُلَانِيِّ) ، وَ(اِسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى رَأْيِ الْقَاضِي) **أَيْ** : ثَبَتَ .

وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – أَنَّهُ قَالَ : << ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ : اِسْتَقَرَّ >>. اهـ .

وَهُوَ بِمَعْنَى : اسْتَتَمَّ واسْتَكْمَلَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا قَوْلُكَ فِي سَورَةِ طَهَ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] ، وَفِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان : ٥٩] ؟ .

فَالْجَوَابُ :

أَنَّ الشُّبْهَةَ إِنَّمَا وَقَعَتْ فِيهِمَا مِنْ جِهَةِ النَّظْمِ ، وَإِلَّا فَالْقِصَّةُ فِي جَمِيعِ الْآيَاتِ وَاحِدَةٌ ؛ وَلِلنَّظْمِ طُرُقٌ عَجِيبَةٌ فِي الْقُرْءَانِ ؛

فَأَمَّا قَوْلُهُ فِي طَهَ : ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٤ - ٥] ،

فَإِنَّ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [طه : ٥] تَفْسِيرٌ وَإِيضَاحٌ لِقَوْلِهِ : ﴿ مِّمَّنْ ﴾ [طه : ٤] ، **أَيْ** : هَذَا الْخَالِقُ هُوَ الرَّحْمَنُ . ثُمَّ قَالَ :

﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] أَي : اسْتَوَى خَلْقُهُ .

وَفَاعِلُ ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] هُوَ الْمَصْدَرُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ ﴿ خَلَقَ ﴾ [طه : ٤] ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ بِـ (الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ) .

فَوَقَعَ ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه : ٥] فِي آخِرِ الْآيَةِ ، لِأَنَّ مَقَاطِعَ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى الْأَلِفِ الْمَقْصُورَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ .... ﴾ [الفرقان : ٥٩] فَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ فِي الْآيَةِ ؛ تَقْدِيرُهُ : << الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ هُوَ الرَّحْمَنُ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ >> .

فَـ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان : ٥٩] مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ الْخَبَرُ هُوَ قَوْلُهُ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [الفرقان : ٥٩] ؛ كَمَا تَقُولُ : (الَّذِي جَاءَكَ زَيْدٌ) .

وَقَوْلُهُ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان : ٥٩] اِعْتِرَاضٌ فِي الْكَلَامِ .

وَالْمَعْنَى كَمَا قُلْنَا : اِسْتَوَى خَلْقُهُ عَلَى الْعَرْشِ . يَعْنِي : اِسْتَتَمَّ " .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو طَاهِرٍ الْمَذْكُورُ :

" هَذَا ، وَكَمْ نَاظِرٍ فِي كَلَامِي ، يُبَادِرُ إِلَى مَلَامِي ، وَيَقُولُ : إِنَّكَ أَبْدَعْتَ لِلْآيَةِ تَفْسِيرًا مُخَالِفًا لِمَا قَالَهُ جُمْهُورُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ ؛ وَفِي مُخَالَفَتِهِمْ خَرْقٌ لِلْإِجْمَاعِ !! .

٤١٧ – وَصَـــارَ لِلتَّأْوِيـــلِ قَـــوْمٌ عَيَّنُـــوا   مِمَّـــا يَلِيـــقُ رَاجِحًـــا وَبَيَّنُـــوا

٤١٨ – إِذْ فَسَّـــرُوا الْوَجْـــهَ بِـــ ذَاتٍ، وَ الْيَـــدَا   بِـــقُدْرَةٍ ، وَذَا الْإِمَـــامُ أَيَّـــدَا

٤١٩ – وَقَوْلُـــهُ سُـــبْحَانَهُ : مَـــنْ فِي السَّـــمَا   مَعْنَـــاهُ : بِـــالْأَمْرِ وَسُـــلْطَانٍ سَمَـــا

وَإِنِّي – وَاللهِ – أَعْذِرُهُ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ النُّزُولَ عَمَّا يَتَلَقَّاهُ الْفَتَى مِنْ آبَائِهِ وَشُيُوخِهِ صَعْبٌ جِدًّا ، حَقًّا كَانَ أَوْ بَاطِلًا . **وَالَّذِي أَقُولُهُ** : إِنَّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مُحْتَمَلٌ صَحِيحٌ ، وَإِنْ سَمَّاهُ بَعْضُهُمْ بِدْعَةً ، فَكَمْ مِنْ بِدْعَةٍ مُسْتَحْسَنَةٍ ... " . وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ » . اهـ .

[تَنْبِيهٌ]

قَالَ الْعَارِفُ الشَّعْرَانِيُّ فِي [الْكِبْرِتُ الْأَحْمَرُ] نَقْلًا عَنِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ :

« **فَإِنْ قُلْتَ** : فَمَا الْحِكْمَةُ فِي إِعْلَامِهِ تَعَالَى لَنَا بِأَنَّهُ ﴿ **ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ** ﴾ [الأعراف : ٥٤] بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِـ ﴿ **ٱلْعَرْشِ** ﴾ مَكَانٌ مَخْصُوصٌ ، لَا جَمِيعُ الْأَكْوَانِ ؟ .

(**فَالْجَوَابُ**) :

أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ : تَقْرِيبُ الطَّرِيقِ عَلَى عِبَادِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَانَ هُوَ الْمَلِكَ الْعَظِيمَ – وَلَا بُدَّ لِلْمَلِكِ مِنْ مَكَانٍ يَقْصِدُهُ فِيهِ عِبَادُهُ لِحَوَائِجِهِمْ ، وَإِنْ كَانَتْ ذَاتُهُ تَعَالَى لَا تَقْبَلُ الْمَكَانَ قَطْعًا – اِقْتَضَتِ الْمَرْتَبَةُ الْإِلَهِيَّةُ أَنْ يَخْلُقَ عَرْشًا ، وَأَنْ يَذْكُرَ لِعِبَادِهِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَيْهِ ، لِيَقْصِدُوهُ بِالدُّعَاءِ وَطَلَبِ الْحَوَائِجِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ رَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ ، وَالتَّنَزُّلِ لِعُقُولِهِمْ ؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَبَقِيَ صَاحِبُ الْعَقْلِ حَائِرًا لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ بِقَلْبِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَ – تَعَالَى – خَلَقَ الْعَبْدَ ذَا جِهَةٍ مِنْ أَصْلِهِ ، فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ فِي جِهَةٍ مَا دَامَ عَقْلُهُ حَاكِمًا عَلَيْهِ ؛ فَإِذَا مَنَّ اللهُ – تَعَالَى – عَلَيْهِ بِالْكَمَالِ ، وَانْدَرَجَ نُورُ عَقْلِهِ فِي نُورِ إِيمَانِهِ ، تَكَافَأَتْ عِنْدَهُ الْجِهَاتُ فِي جَنَابِ الْحَقِّ تَعَالَى ، وَعَلِمَ وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ الْجِهَةَ ، وَلَا التَّحَيُّزَ ، وَأَنَّ الْعُلْوِيَّاتِ كَالسُّفْلِيَّاتِ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ تَعَالَى سَوَاءً ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ١٦** ﴾ [ق : ١٦] . فَعُلِمَ أَنَّ الشَّرْعَ مَا تَبِعَ الْعُرْفَ إِلَّا فِي حَقِّ ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ ، رَحْمَةً بِهِمْ » . اهـ .

٢ – (الْمَذْهَبُ الثَّانِي) :

مَذْهَبُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ ، وَأَكْثَرِ الْخَلَفِ ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ : ((**وَصَارَ**)) **أَيْ** : ذَهَبَ ((**لِلتَّأْوِيلِ قَوْمٌ عَيَّنُوا**)) الْمَعْنَى الْمُرَادَ حَالَ كَوْنِهِ ((**مِمَّا يَلِيقُ**)) بِاللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – حَالَ كَوْنِهِ ((**رَاجِحًا**)) عِنْدَهُمْ ((**وَبَيَّنُوا**)) **أَيِ** : الْقَوْمُ الْمُرَادَ مِنَ النَّصِّ الْمُوهِمِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**فَسَّرُوا الْوَجْهَ**)) فِي قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ** ﴾ [القصص : ٨٨] .

وَصِلَةُ ((فَسَّرُوا)) : ((**بِـ (ذَاتٍ) ، وَ**)) فَسَّرُوا ((**الْيَدَا**)) فِي قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

٤٢٠ – وَقِسْ عَلَى هَذَا جَمِيعَ مَا اشْتَبَهْ فِي الذِّكْرِ وَالْحَدِيثِ ، وَاذْرِ الْمَرْتَبَةْ

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ((بِـ (قُدْرَةٍ) ، وَ)) هَـ ((ـذَا)) أَيِ : التَّأْوِيلُ مَعَ بَيَانِ الْمُرَادِ ؛ مَفْعُولُ ((أَيَّدَ)) . ((الْإِمَامُ)) لِلْحَرَمَيْنِ ((أَيَّدَا)) بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ؛ أَيْ : قَوَّى ((وَقَوْلُهُ)) أَيِ : اللهِ

((سُبْحَانَهُ)) وَتَعَالَى : ﴿ ءَأَمِنتُم ((مَّن فِي ﴾ السَّمَا })) بِالْقَصْرِ ، لِلْوَزْنِ ((مَعْنَاهُ : بِالْأَمْرِ)) وَالنَّهْيِ

((وَ)) بِـ ((سُلْطَانٍ)) أَيْ : حُكْمٍ ((سَمَا)) أَيْ : عَلَا .

وَفِيهِ أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْحُكْمَ رَاجِعَةٌ لِلْكَلَامِ ، وَهُوَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ ، كَالذَّاتِ ؛ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : الْمُرَادُ بِهَا الْمَأْمُورُ ، وَالْمَنْهِيُّ عَنْهُ ، وَالْمَحْكُومُ بِهِ . وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ : مَنْ فِي السَّمَاءِ مَلَائِكَتُهُ وَكَوَاكِبُهُ .

((وَقِسْ عَلَى هَذَا)) التَّأْوِيلِ الْمَذْكُورِ لِلْوَجْهِ وَالْيَدِ وَ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٦] ((جَمِيعَ مَا)) أَيِ : الَّذِي ((اشْتَبَهْ)) أَيْ : خَفِيَ وَأَشْكَلَ ظَاهِرُهُ حَالَ كَوْنِهِ ((فِي الذِّكْرِ)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيِ : الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ((وَ))

فِي ((الْحَدِيثِ)) الصَّحِيحِ ؛ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ؛ وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ ، وَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ » .

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ » . وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَى أُصْبُعٍ ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ » . وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَزَالُ النَّارُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ :

﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ق : ٣٠] ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ – أَوْ رَبُّ الْعِزَّةِ – فِيهَا قَدَمَهُ ، فَتَقُولُ : قَطٌّ قَطٌّ ، أَوْ قَطْنِي قَطْنِي » . وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفِيَّ ، فَوَجدتُّ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ » أَوْ كَمَا قَالَ .

فَقَوْلُهُ : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] السَّلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ : مَجِيءٌ لَا نَعْلَمُهُ . وَالْخَلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ: وَجَاءَ عَذَابُ رَبِّكَ ، أَوْ أَمْرُهُ الشَّامِلُ لِلْعَذَابِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] السَّلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ : إِتْيَانٌ لَا نَعْلَمُهُ . وَالْخَلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ : إِتْيَانُ مَلَكٍ مِنْ قِبَلِهِ تَعَالَى .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا ... » إلخ؛ السَّلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ : نُزُولٌ لَا نَعْلَمُهُ . وَالْخَلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ: يَنْزِلُ مَلَكُ رَبِّنَا فَيَقُولُ عَنِ اللهِ .

وَفِي [الْمِنَنِ] : « أَنَّ الْغَالِبَ أَنَّ الْمَوْكِبَ الْإِلَهِيَّ يُنْصَبُ مِنَ الثُّلُثِ الْأَخِيرِ ، وَتَارَةً يُنْصَبُ مِنْ أَوَّلِ النِّصْفِ الثَّانِي ، إِلَّا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّهُ يُنْصَبُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى خُرُوجِ الْإِمَامِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، كَمَا فِي مُسْلِمٍ » .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ » ؛ السَّلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ : إِتْيَانٌ وَصُورَةٌ لَا يَعْلَمُهُمَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى .

وَالْخَلَفُ يَقُولُونَ : **الْمُرَادُ بِالْإِتْيَانِ** : التَّجَلِّي ؛ **وَبِالصُّورَةِ** : الصِّفَةُ ؛ **أَيْ** : يَتَجَلَّى عَلَيْهِمْ بِصِفَتِهِ ، مِنْ عِلْمٍ ، وَحَيَاةٍ ، وَقُدْرَةٍ … إلَخ ؛ وَهَذَا فِي ثَانِي رُؤْيَةٍ عِنْدَ الْكَشْفِ عَنِ السَّاقِ الَّذِي يُرِيدُ الْمُنَافِقُ السُّجُودَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ كَالطَّبَقِ .

وَأَوَّلًا يُدْخِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ غَلَطًا فِي رُؤْيَتِهِمْ ، لِإِظْهَارِ ثَبَاتِهِمْ ؛ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ : « لَسْتَ رَبَّنَا » وَهُوَ مَعْنَى مَا فِي الصَّحِيحِ : « يَتَجَلَّى لَهُمْ عَلَى خِلَافِ صُورَتِهِ » فَمَعْنَاهُ : يُدْخِلُ عَلَيْهِمْ غَلَطًا فِي كَشْفِهِمْ . وَإِلَّا فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَتَّصِفَ بِمَا لَا يَلِيقُ .

وَكَشْفُ السَّاقِ عِنْدَ الْخَلَفِ : رَفْعُ الْحِجَابِ . وَالسَّلَفُ يُفَوِّضُونَ .

وَصَدْرُ الْحَدِيثِ : «يُنَادَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ : لِتَلْزَمْ كُلُّ أُمَّةٍ مَعْبُودَهَا » **أَيْ** : لِيُكَبْكَبُوا مَعَهُمْ فِي النَّارِ « فَتَقُولُ هَذِهِ الْأُمَّةُ : هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ؛ فَيَظْهَرُ لَهُمْ … » إلَخ . اُنْظُرْ شُرَّاحَ [الْبُخَارِيِّ] .

أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاءَ … » إلَخ ؛ السَّلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ : جَعْلٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، وَأَصَابِعُ كَذَلِكَ . وَالْخَلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ بِالْجَعْلِ : الْحَمْلُ . وَالْمُرَادُ بِالْأُصْبُعَيْنِ : الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ . **أَيْ** : إِنَّ الْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ حَامِلَتَانِ لِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِينَ .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا تَزَالُ النَّارُ … » إلَخ ؛ السَّلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ : لَهُ قَدَمٌ لَا نَعْلَمُهُ . وَالْخَلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ :

التَّجَلِّي بِصِفَةِ الْجَلَالِ ، وَالنَّظَرُ بِعَيْنِ الْعَظَمَةِ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ : قَوْمٌ قَدَّمَهُمْ إِلَى النَّارِ ، كَمَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدَّمَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ [يونس : ٢] .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي … » إلَخ ؛ السَّلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ : إِتْيَانٌ ، وَيَدٌ ، وَأَنَامِلُ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى .

وَالْخَلَفُ يَقُولُونَ : الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ « أَتَانِي رَبِّي » : أَتَانِي إِحْسَانٌ مِنْ رَبِّي . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ « فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ » : تَعَلُّقُ الْقُدْرَةِ بِإِنْزَالِ الْمَعَارِفِ بِالْقَلْبِ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ « فَوَجَدتُّ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ » : عُمُومُ إِشْرَاقِ تِلْكَ الْمَعَارِفِ فِي الصَّدْرِ بِأَرْجَائِهِ .

قَالَ الْمُحَقِّقُ الْأَمِيرُ :

« **[لَطِيفَةٌ]** :

سَأَلَ الشَّعْرَانِيُّ شَيْخَهُ الْخَوَّاصَ : لِمَاذَا يُؤَوِّلُ الْعُلَمَاءُ الْمُوهِمَ الْوَاقِعَ مِنَ الشَّارِعِ ، وَلَا يُؤَوِّلُونَ الْوَاقِعَ مِنَ الْوَلِيِّ ، مَعَ أَنَّ الْمَادَّةَ وَاحِدَةٌ فِي الْجُمْلَةِ ؟ .

فَقَالَ لَهُ : لَوْ أَنْصَفُوا لَأَوَّلُوا الْوَاقِعَ مِنَ الْوَلِيِّ بِالْأَوْلَى ، لِأَنَّهُ مَعْذُورٌ بِضَعْفِهِ فِي أَحْوَالِ الْحَضْرَةِ ؛ بِخِلَافِ الشَّارِعِ ، فَإِنَّهُ ذُو مَقَامٍ مَكِينٍ » . اِهَـ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى صِفَةِ [الْمُخَالَفَةِ لِلْحَوَادِثِ] جُمْلَةً شَافِيَةً فِي الْكَلَامِ عَلَى بَعْضِ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ نَقْلًا عَنِ الْمُحَقِّقِ ابْنِ كِيرَانَ ، فَانْظُرْهَا إِنْ شِئْتَ .

... ...

((وَادْرِ)) أَيِ : اعْرَفْ ((الْمَرْتَبَةَ)) فِي التَّأْوِيلِ .

٣ – وَتَرَكَ النَّاظِمُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – (مَذْهَبًا ثَالِثًا) لِلْإِمَامِ الْأَعْظَمِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَالْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ؛ وَهُوَ :
حَمْلُ ذَلِكَ عَلَى صِفَاتٍ لِلهِ – تَعَالَى – تَلِيقُ بِجَلَالِهِ ، لَا نَعْلَمُ كُنْهَهَا ، وَتُسَمَّى " صِفَاتٍ سَمْعِيَّةً " .

وَعِبَارَةُ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [مُقَدِّمَاتِ]هِ :

« وَتَقْلِيدُ مُجَرَّدِ ظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِدْعَةٌ رَدِيئَةٌ ، كَأَخْذِ الْمُجَسِّمَةِ الْجِسْمِيَّةَ مِنْ ظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] وَنَحْوِهِ ، وَالِاخْتِصَاصِ بِجِهَةِ فَوْقٍ بِطَرِيقِ التَّحَيُّزِ وَعِمَارَةِ الْفَرَاغِ كَاخْتِصَاصِ الْأَجْسَامِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] وَنَحْوِ ذَلِكَ .
وَأَخْذِهِمْ أَيْضًا الْجِسْمِيَّةَ ، وَالْجِهَةَ ، وَالِانْتِقَالَ بِالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ، مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا إِذَا كَانَ الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ " .
وَمُشْكِلَاتُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا ؛ وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي جَمْعِهَا وَالْكَلَامِ عَلَيْهَا تَصَانِيفَ ؛ وَالضَّابِطُ الْجُمْلِيُّ فِي جَمْعِهَا :
أَنَّ كُلَّ مُشْكِلٍ مِنْهَا مُسْتَحِيلُ الظَّاهِرِ فَإِنَّهُ يُنْظَرُ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا مَعْنًى وَاحِدًا ، وَجَبَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ، فَإِنَّ الْمَعِيَّةَ بِالتَّحَيُّزِ وَالْحُلُولِ بِالْمَكَانِ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ؛ فَتَعَيَّنَ صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ ، وَلَا يَقْبَلُ هُنَا إِلَّا تَأْوِيلًا وَاحِدًا دَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ ، وَهُوَ : الْمَعِيَّةُ بِالْإِحَاطَةِ ، عِلْمًا ، وَسَمْعًا ، وَبَصَرًا .
وَإِنْ كَانَ يَقْبَلُ مِنَ التَّأْوِيلِ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنًى وَاحِدٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] ، وَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] وَنَحْوِهِ ؛

فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبَ :

١ – (**الْأَوَّلُ**) : وُجُوبُ تَفْوِيضِ مَعْنَى ذَلِكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، بَعْدَ الْقَطْعِ بِالتَّنْزِيهِ عَنِ الظَّاهِرِ الْمُسْتَحِيلِ.

وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ .

وَلِهَذَا ، لَمَّا سَأَلَ السَّائِلُ الْإِمَامَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] قَالَ فِي جَوَابِهِ : " الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَالسُّؤَالُ عَنْ هَذَا بِدْعَةٌ ؛ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ السَّائِلِ " .

٤٢١ – وَالــــذَّنْبُ مَقْسُــومٌ إِلَى الْكَبِــيرَةْ كَالْقَـــذْفِ وَالْقَتْـــلِ وَللصَّـــغِيرَةْ

يَعْنِي – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – : أَنَّ الْكَيْفَ – **أَيْ** : كَيْفِيَّةَ فَهْمِ الْآيَةِ بِحَمْلِهَا عَلَى مُعَيَّنٍ – مَجْهُولٌ .

وَيَعْنِي – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – : أَنَّ الِاسْتِوَاءَ مَعْلُومٌ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ مَحَامِلُهُ الْمَجَازِيَّةُ الَّتِي تَصِحُّ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى ؛ وَالْمُرَادُ فِي الْآيَةِ مِنْهُ : مِمَّا لَمْ نَعْلَمْهُ مَجْهُولٌ لَنَا .

وَيَعْنِي : أَنَّ السُّؤَالَ عَنْ تَعْيِينِ مَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ عَنِ الشَّارِعِ بِتَعْيِينِهِ بِدْعَةٌ ، وَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ رَجُلُ سُوءٍ ، تَجِبُ مُجَانَبَتُهُ وَإِخْرَاجُهُ مِنْ مَجَالِسِ الْعِلْمِ ، لِئَلَّا يُدْخِلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِتْنَةً بِسَبَبِ إِظْهَارِ بِدْعَتِهِ .

٢ – (الْمَذْهَبُ الثَّانِي) :

جَوَازُ تَعْيِينِ التَّأْوِيلِ لِلْمُشْكِلِ ، وَيَتَرَجَّحُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّا لَا يَصِحُّ بِدَلَالَةِ سِيَاقٍ ، أَوْ كَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ لِلَّفْظِ الْمُشْكِلِ فِيهِ ؛ فَتُحْمَلُ (الْعَيْنُ) عَلَى الْعِلْمِ ، أَوِ الْبَصَرِ ، أَوِ الْحِفْظِ ؛ وَتُحْمَلُ (الْيَدُ) عَلَى الْقُدْرَةِ ، أَوِ النِّعْمَةِ ؛ وَيُحْمَلُ (الِاسْتِوَاءُ) عَلَى الْقَهْرِ .

وَهَذَا مَذْهَبُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ ، وَجَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ .

٣ – (الْمَذْهَبُ الثَّالِثُ) :

حَمْلُ تِلْكَ الْمُشْكِلَاتِ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتٍ لِلهِ تَعَالَى تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ ، لَا نَعْرِفُ كُنْهَهَا .

وَهَذَا مَذْهَبُ شَيْخِ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

قُلْتُ : وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَنِ احْتَاطَ وَعَبَّرَ فِيمَا يَذْكُرُهُ مِنْ تَأْوِيلٍ لِذَلِكَ الْمُشْكِلِ بِلَفْظِ الِاحْتِمَالِ ، فَيَقُولُ : " يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ كَذَا " ؛ فَقَدْ سَلِمَ مِنَ التَّجَاسُرِ وَسُوءِ الْأَدَبِ بِالْجَزْمِ بِتَعْيِينِ مَا لَمْ يَقُمِ الدَّلِيلُ الْقَطْعِيُّ عَلَى تَعْيِينِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ » . اِنْتَهَتْ .

((**وَالذَّنْبُ مَقْسُومٌ إِلَى الْكَبِيرَةْ**)) وَهِيَ – كَمَا قَالَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الصَّلَاحِ – : كُلُّ ذَنْبٍ كَبُرَ كِبَرًا يَصِحُّ مَعَهُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْكَبِيرَةِ .

وَلَا تَنْحَصِرُ فِي عَدَدٍ ؛ وَلَهَا أَمَارَاتٌ ، مِنْهَا :

إِيجَابُهَا الْحَدَّ .

وَمِنْهَا : الْإِيعَادُ عَلَيْهَا بِالْعِقَابِ .

وَمِنْهَا : أَنَّ فَاعِلَهَا يُوصَفُ بِالْفِسْقِ .

وَمِنْهَا : اللَّعْنُ ؛ كَلَعْنِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – السَّارِقَ .

وَمَثَّلَ النَّاظِمُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – لَهَا ، فَقَالَ : ((**كَالْقَذْفِ وَالْقَتْلِ**)) الْعَمْدِ الْعُدْوَانِ .

وَأَكْبَرُ الْكَبَائِرِ : الشِّرْكُ بِاللهِ تَعَالَى ، ثُمَّ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ ؛ وَمَا سِوَاهُمَا مِنْهَا – كَالزِّنَا ، وَاللِّوَاطِ ، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ ، وَالسِّحْرِ ، وَالْقَذْفِ ، وَالْفِرَارِ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَأَكْلِ الرِّبَا ... ، وَغَيْرِهِ – مُخْتَلِفٌ أَمْرُهُ

بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْمَفَاسِدِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَيْهِ ؛ فَيُقَالُ لِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُ : " هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ " ؛ وَإِنْ جَاءَ فِي مَوْضِعٍ أَنَّهَا : " أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ " كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهَا : " مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ " . قَالَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ .

وَمِنْ أَكْبَرِهَا أَيْضًا : الْكَذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ بَلْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ : « تَعَمُّدُ الْكَذِبِ عَلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كُفْرٌ » .

((**وَللصَّغِيرَةْ**)) وَهِيَ كُلَّ مَا يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْكَبِيرَةِ وَضَابِطِهَا .

[تَنْبِيهَانِ]

(**الْأَوَّلُ**) :

مَا ذَكَرَهُ النَّاظِمُ مِنَ انْقِسَامِ الذَّنْبِ إِلَيْهِمَا ، مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – خِلَافًا لِلْمُرْجِئَةِ ، حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الذُّنُوبَ كُلَّهَا صَغَائِرُ ، وَلَا تَضُرُّ مُرْتَكِبَهَا إِذَا مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ ؛ **قَالَ شَاعِرُهُمْ** :

(مُتْ مُسْلِمًا وَمِنَ الذُّنُوبِ فَلَا تَخَفْ ... حَاشَا الْمُهَيْمِنَ أَنْ يُرِي تَنْكِيدَا
لَوْ رَامَ أَنْ يُصْلِيكَ نَارَ جَهَنَّمٍ ... مَا كَانَ أَلْهَمَ قَلْبَكَ التَّوْحِيدَا)

وَخِلَافًا لِلْخَوَارِجِ ، حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّهَا كُلَّهَا كَبَائِرُ ، وَأَنَّ كُلَّ كَبِيرَةٍ كُفْرٌ ؛ وَخِلَافًا لِمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا كُلَّهَا كَبَائِرُ ، نَظَرًا لِعَظَمَةِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي عُصِيَ بِهَا ؛ وَلَكِنْ لَا يَكْفُرُ مُرْتَكِبُهَا إِلَّا بِمَا هُوَ كُفْرٌ مِنْهَا ، كَالسُّجُودِ لِلصَّنَمِ ، وَرَمْيِ الْمُصْحَفِ فِي الْقَذَرِ ، وَسَبِّ اللهِ تَعَالَى ، أَوْ لِنَبِيٍّ أَوْ مَلَكٍ ، مُجْمَعٍ عَلَى نُبُوَّتِهِ وَمَلَكِيَّتِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

(**الثَّانِي**) :

تُعْطَى الصَّغِيرَةُ حُكْمَ الْكَبِيرَةِ بِالْإِصْرَارِ عَلَيْهَا، وَهُوَ مُعَاوَدَةُ الذَّنْبِ مَعَ نِيَّةِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ عِنْدَ الْفِعْلِ ، فَإِنْ عَاوَدَهُ مِنْ غَيْرِهَا ، لَمْ يَكُنْ إِصْرَارًا عَلَى الْأَصَحِّ . **وَقِيلَ** : هُوَ تَكْرِيرُهُ ، سَوَاءٌ عَزَمَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَمْ لَا .

وَبِالتَّهَاوُنِ ؛ **أَيْ** : الِاسْتِخْفَافِ وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِهَا ، وَبِالْفَرَحِ وَالِافْتِخَارِ بِهَا .

وَصُدُورِهَا مِنْ عَالِمٍ يُقْتَدَى بِهِ .

٤٢٢ – وَهْـــيَ بِالِاجْتِنَـــابِ لِلْكَبَـــائِرِ مَغْفُـــورَةٌ مِـــنْ عَـــالِمِ السَّـــرَائِرْ
٤٢٣ – فَفِـــي الْكِتَـــابِ قَـــالَ : إِنْ تَجْتَنِبُـــواْ وَالْعَفْـــوُ مِنْـــهُ يَرْتَجِيـــهِ الْمُـــذْنِبُ
٤٢٤ – وَاللهُ لَا يَغْفِـــرُ أَنْ يُشْـــرَكَ بِـــهْ وَيَغْفِـــرُ الـــدُّونَ إِذَا شَـــا، فَانْتَبِـــهْ
٤٢٥ – وَجَاءَنَـــا عَـــنْ مَـــانِحِ الْعَطَايَـــا تَكْفِـــيرُ حَـــجِّ الْبَيْـــتِ لِلْخَطَايَـــا
٤٢٦ – كَـــذَلِكَ الْعُمْـــرَةُ وَالْقِيَـــامُ وَالطُّهْـــرُ وَالصَّـــلَاةُ وَالصِّـــيَامُ
٤٢٧ – وَغَيْرُهَـــا ، وَهْـــوَ عَلَـــى الْخُصُـــوصِ يُحْمَـــلُ ، لِلتَّوْفِيـــقِ لِلْمَنْصُـــوصِ

((وَهْيَ)) **أَيِ** : الصَّغِيرَةُ ((**بِالِاجْتِنَابِ لِلْكَبَائِرِ**)) " أَلْ " لِلْجِنْسِ ، فَيَصْدُقُ بِاجْتِنَابِ الْبَعْضِ ؛ **وَقِيلَ** : لَا بُدَّ أَنْ تُجْتَنَبَ الْكَبَائِرِ ؛ وَالظَّاهِرُ عَلَيْهِ ، أَنَّ الْمُرَادَ : اِجْتِنَابُهَا فِي زَمَنٍ أَتَى فِيهِ بِالصَّغَائِرِ ، لَا فِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ .
أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ ، وَالْعَلَّامَةُ الشَّنَوَانِيُّ فِي حَاشِيَتِهَا عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ .

وَالْمُرَادُ بِاجْتِنَابِهَا : مَا يَعُمَّ التَّوْبَةَ مِنْهَا بَعْدَ فِعْلِهَا ، لَا مَا يَخُصُّ عَدَمَ ارْتِكَابِهَا بِالْمَرَّةِ ، بِخِلَافِ التَّلَبُّسِ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ .

((**مَغْفُورَةٌ**)) **أَيْ** : مَعْفُوٌّ عَنْهَا ، وَغَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِهَا ، إِمَّا بِسَتْرِهَا عَنْ أَعْيُنِ الْمَلَائِكَةِ مَعَ بَقَائِهَا فِي الصَّحِيفَةِ ، وَإِمَّا بِمَحْوِهَا مِنْ صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ .

((**مِنْ عَالِمِ السَّرَائِرْ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الِاجْتِنَابُ خَوْفًا مِنَ اللهِ تَعَالَى ؛ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ خَوْفًا عَلَى الْعِرْضِ ، أَوْ عَلَى الْمَالِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَغْرَاضِ النَّفْسِ ؛ فَلَا تُكَفَّرُ الصَّغَائِرُ بِهِ .
وَعَلَّلَ غَفْرَهَا بِاجْتِنَابِ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ ، فَقَالَ : ((**فَفِي الْكِتَابِ**)) **أَيِ** : الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ؛ صِلَةُ ((**قَالَ**)) اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ((﴿ **إِن تَجْتَنِبُواْ**)) كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] **أَيِ** : الصَّغَائِرَ .

((**وَالْعَفْوُ مِنْهُ**)) **أَيِ** : اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – عَنِ الذُّنُوبِ غَيْرِ الشِّرْكِ ((**يَرْتَجِيهِ**)) **أَيِ** : الْعَفْوَ

((**الْمُذْنِبُ**)) .

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[الزمر : ٥٣] .

((**وَاللهُ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهْ وَيَغْفِرُ الدُّونَ**)) مِنَ الْإِشْرَاكِ بِهِ ((**ذَا شَا**)) بِالْقَصْرِ ،

لِلْوَزْنِ ؛ مَغْفِرَتَهُ ((**فَانْتَبِهْ**)) **أَيْ** : تَيَقَّظْ لِمَا قُلْتُهُ وَلَا تُفَرِّطْ فِيهِ .

((**وَجَاءَنَا عَنْ مَانِحِ**)) **أَيْ** : مُعْطِي ((**الْعَطَايَا**)) **أَيْ** : رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**تَكْفِيرُ حَجِّ الْبَيْتِ**))
أَيِ : الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ ((**لِلْخَطَايَا**)) جَمْعُ "خَطِيئَةٍ" ؛ وَالْخَطِيئَةُ : الذَّنْبُ ؛ كَمَا فِي [الْقَامُوسِ] .

((**كَذَلِكَ**)) **أَيْ** : حَجِّ الْبَيْتِ فِي تَكْفِيرِ الْخَطَايَا ((**الْعُمْرَةُ وَالْقِيَامُ**)) **أَيِ** : الصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ

((**وَالطُّهْرُ**)) **أَيِ** : الْوُضُوءُ وَالْغُسْلُ ((**وَالصَّلَاةُ**)) فَرْضًا كَانَتْ أَوْ نَفْلًا ((**وَالصِّيَامُ**)) كَذَلِكَ ((**وَغَيْرُهَا**))

أَيِ : الْمَذْكُورَاتِ مِنَ الْعِبَادَاتِ ،كَالصَّدَقَةِ ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْءَانِ ، وَالذِّكْرِ ، وَكَثْرَةِ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ .

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ ، فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ ؛ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعْظَمُ النَّاسِ ذَنْبًا مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَظَنَّ أَنَّ اللهَ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ فِي الدُّنْيَا » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ، يَخْرُجُ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ ، خَرَجَ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ ؛ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ ، خَرَجَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ سَمْعِهِ ، وَبَصَرِهِ ، وَيَدَيْهِ ، وَرِجْلَيْهِ ؛ فَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ مَغْفُورًا لَهُ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى الْوُضُوءِ ، مَاتَ شَهِيدًا » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ بَاتَ طَاهِرًا ، بَاتَ مَعَهُ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ يَسْتَغْفِرُ لَهُ ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَامَ وَامْتَثَلَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى ، وَاغْتَسَلَ مِنْ جَنَابَةٍ غَيْرِ مُحَرَّمَةٍ ، فَكُلُّ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ شَعَرِهِ يَخْلُقُ اللهُ مِنْهَا مَلَكًا يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي صَحِيفَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وَجَاءَ : « أَنَّهَا تَقَعُ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ ، فَتَتَمَسَّحُ بِهَا تَبَرُّكًا بِهَذَا الْعَبْدِ الْمُمْتَثِلِ لِأَمْرِ رَبِّهِ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يُؤَدِّي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ السَّبْعَ ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى إِنَّهَا لَتَصْفِقُ – **أَيْ** : يَضْرِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ خُلُوِّهَا – فَلَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ حَتَّى يَدْخُلَهَا » .

وَالسَّبْعُ لَيْسَتْ بِقَيْدٍ ، بَلْ غَيْرُهَا كَذَلِكَ ؛ وَالْمُرَادُ بِهَا : الْمُوبِقَاتُ السَّبْعُ ؛ وَهِيَ :

١ – الشِّرْكُ بِاللهِ .

٢ – وَالسِّحْرُ .

٣ – وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

٤ – وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ .

٥ – وَأَكْلُ الرِّبَا .

٦ – وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ .

٧ – وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ؛ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَاةِ ، كَمَثَلِ نَهْرٍ عَذْبٍ غَمْرٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ ، يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ؛ فَمَا تَرَوْنَ ؟! هَلْ يُبْقِي ذَلِكَ مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا ؛ قَالَ : فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تُذْهِبُ

٤٢٧ – ... ، وَهْـــــوَ عَلَـــــى الْخُصُـــــوصِ يُحْمَـــــلُ ، لِلتَّوْفِيـــــقِ لِلْمَنْصُـــــوصِ

الذُّنُوبَ كَمَا يُذْهِبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي ، أُتِيَ بِذُنُوبِهِ فَوُضِعَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، أَوْ عَلَى عَاتِقِهِ ، فَكُلَّمَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ تَسَاقَطَتْ ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، وَفِي رِوَايَةٍ : « وَمَا تَأَخَّرَ » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ؛ وَفَسَّرُوا قِيَامَهُ بِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ .
وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .
وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي صِيَامِ غَيْرِ رَمَضَانَ – كَيَوْمِ عَرَفَةَ ، وَتَاسُوعَاءَ ، وَعَاشُورَاءَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ – كَثِيرَةٌ ، فَلَا نُطِيلُ بِذِكْرِهَا .

((**وَهْوَ**)) **أَيِ** : الَّذِي جَاءَنَا مِنْ مَانِحِ الْعَطَايَا ، مِنْ تَكْفِيرِ الْحَجِّ ... إِلَخ ((**عَلَى الْخُصُوصِ**)) لِلصَّغَائِرِ ؛ صِلَةُ ((**يُحْمَلُ**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ((**لِلتَّوْفِيقِ لِلْمَنْصُوصِ**)) الَّتِي جَاءَتْ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا ، بِأَنَّ الْكَبَائِرَ لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا التَّوْبَةُ ، أَوْ عَفْوُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي كِتَابِهِ [إِتْحَافُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِخُصُوصِيَّاتِ الصِّيَامِ] :

« **[تَتِمَّةٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَكْفِيرِ رَمَضَانَ وَلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَشَرْطِ ذَلِكَ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ]** :

رَوَى الشَّيْخَانِ : " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ " ؛ وَرَوَيَا أَيْضًا : " مَنْ أَقَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " ؛ وَالنَّسَائِيُّ :

" مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ " . وَسَبَقَ فِي قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِثْلُ ذَلِكَ .
أَيْ : أَنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؛ وَشَرَطَ لِتَكْفِيرِ الصَّوْمِ أَنْ يَقْتَرِنَ بِالتَّحَفُّظِ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُتَحَفَّظَ مِنْهُ ، كَمَا أَفْهَمَهُ خَبَرُ أَحْمَدَ ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ : " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ ، فَعَرَفَ حُدُودَهُ ، وَتَحَفَّظَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُتَحَفَّظَ مِنْهُ، كَفَّرَ ذَلِكَ مَا قَبْلَه " .
ثُمَّ الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْمُكَفَّرَ هُوَ الصَّغَائِرُ ؛ وَيُؤَيِّدُهُ خَبَرُ مُسْلِمٍ : " الْصَلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ " .

وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ :

١ – أَحَدُهُمَا : أَنَّ تَكْفِيرَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ مَشْرُوطٌ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ ، فَمَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُنَّ لَمْ تُكَفِّرْ لَهُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً .

٢ – ثَانِيهِمَا : أَنَّ هَذِهِ الْفَرَائِضَ تُكَفِّرُ الصَّغَائِرَ وَإِنِ ارْتَكَبَ الْكَبَائِرَ ، وَلَا تُكَفَّرُ الْكَبَائِرُ بِحَالٍ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ : " إِنَّهُ يُرْجَى بِهِ مَغْفِرَةُ الْكَبَائِرِ أَيْضًا " . وَقَالَ غَيْرُهُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الصِّيَامِ . وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْكَبَائِرَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ تَوْبَةٍ » . اهـ .

وَقَالَ أَيْضًا فِي شَرْحِهِ عَلَى [الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ] بَعْدَ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا »

مَا نَصُّهُ :

« **أَيْ** : أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الصَّغِيرَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْكَ سَيِّئَةٌ صَغِيرَةٌ وَأَتْبَعْتَهَا بِحَسَنَةٍ – **أَيْ** : عَمَلٍ صَالِحٍ ، مِنْ نَحْوِ صَلَاةٍ ، أَوْ صَدَقَةٍ ، أَوْ قِرَاءَةِ قُرْءَانٍ ، أَوْ ذِكْرٍ كَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ – مَحَتْ هَذِهِ الْحَسَنَةُ السَّيِّئَةَ الصَّغِيرَةَ .

أَمَّا الْكَبِيرَةُ ، فَلَا يَمْحُوهَا إِلَّا التَّوْبَةُ بِشُرُوطِهَا ؛ وَحِينَئِذٍ يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِـ " السَّيِّئَةَ " الْكَبِيرَةُ أَيْضًا ؛ وَبِـ " الْحَسَنَةَ " التَّوْبَةُ مِنْهَا .

ثُمَّ ظَاهِرُ النُّصُوصِ أَنَّ التَّوْبَةَ الصَّحِيحَةَ بِشُرُوطِهَا تُكَفِّرُ الذَّنْبَ قَطْعًا ، كَمَا يُقْطَعُ بِقَبُولِ إِسْلَامِ الْكَافِرِ ؛ **قِيلَ** : وَكَلَامُ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إِجْمَاعٌ ؛ **أَيْ** : وَمَعَ تَسْلِيمِ ذَلِكَ فَالْأَرْجَحُ أَنَّهُ ظَنِّيٌّ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ نُصُوصٌ أُخَرُ ، لَكِنْ لِقُوَّةِ ذَلِكَ الظَّنِّ أُجْرِيَ مُجْرَى الْقَطْعِ فِي النُّصُوصِ الْأُخَرِ .

ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي مَسْأَلَتَيْنِ :

١ – (الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى) :

إِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَا تُكَفِّرُ غَيْرَ الصَّغَائِرِ عَلَى الْأَصَحِّ ، بَلِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ ، عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .

وَأَمَّا الْكَبَائِرُ ، فَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ التَّوْبَةِ ، لِإِجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّهَا فَرْضٌ ؛ وَيَلْزَمُ مِنْ تَكْفِيرِ الْكَبَائِرِ بِنَحْوِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ ، بُطْلَانُ فَرْضِيَّةِ التَّوْبَةِ ؛ وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ الصَّحِيحَيْنِ : " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ " .

حَكَى ابْنُ عَطِيَّةَ عَنْ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ مَعْنَاهُ : أَنَّ اجْتِنَابَ الْكَبَائِرِ شَرْطٌ لِتَكْفِيرِ هَذِهِ الْفَرَائِضِ لِلصَّغَائِرِ ؛ فَإِنْ لَمْ تُجْتَنَبْ لَمْ تُكَفِّرْ شَيْئًا بِالْكُلِّيَّةِ .

وَعَنِ الْحُذَّاقِ أَنَّهَا تُكَفِّرُ الصَّغَائِرَ مَا لَمْ يُصِرَّ عَلَيْهَا ، سَوَاءٌ فَعَلَ الْكَبَائِرَ أَمْ لَا ، وَلَا تُكَفِّرُ شَيْئًا مِنَ الْكَبَائِرِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ : " مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا ، وَخُشُوعَهَا ، وَرُكُوعَهَا ؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ " .

وَالْأَحَادِيثُ بِمَعْنَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تُكَفِّرُ الْكَبَائِرَ ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ ابْنُ حَزْمٍ ، لَكِنْ أَطَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ ، وَرَدَّهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ أَنَّ مَنْ أَتَى بِالْأَعْمَالِ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الْكَبَائِرِ ، تُغْفَرُ لَهُ الْكَبَائِرُ قَطْعًا ؛ فَهُوَ بَاطِلٌ قَطْعًا ، مَعْلُومٌ بُطْلَانُهُ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ .

وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُصِرَّ عَلَيْهَا ، وَحَافَظَ عَلَى الْفَرَائِضِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَا نَدَمٍ ، كُفِّرَتْ بِذَلِكَ ، فَهُوَ مُحْتَمَلٌ ، لِظَاهِرِ آيَةِ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] **أَيْ** : مَا سَلَفَ مِنْكُمْ ، صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا .

وَمَعَ ذَلِكَ ، فَالصَّحِيحُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ : إِنَّ الْكَبَائِرَ لَا تُكَفَّرُ بِدُونِ التَّوْبَةِ ؛ نَعَمْ ، إِقَامَةُ الْحَدِّ بِمُجَرَّدِهِ كَفَّارَةٌ ، كَمَا

.. ..

صَرَّحَ بِهِ حَدِيثُ مُسْلِمٍ ، **أَيْ** : بِالنِّسْبَةِ لِذَاتِ الذَّنْبِ ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِتَرْكِ التَّوْبَةِ مِنْهُ ، فَلَا يُكَفِّرُهُ الْحَدُّ ، لِأَنَّهُ مَعْصِيَةٌ أُخْرَى ؛ وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ جَمْعٍ : إِنَّ إِقَامَتَهُ لَيْسَتْ كَفَّارَةً بِلَا تَوْبَةٍ ، بَلْ لَا بُدَّ مَعَهَا مِنَ التَّوْبَةِ ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمُحَارِبِينَ : ﴿ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة : ٣٣] لَا يُنَافِي ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ عُقُوبَتَهُمْ فِي الدَّارَيْنِ ، وَلَا يَلْزَمُ اجْتِمَاعُهُمَا .

وَيُؤَيِّدُ مَا تَقَرَّرَ ، قَوْلُ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ : إِنْ أُرِيدَ أَنَّ الْكَبَائِرَ تُمْحَى بِمُجَرَّدِ الْعَمَلِ ، فَهُوَ بَاطِلٌ ؛ أَوْ أَنَّهُ قَدْ يُوَازَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَعْضِ الْأَعْمَالِ ، فَتُمْحَى الْكَبِيرَةُ بِمَا يُقَابِلُهَا مِنَ الْعَمَلِ ، وَيَسْقُطُ الْعَمَلُ فَلَا يَبْقَى لَهُ ثَوَابٌ ؛ فَهَذَا قَدْ يَقَعُ ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَحَادِيثُ ، كَحَدِيثِ الْبَزَّارِ ، وَالْحَاكِمِ : " يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقْتَصُّ – أَوْ يَقْضِي – بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، فَإِنْ بَقِيَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وُسِّعَ لَهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ " . فَظَاهِرُهُ – كَغَيْرِهِ – وُقُوعُ الْمُقَاصَّةِ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ؛ وَيُنْظَرُ إِلَى مَا يَفْضُلُ مِنْهَا ؛ وَهَذَا يُوَافِقُ قَوْلَ مَنْ قَالَ : إِنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، أُثِيبَ عَلَيْهَا خَاصَّةً ، وَسَقَطَ بَاقِي حَسَنَاتِهِ فِي مُقَابَلَةِ سَيِّئَاتِهِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ يُثَابُ بِالْجَمِيعِ ، وَتَسْقُطُ سَيِّئَاتُهُ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ .

هَذَا كُلُّهُ فِي الْكَبَائِرِ ، أَمَّا الصَّغَائِرُ فَإِنَّهَا تُمْحَى بِالْعَمَلِ مَعَ بَقَاءِ ثَوَابِهِ ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ .

٢ – (الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ) :

الْأَصَحُّ وُجُوبُ التَّوْبَةِ مِنَ الصَّغَائِرِ أَيْضًا ؛ وَقَالَ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ : لَا تَجِبُ ؛ وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ : الْوَاجِبُ الْإِتْيَانُ بِهَا أَوْ بِبَعْضِ الْمُكَفِّرَاتِ » . اِنْتَهَى .

وَقَوْلُهُ : « أَوْ بِبَعْضِ الْمُكَفِّرَاتِ » **أَيْ** : لِلصَّغَائِرِ ، **وَهِيَ ثَلَاثَةٌ** :

١ – التَّوْبَةُ .

٢ – وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ ، كَالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ .

٣ – وَاجْتِنَابُ الْكَبَائِرِ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

اِتَّفَقُوا عَلَى تَرَتُّبِ غُفْرَانِ الصَّغَائِرِ عَلَى اجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ .

ثُمَّ اخْتَلَفُوا : هَلْ هُوَ قَطْعِيٌّ ؟ . وَإِلَيْهِ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، وَالْمُحَدِّثِينَ ، وَالْمُعْتَزِلَةِ .

أَوْ ظَنِّيٌّ ؟ . وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَئِمَّةُ الْكَلَامِ ؛ وَهُوَ الْحَقُّ .

(الثَّانِي) :

فَإِنْ قُلْتَ : إِذَا كَفَّرَ الْوُضُوءُ ، لَمْ يَجِدِ الصَّوْمُ مَا يُكَفِّرُهُ، ... وَهَكَذَا ! .

٤٢٨ – وَذُو كَبِيــــــيرَةٍ عَلَيْـــــهِ التَّوْبَـــــةْ فَـــــرْضٌ بِفَــــوْرٍ وَاجْتِنَـــــابُ حَوْبَـــــةْ

قُلْتُ : الذُّنُوبُ كَالْأَمْرَاضِ، وَالطَّاعَاتُ كَالْأَدْوِيَةِ؛ فَكَمَا أَنَّ كُلَّ مَرَضٍ لَهُ دَوَاءٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ غَيْرُهُ، كَذَلِكَ الطَّاعَاتُ مَعَ الذُّنُوبِ. وَيَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ : « إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا صَوْمٌ ، وَلَا صَلَاةٌ ، وَلَا صِيَامٌ ، وَلَا جِهَادٌ؛ وَإِنَّمَا يُكَفِّرُهَا السَّعْيُ عَلَى الْعِيَالِ » . وَبَعْضُهُمْ أَجَابَ –كَمَا فِي حَاشِيَةِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ – : بِأَنَّ الْمُكَفِّرَاتِ عَلَامَاتٌ ، فَلَا مَانِعَ مِنَ اجْتِمَاعِهَا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ . تَدَبَّرْ .

(**الثَّالِثُ**) :

هَذَا كُلُّهُ فِي الذُّنُوبِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُقُوقِ اللهِ تَعَالَى ؛ وَأَمَّا الْمُتَعَلِّقَةُ بِحُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ ، فَلَا بُدَّ فِيهَا مِنَ الْمُقَاصَّةِ ، بِأَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ وَيُعْطَى لِلْمَظْلُومِ ، فَإِذَا نَفِدَتْ حَسَنَاتُ الظَّالِمِ ، طُرِحَ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ .

لَكِنْ قَدْ أَخْرَجَ الْبَزَّارُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَرْفُوعًا : « مَنْ تَلَا : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ... ﴾ [الإخلاص : ١] مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ، فَقَدِ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللهِ، وَنَادَى مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى فِي سَمَاوَاتِهِ وَفِي أَرْضِهِ : أَلَا إِنَّ فُلَانًا عَتِيقُ اللهِ ، فَمَنْ لَهُ قِبَلَهُ تِبَاعَةٌ ، فَلْيَأْخُذْهَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وَظَاهِرُ ذَلِكَ تَكْفِيرُ الْكَبَائِرِ بِهَذَا أَيْضًا ، وَهَذِهِ هِيَ الْعِتَاقَةُ الْكُبْرَى .

وَمِنْ جُمْلَةِ مُكَفِّرَاتِ الْكَبَائِرِ : الْحَجُّ الْمَبْرُورُ، لِحَدِيثِ : « الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ » . وَهُوَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ إِثْمٌ؛

وَقِيلَ : هُوَ الْمَقْبُولُ الَّذِي تُخْلَصُ النِّيَّةُ فِيهِ لِلهِ تَعَالَى ، فَلَا رِيَاءَ وَلَا عُجْبَ فِيهِ مِنْ حِينِ إِحْرَامِهِ إِلَى الْفَرَاغِ مِنْهُ بِالتَّحَلُّلِ الثَّانِي ، وَيُنْفِقُ فِيهِ الْمَالَ الْحَلَالَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : « وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَبُولِ : أَنْ يَرْجِعَ خَيْرًا مِمَّا كَانَ ، وَلَا يُعَاوِدَ الْمَعَاصِيَ » .

وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – فِي الْمَبْرُورِ : « أَنْ يَرْجِعَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا ، رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ » .

وَقِيلَ : « هُوَ مَا لِينَ فِيهِ الْكَلَامُ، وَأُطْعِمَ فِيهِ الطَّعَامُ ، وَمُشِيَ فِي مَنَاسِكِهِ وَمَشَاعِرِهِ » .

وَمِنْ جُمْلَتِهَا أَيْضًا : الْجِهَادُ ، فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْغَزْوَ فِي الْبَرِّ يُكَفِّرُهَا إِلَّا التَّبِعَاتِ ؛ وَفِي الْبَحْرِ يُكَفِّرُهَا ، حَتَّى التَّبِعَاتِ .

((**وَذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ مَعْصِيَةٍ ((**كَبِيرَةٍ**)) كَالزِّنَا ((**عَلَيْهِ**)) **أَيْ** : ذِي الْكَبِيرَةِ ((**التَّوْبَةْ**)) مِنْهَا ؛ وَهِيَ **لُغَةً** : مُطْلَقُ الرُّجُوعِ .

وَشَرْعًا : مَا جَمَعَ أَرْكَانًا ثَلَاثَةً :

١ – **أَوَّلُهَا** : الْإِقْلَاعُ عَنْهَا .

٢ – **وَثَانِيهَا** : النَّدَمُ عَلَيْهَا لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ، فَلَا تَصِحُّ تَوْبَةُ مَنْ لَمْ يَنْدَمْ أَصْلًا ، أَوْ نَدِمَ لِمُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ ، لَا لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى .

٣ – **وَثَالِثُهَا** : الْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الرُّجُوعِ إِلَيْهَا ، فَلَا تَصِحُّ تَوْبَةُ مَنْ لَمْ يَعْزِمْ عَلَى عَدَمِ الرُّجُوعِ إِلَيْهَا . هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ .

وَرَخَّصَ الْإِمَامُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي هَذَا الرُّكْنِ ، فَقَالَ : « يَكْفِي النَّدَمُ ، وَلَا يُشْتَرَطُ الْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الرُّجُوعِ إِلَيْهَا ، بَلِ التَّفْوِيضُ أَحْسَنُ ؛ وَيَجْعَلُ هَمَّهُ الِاعْتِنَاءَ بِمَا وَقَعَ ، كَمَا فِي تَوْبَةِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ » . أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ .

وَهِيَ ((**فَرْضٌ**)) وَاجِبٌ عَلَيْهِ ((**بِفَوْرٍ**)) مِنْ فِعْلِهَا ((**وَ**)) يَجِبُ عَلَيْهِ ((**اجْتِنَابُ حَوْبَةْ**)) بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ؛ **أَيِ** : الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَابَ مِنْهَا ؛ وَهُوَ رُكْنٌ مِنَ التَّوْبَةِ ، كَمَا عُلِمَ مِمَّا قَرَّرْتُهُ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

مَحَلُّ كَوْنِ الشُّرُوطِ ثَلَاثَةً ، إِذَا كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ لَمْ تَتَعَلَّقْ بِحَقٍّ لِآدَمِيٍّ ، فَإِنْ تَعَلَّقَتْ بِهِ ، فَيُزَادُ – عَلَى مَا تَقَدَّمَ – شَرْطٌ

رَابِعٌ ، وَهُوَ :

٤ – رَدُّ الظُّلَامَةِ إِلَى صَاحِبِهَا ، أَوْ تَحْصِيلُ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ تَفْصِيلًا عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَأَمَّا عِنْدَنَا مَعَاشَرَ الْمَالِكِيَّةِ ، فَيَكْفِي تَحْصِيلُ الْبَرَاءَةِ إِجْمَالًا ، وَفِيهِ فُسْحَةٌ .

فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، بِأَنْ كَانَ مُسْتَغْرَقَ الذِّمَمِ ، فَالْمَطْلُوبُ مِنْهُ الْإِخْلَاصُ وَكَثْرَةُ التَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لَعَلَّهُ بِفَضْلِهِ يُرَضِّي عَنْهُ خُصَمَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(**الثَّانِي**) :

يُشْتَرَطُ فِيهَا أَيْضًا : وُقُوعُهَا قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ ؛ فَإِنْ وَقَعَتْ فِيهَا فَلَا تُقْبَلُ .

وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ؛ فَإِنْ وَقَعَتْ بَعْدَهُ فَلَا تُقْبَلُ أَيْضًا، لِأَنَّهُ يُغْلَقُ بَابُ التَّوْبَةِ حِينَئِذٍ وَيُسْمَعُ لَهُ دَوِيٌّ ، فَتَمْتَنِعُ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ تَابَ قَبْلَ ذَلِكَ .

وَلَا فَرْقَ فِي عَدَمِ صِحَّةِ التَّوْبَةِ فِي حَالِ الْغَرْغَرَةِ – **عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ** – بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ الْعَاصِي ؛ **وَأَمَّا عِنْدَ الْمَاتُرِيدِيَّةِ** : فَتَصِحُّ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَالَهَا ، وَلَا تَصِحُّ مِنَ الْكَافِرِ حِينَئِذٍ ؛ وَبَعْضُهُمْ يَعْكِسُ مَذْهَبَ الْمَاتُرِيدِيَّةِ ؛ وَهُوَ بَعِيدٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

(**الثَّالِثُ**) :

وُجُوبُ التَّوْبَةِ عَيْنًا . اِتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةُ ؛ وَالْخِلَافُ بَيْنَهُمَا فِي دَلِيلِ وُجُوبِهَا ؛

فَعِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ دَلِيلُهُ سَمْعِيٌّ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وَعِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ دَلِيلُهُ عَقْلِيٌّ ، لِإِدْرَاكِ الْعَقْلِ حُسْنَهَا ، وَكُلُّ مَا أَدْرَكَ الْعَقْلُ حُسْنَهُ فَهُوَ وَاجِبٌ .

وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى مَذْهَبِهِمُ الْفَاسِدِ مِنْ أَنَّ الْأَحْكَامَ تَابِعَةٌ لِلتَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيَّيْنِ .

(**الرَّابِعُ**) :

مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ : أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ مِنَ الشَّخْصِ ذَنْبٌ ، وَتَابَ مِنْهُ تَوْبَةً شَرْعِيَّةً ، ثُمَّ قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِعَوْدِهِ لَهُ ، فَلَا تَنْتَقِضُ هَذِهِ التَّوْبَةُ ، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُجَدِّدَهَا ، لِأَجْلِ الذَّنْبِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ ثَانِيًا .

٤٢٩ – وَفِي قَبُولِهَا لِغَيْرِ الْكَافِرِ قَطْعًا ، وَظَنًّا وَجْهُ خُلْفٍ سَافِرِ
٤٣٠ – وَالْكَافِرُونَ الْقَوْلُ فِيهِمْ مَا اخْتَلَفْ لِقَوْلِهِ : يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ

٤٣١ – وَالنَّفْسُ وَالْعَقْلُ كَذَا الْمَالُ وَجَبْ صَوْنٌ لَهَا وَالْعِرْضُ أَيْضًا وَالنَّسَبْ

فَالْمُضِرُّ عِنْدَهُمُ الْإِصْرَارُ عَلَى الْمَعَاصِي ؛ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ كُلَّمَا وَقَعَ فِي مَعْصِيَةٍ تَابَ مِنْهَا ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] أَي : الَّذِينَ كُلَّمَا أَذْنَبُوا تَابُوا .
وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ » .

وَمَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ : اِنْتِقَاضُهَا بِعَوْدِهِ لَهُ ، لِأَنَّ مِنْ شُرُوطِهَا عِنْدَهُمْ أَنْ لَا يُعَاوِدَ الذَّنْبَ بَعْدَهَا .
وَعِنْدَ الصُّوفِيَّةِ : مُعَاوَدَتُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ مِنْهُ أَقْبَحُ مِنْ سَبْعِينَ ذَنْبًا بَلَاهَا .

((**وَفِي قَبُولِهَا**)) **أَي** : التَّوْبَةِ ((**لِغَيْرِ الْكَافِرِ**)) **أَيْ** : مِنَ الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي ، قَبُولًا ((**قَطْعًا**)) **أَيْ** : مَقْطُوعًا بِهِ.
أَ ((**وَ**)) قَبُولًا ((**ظَنًّا**)) **أَيْ** : مَظْنُونًا ((**وَجْهُ خُلْفٍ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، فَفَاءٍ ؛ **أَي** : اخْتِلَافٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ((**سَافِرِ**))
أَيْ : ظَاهِرٍ . فَقَالَ إِمَامُنَا الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : « مَقْبُولَةٌ قَطْعًا بِدَلِيلٍ قَطْعِيٍّ ؛ كَمَا يَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى : ٢٥] ، وَالدُّعَاءُ بِقَبُولِهَا لِعَدَمِ الْوُثُوقِ بِشُرُوطِهَا » .
وَقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْقَاضِي : « مَقْبُولَةٌ ظَنًّا بِدَلِيلٍ ظَنِّيٍّ ، لَكِنَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْقَطْعِ ، إِذْ يُحْتَمَلُ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى : ٢٥] أَنَّهُ : يَقْبَلُهَا إِنْ شَاءَ » .

((**وَالْكَافِرُونَ**)) التَّائِبُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ ((**الْقَوْلُ فِيـ**)) قَبُولِ **تَوْبَتِـ** ((**هِمْ**)) مِنَ الْكُفْرِ قَطْعًا ((**مَا**)) نَافِيَةٌ

((**اخْتَلَفْ**)) الْعُلَمَاءُ فِيهِ ((**لِقَوْلِهِ**)) **أَي** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ((**يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**)) ﴾ [الأنفال : ٣٨].
وَهَلْ تَوْبَةُ الْكَافِرِ نَفْسُ إِسْلَامِهِ ، أَوْ لَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنَ النَّدَمِ عَلَى كُفْرِهِ ؟ .
فَأَوْجَبَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ ؛ وَقَالَ غَيْرُهُ : يَكْفِيهِ إِيمَانُهُ ، لِأَنَّهُ مَحَا كُفْرَهُ .
((**وَالنَّفْسُ**)) **أَي** : الذَّاتُ الْعَاقِلَةُ ، وَلَوْ بِحَسَبِ الشَّأْنِ ، فَيَدْخُلُ الصَّغِيرُ ، وَالْمَجْنُونُ ؛ وَتَخْرُجُ الْبَهِيمَةُ ، فَيَتَصَرَّفُ الشَّخْصُ فِيهَا بِالْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ ، كَالذَّبْحِ وَغَيْرِهِ إِنْ كَانَتْ لَهُ ، فَإِنْ كَانَتْ لِغَيْرِهِ فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي الْمَالِ ((**وَالْعَقْلُ كَذَا**)) **أَي** : الْمَذْكُورُ فِي وُجُوبِ حِفْظِهِ ((**الْمَالُ**)) **الْمُرَادُ بِهِ** : كُلُّ مَا يَحِلُّ تَمَلُّكُهُ شَرْعًا وَإِنْ قَلَّ .
وَخَبَرُ ((**النَّفْسُ وَالْعَقْلُ**)) : ((**وَجَبْ صَوْنٌ**)) بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ، فَنُونٍ ؛ **أَيْ** : حِفْظٌ

... ...

((لَهَا وَالْعِرْضُ)) بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الرَّاءِ ، وَإِعْجَامِ الضَّادِ ؛ **أَيْ** : مَوْضِعُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهُوَ وَصْفٌ اعْتِبَارِيٌّ تُقَوِّيهِ الْأَفْعَالُ الْحَمِيدَةُ ، وَتُزْرِي بِهِ الْأَفْعَالُ الْقَبِيحَةُ .

يَجِبُ صَوْنُهُ ((أَيْضًا)) **أَيْ** : كَمَا يَجِبُ صَوْنُ النَّفْسِ ، وَالْعَقْلِ ، وَالْمَالِ .

وَبِفَتْحِهَا وَسُكُونِ الرَّاءِ : خِلَافُ الطُّولِ .

وَبِفَتْحِهَا وَفَتْحِ الرَّاءِ : مُقَابِلُ الْجَوْهَرِ .

وَبِضَمِّهَا : الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ . يُقَالُ : نَظَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ عُرْضٍ . وَيُؤْخَذُ مِنْ : " عُرْضُ الْكَلَامِ " .

((وَالنَّسَبُ)) بِفَتْحِ النُّونِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ ؛ لِلْأُصُولِ يَجِبُ حِفْظُهُ .

وَزِيدَ عَلَى هَذِهِ الْخَمْسَةِ :

٦ – الدِّينُ . فَيَجِبُ حِفْظُهُ بِالْأَوْلَى مِنْهَا ، إِذْ بِهِ صَلَاحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَالْمُرَادُ بِحِفْظِهِ : صِيَانَتُهُ عَنِ الْكُفْرِ ، وَانْتِهَاكِ حُرْمَةِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَوُجُوبِ الْوَاجِبَاتِ .

فَانْتِهَاكُ حُرْمَةِ الْمُحَرَّمَاتِ : أَنْ يَفْعَلَ الْمُحَرَّمَاتِ غَيْرَ مُبَالٍ بِحُرْمَتِهَا .

وَانْتِهَاكُ وُجُوبِ الْوَاجِبَاتِ : أَنْ يَتْرُكَ الْوَاجِبَاتِ غَيْرَ مُبَالٍ بِوُجُوبِهَا .

وَحِفْظُ هَذِهِ السِّتَّةِ وَاجِبٌ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ ، لِشَرَفِهَا ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ شَرْعُنَا ، كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ... » الْحَدِيثَ . وَفِي آخِرِهِ : « أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .

وَهَذَا يَرْجِعُ لِحِفْظِ الْأَدْيَانِ ، كَمَا أَنَّ حِفْظَ الْأَنْسَابِ دَاخِلٌ تَحْتَ حِفْظِ الْأَعْرَاضِ .

وَمِنْ لَازِمِ التَّكْلِيفِ بِذَلِكَ : التَّكْلِيفُ بِحِفْظِ الْعَقْلِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

أَفَادَهُ عَبْدُ السَّلَامِ .

قَالَ الْمُحَقِّقُ الْأَمِيرُ :

« **قَوْلُهُ** : " يَرْجِعُ لِحِفْظِ الْأَدْيَانِ " . كَأَنَّهُ حَمَلَ قَوْلَهُ : " يَضْرِبُ ... " إلخ ؛ عَلَى أَنَّهُ إِذَا غَيَّرَ الدِّينَ ، حَصَلَ ذَلِكَ .

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ : لَا تَرْجِعُوا كَالْكُفَّارِ فِي الضَّرْبِ .

قَوْلُهُ : " بِحِفْظِ الْعَقْلِ " . **إِنْ قُلْتَ** : هُوَ شَرْطُ وُجُوبٍ ، لَا يَجِبُ تَحْصِيلُهُ !

قُلْتُ : هَذَا حِفْظٌ بَعْدَ الْحُصُولِ » . اِنْتَهَى .

... ...

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

هَذِهِ السِّتُّ تُسَمَّى بِـ (**الْكُلِّيَّاتِ السِّتِّ**) ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا أَحْكَامٌ كَثِيرَةٌ ، وَلِأَنَّهَا وَجَبَتْ فِي كُلِّ مِلَّةٍ ، فَلَمْ تُبَحْ فِي مِلَّةٍ مِنْهَا .

فَإِنْ قِيلَ : يَرِدُ عَلَيْهِ أَنَّ شُرْبَ الْخَمْرِ كَانَ جَائِزًا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ بِوَحْيٍ ، وَتَكَرَّرَ النَّسْخُ لَهُ ! .

أُجِيبَ : بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الْمَجْمُوعَ لَمْ يُبَحْ فِي مِلَّةٍ مِنَ الْمِلَلِ ؛ أَوْ أَنَّهُ بِاعْتِبَارِ مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ أَمْرُ مِلَّتِنَا .

(الثَّانِي) :

آكَدُ هَذِهِ السِّتِّ :

١ – الدِّينُ، لِأَنَّ حِفْظَ غَيْرِهِ وَسِيلَةٌ لِحِفْظِهِ .

٢ – ثُمَّ النَّفْسُ ، لِأَنَّ قَتْلَهَا يَلِي الْكُفْرَ كَمَا تَقَدَّمَ .

٣ – ثُمَّ النِّسَبُ .

٤ – ثُمَّ الْعَقْلُ .

وَبَعْضُهُمْ قَدَّمَ الْعَقْلَ عَلَى النَّسَبِ ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى ، لِأَنَّ الزِّنَا أَشَدُّ تَحْرِيمًا مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ .

٥/ ٦ – ثُمَّ الْمَالُ . وَفِي مَرْتَبَتِهِ الْعِرْضُ إِنْ لَمْ يُؤَدِّ إِلَى الطَّعْنِ فِيهِ إِلَى قَطْعِ نَسَبٍ ، فَإِنْ أَدَّى إِلَيْهِ – كَأَنْ قَذَفَ زَوْجَتَهُ بِالزِّنَا وَنَفَى وَلَدَهَا عَنْهُ – فَهُوَ فِي مَرْتَبَةِ النَّسَبِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَدِّمُ الْعِرْضَ عَلَى الْمَالِ .

قَالَ الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ :

« وَالَّذِي يَظْهَرُ – لَوْ قِيلَ بِهِ – عَكْسُهُ ، لِأَنَّ الْعُقُوبَةَ الْمُتَرَتِّبَةَ عَلَى أَخْذِ الْأَمْوَالِ – كَمَا فِي السَّرِقَةِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ – أَعْظَمُ مِنَ الْعُقُوبَةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى الْخَوْضِ فِي الْأَعْرَاضِ كَمَا فِي الْقَذْفِ » .

وَإِنَّمَا لَمْ يُرَتِّبْهَا النَّاظِمُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – عَلَى حَسَبِ تَرْتِيبِهَا فِي الْآكَدِيَّةِ ، لِضِيقِ النَّظْمِ عَلَيْهِ .

(الثَّالِثُ) :

١ – لِحِفْظِ الدِّينِ شُرِعَ قِتَالُ الْكُفَّارِ الْحَرْبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ ، كَالْمُرْتَدِّينَ .

٢ – وَلِحِفْظِ النَّفْسِ شُرِعَ الْقِصَاصُ فِي النَّفْسِ وَالطَّرَفِ ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا أَدَّى إِلَى النَّفْسِ .

٣ – وَلِحِفْظِ النَّسَبِ شُرِعَ حَدُّ الزِّنَا .

٤ – وَلِحِفْظِ الْعَقْلِ شُرِعَ حَدُّ شُرْبِ الْخَمْرِ وَالدِّيَةِ مِمَّنْ أَذْهَبَهُ بِجِنَايَةٍ .

٥ – وَلِحِفْظِ الْمَالِ شُرِعَ حَدُّ السَّرِقَةِ وَحَدُّ قَطْعِ الطَّرِيقِ .

٦ – وَلِحِفْظِ الْعِرْضِ شُرِعَ حَدُّ الْقَذْفِ لِلْعَفِيفِ ، وَالتَّعْزِيرِ لِغَيْرِهِ ، فَيُحَدُّ مَنْ قَذَفَ عَفِيفًا ، وَيُعَزَّرُ مَنْ قَذَفَ غَيْرَهُ .

٤٣٢ – وَالــرِّزْقُ مَـــا بِـــهِ انْتِفَـــاعٌ مُطْلَقَـــا هَـــذَا الَّـــذِي قَـــدْ قَالَـــهُ مَـــنْ حَقَّقَـــا

((وَالرِّزْقُ)) أَيْ : بِكَسْرِ الرَّاءِ ؛ بِمَعْنَى : الشَّيْءِ الْمَرْزُوقِ ؛ حَقِيقَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةَ ((مَا)) أَيِ : الْمَالُ الَّذِي

((بِهِ انْتِفَاعٌ)) لِلْعَبْدِ بِالْفِعْلِ ، سَوَاءٌ كَانَ الِانْتِفَاعُ بِهِ ظَاهِرًا لِلْبَدَنِ –كَالْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَلْبُوسِ – أَوْ بَاطِنًا

لِلْقَلْبِ ، كَالْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ .

وَخَرَجَ مَا لَيْسَ فِيهِ انْتِفَاعٌ بِالْفِعْلِ لَهُ ، فَإِذَا مَلَكَ شَيْئًا ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِهِ ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ بِالْفِعْلِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ

الشَّيْءُ رِزْقًا لَهُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ رِزْقًا لِمَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ بِالْفِعْلِ .

وَبِهَذَا ، ظَهَرَ قَوْلُ أَكَابِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ : إِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَسْتَوْفِي رِزْقَهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ رِزْقَ غَيْرِهِ ، وَلَا يَأْكُلُ غَيْرُهُ رِزْقَهُ .

وَفِي الْخَبَرِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – مَرْفُوعًا : « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوْعِي : لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا . فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ » .

وَالْمُرَادُ بِـ « رُوحِ الْقُدُسِ » : جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . أَيْ : إِنَّ جِبْرِيلَ نَفَثَ ، أَيْ : أَلْقَى فِي رُوْعِي – بِضَمِّ الرَّاءِ

– أَيْ : قَلْبِي : « لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ ... » إِلَخْ .

وَلَا يَرِدُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة : ٣] ، فَإِنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّ الرِّزْقَ لَا يُعْتَبَرُ فِيهِ

الِانْتِفَاعُ بِالْفِعْلِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيُّ ؛ فَالْمَعْنَى : وَمِمَّا أَعْطَيْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أَوِ الْمُرَادُ بِهِ : مَا هُيِّءَ لِكَوْنِهِ رِزْقًا .

خِلَافًا لِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، حَيْثُ قَالُوا : " الرِّزْقُ : مَا مُلِكَ ، أُنْتُفِعَ بِهِ أَمْ لَا " .

وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ : أَنَّ الشَّخْصَ قَدْ لَا يَسْتَوْفِي رِزْقَهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ يَأْكُلُ رِزْقَ غَيْرِهِ ، وَيَأْكُلُ غَيْرُهُ رِزْقَهُ .

وَكَلَامُهُمْ فَاسِدٌ طَرْدًا ، وَهُوَ التَّلَازُمُ فِي الثُّبُوتِ ، بِأَنْ يُقَالَ : كُلُّ مَا مُلِكَ فَهُوَ رِزْقٌ .

وَعَكْسًا ، وَهُوَ التَّلَازُمُ فِي النَّفْيِ ، بِأَنْ يُقَالَ : كُلُّ مَا لَمْ يُمْلَكْ فَلَيْسَ بِرِزْقٍ .

أَمَّا الْأَوَّلُ : فَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَالِكٌ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، وَلَا يُسَمَّى مِلْكُهُ رِزْقًا اتِّفَاقًا ، وَإِلَّا لَكَانَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مَرْزُوقًا .

وَأَمَّا الثَّانِي : فَلِخُرُوجِ رِزْقِ الدَّوَابِّ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ عِنْدَ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ ، كَالْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « لَا مِلْكَ لِلْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ أَصْلًا » . وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : « يَمْلِكُونَ مِلْكًا غَيْرَ تَامٍّ » حَالَ كَوْنِهِ

((مُطْلَقًا)) سَوَاءٌ كَانَ حَلَالًا ، وَهُوَ مَا نَصَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أَوْ رَسُولُهُ ، أَوْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِبَاحَةِ تَنَاوُلِهِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ، لِيَخْرُجَ إِسَاغَةُ الْغُصَّةِ بِالْخَمْرِ ، وَإِبَاحَةُ الْمَيْتَةِ لِلْمُضْطَرِّ ؛ أَوِ اقْتَضَى الْقِيَاسُ الْجَلِيُّ إِبَاحَةَ تَنَاوُلِهِ بِعَيْنِهِ أَوْ جِنْسِهِ ، بِأَنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ أَنَّهُ حَرَامٌ .

اِنْتَهَى مِنْ عَبْدِ السَّلَامِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **قَوْلُهُ** : " لِيَخْرُجَ إِسَاغَةُ الْغُصَّةِ بِالْخَمْرِ " . **أَيْ** : فَلَا يُوجِبُ ذَلِكَ كَوْنَ الْخَمْرِ حَلَالًا فِي ذَاتِهِ ؛ أَمَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ

٤٣٣ – وَلَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى الْحَلَالِ وَوَجْهُهُ بَادٍ بِالِاسْتِدْلَالِ

فَحَلَالٌ ، بَلْ وَاجِبٌ ؛ ... وَكَذَا مَا بَعْدَهُ . تَدَبَّرْ » . اهَـ .

أَوْ مَكْرُوهًا ، وَهُوَ مَا نَهَى اللهُ ، أَوْ رَسُولُهُ عَنْهُ نَهْيًا غَيْرَ أَكِيدٍ .
أَوْ حَرَامًا ، وَهُوَ مَا نَصَّ اللهُ ، أَوْ رَسُولُهُ ، أَوْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى امْتِنَاعِ تَنَاوُلِهِ بِعَيْنِهِ أَوْ جِنْسِهِ ، أَوِ اقْتَضَى الْقِيَاسُ الْجَلِيُّ ذَلِكَ ، أَوْ وَرَدَ فِيهِ حَدٌّ ، أَوْ تَعْزِيرٌ ، أَوْ وَعِيدٌ شَدِيدٌ غَيْرُ مُؤَوَّلٍ ؛ سَوَاءٌ كَانَ تَحْرِيمُهُ لِمَفْسَدَةٍ وَمَضَرَّةٍ ، كَالرِّبَا ؛ أَوْ لِمَفْسَدَةٍ وَمَضَرَّةٍ وَاضِحَةٍ ، كَالسُّمِّ وَالْخَمْرِ .
أَفَادَهُ عَبْدُ السَّلَامِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :
« **قَوْلُهُ** : " كَالرِّبَا " . فَإِنَّ حُرْمَتَهُ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الضِّيقِ فِي أَحَدِ النَّقْدَيْنِ » . اهَـ .

((**هَذَا**)) الْقَوْلُ ((**الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَنْ**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**حَقَّقَا**)) .

((**وَلَيْسَ**)) الرِّزْقُ ((**مَقْصُورًا عَلَى الْحَلَالِ**)) كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ ، بِنَاءً عَلَى التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيَّيْنِ

((**وَوَجْهُهُ بَادٍ**)) **أَيْ** : ظَاهِرٌ ((**بِالِاسْتِدْلَالِ**)) بِأَدِلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ ، وَأَدِلَّةٍ نَقْلِيَّةٍ ، وَبِالْمُعَايَنَةِ ؛ إِذْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْتَفِعُ بِالْحَرَامِ مِنْ مَهْدِهِ إِلَى لَحْدِهِ .

قَالَ الشَّيْخُ الْخَطِيبُ فِي تَفْسِيرِهِ ، بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣] **مَا نَصُّهُ :**
« الرِّزْقُ – **بِالْكَسْرِ** – **فِي اللُّغَةِ** : الْحَظُّ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ [الواقعة : ٨٢] **أَيْ** : حَظَّكُمْ وَنَصِيبَكُمْ مِنَ الْقُرْءَانِ ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢] .
وَأَمَّا بِالْفَتْحِ : فَهُوَ مَصْدَرٌ ، **بِمَعْنَى** : إِعْطَاءُ الْحَظِّ ؛ كَمَا أَنَّهُ بِالْكَسْرِ يَكُونُ مَصْدَرًا أَيْضًا ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : {وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا} ﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل : ٧٥] .
وَفِي الْعُرْفِ : اِسْمٌ لِكُلِّ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ ، حَتَّى الْوَلَدِ وَالرَّقِيقِ .

وَالْمُعْتَزِلَةُ لَمَّا اسْتَحَالُوا مِنَ اللهِ أَنْ يُمَكِّنَ مِنَ الْحَرَامِ – لِأَنَّهُ تَعَالَى مَنَعَ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِهِ ، وَأَمَرَ بِالزَّجْرِ عَنْهُ — قَالُوا :

" الرِّزْقُ لَا يَتَنَاوَلُ الْحَرَامَ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَعَالَى أَسْنَدَ الرِّزْقَ هَهُنَا إِلَى نَفْسِهِ ، إِيذَانًا بِأَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ الْحَلَالَ الصِّرْفَ الطَّيِّبَ ، وَأَنَّ إِنْفَاقَ الْحَرَامِ لَا يُوجِبُ الْمَدْحَ وَذَمَّ الْمُشْرِكِينَ عَلَى تَحْرِيمِ بَعْضِ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

٤٣٤ – وَالنَّصْـــبُ لِلْإِمَـــامِ بِالشُّـــرُوطِ فَـــرْضٌ بِشَـــرْعٍ بِالْهُـــدَى مَنُـــوطِ
٤٣٥– وَالسَّـــمْعُ مَفْــرُوضٌ عَلَــى الْأَعْيَــانِ لِأَمْـــرِهِ فِيمَـــا سِـــوَى الْعِصْـــيَانِ
٤٣٦– إِذْ جَـــاءَ : لَا طَاعَـــةَ لِلْمَخْلُـــوقِ فِي ذَاكَ » وَفِيمَـــا عَنْـــهُ لَا يَخْلُـــو قِـــفِ

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ [يونس : ٥٩] ؟! .

وَأَجَابَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَمَّا ذُكِرَ :

بِأَنَّ الْإِسْنَادَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّحْرِيضِ عَلَى الْإِنْفَاقِ ؛ وَالذَّمَّ بِتَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرَّمْ ؛ وَاخْتِصَاصُ مَا رَزَقَهُمْ بِالْحَلَالِ لِلْقَرِينَةِ .
وَتَمَسَّكُوا لِشُمُولِ الرِّزْقِ لَهُ بِمَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ : "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَهُ عَمْرُو بْنُ قُرَّةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيَّ الشِّقْوَةَ ، فَلَا أَرَانِي أُرْزَقُ إِلَّا مِنْ دُفِّي بِكَفِّي ، فَأْذَنْ لِي فِي الْغِنَاءِ مِنْ غَيْرِ فَاحِشَةٍ ؛ فَقَالَ : لَا آذَنُ لَكَ وَلَا كَرَامَةَ ؛ كَذَبْتَ أَيْ عَدُوَّ اللهِ ! لَقَدْ رَزَقَكَ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، فَاخْتَرْتَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ رِزْقِهِ مَكَانَ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ مِنْ حَلَالِهِ " .

وَبِأَنَّهُ : لَوْ لَمْ يَكُنْ رِزْقًا ، لَمْ يَكُنِ الْمُتَغَذِّي بِهِ طُولَ عُمُرِهِ مَرْزُوقًا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ۞ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ [هود : ٦] » . اِنْتَهَى . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَقَوْلُهُ : « مِنْ دُفِّي » بِضَمِّ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ، وَشَدِّ الْفَاءِ ؛ وَهُوَ : الطَّارُ الَّذِي يُضْرَبُ عَلَيْهِ فِي نَحْوِ الْأَفْرَاحِ وَالْأَعْيَادِ .
وَالْمُرَادُ : أَنَّهُ كَانَ يُغَنِّي عَلَيْهِ بِجُعْلٍ .

((**وَالنَّصْبُ**)) **أَيِ** : التَّوْلِيَةُ ((**لِلْإِمَامِ**)) النَّائِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي إِمَامَةِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ وَالْحُكْمِ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ ((**بِالشُّرُوطِ**)) الْمُدَوَّنَةِ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ .
وَخَبَرُ ((**النَّصْبُ**)) : ((**فَرْضٌ**)) عَلَى الْكِفَايَةِ ((**بِشَرْعٍ**)) عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ خِلَافًا لِبَعْضِ الْمُعْتَزِلَةِ – كَالْجَاحِظِ وَغَيْرِهِ – حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّهُ وَاجِبٌ بِالْعَقْلِ ، بِنَاءً عَلَى قَاعِدَتِهِمُ الْفَاسِدَةِ ، وَهِيَ التَّحْسِينُ وَالتَّقْبِيحُ الْعَقْلِيَّيْنِ .
وَإِنَّمَا وَجَبَ بِالشَّرْعِ ، لِأَنَّ الشَّارِعَ أَمَرَ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَتَجْهِيزِ الْجُيُوشِ ؛ وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِإِمَامٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ .
وَقَدْ أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَيْهِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الدُّنْيَا ، وَاشْتَغَلُوا بِهِ عَنْ دَفْنِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ عِنْدَ الزَّوَالِ ، فَمَكَثَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ ، وَدُفِنَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي آخِرِ لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ .
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : « وَلَا بُدَّ لِهَذَا الْأَمْرِ مِمَّنْ يَقُومُ بِهِ ، فَانْظُرُوا وَهَاتُوا آرَاءَكُمْ رَحِمَكُمُ اللهُ تَعَالَى ؛ فَقَالُوا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ : صَدَقْتَ صَدَقْتَ » . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ : لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى إِمَامٍ .
وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ يَتَشَاوَرُونَ فِي شَأْنِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ : « اِنْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا الْأَنْصَارِ نُدْخِلْهُمْ مَعَنَا فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ ... فَقَالَ الْأَنْصَارُ : مِنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ؛ فَقَالَ عُمَرُ : مَنْ ثَبَتَ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الْفَضَائِلُ الَّتِي لِأَبِي

٤٣٧ – وَلَا يَجُوزُ عَزْلُهُ إِذَا طَرَا عَلَيْهِ فِسْقٌ، أَوْ بَغَى، أَوِ اجْتَرَا
٤٣٨ – وَلَا الْخُرُوجُ عَنْهُ إِلَّا إِنْ كَفَرْ وَحَافِرُ الْبَغْيِ هَوَى فِيمَا حَفَرْ
٤٣٩ – وَالْأَنْبِيَا أَفْضَلُ فَالْمَلَائِكَةْ يَتْلُونَ فِي فَضْلٍ عَلَوْا أَرَائِكَهْ

بَكْرٍ ؟! قَالَ تَعَالَى : ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة : ٤٠] » .

فَأَثْبَتَ صُحْبَتَهُ بِذَلِكَ ، وَأَثْبَتَ لَهُ مَعِيَّةً كَمَعِيَّةِ نَبِيِّهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] .
« ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَبَايَعَ أَبَا بَكْرٍ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ ؛ ... ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِجِهَازِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَغَسَّلَهُ عَلِيٌّ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ ، وَالْعَبَّاسُ وَابْنُهُ الْفَضْلُ يُعِينَانِهِ ، وَقُثَمُ وَأُسَامَةُ وَشُقْرَانُ – مَوْلَى الْمُصْطَفَى – يَصُبُّونَ الْمَاءَ وَأَعْيُنُهُمْ مَعْصُوبَةٌ ، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ قُطْنٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي كَفَنِهِ قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ ، وَصَلَّوْا عَلَيْهِ فُرَادَى ، يَدْخُلُ جَمَاعَةٌ وَيَخْرُجُ جَمَاعَةٌ ، وَدُفِنَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهَا » .

((**بِالْهُدَى**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ ؛ صِلَةُ ((**مَنُوطِ**)) بِفَتْحٍ فَضَمٍّ ؛ **أَيْ** : مُعَلَّقٍ .
((**وَالسَّمْعُ**)) **أَيْ** : الِاسْتِمَاعُ وَالِانْقِيَادُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ((**مَفْرُوضٌ عَلَى الْأَعْيَانِ**)) **أَيْ** : كُلِّ مُكَلَّفٍ ، لِقَوْلِهِ

تَعَالَى : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء : ٥٩] وَهُمُ الْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ ، وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي » .

وَصِلَةُ ((**السَّمْعُ**)) : ((**لِأَمْرِهِ**)) **أَيِ** : الْإِمَامِ ((**فِيمَا سِوَى الْعِصْيَانِ**)) للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفُ تَعْلِيلٍ ((**جَاءَ**)) **أَيْ** : رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((« **لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي ذَاكَ** »)) **أَيِ** : الْعِصْيَانِ ((**وَفِيمَا**)) **أَيِ** : الْأَمْرِ الَّذِي ؛ صِلَةُ ((**قِفِ**)) .
((**عَنْهُ**)) **أَيِ** : الْعِصْيَانِ؛ صِلَةُ ((**يَخْلُو**)) مِنْ : ((**لَا يَخْلُو قِفِ**)) فِعْلُ أَمْرٍ مِنَ الْوُقُوفِ ، وَحَرَّكَهُ بِالْكَسْرِ ، لِلرَّوِيِّ ؛ **أَيْ** : قِفْ عَنِ اتِّبَاعِ أَمْرِهِ فِيمَا لَا يَخْلُو عَنِ الْعِصْيَانِ .

((**وَلَا يَجُوزُ عَزْلُهُ**)) **أَيِ** : الْإِمَامِ عَنْ مَنْصِبِ الْإِمَامَةِ ((**إِذَا طَرَا**)) **أَيْ** : تَجَدَّدَ ((**عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : الْإِمَامِ

((**فِسْقٌ** ، **أَوْ**)) إِذَا ((**بَغَى**)) بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : ظَلَمَ ((**أَوِ**)) إِذَا ((**اجْتَرَا**)) بِجِيمٍ ؛

أَيْ : فَجَرَ بِإِظْهَارِ الْكَبَائِرِ .

... ...

قَالَ الشَّارِحُ ابْنُ الْأَعْمَشِ :

« **قَوْلُهُ** :

٤٣٧ – وَلَا يَجُوزُ عَزْلُهُ إِذَا طَرَا عَلَيْهِ فِسْقٌ، أَوْ بَغَى، أَوِ اجْتَرَا

يَعْنِي : أَنَّ الْعَدَالَةَ وَإِنْ كَانَتْ شَرْطًا فِي الْإِمَامِ بِاتِّفَاقٍ، إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ إِقَامَتِهِ وَتَوْلِيَتِهِ؛ فَإِنِ اتَّصَفَ بِالْفِسْقِ قَبْلَ تَوْلِيَتِهِ، لَمْ تَجُزْ تَوْلِيَتُهُ بِلَا خِلَافٍ؛ وَإِنْ طَرَأَ عَلَيْهِ فِسْقٌ بَعْدَ تَوْلِيَتِهِ، لَمْ يَجُزْ عَزْلُهُ عِنْدَ مُعْظَمِ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ وَهُوَ الصَّحِيحُ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثَوَرَانِ الْفِتَنِ وَانْتِشَارِ الْمَفَاسِدِ لِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ ؛ وَلَوْ بَغَى عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَاجْتَرَأَ عَلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُجَوِّزُ عَزْلَهُ وَلَا الْخُرُوجَ عَنْهُ ؛ بَلْ يُؤَدَّى إِلَيْهِ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ فِي غَيْرِ الْمَعْصِيَةِ ، وَيَسْأَلُ حَقَّهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَمَا أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَلِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ قَوْلٌ بِجَوَازِ عَزْلِهِ بِفِسْقِهِ إِذَا أَمْكَنَ مِنْ غَيْرِ إِرَاقَةِ الدَّمِ وَكَشْفِ الْجُرْمِ ؛ وَهُوَ اخْتِيَارُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ » . اهـ .

((**وَلَا**)) يَجُوزُ ((**الْخُرُوجُ عَنْـ**)) **وِلَايَتِـ** ((**ـهُ**)) **أَيِ** : الْإِمَامِ فِي كُلِّ حَالٍ ((**إِلَّا إِنْ كَفَرْ**)) الْإِمَامُ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى

((**وَحَافِرُ الْبَغْيِ**)) **أَيِ** : الظُّلْمِ ((**هَوَى**)) بِفَتْحِ الْهَاءِ وَالْوَاوِ ؛ **أَيْ** : سَقَطَ ((**فِيمَا**)) **أَيْ** : بَغْيِهِ الَّذِي ((**حَفَرْ**)) قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر : ٤٣] .

قَالَ الشَّارِحُ ابْنُ الْأَعْمَشِ :

« **قَوْلُهُ** :

٤٣٨ – وَلَا الْخُرُوجُ عَنْهُ إِلَّا إِنْ كَفَرْ ... ...

يَعْنِي : أَنَّهُ كَمَا لَا يَجُوزُ عَزْلُهُ بِطُرُوِّ الْفِسْقِ ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَنْهُ ، وَلَا إِهَانَتُهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، وَلَا الْأَمْرُ بِمُخَالَفَتِهِمْ ، وَلَا السَّعْيُ فِيمَا يُفْسِدُ عَلَيْهِمُ الرَّعِيَّةَ ؛ وَتَجِبُ نَصِيحَتُهُمْ ، وَأَمْرُهُمْ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا اسْتَطَاعَ ، وَيُؤَدِّي إِلَيْهِمْ مَا وَجَبَ لَهُمْ مِنَ الطَّاعَةِ فِي غَيْرِ الْمَعْصِيَةِ ؛ وَيَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى حَقَّهُ ، إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ، فَيَجِبُ خَلْعُهُ وَعَزْلُهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

٤٣٨ – ... ... وَحَافِرُ الْبَغْيِ هَوَى فِيمَا حَفَرْ

يَعْنِي: أَنَّ حَافِرَ الْمَكْرِ ، وَالْبَغْيِ ، وَالْخَدِيعَةِ لِلْإِسْلَامِ ، يَسْقُطُ فِيمَا حَفَرَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

٤٤٠ – وَقِيــــلَ بِــــالْعَكْسِ، وَبَعْـــضٌ فَصَّـــلَا فِي ذَاكَ تَفْصِـــيلًا لَـــــهُ قَـــــدْ أَصَّــــلَا

﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر : ٤٣] اهـ .

((**وَالْأَنْبِيَا**)) بِالْقَصْرِ، لِلْوَزْنِ ((**أَفْضَلُ**)) الْخَلْقِ ((**فَالْمَلَائِكَةْ يَتْلُونَ**)) الْأَنْبِيَاءَ ((**فِي فَضْلٍ عَلَوْا**)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَاللَّامِ ؛ **أَيْ** : الْمَلَائِكَةُ ((**أَرَائِكَهْ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " أَرِيكَةٍ " ، **أَيْ** : سَرِيرٌ عَلَيْهِ خَيْمَةٌ ؛ وَلَعَلَّ الْمُرَادَ الدَّرَجَاتُ فِي الْجَنَّةِ .

وَالْجُمْلَةُ دُعَاءٌ لِلْمَلَائِكَةِ بِارْتِفَاعِ الدَّرَجَاتِ فِيهَا . وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ – شَيْخِ أَهْلِ السُّنَّةِ – وَأَكْثَرِ أَصْحَابِهِ ؛

وَاسْتَدَلُّوا بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام : ٨٦] ، وَأَسْجَدَ لِآدَمَ مَلَائِكَتَهُ وَفِي الْأَنْبِيَاءِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ ؛ وَبِأَنَّ النُّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ دَاعِيَةٌ إِلَى الشَّهَوَاتِ ، فَمُخَالَفَتُهَا عِبَادَةٌ فَاتَتِ الْمَلَائِكَةَ ؛ وَبِأَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ إِنَّمَا يَسْتَشْفِعُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ لَا الْمَلَائِكَةِ .

أَفَادَهُ ابْنُ كِيرَانَ .

((**وَقِيلَ بِالْعَكْسِ**)) **أَيْ** : الْمَلَائِكَةُ أَفْضَلُ ، يَتْلُوهُمُ الْأَنْبِيَاءُ . وَهَذَا قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ وَجَمْعٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ ، وَالْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَالْحَاكِمِ، وَالْحَلِيمِيِّ ، وَالْإِمَامِ الرَّازِيِّ فِي [الْمَعَالِمِ] .

وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُتَجَرِّدُونَ عَنِ الشَّهَوَاتِ .

وَرُدَّ بِأَنَّ وُجُودَهَا مَعَ قَمْعِهَا أَتَمُّ ، مِنْ بَابِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَحْمَزُهَا » . بِسُكُونِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبَعْدَ الْمِيمِ زَايٌ ؛ **أَيْ** : أَشَقُّهَا وَأَصْعَبُهَا .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَقْسَامَ ثَلَاثَةٌ ؟ :

١ – شَهْوَةٌ مَحْضَةٌ ؛ وَهُوَ الْبَهَائِمُ .

٢ – وَعَقْلٌ مَحْضٌ؛ وَهُوَ الْمَلَائِكَةُ .

٣ – وَالْإِنْسَانُ مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا .

فَكَمَا أَنَّ غَلَبَةَ الشَّهْوَةِ تُنْزِلُهُ عَنِ الْبَهَائِمِ ، لِعُذْرِهَا بِالْعَدَمِ – كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان : ٤٤] – كَذَلِكَ غَلَبَةُ الْعَقْلِ تَرْفَعُهُ عَنِ الْمَلَائِكَةِ .

أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ .

((**وَبَعْضٌ**)) مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعَاجِمِ الْمَاتُرِيدِيَّةِ ، كَالنَّسَفِيِّ فِي عَقَائِدِهِ وَغَيْرِهِ ((**فَصَّلَا**)) بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ مُثَقَّلَةً ((**فِي ذَاكَ**)) **أَيْ** : تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَعَكْسِهِ ((**تَفْصِيلًا لَهُ**)) **أَي** : الْبَعْضِ ((**قَدْ أَصَّلَا**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ

وَالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ مُثَقَّلَةً ؛ **أَيْ** : جَعَلَهُ أَصْلًا فِي الِاعْتِقَادِ ، فَقَالَ : رُسُلُ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ رُسُلِ الْمَلَائِكَةِ ، وَرُسُلُ الْمَلَائِكَةِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ الْبَشَرِ ، وَعَوَامُّ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ الْمَلَائِكَةِ .

وَبَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ تَوَقَّفَ عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ ، إِذْ لَمْ يَدُلَّ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ عَلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدُ : « لَا قَاطِعَ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ » .

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ السُّبْكِيِّ : « لَيْسَ تَفْضِيلُ الْبَشَرِ عَلَى الْمَلَكِ مِمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَيَضُرُّ الْجَهْلُ بِهِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي السُّكُوتِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ ، وَالدُّخُولُ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ دُخُولٌ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ ، وَحُكْمٌ فِي مَكَانٍ لَسْنَا أَهْلًا لِلْحُكْمِ فِيهِ » .

قَالَ سَيِّدِي عَلِيٌّ الْأُجْهُورِيُّ فِي عَقِيدَتِهِ :

« **[تَتِمَّةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى تَفْضِيلِ خَوَاصِّ الْبَشَرِ عَلَى خَوَاصِّ الْمَلَائِكَةِ ، وَعَوَامِّهِمْ عَلَى عَوَامِّهِمْ]** :

(وَأَنْبِيَاءُ اللهِ فُضِّلُوا عَلَى ... مَنْ مِنْ مَلَائِكِ الْإِلَهِ أَرْسَلَا
وَرُسُلُ الْمَلَائِكِ الْكِرَامِ ... فَاقُوا حَقِيقَةً صَالِحِي الْأَنَامِ
وَصَالِحُوا النَّاسِ جَمِيعًا فُضِّلُوا ... عَلَى الْمَلَائِكِ إِذَا لَمْ يُرْسَلُوا) »

قَالَ فِي شَرْحِهَا :

« **حَاصِلُهُ** :

أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – سَوَاءٌ كَانُوا مُرْسَلِينَ أَمْ غَيْرَ مُرْسَلِينَ ، أَفْضَلُ مِنْ رُسُلِ الْمَلَائِكَةِ ، كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ؛ وَالصُّلَحَاءُ مِنَ النَّاسِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ غَيْرِ الرُّسُلِ . **قَالَ النَّسَفِيُّ** : وَرُسُلُ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ رُسُلِ الْمَلَائِكَةِ ، وَرُسُلُ الْمَلَائِكَةِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الْبَشَرِ ، وَعَامَّةُ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الْمَلَائِكَةِ » . اهـ .

وَلَوْ عَبَّرَ بِـ " أَنْبِيَاءُ الْبَشَرِ " بَدَلَ « رُسُلُ الْبَشَرِ » – كَمَا فَعَلْتُ – لَكَانَ أَوْلَى ، إِذْ كَلَامُهُ يُوهِمُ أَنَّ أَنْبِيَاءَ الْبَشَرِ لَيْسُوا أَفْضَلَ مِنْ رُسُلِ الْمَلَائِكَةِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ .

وَأَجَابَ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ : بِأَنَّ " الرَّسُولَ " ، وَ " النَّبِيَّ " عِنْدَهُ – أَيِ النَّسَفِيِّ – وَاحِدٌ ؛ وَأَرَادَ بِـ « عَوَامِّ الْبَشَرِ » : الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الصَّحَابَةِ . **وَعِبَارَةُ الْبَيْهَقِيِّ** : « وَالْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ » .

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ أَبِي شَرِيفٍ :

« وَفِي كَلَامِ الْبَيْهَقِيِّ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِـ " عَوَامِّ الْبَشَرِ " : الصُّلَحَاءُ ، لَا الْفَسَقَةُ مِنْهُمْ ؛ وَذَكَرَ فِي مَحَلٍّ آخَرَ أَنَّ الْمُطِيعِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، **أَيْ** : غَيْرِ الرُّسُلِ ؛ **فَقَالَ ابْنُ الْهُمَامِ** : الْأَتْقِيَاءُ مِنْ بَنِي آدَمَ – كَالرُّسُلِ وَغَيْرِهِمْ – أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَخَوَاصُّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ خَوَاصِّهِمْ ، وَعَوَامُّهُمْ – كَالصُّلَحَاءِ – أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّهِمْ ؛ **وَلِذَا قُلْتُ** :

… ….. … … … … … … …

وَصَـــــــالِحُوا النَّـــــــــاسِ … …   … … … …   إلَخ

وَأَمَّا الْفَسَقَةُ مِنَ الْبَشَرِ ، فَلَيْسُوا أَفْضَلَ مِنْ عَوَامِّ الْمَلَائِكَةِ ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ مَنْ تَقَدَّمَ ؛ وَهَذَا صَادِقٌ بِالْمُسَاوَاةِ » . اِهـ .

وَفِي ابْنِ كِيرَانَ :

« **وَقَدْ قِيلَ** : خَوَاصُّ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ خَوَاصِّ الْمَلَائِكَةِ ، وَعَوَامُّ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّهِمْ ؛ وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ : " الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ بَعْضِ مَلَائِكَتِهِ " .

وَمِنَ اللَّطَائِفِ ، مَا فِي [نَفْحِ الطِّيبِ] : " أَنَّ بَعْضَ الْقُضَاةِ اسْتَدَلَّ عَلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ بِأَنَّ اللهَ أَسْجَدَهُمْ لِآدَمَ ؛ فَنَظَرَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا: جُنَّ الْقَاضِي !! فَقَالَ : أَتَقُولُونَ إِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ أَمْرَ ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ: أَفَيُخْتَبَرُ تَوَاضُعُ الْعَبْدِ بِالْخُضُوعِ لِسَيِّدِهِ ، أَمْ يُخْتَبَرُ تَوَاضُعُ السَّيِّدِ بِالْخُضُوعِ لِعَبْدِهِ ؟ قَالُوا: إِنَّمَا يُخْتَبَرُ تَوَاضُعُ السَّيِّدِ بِالْخُضُوعِ لِعَبْدِهِ ؛ قَالَ: فَكَذَا الْمَلَائِكَةُ مَعَ آدَمَ ، لَوْ لَمْ يَكُونُوا أَفْضَلَ ، مَا اخْتَبَرَ حَالَهُمْ بِأَمْرِهِمْ بِالسُّجُودِ؛ فَأَذْعَنُوا لِذَلِكَ " . وَفِيهِ نَظَرٌ » . اِهـ .

وَقَوْلُهُ : « وَفِيهِ نَظَرٌ » **أَيْ** : لِأَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ سُجُودَ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ إِكْرَامٌ لَهُ ، لَا اخْتِبَارٌ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

إِنْ قُلْتَ : يَلْزَمُ عَلَى تَفْضِيلِ عَوَامِّ الْبَشَرِ عَلَى عَوَامِّ الْمَلَائِكَةِ تَفْضِيلُ غَيْرِ الْمَعْصُومِ عَلَى الْمَعْصُومِ ! .

قُلْتُ : إِنَّمَا يَلْزَمُ ذَلِكَ لَوْ كَانَتِ الْعِصْمَةُ مَنْظُورًا لَهَا فِي التَّفْضِيلِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ الْمَنْظُورُ لَهُ فِيهِ الْأَكْثَرِيَّةُ فِي الثَّوَابِ عَلَى الْعِبَادَةِ ؛ فَالْعِصْمَةُ لَا دَخْلَ لَهَا فِيهِ ؛ فَعَوَامُّ الْبَشَرِ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنْ عَوَامِّ الْمَلَائِكَةِ ؛ فَإِنَّ عَوَامَّ الْبَشَرِ يَحْصُلُ لَهُمْ مَشَقَّةٌ فِي عِبَادَتِهِمْ ، وَأَمَّا عَوَامُّ الْمَلَائِكَةِ ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُمْ مَشَقَّةٌ ، لِأَنَّ طَاعَتَهُمْ جِبِلِّيَّةٌ .

(الثَّانِي) :

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ السَّلَامِ :

« وَالْمَلَائِكَةُ أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ نُورَانِيَّةٌ ، قَادِرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، كَامِلَةٌ فِي الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْأَفْعَالِ الشَّاقَّةِ ؛ شَأْنُهَا الطَّاعَاتُ ، وَمَسْكَنُهَا السَّمَاوَاتُ ، هُمْ رُسُلُ اللهِ تَعَالَى إِلَى أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى وَحْيِهِ ، ﴿ **يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠** ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ، ﴿ **لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦** ﴾ [التحريم : ٦] ، لَا يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ وَلَا أُنُوثَةٍ ، لِعَدَمِ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ » . اِنْتَهَى .

... ...

وَقَوْلُهُ :

« **[لَطِيفَةٌ]** :

وَلِذَا ، لَا يُنَافِي كَوْنَ مَلَكٍ وَاحِدٍ يَمْلَأُ الْكَوْنَ وُجُودُ غَيْرِهِ فِيهِ » .

وَقَوْلُهُ : « نُورَانِيَّةٌ » **أَيْ** : مَخْلُوقَةٌ مِنَ النُّورِ ، لَا بِوَاسِطَةِ أَبٍ ، أَوْ أُمٍّ ، أَوْ طِينٍ .

عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا – عَنْ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :

« خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ النُّورِ ، وَخُلِقَتِ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ طِينٍ » .

خَلَقَهُ اللهُ بِقُدْرَتِهِ وَصَوَّرَهُ ، فَأَقَامَ طِينًا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ حَمَأً مَسْنُونًا كَذَلِكَ ، ثُمَّ صَلْصَالًا كَذَلِكَ – أَيْ طِينًا يَابِسًا – يُسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ – عَلَى مَا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ – ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَكَثَ خَمْسِمِائَةَ سَنَةً ، أَوْ ثَلَاثَمِائَةَ سَنَةً ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ .

" **وَالْمُرَادُ** : أَنَّ غَالِبَهُمْ مِنْ نُورٍ ، وَالْبَعْضُ مِنْ قَطَرَاتٍ تَنْزِلُ مِنْ أَجْنِحَةِ جِبْرِيلَ حِينَ يَنْغَمِسُ فِي نَهْرٍ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَالْبَعْضُ مِنْ قَطَرَاتِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَالْبَعْضُ مِنَ التَّسْبِيحِ ؛ **أَيْ** : عَلَى مَا فِيهِ " .

أَفَادَهُ الشَّيْخُ الْعَقَبَاوِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِهِ عَلَى عَقِيدَةِ الْعَارِفِ بِاللهِ تَعَالَى أَبِي الْبَرَكَاتِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الدَّرْدِيرِ ، نَفَعَنَا اللهُ بِهِمَا .

وَقَوْلُهُ : « قَادِرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ » . قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي (الْمَبْحَثِ التَّاسِعِ وَالثَّلَاثِينَ) مِنَ [الْيَوَاقِيتِ] عَنِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ :

« إِنَّهُمْ لَا يَتَشَكَّلُونَ فِي صُوَرِ بَعْضِهِمْ ، فَلَا يَتَشَكَّلُ جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ مِيكَائِيلَ ، وَلَا الْعَكْسُ ؛ بِخِلَافِ أَوْلِيَاءِ الْبَشَرِ ، فَيُمْكِنُهُمْ ذَلِكَ » . اهـ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْعَقَبَاوِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِهِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ :

« **قَوْلُهُ** : " عَلَى التَّشَكُّلَاتِ " **أَيْ** : فِي أَيِّ صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، لَكِنْ فِي غَيْرِ صُورَةِ مَلَكٍ آخَرَ ؛ وَتَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ تِلْكَ الصُّورَةِ ، فَلَا تَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَلِيقُ بِهَا مِنَ اللُّغَاتِ ، وَهُوَ بَاقٍ عَلَى نَزَاهَتِهِ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ؛ وَمَنْ قَتَلَ تِلْكَ الصُّورَةَ ، تَمُوتُ تِلْكَ الصُّورَةُ ، وَإِنْ لَمْ نَسْمَعْ بِوُقُوعِهِ ... » .

ثُمَّ قَالَ :

« بِخِلَافِ الْوَلِيِّ ، فَلَهُ التَّشَكُّلُ فِي صُورَةِ وَلِيٍّ آخَرَ ، وَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ تِلْكَ الصُّورَةُ ، فَلَا يَمُوتُ بِقَتْلِهَا ، وَيَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ لُغَتِهَا – عَلَى مَا نَقَلَ سَيِّدِي مُحْيِي الدِّينِ – وَأَمَّا الْجِنِّيُّ ، فَتَحْكُمُ عَلَيْهِ تِلْكَ الصُّورَةُ ، بِحَيْثُ لَوْ أَصَابَهُ سَهْمٌ فِي مَقْتَلٍ لَمَاتَ »

. اهـ .

وَقَوْلُهُ : « شَأْنُهَا الطَّاعَاتُ » . قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي [الْيَوَاقِيتُ] عَنِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ :

« طَاعَاتُ الْمَلَائِكَةِ كُلُّهَا مُحَتَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ، فَلَا يَفْرُغُونَ مِنْ تَوْظِيفٍ حَتَّى يُمْكِنَهُمُ التَّطَوُّعُ ... » **قَالَ** :

« فَمَقَامُ : " لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ ... " الْحَدِيثَ ؛ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ الْبَشَرِ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ : « بِذُكُورَةٍ » . **قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ** : « مُعْتَقِدُهَا فَاسِقٌ مُتَقَوِّلٌ » .

وَقَوْلُهُ : « وَلَا بِأُنُوثَةٍ » . **قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ** : « هِيَ كُفْرٌ ، لِمُعَارَضَتِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

... ...

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ... ﴾ [الزخرف : ١٩] الْآيَةَ ؛ وَأَوْلَى مَنْ قَالَ : " خَنَاثِيٌّ " ، لِمَزِيدِ التَّنْقِيصِ » . اهـ .

(**الثَّالِثُ**) :

يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ إِجْمَالًا ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِجَمْعٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ تَفْصِيلًا ؛ فَالْجَمْعُ الَّذِي تَجِبُ مَعْرِفَتُهُمْ تَفْصِيلًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ ، **وَقَدْ نَظَمَهَا بَعْضُهُمْ** ، **فَقَالَ** :

(سُلَيْمَانُ إِبْرَاهِيمُ مُوسَى وَصَالِحٌ ... وَلُوطٌ وَإِسْحَاقُ وَنُوحٌ وَذُو الْكِفْلِ
وَأَيُّوبُ الْيَاسُ وَهُودٌ وَآدَمٌ ... وَدَاوُدُ يَحْيَى ثُمَّ يُونُسُ ذُو الْفَضْلِ
وَيَعْقُوبُ إِدْرِيسٌ وَهَارُونُ يُوسُفٌ ... شُعَيْبٌ وَإِسْمَاعِيلُ ذُو الْمَنْطِقِ الْفَصْلِ
كَذَا زَكَرِيَّا ثُمَّ يَحْيَى مَعَ الْيَسَعْ ... وَتَمَّتْ بِخَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ الرُّسْلِ
عَلَى كُلِّ ذِي التَّكْلِيفِ إِيمَانُهُ بِهِمْ ... تَحَتَّمَ تَفْصِيلًا عَلَى رَاجِحِ الْقَوْلِ)

. اهـ.

وَمَعْنَى كَوْنِ الْإِيمَانِ وَاجِبًا بِهِمْ تَفْصِيلًا : أَنَّهُ لَوْ عُرِضَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، أَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ ؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ حِفْظُ أَسْمَائِهِمْ .

وَالْجَمْعُ الَّذِي تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ تَفْصِيلًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ :

١ – جِبْرِيلُ أَمِينُ الْوَحْيِ .
٢ – وَمِيكَائِيلُ أَمِينُ الْأَمْطَارِ .
٣ – وَإِسْرَافِيلُ أَمِينُ الصُّورِ .
٤ – وَعِزْرَائِيلُ أَمِينُ قَبْضِ الْأَرْوَاحِ .
٥ – وَرَضْوَانُ خَازِنُ الْجَنَّةِ .
٦ – وَمَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ .
٧ – وَرَقِيبٌ وَعَتِيدٌ الْكَاتِبَانِ .

فَمَنْ أَنْكَرَ وَاحِدًا مِنَ الْخَمْسَةِ وَالْعِشْرِينَ نَبِيًّا ، أَوْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَذْكُورِينَ ، فَهُوَ كَافِرٌ ؛ لَكِنَّ الْعَامِّيَّ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا إِنْ أَنْكَرَ بَعْدَ تَعْلِيمِهِ .

وَأَمَّا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ، فَلَا يَكْفُرُ مُنْكِرُهُمَا ، لِأَنَّهُ اخْتُلِفَ فِي أَصْلِ السُّؤَالِ .

٤٤١ – وَانْعَقَـــــدَ الْإِجْمَــــاعُ أَنَّ الْمُصْـــــطَفَى أَفْضَـــــلُ خَلْـــــقِ اللهِ ، وَالْخُلْـــــفُ انْتَفَـــــى

((**وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ**)) مِنَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى ((**أَنَّ الْمُصْطَفَى**)) **أَيْ** : سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**أَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ**)) عَلَى الْإِطْلَاقِ .

قَالَ تَاجُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ :

(لَا خَلْـــقَ أَفْضَـــلُ مِنْـــهُ ، لَا بَشَـــرٌ وَلَا مَلَـــكٌ ، وَلَا كَـــوْنٌ مِـــنَ الْأَكْـــوَانِ)

وَقَالَ فِي [مُحَصَّلُ الْمَقَاصِدِ] :

(نَبِيُّنَـــــا أَفْضَـــــلُ بِـــــالْإِطْلَاقِ مِـــنْ كُـــلِّ مَخْلُـــوقٍ عَلَـــى الْإِطْـــلَاقِ)

. اهـ.

((**وَالْخُلْفُ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، فَفَاءٍ ؛ **أَيْ** : الِاخْتِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ ((**انْتَفَى**)) .

وَعِبَارَةُ الشَّيْخِ بَنِيسٍ فِي شَرْحِهِ عَلَى [هَمْزِيَّةُ الْإِمَامِ الْبُوصِيرِيِّ] مَا نَصُّهُ :

« وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ ، وَأَقَاوِيلُ الْعُلَمَاءِ وَالْآثَارُ ، عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَفْضَلُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ ، وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ وَإِنْ تَفَاوَتَتْ فِي الدَّرَجَاتِ ، فَهُوَ فِي أَعْلَى الدَّرَجَاتِ الَّتِي لَا دَرَجَةَ فَوْقَهَا .

قَالَ الْمُحَقِّقُونَ : فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى حِدَتِهِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ مَجْمُوعِهِمْ ، وَأَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِهِمْ ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَ " الْكُلِّيَّةِ " وَ" الْكُلِّ الْمَجْمُوعِيِّ " وَ" الْكُلِّ الْجَمِيعِيِّ " أَنَّ " الْكُلِّيَّةَ " يَسْتَبِدُّ فِيهَا كُلُّ فَرْدٍ بِالْحُكْمِ ؛ بِخِلَافِ الْأَخِيرَيْنِ .

وَ" الْكُلُّ الْجَمِيعِيُّ " لَا يَخْرُجُ عَنْهُ فَرْدٌ ، بِخِلَافِ " الْمَجْمُوعِيِّ " . وَهُوَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

قَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ : " ثُبُوتُ شَرَفِهِ وَأَفْضَلِيَّتِهِ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ ، بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى سَرْدِ دَلِيلٍ :

(وَلَـــيْسَ يَصِـــحُّ فِي الْأَذْهَـــانِ شَـــيْءٌ إِذَا احْتَـــاجَ النَّهَـــارُ إِلَى دَلِيـــلِ!!)

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ " . فَالْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ .

وَمَذْهَبُ أَكْثَرِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ؛ فَيَكُونُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَفْضَلَ، إِذْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَفْضَلِ مِنْهُمْ .

وَعَلَى الْقَوْلِ الْآخَرِ : فَهُوَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَارِجٌ مِنَ الْخِلَافِ ؛ وَمَا أَحْسَنَ قَوْلِ مَنْ قَالَ :

... ...

(نَبِيُّنَا أَشْرَفُ بِالْإِطْلَاقِ   مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ)

قُلْتُ : هَذَا حَاصِلُ مَا ذَكَرُوهُ هُنَا ؛ وَرَأَيْتُ فِي [تَفْسِيرُ النَّسَفِيِّ] عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء : ١٧٢] **مَا نَصُّهُ** :

" **وَالْحَاصِلُ** :

أَنَّ خَوَاصَّ الْبَشَرِ – وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – أَفْضَلُ مِنْ خَوَاصِّ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُمْ جِبْرِيلُ ، وَمِيكَائِيلُ ، وَعِزْرَائِيلُ ، وَنَحْوُهُمْ .

وَخَوَاصُّ الْمَلَائِكَةِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَشَرِ ، وَعَوَامُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ الْمَلَائِكَةِ .

وَدَلِيلُنَا عَلَى تَفْضِيلِ الْبَشَرِ عَلَى الْمَلَكِ ابْتِدَاءً : أَنَّهُمْ قَهَرُوا نَوَازِعَ الْهَوَى فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَى ، مَعَ أَنَّهُمْ جُبِلُوا عَلَيْهَا ؛ فَضَاهَتِ الْأَنْبِيَاءُ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – الْمَلَائِكَةَ فِي الْعِصْمَةِ ، وَتَفَضَّلُوا عَلَيْهِمْ فِي قَهْرِ الْبَوَاعِثِ النَّفْسَانِيَّةِ ، وَالدَّوَاعِي الْجُسْدَانِيَّةِ ؛ فَكَانَتْ طَاعَتُهُمْ أَشَقَّ ، لِكَوْنِهَا مَعَ الصَّوَارِفِ ؛ بِخِلَافِ طَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ ، لِأَنَّهُمْ جُبِلُوا عَلَيْهَا " .

اهـ.

وَيَعْنِي بِـ " عَوَامُّ الْمُؤْمِنِينَ " : أَهْلَ الطَّاعَةِ وَالْمُوَافَقَةِ مِنْهُمْ ؛ **وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَعْنَى** :

(لَيْسَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَحْمِي فَرِيسَتَهُ   يَوْمَ الزِّحَامِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ

لَكِنَّ مَنْ غَضَّ طَرْفًا أَوْ ثَنَى قَدَمًا   عَنِ الْمَحَارِمِ ، ذَاكَ الْفَارِسُ الْبَطَلُ)

وَهَذَا مَعْنَى حَدِيثِ : " لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ " .

هَذَا ، وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ الْمَزِيَّةَ لَا تَقْتَضِي الْأَفْضَلِيَّةَ ، فَلَا يُنَافِي مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَفْضَلِيَّةِ مَا ثَبَتَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ : "وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ . فَلَطَمَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ؛ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ : لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى مُوسَى ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر : ٦٨] فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٍ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي ، أَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ ؟ " .

لِأَنَّ هَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ ، وَهِيَ لَا تَقْتَضِي الْأَفْضَلِيَّةَ ، بِدَلِيلِ الْمَلَائِكَةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « لَا تُفَضِّلُونِي » **أَيْ** : تَفْضِيلًا يُؤَدِّي إِلَى الْمُنَازَعَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ وَهَضْمِ الْمَفْضُولِ ؛ وَلِذَا عَقَّبَهُ بِذِكْرِ مَزِيَّتِهِ ، أَوْ قَالَ ذَلِكَ تَوَاضُعًا ، أَوْ قَبْلَ إِعْلَامِهِ بِالْأَفْضَلِيَّةِ ؛ وَقَدْ وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهَا فِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ :

" لَمَّا قَرَّبَ اللهُ مُوسَى إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ نَجِيًّا ، قَالَ : أَيْ رَبِّ ، هَلْ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَيْكَ مِنِّي ، قَرَّبْتَنِي نَجِيًّا ، وَكَلَّمْتَنِي تَكْلِيمًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مُحَمَّدٌ أَكْرَمُ عَلَيَّ مِنْكَ ؛ قَالَ : فَإِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنِّي ، فَهَلْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ أَكْرَمُ عَلَيْكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،

٤٤٢ – وَمَــا نَحَــى [الْكَشَّــافُ] فِي التَّكْــوِيرِ خِـــــــلَافُ إِجْمَـــــــاعِ ذَوِي التَّنْـــــــوِيرِ

فَلَقْتَ لَهُمُ الْبَحْرَ ، وَأَنْجَيْتَهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ، وَأَطْعَمْتَهُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أُمَّةُ مُحَمَّدٍ أَكْرَمُ عَلَيَّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ قَالَ : إِلَهِي، أَرِنِيهِمْ ؛ قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَرَاهُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ أَسْمَعْتُكَ صَوْتَهُمْ ؛ قَالَ : نَعَمْ إِلَهِي ؛ فَنَادَى رَبُّنَا : يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، أَجِيبُوا رَبَّكُمْ ، فَأَجَابُوهُ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ، وَأَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ فَقَالُوا : لَبَّيْكَ ، أَنْتَ رَبُّنَا حَقًّا ، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ حَقًّا ؛ قَالَ : صَدَقْتُمْ ، أَنَا رَبُّكُمْ ، وَأَنْتُمْ عَبِيدِي حَقًّا ، قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ ، وَأَعْطَيْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي ، فَمَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَرَادَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِمَا أَعْطَاهُ وَأُمَّتَهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا ... ﴾ [القصص : ٤٦] الْآيَةَ ". اهـ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] فَهُوَ بِاعْتِبَارِ الْإِيمَانِ بِهِمْ وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ ، لَا فِي التَّفْضِيلِ ، لِوُرُودِ النَّصِّ بِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ [الإسراء : ٥٥] ؛ فَالتَّفَاضُلُ مِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ " . فَهُوَ مِنْ تَوَاضُعِهِ ؛ **أَيْ** : عَلَى فَرْضِ وُجُودِهِ ، لَكُنَّا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُ . وَهُوَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَالٌ ، فَالْمُعَلَّقُ عَلَيْهِ مُحَالٌ .

وَمَطْلُوبُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ هُوَ رُؤْيَةُ الْكَيْفِيَّةِ وَمُعَايَنَتُهَا ، مَعَ الْجَزْمِ بِالْقُدْرَةِ ، وَلِذَا قِيلَ :

(وَلَكِــنَّ لِلْعَيَــانِ لَطِيــفُ مَعْــنًى لَـــهُ سَـــأَلَ الْمُعَايَنَـــةَ الْخَلِيـــلُ)

وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ » .

اِنْتَهَتْ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

((وَمَا)) **أَيِ** : الْقَوْلُ الَّذِي ((نَحَى)) بِفَتْحِ النُّونِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيِ** : اسْتَخْرَجَ (([الْكَشَّافُ])) **أَيِ** : الزَّمَخْشَرِيُّ ((فِي)) تَفْسِيرِ سُورَةِ ((التَّكْوِيرِ)) مِنْ أَنَّ سَيِّدَنَا جِبْرِيلَ أَفْضَلُ مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَيْثُ قَالَ فِيهِ :

« وَنَاهِيكَ بِهَذَا دَلِيلًا عَلَى جَلَالَةِ مَكَانِ جِبْرِيلَ ، وَفَضْلِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، وَمُبَايَنَةِ مَنْزِلَتِهِ لِمَنْزِلَةِ أَفْضَلِ الْإِنْسِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذَا وَازَنْتَ بَيْنَ الذِّكْرَيْنِ حِينَ قَرَنَ بَيْنَهُمَا ، وَقَايَسْتَ بَيْنَ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ ﴾ [التكوير : ١٩ - ٢١] وَبَيْنَ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ ﴾ [التكوير : ٢٢] » . اهـ .

... ...

وَأُجِيب : بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْآيَةِ رَدُّ قَوْلِ الْكُفَّارِ : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] ، ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ [سبأ : ٨] ؛ لَا تَعْدَادُ فَضَائِلِهِمَا وَالْمُوَازَنَةُ بَيْنَهُمَا .

فَالْمُرَادُ : أَنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَتَلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، مِنْ صِفَتِهِ كَيْتُ وَكَيْتُ .

وَإِنَّمَا نَفَى الْجُنُونَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ ﴾ [التكوير : ٢٢] لِأَنَّهُ رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ ﴾ [الحجر : ٦] مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِدْمَاجِ .

فَتَحَصَّلَ :

أَنَّ الْمَقَامَ إِنَّمَا هُوَ فِي مَدْحِ جِبْرِيلَ ؛ وَأَمَّا النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَالْمَقْصُودُ هُوَ نَفْيُ الْجُنُونِ عَنْهُ ؛ وَأَيْضًا إِنَّ الرَّسُولَ إِذَا كَانَ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ ، فَمَا بَالُكَ بِالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ ؟! فَهُوَ أَرْفَعُ وَأَرْفَعُ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ سَيِّدِي حَمْدُونَ بْنُ الْحَاجِّ، نَفَعَنَا اللهُ بِهِ ، آمِينَ :

(أَفْضَلُ الْخَلْقِ مِنْ قَرِيبٍ وَنَاءٍ ... فَالْجَمِيعُ أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ
لَكَ جِبْرِيلُ خَادِمٌ وَرَسُولٌ ... وَرَقَتْ تَحْتَ ذَيْلِكَ الْخُدَمَاءُ
مَا لِجِبْرِيلَ وَهْوَ مِنْ نُورِهِ كَا ... نَ بِتَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ رِضَاءُ
وَالَّذِي فِي التَّكْوِيرِ يَطْلُبُهُ ذَا ... كَ الْمَقَامُ ، فَمَا عَلَيْهِ ابْتِنَاءُ
كَانَ أَصْلُ الْكَلَامِ فِي مَدْحِ جِبْرِيـ ... ـلَ ، فَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ الْإِطْرَاءُ
وَبِذَاكَ الْمَدِيحِ إِدْمَاجُ مَدْحٍ ... لِلنَّبِي دَرَتْ بِهِ الْأَذْكِيَاءُ)

اهـ .

وَخَبَرُ ((مَا)) : ((خِلَافُ إِجْمَاعِ ذَوِي)) أَيْ : أَصْحَابِ ((التَّنْوِيرِ)) بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَسُكُونِ النُّونِ ، وَكَسْرِ الْوَاوِ ؛ أَيْ : التَّبْيِينِ .

٤٤٣ – فَاحْـــذَرْ لِغَـــيْرِ مَنْعِـهِ سَمَاعَــهْ	وَاتَّبِـــــعِ السُّـــــنَّةَ وَالْجَمَاعَــــــةْ
٤٤٤ – وَفُضِّـــلَ الْمَخْصُـــوصُ بِالْإِسْـــرَاءِ	عَلَـــى الْبَرَايَــا دُونَ مَـــا اسْـــتِثْنَاءِ
٤٤٥ – وَأَفْضَــــلُ الْأُمَّـــةِ ذَاتِ الْقَــــدْرِ	أَصْـــحَابُ مَـــنْ أُعْطِـــيَ شَـــرْحَ الصَّـــدْرِ
٤٤٦ – إِذْ جَــاءَ فِي الْقُــرْءَانِ مَــا يَقْضِـي لَهُـمْ	بِالسَّـــــبْقِ فِي آيٍ حَـــــوَتْ تَفْضِـــــيلَهُمْ

((**فَاحْذَرْ لِغَيْرِ مَنْعِهِ**)) **أَيْ** : رَدِّ وَإِبْطَالِ مَا قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ ؛ صِلَةُ وَعِلَّةُ ((**سَمَاعَهْ**)) **أَيْ** : كَلَامِ الزَّمَخْشَرِيِّ ((**وَاتَّبِعِ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةْ .. وَفُضِّلَ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ((**الْمَخْصُوصُ بِالْإِسْرَاءِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ، وَفِي نُسْخَةٍ : ((**بِالْإِدْنَاءِ**)) **أَيْ** : التَّقْرِيبِ الْمَعْنَوِيِّ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَصِلَةُ ((**فُضِّلَ**)) : ((**عَلَى الْبَرَايَا**)) **أَيْ** : جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ ((**دُونَ مَا**)) زَائِدَةٌ ((**اسْتِثْنَاءِ**)) .

وَحَكَى الْإِمَامُ الرَّازِيُّ وَغَيْرُهُ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَثْنَوْهُ مِنَ الْخِلَافِ فِي تَفْضِيلِ الرُّسُلِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْعَكْسِ ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] اِتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ : « وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ » .

وَاسْتُدِلَّ أَيْضًا لِتَفْضِيلِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِآيَةِ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وَشَرَفُ الْأُمَّةِ بِشَرَفِ مَتْبُوعِهَا .

وَأَمَّا مَنْ يَلِيهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْهُمْ فِي الْفَضْلِ ، فَقَالَ الْحَافِظُ السُّيُوطِيُّ فِي نَظْمِهِ الْمُسَمَّى بِـ [الْكَوْكَبُ السَّاطِعُ] :

(يَلِيــــــهِ إِبْـــــــرَاهِيمُ ثُمَّ مُوسَــــــــى	وَنُـــــوحٌ وَالــــرُّوحُ الْكَــــرِيمُ عِيسَــــــى
وَهُـــمْ أُولُـــوا الْعَـــزْمِ ، فَمُرْسَــلُ الْأَنَـــامِ	فَالْأَنْبِيَـــــاءُ فَالْمَلَائِـــــكُ الْكِـــــرَامُ)

أَفَادَهُ ابْنُ كِيرَانَ .

((**وَأَفْضَلُ الْأُمَّةِ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَشَدِّ الْمِيمِ ((**ذَاتِ**)) **أَيْ** : صَاحِبَةِ ((**الْقَدْرِ**)) بِفَتْحِ الْقَافِ ، وَسُكُونِ الدَّالِ ؛ **أَيْ** : الشَّرَفِ .

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وَخَبَرُ ((**أَفْضَلُ**)) : ((**أَصْحَابُ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : النَّبِيِّ الَّذِي ((**أُعْطِيَ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَكَسْرِ الطَّاءِ ؛ **أَيْ** : أَعْطَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**شَرْحَ الصَّدْرِ**)) قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ [الشرح : ١] .

٤٤٧ – وَكَـــمْ أَحَادِيـــثَ عَلَـــيْهِمْ تُثْنِـــي ... كَقَوْلِـــهِ : « خَيْـــرُ الْقُـــرُونِ قَـــرْنِي »

٤٤٨ – وَقَـــوْلِ طَـــهَ الْمُصْـــطَفَى : لَـــوْ أَنْفَقَـــا ... فَجَـــلَّ مَـــنْ زَكَّـــاهُمُو وَوَفَّقَـــا

٤٤٩ – ثُمَّ يَلِيـــهِمْ تَـــابِعٌ بَـــادِي السَّـــنَا ... فَتَـــابِعٌ لِتَـــابِعٍ قَـــدْ أَحْسَـــنَا

٤٥٠ – وَالْخُلَفَـــاءُ الرَّاشِـــدُونَ الْأَرْبَعَـــةْ ... خَيْـــرُ الصَّـــحَابَةِ الْأُلَى كَـــانُوا مَعَـــهْ

٤٥١ – وَرَتِّـــبَنَّ الْفَضْـــلَ فِيمَـــا بَيْـــنَهُمْ ... عَلَـــى خِلَافَـــةٍ ، وَقَـــدِّمْ عَيْـــنَهُمْ

٤٥٢ – وَهْـــوَ أَبُـــو بَكْـــرٍ وَفَـــارُوقٌ ... وَبَعْـــدَهُ عُثْمَـــانُ وَاخْـــتِمْ بِعَلِـــي

٤٥٣ – زَوْجِ الْبَتُـــولِ بَضْـــعَةِ الرَّسُـــولِ ... مَـــنْ نَـــالَ بِالسِّـــبْطَيْنِ أَقْصَـــى السُّـــولِ

وَعَلَّلَ أَفْضَلِيَّةَ الصَّحَابَةِ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ فَقَالَ : ((**إِذْ**)) بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ ((**جَاءَ فِي الْقُرْءَانِ**)) الْعَزِيزِ ((**مَا**)) **أَيِ** : الْكَلَامُ الَّذِي ((**يَقْضِي**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : يَحْكُمُ ((**لَهُمْ**)) **أَيْ** : أَصْحَابِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**بِالسَّبْقِ**)) إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ .

وَصِلَةُ ((**جَاءَ**)) : ((**فِي آيٍ**)) بِمَدِّ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " آيَةٍ " ((**حَوَتْ**)) **أَيْ** : حَازَتْ وَجَمَعَتْ ((**تَفْضِيلَهُمْ**)) **أَيْ** : أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ [الفتح : ٢٩] الْآيَةَ ، وَقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ [الفتح : ١٨] إلَخْ ؛ وَقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

((**وَكَمْ**)) **أَيْ** : كَثِيرٌ مِنْ ((**أَحَادِيثَ**)) رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**عَلَيْهِمْ**)) **أَيْ** : أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ صِلَةُ ((**تُثْنِي**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَكَسْرٍ ((**كَقَوْلِهِ :**)) **أَيْ** : رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**« خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي »** .. **وَقَوْلِ طَهَ الْمُصْطَفَى :**)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**« لَوْ أَنْفَقَا**)) أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » ؛ وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ » .

((**فَجَلَّ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : عَظُمَ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الَّذِي ((**زَكَّاهُمُو**)) بِإِشْبَاعِ الْمِيمِ ، لِلْوَزْنِ ؛ **أَيْ** : طَهَّرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ كُلِّ دَنَسٍ

((**وَوَفَّقَا**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ وَالْفَاءِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : خَلَقَ قُدْرَةَ الطَّاعَةِ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

((**ثُمَّ يَلِيهِمْ**)) **أَيْ** : أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ فَرِيقٌ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ ((**تَابِعٌ**)) لَهُمْ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ((**بَادِي**)) **أَيْ** : ظَاهِرُ ((**السَّنَا**)) **أَيِ** : النُّورِ الْمَعْنَوِيِّ ((**فَـ**)) فَرِيقٌ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ ((**تَابِعٌ**)) فِي الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ((**لِتَابِعٍ قَدْ أَحْسَنَا**)) **أَيْ** : تَابِعُ التَّابِعِ أَعْمَالَهُ .

((**وَالْخُلَفَاءُ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ اللَّامِ مَمْدُودًا ((**الرَّاشِدُونَ**)) **أَيِ** : الْهَادُونَ لِلْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ

((**الْأَرْبَعَةْ**)) **١** – أَبُو بَكْرٍ ٢- وَعُمَرُ **٣** – وَعُثْمَانُ **٤** – وَعَلِيٌّ ؛ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ ((**خَيْرُ**)) **أَيْ** : أَفْضَلُ ((**الصَّحَابَةِ الْأُلَى**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَفَتْحِ اللَّامِ ؛ **أَيِ** : الَّذِينَ ((**كَانُوا مَعَهْ**)) **أَيْ** : رَسُولِ اللهِ صَلَّى

٤٥٤ – وَبَعْـــدَ هَـــؤُلَاءِ بَـــاقِي الْعَشْـــرَةْ طَلْحَــــةُ وَالزُّبَيْـــرُ ذَاكِـــي النَّشْـــرَةْ

٤٥٥ – وَعَـــامِرٌ وَسَـــعْدٌ السَّـــامِي الْحُلَـــى مَـــعَ ابْـــنِ عَـــوْفٍ وَسَـــعِيدٍ ذِي الْعُـــلَا

٤٥٦ – فَأَهْـــلُ بَـــدْرٍ ثُمَّ أَهْـــلُ أُحُـــدِ فَبَيْعَـــةَ الرِّضْـــوَانِ مِـــنْ بَعْـــدُ اعْـــدُدِ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

((وَرَتِّبَنَّ)) بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالْمُوَحَّدَةِ وَالنُّونِ مُثَقَّلًا ((الْفَضْلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ)) أَيِ : الْخُلَفَاءِ ؛ وَصِلَةُ ((رَتِّبْ)) :

((عَلَى)) تَرْتِيبِ ((خِلَافَةٍ)) لَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((وَقَدِّمْ)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ؛ فِي الْفَضْلِ ((عَيْنَهُمْ)) أَيْ : أَفْضَلَهُمْ ((وَهْوَ)) أَيْ : عَيْنُهُمْ ((أَبُو بَكْرٍ)) الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

((وَفَارُوقٌ)) لَقَبُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((يَلِي)) الْفَارُوقُ أَبَا بَكْرٍ فِي الْفَضْلِ ؛ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا

((وَبَعْدَهُ)) أَيِ : الْفَارُوقِ فِي الْفَضْلِ ((عُثْمَانُ)) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((وَاخْتِمِ)) الْخُلَفَاءَ ((بِعَلِي)) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((زَوْجِ الْبَتُولِ)) بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَضَمِّ الْمُثَنَّاةِ فَوْقَ ، آخِرُهُ لَامٌ .

فِي [الْقَامُوسِ] : « الْبَتُولُ : الْمُنْقَطِعَةُ عَنِ الرِّجَالِ ، لَا أَرَبَ لَهَا فِيهِمْ » .

وَمَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، لِانْقِطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ زَمَانِهَا .

((بَضْعَةِ)) بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَكَسْرِهَا ، وَسُكُونِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ؛ أَيْ : جُزْءِ ((الرَّسُولِ)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((مَنْ)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيِ : الَّذِي ((نَالَ)) أَيْ : أَدْرَكَ ((بِالسِّبْطَيْنِ)) أَيِ : ابْنَيْ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَيِّدِنَا الْحَسَنِ ، وَسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا .

وَمَفْعُولُ ((نَالَ)) : ((أَقْصَى)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ الْقَافِ ، وَفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ؛ أَيْ : أَبْعَدَ وَأَعْلَى

((السُّولِ)) بِضَمِّ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ الْمُبْدَلِ مِنْ هَمْزٍ لِلتَّخْفِيفِ ؛ أَيِ : الْمَسْئُولِ .

((وَبَعْدَ هَؤُلَاءِ)) أَيِ : الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ ((بَاقِي الْعَشْرَةْ)) الَّذِينَ بَشَّرَهُمْ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

وَبَيَّنَ بَاقِيَ الْعَشَرَةِ بِقَوْلِهِ : ((طَلْحَةُ)) بِفَتْحِ الطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، وَإِهْمَالِ الْحَاءِ ؛ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

((وَالزُّبَيْرُ)) بِضَمِّ الزَّايِ ، وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ ؛ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((ذَاكِي)) أَيْ : فَائِحُ

((النَّشْرَةْ)) أَيِ : الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ ((وَعَامِرٌ)) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((وَسَعْدٌ)) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

((السَّامِي)) أَيِ : الرَّفِيعُ ((الْحُلَى)) بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ أَيِ : الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ ((مَعَ ابْنِ عَوْفٍ)) بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْوَاوِ ، فَفَاءٍ ؛ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((وَسَعِيدٍ ذِي)) أَيْ : صَاحِبِ ((الْعُلَا)) بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ؛ أَيِ : الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَفِعَةِ ؛ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ((فَأَهْلُ)) غَزْوَةِ ((بَدْرٍ)) يَلُونَ بَاقِيَ الْعَشَرَةِ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنِ اسْتُشْهِدَ فِيهَا – وَهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ – وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُسْتَشْهَدْ فِيهَا .

... ...

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اِطَّلَعَ اللهُ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » .

وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ سَيِّدِي عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ بِقَوْلِهِ :

(فَلْيَصْنَعِ الْقَوْمُ مَا شَاءُوا لِأَنْفُسِهِمْ = هُمْ أَهْلُ بَدْرٍ فَلَا يَخْشَوْنَ مِنْ حَرَجِ)

(فَلْيَصْنَعِ الْقَوْمُ مَا شَاءُوا لِأَنْفُسِهِمْ   هُمْ أَهْلُ بَدْرٍ فَلَا يَخْشَوْنَ مِنْ حَرَجِ)

وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ ، فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ كَمَا وَرَدَ .

وَلِبَعْضِهِمْ أَيْضًا :

(يَا بَدْرُ ، أَهْلُكَ جَارُوا   وَعَلَّمُوكِ التَّجَرِّي
وَقَبَّحُوا لَكِ وَصْلِي   وَحَسَّنُوا لَكِ هَجْرِي
فَلْيَصْنَعُوا مَا يَشَاءُوا   فَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَدْرِ)

وَلَيْسَ الْمُرَادُ ظَاهِرَ الْعِبَارَةِ مِنَ الْإِبَاحَةِ ، فَإِنَّهُ خِلَافُ عَقْدِ الشَّرْعِ ، بَلْ تَشْرِيفُهُمْ وَتَكْرِيمُهُمْ بِعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ ، أَوْ يُوَفَّقُوا لِلتَّوْبَةِ .

وَقِيلَ : هِيَ شَهَادَةٌ بِعَدَمِ وُقُوعِ الذَّنْبِ . قَالَ الشَّامِيُّ : « وَفِيهِ نَظَرٌ ظَاهِرٌ ، فَإِنَّ قُدَامَةَ بْنِ مَظْعُونَ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ وَكَانَ بَدْرِيًّا » . أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ ؛ وَانْظُرْهُ .

((**ثُمَّ أَهْلُ**)) غَزْوَةِ ((**أُحُدٍ**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ جَبَلٌ مَعْرُوفٌ بِالْمَدِينَةِ ؛ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » .

يَلُونَ فِيهَا أَهْلَ بَدْرٍ ؛ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَنِ اسْتُشْهِدَ فِيهَا – وَهُمْ سَبْعُونَ – وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُسْتَشْهَدْ فِيهَا .

أُنْظُرْ عَبْدَ السَّلَامِ وَحَاشِيَتَهُ لِلْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ .

((**فَـ**)) أَهْلَ ((**بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ**)) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾

[الفتح : ١٨] الْآيَةَ .

وَإِضَافَةُ ((**بَيْعَةَ**)) لِـ ((**الرِّضْوَانِ**)) مِنْ إِضَافَةِ السَّبَبِ إِلَى الْمُسَبَّبِ ؛ مَفْعُولُ ((**اعْدُدِ**)) .

((**مِنْ بَعْدُ**)) بِالضَّمِّ عَنْدَ حَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَنِيَّةِ مَعْنَاهُ ؛ **أَيْ** : مِنْ بَعْدِ أَهْلِ أُحُدٍ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ ((**اعْدُدِ**)) فِيمَنْ لَهُمُ الْأَفْضَلِيَّةُ .

٤٥٧ – وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ صُرِّحَا ... بِفَضْلِهِمْ ، وَالْخُلْفُ فِيهِمْ شُرِحَا
٤٥٨ – وَبَعْضُ مَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ تَحَلَّى ... يَقُولُ مَنْ لِلْقِبْلَتَيْنِ صَلَّى
٤٥٩ – وَالصَّحْبُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ خِيَرَةْ ... فَمَنْ يُرِدْ وَجْهَ اهْتِدَا بِهِمْ يَرَهْ
٤٦٠ – لِأَنَّ مَنْ أَحَاطَ بِالْخَبِيِّ ... عِلْمًا حَبَاهُمْ صُحْبَةَ النَّبِيِّ

((**وَالسَّابِقُونَ**)) إِلَى الْإِسْلَامِ ((**الْأَوَّلُونَ**)) مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ((**صُرِّحَا**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ((**بِفَضْلِهِمْ**)) فِي قَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

((**وَالْخُلْفُ**)) بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، فَفَاءٍ ؛ **أَيِ** : الِاخْتِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ((**فِيهِمْ**)) **أَيِ** : السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ((**شُرِحَا**)) بِضَمِّ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الرَّاءِ .

((**وَبَعْضُ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**بِالْعِلْمِ**)) صِلَةُ ((**تَحَلَّى**)) ؛ مَنْ ((**قَدْ**)) حَرْفُ تَحْقِيقٍ ((**تَحَلَّى**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلًا مُهْمَلَ الْحَاءِ ؛ **أَيْ** : تَزَيَّنَ .

وَخَبَرُ ((**بَعْضُ**)) : ((**يَقُولُ**)) السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الْفَرِيقُ وَالْجَمْعُ الَّذِي ((**لِلْقِبْلَتَيْنِ**)) **أَيِ** : الْكَعْبَةِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ؛ صِلَةُ ((**صَلَّى**)) .

((**صَلَّى**)) بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بِأَنْوَارِ سَاكِنِهَا – عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ – بَعْدَ الْهِجْرَةِ ؛ **وَقِيلَ** : أَهْلُ بَدْرٍ ؛

وَقِيلَ : أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ .

((**وَالصَّحْبُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ خِيَرَةْ**)) بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ؛ **أَيْ** : أَفَاضِلُ ((**فَمَنْ**)) **أَيِ** : الَّذِي

((**يُرِدْ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ((**وَجْهَ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيْ** : طَرِيقَ وَدَلِيلَ ((**اهْتِدَا**)) بِالْقَصْرِ، لِلْوَزْنِ ((**بِهِمْ**)) **أَيِ** : الصَّحْبِ ((**يَرَهْ**)) فِي الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ، وَفِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ ... ﴾ [الفتح : ٢٩] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة : ١٤٣] **أَيْ** : عُدُولًا خِيَارًا .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ » .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُكُمْ قَرْنِي » ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ .

ثُمَّ احْتَجَّ النَّاظِمُ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – عَلَى عَدَالَتِهِمْ وَفَضِيلَتِهِمْ بِاخْتِصَاصِهِمْ بِمَا سَبَقَ لَهُمْ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى ، الَّذِي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْخَفِيَّاتِ ، بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَهُمْ أَئِمَّةً تَقْتَدِي بِهِمْ أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَكَفَى بِذَلِكَ تَعْدِيلًا ، إِذْ لَا تَعْدِيلَ فَوْقَ تَعْدِيلِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ :

((**لِأَنَّ مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي ((**أَحَاطَ بِالْخَبِيِّ**)) بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَأَصْلُهَا السُّكُونُ، وَالْيَاءُ بَدَلٌ مِنْ هَمْزٍ ، لِلتَّخْفِيفِ ، فَأَصْلُهُ " خَبْءٌ " مَصْدَرُ " خَبَّأْتُ الشَّيْءَ / أَخْبَؤُهُ / خَبْأً " مِنْ بَابِ " نَفَعَ " ؛ **أَيْ** : سُتْرَتِهِ ؛ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الشَّيْءِ الْمَخْبُوءِ ، وَنَحْوُهُ : ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان : ١١] .

٤٦١ – فَهُـــمْ نُجُــومٌ فِي السُّـــرَى، مَـــنِ اقْتَـــدَى بِهِـــــمْ إِلَى مَعَـــــالِمِ الْحَـــــقِّ اهْتَــــــدَى

٤٦٢ – فَــلَا تَخُــضْ فِيمَــا مِــنَ الْأَمْــرِ اخْــتَلَطْ بَيْنَهُمُـــــو، وَاحْــــذَرْ إِذَا خُضْـــتَ الْغَلَـــطْ

((عِلْمًا)) تَمْيِيزٌ مُحَوَّلٌ عَنْ فَاعِلِ ((أَحَاطَ)) . ((حَبَاهُمْ)) أَيْ : أَعْطَاهُمْ ((صُحْبَةَ النَّبِيِّ)) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَمَّهُمْ هُدَاهُ .

((فَهُمْ)) أَيِ : الصَّحْبُ ((نُجُومٌ)) أَيْ : كَالنُّجُومِ ((فِي السُّرَى)) أَصْلُهُ السَّيْرُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الدِّينُ ؛ صِلَةُ ((اقْتَدَى)) . ((مَنِ)) أَيِ : الَّذِي ((اقْتَدَى بِهِمْ)) أَيِ : الصَّحْبِ ((إِلَى مَعَالِمِ)) أَيْ : عَلَامَاتِ ((الْحَقِّ)) صِلَةُ ((اهْتَدَى)) .

((فَلَا تَخُضْ)) بِفَتْحٍ فَضَمٍّ ((فِيمَا)) أَيِ : الَّذِي ((مِنَ الْأَمْرِ)) بَيَانُ ((ــمَا)) أَوْ صِلَةُ ((اخْتَلَطْ)) أَيْ : وَقَعَ ((بَيْنَهُمُو)) أَيْ : الصَّحْبِ ؛ بِإِشْبَاعِ الْمِيمِ ، لِلْوَزْنِ ((وَاحْذَرْ إِذَا خُضْتَ)) فِيهِ ((الْغَلَطْ)) ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا » .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْعَدَوِيُّ فِي حَاشِيَةِ أَبِي الْحَسَنِ :

« **قَوْلُهُ** : " فَأَمْسِكُوا " بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ ، مِنْ " أَمْسَكَ " **أَيْ** : وُجُوبًا عَنِ الْقَبِيحِ بِأَقْسَامِهِ ، وَنَدْبًا أَكِيدًا عَنِ الْمَكْرُوهِ ، وَغَيْرَ أَكِيدٍ عَنِ الْمُبَاحِ وَالْحَسَنِ ، وَإِنِ اخْتُلِفَ بِالنِّسْبَةِ لَهُمَا ؛ هَذَا مَا ظَهَرَ لِي ، وَكَذَا بِالْحَسَنِ حَيْثُ أَمْكَنَ الْأَحْسَنُ ، وَهُوَ أَيْضًا أَضْعَفُ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ » . اهـ .

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الْعَدَوِيُّ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْحَاشِيَةِ :

« وَلَا يَخْفَى أَنَّ ذِكْرَهُمْ بِالْقَبِيحِ إِمَّا كُفْرٌ ، كَأَنْ قَالَ : " إِنَّهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ وَكُفْرٍ " ، لِأَنَّهُ أَنْكَرَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ .

وَهَلْ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ كَالْمُرْتَدِّ ، أَوْ لَا كَالزِّنْدِيقِ ؟ خِلَافٌ .

وَإِمَّا مَعْصِيَةٌ ، إِنْ ذَكَرَهُمْ بِمَا يُوجِبُ الْحَدَّ ، فَيُحَدُّ وَيُنَكَّلُ بَعْدَ ذَلِكَ النَّكَالَ الشَّدِيدَ ؛ وَكَذَا إِذَا ذَكَرَهُمْ بِقَبِيحٍ لَا يُوجِبُ الْحَدَّ ، إِلَّا أَنَّهُ يُجْلَدُ الْجَلْدَ الشَّدِيدَ ، وَيُخَلَّدُ فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ .

وَأَمَّا ذِكْرُهُمْ بِالْمَكْرُوهِ فَمَكْرُوهٌ ؛ وَبِخِلَافِ الْأَوْلَى فَخِلَافُ الْأَوْلَى ، وَكَذَا بِالْمُبَاحِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَضْعَفُ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ عَلَى الظَّاهِرِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ، أَيْ مِنْ قَوْلِي : " وَأَمَّا ذِكْرُهُمْ بِالْمَكْرُوهِ ... " إِلَخْ » . اهـ .

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي ، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي ، مَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ ، وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ » .

أَيْ : اتَّقُوا اللهَ ثُمَّ اتَّقُوا اللهَ ؛ أَوْ أَنْشُدُكُمُ اللهَ ثُمَّ أَنْشُدُكُمُ اللهَ فِي حَقِّ أَصْحَابِي وَتَعْظِيمِهِمْ . « لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا »

٤٦٣ – وَالْتَمِسَـــنَّ أَحْسَـــنَ الْمَخَـــارِجِ لَهُـــمْ ، فَالِاجْتِهَـــادُ ذُو مَعَـــارِجِ

أَيْ: كَالْغَرَضِ الَّذِي يُرْمَى بِالسِّهَامِ ، فَتَرْمُوهُمْ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي لَا تُنَاسِبُ مُقَامَهُمْ . « فَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ » **أَيْ** : تَعَدَّى حُدُودَهُ وَخَالَفَهُ ؛ فَفِيهِ مُشَاكَلَةٌ ، وَإِلَّا فَحَقِيقَةُ الْإِيذَاءِ عَلَى اللهِ تَعَالَى مُحَالَةٌ .
« وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ » **أَيْ** : يَقْرُبُ « أَنْ يَأْخُذَهُ» **أَيْ** : يُعَذِّبَهُ .
وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَمَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا » .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :
« **قِيلَ** : الصَّرْفُ : النَّفْلُ ؛ وَالْعَدْلُ : الْفَرْضُ ؛ وَقِيلَ عَكْسُهُ ؛ **وَقِيلَ** : الصَّرْفُ : الْوَزْنُ ؛ وَالْعَدْلُ : الْكَيْلُ . وَهَذَا فِي الْمُسْتَحِلِّ ، أَوْ خَارِجٌ مَخْرَجَ الْمُبَالَغَةِ ؛ **وَالْمُرَادُ** : نَفْيُ الْكَمَالِ ؛ وَظَاهِرُهُ صِحَّةُ لَعْنِ غَيْرِ الْمُعَيَّنِ مِنَ الْعُصَاةِ » .
اِهـ .

((وَالْتَمِسَنَّ)) بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَالنُّونِ مُثَقَّلًا ؛ **أَي** : اطْلُبْ **((أَحْسَنَ الْمَخَارِجِ))** بِفَتْحِ الْمِيمِ : **أَي** : التَّأْوِيلَاتِ **((لَهُمْ))** **أَي** : الصَّحْبِ **((فَالِاجْتِهَادُ ذُو))** **أَيْ** : صَاحِبُ **((مَعَارِجٍ))** بِفَتْحِ الْمِيمِ : **أَي** : دَرَجَاتٍ ؛ وَهُمْ مُجْتَهِدُونَ فِيمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْحُرُوبِ ، وَكُلُّ مُجْتَهِدٍ مَأْجُورٌ وَإِنْ أَخْطَأَ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمَرْعَشِيُّ فِي [نَشْرُ الطَّوَالِعِ] :
« (**الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ** : **فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ**) :
يَجِبُ تَعْظِيمُ جَمِيعِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالْكَفُّ عَنْ مَطَاعِنِهِمْ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِمْ، وَتَرْكُ التَّعَصُّبِ وَالْبُغْضِ لِأَجْلِ خُرُوجِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَتَرْكُ الْإِفْرَاطِ فِي مَحَبَّةِ بَعْضِهِمْ عَلَى وَجهٍ يُفْضِي إِلَى عَدَاوَةِ آخَرِينَ مِنْهُمْ وَالْقَدْحِ فِيهِمْ ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ ... ﴾ [التحريم : ٨] الْآيَةَ .
وَقَدْ أَحَبَّهُمُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، وَأَوْصَى أُمَّتَهُ بِعَدَمِ سَبِّهِمْ وَبُغْضِهِمْ وَأَذَاهُمْ ؛ وَمَا وَرَدَ مِنَ الْمَطَاعِنِ – فَعَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ – لَهُ مَحَامِلُ وَتَأْوِيلَاتٌ ؛ وَمَعَ ذَلِكَ ، لَا يُعَادِلُ مَا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِهِمْ ، وَحُكِيَ عَنْ آثَارِهِمْ الْمَرْضِيَّةِ ، وَسِيَرِهِمُ الْحَمِيدَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ؛ نَفَعَنَا اللهُ بِمَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ » . اِهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ صَاحِبُ [الْجَزَائِرِيَّةِ] :

(وَلْتُمْسِكِ الْقَوْلَ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمْ وَلْتَشْتَغِلْ بِالَّذِي يَغْنِيكَ مِنْ عَمَلِ
وَأَبْغِضْ – هُدِيتَ – جَمِيعَ الْمُبْغِضِينَ لَهُمْ وَلَوْ أَحَبُّوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي
فَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ حُبٌّ لَهُ وَهُمْ لِغَيْرِهِ فِي مَسَاوِي الْقَوْلِ فِي خَطَلِ)

قَالَ شَارِحُهَا الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ السَّلَامِ اللَّقَانِيُّ :

« ((وَلْتُمْسِكِ الْقَوْلَ عَمَّا كَانَ)) بَيْنَ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُخَاصَمَاتِ الَّتِي قُتِلَ بِسَبَبِهَا الْكَثِيرُ مِنْهُمْ ؛ بَعْدَ ثُبُوتِهِ وَصِحَّتِهِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَلَا مِمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الدِّينِ ، بَلْ رُبَّمَا أَضَرَّ بِالْيَقِينِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا " ؛ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ [الفتح : ٢٩] الْآيَةَ .

وَلَا فَرْقَ فِي وُجُوبِ الْإِمْسَاكِ عَنِ الْقَوْلِ فِيهِمْ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَوَامِّ ، مَا لَمْ تَدْعُ إِلَى ذَلِكَ حَاجَةٌ ، كَتَعْلِيمٍ وَتَدْرِيسٍ وَإِفْتَاءٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَأَمَّا الْعَوَامُّ ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمُ الْخَوْضُ فِي ذَلِكَ ، لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ ، وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِالتَّأْوِيلِ ؛ فَمُخَاصَمَةُ فَاطِمَةَ لِأَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – كَانَتْ حِينَ مَنَعَهَا مِيرَاثَهَا مِنْ أَبِيهَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَبْلَ أَنْ يُبَلِّغَهَا الصِّدِّيقُ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ " .

وَوُقُوفُ عَلِيٍّ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – إِنَّمَا كَانَ عَتْبًا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَعْتَبَهُ بَايَعَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ .

وَكَذَلِكَ وُقُوفُهُ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عَنِ الِاقْتِصَاصِ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – إِنَّمَا كَانَ لِخَوْفِ الْخَلْعِ وَتَزَايُدِ الْفَسَادِ ؛ وَقَدْ نَصَرَهُ وَأَعَانَهُ ، فَمَنَعَهُ عُثْمَانُ ، وَسَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى اللهِ تَعَالَى .

وَمَا كَانَ مِنْ عَائِشَةَ ، وَالزُّبَيْرِ ، وَطَلْحَةَ ، وَمُعَاوِيَةَ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – إِنَّمَا كَانَ عَنِ اجْتِهَادٍ أَوْ تَقْلِيدٍ فِي جَوَازِ مُحَارَبَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ؛ وَلَكِنَّ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ – كَمَا صَرَّحَ بِهِ السَّعْدُ ، وَالْغَزَّالِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا – أَنَّ الْمُصِيبَ هُوَ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ دُونَ غَيْرِهِمْ ؛ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَفِي [جَمْعِ الْجَوَامِعِ] وَشَرْحِ الْمَحَلِّيِّ عَلَيْهِ :

« ((**وَنُمْسِكُ عَمَّا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ**)) مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُحَارَبَاتِ الَّتِي قُتِلَ بِسَبَبِهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَتِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ مِنْهَا أَيْدِينَا ، فَلَا نُلَوِّثُ بِهَا أَلْسِنَتَنَا ((**وَنَرَى الْكُلَّ مَأْجُورِينَ**)) فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الِاجْتِهَادِ فِي مَسْأَلَةٍ ظَنِّيَّةٍ ، لِلْمُصِيبِ فِيهَا أَجْرَانِ عَلَى اجْتِهَادِهِ وَإِصَابَتِهِ ، وَلِلْمُخْطِئِ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ ، كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ : " إِنَّ الْحَاكِمَ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ " » . اِنْتَهَى . رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى .

... ...

قَالَ الْكَمَالُ ابْنُ أَبِي شَرِيفٍ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَيْهِ :

« لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ نَازَعَ عَلِيًّا – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا – فِي الْإِمَامَةِ ، إِنَّمَا كَانَتِ الْمُنَازَعَةُ بِسَبَبِ تَسْلِيمِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَى عَشِيرَتِهِ لِيَقْتَصُّوا مِنْهُمْ ، لِأَنَّ عَلِيًّا – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – رَأَى تَأْخِيرَ تَسْلِيمِهِمْ أَصْوَبَ ، لِأَنَّ الْمُبَادَرَةَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِمْ – مَعَ كَثْرَةِ عَشَائِرِهِمْ ، وَاخْتِلَاطِهِمْ بِالْعَسْكَرِ – يُؤَدِّي إِلَى اضْطِرَابِ أَمْرِ الْإِمَامَةِ الْعَامَّةِ ، فَإِنَّ بَعْضَهُمْ عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى عَلِيٍّ وَقَتْلِهِ لَمَّا نَادَى يَوْمَ الْجَمَلِ بِأَنْ يَخْرُجَ عَنْهُ قَتَلَةُ عُثْمَانَ .

وَرَأَى مُعَاوِيَةُ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – الْمُبَادَرَةَ بِتَسْلِيمِهِمْ لِلِاقْتِصَاصِ مِنْهُمْ أَصْوَبَ .

فَكُلٌّ مِنْهُمَا مُجْتَهِدٌ مَأْجُورٌ » . اِهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ الْعَلَّامَةُ اللَّقَانِيُّ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ فِي [جَوْهَرَتِـ]ـهِ :

(٨٠ – وَأَوِّلِ التَّشَـــاجُرَ الَّـــــذِي وَرَدْ إِنْ خُضْــتَ فِيـــهِ ، وَاجْتَنِــبْ دَاءَ الْحَسَــدْ) :

« **قَالَ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ** : " وَالَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ ، أَنَّ الْمُصِيبَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ " ؛

وَالتَّحْقِيقُ : أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ عُدُولٌ ، مُتَأَوِّلُونَ فِي تِلْكِ الْحُرُوبِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخُاصَمَاتِ وَالْمُنَازَعَاتِ ، لَمْ يُخْرِجْ شَيْءٌ مِنْهَا أَحَدًا مِنْهُمْ عَنْ عَدَالَتِهِ ، إِذْ هُمْ مُجْتَهِدُونَ اخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلَ ظَنِّيَّةٍ مِنْ مَحَلِّ الِاجْتِهَادِ ، كَمَا يَخْتَلِفُ الْمُجْتَهِدُونَ بَعْدَهُمْ فِي مَسَائِلَ ظَنِّيَّةٍ مِنَ الدِّمَاءِ وَغَيْرِهَا ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ نَقْصُ أَحَدٍ مِنْهُمْ " . اِهـ .

قَالَ الْغَزَّالِيُّ :

"وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُصِيبَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ : عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ؛ وَالْمُخْطِئَ : مُعَاوِيَةُ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – وَأَصْحَابُهُ.

فَإِنْ قُلْنَا : كُلُّ مُجْتَهِدٍ فِي الْفُرُوعِ مُصِيبٌ ؛ فَلَا إِشْكَالَ .

وَإِنْ قُلْنَا : الْمُصِيبُ وَاحِدٌ ؛ فَالْمُخْطِئُ فِي الِاجْتِهَادِ فِي الْفُرُوعِ – مَعَ انْتِفَاءِ التَّقْصِيرِ عَنْهُ – مَأْجُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ " .

وَسَبَبُ تِلْكَ الْحُرُوبِ أَنَّ الْقَضَايَا كَانَتْ مُشْتَبِهَةً ، فَلِشِدَّةِ اشْتِبَاهِهَا اخْتَلَفَ اجْتِهَادُهُمْ ، **وَصَارُوا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ** :

١ – قِسْمٌ ظَهَرَ لَهُمْ بِالِاجْتِهَادِ أَنَّ الْحَقَّ فِي هَذَا الطَّرَفِ ، وَأَنَّ مُخَالِفَهُ بَاغٍ ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ نُصْرَتُهُ وَقِتَالُ الْبَاغِي عَلَيْهِ فِيمَا اعْتَقَدُوهُ ؛ فَفَعَلُوا ذَلِكَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ التَّأَخُّرُ عَنْ مُسَاعَدَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ فِي اعْتِقَادِهِ .

٢ – وَقِسْمٌ عَكْسُهُ سَوَاءً بِسَاءٍ ، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الطَّرَفَ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُخَالِفُوهُ عَلَى الْحَقِّ ؛ فَيَجِبُ نُصْرَةُ مَنْ هُوَ عَلَى الْحَقِّ عَلَى مَنْ ظَهَرَ أَنَّهُ عَلَى الْبَاطِلِ .

٣ – وَقِسْمٌ ثَالِثٌ اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ ، وَتَحَيَّرُوا فِيهَا ، فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ تَرْجِيحُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ ، فَاعْتَزَلُوا الْفَرِيقَيْنِ ؛ وَكَانَ هَذَا الِاعْتِزَالُ هُوَ الْوَاجِبَ ، لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ الْإِقْدَامُ عَلَى قِتَالِ مُسْلِمٍ حَتَّى يَظْهَرَ اسْتِحْقَاقُهُ لِذَلِكَ .

وَبِالْجُمْلَةِ : فَكُلُّهُمْ مَعْذُورُونَ مَأْجُورُونَ ؛ وَلِهَذَا اتَّفَقَ أَهْلُ الْحَقِّ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِ شَهَادَتِهِمْ وَرِوَايَاتِهِمْ وَتَحَقُّقِ عَدَالَتِهِمْ حَتَّى يَثْبُتَ الْقَادِحُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ فِي مُعَيَّنٍ، فَيُعْمَلُ فِي حَقِّهِ بِمُقْتَضَى مَا ثَبَتَ .

هَذَا ، وَالْأَمْرُ فِي قَوْلِي :

٤٦٤ – وَلَا تُصِــــخْ لِمَــــنْ أَبَى الْكَرَامَـــةْ لِلْأَوْلِيَــــــاءِ ، وَاجْتَنِـــــبْ مَرَامَــــــهْ

(٨٠ – وَأَوِّلِ التِّشَــــــاجُرَ الَّــــــذِي وَرَدْ إِنْ خُضْـــــتَ فِيـــــهِ ، ... ...)

لِلْوُجُوبِ . وَإِنَّمَا قُلْتُ :

(٨٠ – ... ... إِنْ خُضْـــــتَ فِيـــــهِ، ... ...)

لِأَنَّ بَعْضَ الْمُحَقِّقِينَ قَالَ : " إِنَّ الْبَحْثَ عَنْ أَحْوَالِ الصَّحَابَةِ – رُضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ – وَعَمَّا جَرَى بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُوَافَقَةِ وَالْمُخَالَفَةِ ، لَيْسَ مِنَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَلَا مِنَ الْقَوَاعِدِ الْكَلَامِيَّةِ ، وَلَيْسَ هُوَ مِمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الدِّينِ ، بَلْ رُبَّمَا أَضَرَّ بِالْيَقِينِ " . وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْقَوْمُ مِنْهَا نُتَفًا فِي كُتُبِهِمْ ، صَوْنًا لِلْقَاصِرِينَ عَنِ التَّأْوِيلِ عَنِ اعْتِقَادِ ظَوَاهِرِ حِكَايَاتِ الرَّافِضَةِ وَرِوَايَتِهَا ، لِيَجْتَنِبَهَا مَنْ لَا يَصِلُ إِلَى حَقِيقَةِ عِلْمِهَا ، وَلِأَنَّ الْخَوْضَ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا يُبَاحُ لِلتَّعْلِيمِ ، أَوْ لِلرَّدِّ عَلَى الْمُتَعَصِّبِينَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ ظَاهِرَهَا فِيهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، أَوْ لِتَدْرِيسِ كُتُبٍ تَشْتَمِلُ عَلَى تِلْكَ الْآثَارِ ؛ فَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ لِلْعَوَامِّ ، لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ بِالتَّأْوِيلِ ، كَمَا قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

((**وَلَا تُصِخْ**)) بِضَمِّ التَّاءِ ، وَكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَإِعْجَامِ الْخَاءِ ؛ **أَيْ** : لَا تُصْغِ وَلَا تَسْتَمِعْ ((**لِـ**)) **قَوْلِ** ((**ـمَنْ**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**أَبَى**)) **أَيْ** : مَنَعَ وَأَنْكَرَ ((**الْكَرَامَةْ لِلْأَوْلِيَاءِ**)) كَالْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفِرَائِينِيِّ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الْحَلِيمِيِّ ، وَجُمْهُورِ الْمُعْتَزِلَةِ ؛ مُتَمَسِّكِينَ بِأَنَّهُ لَوْ ظَهَرَتِ الْخَوَارِقُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لَالْتَبَسَ النَّبِيُّ بِغَيْرِهِ ، لِأَنَّ الْخَارِقَ إِنَّمَا هُوَ الْمُعْجِزَةُ .

وَفِيهِ : أَنَّهُ لَيْسَ فِي وُقُوعِهَا الْتِبَاسُ النَّبِيِّ بِغَيْرِهِ ، لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْمُعْجِزَةِ وَالْكَرَامَةِ ، بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ فِي الْأُولَى ، وَعَدَمِهَا فِي الثَّانِيَةِ؛ وَبِأَنَّهُ لَوْظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ لَكَثُرَتْ بِكَثْرَتِهِمْ ، وَخَرَجَتْ عَنْ كَوْنِهَا خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، وَالْفَرْضُ أَنَّهَا كَذَلِكَ ؛

وَفِيهِ : أَنَّا لَا نُسَلِّمُ أَنَّهَا تَخْرُجُ بِكَثْرَتِهَا عَنْ كَوْنِهَا خَارِقَةً لِلْعَادَةِ ، بَلْ غَايَةُ الْأَمْرِ اسْتِمْرَارُ خَرْقِ الْعَادَةِ ، وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ كَوْنَهُ عَادَةً .

وَهِيَ : أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، يَظْهَرُ عَلَى يَدِ عَبْدٍ ظَاهِرِ الصَّلَاحِ، مُلْتَزِمٍ لِمُتَابَعَةِ نَبِيٍّ كُلِّفَ بِشَرِيعَتِهِ ، مَصْحُوبٍ بِصَحِيحِ الِاعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، عَلِمَ بِهَا أَوْ لَمْ يَعْلَمْ .

وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ؛ فَانْظُرْهُ .

((**وَاجْتَنِبْ مَرَامَهْ**)) **أَيْ** : مَقْصُودَ مُنْكِرِ الْكَرَامَةِ ، لِثُبُوتِهَا بِآيَاتِ الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ، كَقِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَمَرْيَمَ ، وَآصَفَ .

وَعِبَارَةُ ابْنِ كِيرَانَ :

« **[تَتِمَّةٌ]** :

كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ عِنْدَنَا حَقٌّ ؛ وَأَنْكَرَتْهَا الْمُعْتَزِلَةُ ، قَالُوا : لِئَلَّا تَلْتَبِسَ بِالْمُعْجِزَةِ فَلَا يَتَمَيَّزُ النَّبِيُّ مِنْ غَيْرِهِ .

٤٦٥ – وَنَـــــزِّهِ الْقُـــــرْءَانَ أَنْ تَقُـــــولَا بِخَلْقِـــــهِ ، وَاسْتَوْضِـــــحِ الْمَعْقُـــــولَا

٤٦٦ – لِأَنَّـــــهُ وَصْـــــفُ الْإِلَـــــهِ جَـــــلَّا وَمُعْجِـــــزُ الـــــنَّظْمِ عَلَيْـــــهِ دَلَّا

٤٦٧ – فَـــــذَلِكَ الْمَتْلُـــــوُّ وَالْمَـــــدْلُولُ عَلَيْـــــهِ مَـــــا عَـــــنْ قِـــــدَمٍ يَحُـــــولُ

وَالْجَوَابُ :

أَنَّهَا غَيْرُ مَقْرُونَةٍ بِدَعْوَى الرِّسَالَةِ وَلَا النُّبُوَّةِ ، فَهِيَ – فِي الْحَقِيقَةِ – مُعْجِزَاتٌ لِمَتْبُوعِهِمْ ، كَمَا قَالَ فِي [الْهَمْزِيَّةِ] :

(٤٤٣ – وَالْكَرَامَـــاتُ مِـــنْهُمُ مُعْجِـــزَاتٌ نَالَهَـــا مِـــنْ نَوَالِـــكَ الْأَوْلِيَـــاءُ)

وَكَيْفَ تُنْكَرُ كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ وَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ فِي الْجُمْلَةِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ ؟! وَإِنْ كَانَتِ التَّفَاصِيلُ آحَادًا ، كَجَرَيَانِ النِّيلِ بِكِتَابِ عُمَرَ ، وَرُؤْيَتِهِ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ جَيْشَهُ بِـ " نَهَاوَنْدَ " حَتَّى قَالَ لِأَمِيرِ الْجَيْشِ : " يَا سَارِيَةُ ، الْجَبَلَ الْجَبَلَ " مُحَذِّرًا لَهُ مَنْ وَرَاءَ الْجَبَلِ ، لِكُمُونِ الْعَدُوِّ هُنَاكَ ؛ وَسَمَاعِ سَارِيَةَ كَلَامَهُ مَعَ بُعْدِ الْمَسَافَةِ ؛ وَكَشُرْبِ خَالِدٍ السُّمَّ مِنْ غَيْرِ تَضَرُّرٍ بِهِ ؛ وَكَتَكَلُّمِ الْكَلْبِ لِأَصْحَابِ الْكَهْفِ ، ... وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفِرَائِينِيُّ : " مَا كَانَ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ لَا يَكُونُ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ ، كَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً ، وَفَلْقِ الْبَحْرِ ... " قَالَ : " وَإِنَّمَا مَبْلَغُ الْكَرَامَةِ إِجَابَةُ دَعْوَةٍ ، أَوْ مُوَافَاةُ مَاءٍ فِي بَادِيَةٍ فِي غَيْرِ تَوَقُّعِ الْمِيَاهِ ، ... وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَنْحَطُّ عَنْ خَرْقِ الْعَادَةِ " .

وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ : " الْكَرَامَاتُ تَكُونُ خَارِقَةً ، وَلَكِنْ لَا تَنْتَهِي إِلَى حُصُولِ إِنْسَانٍ بِلَا أَبَوَيْنِ ، أَوْ قَلْبِ جَمَادٍ بَهِيمَةً ، ... أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ " .

وَقَالَ جُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ : " كُلُّ مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ ، جَازَ أَنْ يَكُونَ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ " .

فَخَصَّصَ ابْنُ السُّبْكِيِّ عُمُومَهُ فِي [مَنْعُ الْمَوَانِعِ] بِكَلَامِ الْقُشَيْرِيِّ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي [جَمْعُ الْجَوَامِعِ] ؛ وَاعْتَرَضَهُ الزَّرْكَشِيُّ بِأَنَّ مَا قَالَهُ الْقُشَيْرِيُّ مَرْدُودٌ ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ حَتَّى وَلَدُهُ أَبُو نَصْرٍ فِي كِتَابِهِ [الْمُرْشِدُ] .

فَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ : مَا أَطْلَقُوهُ مِنْ أَنَّ كُلَّ مَا جَازَ كَوْنُهُ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ ، جَازَ كَوْنُهُ كَرَامَةً لِوَلِيٍّ ، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا التَّحَدِّي » . اهـ .

((**وَنَزِّهِ**)) بِفَتْحِ النُّونِ ، وَكَسْرِ الزَّايِ مُثَقَّلًا ((**الْقُرْءَانَ**)) الْعَزِيزَ عَنْ ((**أَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ ؛ صِلَتُهُ ((**تَقُولَا**)) بِفَتْحٍ فَضَمٍّ ، بِأَلِفِ الْإِطْلَاقِ ((**بِخَلْقِهِ**)) **أَيِ** : الْقُرْءَانِ ((**وَاسْتَوْضِحِ الْمَعْقُولَا**)) **أَيِ** : الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ الدَّالَّ عَلَى أَنَّ الْقُرْءَانَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ((**لِأَنَّهُ**)) **أَيِ** : الْقُرْءَانَ ((**وَصْفُ الْإِلَهِ**)) الْمُسْتَحِيلِ وَصْفُهُ بِمَخْلُوقٍ ((**جَلَّا**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ **أَيْ** : عَظُمَ عَنِ الِاتِّصَافِ بِمَخْلُوقٍ ((**وَمُعْجِزُ النَّظْمِ**)) **أَيِ** : الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ الْمُعْجِزِ الْمُنَزَّلِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**عَلَيْهِ**)) **أَيِ** : الْقُرْءَانِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ وَصْفُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ صِلَةُ ((**دَلَّا**)) بِفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَاللَّامِ مُثَقَّلًا ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ كَلَامٌ لَفْظِيٌّ فَلَهُ كَلَامٌ نَفْسِيٌّ ((**فَذَلِكَ**)) **أَيْ** : وَصْفُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – هُوَ ((**الْمَتْلُوُّ وَالْمَدْلُولُ عَلَيْهِ مَا**)) نَافِيَةٌ ((**عَنْ قِدَمٍ**)) بِكَسْرٍ فَفَتْحٍ ؛ صِلَةُ ((**يَحُولُ**)) **أَيْ** : يَتَحَوَّلُ .

٤٦٨ – وَالْحَــرْفُ وَالصَّــوْتُ كَــذَا الــتِّلَاوَةْ مُحْدَثَـــــــةٌ ، وَغَيْـــــــرُ ذَا غَبَـــــــاوَةْ

((**وَالْحَرْفُ وَالصَّوْتُ كَذَا**)) **أَيِ** : الْمَذْكُورِ مِنَ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ فِي الْحُدُوثِ ((**التِّلَاوَةْ**)) .

وَخَبَرُ ((**الْحَرْفُ وَالصَّوْتُ**)) : ((**مُحْدَثَةٌ**)) بِفَتْحِ الدَّالِ ((**وَغَيْرُ ذَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ذَكَرْتُهُ ، وَهُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْحَرْفَ وَالصَّوْتَ قَدِيمَانِ ((**غَبَاوَةْ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : جَهَالَةٌ عَظِيمَةٌ .

وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ :

« الْقَائِلُ بِخَلْقِ الْقُرْءَانِ – بِمَعْنَى اللَّفْظِ الْمُنَزَّلِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَافِرٌ » .

فَمُؤَوَّلٌ ، كَمَا فِي شَرْحِ مُلَّا عَلِيٍّ الْقَارِيِّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ] لِلْإِمَامِ الْأَعْظَمِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ؛ وَنَصُّهُ :

« وَاعْلَمْ أَنَّ مَا جَاءَ فِي كَلَامِ الْإِمَامِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ تَكْفِيرِ الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْءَانِ ، فَمَحْمُولٌ عَلَى كُفْرَانِ النِّعْمَةِ ، لَا كُفْرِ الْخُرُوجِ مِنَ الْمِلَّةِ .

وَأَمَّا حَدِيثُ : " مَنْ قَالَ : إِنَّ الْقُرْءَانَ مَخْلُوقٌ ؛ فَقَدْ كَفَرَ " فَغَيْرُ ثَابِتٍ ، مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْآحَادِ، وَقَابِلٌ لِلتَّأْوِيلِ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِـ " الْمَخْلُوقِ " : الْمُخْتَلَقُ ؛ بِمَعْنَى الْمُفْتَرَى ؛ وَمَعَ هَذَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ : " الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ " ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيهَامِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ ، وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بِاعْتِبَارِ بَعْضِ إِطْلَاقَاتِ الْقُرْءَانِ ، فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الْقِرَاءَةِ ، كَقُرْءَانِ الْفَجْرِ ؛ وَيُطْلَقُ عَلَى الْمُصْحَفِ ، كَحَدِيثِ : " لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْءَانِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ " ؛ وَيُطْلَقُ عَلَى كَلَامِهِ الْقَدِيمِ » . اهَـ .

وَقَوْلُهُ : « وَمَعَ هَذَا لَا يَجُوزُ ... » إِلَخْ. **أَيْ** : فِي غَيْرِ مَقَامِ التَّعْلِيمِ ، وَأَمَّا هُوَ فَيَجُوزُ ذَلِكَ فِيهِ ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْعَلَّامَةُ اللَّقَانِيُّ فِي شَرْحِ [جَوْهَرَتِـ]ـهِ .

وَحَاصِلُ ذَلِكَ :

أَنَّ الْقُرْءَانَ يُطْلَقُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ :

١ – الْأَوَّلُ : كَلَامُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الْقَائِمُ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

٢ – وَالثَّانِي : اللَّفْظُ الْمُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٣ – وَالثَّالِثُ : قِرَاءَتُنَا .

فَالْأَوَّلُ : يَسْتَحِيلُ خَلْقُهُ عَقْلًا .

وَالثَّانِي : يَحْرُمُ إِطْلَاقُ الْمَخْلُوقِ عَلَيْهِ شَرْعًا لَا عَقْلًا .

وَالثَّالِثُ : يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْمَخْلُوقِ عَلَيْهِ شَرْعًا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ ؛ وَمَنَعَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ .

وَعِبَارَةُ ابْنِ كِيرَانَ :

« ١٢ – **وَالثَّانِيَةَ عَشْرَةَ** : "كَلَامٌ " ، وَهُوَ – كَمَا يُؤْخَذُ مِنَ [الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ]– صِفَةٌ لَهُ تَعَالَى ، لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ

الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ ، مُنَافِيَةٌ لِلسُّكُوتِ وَالْآفَةِ .

وَفِي قَوْلِهِ : " صِفَةٌ لَهُ " رَدٌّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ لَيْسَ صِفَةً لَهُ ، وَإِنَّمَا أَوْجَدَ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ فِي مَحَالِّهَا ، أَوْ أَشْكَالِ الْكِتَابَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَإِنْ لَمْ يُقْرَأْ ؛ عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ . وَهُوَ بَاطِلٌ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ مَأْخَذُ الِاشْتِقَاقِ – كَالْكَلَامِ – لَا يَصِحُّ بِالضَّرُورَةِ وَصْفُهُ بِالْمُشْتَقِّ – كَالْمُتَكَلِّمِ – ؛ وَإِنْ أَوْجَدَ ذَلِكَ الْمَأْخَذَ فِي غَيْرِهِ ، فَإِنَّ الْمُتَحَرِّكَ مَنْ قَامَتْ بِهِ الْحَرَكَةُ ، لَا مَنْ أَوْجَدَهَا ؛ وَالْأَصَحُّ عَدَمُ اتِّصَافِ الْبَارِي بِالْأَعْرَاضِ الْمَخْلُوقَةِ لَهُ ، كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ .

وَفِي قَوْلِهِ : " لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ " رَدٌّ عَلَى الْحَنَابِلَةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ كَلَامَهُ عَرَضٌ مِنْ جِنْسِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ قَدِيمٌ !! ؛ وَهُوَ جَهْلٌ أَوْ عِنَادٌ ، إِذِ الضَّرُورَةُ قَاضِيَةٌ بِأَنَّ الْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ حَادِثَةٌ ، مَشْرُوطٌ حُدُوثُ بَعْضِهَا بِانْقِضَاءِ الْبَعْضِ يَمْتَنِعُ التَّكَلُّمُ بِحَرْفٍ مِنْهَا دُونَ انْقِضَاءِ مَا قَبْلَهُ .

وَعَلَى أَكْثَرِ الْحَشْوِيَّةِ الْقَائِلِينَ إِنَّ كَلَامَهُ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ حَادِثَةٌ ؛ وَالْتَزَمُوا حُلُولَ الْحَوَادِثِ فِي الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ .

وَإِذَا كَانَ كَلَامُهُ تَعَالَى بِغَيْرِ حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ — **أَيْ** : وَلَا إِعْرَابٍ ، وَلَا لَحْنٍ ، وَلَا تَقْدِيمٍ فِيهِ وَلَا تَأْخِيرٍ – فَهُوَ مَعْنًى نَفْسِيٌّ.

وَمِثْلُهُ ثَابِتٌ فِي الشَّاهِدِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُخْبِرُ ، يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ مَعْنًى ، ثُمَّ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْعِبَارَةِ ، أَوِ الْكِتَابَةِ ، أَوِ الْإِشَارَةِ ؛ وَهُوَ غَيْرُ الْعِلْمِ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُخْبِرُ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ ، بَلْ يَعْلَمُ خِلَافَهُ .

وَغَيْرُ الْإِرَادَةِ ، لِأَنَّهُ قَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَا يُرِيدُهُ ، كَمَنْ أَمَرَ عَبْدَهُ قَصْدًا إِلَى إِظْهَارِ عِصْيَانِهِ .

وَإِلَى الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ أَشَارَ الْأَخْطَلُ ، إِذْ قَالَ :

(إِنَّ الْكَـــــلَامَ لَفِــــي الْفُـــؤَادِ وَإِنَّمَـــا   جُعِـــلَ اللِّسَـــانُ عَلَـــى الْفُـــؤَادِ دَلِـــيلَا)

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : " إِنِّي زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَةً " .

وَكَثِيرًا مَا تَقُولُ لِصَاحِبِكَ : " إِنَّ فِي نَفْسِي كَلَامًا أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ " .

وَقَوْلُهُ : " مُنَافِيَةٌ لِلسُّكُوتِ وَالْآفَةِ " .

السُّكُوتُ : تَرْكُ التَّكَلُّمِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

وَأَرَادَ بِـ " الْآفَةِ " : عَدَمُ مُطَاوَعَةِ الْآلَاتِ ، إِمَّا بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ – كَمَا فِي الْخَرَسِ – أَوْ بِحَسَبِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ بُلُوغِهَا حَدَّ الْقُوَّةِ ، كَمَا فِي الطُّفُولِيَّةِ .

فَإِنْ قِيلَ : السُّكُوتُ وَالْخَرَسُ وَالضَّعْفُ إِنَّمَا تُنَافِي الْكَلَامَ اللَّفْظِيَّ لَا النَّفْسِيَّ، وَالَّذِي هُوَ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ هُوَ النَّفْسِيُّ ؟ .

قُلْنَا : الْمُرَادُ بِالسُّكُوتِ وَالْآفَاتِ : النَّفْسِيَّانِ ، بِأَنْ لَا يُرِيدَ فِي نَفْسِهِ التَّكَلُّمَ ، أَوْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ .

فَالْكَلَامُ لَفْظِيٌّ وَنَفْسِيٌّ ، وَضِدُّهُ كَذَلِكَ .

فَإِنْ قِيلَ : الْكَلَامُ النَّفْسِيُّ الْقَدِيمُ – الَّذِي هُوَ صِفَةُ اللهِ تَعَالَى – هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُسْمَعَ ؟ .

قِيلَ : ذَهَبَ الْأَشْعَرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – إِلَى جَوَازِ ذَلِكَ ، وَقَالَ : " إِنَّهُ الْمَسْمُوعُ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ … "

قَالَ : "كَمَا عُقِلَ رُؤْيَةُ مَا لَيْسَ جِسْمًا وَلَا لَوْنًا ، فَلْيُعْقَلْ سَمَاعُ مَا لَيْسَ صَوْتًا " .

... ...

وَعَلَى هَذَا ذَهَبَ صَاحِبُ [الرِّسَالَةِ] إِذْ قَالَ : " كَلَّمَ اللهُ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ " .
وَاخْتَارَ هَذَا الْمَذْهَبَ الْغَزَّالِيُّ ، وَعَلَيْهِ بَنَى السَّنُوسِيُّ قَوْلَهُ فِي شَرْحِ [الْكُبْرَى] :

" لَيْسَ مَعْنَى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء : ١٦٤] أَنَّهُ ابْتَدَأَ الْكَلَامَ لَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ سَاكِتًا ، وَلَا أَنَّهُ انْقَطَعَ كَلَامُهُ بَعْدَمَا كَلَّمَهُ ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ **وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ** : أَنَّهُ – تَعَالَى بِفَضْلِهِ – رَفَعَ الْمَانِعَ عَنْ مُوسَى ، وَخَلَقَ لَهُ سَمْعًا وَقَوَّاهُ ، حَتَّى أَدْرَكَ بِهِ كَلَامَهُ الْقَدِيمَ ؛ ثُمَّ مَنَعَهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ قَبْلَ سَمَاعِ كَلَامِهِ ؛ وَهَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ أَيْضًا .
وَمَنَعَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفِرَائِينِيُّ سَمَاعَ مَا لَيْسَ بِصَوْتٍ ، وَاخْتَارَهُ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ ، وَقَوَّاهُ ابْنُ الْهُمَامِ فِي [الْمُسَايَرَةِ] .
فَعِنْدَ هَؤُلَاءِ ، سَمِعَ سَيِّدُنَا مُوسَى صَوْتًا دَالًّا عَلَى كَلَامِ اللهِ تَعَالَى النَّفْسِيِّ الْقَدِيمِ .
وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – كَانَ يَسْمَعُ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ .
قَالَ فِي شَرْحِ [الصُّغْرَى] : " وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – كَانَ يَسُدُّ أُذُنَيْهِ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْمُنَاجَاةِ ، لِئَلَّا يَسْمَعَ كَلَامَ النَّاسِ فَيَمُوتَ مِنْ شِدَّةِ قُبْحِهِ ، وَوَحْشَةِ حَقِيقَتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَلَامِ اللهِ تَعَالَى الْقَدِيمِ الْمِثَالِ ، حَتَّى تَطُولَ الْمُدَّةُ وَيُنْسِيَهُ اللهُ لَذَّةَ ذَلِكَ السَّمَاعِ » . اهـ .
وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ :
« إِنَّمَا كَلَّمَ اللهُ مُوسَى بِقَدْرِ مَا يُطِيقُ ، فَغَشِيَهُ النُّورُ فَمَكَثَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا مَاتَ مِنْ نُورِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَكَانَ يَلْبَسُ عَلَى وَجْهِهِ بُرْقُعًا ، خَشْيَةَ أَنْ يَمُوتَ مَنْ يَرَاهُ ؛ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : أَمْتِعْنِي بِنَظْرَةٍ مِنْكَ . فَرَفَعَ الْبُرْقُعَ ، فَأَصَابَهَا مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ ، فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى وَجْهِهَا ، وَخَرَّتْ للهِ سَاجِدَةً » .
وَقَالَ وَهْبُ بْنِ مُنَبِّهٍ : « مَا قَرُبَ مُوسَى امْرَأَةً مُنْذُ كَلَّمَهُ رَبُّهُ » .
قَالَ عُرْوَةُ بْنُ رُوَيْمٍ : « قَالَتِ امْرَأَةُ مُوسَى لَهُ : إِنِّي أَيِّمٌ مِنْكَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

وَالْمُعْتَزِلَةُ لَمَّا أَنْكَرُوا الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ الْقَدِيمَ ، وَقَالُوا : لَا نَعْقِلُ كَلَامًا إِلَّا بِصَوْتٍ وَحَرْفٍ . زَعَمُوا أَنَّ مَعْنَى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ [النساء : ١٦٤] : خَلَقَ فِي شَجَرَةٍ أَصْوَاتًا وَحُرُوفًا سَمِعَ مِنْهَا مَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَيْهِ .
فَإِنْ قُلْتَ : هَلْ سَمَاعُ الْكَلَامِ الْقَدِيمِ الْأَزَلِيِّ فِي الدُّنْيَا بِلَا وَاسِطَةٍ مُخْتَصٌّ بِمُوسَى ؟ .
قُلْتُ : الصَّحِيحُ لَا ، وَإِنِ اخْتُصَّ بِاسْمِ الْكَلِيمِ ، لِأَنَّ وَجْهَ التَّسْمِيَةِ لَا يَجِبُ اطِّرَادُهُ ، فَقَدْ شَارَكَهُ الْمُصْطَفَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ، كَمَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ الْعِرَاقِيُّ فِي [أَلْفِيَّةُ السِّيَرِ] ، إِذْ قَالَ :

(ثُمَّ دَنَـــا حَـــتَّى رَأَى الْإِلَاهَـــا ... بِعَيْنِـــهِ مُخَاطَبًـــا شَـــفَاهَا)

بِفَتْحِ طَاءِ « مُخَاطَبًا » .
كَمَا أَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – لَمْ تَقَعْ لَهُ رُؤْيَةٌ ، وَأَنَّهَا خَاصَّةٌ بِالْمُصْطَفَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ .
قَالَ فِي [الْمَرَاصِدِ] :

(ثُمَّ الَّـــذِي قَـــدْ صَـــحَّحُوا فِي الرُّؤْيَـــةِ ... أَنَّ رَبَّنَـــا اخْـــتَصَّ بِهَـــا نَبِيَّـــهُ)

وَأَمَّا مَا رُوِيَ أَنَّ السَّبْعِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ مُوسَى سَمِعُوا كَلَامَ اللهِ وَشَهِدُوا بِذَلِكَ ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ اللهَ كَلَّمَهُمْ وَإِنْ سَمِعُوا كَلَامَهُ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَسْمَعُ كَلَامَ مَنْ لَا يُكَلِّمُهُ. قَالَهُ الْفَاكِهَانِيُّ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ كَلَامَ اللهِ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى النَّفْسِيِّ الْأَزَلِيِّ الْقَائِمِ بِذَاتِهِ تَعَالَى ، يُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْعِبَارَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ ، الْمَسْمُوعَةِ لَنَا ، كَالْقُرْءَانِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَمِنْهُ : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] .
وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى نُقُوشِ الْكِتَابَةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِ عَائِشَةَ : « مَا بَيْنَ دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ كَلَامُ اللهِ » .
وَعَلَى الْمَحْفُوظِ فِي الصُّدُورِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَخَيَّلَةِ ، كَمَا يُقَالُ : " حَفِظْتُ كَلَامَ اللهِ " .
وَيُطْلَقُ الْقُرْءَانِ بِالِاعْتِبَارَاتِ الْأَرْبَعَةِ ؛ وَالْقَدِيمُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ .
وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : « الْقُرْءَانُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ ، فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ » . ذَكَرَهُ السَّعْدُ فِي شَرْحِ [النَّسَفِيَّةِ] .
قَالَ الزَّرْكَشِيُّ : « وَرُوِيَ مِنْ وُجُوهٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [الزمر : ٢٨] قَالَ : غَيْرَ مَخْلُوقٍ » .
وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ : « سَمِعْتُ مَشْيَخَتَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ : الْقُرْءَانُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ » . وَأَرَادَ بِمَشْيَخَتِهِ : جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ، كَجَابِرٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَكَابِرِ التَّابِعِينَ .

وَقَالَ عَلِيٌّ : « مَا حَكَّمْتُ مَخْلُوقًا ، وَإِنَّمَا حَكَّمْتُ الْقُرْءَانَ !! » .
وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ الْإِنْسَانَ فِي ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ ، وَقَالَ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ ؛ وَذَكَرَ الْقُرْءَانَ فِي أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا ، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ ؛ وَلَمَّا جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرحمن : ١ – ٣] .
وَذَكَرَ السَّعْدُ عَنِ الْمَشَايِخِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ : " الْقُرْءَانُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ " ؛ وَلَا يُقَالَ : " الْقُرْءَانُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ " ؛ لِئَلَّا يَسْبِقَ إِلَى الْفَهْمِ أَنَّ الْمُؤَلَّفَ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَالْحُرُوفِ قَدِيمٌ ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْحَنَابِلَةُ جَهْلًا أَوْ عِنَادًا .
وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَمْنَعُونَ أَنْ يُقَالَ : " الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ " وَلَوْ أُرِيدَ بِهِ اللَّفْظُ الْمُنَزَّلُ لِلْإِعْجَازِ ، دَفْعًا لِإِيهَامِ خَلْقِ الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ .
وَقَدْ سَأَلَ رَجُلٌ الْإِمَامَ مَالِكًا – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – عَمَّنْ يَقُولُ : الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ ؟ .
فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ؛ فَقَالَ السَّائِلُ : إِنَّمَا حَكَيْتُهُ عَنْ غَيْرِي !! فَقَالَ : إِنَّمَا سَمِعْنَاهُ مِنْكَ .
وَهَذَا زَجْرٌ وَتَغْلِيظٌ ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَمْ يُنَفِّذْ قَتْلَهُ .

وَاخْتَلَفُوا ، هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : " لَفْظِي بِالْقُرْءَانِ مَخْلُوقٌ " ؟ وَعَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَالْأَكْثَرُ ؛ أَوْ لَا ؟ وَعَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ .
وَفِي [طَبَقَاتِ السُّبْكِيِّ] أَنَّ الْحُسَيْنَ الْكَرَابِيسِيَّ – مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ ، وَمِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – سُئِلَ :

« مَا تَقُولُ فِي الْقُرْءَانِ ؟ قَالَ : كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ؛ فَقِيلَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي لَفْظِي بِالْقُرْءَانِ ؟ قَالَ : مَخْلُوقٌ . فَأَتَى السَّائِلُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : هَذِهِ بِدْعَةٌ » .

قَالَ تَقِيُّ الدِّينِ : « يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُهُ عَلَى أَنَّ الْخَوْضَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِدْعَة ، إِذْ لَمْ يَخُضْ فِيهَا الْمُصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَا أَصْحَابُهُ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – وَلَمْ يُرِدْ أَنَّ الْأَصْوَاتَ وَالْحُرُوف غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ ، لِأَنَّهُ يُتَحَاشَى عَنْ هَذَا ؛ وَاجْتَرَأَتِ الْمُعْتَزِلَةُ عَلَى إِطْلَاقِ أَنَّ الْقُرْءَانَ مَخْلُوقٌ » .

قَالَ السَّعْدُ : « وَلَمْ يَتَوَارَدْ إِثْبَاتُهُمْ وَنَفْيُنَا عَلَى مَحَلٍّ وَاحِدٍ ، بَلْ نَفْيُنَا الْمَخْلُوقِيَّةَ مَبْنِيٌّ عَلَى إِثْبَاتِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ ؛ وَإِثْبَاتُهُمُ الْمَخْلُوقِيَّةَ مَبْنِيٌّ عَلَى نَفْيِهِمُ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ ؛ فَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِقِدَمِ الْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ ، بَلْ بِقِدَمِ النَّفْسِيِّ الْقَائِمِ بِذَاتِهِ تَعَالَى ؛ فَالْقُرْءَانُ إِنْ أُرِيدَ بِهِ الْكَلَامُ النَّفْسِيُّ ، فَغَيْرُ مَخْلُوقٍ ؛ وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ الْأَلْفَاظُ ، فَلَا نُطْلِقُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ إِلَّا عِنْدَ الْبَيَانِ ، لَا فِي كُلِّ مَقَامٍ ، لِئَلَّا يَذْهَبَ الْوَهْمُ إِلَى الْقَائِمِ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ .

وَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِحُدُوثِ كَلَامٍ نَفْسِيٍّ ، إِذْ لَمْ يُثْبِتُوهُ أَصْلًا، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ إِطْلَاقُ الْقُرْءَانِ إِلَّا عَلَى الْأَلْفَاظِ ، وَهِيَ حَادِثَةٌ ، فَأَطْلَقُوا أَنَّ الْقُرْءَانَ حَادِثٌ ، إِذْ لَا مَحْذُورَ عِنْدَهُمْ وَلَا إِيهَامَ » .

وَدَلِيلُنَا : إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ ، وَتَوَاتُرُ النَّقْلِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – أَنَّهُ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ ؛ وَلَا مَعْنَىً لَهُ سِوَى أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالْكَلَامِ ، لَا خَالِقٌ لَهُ ؛ وَيَمْتَنِعُ قِيَامُ اللَّفْظِ الْحَادِثِ بِذَاتِهِ ، فَتَعَيَّنَ النَّفْسِيُّ الْقَدِيمُ .

وَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُمْ عَلَى الْمَخْلُوقِيَّةِ بِأَنَّ الْقُرْءَانَ مُتَّصِفٌ بِمَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَسِمَاتِ الْحُدُوثِ ، مِنَ التَّأْلِيفِ ، وَالْإِنْزَالِ ، وَكَوْنِهِ عَرَبِيًّا ، مَسْمُوعًا ، فَصِيحًا ، مُعْجِزًا ، ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّمَا يَقُومُ حُجَّةً عَلَى الْحَنَابِلَةِ لَا عَلَيْنَا ، لِأَنَّا قَائِلُونَ بِحُدُوثِ النَّظْمِ ، وَإِنَّمَا نَفَيْنَا الْمَخْلُوقِيَّةَ عَنِ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ .

وَمِنْ أَقْوَى شُبَهِ الْمُعْتَزِلَةِ : أَنَّكُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ " الْقُرْءَانَ " اسْمٌ لِمَا نُقِلَ إِلَيْنَا بَيْنَ دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ تَوَاتُرًا ؛ وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ مَكْتُوبًا فِي الْمَصَاحِفِ ، مَقْرُوءًا بِالْأَلْسُنِ ، مَسْمُوعًا بِالْآذَانِ ، مَحْفُوظًا فِي الصُّدُورِ ؛ وَهَذَا سِمَاتُ الْحُدُوثِ بِالضَّرُورَةِ !.

أَجَابَ أَئِمَّتُنَا : بِأَنَّ اعْتِرَافَنَا بِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ ، مَقْرُوءٌ بِالْأَلْسِنَةِ ، مَسْمُوعٌ بِالْآذَانِ ؛ لَا يَسْتَلْزِمُ حُلُولَهُ فِيهَا ، بَلْ هُوَ مَعْنَىً قَدِيمٌ يُلْفَظُ وَيُسْمَعُ بِالنَّظْمِ الدَّالِّ عَلَيْهِ ، وَيُحْفَظُ بِالْأَلْفَاظِ الْمُتَخَيَّلَةِ فِي الذِّهْنِ ، وَيُكْتَبُ بِأَشْكَالِ الْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ ، كَمَا يُقَالُ : " النَّارُ جَوْهَرٌ مُحْرِقٌ " ؛ فَيُذْكَرُ بِاللَّفْظِ ، وَيُسْمَعُ بِالْآذَانِ ، وَيُعْرَفُ بِالْقَلْبِ ، وَيُكْتَبُ بِالْقَلَمِ ؛ وَلَا يَلْزَمُ كَوْنُ حَقِيقَةِ النَّارِ حَالَّةً فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَتَحْقِيقُهُ : أَنَّ لِلشَّيْءِ وُجُودًا فِي :

١ – الْأَعْيَانِ .

٢ – وَوُجُودًا فِي الْأَذْهَانِ .

٣ – وَوُجُودًا فِي الْعِبَارَةِ .

٤ – وَوُجُودًا فِي الْكِتَابَةِ .

فَالْكِتَابَةُ تَدُلُّ عَلَى الْعِبَارَةِ ؛ وَهِيَ عَلَى مَا فِي الْأَذْهَانِ ؛ وَهُوَ عَلَى مَا فِي الْأَعْيَانِ .

... ...

فَحَيْثُ يُوصَفُ الْقُرْءَانُ بِمَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْقَدِيمِ – كَمَا فِي قَوْلِنَا : الْقُرْءَانُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ – فَالْمُرَادُ : حَقِيقَتُهُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْخَارِجِ ، أَعْنِي : الْمَعْنَى النَّفْسِيَّ الْقَائِمَ بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ .

وَحَيْثُ يُوصَفُ بِمَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُحْدَثَاتِ ، يُرَادُ بِهِ : الْأَلْفَاظُ الْمَنْطُوقَةُ الْمَسْمُوعَةُ ؛ كَمَا فِيحَدِيثِ : " مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنِ التَّرَنُّمِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْءَانِ " .

أَوِ الْمُتَخَيَّلَةُ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] ، وَكَحَدِيثِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ : " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ ، عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ " .

أَوِ الْأَشْكَالُ الْمَنْقُوشَةُ ، كَحَدِيثِ الطَّبَرَانِي فِي [الْكَبِيرِ] : " لَا يَمَسَّ الْقُرْءَانَ إِلَّا طَاهِرٌ " ؛ وَحَدِيثِ : " لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْءَانِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ " .

فَإِنْ قُلْتَ : وَصْفُ الْقُرْءَانِ بِمَا ذُكِرَ ، مِنْ كَوْنِهِ مَقْرُوءًا ، مَسْمُوعًا ، مَحْفُوظًا ، مَكْتُوبًا ؛ حَقِيقَةٌ أَوْ مَجَازٌ ؟ .

قُلْتُ : إِنْ أُرِيدَ بِهِ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَصْفَ بِمَا ذُكِرَ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ ، مِنْ إِسْنَادِ مَا لِلدَّالِّ إِلَى الْمَدْلُولِ .

وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ الْمَلْفُوظُ – وَتَسْمِيَتُهُ " قُرْءَانًا " حَقِيقَةٌ أَيْضًا عَلَى الصَّحِيحِ – فَوَصْفُهُ بِأَنَّهُ مَقْرُوءٌ وَمَسْمُوعٌ حَقِيقَةٌ ؛ وَبِأَنَّهُ مَحْفُوظٌ وَمَكْتُوبٌ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ .

وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ الْأَلْفَاظُ الْمُتَخَيَّلَةُ فِي الذِّهْنِ ، أَوْ نُقُوشُ الْكِتَابَةِ – وَتَسْمِيَةُ كُلٍّ مِنْهُمَا قُرْءَانًا مَجَازٌ – فَوَصْفُ الْأَلْفَاظِ الْمُتَخَيَّلَةِ بِأَنَّهَا مَحْفُوظَةٌ حَقِيقَةٌ ؛ وَبِأَنَّهَا مَقْرُوءَةٌ ، وَمَسْمُوعَةٌ ، وَمَكْتُوبَةٌ مَجَازٌ ؛ وَوَصْفُ النُّقُوشِ بِأَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ حَقِيقَةٌ ؛ وَبِأَنَّهَا مَقْرُوءَةٌ ، وَمَسْمُوعَةٌ، وَمَحْفُوظَةٌ مَجَازٌ .

فَإِطْلَاقُ صَاحِبِ [جَمْعِ الْجَوَامِعِ] أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا حَقِيقَةٌ لَا مَجَازٌ ، اِعْتَرَضَهُ اللَّقَانِيُّ ، وَنَقَلَ عَنْ شَرْحِ [الْمَقَاصِدِ] مَا يَشْهَدُ لِمَا فَصَّلْنَاهُ .

هَذَا ، وَذَهَبَ الْعَضُدُ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى فِي قَوْلِ مَشَايِخِنَا : " كَلَامُ اللهِ مَعْنًى قَدِيمٌ فِي مُقَابَلَةِ الْعَيْنِ ، لَا فِي مُقَابَلَةِ اللَّفْظِ " .

فَمُرَادُهُمْ : أَنَّ الْقُرْءَانَ اسْمٌ لِلَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، شَامِلٌ لَهُمَا ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدِيمٌ ، لَا كَمَا زَعَمَتِ الْحَنَابِلَةُ مِنْ قِدَمِ اللَّفْظِ الْمُؤَلَّفِ الْمُرَتَّبِ الْأَجْزَاءِ ، فَإِنَّهُ بَدِيهِيُّ الِاسْتِحَالَةِ ؛ بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ اللَّفْظَ الْقَائِمَ بِالنَّفْسِ لَيْسَ مُرَتَّبَ الْأَجْزَاءِ فِي نَفْسِهِ ، كَالْقَائِمِ بِنَفْسِ الْحَافِظِ مِنْ غَيْرِ تَرَتُّبِ الْأَجْزَاءِ ؛ وَتَقْدِيمُ الْبَعْضِ عَلَى الْبَعْضِ وَالتَّرَتُّبُ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي التَّلَفُّظِ وَالْقِرَاءَةِ ، لِعَدَمِ مُسَاعَدَةِ الْآلَةِ .

أَمَّا اللَّفْظُ الْقَائِمُ بِذَاتِ اللهِ ، فَلَا تَرْتِيب فِيهِ ، حَتَّى إِنَّ مَنْ سَمِعَ كَلَامَ اللهِ سَمِعَهُ غَيْرَ مُرَتَّبِ الْأَجْزَاءِ ، لِعَدَمِ احْتِيَاجِهِ إِلَى الْآلَةِ.

قَالَ السَّعْدُ : « وَهَذَا حَسَنٌ لِمَنْ يَتَعَقَّلُ لَفْظًا قَائِمًا بِالنَّفْسِ، غَيْرَ مُؤَلَّفٍ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَنْطُوقَةِ أَوِ الْمُتَخَيَّلَةِ ، الْمَشْرُوطِ وُجُودِ بَعْضِهَا بِعَدَمِ الْبَعْضِ ، وَنَحْنُ لَا نَتَعَقَّلُهُ » .

هَذَا ، وَنُقِلَ عَنْ دَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ : " أَنَّ الْقُرْءَانَ مُحْدَثٌ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ " ؛ وَنُسِبَ لِلْبُخَارِيِّ . فَكَأَنَّهُمَا اقْتَصَرَا عَلَى مَا وَرَدَ إِطْلَاقُهُ فِي آيَةِ : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ... ﴾ [الأنبياء : ٢] .

وَكَانَ أَوَّلُ ظُهُورِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْءَانِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ ، إِلَّا أَنَّ الرَّشِيدَ لَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ ، وَكَانَ النَّاسُ فِيهِ بَيْنَ أَخْذٍ وَتَرْكٍ ، فَلَمَّا وُلِّيَ الْمَأْمُونُ ، حَمَلَ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ ، وَلَمَّا مَرِضَ عَهِدَ لِأَخِيهِ الْمُعْتَصِمِ ، وَأَوْصَاهُ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ فَفَعَلَ ، وَضَرَبَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ ، وَسَجَنَهُ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ شَهْرًا ، ثُمَّ تُوُفِّيَ الْمُعْتَصِمُ ؛ فَوُلِّيَ ابْنُهُ الْوَاثِقُ ، فَأَظْهَرَ ذَلِكَ ، وَامْتَحَنَ بِهِ ، وَقَتَلَ عَلَيْهِ أَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ الْخُزَاعِيَّ ، وَنَصَبَ رَأْسَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَدَارَ إِلَى الْقِبْلَةِ ، فَأَجْلَسَ رَجُلًا مَعَهُ رُمْحٌ ، فَكَانَ كُلَّمَا دَارَ الرَّأْسُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، أَدَارَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ .

وَرُؤِيَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَذْكُورُ فِي النَّوْمِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي وَرَحِمَنِي، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ مَهْمُومًا ، مُنْذُ ثَلَاثٍ مَرَّ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَرَّتَيْنِ ، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنِّي ، فَغَمَّنِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا مَرَّ الثَّالِثَةَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لِمَ تُعْرِضُ عَنِّي ؟! أَلَسْتُ عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟! فَقَالَ : حَيَاءً مِنْكَ ، إِذْ قَتَلَكَ رَجُلٌ مِنْ آلِ بَيْتِي .

وَرُوِيَ عَنِ الْمُهْتَدِي وَلَدِ الْوَاثِقِ أَنَّ أَبَاهُ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ بِمُنَاظَرَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ بَيْنَ شَيْخٍ سُنِّيٍّ وَبَيْنَ أَبِي دَاوُدَ ، فَلَمْ يَمْتَحِنْ بَعْدَهَا أَحَدًا إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَلَمَّا وُلِّيَ الْمُتَوَكِّلُ أَخُو الْوَاثِقِ بِعَهْدٍ مِنْهُ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، رَفَعَ الْمِحْنَةَ بِخَلْقِ الْقُرْءَانِ ، وَأَظْهَرَ السُّنَّةَ ، وَأَمَرَ بِنَشْرِ الْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَأَعَزَّ أَهْلَ السُّنَّةِ ، فَخَمَدَتِ الْمُعْتَزِلَةُ ، وَكَانُوا قَبْلُ فِي قُوَّةٍ وَنَمَاءٍ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ شَرٌّ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَعْطَاهُ عَطَايَا ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ أَنَّ الْمَعْنَى الْقَدِيمَ مَدْلُولُ الْقُرْءَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ ، وَفِي ذَلِكَ تَسَامُحٌ ؛ وَالْحَقُّ – كَمَا لِلْعَبَّادِيِّ وَغَيْرِهِ – أَنَّ مَدْلُولَ الْقُرْءَانِ بَعْضُ مُتَعَلَّقَاتِ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ ، وَكَذَا التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَسَائِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ .

فَالْمَعْنَى الْقَدِيمُ لَيْسَ مَدْلُولَ الْقُرْءَانِ ، بَلْ هُمَا دَالَّانِ اجْتَمَعَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعَانِي الْقُرْءَانِ ، وَزَادَ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ بِمَدْلُولَاتٍ لَا تَتَنَاهَى ، لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِجَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ وَالْجَائِزَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ ، كَالْعِلْمِ ؛ وَلِذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا … ﴾ [الكهف : ١٠٩] الْآيَةَ ، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ … ﴾ [لقمان : ٢٧] الْآيَةَ .

فَكَلِمَاتُهُ مُتَعَلِّقَاتُ كَلَامِهِ ، وَهِيَ مَعْلُومَاتُهُ ، وَهِيَ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ ؛ وَمَاءُ الْبِحَارِ ، وَأَقْلَامُ الشَّجَرِ مُتَنَاهِيَةٌ ، وَالْمُتَنَاهِي لَا يَفِي بِغَيْرِ الْمُتَنَاهِي قَطْعًا .

وَلَمَّا تَسَامَحُوا فِي قَوْلِهِمْ : " إِنَّ الْمَعْنَى الْقَدِيمَ مَدْلُولُ أَلْفَاظِ الْقُرْءَانِ " بَنَوْا عَلَى ذَلِكَ أَنَّ مَدْلُولَ الْقُرْءَانِ قَدِيمٌ ، وَنَاقَشَهُمُ الْقَرَافِيُّ فِي شَرْحِ [الْأَرْبَعِينَ] بِأَنَّ مَدْلُولَاتِ الْقُرْءَانِ مِنْهَا الْقَدِيمُ ، كَمَدْلُولِ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؛ وَالْحَادِثُ، كَمَدْلُولِ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص : ٤] .

وَلَوْ تَنَبَّهَ لِتَسَامُحِهِمْ ، لَمْ يُنَاقِشْهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ .

ثُمَّ الْكَلَامُ الْأَزَلِيُّ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَكَثُّرَ فِيهَا ، كَسَائِرِ صِفَاتِ الْمَعَانِي .

فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ الْكَلَامُ يَتَنَوَّعُ إِلَى أَمْرٍ، وَنَهْيٍ ، وَخَبَرٍ ، … وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَا يُعْقَلُ خُلُوُّهُ عَنْهَا ؟ .

... ...

قُلْنَا: هَذِهِ الْأَقْسَامُ أَنْوَاعٌ اعْتِبَارِيَّةٌ حَاصِلَةٌ بِحَسَبِ الْمُتَعَلَّقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، فَلَا يَتَكَثَّرُ الْكَلَامُ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ مُتَعَلَّقَاتِهِ ، كَمَا لَا يَتَكَثَّرُ الْعِلْمُ وَغَيْرُهُ بِكَثْرَةِ مُتَعَلَّقَاتِهِمَا ، فَمِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُهُ بِشَيْءٍ عَلَى وَجْهِ الِاقْتِضَاءِ لِفِعْلِهِ ، يُسَمَّى أَمْرًا ، أَوْ لِتَرْكِهِ ، يُسَمَّى نَهْيًا ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِعْلَامِ بِهِ ، يُسَمَّى خَبَرًا ... وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسُ .

لَكِنِ اخْتُلِفَ : هَلْ هَذِهِ الْأَنْوَاعُ الِاعْتِبَارِيَّةُ أَزَلِيَّةٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَأْمُورٌ ، وَلَا مَنْهِيٌّ ، وَلَا مُخْبَرٌ ، لِأَنَّ اللهَ عَالِمٌ بِأَنَّهُ سَيُوجَدُ فِيمَا لَا يَزَالُ ، فَهُوَ مَنْزِلَةُ الْوُجُودِ فِيهِ ؟ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ .

أَوْ إِنَّمَا يَتَنَوَّعُ الْكَلَامُ إِلَى هَذِهِ الْأَنْوَاعِ فِيمَا لَا يَزَالُ عِنْدَ وُجُودِ مَنْ تَتَعَلَّقُ بِهِ ، فَيَكُونُ التَّنَوُّعُ حَادِثًا مَعَ قِدَمِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَنْوَاعًا حَقِيقِيَّةً كَمَا مَرَّ ؟ وَعَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدِ بِنْ كُلَّابٍ ، كَرْمَانُ ، أَحَدُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ قَبْلَ الْأَشْعَرِيِّ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ : « وَرُوِيَ عَنِ الْمُهْتَدِي وَلَدِ الْوَاثِقِ أَنَّ أَبَاهُ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ بِمُنَاظَرَةٍ ... » إلَخ .

فِي حَاشِيَةِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ عَلَى عَبْدِ السَّلَامِ مَا نَصُّهُ :

« وَذَكَرَ الْكَمَالُ الدِّمِيرِيُّ حِكَايَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاثِقَ رَجَعَ عَنْ هَذَا الِاعْتِقَادِ ؛ وَهِيَ : أَنَّ شَيْخًا حَضَرَهُ فَنَاظَرَهُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ ، وَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي الْقُرْءَانِ ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ : الْمَسْأَلَةُ لِي ؛ قَالَ سَلْ ؛ قَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْءَانِ ؟ قَالَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ : هُوَ مَخْلُوقٌ ؛ قَالَ الشَّيْخُ : هَذَا شَيْءٌ عَلِمَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، أَمْ لَمْ يَعْلَمُوهُ ؟

فَقَالَ : لَمْ يَعْلَمُوهُ ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ : سُبْحَانَ اللهِ !! شَيْءٌ يَجْهَلُهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالْأَئِمَّةُ بَعْدَهُ ، وَتَعْلَمُهُ يَا لُكَعَ بْنِ لُكَعٍ ؟! فَخَجِلَ » ثُمَّ قَالَ : « أَقِلْنِي وَالْمَسْأَلَةُ بِحَالِهَا . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : عَلِمُوهُ وَلَمْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ وَلَا أَظْهَرُوهُ لَهُمْ . فَقَالَ لَهُ : أَلَا وَسِعَكَ وَوَسِعَنَا مَا وَسِعَهُمْ مِنَ السُّكُوتِ ؟! . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْوَاثِقُ ، دَخَلَ الْخَلْوَةَ وَاسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ ، وَجَعَلَ يُكَرِّرُ الْإِلْزَامَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا الشَّيْخُ ؛ وَيُرْوَى أَنَّهُ جَعَلَ ثَوْبَهُ فِي فِيهِ مِنَ الضَّحِكِ عَلَى ابْنِ أَبِي دَاوُدَ ، وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ ؛ ثُمَّ أَمَرَ الْحَاجِبَ أَنْ يُطْلِقَ الشَّيْخَ وَيُعْطِيَهُ أَرْبَعمِائَةَ دِينَارٍ . كَذَا فِي الْيُوسِيِّ عَلَى [الْكُبْرَى] » . اهـ .

وَانْظُرْ هَذِهِ الْحَاشِيَةَ .

وَقَوْلُهُ : « وَنَاقَشَهُمُ الْقَرَافِيُّ ... » إلَخ .

اِعْلَمْ أَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمَّا قَالُوا : " إِنَّ الْمَعْنَى الْقَدِيمَ مَدْلُولٌ لِلْقُرْءَانِ وَغَيْرِهِ " . أَرَادُوا : الدَّلَالَةَ الْعَقْلِيَّةَ الِالْتِزَامِيَّةَ الْعُرْفِيَّةَ ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْعُقَلَاءِ لَا يُضِيفُونَ الْكَلَامَ اللَّفْظِيَّ إِلَّا لِمَنْ لَهُ كَلَامٌ نَفْسِيٌّ ، دُونَ مَنْ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ ، كَالْجَمَادِ ؛ وَقَدْ أُضِيفَ لَهُ تَعَالَى الْكَلَامُ اللَّفْظِيُّ ، فَإِنَّهُ كَلَامُ اللهِ قَطْعًا ، بِمَعْنَى أَنَّهُ خَلَقَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِيبِهِ كَسْبٌ ، لَا بِمَعْنَى أَنَّهُ قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى .

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ مُرَادَهُمْ ذَلِكَ ، فَلَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مَا قَالَهُ الْقَرَافِيُّ ، لِأَنَّهُ فَهِمَ أَنَّ الْمُرَادَ : الْمَدْلُولُ الْوَضِعِيُّ ، فَقَالَ :

١ – مِنْهُ قَدِيمٌ ، وَهُوَ ذَاتُ اللهِ وَصِفَاتُهُ .

٢ – وَحَادِثٌ ، كَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ .

٣ – وَمُسْتَحِيلٌ ، كَـ ﴿ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [مريم : ٨٨] .

فَكَلَامُهُمْ مَحْمُولٌ عَلَى الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ الِالْتِزَامِيَّةِ الْعُرْفِيَّةِ ؛ وَكَلَامُهُ مَحْمُولٌ عَلَى الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ اللَّفْظِيَّةِ . هَكَذَا حَقَّقَهُ الْيُوسِيُّ .

وَسُئِلَ الْمُحَقِّقُ الْبَنَّانِيُّ مُحَشِّي عَبْدِ الْبَاقِي – رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى – عَنْ دَلَالَةِ أَلْفَاظِ الْقُرْءَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِذَاتِهِ تَعَالَى ، هَلْ هِيَ مِنَ الدَّلَالَاتِ الثَّلَاثِ :
١ – الْمُطَابَقَةِ .
٢ – وَالتَّضَمُّنِ .
٣ – وَالِالْتِزَامِ ؟ .
أَوْ مِنْ غَيْرِهَا ؟ .

فَأَجَابَ بِمَا نَصُّهُ :
« هَذَا السُّؤَالُ ذَكَرَهُ الْغُنَيْمِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى [شَرْحِ الصُّغْرَى] عَلَى قَوْلِهِ : ((**فَالشَّرْعِيُّ الَّذِي** ...)) ؛ نَصُّهُ :
" قَالَ الْمُحَقِّقُ الْمَحَلِّيُّ تَبَعًا لِغَيْرِهِ : ثُمَّ الْخِطَابُ الْمَذْكُورُ – **أَيْ** : كَلَامُهُ النَّفْسِيُّ الْأَزَلِيُّ – يُدَلُّ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَغَيْرِهِمَا " . اهـ .
وَلَكَ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ ، هَلْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْمُطَابَقَةِ ، أَوِ التَّضَمُّنِ ، أَوْ الِالْتِزَامِ ؟ أَوْ خَارِجَةٌ عَنْهَا ؟ .
وَمَا رَأَيْتُ مَا يَشْفِي الْغَلِيلَ فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ ، سِوَى مَا تَسْمَعُهُ عَنْ شَيْخِنَا – يَعْنِي: الشِّهَابَ الْعَبَادِيَّ – وَبَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ » .

ثُمَّ قَالَ فِي [مَبْحَثُ صِفَةِ الْكَلَامِ] مَا نَصُّهُ :
« ظَاهِرُهُ أَنَّ مَدْلُولَ النَّظْمِ هُوَ الْكَلَامُ الْأَزَلِيُّ ؛ وَالَّذِي أَفَادَهُ شَيْخُنَا مِنْ كَلَامِهِمْ أَنَّ مَدْلُولَهُ مُتَعَلَّقَاتُهُ ؛ وَعِبَارَتُهُ :
" كَلَامُهُ تَعَالَى صِفَةٌ وَاحِدَةٌ لَهَا تَعَلُّقَاتٌ تَنْقَسِمُ إِلَى أَمْرٍ ، وَنَهْيٍ، وَخَبَرٍ ؛ فَالتَّكَثُّرُ فِي تِلْكِ الْتَعَلُّقَاتِ دُونَهَا ؛ ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الْتَعَلُّقَاتِ تَنْقِسمُ – بِاعْتِبَارِ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا – إِلَى الْقُرْءَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ الْكُتُبِ ؛ فَهِيَ – بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الْمَخْصُوصِ– قُرْءَانٌ، ... وَهَكَذَا .
فَمَدْلُولُ الْقُرْءَانِ لَيْسَ هُوَ الصِّفَةَ الْوَاحِدَةَ الْقَائِمَةَ بِذَاتِهِ تَعَالَى حَقِيقَةً ، بَلْ مَدْلُولُهُ تَعَلُّقَاتُهَا .
وَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ أَنَّ مَدْلُولَ الْقُرْءَانِ غَيْرُ مَدْلُولِ الْإِنْجِيلِ ، ... وَهَكَذَا ؛ ضَرُورَةَ أَنَّ التَّعَلُّقَاتِ الْمَدْلُولَةَ لِلْقُرْءَانِ غَيْرُ الْمَدْلُولَةِ لِغَيْرِهِ ، فَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ وَمَا يُبَايِنُ وَيُنَافِي الْأَحْكَامَ الَّتِي فِي غَيْرِهِ ؛ وَهَكَذَا غَيْرُهُ ؛ فَافْهَمْ » . اهـ .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ عُرْضُونَ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الْحَفِيدَةِ] بَاحِثًا مَعَ الْقَرَافِيِّ فِي تَقْسِيمِهِ الْمَشْهُورِ فِي مَدْلُولِ الْقُرْءَانِ ؛ فَإِنَّهُ – أَيِ : ابْنَ عُرْضُونَ – قَالَ :
« لَفْظُ < مَدْلُولٌ > مُشْتَرَكٌ فِي قَوْلِنَا : " مَدْلُولُ عِبَارَةِ الْقُرْءَانِ " ؛ فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى كَلَامِهِ تَعَالَى الْقَائِمِ بِذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ،

لِأَنَّهُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِعِبَارَةِ الْقُرْءَانِ دَلَالَةً عَقْلِيَّةً ، كَدَلَالَةِ : " اِسْقِنِي الْمَاءَ " عَلَى أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِهِ مُقْتَضٍ فِي نَفْسِهِ لِلْمَاءِ ، وَمُتَحَدِّثٌ فِي ضَمِيرِهِ بِذَلِكَ ، وَلَيْسَ خَالِيًا مِنَ التَّحَدُّثِ خُلُوَّ الْجَمَادَاتِ .

وَيُطْلَقُ لَفْظُ < مَدْلُولٌ > أَيْضًا عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَلْفَاظُ الْقُرْءَانِ دَلَالَةً وَضْعِيَّةً ، كَذَاتِ فِرْعَوْنَ الْمَوْضُوعِ لَهَا لَفْظُ " فِرْعَونَ " ، وَأَجْرَامِ السَّمَاوَاتِ الدَّالِّ عَلَيْهَا لَفْظُ " السَّمَاوَاتِ " وَضْعًا .

فَاسْتَعْمَلَ الْأَكْثَرُونَ لَفْظَ < الْمَدْلُولِ > فِيمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَلْفَاظُ الْقُرْءَانِ دَلَالَةً عَقْلِيَّةً ، وَهُوَ كَلَامُهُ تَعَالَى الْقَائِمُ بِذَاتِهِ » .

اِهَ الْغَرَضُ مِنْهُ .

فَقَوْلُهُمْ : « أَلْفَاظُ الْقُرْءَانِ تَدُلُّ عَلَى كَلَامِ اللهِ الْقَدِيمِ » . إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْعَبَادِيُّ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ : تَدُلُّ عَلَى مُتَعَلَّقَاتِ كَلَامِ اللهِ ، لَا عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ؛ فَلَا سُؤَالَ أَصْلًا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ .

وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ عُرْضُونَ : مِنْ أَنَّ الْقُرْءَانَ يَدُلُّ عَلَى كَلَامِ اللهِ بِنَفْسِهِ ؛ فَنَقُولُ : قَدْ صَرَّحَ بِأَنَّهَا دَلَالَةٌ عَقْلِيَّةٌ ، وَوَضَّحَ ذَلِكَ بِالْمِثَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ ؛ وَحِينَئِذٍ يَسْقُطُ السُّؤَالُ أَيْضًا مِنْ أَصْلِهِ ، لِأَنَّ الدَّلَالَةَ الَّتِي تَنْقَسِمُ إِلَى الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ ، إِنَّمَا هِيَ الدَّلَالَةُ الْوَضْعِيَّةُ ؛ وَأَمَّا الْعَقْلِيَّةُ ، فَخَارِجَةٌ عَنِ الثَّلَاثِ ، لَا تُوصَفُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا .

وَقَدْ بَحَثَ شَيْخُ شُيُوخِنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ ابْنُ الْوَلِيِّ الْعَارِفِ بِاللهِ تَعَالَى عَبْدِ الْقَادِرِ الْفَاسِيِّ فِي تَسْمِيَةِ ابْنِ عُرْضُونَ دَلَالَةَ نَحْوِ " اِسْقِنِي الْمَاءَ " – عَلَى مَا ذَكَرَهُ – دَلَالَةً عَقْلِيَّةً ... قَالَ :

« وَلَعَلَّهُ اصْطِلَاحٌ ، أَوْ تَجَوُّزٌ فِي إِطْلَاقِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى مَا يُقَابِلُ الْوَضْعِيَّةَ ؛ وَالطَّبِيعِيَّةُ أَعَمُّ مِنَ اعْتِبَارِ الْقَطْعِ أَوِ الظَّنِّ فِي الْمُسْتَنَدِ ؛ وَفَرْضُ دَلَالَةِ نَحْوِ : " اِسْقِنِي الْمَاءَ " عَلَى مَا فِي النَّفْسِ ، إِنَّمَا هُوَ مَعَ نَفْيِ الْأَسْبَابِ الْمُقْتَضِيَةِ لِعَدَمِ الْقَصْدِ مِنْ نَوْمٍ وَشِبْهِهِ ؛ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : مَعَ الْعِلْمِ بِحُصُولِ الشَّرْطِ وَانْتِفَاءِ الْمَانِعِ ؛ وَكَذَا يُقَالُ فِي دَلَالَةِ الْمَحْكِيِّ بِهِ عَلَى الْمَحْكِيِّ ، وَالْمُفَسِّرِ لِلُغَةٍ بِأُخْرَى ... وَنَحْوِ هَذَا .

قَالَ : وَهَذَا النَّظَرُ الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ وَالْبَحْثُ ، إِنَّمَا هُوَ فِي الْمُنَظَّرِ بِهِ مِنْ نَحْوِ : " اِسْقِنِي الْمَاءَ " وَشِبْهِهِ .

وَأَمَّا دَلَالَةُ عِبارَةِ الْقُرْءَانِ عَلَى الصِّفَةِ ، فَقَدْ يُلْتَزَمُ كَوْنُهُ عَقْلِيًّا — **أَيْ** : قَطْعِيًّا – وَإِنْ كَانَ لُزُومُهُ نَظَرِيًّا ؛ أَوْ نَقُولُ : هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ الْمُمَارِسِ لِعِلْمِ ذَلِكَ ، صَارَ لَازِمًا ضَرُورِيًّا عِنْدَهُ ؛ فَلْيُتَأَمَّلْ ذَلِكَ ؛ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ » . اِهَ .

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَفِي حَاشِيَةِ الْمُحَقِّقِ الْمَذْكُورِ عَلَى مُخْتَصَرِ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ فِي الْمَنْطِقِ مَا نَصُّهُ :

« **[تَنْبِيهٌ]** :

وَقَعَ السُّؤَالُ قَبْلَ هَذَا الزَّمَانِ عَنْ دَلَالَةِ أَلْفَاظِ الْقُرْءَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْأَزَلِيِّ الْقَائِمِ بِذَاتِهِ تَعَالَى : مَا هِيَ مِنْ أَنْوَاعِ الدَّلَالَاتِ الثَّلَاثِ ؟ .

وَأَجَابَ عَنْهُ شَيْخُ شُيُوخِنَا الْعَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ أَبُو عَبْدِ اللهِ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْفَاسِيُّ بِأَنَّهُ :

إِمَّا أَنْ يُرَادَ الدَّلَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ ؛ وَإِمَّا أَنْ يُتَأَوَّلَ بِأَنْ يُقَالَ : إِنَّ الْقُرْءَانَ مُسَاوٍ لِلْمَعْنَى الْقَدِيمِ الْقَائِمِ بِالذَّاتِ فِيمَا دَلَّ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَيْهِ .

وَقَدْ نَحَى هَذَا الْمَنْحَى الثَّانِيَ مِنَ التَّأْوِيلِ ، الْعَلَّامَةُ شِهَابُ الدِّينِ الْعَبَادِيُّ ، فَقَالَ : "كَلَامُهُ تَعَالَى صِفَةٌ وَاحِدَةٌ لَهَا تَعَلُّقَاتٌ ، تَنْقَسِمُ إِلَى أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَخَبَرٍ ؛ فَالتَّكَثُّرُ فِي تِلْكَ التَّعَلُّقَاتِ دُونَهَا ؛ ثُمَّ إِنَّ التَّعَلُّقَاتِ تَنْقَسِمُ – بِاعْتِبَارِ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا – إِلَى الْقُرْءَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ الْكُتُبِ ؛ فَهِيَ – بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الْمَخْصُوصِ – قُرْءَانُ ، ... وَهَكَذَا .

فَمَدْلُولُ الْقُرْءَانِ لَيْسَ هُوَ الصِّفَةَ الْوَاحِدَةَ الْقَائِمَةَ بِذَاتِهِ تَعَالَى حَقِيقَةً ، بَلْ مَدْلُولُهُ تَعَلُّقَاتُهَا .

وَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ أَنَّ مَدْلُولَ الْقُرْءَانِ غَيْرُ مَدْلُولِ الْإِنْجِيلِ ، ... وَهَكَذَا ؛ ضَرُورَةَ أَنَّ التَّعَلُّقَاتِ الْمَدْلُولَةَ لِلْقُرْءَانِ غَيْرُ الْمَدْلُولَةِ لِغَيْرِهِ ، فَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ وَمَا يُبَايِنُ وَيُنَافِي الْأَحْكَامَ الَّتِي فِي غَيْرِهِ ؛ وَهَكَذَا غَيْرُهُ ؛ فَافْهَمْ " . اهـ .

وَعَلَى الْمَنْحَى الْأَوَّلِ – وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ الدَّلَالَةُ الْعَقْلِيَّةُ – جَرَى الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُرْضُونَ فِي شَرْحِ الْمُقَدِّمَةِ الْمُلَقَّبَةِ بِـ[الْحَفِيدَةِ] لِلشَّيْخِ السَّنُوسِيِّ ؛ فَقَالَ :

" لَفْظُ < مَدْلُولٌ > مُشْتَرَكٌ فِي قَوْلِنَا : " مَدْلُولُ عِبَارَةِ الْقُرْءَانِ " ؛ فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى كَلَامِهِ تَعَالَى الْقَائِمِ بِذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ ، لِأَنَّهُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِعِبَارَةِ الْقُرْءَانِ دَلَالَةً عَقْلِيَّةً ، كَدَلَالَةِ : " اِسْقِنِي الْمَاءَ " عَلَى أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِهِ مُقْتَضٍ فِي نَفْسِهِ لِلْمَاءِ ، وَأَنَّهُ مُتَحَدِّثٌ فِي ضَمِيرِهِ بِذَلِكَ ، وَلَيْسَ خَالِيًا مِنَ التَّحَدُّثِ خُلُوَّ الْجَمَادَاتِ .

وَيُطْلَقُ لَفْظُ < مَدْلُولٌ > أَيْضًا عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَلْفَاظُ الْقُرْءَانِ دَلَالَةً وَضْعِيَّةً ، كَذَاتِ فِرْعَوْنَ الْمَوْضُوعِ لَهَا لَفْظُ " فِرْعَونَ " ، وَأَجْرَامِ السَّمَاوَاتِ الدَّالِّ عَلَيْهَا لَفْظُ " السَّمَاوَاتِ " وَضْعًا .

فَاسْتَعْمَلَ الْأَكْثَرُونَ لَفْظَ < الْمَدْلُولُ > فِيمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَلْفَاظُ الْقُرْءَانِ دَلَالَةً عَقْلِيَّةً ، وَهُوَ كَلَامُهُ تَعَالَى الْقَائِمُ بِذَاتِهِ " . اهـ الْغَرَضُ مِنْهُ .

إِلَّا أَنَّ فِي تَسْمِيَةِ دَلَالَةِ نَحْوِ : " اِسْقِنِي الْمَاءَ " – عَلَى مَا ذَكَرَهُ – دَلَالَةً عَقْلِيَّةً نَظَرًا ؛ وَلَعَلَّهُ اصْطِلَاحٌ ، أَوْ تَجَوُّزٌ فِي إِطْلَاقِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى مَا يُقَابِلُ الطَّبِيعِيَّةَ ؛ وَالْوَضْعِيَّةُ أَعَمُّ مِنَ اعْتِبَارِ الْقَطْعِ أَوِ الظَّنِّ فِي الْمُسْتَنَدِ ؛

وَفَرْضُ دَلَالَةِ لَفْظِ : " اِسْقِنِي الْمَاءَ " عَلَى مَا فِي النَّفْسِ ، إِنَّمَا هُوَ مَعَ نَفْيِ الْأَسْبَابِ الْمُقْتَضِيَةِ لِعَدَمِ الْقَصْدِ مِنْ نَوْمٍ وَشِبْهِهِ؛ **وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ** : مَعَ الْعِلْمِ بِحُصُولِ الشَّرْطِ وَانْتِفَاءِ الْمَانِعِ ؛ وَكَذَا يُقَالُ فِي دَلَالَةِ الْمَحْكِيِّ بِهِ عَلَى الْمَحْكِيِّ ، وَالْمُفَسِّرِ لِلُغَةٍ بِالْأُخْرَى ... وَنَحْوِ هَذَا .

وَهَذَا النَّظَرُ الَّذِي أَشَرْتُ إِلَيْهِ وَالْبَحْثُ ، إِنَّمَا هُوَ فِي الْمُنَظَّرِ بِهِ مِنْ : " اِسْقِنِي الْمَاءَ " وَنَحْوِهِ .

وَأَمَّا دَلَالَةُ عِبَارَةِ الْقُرْءَانِ عَلَى الصِّفَةِ ، فَقَدْ يُلْتَزَمُ كَوْنُهُ عَقْلِيًّا — **أَيْ** : قَطْعِيًّا – وَإِنْ كَانَ لزُومُهُ نَظَرِيًّا؛ أَوْ نَقُولُ : هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ الْمُمَارِسِ لِعِلْمِ ذَلِكَ ، صَارَ لَازِمًا ضَرُورِيًّا عِنْدَهُ ؛ فَلْيُتَأَمَّلْ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ هَذَا جُهْدُ مُقَلِّدٍ مُقْتَدِي" . اهـ جَوَابُهُ ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ – وَهُوَ الظَّاهِرُ – فَوَجْهُ تَسْمِيَةِ الْقُرْءَانِ بِـ (كَلَامِ اللهِ) :

١ – إِمَّا لِكَوْنِهِ مُنَزَّلًا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، لَيْسَ مِنْ تَأْلِيفِ الْخَلْقِ ؛ فَيَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْخَالِقِ تَشْرِيفًا ، كَمَا يُقَالُ لِلْجَنَّةِ : (دَارُ اللهِ) .

وَعَلَى هَذَا ، تَكُونُ تَسْمِيَتُهُ بِـ (كَلَامِ اللهِ) حَقِيقَةً .

٢ – وَإِمَّا لِأَنَّهُ قُصِدَ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَى بَعْضِ مَدْلُولِ الصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ ، كَمَا يُقَالُ لِلْكَلَامِ الْمُتَرْجَمِ بِهِ عَنْ كَلَامِ السُّلْطَانِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ لُغَتَهُ ، أَوْ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَهُ – وَلِلهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى – : " هَذَا كَلَامُ السُّلْطَانِ " .

وَعَلَيْهِ ، تَكُونُ تَسْمِيَتُهُ بِذَلِكَ مَجَازًا » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وَنَصُّ الْقَرَافِيِّ – كَمَا فِي شَرْحِ سَيِّدِي عَلِيٍّ الْأُجْهُورِيِّ عَلَى عَقِيدَتِهِ – :

«" [فَائِدَةٌ يُعْلَمُ بِهَا مَا هُوَ قَدِيمٌ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى ، وَمَا لَيْسَ بِقَدِيمٍ مِنْهُ] :

فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ فِي زَمَانِنَا ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَلْفَاظَ الْقُرْءَانِ مُحْدَثَةٌ ، وَأَنَّ مَدْلُولَهَا قَدِيمٌ مُطْلَقًا ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ بَلِ الْحَقُّ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَفْصِيلًا ؛ **وَهُوَ : أَنَّ مَدْلُولَ أَلْفَاظِ الْقُرْءَانِ قِسْمَانِ** :

١ – مُفْرَدٌ . وَهُوَ قِسْمَانِ أَيْضًا :

أَ – مَا يَرْجِعُ إِلَى ذَاتِ اللهِ تَعَالَى الْعَلِيِّ وَصِفَاتِهِ ، كَمَدْلُولِ : (اللهُ الْعَظِيمُ ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ …) وَنَحْوِهِ ؛ وَهَذَا قَدِيمٌ .

بَ – وَمَا لَا يَرْجِعُ إِلَى مَا ذُكِرَ ، وَهُوَ مُحْدَثٌ ؛ كَمَدْلُولِ : (فِرْعَوْنَ ، وَهَامَانَ ، وَالسَّمَاوَاتِ ، وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ …) وَغَيْرِ ذَلِكَ .

٢ – وَإِسْنَادَاتٌ . **وَهِيَ قِسْمَانِ أَيْضًا** :

أَ – حِكَايَاتٌ .

بَ – وَإِنْشَاءَاتٌ .

فَالْإِسْنَادَاتُ الَّتِي هِيَ الْإِنْشَاءَاتُ كُلُّهَا قَدِيمَةٌ ، سَوَاءٌ كَانَتْ مَدْلُولًا لِلَفْظِ الْخَبَرِ ، أَوْ لِلَفْظِ الْأَمْرِ أَوِ النَّهْيِ ، أَوْ غَيْرِهِ ؛ إِذْ هِيَ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى ، وَهِيَ فِي نَفْسِهَا صِفَةٌ وَاحِدَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الْكَلَامِ ، وَتَعَدُّدُهَا إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ تَعَلُّقَاتِهَا .

وَالْمَدْلُولَاتُ الَّتِي هِيَ حِكَايَاتٌ قِسْمَانِ :

أَ – حِكَايَةٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى.

بَ – وَحِكَايَةٌ عَنْ غَيْرِهِ .

فَالْأَوَّلُ نَحْوُ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾ [البقرة : ٣٤] . وَالْحِكَايَاتُ وَالْمَحْكِيُّ فِي هَذَا قَدِيمَانِ ، أَيِ : الْإِسْنَادُ الْوَاقِعُ فِيهِمَا قَدِيمٌ .

وَالثَّانِي نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ … ﴾ [نوح : ٢٦] الْآيَةَ . وَالْحِكَايَةُ فِي هَذَا قَدِيمَةٌ ، **أَي** : الْإِسْنَادُ الْوَاقِعُ فِيهَا قَدِيمٌ ، لِأَنَّهَا خَبَرُ اللهِ عَنِ الْمَحْكِيِّ ؛ وَأَمَّا الْمَحْكِيُّ فَهُوَ مُحْدَثٌ ، **أَي** : الْإِسْنَادُ الْوَاقِعُ فِيهِ مُحْدَثٌ ، فَإِنَّهُ إِسْنَادُ مُحْدَثٍ ، وَإِسْنَادُ الْمُحْدَثِ مُحْدَثٌ ؛ بِخِلَافِ الْإِسْنَادِ فِي الْأَوَّلِ ، فَإِنَّهُ وَقَعَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، فَهُوَ قَدِيمٌ .

فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ أَلْفَاظَ الْقُرْءَانِ مُحْدَثَةٌ ، وَمَدْلُولَاتُهَا فِيهَا التَّفْصِيلُ .

وَهُوَ تَلْخِيصٌ جَلِيلٌ ، قَلَّ مَنْ يُحِيطُ بِهِ ، فَاضْبِطْهُ " . قَالَهُ الْقَرَافِيُّ .

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ يُتَبَيَّنُ بِمَعْرِفَةِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ مَا هُوَ ؟ وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ فِيهِ :

" هُوَ نِسْبَةٌ بَيْنَ مُفْرَدَيْنِ ، قَائِمَةٌ بِنَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ ؛ فَإِذَا قِيلَ : (زَيْدٌ قَائِمٌ) أَوْ (لَيْسَ زَيْدٌ قَائِمًا) فَالنَّفْسِيُّ : إِثْبَاتُ الْقِيَامِ لِزَيْدٍ أَوْ نَفْيُهُ عَنْهُ .

... ...

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا ، فَقَوْلُهُ : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ﴾ [البقرة : ٢١٦] مَدْلُولَاتُ مُفْرَدَاتِهِ قَدِيمَةٌ ، وَهِيَ (اللهُ) وَ (الْعِلْمُ) وَضَمِيرُ (اللهُ) وَكَذَا إِثْبَاتُ الْعِلْمِ للهِ ، وَهُوَ النَّفْسِيُّ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦ ﴾ [البقرة : ٢١٦] مَدْلُولَاتُ مُفْرَدَاتِهِ حَادِثَةٌ ، وَهِيَ ذَوَاتُنَا الَّتِي هِيَ مَدْلُولُ { أَنْتُمْ } وَالْوَاوُ ، وَجَهْلُنَا الَّذِي هُوَ مَدْلُولُ ﴿ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦ ﴾ [البقرة : ٢١٦] وَإِثْبَاتُ الْجَهْلِ لَنَا قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى .

وَكَذَا { أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ } مَدْلُولَاتُ مُفْرَدَاتِهِ الثَّلَاثَةِ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ وَصْفُنَا ؛ وَمَدْلُولُ الْوَاوِ وَالصَّلَاةِ كُلُّهَا حَادِثَةٌ ؛ وَإِسْنَادُ طَلَبِ الصَّلَاةِ مِنْهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى قَدِيمٌ .

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ ... ﴾ [نوح : ٢٦] الْآيَةَ ؛ مَدْلُولَاتُ الْمُفْرَدَاتِ مَا عَدَا ﴿ رَّبِّ ﴾ وَضَمِيرُهُ فِي ﴿ تَذَرۡ ﴾ وَهِيَ ﴿ نُوحٞ ﴾ ؛ **وَقَوْلُهُ** : (وَمَدْلُولُ ﴿ لَا تَذَرۡ ﴾ – وَهُوَ إِهْلَاكُ الْكُفَّارِ – كُلُّهَا حَادِثَةٌ ؛ وَإِسْنَادُ قَائِلِيَّةِ هَذَا الْقَوْلِ لِنُوحٍ قَدِيمٌ ؛ وَإِسْنَادُ طَلَبِ الْإِهْلَاكِ مِنَ اللهِ تَعَالَى حَادِثٌ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِيَ إِسْنَادُ نُوحٍ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ [البقرة : ٣٤] فَمَدْلُولَاتُ الْمُفْرَدَاتِ كُلُّهَا – مَا عَدَا الرَّبَّ وَقَوْلَهُ – حَادِثٌ ، وَإِسْنَادُ الْقَوْلِ لِلرَّبِّ قَدِيمٌ ، وَكَذَا إِسْنَادُ طَلَبِ السُّجُودِ لِآدَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَدِيمٌ أَيْضًا .

فَالْإِسْنَادُ الَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْحِكَايَةُ ، وَكَذَا إِسْنَادُ الْمَحْكِيِّ ، قَدِيمَانِ ؛ وَالْمُفْرَدَانِ فِي الْحِكَايَةِ – الْمُسْنَدُ وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ – قَدِيمَانِ أَيْضًا ، وَالثَّانِي حَادِثٌ ؛ **أَيْ** : فَالْمُفْرَدَانِ فِي الثَّانِي حَادِثَانِ " . اهـ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ اسْتُفِيدَ مِنْ آخِرِ كَلَامِ الْقَرَافِيِّ ، وَمِمَّا ذُكِرَ عَنِ ابْنِ الْحَاجِبِ : أَنَّ الْإِسْنَادَ فِي ﴿ لَا تَذَرۡ ﴾ وَنَحْوِهِ حَادِثٌ ، لِأَنَّهُ إِسْنَادٌ حَادِثٌ ، وَهَذَا يَعُودُ بِالتَّخْصِيصِ عَلَى قَوْلِ الْقَرَافِيِّ قَبْلَ ذَلِكَ : " فَالْإِسْنَادَاتُ الَّتِي هِيَ إِنْشَاءَاتٌ كُلُّهَا قَدِيمَةٌ " . فَيُحْمَلُ هَذَا عَلَى غَيْرِ الْإِسْنَادَاتِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْحَادِثِ . فَتَأَمَّلْهُ .

وَالْحَاصِلُ مِمَّا ذَكَرَهُ :

أَنَّ الْإِسْنَادَ فِي جَمِيعِ الْإِنْشَاءَاتِ قَدِيمٌ ، مَا عَدَا الْإِنْشَاءَ الْوَاقِعَ مِنَ الْحَادِثِ الْمَحْكِيِّ ، بِدَلِيلِ ذِكْرِهِ لَهُ بَعْدُ ؛ وَأَنَّ الْإِسْنَادَ الْوَاقِعَ فِي غَيْرِهَا فِيهِ التَّفْصِيلُ ؛ فَمِنْهُ قَدِيمٌ ، كَمَا فِي الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، **أَيْ** : وَمِنْهُ حَادِثٌ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ ﴾ [آل عمران : ٤٢] ؛ وَأَنَّ الْإِسْنَادَ قَدْ يَكُونُ قَدِيمًا مَعَ حُدُوثِ الطَّرَفَيْنِ ، فَيَكُونُ – عَلَى تَقْدِيرِ وُجُودِهِمَا – هَذَا ؛ وَمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنَ التَّعْبِيرِ بِـ (الْحِكَايَةِ) وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَأَنْكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ عَبَّادٍ قَائِلًا : " مَا يَقَعُ فِي كَلَامِ الْأَئِمَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ : (حَكَى اللهُ عَنْ فُلَانٍ كَذَا) ؛ لَيْسَ بِصَوَابٍ عِنْدِي ، لِأَنَّ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ ، وَصِفَاتُهُ تَعَالَى قَدِيمَةٌ ؛ وَإِذَا سَمِعْتَ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ كَلَامًا عَنْ مُوسَى – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – مَثَلًا ، أَوْ عَنْ فِرْعَوْنَ ، أَوْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ ؛ لَا يُقَالُ : (حَكَى عَنْهُمْ كَذَا) ، لِأَنَّ الْحِكَايَةَ تُؤْذِنُ بِتَأَخُّرِهَا عَنِ الْمَحْكِيِّ ؛

... ...

وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا : (أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى) أَوْ (أَنْبَأَ) أَوْ كَلَامًا مَعْنَاهُ هَذَا ، مِمَّا لَا يُوهِمُ حُدُوثًا . اِهَ بِاخْتِصَارٍ » . اِهَ مَا ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ الْأُجْهُورِيُّ فِي شَرْحِ عَقِيدَتِهِ .

وَقَدْ نَظَمَ الْعَلَّامَةُ الْأَوْجْلِيُّ مَا ذَكَرَهُ الْقَرَافِيُّ فِي مُخْتَصَرِهِ الْمُسَمَّى [دَلِيلُ الْقَائِدِ] بِقَوْلِهِ :

« **[فَائِدَةٌ]** :

(١– أَقْــدِمْ لِــتَعْلَمَ مِــنَ كَــلَامِ اللهِ ... قَدِيمَــــهُ وَضِــــدَّهُ يَــــا سَــــاهِ

٢ – أَعْــنِي الْمَعَــانِيَ ، وَهِــيَ الْمَدْلُولَــةْ ... لِصِــــفَةٍ ، لَا الصِّــــفَةِ الْمَعْقُولَــــةْ

٣ – لِأَنَّــــهُ قِسْــــمَانِ بِالثَّبَــــاتِ ... أَدِلَّــــةً يَــــأْتِي وَمَــــدْلُولَاتِ

٤ – لِلْأَرْبَــعِ الْأَدِلَّــةِ الْحُــدُوثُ ... وَالثَّــانِ قِسْــمَانِ ، فَــذَا الْمَــوْرُوثُ

٥ – لِمُفْــرَدَاتٍ وَلِمُسْــنَدَاتِ ... فَــأَوَّلٌ قِسْــمَانِ بِالثَّبَــاتِ

٦ – أَمَّــا الَّــتِي مَرْجِعُهَــا لِذَاتِــهِ ... قَدِيمَــةٌ ، كَــذَا إِلَى صِــفَاتِهِ

٧ – وَمَــا لِحَــادِثٍ لَــهُ الرُّجُــوعُ ... فَحَــادِثٌ ، هَــذَا هُــوَ الْمَوْقُــوعُ

٨ – وَالْمُسْــنَدَاتُ قِسْــمُهَا مَرْضِــيَّةْ ... وَهْــيَ حِكَايَــاتٌ وَإِنْشَــائِيَّةْ

٩ – مَــدْلُولُ إِنْشَــائِيٍّ قَــدِيمٌ فُرِضَــا ... كَــالْأَمْرِ وَالنَّهْــيِ لِمَرْجِــعِ الْقَضَــا

١٠ – ثُمَّ الْحِكَايَــاتُ أَتَــتْ قِسْــمَانِ ... حِكَايَــةُ الْكَــلَامِ لِلــرَّحْمَنِ

١١ – ثُمَّ حِكَايَــةُ كَــلَامِ الْغَــيْرِ ... فَــأَوَّلٌ فَــافْهَمْ بِغَــيْرِ ضَــيْرِ

١٢ –كَقَوْلِــهِ : {إِذْ قَــالَ .. لِلْمَلَائِكَــةْ} ... كُــلٌّ قَــدِيمٌ وَالْفُجُــوجُ مُسْــلَكَةْ

١٣ – وَالثَّــانِي فِي : إِذْ قُلْتُمُــو يَــا مُوسَــى ... فَحَــدَثَ الْمَحْكِــيُّ وَكُــنْ مَأْنُوسَــا

١٤ – وَقَــدْ وَفَّيْــتُ فِي الْكَــلَامِ عَهْــدِي ... وَالْحَمْــــدُ للهِ وَلِيِّ الْحَمْــــدِ) » .

اِهَ .

وَانْظُرْ شَرْحَهُ الْمُسَمَّى بِـ [الْمَزِيدُ الْفَائِدُ عَلَى دَلِيلِ الْقَائِدِ] إِنْ شِئْتَ .

٤٦٩ – وَاحْذَرْ أَقَاوِيلَ ذَوِي الْأَهْوَاءِ فَإِنَّهَا مِنْ أَدْوَإِ الْأَدْوَاءِ

٤٧٠ – وَاسْلُكْ سَبِيلَ السُّنَّةِ الْغَرَّاءِ فَنُورُهَا بَادٍ لِعَيْنِ الرَّاءِ

٤٧١ – فَالشَّرُّ مَقْرُونٌ بِالِابْتِدَاعِ وَالْخَيْرُ مَضْمُونٌ بِالِاتِّبَاعِ

٤٧٢ – وَاعْمَلْ بِمَا تَحْوِي بِهِ الْأُجُورَا وَحَاذِرِ الْفَحْشَاءَ وَالْفُجُورَا

((**وَاحْذَرْ**)) **أَيِ** : اجْتَنِبْ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**أَقَاوِيلَ ذَوِي**)) **أَيْ** : أَصْحَابِ ((**الْأَهْوَاءِ**)) كَالْمُعْتَزِلَةِ ، وَالْحَشْوِيَّةِ ، وَالْحَنَابِلَةِ ، وَغَيْرِهِمْ ((**فَإِنَّهَا**)) **أَيْ** : أَقَاوِيلَهُمْ ((**مِنْ أَدْوَإِ**)) **أَيْ** : أَشَدِّ وَأَصْعَبِ ((**الْأَدْوَاءِ**)) **أَيِ** : الْأَمْرَاضِ لِلْقُلُوبِ. أَعَاذَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْهَا بِمَنِّهِ .

((**وَاسْلُكْ سَبِيلَ**)) **أَيْ** : طَرِيقَ ((**السُّنَّةِ الْغَرَّاءِ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَشَدِّ الرَّاءِ ؛ **أَيِ** : الْبَيْضَاءِ الْمُنِيرَةِ

((**فَنُورُهَا**)) **أَيِ** : السُّنَّةِ ((**بَادٍ**)) **أَيْ** : ظَاهِرٌ ((**لِعَيْنِ الرَّاءِ**)) لَا تَلْتَبِسُ عَلَيْهِ ، إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللهُ تَعَالَى قَلْبَهُ بِهَوَاهُ

((**فَالشَّرُّ مَقْرُونٌ بِالِابْتِدَاعِ**)) لِأُمُورٍ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْكِتَابِ ، وَلَا فِي السُّنَّةِ ، وَلَا فِي الْإِجْمَاعِ ((**وَالْخَيْرُ مَضْمُونٌ بِالِاتِّبَاعِ**)) لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلِصَحْبِهِ ، وَتَابِعِيهِمْ ، وَتَابِعِي تَابِعِيهِمْ ، رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ.

((**وَاعْمَلْ بِمَا**)) **أَيِ** : الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي ((**تَحْوِي**)) **أَيْ** : تَحُوزُ وَتَجْمَعُ ((**بِهِ**)) عَائِدُ ((**مَا**)) . ((**الْأُجُورَا**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ؛ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، إِذْ عُمُرُ الْإِنْسَانِ رَأْسُ مَالِهِ ، فَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ ، وَأَنْ يَجْتَنِبَ مَعَاصِيَ اللهِ تَعَالَى كُلَّهَا ((**وَحَاذِرِ**)) أَيُّهَا النَّاظِرُ فِي هَذِهِ [الْإِضَاءَةِ] ((**الْفَحْشَاءَ وَالْفُجُورَا**)) **أَيْ** : كُلَّ مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى ؛ وَهَذَا شَامِلٌ لِلْعُجْبِ ، وَالْغِيبَةِ ، وَالنَّمِيمَةِ ، وَالرِّيَاءِ ، وَالْفَخْرِ ، وَالْكِبْرِيَاءِ ، ... وَغَيْرِهَا ، كَالظُّلْمِ ، وَالْبَغْيِ ، وَالْحِقْدِ ، وَالْحَسَدِ ، وَالْحِرَابَةِ ، وَالْغِشِّ ، وَالْخَدِيعَةِ ، وَالْكَذِبِ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ شَرْعِيَّةٍ ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْعِ الزَّكَاةِ ، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ ، ... وَغَيْرِ ذَلِكَ .

فَذِكْرُهَا بَعْدَهُ مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ ؛ وَنُكْتَتُهُ : الِاهْتِمَامُ بِتَرْكِهَا ، فَإِنَّ بَقَاءَهَا – مَعَ إِصْلَاحِ الظَّاهِرِ – كَلُبْسِ ثِيَابٍ حَسَنَةٍ عَلَى جَسَدٍ مُلَطَّخٍ بِالْقَاذُورَاتِ .

قَالَ الشَّيْخُ الْأَخْضَرِيُّ فِي مُخْتَصَرِهِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي الْفِقْهِ :

« وَيَجِبُ عَلَيْهِ حِفْظُ لِسَانِهِ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَالْكَلَامِ الْقَبِيحِ ، وَأَيْمَانِ الطَّلَاقِ ، وَانْتِهَارِ الْمُسْلِمِ ، وَإِهَانَتِهِ ، وَسَبِّهِ ، وَتَخْوِيفِهِ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ شَرْعِيٍّ » . اهـ .

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمُسَبِّحُ فِي شَرْحِهِ عَلَيْهِ :

« **يَعْنِي** : أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ حِفْظُ لِسَانِهِ مِنَ التَّكَلُّمِ بِمَا لَا يَحِلُّ لَهُ النُّطْقُ بِهِ شَرْعًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللِّسَانَ مِنَ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ ، وَأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ ، وَأَنَّهُ مِنْ غَرِيبِ صُنْعِ اللهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ صَغِيرٌ جِرْمُهُ ، عَظِيمٌ خَيْرُهُ ، كَثِيرٌ شَرُّهُ ، وَبِهِ يُتَبَيَّنُ الْكُفْرُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَلَيْسَ أَعْصَى مِنْهُ فِي أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ ، وَلَا نَجَاةَ لِأَحَدٍ مِنْهُ إِلَّا بِالصَّمْتِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ صَمَتَ نَجَا " ؛ وَقَالَ أَيْضًا : " الصَّمْتُ حِكْمَةٌ ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ " ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا أَعَانَهُ عَلَى حِفْظِ لِسَانِهِ " .

وَرُوِيَ أَنَّ الْجَوَارِحَ تُصْبِحُ تَشْتَكِي بِاللِّسَانِ ، وَتَقُولُ لَهُ : " اتَّقِ اللهَ فِينَا ، فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ

اعْوَجَجْنَا ".

وَمَعْنَاهُ : أَنَّ نُطْقَ اللِّسَانِ يُؤَثِّرُ فِي أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ بِالتَّوْفِيقِ أَوْ بِالْخِذْلَانِ .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ : " لِسَانِي سَبُعٌ ، إِنْ أَطْلَقْتُهُ أَكَلَنِي " . نَقَلَهُ الْإِمَامُ الْغَزَّالِيُّ فِي [الْإِحْيَاءِ] .

وَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ : " إِذَا رَأَيْتَ قَسَاوَةً فِي قَلْبِكَ ، وَوَهَنًا فِي بَدَنِكَ ، وَحِرْمَانًا فِي رِزْقِكَ ؛ فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِمَا لَا يَعْنِيكَ " .

وَيَنْقَسِمُ الْكَلَامُ بِحَسَبِ أَقْسَامِ الشَّرِيعَةِ ، فَمِنْهُ :

١ – وَاجِبٌ .

كَالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

٢ – وَمِنْهُ مَنْدُوبٌ . كَالذِّكْرِ وَشِبْهِهِ .

٣ – وَمِنْهُ مُحَرَّمٌ . كَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ .

٤ – وَمِنْهُ مَكْرُوهٌ . كَالْكَلَامِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى .

٥ – وَمِنْهُ مُبَاحٌ . كَإِنْشَادِ الشِّعْرِ الَّذِي لَا مَضَرَّةَ فِيهِ وَلَا مَنْفَعَةَ .

قَوْلُهُ : (**مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْكَلَامِ الْقَبِيحِ**) .

أَيْ : مِنَ التَّلَفُّظِ بِكَلَامِ الْفَحْشَاءِ ، وَبِالْكَلَامِ الْقَبِيحِ وَذَلِكَ مِمَّا يَتَكَلَّمُ بِهِ السَّفَلَةُ مِنَ النَّاسِ ، وَيُعَبِّرُونَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ صَرِيحَةٍ مُسْتَقْبَحَةٍ ؛ وَقَدْ نَهَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : " إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ " ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَوْ كَانَ الْفُحْشُ رَجُلًا ، لَكَانَ رَجُلَ سُوءٍ " .

وَقَوْلُهُ : (**وَأَيْمَانِ الطَّلَاقِ**) .

أَيْ : يَحْفَظُ لِسَانَهُ مِنَ الْحَلِفِ بِأَيْمَانِ الطَّلَاقِ ، إِذِ الْيَمِينُ بِذَلِكَ مَكْرُوهٌ عَلَى الْمَشْهُورِ ؛ **وَقِيلَ** : حَرَامٌ .

وَقَدْ نَهَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ: " لَا تَحْلِفُوا بِطَلَاقٍ وَلَا عِتَاقٍ ، فَإِنَّهُمَا مِنْ أَيْمَانِ الْفُسَّاقِ " ؛

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ " .

قَوْلُهُ : (**وَانْتِهَارِ الْمُسْلِمِ وَإِهَانَتِهِ**) .

أَيْ : أَنَّ الْمُكَلَّفَ مَأْمُورٌ بِحِفْظِ لِسَانِهِ مِنَ انْتِهَارِ الْمُسْلِمِ أَوْ إِهَانَتِهِ ، بِأَنْ لَا يُغْلِظَ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَذَايَةٌ لَهُ وَإِهَانَةٌ ، وَأَذَايَةُ الْمُؤْمِنِ وَإِهَانَتُهُ لَا تَجُوزُ .

قَوْلُهُ : (**وَسَبِّهِ ، وَتَخْوِيفِهِ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ شَرْعِيٍّ**) .

أَيْ : يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ صَوْنُ لِسَانِهِ عَنِ النُّطْقِ بِمَا لَا يَحِلُّ لَهُ النُّطْقُ بِهِ مِنْ سَبِّ الْمُسْلِمِ وَتَخْوِيفِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ ،

٤٧٣ – وَالْعُجْـــــبَ وَالْغِيبَـــــةَ وَالرِّيَـــــاءَ وَاجْتَنِـــــبْ فَخْـــــرًا وَكِبْرِيَـــــاءَ

لِحَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ " **أَيْ** : تَكَرُّرُ السَّبِّ لَهُ .
وَمَعْنَى التَّخْوِيفِ : هُوَ تَوَقُّعُ ضَرَرٍ لَا يُؤْمَنُ مِنْهُ ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ إِعْلَامُهُ بِمَوْضِعِ الْخَوْفِ ، فَيَتَّقِيَهُ .
هَذَا إِذَا كَانَ تَخْوِيفُهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ شَرْعِيٍّ ؛ أَمَّا إِذَا كَانَ فِي الْحَقِّ الشَّرْعِيِّ ، فَهُوَ جَائِزٌ .

وَبِالْجُمْلَةِ ، فَإِنَّ تِلْكَ الْأُمُورَ كُلَّهَا مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ ، فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ ، وَيَتَدَبَّرَ فِي كَلَامِهِ قَبْلَ النُّطْقِ بِهِ ، لَعَلَّهُ يَنْجُو مِنْ آفَاتِ لِسَانِهِ ؛ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الصَّمْتِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " ؛ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟! " . وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

((وَ)) حَاذِرِ ((**الْعُجْبَ**)) بِضَمِّ الْعَيْنِ ، وَسُكُونِ الْجِيمِ ؛ وَهُوَ اسْتِحْسَانُ الْعِبَادَةِ ، وَالرِّضَا بِهَا عَنِ النَّفْسِ ، وَالتَّرَفُّعُ بِهَا عَلَى الْخَلْقِ .
وَهُوَ مُحَرَّمٌ ، لِأَنَّهُ سُوءِ أَدَبٍ مَعَ اللهِ تَعَالَى ، إِذْ لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَسْتَعْظِمَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ لِسَيِّدِهِ ، بَلْ يَسْتَصْغِرُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمَةِ سَيِّدِهِ ، لَا سِيَّمَا عَظَمَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ** ﴾ [الأنعام : ٩١] **أَيْ** : مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ التَّاوُدِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الْجَامِعِ] لِلشَّيْخِ خَلِيلٍ :
« وَالْعُجْبُ ، وَالْإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ هُوَ : أَنْ يَرَى الْعَمَلَ مِنْهَا غَافِلًا عَنِ اللهِ تَعَالَى ؛ وَضِدُّهُ شُهُودُ الْمِنَّةِ لِلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَنَّهُ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِ ، وَالْمُحَرِّكُ لَهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ طَاعَةٍ .
قَالَ فِي [سَيْرُ السُّلُوكِ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ] :
" وَيَنْبَغِي لِلسَّالِكِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْعُجْبُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي حَالِ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَابِدًا ، لَكِنَّهُ أُعْجِبَ فِي نَفْسِهِ ، كَـ (بِلْعَامَ) ، وَيَتَفَكَّرَ فِي حَالِ إِبْلِيسَ وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ** ﴾ [التوبة : ٢٥] ". اهـ .

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمُسَبِّحُ فِي شَرْحِهِ عَلَى مُخْتَصَرِ الْأَخْضَرِيِّ :
« **قَوْلُهُ** : (**وَالْعُجْبُ هُوَ أَنْ يَرَى الْإِنْسَانُ عِبَادَتَهُ وَيَسْتَعْظِمَهَا**) ؛ وَالْمُعْجَبُ أَبَدًا مَخْذُولٌ ، لِكَوْنِهِ يُحْجَبُ عَنِ التَّوْفِيقِ ، وَإِذَا حُجِبَ الْعَبْدُ عَنِ التَّوْفِيقِ ، فَهُوَ بِالْهَلَاكِ حَقِيقٌ . قَالَهُ الْإِمَامُ الْغَزَّالِيُّ فِي [الْمِنْهَاجِ] .
وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – أَنَّهُ قَالَ : (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ) .
وَمِنْ آفَاتِهِ : أَنَّهُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، لِقَوْلِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (كَمْ مِنْ سِرَاجٍ أَطْفَأَهُ الرِّيحُ ، وَكَمْ مِنْ

عَمَلٍ أَفْسَدَهُ الْعُجْبُ) .
وَبِالْجُمْلَةِ : فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يَحْتَقِرَ عَمَلَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ ، وَلَا يَرَى لَهُ مِقْدَارًا ، وَيَرَى الْمِنَّةَ للهِ تَعَالَى الَّذِي شَرَّفَهُ بِهَذَا الْعَمَلِ وَيَسَّرَهُ لَهُ » . اهـ .

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى دَفْعِ الْعُجْبِ : أَنَّ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَخْبَرَ بِأَنَّهُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ — **أَيْ** : يُبْطِلُ ثَوَابَهُ — فَإِذَا أَرَادَتْ نَفْسُكَ الْعُجْبَ ، فَقُلْ لَهَا : (عَوَّضَكِ اللهُ فِي الْعَمَلِ خَيْرًا) .
وَلَا مَعْنَى لِلْعُجْبِ بِمَا لَمْ يَعْلَمْ أَقُبِلَ أَوْ لَمْ يُقْبَلْ ؟! . عَلَى أَنَّهُ حَيْثُ شَهِدَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ يُعْجَبُ بِهِ .

((وَ)) حَاذِرِ ((**الْغِيبَةَ**)) بِكَسْرِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ وَهِيَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ حَالَ غَيْبَتِهِ بِمَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِيهِ فَهُوَ بُهْتَانٌ أَيْضًا .
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهَا تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ .

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمُسَبِّحُ فِي شَرْحِهِ عَلَى مُخْتَصَرِ الْأَخْضَرِيِّ :
« **قَوْلُهُ** : (**وَالْغِيبَةُ**) . **أَيْ** : وَمِمَّا يَحْرُمُ عَلَى الْمُكَلَّفِ الْغِيبَةُ ، وَهِيَ أَنْ يَذْكُرَ فِي الْإِنْسَانِ مَا يَكْرَهُهُ أَنْ لَوْ سَمِعَهُ إِنْ كَانَ مَا يَكْرَهُ فِيهِ مَوْجُودًا ، أَوْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فَهُوَ الْبُهْتَانُ .
وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْغِيبَةِ : الْحَسَدُ ؛ وَالتَّعْرِيضُ بِهَا وَالتَّصْرِيحُ سَوَاءٌ ؛ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَذْكُرَ نَقْصًا فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ الْمُغْتَابِ ، أَوْ نَسَبِهِ ، أَوْ خُلُقِهِ ، أَوْ فِعْلِهِ ، أَوْ قَوْلِهِ ، أَوْ دِينِهِ ، أَوْ دُنْيَاهُ ، حَتَّى فِي ثَوْبِهِ ، أَوْ دَابَّتِهِ ، أَوْ دَارِهِ .
وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ مَنْ ذَكَرَ غَيْرَهُ بِمَا يَكْرَهُ فَهُوَ مُغْتَابٌ عَاصٍ لِرَبِّهِ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا قَالَ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ : قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (هَلْ تَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ) ؛ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِيَّاكُمْ وَالْغِيبَةَ ، فَإِنَّهَا أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا ، لِأَنَّ الزَّانِيَ يَتُوبُ فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ ، وَصَاحِبُ الْغِيبَةِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ) » . اهـ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :
« **قَوْلُهُ** : (**وَغِيبَةٌ**) . ظَاهِرُ الْمَادَّةِ يُؤَيِّدُ مَا قِيلَ : إِنَّ مَا فِي الْحُضُورِ بُهْتَانٌ لَا غِيبَةٌ .
ثُمَّ مِمَّا يُعِينُ عَلَى تَرْكِ الْغِيبَةِ : شُهُودُ أَنَّ ضَرَرَهَا فِي النَّفْسِ ، فَإِنَّهُمْ مُثِّلُوا فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ بِقَوْمٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ بِأَظْفَارٍ مِنْ نُحَاسٍ ، وَتُؤْخَذُ حَسَنَاتُهُمْ لِلْمُغْتَابِ وَتُطْرَحُ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ .
فَالْعَيْبُ – حِينَئِذٍ – إِنَّمَا هُوَ فِيهِمْ ؛ عَلَى أَنَّ مَا يَغْتَابُونَ بِهِ غَالِبًا غَيْرُ مُحَقَّقٍ ، وَإِثْمُ الْغِيبَةِ مُحَقَّقٌ ؛ وَعَلَى فَرْضِ تَحَقُّقِ الْعَيْبِ يُمْكِنُ التَّوْبَةُ مِنْهُ ، مَعَ عُذْرِ الْقَضَاءِ فِي الْحَقِيقَةِ .
فَالْعَاقِلُ مَنِ اشْتَغَلَ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ ، **فَإِنْ قَالَ** : لَا أَعْلَمُ لِي عَيْبًا !! . فَاشْتِغَالُهُ بِعُيُوبِ النَّاسِ أَعْظَمُ عَيْبٍ ؛ وَمُجَرَّبٌ

٤٧٣ – ... ... وَالرِّيَـــــــــــــــــــاءَ ... ...

أَنَّهُ يُفْتَحُ بَابُ كَثْرَةِ الْعُيُوبِ فِيمَنْ تَعَاطَاهُ » . اِهَـ .

((وَ)) حَاذِرِ ((**الرِّيَاءَ**)) وَهُوَ الْعَمَلُ لِغَيْرِ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى ، وَهُوَ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ ؛ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ كَإِحْبَاطِ الْكُفْرِ لِلطَّاعَةِ ؛ وَهَذَا إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الْعَمَلِ هُوَ الرِّيَاءَ ؛ وَأَمَّا إِنْ كَانَ عَزَمَ عَلَى الْعَمَلِ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ الرِّيَاءُ ، فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلَ وَيُجَاهِدْ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ ذَلِكَ الْعَارِضِ وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهُ ، وَلَا يَتْرُكِ الْعَمَلَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ – وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى – مُوجِبٌ لِلْبَطَالَةِ وَإِهْمَالِ الطَّاعَةِ ، وَذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ؛ فَلْيَعْمَلْ وَيَسْتَغْفِرِ اللهَ تَعَالَى .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْبَاعِثُ لَهُ هُوَ الرِّيَاءَ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ وُقُوعُ الْفِعْلِ ، لِأَنَّهُ مَعْصِيَةٌ ، فَإِنْ وَقَعَ فَهِيَ مَعْصِيَةٌ أُخْرَى ، تَجِبُ مِنْهَا التَّوْبَةُ كَالرِّيَاءِ . قَالَهُ ابْنُ الْأَعْمَشِ فِي شَرْحِهِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ التَّاوُدِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [جَامِعِ] الشَّيْخِ خَلِيلٍ :

« وَهُوَ حَرَامٌ بِالْكِتَابِ ، وَالسُّنَّةِ ، وَالْإِجْمَاعِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ** ﴾ [البينة : ٥] ؛ وَفِي الصَّحِيحِ : " يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَنِي فِيهِ مَعَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ لَهُ) .

وَضِدُّهُ الْإِخْلَاصُ ، وَهُوَ إِفْرَادُ الْمَعْبُودِ بِالْعُبُودِيَّةِ » .

قَالَ فِي [الرِّسَالَةِ] :

« وَفَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُرِيدَ بِكُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ مِنَ الْبِرِّ وَجْهَ اللهِ الْكَرِيمَ ؛ وَمَنْ أَرَادَ بِذَلِكَ غَيْرَ اللهِ لَمْ يُقْبَلْ عَمَلُهُ ؛ وَالرِّيَاءُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ » . اِهَـ .

قَالَ سَيِّدِي زَرُّوقٌ :

« مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مِنْ أَنَّهُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ ، هُوَ لَفْظُ حَدِيثٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ؛ **وَقَدْ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ** : (الْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ) . وَالْكُلُّ صَحِيحٌ .
وَقَالَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ : (صَحِّحْ عَمَلَكَ بِالْإِخْلَاصِ ، وَصَحِّحْ إِخْلَاصَكَ بِالتَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ) .
وَفِي [الْحِكَمِ] : (الْأَعْمَالُ صُوَرٌ قَائِمَةٌ ، وَأَرْوَاحُهَا وُجُودُ سِرِّ الْإِخْلَاصِ فِيهَا) » . اِهَـ .

((وَاجْتَنِبَنْ)) بِنُونِ التَّوْكِيدِ الْخَفِيفَةِ ((فَخْرًا وَكِبْرِيَاءَ)) قَالَ ابْنُ الْأَعْمَشِ :
« هُمَا مُتَقَارِبَانِ ؛ **فَالْكِبْرُ هُوَ** : بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ ؛ وَهُوَ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ ؛ وَمَعْنَى " بَطَرُ الْحَقِّ " : إِخْفَاؤُهُ ؛
وَ" غَمْطُ النَّاسِ " : اِحْتِقَارُهُمْ .

قَالَ الشَّيْخُ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي شَرْحِ [الْقَصِيدِ] :
"حَقِيقَةُ الْكِبْرِ : رُؤْيَةُ شُفُوفِ النَّفْسِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالَى ، وَلَوْ كَلْبًا أَوْ عَذْرَةً وَنَحْوَهُمَا " . اهـ .
وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ رَأَى نَفْسَهُ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ لِذَاتِهِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مُتَكَبِّرٌ ، تَابِعٌ لِلشَّيْطَانِ – لَعَنَهُ اللهُ – فِي ذَلِكَ ، إِذْ قَالَ : ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ [الأعراف : ١٢] إِذْ لَا تَتَفَاضَلُ الْأَجْسَامُ لِذَوَاتِهَا ، وَإِنَّمَا تَفَاضُلُهَا بِتَخْصِيصِ اللهِ تَعَالَى فَضْلًا مِنْهُ وَنِعْمَةً ؛ فَمَنْ رَأَى أَنَّ ذَاتَهُ لَا فَضْلَ لَهَا لِذَاتِهَا ، بَلْ هِيَ مُسَاوِيَةٌ لِغَيْرِهَا إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهَا بِذَلِكَ ، فَلَيْسَ بِمُتَكَبِّرٍ ؛ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ » . اهـ .

وَقَوْلُهُ : « وَغَمْطُ النَّاسِ » . بِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ وَقَدْ رُوِيَ أَيْضًا بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ .

قَالَ فِي [الْجَامِعِ] عَاطِفًا عَلَى مَا ذَكَرَهُ قَبْلُ : « ثُمَّ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ مِنْ رَذِيلَةِ الْكِبْرِ » .

قَالَ الْعَلَّامَةُ التَّاوُدِيُّ فِي شَرْحِهِ :
« لَا شَكَّ فِي رَذَالَتِهِ وَمَقْتِ صَاحِبِهِ ؛ وَأَنَّى لِلْبَشَرِ أَنْ يَتَكَبَّرَ وَأَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَآخِرُهُ جِيفَةٌ ؟! قَالَ تَعَالَى : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر : ٣٥] ؛
وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ : " الْعَظَمَةُ إِزَارِي ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ وَلَا أُبَالِي " .
وَالْكِبْرُ خَاطِرٌ بِرِفْعَةِ نَفْسِكَ وَأَفْضَلِيَّتِهَا عَلَى غَيْرِهَا ، وَالْعَمَلُ بِهِ تَكَبُّرٌ ؛ وَالتَّوَاضُعُ خَاطِرٌ بِوَضْعِ النَّفْسِ ، وَالْعَمَلُ بِهِ تَوَاضُعٌ ، **أَدْنَاهُ** : الِاكْتِفَاءُ بِالدُّونِ ؛ **وَأَعْلَاهُ** : قَبُولُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ .
وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْكِبْرِ ؛ وَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ جَمِيلًا ! فَقَالَ : إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ؛ وَلَكِنَّ الْكِبْرَ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْصُ النَّاسِ " .
وَغَمَصَهُ – بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ، كَـ " ضَرَبَ ، وَسَمِعَ ، وَفَرِحَ " – : اِحْتَقَرَهُ – كَاغْتَمَصَهُ – وَعَابَهُ ، وَتَهَاوَنَ بِحَقِّهِ ؛ وَالنِّعْمَةَ : لَمْ يَشْكُرْهَا ؛ وَهُوَ مَغْمُوصٌ عَلَيْهِ : مَطْعُونٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ » . اهـ مِنَ [الْقَامُوسِ] .
وَكَيْفَ يَصِحُّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي الْخَاتِمَةَ ؟! .
قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ : « مِنْ شَرْطِ الْمُرِيدِ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَقَلَّ النَّاسِ وَأَقَلَّ الْمُرِيدِينَ ، وَلَا يَرَى لَهُ حَقًّا عَلَى أَحَدٍ ؛ وَمَنْ يَرَ

... ...

نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ مَرْتَبَتَهُ وَمَرْتَبَةَ ذَلِكَ الْأَحَدِ بِالْغَايَةِ لَا بِالْوَقْتِ ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِاللهِ ، مَخْدُوعٌ ، لَا خَيْرَ فِيهِ » .

وَقَالَ الشَّرِيشِيُّ فِي [رَائِيَّتِـ]ـهِ :

(وَلَا تَـــرَيَنَّ فِي الْأَرْضِ دُونَــكَ مُؤْمِنًــا ... وَلَا كَـــافِرًا حَـــتَّى تَغِيــبَ فِي الْقَـــبْرِ

فَــإِنَّ خِتَـــامَ الْمَـــرْءِ عَنْــكَ مُغَيَّـــبٌ ... وَمَــنْ لَـيْسَ ذَا خَسْـرٍ يَخَـافُ مِـنَ الْمَكْـرِ)

وَقَوْلُهُ : « لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ » .

لِأَنَّ حَضْرَةَ الرَّبِّ لَا يَلِجُهَا إِلَّا عَبْدٌ ، إِذْ لَا تَقْبَلُ الشَّرِكَةَ ؛ وَقَدْ قِيلَ لِأَوَّلِ مُتَكَبِّرٍ : ﴿ **فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣** ﴾ [الأعراف : ١٣] .

وَمِنْ ثَمَّ ، مَنَعَ الْمُتَخَلِّقُونَ بِأَخْلَاقِ الْحَقِّ تَعَالَى مَدَدَهُمْ عَنِ الْمُتَكَبِّرِينَ .

قَوْلُهُ : « مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْكِبْرِ » .

أَيْ : فَيُزَالُ مِنْهُ بِالنَّارِ أَوَّلًا ، أَوْ بِمِيَاهِ الْعَفْوِ ؛ ثُمَّ يَدْخُلُ . أَفَادَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ :

« وَالْكِبْرُ عَلَى الصَّالِحِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ حَرَامٌ مَعْدُودٌ مِنَ الْكَبَائِرِ ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ الْقَلْبِيَّةِ ؛ وَعَلَى أَعْدَاءِ اللهِ وَالظَّلَمَةِ مَطْلُوبٌ شَرْعًا ، وَحَسَنٌ عَقْلًا » . اهـ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **قَوْلُهُ** : (**مَطْلُوبٌ شَرْعًا**) . **مَعْنَاهُ**: بُغْضُ حَالَتِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا ، لَا تَحْقِيرُهُمْ فِي ذَاتِهِمْ » . اهـ .

(**الثَّانِي**) :

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ :

« **قَوْلُهُ** : (**وَالْكِبْرُ**) عَظُمَتْ بِهِ الْبَلْوَى ، حَتَّى قِيلَ : " آخِرُ مَا يَخْرُجُ مِنْ قُلُوبِ الصِّدِّيقِينَ حُبُّ الرِّيَاسَةِ " .

وَفِي حِزْبِ سَادَتِنَا الْوَفَائِيَّةِ : " وَانْزِعْ حُبَّ الرِّيَاسَةِ مِنْ رُءُوسِنَا " . وَسِرُّ ذَلِكَ – وَاللهُ أَعْلَمُ – أَنَّهُ مَعْصِيَةُ إِبْلِيسَ ،

… ..... … … … … … … …

وَوَدَّتِ الزَّانِيَةُ لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ زُنَاةً .

وَلَهُ دَوَاءٌ :

١ – عَقْلِيٌّ . **وَهُوَ** : عِلْمُهُ بِأَنَّ التَّأْثِيرَ للهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ – فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ – نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ؛ وَقَدْ قِيلَ لِسَيِّدِ الْكَائِنَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ؛ فَمِنْ ثَمَّ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَتَكَبَّرَ . فَاسْتَوَى الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، وَالرَّفِيعُ وَالْوَضِيعُ ، فِي الذُّلِّ الذَّاتِيِّ .

٢ – وَعَادِيٌّ . **وَهُوَ** : أَنَّهُ لَا يَتَكَبَّرُ إِلَّا شَرِيفٌ ؛ وَابْنُ آدَمَ أَصْلُهُ نُطْفَةٌ قَذِرَةٌ ، مِنْ دَمٍ أَصْلُهَا ، وَجَرَى مَجْرَى الْبَوْلِ مِرَارًا ، وَأَقَامَ مُدَّةً وَسَطَ الْقَاذُورَاتِ ، مِنْ دَمِ حَيْضٍ وَغَيْرِهِ ، وَمُدَّةً يَبُولُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتَغَوَّطُ ؛ ثُمَّ هُوَ الْآنَ مَحْشُوٌّ بِقَاذُورَاتٍ لَا تُحْصَى ، وَيُبَاشِرُ الْعَذْرَةَ بِيَدِهِ كَذَا كَذَا مَرَّةً ، يَغْسِلُهَا عَنْ جِسْمِهِ ؛ وَمَآلُهُ جِيفَةٌ مُنْتِنَةٌ .

فَمَنْ تَأَمَّلَ صِفَاتِ نَفْسِهِ عَرَفَ مِقْدَارَهُ ، وَلِذَا قَالَ مَنْ قَالَ : " عَرِّفِينِي مَنْ أَنَا !! " ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ : " لَا أَذَاقَكَ اللهُ طَعْمَ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ ذُقْتَهُ لَا تُفْلِحُ قَطُّ " فَإِنَّمَا أَرَادَ ذَوْقًا يَغْلَطُ فِيهِ .

٣ – وَشَرْعِيٌّ . **وَهُوَ** : الْوَعِيدُ الْوَارِدُ فِيهِ ، وَأَنَّهُ صِفَةُ الرَّبِّ ، مَنْ نَازَعَهُ فِيهِ أَهْلَكَهُ ، وَوَضَعَهُ الْمَلَكُ ، وَغَارَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ ، لِخُرُوجِهِ عَلَى سَيِّدِهَا ، وَطَلَبِهِ الرِّفْعَةَ عَلَيْهَا ، مَعَ أَنَّهُ كَآحَادِهَا ؛ فَيُسْتَثْقَلُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَيُمَجُّ وَيُبْغَضُ – كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ – وَطَالَ مَا يَتَنَغَّصُ ، حَيْثُ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِتَحْمِيلِهَا مَا لَا تُطِيقُ مِنْ إِخْرَاجِهَا عَنْ طَبْعِ الْعُبُودِيَّةِ .

إِنْ قُلْتَ : مُدَاوَاةُ الْكِبْرِ تُهَيِّجُ كُفْرَانَ النِّعَمِ ! .

قُلْنَا : لَا ، فَإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ هُوَ الَّذِي يَحْقِرُ النِّعْمَةَ ، فَلَا يَمْلَأُ عَيْنَهُ مِنْهَا شَيْءٌ ؛ وَمَا أُعْطِيَهُ قَالَ : ﴿ **هَٰذَا لِي** ﴾ [فصلت : ٥٠] كَمَا يَقُولُ بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ : "هَذَا مِنْ مُطَالَعَتِي وَتَعَبِي ... " !! إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ وِرَاثَةٌ مِنْ قَوْلِ الْكَافِرِ : ﴿ **إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ** ﴾ [القصص : ٧٨] فَقِيلَ لَهُ : ﴿ **أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ... فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾** ﴾ [القصص : ٧٨ ، ٨١] .

وَالْمُتَوَاضِعُ : مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ ، وَرَأَى جَمِيعَ مَا مَعَهُ فَضْلَ اللهِ ، غَيْرَ مُحْتَقِرٍ لِشَيْءٍ فِي مَمْلَكَةِ سَيِّدِهِ ، مُرَاقِبًا لِمَوْلَاهُ ، سَائِلًا مِنْهُ دَوَامَ مَا تَفَضَّلَ بِهِ ؛ وَهُوَ الْمُنْدَرِجُ فِي خِطَابِ : ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم : ٧] ؛ فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ التَّحَدُّثِ بِالنِّعَمِ وَالتَّوَاضُعِ ، لِمَا قَدَّمْنَاهُ غَيْرَ مَرَّةٍ » . اهـ .

… ….. … … … … … …

(الثَّالِثُ) :

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمُسَبِّحُ فِي شَرْحِهِ عَلَى مُخْتَصَرِ الْأَخْضَرِيِّ :

وَالْكِبْرُ مِنْ أَعْظَمِ ذُنُوبِ الْقَلْبِ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ : " كُلُّ ذَنْبٍ يَكُونُ مَعَهُ الْفَتْحُ ، إِلَّا الْكِبْرَ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر : ٣٥] ، وَقَالَ : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] " .

ثُمَّ قَالَ : " وَقَالَ نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – لِجُنُودِهِ يَوْمًا : اُخْرُجُوا، فَخَرَجُوا مِائَتَا أَلْفٍ مِنَ الْإِنْسِ ، وَمِائَتَا أَلْفٍ مِنَ الْجِنِّ ؛ ثُمَّ رُفِعَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – حَتَّى سَمِعَ تَسْبِيحَ الْمَلَائِكَةِ ، ثُمَّ خُفِضَ حَتَّى مَسَّتْ قَدَمَاهُ الْبَحْرَ ؛ فَسَمِعَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – صَوْتًا يَقُولُ : " لَوْ كَانَ فِي قَلْبِ صَاحِبِكُمْ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ لَخَسِفَ بِهِ " .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْكِبْرَ خُلِقَ فِي الْبَاطِنِ ، وَأَعْمَالٌ تَصْدُرُ عَنِ الْجَوَارِحِ يَسْتَعْظِمُ بِهَا الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ ، وَيَحْقِرُ غَيْرَهُ ؛ وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِهِ ، لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ وَالْعِزَّةَ وَالْعُلُوَّ لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ تَعَالَى .

وَسَبَبُ الْكِبْرِ إِمَّا :

١ – عِلْمٌ .
٢ – أَوْ عَمَلٌ .
٣ – أَوْ نَسَبٌ .
٤ – أَوْ قُوَّةٌ .
٥ – أَوْ جَمَالٌ .
٦ – أَوْ مَالٌ .
٧ – أَوْ كَثْرَةُ الْأَنْصَارِ .

فَمَنْ تَكَبَّرَ بِوَصْفٍ مِنْ تِلْكَ الْأَوْصَافِ ، فَقَدْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ . نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ .

وَأَعْظَمُ دَرَجَاتِ الْكِبْرِ :

١ – التَّكَبُّرُ عَلَى اللهِ تَعَالَى .
٢ – ثُمَّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
٣ – ثُمَّ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ .

٤٧٤ – وَأْمُـــرْ بِمَعْـــرُوفٍ وَغَيِّـــرْ مُنْكَـــرَا   وَانْصَـــحْ وَنَبِّـــهْ ذَا اغْـــتِرَارٍ مِـــنْ كَـــرَا

((**وَأْمُرْ بِمَعْرُوفٍ**)) **أَيْ** : مَا أَمَرَ بِهِ الشَّارِعُ مِنْ وَاجِبٍ وَمَنْدُوبٍ ((**وَغَيِّرْ**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَكَسْرِ الْمُثَنَّاةُ تَحْتُ مُثَقَّلًا ((**مُنْكَرًا**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحٍ ؛ **أَيْ** : مَا نَهَى عَنْهُ الشَّارِعُ مِنْ حَرَامٍ وَمَكْرُوهٍ .

وَيَجِبُ فَوْرًا وُجُوبًا كِفَائِيًّا ، بِحَيْثُ إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ الطَّلَبُ عَنِ الْبَاقِينَ :

١ – الْأَمْرُ بِالْوَاجِبِ .

٢ – وَالنَّهْيُ عَنِ الْحَرَامِ .

وَيُنْدَبُ :

١ – الْأَمْرُ بِالْمَنْدُوبِ .

٢ – وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَكْرُوهِ .

وَوُجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِمَنْ لَا يَرْتَكِبُ مِثْلَهُ ؛ **وَلِذَا قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ** :

« يَجِبُ عَلَى مُتَعَاطِي الْكَاسِ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى الْجُلَّاسِ » .

وَقَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ الْغَزَّالِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِ :

« يَجِبُ عَلَى مَنْ زَنَا بِامْرَأَةٍ أَمْرُهَا بِسَتْرِ وَجْهِهَا عَنْهُ » .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(الْأَوَّلُ) :

الدَّلِيلُ عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ :

١ – الْكِتَابُ :

كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

[آل عمران : ١٠٤] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ لُقْمَانَ : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان : ١٧] .

٢ – وَالسُّنَّةُ :

كَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

« سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » .

... ...

قَالَ الْمُحَقِّقُ الْأَمِيرُ :

« **قَوْلُهُ** : " أَضْعَفُ الْإِيمَانِ " . مُرَادُهُ بِهِ الْأَعْمَالُ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٤٣]

أَيْ : صَلَاتَكُمْ جِهَةَ الْقُدْسِ .

وَمَعْنَى ضَعْفِهِ : دَلَالَتُهُ عَلَى غَرَابَةِ الْإِسْلَامِ وَعَدَمِ انْتِظَامِهِ ؛ وَإِلَّا فَلَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » . اهـ .

وَحَدِيثِ : « لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُعَذِّبَنَّكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » .

وَحَدِيثِ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – أَنْ يَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الْفُلَانِيَّةَ عَلَى أَهْلِهَا ؛ قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنَّ فُلَانًا فِيهِمْ ، لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ !! فَقَالَ : اِقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَجْهُهُ قَطُّ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا » .

٣ – وَالْإِجْمَاعُ :

فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَبَعْدَهُ كَانُوا يَتَوَاصَوْنَ بِذَلِكَ ، وَيُوَبِّخُونَ تَارِكَهُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

(الثَّانِي) :

لَا يُشْكِلُ عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ** ﴾ [المائدة : ١٠٥] ؛ **لِأَنَّ الْمَعْنَى** : إِذَا فَعَلْتُمْ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ – وَمِنْهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ – لَا يَضُرُّكُمْ فِعْلُ غَيْرِكُمْ لِلْمَعْصِيَةِ .

فَصَارَتِ الْآيَةُ دَالَّةً عَلَى وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ أَنْ يُقَالَ لِلْعَبْدِ : " اِتَّقِ اللهَ " فَيَقُولُ : عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ » .

وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ مَنْ قِيلَ لَهُ : " اِتَّقِ اللهَ " فَغَضِبَ ، وَقَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ مَلَكٌ إِلَّا مَرَّ بِهِ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي قِيلَ لَكَ : " اِتَّقِ اللهَ " فَغَضِبْتَ ؟! يَعْنِي: يُوَبِّخُونَهُ » .

(الثَّالِثُ) :

لِوُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ شُرُوطٌ :

١ – الْأَوَّلُ :

أَنْ يَكُونَ الْمُتَوَلِّي لِذَلِكَ عَالِمًا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ؛ فَالْجَاهِلُ بِالْحُكْمِ لَا يَحِلُّ لَهُ الْأَمْرُ وَلَا النَّهْيُ ، فَلَيْسَ لِلْعَوَامِّ أَمْرٌ وَنَهْيٌ فِيمَا يَجْهَلُونَهُ . وَأَمَّا الَّذِي اسْتَوَى فِي مَعْرِفَتِهِ الْعَامُّ وَالْخَاصُّ ، فَفِيهِ – لِلْعَالِمِ وَغَيْرِهِ – الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .

… …

٢ – الثَّانِي :
أَنْ يَأْمَنَ أَنْ يُؤَدِّيَ إِنْكَارُهُ إِلَى مُنْكَرٍ أَكْبَرَ مِنْهُ ؛ كَأَنْ يَنْهَى عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ فَيُؤَدِّي نَهْيُهُ عَنْهُ إِلَى قَتْلِ النَّفْسِ أَوْ نَحْوِهِ .
فَعَدَمُ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ يُوجِبُ التَّحْرِيمَ .

٣ – الثَّالِثُ :
أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ أَمْرَهُ بِالْمَعْرُوفِ مُؤَثِّرٌ فِي تَحْصِيلِهِ ؛ وَأَنَّ نَهْيَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ مُزِيلٌ لَهُ .
وَعَدَمُ هَذَا الشَّرْطِ يُسْقِطُ الْوُجُوبَ ، وَيَبْقَى الْجَوَازُ إِذَا قَطَعَ بِعَدَمِ الْإِفَادَةِ ، وَالنَّدْبُ إِذَا شَكَّ فِيهَا . قَالَهُ الْقَرَافِيُّ وَغَيْرُهُ .
وَقَالَ السَّعْدُ وَالْآمِدِيُّ بِالْوُجُوبِ فِيمَا لَوْ ظَنَّ عَدَمَ الْإِفَادَةِ أَوْ شَكَّ فِيهَا ، بِخِلَافِ مَا إِذَا قَطَعَ بِعَدَمِ الْإِفَادَةِ .
وَلَفْظُ السَّعْدِ :
« **وَمِنَ الشُّرُوطِ** : تَجْوِيزُ التَّأْثِيرِ ؛ بِأَنْ لَا يَعْلَمُ قَطْعًا عَدَمَ التَّأْثِيرِ ، لِئَلَّا يَكُونَ عَبَثًا وَاشْتِغَالًا بِمَا لَا يَعْنِي » . اهـ .
وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْآمِدِيِّ : « وَمِنْ شُرُوطِ الْوُجُوبِ : أَنْ لَا يَيْأَسَ مِنْ إِجَابَتِهِ » .
وَقَالَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ –كَالشَّافِعِيَّةِ – : لَا يُشْتَرَطُ هَذَا الشَّرْطُ ، لِأَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ : الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، لَا الْقَبُولُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة : ٩٩] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ ﴾

[الذاريات : ٥٥] ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّوَوِيُّ :
« قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَا يَسْقُطُ عَنِ الْمُكَلَّفِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لِكَوْنِهِ لَا يُفِيدُ فِي ظَنِّهِ ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ » .

٤ – الرَّابِعُ :
قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَظِيمِ الْمُسَبِّحُ فِي شَرْحِهِ عَلَى [مُخْتَصَرُ الْأَخْضَرِيِّ] :
« وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَعْرُوفُ مَعْرُوفًا ، وَالْمُنْكَرُ مُنْكَرًا ، لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ ، وَتُنْكِرُ الْمُنْكَرَ ؛ وَقُدِّمَ الْمَعْرُوفُ عَلَى الْمُنْكَرِ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ هُوَ الَّذِي عُرِفَ أَوَّلًا عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ وَإِبْلِيسَ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَلَقَهُمَا خُلِقَ الْمُنْكَرُ » . اهـ .

وَقَالَ قَبْلَ ذَلِكَ :
« **يَعْنِي** : أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مُهِمَّاتِ الدِّينِ ، وَلِأَجْلِ أَنَّهُ مِنْ مُهِمَّاتِ الدِّينِ بَعَثَ اللهُ الْأَنْبِيَاءَ ؛ فَلَوْ أُهْمِلَ ذَلِكَ لَتَعَطَّلَتِ الشَّرِيعَةُ ، وَاضْمَحَلَّتِ الدِّيَانَةُ ، وَفَشَتِ الضَّلَالَةُ ، وَشَاعَتِ الْجَهَالَةُ .
وَكَانَ أَهْلُ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ – رَحِمَهُمُ اللهُ – لَمْ يُهْمِلُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَقَامُوا بِهِ أَتَمَّ قِيَامٍ ، حَتَّى عَمَّتْ أَنْوَارُ الشَّرِيعَةِ جَمِيعَ الْبِلَادِ ، وَظَهَرَ الْعَدْلُ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَكَثُرَتْ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ .

٤٧٤ – ... ... وانْصَحْ وَنَبِّهْ ذَا اغْتِرَارٍ مِنْ كَرَا

٤٧٥ – وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ وَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا وَاجْعَلْ مِنَ التَّقْوَى جَمِيلَ زِيِّهَا

٤٧٦ – وَاقْطَعْ ذَوِي الْمَيْلِ وَوَاصِلْ مَنْ عَدَلْ وَلَا تَمِلْ إِلَى الْمِرَاءِ وَالْجَدَلْ

وَأَمَّا الْآنَ ، فَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعِيَانِ ، لِأَنَّهُ قَدْ غَلَبَ فِي هَذَا الزَّمَانِ – الصَّعْبِ – عَلَى النَّاسِ الْمُدَاهَنَةُ وَالْهَوَى ، حَتَّى دَثَرَتْ هَذِهِ السُّنَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ، فَقَلَّ أَنْ تَجِدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنًا صَادِقًا يُحْيِي هَذِهِ السُّنَّةَ الشَّرِيفَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ » . اِهَـ .

((**وَانْصَحْ**)) اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ ، وَرَسُولَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالْإِيمَانِ بِهِ وَالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ ، وَالْقُرْءَانَ بِتَعْظِيمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ ، وَوَلِيَّ الْأَمْرِ بِطَاعَتِهِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ وَعَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ ، بِدَلَالَتِهِمْ عَلَى صَلَاحِهِمْ ، وَأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ .

((**وَنَبِّهْ**)) بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ((**ذَا**)) **أَيْ** : صَاحِبَ ((**اغْتِرَارٍ مِنْ كَرًا**)) بِفَتْحِ الْكَافِ ؛ **أَيْ** : غَفْلَةٍ .

((**وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ وَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا**)) بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَشَدِّ الْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ؛ **أَيْ** : ضَلَالِهَا ((**وَاجْعَلْ مِنَ التَّقْوَى**)) **أَيْ** : طَاعَةِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِامْتِثَالِ مَأْمُورَاتِهِمَا ، وَاجْتِنَابِ مَنْهِيَّاتِهِمَا ((**جَمِيلَ زِيِّهَا**)) بِكَسْرِ الزَّايِ وَالْمُثَنَّاةِ تَحْتُ ؛ **أَيْ** : هَيْئَتِهَا .

((**وَاقْطَعْ**)) **أَيِ** : اجْتَنِبْ ((**ذَوِي**)) **أَيْ** : أَصْحَابَ ((**الْمَيْلِ**)) – بِفَتْحِ الْمِيمِ – عَنِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**وَوَاصِلْ مَنْ**)) **أَيِ** : الْفَرِيقَ وَالْجَمْعَ الَّذِي ((**عَدَلْ**)) وَأَنْصَفَ فِي دِينِهِ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**وَلَا تَمِلْ إِلَى الْمِرَاءِ**)) بِكَسْرِ الْمِيمِ مَمْدُودًا ؛ **أَيِ** : الْخِصَامِ .

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ ، بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ ؛ وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُبْطِلٌ ، بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ » .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

الْمِرَاءُ فِي اللُّغَةِ : الِاسْتِخْرَاجُ ؛ يُقَالُ : مَارَى فُلَانٌ فُلَانًا : إِذَا اسْتَخْرَجَ مَا عِنْدَهُ .

وَفِي الْعُرْفِ : مُنَازَعَةُ الْغَيْرِ فِيمَا يَدَّعِي صَوَابَهُ.

(**الثَّانِي**) :

مَحَلُّ كَوْنِ الْمِرَاءِ مَنْهِيًّا عَنْهُ وَمَذْمُومًا ، إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ عَلَيْهِ تَحْقِيرَ غَيْرِكَ ، وَإِظْهَارُ مَزِيَّتِكَ عَلَيْهِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي

الْحَدِيثِ : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » ثَلَاثًا . وَالْمُرَادُ بِهِمْ : الْمُتَعَمِّقُونَ فِي الْبَحْثِ . وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ ثَوْبَانَ مَرْفُوعًا : « سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُغَلِّطُونَ فُقَهَاءَهُمْ بِعُضَلِ الْمَسَائِلِ ، أُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي » .

وَقَوْلُهُ: « بِعُضَلِ » بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : صِعَابِهَا .

٤٧٧ – وَفِي كِتَـــابِ اللهِ أَسْـــنَى مُكْتَفَـــى　　بِـــهِ ، وَمَـــا سَـــنَّ النَّـــبِيُّ الْمُقْتَفَـــى

٤٧٨ – وَمَـــا عَلَيْـــهِ أَجْمَـــعَ الْأَعْـــلَامُ　　مِمَّـــنْ تَزَكَّـــتْ مِـــنْهُمُ الْأَحْـــلَامُ

٤٧٩ – فَـــأَكْرَمُ الْعِبَـــادِ عِنْـــدَ اللهِ　　مَـــنْ لَمْ يَكُـــنْ فِي عَيْشِـــهِ بِـــاللَّاهِي

٤٨٠ – وَفِي اتِّبَـــاعِ السَّـــلَفِ الْهُـــدَاةِ　　وَسِـــيلَةٌ لِلْأَمْـــنِ وَالنَّجَـــاةِ

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ عَلَيْهِ إِظْهَارَ حَقِّيَّةِ الْحَقِّ ، وَإِظْهَارَ بُطْلَانِ الْبَاطِلِ ، فَلَا يَكُونُ مَذْمُومًا ، بَلْ هُوَ مَمْدُوحٌ شَرْعًا ، وَلَوْ مِنْ وَلَدٍ لِوَالِدِهِ ، فَيَكُونُ عُقُوقًا مَحْمُودًا .

((وَ)) لَا تَمِلْ إِلَى ((**الْجَدَلْ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيِ** : الْمُجَادَلَةِ وَالْمُحَاجَّةِ .
وَمَحَلُّ حُرْمَتِهِ : إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ عَلَيْهِ إِفْسَادَ قَوْلِ الْغَيْرِ ؛ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ عَلَيْهِ إِحْقَاقَ الْحَقِّ ، أَوْ إِبْطَالَ الْبَاطِلِ ، فَلَا يَكُونُ حَرَامًا ، بَلْ رُبَّمَا يَكُونُ وَاجِبًا إِذَا تَوَقَّفَ عَلَيْهِ مَا ذُكِرَ ؛ وَلِذَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :
« مَا ذَاكَرْتُ أَحَدًا وَقَصَدتُّ إِفْحَامَهُ ، وَإِنَّمَا أُذَاكِرُهُ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ هُوَ حَقٌّ » .

((**وَفِي كِتَابِ اللهِ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ **أَيِ** : الْقُرْءَانِ الْعَزِيزِ ((**أَسْنَى**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : أَرْفَعُ وَأَنْوَرُ شَيْءٍ ((**مُكْتَفَى**)) بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَفَتْحَتَيْنِ ((**بِهِ**)) عَنْ غَيْرِهِ فِي تَبْيِينِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَهُوَ إِمَامُنَا الْمُبِينُ ((**وَ**)) **فِي** ((**مَا**)) **أَيِ** : الشَّرْعِ الَّذِي ((**سَنَّ**)) بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَالنُّونِ مُثَقَّلَةً ؛ **أَيْ** : شَرَعَ وَبَيَّنَ ((**النَّبِيُّ الْمُقْتَفَى**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَفَتْحِ الْفَاءِ ؛ **أَيِ** : الْمُتَّبَعُ .
قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

((**وَ**)) **فِي** ((**مَا**)) **أَيِ** : الْحُكْمِ الَّذِي ((**عَلَيْهِ**)) صِلَةُ ((**أَجْمَعَ الْأَعْلَامُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ، جَمْعُ " عَلَمٍ " بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ ؛ **أَيِ** : الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ الَّذِينَ هُمْ كَالْجِبَالِ الشَّامِخَةِ ؛ حَالَ كَوْنِهِمْ ((**مِمَّنْ**)) **أَيِ** : الْجَمْعِ الَّذِي

((**تَزَكَّتْ**)) **أَيْ** : تَطَهَّرَتْ مِنَ الرَّانِ ((**مِنْهُمُ**)) بِإِشْبَاعِ الْمِيمِ ، لِلْوَزْنِ ((**الْأَحْلَامُ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْعُقُولُ .
((**فَأَكْرَمُ الْعِبَادِ**)) **أَيِ** : الْمَخْلُوقِينَ ((**عِنْدَ اللهِ**)) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**مَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**لَمْ يَكُنْ فِي عَيْشِهِ**)) **أَيْ** : حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا ؛ صِلَةُ ((**بِاللَّاهِي**)) **أَيِ** : اللَّاعِبِ الْمُشْتَغِلِ بِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا .
قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ... ﴾ [العنكبوت : ٦٤] الْآيَةَ .

٤٨١ – وَلْنَجْعَلِ الْخِتَامَ بِالشَّهَادَةْ ... تَفَاؤُلًا بِرُتْبَةِ السَّعَادَةْ

٤٨٢ – لِأَنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) قَدْ ... تَضَمَّنَتْ جُمْلَتُهَا مَا يُعْتَقَدْ

٤٨٣ – فِي حَقِّ رَبِّنَا وَفِي حَقِّ الرُّسُلْ ... النَّاهِجِينَ لِلْوَرَى أَهْدَى السُّبُلْ

٤٨٤ – مِنْ وَاجِبٍ وَجَائِزٍ وَمَا امْتَنَعْ ... وَمَنْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعْنَاهَا ارْتَفَعْ

((**وَفِي اتِّبَاعِ السَّلَفِ**)) بِفَتْحِ السِّينِ وَاللَّامِ فَفَاءٍ ؛ **أَيِ** : الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ ، وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ ((**الْهُدَاةِ وَسِيلَةٌ لِلْأَمْنِ وَالنَّجَاةِ**)) مِنْ عَذَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

((**وَلْنَجْعَلِ الْخِتَامَ**)) لِـ[الْإِضَاءَةِ] ((**بِـ**)) ـالْكَلَامِ عَلَى صِيغَةِ ((**ـالشَّهَادَةْ**)) **أَيْ** : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " ((**تَفَاؤُلًا**)) لَنَا وَلِلنَّاظِرِينَ فِيهَا ((**بِـ**)) **نَيْلِ** ((**ـرُتْبَةِ السَّعَادَةْ**)) فِي الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِدُخُولِ الْجِنَانِ ، وَرُؤْيَةِ وَجْهِ اللهِ– سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – قَدِيمِ الْإِحْسَانِ .

((**لِأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ((**قَدْ تَضَمَّنَتْ جُمْلَتُهَا**)) جَمِيعَ ((**مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**يُعْتَقَدْ**)) بِضَمِّ الْيَاءِ ، وَفَتْحِ الْقَافِ ((**فِي حَقِّ رَبِّنَا وَفِي حَقِّ الرُّسُلْ النَّاهِجِينَ**)) **أَيْ** : الْمُبَيِّنِينَ ((**لِلْوَرَى**)) **أَيِ** : الْمَخْلُوقِينَ ((**أَهْدَى السُّبُلْ**)) بِضَمِّ السِّينِ وَالْمُوَحَّدَةِ ؛ **أَيِ** : الطُّرُقِ .

وَبَيَّنَ مَا يُعْتَقَدُ فِي حَقِّ رَبِّنَا – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وَفِي حَقِّ رُسُلِهِ – صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ – بِقَوْلِهِ :

((**مِنْ وَاجِبٍ وَجَائِزٍ وَمَا امْتَنَعْ وَمَنْ**)) بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ **أَيِ** : الَّذِي ((**يَكُنْ يَعْرِفُ مَعْنَاهَا**)) **أَيْ** : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " ((**ارْتَفَعْ**)) قَدْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَمَفْهُومُهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَعْنَاهَا لَا يَرْتَفِعُ قَدْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَهُوَ كَذَلِكَ .

وَفِي ابْنِ كِيرَانَ مَا نَصُّهُ :

« فِي شَرْحِ [الْوُسْطَى] : " سُئِلَ فُقَهَاءُ < بِجَايَةَ > وَغَيْرُهُمْ عَمَّنْ يَنْطِقُ بِكَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ ، وَيُصَلِّي ، وَيَصُومُ ، وَيَحُجُّ ، وَيَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا ؛ لَكِنْ إِنَّمَا يَأْتِي بِصُوَرِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ كَمَا يَرَى النَّاسَ يَفْعَلُونَ ، وَلَا يَفْهَمُ مَعْنَى كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ ، وَلَا يَفْهَمُ مَعْنَى الْإِلَهِ وَلَا الرَّسُولِ ، وَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ أَنَّ الرَّسُولَ نَظِيرُ الْإِلَهِ ، لِسَمَاعِ ذِكْرِهِ مَعَهُ فِي كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ؟ .

فَأَجَابُوا كُلُّهُمْ :

بِأَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُضْرَبُ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ بِنَصِيبٍ ، وَلَا عِبْرَةَ بِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ . [السَّنُوسِيُّ] .

وَهَذَا فِي غَايَةِ الْجَلَاءِ ، لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ ؛ وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُقَلِّدِ الْمُخْتَلَفِ فِيهِ .

قَالَ السَّكْتَانِيُّ : " مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ فِي فَهْمِ مَعْنَاهَا مَعْرِفَةُ انْدِرَاجِ جَمِيعِ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ تَحْتَهَا – عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي فَصَّلَهُ فِي الصُّغْرَى – وَإِنَّمَا الشَّرْطُ فَهْمُ الرِّسَالَةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ؛ وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُهُ فِي [شَرْحِ الصُّغْرَى] : " لَا بُدَّ مِنْ فَهْمِ مَعْنَاهَا ، وَإِلَّا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا صَاحِبُهَا فِي الْإِنْقَاذِ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ " . اهـ .

... ...

وَبِنَحْوِ هَذَا أَجَابَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ نَفْسُهُ حِينَ سُئِلَ :

هَلْ يُشْتَرَطُ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ مَعْرِفَةُ مَعْنَى كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ عَلَى التَّفْصِيلِ الَّذِي فِي [الصُّغْرَى] ؟ .

فَأَجَابَ بِأَنَّ :

" ذَلِكَ لَا يُشْتَرَطُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الْكَمَالُ ، وَالْمُشْتَرَطُ مَعْرِفَةُ الْمَعْنَى إِجْمَالًا عَلَى وَجْهٍ يَتَضَمَّنُ التَّفْصِيلَ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ آحَادَ الْمُؤْمِنِينَ يَفْهَمُونَ مِنْهَا أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْخَالِقُ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، وَهُوَ الرَّازِقُ وَلَيْسَ بِمَرْزُوقٍ ؛ وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى غِنَاهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَافْتِقَارُ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ ؛ ويَعْرِفُونَ أَنَّ الْإِلَهَ لَا يُصَلَّى إِلَّا لَهُ ، وَلَا يُصَامُ إِلَّا لَهُ ، وَلَا يُحَجُّ إِلَّا لَهُ ، وَلَا يُعْبَدُ سِوَاهُ ؛ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : < الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ > ... " .

قَالَ :

" وَالَّذِي وَقَعَتْ بِهِ الْفَتْوَى أَنَّهُ لَا يُضْرَبُ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ بِنَصِيبٍ : نَادِرٌ جِدًّا ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا يَدْرِي مَعْنَاهَا تَفْصِيلًا وَلَا إِجْمَالًا ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالْمُرْسِلِ » . اهـ .

[تَنْبِيهَاتٌ]

(**الْأَوَّلُ**) :

قَالَ ابْنُ كِيرَانَ :

« زَعَمَ الْهِبْطِيُّ – تَلَقِّيًا عَنِ الْخَرُّوبِيِّ الطَّرَابُلْسِيِّ – أَنَّ الْأَصْنَامَ وَكُلَّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا تَدْخُلُ تَحْتَ النَّفْيِ فِي قَوْلِنَا : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) ، وَإِنَّمَا (الْإِلَهُ) **بِمَعْنَى** : الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ ، وَهُوَ مَفْهُومٌ كُلِّيٌّ يَصْدُقُ فِي الْعَقْلِ عَلَى كَثِيرِينَ بِالنَّظَرِ إِلَى ذَاتِهِ ، – فَأَثْبَتَ مِنْهُمُ الْفَرْدَ الْمَوْجُودَ فِي الْخَارِجِ ، وَهُوَ خَالِقُ الْعَالَمِ ، وَنَفَى بَقِيَّةَ الْأَفْرَادِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي يَتَصَوَّرُهَا الْعَقْلُ مُمَاثِلَةً لَهُ تَعَالَى – وَأَمَّا الْأَصْنَامُ فَلَمْ تَدْخُلْ فِي ذَلِكَ الْمَفْهُومِ ، إِذْ لَيْسَتْ بِآلِهَةٍ ، وَأَيْضًا لَا يَصِحُّ نَفْيُ وُجُودِ ذَوَاتِهَا ، لِوُجُودِهَا فِي الْخَارِجِ ؛ بِخِلَافِ الْأَفْرَادِ الذِّهْنِيَّةِ ، فَيَصِحُّ نَفْيُهَا ، لِعَدَمِ وُجُودِهَا فِي الْخَارِجِ .

وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُجِيبَ بِأَنَّ الْمَنْفِيَّ هُوَ صِفَةُ الْأَصْنَامِ ، لَا ذَوَاتُهَا الْمَوْجُودَةُ فِي الْخَارِجِ ، لِأَنَّ الْإِلَهَ لَيْسَ بِصِفَةٍ وَلَا مُشْتَقٍّ حَتَّى يُتَصَوَّرَ انْتِفَاءُ الْوَصْفِ الْعُنْوَانِيِّ فَقَطْ ... .

وَبَالَغَ الْهِبْطِيُّ فِي هَذَا ، وَنَظَمَ فِيهِ وَنَثَرَ ؛ وَمِنْ نَظْمِهِ فِيهِ :

(إِنْ قُلْتَ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " فَالْمِثْلَ قَدْ نَفَيْتَ لَا سِوَاهُ)

وَقَالَ فِي رَجَزٍ آخَرَ :

(قَوْلُ الَّذِي يَقُولُ نَفْيُ الاَصْنَامْ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ مَجِيءِ ذَا الْكَلَامْ

النَّفْيُ صَدَّقْهُ بِلَازِمِ انْعِدَامْ بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ عَلَى الدَّوَامْ

فَمَنْ يَقُلْ إِذًا بِنَفْيِ الْمَوْجُودْ فَعَقْلُهُ – بِلَا مَجَازٍ – مَفْقُودْ

قَدْ جَازَ دَهْرَهُ بِلَا إِفَادَةْ لَمْ يَدْرِ حَتَّى هَذِهِ الشَّهَادَةْ !)

... ...

وَقَدْ خَالَفَهُ الجَمُّ الْغَفِيرُ ، مِنْهُمْ عَصْرِيُّهُ الشَّيْخُ الْيَسِّيتِنِيُّ ، وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاظَرَةٌ فِي الْمَسْأَلَةِ بِإِذْنِ أَمِيرِ الْوَقْتِ ؛ فَقَالَ الْيَسِّيتِنِيُّ : " إِنَّ النَّفْيَ مُسَلَّطٌ عَلَى كُلٍّ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَفْرَادِ الذِّهْنِيَّةِ الْمَفْرُوضَةِ الْمُمَاثِلَةِ ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ... ﴾ [الصافات : ٣٥] الْآيَةَ ؛ فَلَوْلَا أَنَّهُمْ فَهِمُوا مِنْ هَذَا النَّفْيِ أَنَّهُ أَزَالَ أُلُوهِيَّةَ أَصْنَامِهِمْ، مَا اسْتَكْبَرُوا وَقَالُوا مَا قَالُوا " . اهـ .

قُلْتُ : وَمَالَ الشَّارِحُ إِلَى الْأَوَّلِ ؛ وَالْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ هُوَ الثَّانِي ؛ وَكَيْفَ لَا ؟! وَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ إِنَّمَا جِيءَ بِهَا عَلَى طَرِيقِ الْحَصْرِ ، لِرَدِّ اعْتِقَادِ مَنْ يَعْتَقِدُ أُلُوهِيَّةَ غَيْرِهِ تَعَالَى ، بِقَصْرِ الْقَلْبِ أَوِ الْأَفْرَادِ كَمَا مَرَّ .
فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَنْفِيُّ أُلُوهِيَّةَ مَا اعْتَقَدُوا فِيهِ الْأُلُوهِيَّةَ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ ، لِيَحْصُلَ إِبْطَالُ اعْتِقَادِهِمْ .
وَحُصُولُ الرَّدِّ بِمَفْهُومِ الْأَحْرَوِيَّةِ لَا يَلِيقُ بِالْمَقَامِ وَلَا بِالصِّيغَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْحَصْرِ –كَمَا لَا يَخْفِي عَلَى ذِي الذَّوْقِ السَّلِيمِ – مَعَ أَنَّهُ لَا أَحْرَوِيَّةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُفَّارِ الْمَرْدُودِ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ حَقِّيَّةَ أُلُوهِيَّةِ أَصْنَامِهِمْ .
وَمَا اسْتَنَدَ إِلَيْهِ الْهِبْطِيُّ وَمَتْبُوعُهُ الْخَرُّوبِيُّ مِنْ أَنَّ الْأَصْنَامَ غَيْرُ آلِهَةٍ فَلَا تَدْخُلُ فِي مَفْهُومِ الْإِلَهِ ؛ **يُجَابُ عَنْهُ** :
بِأَنَّ عَدَمَ دُخُولِهَا فِي مَفْهُومِهِ بِاعْتِبَارِ الْوَاقِعِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ مُسَلَّمٌ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ فِيهَا ، فَنَفَى عَنْهَا الْأُلُوهِيَّةَ رَدًّا عَلَيْهِمْ ، وَتَخْطِئَةً لَهُمْ فِي ذَلِكَ الِاعْتِقَادِ ؛ فَعَدَمُ دُخُولِهَا فِي ذَلِكَ الْمَفْهُومِ مُوجِبٌ لِصِحَّةِ نَفْيِهِ عَنْهَا وَدُخُولِهَا تَحْتَ النَّفْيِ لَا لِخُرُوجِهَا . فَمَا احْتَجَّ بِهِ حُجَّةٌ عَلَيْهِ لَا لَهُ .
وَلَمْ نَنْفِ وُجُودَ ذَوَاتِهَا ، بَلْ نَفَيْنَا وُجُودَ وَصْفِ الْأُلُوهِيَّةِ لَهَا .
وَقَوْلُهُ : " إِنَّ الْإِلَهَ لَيْسَ بِوَصْفٍ وَلَا مُشْتَقٍّ ، بَلِ اسْمُ جِنْسٍ " . بَاطِلٌ ، إِذْ هُوَ (فِعَالٌ) بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ) ، مِنْ (أَلَهَ) إِذَا عَبَدَ .
وَالْكَلَامُ فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَتَتَبُّعُ مَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْأَوْهَامِ وَرَدُّهَا يَطُولُ ؛ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ » . اهـ .

(الثَّانِي) :
قَوْلُنَا : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) كَلَامٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْحَصْرِ، مُتَضَمِّنٌ لِحُكْمَيْنِ :
١ – نَفْيُ وُجُودِ الْأُلُوهِيَّةِ لِغَيْرِ الْبَارِي تَعَالَى .
٢ – وَإِثْبَاتُهَا لَهُ جَلَّ وَعَلَا .
كَمَا أَنَّ قَوْلَنَا (لَا عَالِمَ إِلَّا زَيْدٌ) مُتَضَمِّنٌ لِنَفْيِ الْعِلْمِ عَنْ غَيْرِ زَيْدٍ ، وَإِثْبَاتِهِ لِزَيْدٍ ... وَكَذَا سَائِرُ مَا اشْتَمَلَ عَلَى نَفْيٍ وَاسْتِثْنَاءٍ ؛ **فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ** : إِلَى أَنَّ النَّفْيَ مَنْطُوقٌ ، وَالْإِثْبَاتَ لِمَا بَعْدَ (**إِلَّا**) مَفْهُومٌ ، لَكِنَّهُ أَقْوَى مَفَاهِيمِ الْمُخَالَفَةِ .
وَذَهَبَ الْقَرَافِيُّ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ ، وَابْنُ الْقَطَّانِ ، وَغَيْرُهُمْ إِلَى أَنَّ الْحُكْمَيْنِ مَنْطُوقَانِ مَعًا ، وَلَا مَفْهُومَ .
وَاسْتَدَلَّ لَهُ الْبَرْمَاوِيُّ بِأَنَّ مَنْ قَالَ : (مَا لَهُ عَلَيَّ إِلَّا دِينَارٌ) كَانَ مُقِرًّا بِالدِّينَارِ ، يُؤَاخَذُ بِهِ عِنْدَ كَافَّةِ الْفُقَهَاءِ ؛ وَلَوْ كَانَ الْإِثْبَاتُ مَفْهُومًا لَمْ يُؤَاخَذْ بِهِ ، لِعَدَمِ اعْتِبَارِ الْمَفْهُومِ فِي الْأَقَارِيرِ .
قَالَ ابْنُ أَبِي شَرِيفٍ : « وَهُوَ الَّذِي يُثْلَجُ لَهُ الصَّدْرُ ، إِذْ كَيْفَ يُقَالُ فِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ : إِنَّ دَلَالَتَهَا عَلَى إِثْبَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ للهِ بِالْمَفْهُومِ ؟! » .

... ...

(الثَّالِثُ) :

قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْمُسْتَثْنَى مُخَالِفٌ فِي الْحُكْمِ لِلْمُسْتَثْنَى مِنْهُ مَعَ دُخُولِهِ فِيهِ ؛ فَيَلْزَمُ – بِحَسَبِ الظَّاهِرِ – التَّنَاقُضُ فِي الْمُسْتَثْنَى ، بِأَنَّ يَكُونَ مَحْكُومًا عَلَيْهِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا ، فَيَلْزَمُ فِي (لَا عَالِمَ إِلَّا زَيْدٌ) نَفْيُ الْعِلْمِ عَنْ زَيْدٍ فِي ضِمْنِ الْعَامِّ ، وَإِثْبَاتُهُ لَهُ عَلَى الْخُصُوصِ ؛ وَيَلْزَمُ فِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدَ كُفْرٌ وَإِيمَانٌ ، بِنَفْيِ وُجودِ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ فِي ضِمْنِ الْعَامِّ ، وَإِثْبَاتِهَا عَلَى الْخُصُوصِ بِـ (إِلَّا) !! .

وَأُجِيبَ بِأَوْجُهٍ ، أَحْسَنُهَا – وَهُوَ مُخْتَارُ ابْنِ الْحَاجِبِ وَالسُّبْكِيِّ – : أَنَّهُ يُعْتَبَرُ الِاسْتِثْنَاءُ سَابِقًا عَلَى الْحُكْمِ، فَيَكُونُ عُمُومُ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ لِلْمُسْتَثْنَى مُرَادًا تَنَاوُلًا لَا حُكْمًا ؛ **بِمَعْنَى** : أَنَّ الْمُسْتَثْنَى كَانَ دَاخِلًا فِي الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، ثُمَّ أُخْرِجَ

بِـ (إِلَّا) أَوْ إِحْدَى أَخَوَاتِهَا ، ثُمَّ نُسِبَ الْحُكْمُ – إِيجَابًا أَوْ سَلْبًا – إِلَى مَا بَقِيَ مِنْ أَفْرَادِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْمُسْتَثْنَى ؛ **فَإِذَا قُلْتَ** : (قَدِمَ الْحُجَّاجُ إِلَّا زَيْدًا) ، فَزَيْدٌ كَانَ دَاخِلًا فِي عُمُومِ (الْحُجَّاجُ) ، فَأَخْرَجْتَهُ بِـ (إِلَّا) ، ثُمَّ أَسْنَدتَّ الْقُدُومَ إِلَى مَنْ عَدَاهُ مِنْهُمْ ؛ **وَإِذَا قُلْتَ** : (مَا جَاءَنِي أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ) فَزَيْدٌ كَانَ دَاخِلًا فِي عُمُومِ (أَحَدٌ) ، فَأَخْرَجْتَهُ بِـ (إِلَّا) ، ثُمَّ نَفَيْتَ الْمَجِيءَ عَمَّنْ عَدَاهُ . فَلَا تَنَاقُضَ .

وَعَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ الْكَلِمَةُ الْمُشَرَّفَةُ ؛ فَـ (الْإِلَهُ) كَانَ شَامِلًا لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ ، فَأُخْرِجَتِ الذَّاتُ الْعَلِيَّةُ بِـ (إِلَّا) ، ثُمَّ نُفِيَ الْوُجُودُ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَفْرَادِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ الْمَفْهُومِ الْكُلِّيِّ .

(الرَّابِعُ) :

الِاسْتِثْنَاءُ فِي الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ اسْتُشْكِلَ بِأَنَّهُ :

إِنْ كَانَ مُتَّصِلًا ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْجِنْسِ ؛ وَلَا مُجَانَسَةَ بَيْنَ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ وَبَيْنَ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ ! .

وَإِنْ كَانَ مُنْقَطِعًا ، لَزِمَ أَنْ لَا يَصْدُقَ عَلَيْهِ تَعَالَى لَفْظُ (الْإِلَهِ) حَقِيقَةً ، وَهَذَا بَاطِلٌ !! .

وَجَوَابُهُ :

أَنَّهُ مُتَّصِلٌ ؛ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِمْ : (**الِاسْتِثْنَاءُ الْمُتَّصِلُ** : مَا يَكُونُ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ) أَنَّ هُنَاكَ مُشَارَكَةً بَيْنَهُمَا فِي الْمَاهِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ ؛ بَلِ الْمُرَادُ بِـ (الْمُجَانَسَةِ) : مُجَرَّدُ دُخُولِ مَا بَعْدَ (إِلَّا) فِي مَفْهُومِ الْمُستَثْنَى مِنْهُ ، وَصِدْقِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ ؛ وَذَلِكَ مَوْجُودٌ هُنَا ، لِأَنَّكَ تَقُولُ : (اللهُ إِلَهٌ) .

(الْخَامِسُ) :

إِذَا كَانَ اسْمُ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ مُفْرَدًا – **أَيْ** : غَيْرَ مُضَافٍ وَلَا شَبِيهَ بِهِ ، كَمَا فِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ – فَعِنْدَ سِيبَوَيْهِ (**لَا**) عَمِلَتْ فِي مَحَلِّهِ النَّصْبَ ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ لَفْظًا ، لِلتَّرْكِيبِ ، أَوْ لِتَضَمُّنِ مَعْنَى (مِنْ) الِاسْتِغْرَاقِيَّةِ ؛ وَلَا عَمَلَ لَهَا فِي الْخَبَرِ ، بَلِ اسْمُ (لَا) مَرْفُوعُ الْمَحَلِّ أَيْضًا بِالِابْتِدَاءِ ، بِاعْتِبَارِ مَا قَبْلَ دُخُولِهَا ؛ وَالْخَبَرُ الْمَذْكُورُ ، أَوِ الْمُقَدَّرُ خَبَرُ الْمُبْتَدَإِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُبْتَدَأٌ ، لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ اسْمُ (لَا) ؛ فَلَا عَمَلَ لِـ (لَا) فِيهِ ، بَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِالْمُبْتَدَإِ كَمَا كَانَ قَبْلَ دُخُولِ (لَا) ؛ وَيَتَسَامَحُ الْمُعْرِبُونَ فَيَقُولُونَ : (مَجْمُوعُ " لَا " مَعَ اسْمِهَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ) ؛ وَلَا وَجْهَ لِذَلِكَ ،

... ...

لِأَنَّ الْمُبْتَدَأَ اسْمٌ ، وَالْمُرَكَّبُ مِنَ الْحَرْفِ وَالِاسْمِ لَيْسَ بِاسْمٍ ؛ فَالتَّحْرِيرُ الْمُوَافِقُ لِنَصِّ كَلَامِ سِيبَوَيْهِ : أَنَّ الِاسْمَ بَعْدَهَا فَقَطْ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ عِنْدَهُ ، بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ قَبْلَ دُخُولِهَا ؛ فَلَيْسَتْ (لَا) جُزْءًا مِنَ الْمُبْتَدَإِ حَتَّى كَأَنَّ الْقَضِيَّةَ مَعْدُولَةُ الْمَوْضُوعِ .

فَإِنْ قُلْتَ : الِابْتِدَاءُ زَالَ بِدُخُولِ النَّاسِخِ ، فَكَيْفَ يُرَاعَى وَيَكُونُ عَامِلًا فِي الِاسْمِ بَعْدَ دُخُولِ مَا يُضَادُّهُ ؟ .

قُلْتُ : (لَا) نَاسِخٌ ضَعِيفٌ ، بِكَوْنِهَا حَرْفًا ثُنَائِيًّا ثَانِيهِ لِينٌ ، مَعَ أَنَّ أَصْلَهَا أَنْ لَا تَنْسَخَ الِابْتِدَاءَ وَلَا تَعْمَلَ ، وَلَكِنْ حُمِلَتْ عَلَى (إِنَّ) الْمَحْمُولَةَ فِي الْعَمَلِ عَلَى (كَانَ) الْمُتَأَصِّلَةِ فِي النَّسْخِ ؛ وَمَعَ كَوْنِهَا كَالْجُزْءِ مِن اسْمِهَا – عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّرْكِيبِ – وَلَمْ يُشَارِكْهَا غَيْرُهَا مِنَ النَّوَاسِخِ فِيمَا ذُكِرَ ؛ فَلِذَا لَمْ تَبْطُلْ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ .

وَذَهَبَ الْأَخْفَشُ إِلَى أَنَّهَا عَامِلَةٌ فِي الْخَبَرِ مُطْلَقًا ، وَأَنَّهُ خَبَرُهَا ، لَا خَبَرُ الْمُبْتَدَإِ .

فَعَلَى قَوْلِ سِيبَوَيْهِ : يَجُوزُ أَنْ لَا يُقَدَّرَ فِي الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ مَحْذُوفٌ ، بِأَنْ يَكُونَ اسْمُ الْجَلَالَةِ بَعْدَ (إِلَّا) هُوَ الْخَبَرَ ، لِأَنَّهُ خَبَرُ الْمُبْتَدَإِ عِنْدَهُ ، لَا خَبَرُ (لَا) ؛ فَلَمْ تَعْمَلْ فِي مُوجَبٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ .

وَتَضْعِيفُ السَّعْدِ لِهَذَا الْوَجْهِ مَعْنًى ، غَيْرُ سَدِيدٍ ، بَلِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ كَالْمَعْنَى عَلَى تَقْدِيرِ مَوْجُودٍ سَوَاءً .

وَعَلَى قَوْلِ الْأَخْفَشِ : لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْجَلَالَةِ خَبَرَهَا ، لِأَنَّهَا لَا تَعْمَلُ فِي مُوجَبٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ ، فَيَجِبُ تَقْدِيرُ الْخَبَرِ قَبْلَ (إِلَّا) ، **وَالتَّقْدِيرُ** : (لَا إِلَهَ – أَيْ : مَعْبُودًا بِحَقٍّ – مَوْجُودٌ ، أَوْ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللهُ) .

وَهَذَا التَّقْدِيرُ الَّذِي يُوجِبُهُ الْأَخْفَشُ يُجَوِّزُهُ سِيبَوَيْهِ وَلَا يُوجِبُهُ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مَرْجُوحًا ، لِأَنَّهُ إِذَا أَمْكَنَ اسْتِغْنَاءُ الْكَلَامِ عَنِ التَّقْدِيرِ ، فَلَا يَنْبَغِي ارْتِكَابُهُ ؛ وَاسْمُ الْجَلَالَةِ – عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ – بَدَلٌ ، إِمَّا مِنْ ضَمِيرِ الْخَبَرِ الْمَحْذُوفِ مَعَهُ، وَهُوَ أَوْلَى ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ ، وَلِأَنَّهُ إِبْدَالٌ عَلَى اللَّفْظِ ؛ وَإِمَّا مِن اسْمِ (لَا) ، بِاعْتِبَارِ مَا قَبْلَ دُخُولِهَا ، فَهُوَ إِبْدَالٌ عَلَى الْمَحَلِّ .

وَانْظُرْ ، هَلْ يُجَوِّزُهُ الْأَخْفَشُ مَعَ قَوْلِهِ إِنَّهَا عَامِلَةٌ فِي الْخَبَرِ ؟ . وَالظَّاهِرُ : لَا ، لِأَنَّهَا إِذَا عَمِلَتْ فِي الْخَبَرِ ، وَكَانَ الْخَبَرُ لَهَا ، فَقَدْ أَبْطَلَتْ حُكْمَ الِابْتِدَاءِ ، فَلَا مَحَلَّ لِاسْمِهَا بِاعْتِبَارِ الِابْتِدَاءِ حِينَئِذٍ .

فَإِنْ قُلْتَ : هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِـ (الْإِلَهِ) : الْمَعْبُودُ مُطْلَقًا ، وَيُقَدَّرَ الْخَبَرُ : (لَنَا) ، فَلَا يَلْزَمُ الْكَذِبُ بِكَثْرَةِ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا قُدِّرَ (مَوْجُودٌ) أَوْ : (فِي الْوُجُودِ) ؛ أَمَّا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى : (لَا مَعْبُودَ لَنَا إِلَّا اللهُ) فَهُوَ صَحِيحٌ ؟.

قُلْتُ : يَمْنَعُ هَذَا أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ بِهِ الْمَقْصُودُ مِنْ نَفْيِ أُلُوهِيَّةِ غَيْرِ مَوْلَانَا – جَلَّ وَعَلَا – الْوَاقِعِ جُمْلَةً وَرَأْسًا ؛ فَتَأَمَّلْهُ .

وَلَمْ يَأْتِ اسْمُ الْجَلَالَةِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ فِي التَّنْزِيلِ إِلَّا مَرْفُوعًا بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ ، وَلَا يَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ مِن اسْمِ (لَا) ، بِاعْتِبَارِ عَمَلِهَا فِيهِ ، لِأَنَّ اسْمَ الْجَلَالَةِ مَعْرِفَةٌ مُوجَبٌ ، وَهِيَ لَا تَعْمَلُ فِي مَعْرِفَةٍ وَلَا مُوجَبٍ ؛

نَعَمْ ، يَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ ، لَكِنَّهُ مَرْجُوحٌ صِنَاعَةً ، لِأَنَّ الْمُخْتَارَ فِي الْمُسْتَثْنَى الْمُتَّصِلِ مِنْ كَلَامٍ تَامٍّ غَيْرِ مُوجَبٍ الْإِتْبَاعُ ، لَا النَّصْبُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ ، كَمَا قَالَ فِي [الْخُلَاصَةِ] :

(**٣١٦-** ... ...   وَبَعْدَ نَفْيٍ أَوْ كَنَفْيٍ انْتُخِبْ

٣١٧- إِتْبَاعُ مَا اتَّصَلَ ... ...)

... ...

وَمَرْجُوحٌ مَعْنًى أَيْضًا ، لِقَوْلِ ابْنِ يَعِيشَ حَسْبَمَا نَقَلَهُ فِي [الْأَشْبَاهِ] :

« الْفَرْقُ بَيْنَ الْبَدَلِ وَالنَّصْبِ فِي قَوْلِكَ : (مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ) أَنَّكَ إِذَا نَصَبْتَ ، جَعَلْتَ مُعْتَمَدَ الْكَلَامِ النَّفْيَ ، وَصَارَ الْمُسْتَثْنَى فَضْلَةً ، فَتَنْصِبُهُ كَمَا تَنْصِبُ الْمَفْعُولَ ؛ وَإِذَا أَبْدَلْتَهُ مِنْهُ ، كَانَ مُعْتَمَدُ الْكَلَامِ إِيجَابَ الْقِيَامِ لِزَيْدٍ ، وَكَانَ ذِكْرُ الْأَوَّلِ كَالتَوْطِئَةِ » . اهـ .

فَعَلَى هَذَا ، إِذَا نُصِبَ اسْمُ الْجَلَالَةِ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ ، صَارَ الْمُعْتَمَدُ فِي الْكَلَامِ نَفْيَ الْأُلُوهِيَّةِ عَنْ غَيْرِهِ تَعَالَى لَا إِثْبَاتَهَا لَهُ ، فَإِنَّمَا قُصِدَ تَبَعًا .

وَقَدْ يُجَابُ عَنِ الْمَرْجُوحِيَّةِ الْأُولَى :

١ – بِأَنَّ رُجْحَانَ الْبَدَلِ إِنَّمَا هُوَ حَيْثُ تَحْصُلُ بِهِ مُشَاكَلَةُ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ ، حَتَّى إِنَّهُ يَسْتَوِي مَعَ النَّصْبِ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ فِي نَحْوِ : (مَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا) ؛ وَيَتَرَجَّحُ النَّصْبُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ فِي نَحْوِ : (لَا رَجُلَ فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدًا) ، إِذِ الْمُشَاكَلَةُ – حِينَئِذٍ – إِنَّمَا هِيَ فِي النَّصْبِ ، لَا فِي الرَّفْعِ عَلَى الْإِبْدَالِ عَلَى الْمَحَلِّ .

وَعَلَيْهِ ، فَالنَّصْبُ فِي الْهَيْلَلَةِ أَرْجَحُ مِنَ الْإِبْدَالِ بِالرَّفْعِ .

٢ – وَعَنِ الْمَرْجُوحِيَّةِ الثَّانِيَةِ بِأَنَّ :

الْأَهَمَّ مِنَ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ إِنَّمَا هُوَ نَفْيُ الْأُلُوهِيَّةِ عَنْ غَيْرِهِ تَعَالَى ، إِذْ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ إِنَّمَا كَانَ بِإِثْبَاتِ الْإِلَهِ مَعَ اللهِ ؛ وَأَمَّا إِثْبَاتُ أُلُوهِيَّتِهِ تَعَالَى ، فَلَا نِزَاعَ فِيهَا بَيْنَ الْعُقَلَاءِ إِلَّا مَنْ شَذَّ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ .

(السَّادِسُ) :

إِذَا قُلْنَا : إِنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مِنَ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ وَبِالْعَكْسِ – بِنَاءً عَلَى الْإِخْرَاجِ مِنَ الْمَحْكُومِ بِهِ – فَلَا إِشْكَالَ فِي الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ ؛ وَهُوَ رَأْيُ أَكْثَرِ الْأُصُولِيِّينَ ؛ وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : « لَيْسَ الِاسْتِثْنَاءُ مِنَ النَّفْيِ إِثْبَاتًا » ؛

وَقِيلَ عَنْهُ : « وَلَا الْعَكْسُ » . بِنَاءً عَلَى أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مِنْ الْحُكْمِ نَفْسِهِ ، فَيَدْخُلُ الْمُسْتَثْنَى فِي نَقِيضِهِ ، وَهُوَ :

(لَا حُكْمَ) ، فَيَبْقَى مَسْكُوتًا عَنْهُ ؟ .

فَأَجَابَ :

بِأَنَّ الْإِثْبَاتَ فِي كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ بِعُرْفِ الشَّرْعِ ؛ وَفِي الْمُفَرَّغِ — نَحْوُ : (مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ) – بِالْعُرْفِ الْعَامِّ .

(السَّابِعُ) :

يَجِبُ الِاحْتِرَازُ مِنْ لَحْنِ الْعَوَامِّ فِي كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ؛ فَقَدْ :

١ – يَلْحَنُ بَعْضُهُمْ بِقَلْبِ الْهَمْزَةِ يَاءً ؛ وَالصَّوَابُ قَطْعُهَا .

٢ – أَوْ يَقِفُ عَلَى (إِلَهَ) ، ثُمَّ يَبْتَدِئُ : (إِلَّا اللهُ) .

٣ – أَوْ يَسْكُتُ ، وَيَقُولُ غَيْرُهُ : (إِلَّا اللهُ) –كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْمُفْتَقِرَةُ – وَالصَّوَابُ وَصْلُ (إِلَهَ) بِـ (إِلَّا اللهُ) .

٤ – أَوْ يَقْلِبُ هَمْزَةَ (إِلَّا) يَاءً أَيْضًا ، وَالصَّوَابُ قَطْعُهَا .

... ...

---

٥ – أَوْ بِتَخْفِيفِ لَامِ (إِلَّا) ، وَالصَّوَابُ شَدُّهَا .

٦ – أَوْ بِإِظْهَارِ تَنْوِينِ (مُحَمَّدٌ) ، وَالصَّوَابُ إِدْغَامُهُ فِي رَاءِ (رَسُولُ) .

(**الثَّامِنُ**) :

قَالَ الْقُلْشَانِيُّ :

« **اُخْتُلِفَ** : هَلِ الْأَفْضَلُ الْمَدُّ فِي (لَا) مِنْ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) لِيَسْتَشْعِرَ الْمُتَلَفِّظُ نَفْيَ الْأُلُوهِيَّةِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ تَعَالَى ؟؛ أَوِ الْقَصْرُ ، لِئَلَّا تَخْتَرِمَهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ التَّلَفُّظِ بِاسْمِ الْجَلَالَةِ؟ » .

وَفَرَّقَ الْفَخْرُ بَيْنَ كَوْنِهَا أَوَّلَ كَلِمَتِهِ فَيَقْصُرُ ، أَوْ لَا فَيَمُدُّ .

(**التَّاسِعُ**) :

قَالَ صَاحِبُ [حَلُّ الرُّمُوزِ] :

« جَمَعَ الْحَقُّ – سُبْحَانَهُ – مَعَانِيَ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَوَاهِرِ حِكَمِهِ وَكَلِمَاتِهِ فِي صَدَفَةِ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ، ثُمَّ أَطْلَعَ الْخَوَاصَّ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَوَاصِّ ؛ وَهِيَ كَلِمَةٌ أَوَّلُهَا نَفْيٌ ، وَآخِرُهَا إِثْبَاتٌ ، دَخَلَ أَوَّلُهَا فِي الْقَلْبِ فَخَلَا، ثُمَّ تَمَكَّنَ آخِرُهَا فِي الْقَلْبِ فَجَلَا ، فَنَسَخَتْ ثُمَّ رَسَخَتْ ، وَسَلَبَتْ ثُمَّ أَوْجَبَتْ ، وَمَحَتْ ثُمَّ أَثْبَتَتْ ، وَنَقَصَتْ ثُمَّ عَقَدَتْ ، وَأَفْنَتْ ثُمَّ أَبْقَتْ » .

اهـ .

(**الْعَاشِرُ**) :

سُئِلَ الْمُحَقِّقُ الْبَنَّانِيُّ مُحَشِّي عَبْدِ الْبَاقِي – رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى – بِمَا نَصُّهُ :

« ١ – هَلْ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) مِنَ الْقَضَايَا أَمْ لَا ؟ .

٢ – وَعَلَى أَنَّهَا مِنْهَا : هَلْ هِيَ قَضِيَّةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ قَضِيَّتَانِ ؟ .

٣ – وَهَلْ هِيَ كُلِّيَّةٌ أَوْ شَخْصِيَّةٌ ؟ .

٤ – وَهَلْ هِيَ حَقِيقِيَّةٌ ، أَوْ خَارِجِيَّةٌ ، أَوْ ذِهْنِيَّةٌ ؟ .

٥ – وَهَلْ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ أَمْ لَا ؟ .

٦ – وَإِذَا قُلْتُمْ بِالضَّرُورَةِ : فَهَلْ هِيَ بِالضَّرُورَةِ الذَّاتِيَّةِ ، أَوِ الْعَرَضِيَّةِ ، أَوْ بِالدَّوَامِ ، أَوِ الْإِطْلَاقِ ؟ .

٧ – وَعَلَى كُلٍّ ، فَهِيَ جُمْلَةٌ عِنْدَ النُّحَاةِ ، فَمَا مَحَلُّهَا مِنَ الْإِعْرَابِ ؟ » .

فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ :

« **قَدِ اشْتَمَلَ هَذَا السُّؤَالُ عَلَى سَبْعَةِ أَسْئِلَةٍ** :

١ – أَحَدُهَا : هَلْ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) مِنَ الْقَضَايَا أَمْ لَا ؟ .

وَجَوَابُهُ :

إِنَّهَا قَضِيَّةٌ ، لِأَنَّهَا – بِحَسَبِ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيِّ – كَلَامٌ خَبَرِيٌّ ، وَكُلُّ كَلَامٍ خَبَرِيٍّ قَضِيَّةٌ .

يُنْتِجُ : أَنَّهَا قَضِيَّةٌ .

وَدَلِيلُ الصُّغْرَى : أَنَّ الْكَلَامَ الْخَبَرِيَّ هُوَ مَا كَانَ لِنِسْبَتِهِ خَارِجٌ، تُطَابِقُهُ أَوْ لَا تُطَابِقُهُ ؛ وَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لِنِسْبَتِهَا خَارِجٌ تُطَابِقُهُ ، وَهُوَ سَلْبُ اسْتِحْقَاقِ الْأُلُوهِيَّةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عَنْ غَيْرِ الْإِلَهِ الْحَقِّ .

لَا يُقَالُ : إِنَّ الْقَضِيَّةَ هِيَ الْكَلَامُ الْمُحْتَمِلُ لِلصِّدْقِ وَالْكَذِبِ ؛ وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مَقْطُوعٌ بِصِدْقِهَا ، فَكَيْفَ تَكُونُ قَضِيَّةً ؟ .

لِأَنَّا نَقُولُ : مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ الْقَضِيَّةَ هِيَ اللَّفْظُ الْمُحْتَمِلُ لِلصِّدْقِ وَالْكَذِبِ بِالنَّظَرِ إِلَى ذَاتِهِ فَقَطْ ، وَإِنْ كَانَ مَقْطُوعًا بِصِدْقِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى أَمْرٍ خَارِجِيٍّ ، مِثْلُ مَا قُطِعَ بِصِدْقِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُخْبِرِ –كَإِخْبَارِ اللهِ وَإِخْبَارِ رُسُلِهِ – وَمَا قُطِعَ بِصِدْقِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمُخْبَرِ بِهِ ، نَحْوُ: (الْوَاحِدُ نِصْفُ الْإِثْنَيْنِ) .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْهَيْلَلَةَ إِنَّمَا قُطِعَ بِصِدْقِهَا بِالنَّظَرِ إِلَى أَمْرٍ خَارِجِيٍّ ، وَهُوَ الْمُخْبِرُ وَالْمُخْبَرُ بِهِ ، وَذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي كَوْنِهَا قَضِيَّةً ؛ وَهَذَا — **أَيْ** : كَوْنُهَا قَضِيَّةً وَخَبَرًا – بِاعْتِبَارِ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيِّ ؛ ثُمَّ يَبْقَى النَّظَرُ : هَلْ نُقِلَتْ إِلَى الْإِنْشَاءِ فَلَا تَبْقَى قَضِيَّةً أَمْ لَا ؟

قَالَ الشَّيْخُ عِيسَى السَّخْتَيَانِيُّ : " **أَقُولُ** : اللَّفْظُ لَفْظُ الْخَبَرِ ، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ فِي حَقِّ الذَّاكِرِ لَهَا أَنْ يَكُونَ إِنْشَاءً " .

وَفِي [مُخْتَصَرِ الْإِمَامِ ابْنِ عَرَفَةَ] الْفِقْهِيِّ فِي أَوَّلِ (كِتَابِ الْإِقْرَارِ) إِذْ عَرَّفَهُ أَنَّ الْكَلِمَةَ الْمُشَرَّفَةَ فِي حَقِّ الْكَافِرِ – إِذَا دَخَلَ بِهَا الْإِسْلَامَ — إِنْشَاءٌ .

وَفِي شَرْحِ [حُدُودِ]هِ لِأَبِي الْفَضْلِ الرَّصَّاعِ مَا مَعْنَاهُ : إِنَّ كَوْنَهَا إِنْشَاءً ظَاهِرٌ ؛ وَمَا الْمَانِعُ مِنْ كَوْنِهَا خَبَرًا ، كَمَا قَالُوا فِي : (اللهُ أَكْبَرُ) ؛ فَرَاجِعْهُ .

فَإِنْ قُلْتَ : اقْتِصَارُ ابْنِ عَرَفَةَ عَلَى الْكَافِرِ إِذَا نَطَقَ ، يُؤْذِنُ بِأَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا ذَكَرَهَا بِخِلَافِهِ ، فَهِيَ فِي حَقِّهِ خَبَرٌ ؛ وَهَذَا خِلَافُ مَا ذَكَرَ مِنَ احْتِمَالِ كَوْنِهَا إِنْشَاءً فِي حَقِّهِ !! .

قُلْتُ : الظَّاهِرُ أَنَّ اقْتِصَارَ ابْنِ عَرَفَةَ لِوَجْهٍ مَا ، **وَهُوَ** : أَنَّ نُطْقَ الْكَافِرِ بِهَا يُوجِبُ مُؤَاخَذَتَهُ بِأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ ؛ كَمَا أَنَّ الْإِقْرَارَ يُوجِبُ الْمُؤَاخَذَةَ بِحُكْمِ مَصْدُوقِهِ ، فَيُتَوَهَّمُ أَنَّهَا فِي حَقِّهِ إِقْرَارٌ ، وَالْإِقْرَارُ خَبَرٌ لَا إِنْشَاءٌ ، بِخِلَافِ الْمُسْلِمِ بِالْأَصَالَةِ ، فَلَا تَتَوَقَّفُ الْمُؤَاخَذَةُ فِي حَقِّهِ عَلَى النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَإِلَّا فَهِيَ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِ أَيْضًا إِنْشَاءٌ .

فَإِنْ قُلْتَ : لَا يَظْهَرُ لِكَوْنِهَا إِنْشَاءً فِي حَقِّهِ وَجْهٌ ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ سَابِقٌ عَلَى النُّطْقِ ! .

قُلْتُ : بَلْ هُوَ لِإِنْشَاءِ تَجْدِيدِ الْإِسْلَامِ ، لَا لِأَصْلِهِ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ . اهـ .

وَحَاصِلُهُ :

أَنَّ ابْنَ عَرَفَةَ جَزَمَ بِكَوْنِهَا مِنَ الْكَافِرِ إِنْشَاءً ؛ وَالرَّصَّاعُ جَوَّزَ فِيهَا الْخَبَرِيَّةَ ؛ وَسَكَتَا مَعًا عَنِ الْمُسْلِمِ ، وَاخْتَارَ الشَّيْخُ عِيسَى أَنَّهُ مِثْلُ الْكَافِرِ ، فِي أَنَّهَا مِنْهُ إِنْشَاءٌ وَتَحْتَمِلُ الْخَبَرِيَّةَ ، وَرَدَّهُ شَيْخُنَا الْمُحَقِّقُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي [الْقَوْلُ الْمُعْتَبَرُ] بِأَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهَا فِي حَقِّ الْكَافِرِ خَبَرٌ ، لَا إِنْشَاءٌ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ قَلْبِيٌّ ، مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ أَوْ مِنْ تَوَابِعِهَا ، لِأَنَّهُ الْمَعْرِفَةُ ، أَوْ حَدِيثُ النَّفْسِ التَّابِعُ لَهَا ؛ وَالْمُرَادُ بِـ (حَدِيثِ النَّفْسِ) : الْقَبُولُ وَالْإِذْعَانُ لِمَا عَرَفَهُ ؛ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَكَلِمَةُ الشَّهَادَةِ عِبَارَةٌ عَنْهُ ، فَهُوَ يُخْبِرُ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ مَضْمُونَهَا وَيُقِرُّ بِهِ ، فَتَكُونُ خَبَرًا مِنْ قَبِيلِ الْإِقْرَارِ .

وَأَمَّا كَوْنُهَا إِنْشَاءً ، فَمُشْكِلٌ ، لِأَنَّ الْمُنْشَأَ إِنْ كَانَ مَا فِي الِاعْتِقَادِ ، لَمْ يَصِحَّ ، لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى التَّلَفُّظِ بِالْكَلِمَةِ الْمَذْكُورَةِ ؛ وَالْمُنْشَأُ يَجِبُ تَأَخُّرُهُ عَنِ الصِّيغَةِ .

... ...

وَإِنْ كَانَ الْمُنْشَأُ هُوَ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ – الَّتِي هِيَ الْإِسْلَامُ – لَمْ يَصِحَّ أَيْضًا ، لِوُجُودِهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ .
وَإِنْ كَانَ الْمُنْشَأُ هُوَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَهُوَ حَاصِلٌ بِنَفْسِ النُّطْقِ بِالْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ أَمْرٍ زَائِدٍ عَلَى مَعْنَاهَا الْخَبَرِيِّ ؛ وَأَيْضًا فَيَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ إِقْرَارٍ إِنْشَاءً ، مَعَ أَنَّهُ خَبَرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُقِرٍّ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْتِزَامِ مَا أَقَرَّ بِهِ ، فَلَوْ كَانَ الدُّخُولُ الْمَذْكُورُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مُنْشَأً ، لَثَبَتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ إِقْرَارٍ ، وَهُوَ بَاطِلٌ ؛ فَالصَّوَابُ أَنَّهَا خَبَرٌ مِنَ الْكَافِرِ عَنِ اعْتِقَادِهِ ، وَأَحْرَى الذَّاكِرُ – نَعَمْ الذَّاكِرُ – إِذَا قَصَدَ إِنْشَاءَ الثَّنَاءِ بِهَا عَلَى اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – نَاقِلًا لَهَا عَنْ مَعْنَاهَا ، صَحَّ ذَلِكَ فِيهِ ، وَلَا يَصِحُّ فِي الْكَافِرِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ .
وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ نُطْقَ الْكَافِرِ بِهَا مِنْ قَبِيلِ الْإِقْرَارِ هُوَ التَّحْقِيقُ ، خِلَافًا لِجَزْمِ ابْنِ عَرَفَةَ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ ؛ وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ اسْمَ الْإِقْرَارِ .

٢ – **السُّؤَالُ الثَّانِي** : عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْقَضَايَا : هَلْ هِيَ قَضِيَّتَانِ ، أَوْ قَضِيَّةٌ وَاحِدَةٌ ؟ .
وَالْجَوَابُ :
إِنَّهَا قَضِيَّةٌ وَاحِدَةٌ قَطْعًا ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ قَضِيَّتَيْنِ أَصْلًا ، لِأَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ فِيهَا مِنْ قَبِيلِ الْمُفَرَّغِ ، وَالْمُسْتَثْنَى فِي التَّفْرِيغِ مَعْمُولٌ لِمَا قَبْلَ (إِلَّا) كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ ؛ فَهُوَ فِيهَا إِمَّا بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي الْخَبَرِ – وَهُوَ الصَّحِيحُ – أَوْ خَبَرٌ عَنِ الْمُبْتَدَإِ قَبْلَ (لَا) ، ... وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ .
نَعَمْ ، قَدْ تَكُونُ (إِلَّا) مَعَ مَا بَعْدَهَا قَضِيَّةٌ ثَانِيَةٌ فِيمَا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ بِالِاسْتِثْنَاءِ تَامًّا ، بِأَنْ ذُكِرَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، نَحْوُ : (قَالَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا) بِنَاءً عَلَى قَوْلِ الزَّجَّاجِ : " إِنَّ الْمُسْتَثْنَى مَنْصُوبٌ بِـ < أَسْتَثْنِي > مُضْمَرٌ ، وَ(إِلَّا) نَابَتْ عَنْهُ ؛ وَكَذَا عَلَى مَا اخْتَارَهُ فِي [التَّسْهِيلِ] مِنْ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِـ (إِلَّا) نَفْسِهَا كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

٣ – **السُّؤَالُ الثَّالِثُ** : هَلْ هِيَ – **أَيْ** : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ – كُلِّيَّةٌ أَوْ شَخْصِيَّةٌ ؟ .
وَالْجَوَابُ :
إِنَّهَا كُلِّيَّةٌ ، لِأَنَّهَا مُسَوَّرَةٌ بِسُورِ الْكُلِّيَّاتِ ، وَهِيَ النَّكِرَةُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ ؛ وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنَّهَا شَخْصِيَّةٌ مَعَ أَنَّ الشَّخْصِيَّةَ

هِيَ : مَا مَوْضُوعُهَا جُزْئِيٌّ ؟! نَحْوُ : (زَيْدٌ عَالِمٌ) ؛ وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ مَوْضُوعُهَا كُلِّيٌّ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ ، فَهِيَ سَالِبَةٌ كُلِّيَّةٌ سِيقَتْ لِإِبْطَالِ جُزْئِيَّةٍ مُوجَبَةٍ يَدَّعِيهَا الْمُشْرِكُ ؛ وَهَذِهِ الْجُزْئِيَّةُ هِيَ نَتِيجَةُ الشَّخْصِيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ مَوْضُوعُهُمَا الْجُزْئِيُّ ، كَـ (هُبَلٍ) مَثَلًا ، فَيَقُولُ – بِحَسَبِ زَعْمِهِ – : (هُبَلُ إِلَهٌ) وَ(هُبَلُ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ مِنْ دُونِ اللهِ) .
فَيَنْتُجُ مِنَ الشَّكْلِ الثَّالِثِ : (بَعْضُ الْإِلَهِ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى) .
وَقَوْلُنَا : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) رَدٌّ لِهَذِهِ الْجُزْئِيَّةِ ، لِأَنَّ الْجُزْئِيَّةَ الْمُوجَبَةَ نَقِيضُهَا الْكُلِّيَّةُ السَّالِبَةُ ؛ وَقَالُوا : إِنَّ الْقَصْرَ فِيهَا يُفِيدُ قَصْرَ الصِّفَةِ ، **أَيِ** : الْأُلُوهِيَّةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ .
قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ مُبَارَكٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : " وَمُرَادُهُمْ بِـ (الْقَصْرِ) : الْقَصْرُ الْحَقِيقِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي يَعُمُّ فِيهِ نَفْيَ الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ عَنْ غَيْرِ الْمَقْصُورِ عَلَيْهِ عُمُومًا حَقِيقِيًّا بِحَسَبِ نَفْسِ الْأَمْرِ ، وَلَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ – حِينَئِذٍ – أَنْ يَكُونَ قَصْرَ أَفْرَادٍ ، أَوْ قَلْبٍ ، أَوْ تَعْيِينٍ – كَمَا ظَنَّهُ مِنْ ظَنَّهُ – لِأَنَّ النَّفْيَ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ لَا يَعُمُّ كُلَّ جُزْءٍ ، وَإِنَّمَا يَعُمُّ مَا وَقَعَ فِيهِ النِّزَاعُ أَوِ الشَّكُّ ؛ فَتَكُونُ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ – عَلَى هَذَا – جُزْئِيَّةً سَالِبَةً ، لَا كُلِّيَّةً سَالِبَةً ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ . وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

... ...

٤ – السُّؤَالُ الرَّابِعُ : هَلْ هِيَ حَقِيقِيَّةٌ ، أَوْ خَارِجِيَّةٌ ... إلخ ؟ .

وَالْجَوَابُ :

إِنَّهَا ذِهْنِيَّةٌ ، بِنَاءً عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْأَثِيرِ – وَتَبِعَهُ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ – مِنْ أَنَّ الْقِسْمَةَ فِي الْقَضَايَا ثُلَاثِيَّةٌ ، لِأَنَّهُمْ شَرَطُوا فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ يَكُونَ أَفْرَادُ مَوْضُوعِهَا الْمُقَدَّرَةُ مُمْكِنَةَ الْحُصُولِ بِالْإِمْكَانِ الْعَامِّ .

قَالُوا : وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ أَفْرَادُ مَوْضُوعِ الْقَضِيَّةِ مُسْتَحِيلَةَ الْحُصُولِ فِي الْخَارِجِ – نَحْوُ : (شَرِيكُ الْإِلَهِ مُمْتَنِعٌ) ، وَ (لَا شَيْءَ مِنْ شَرِيكِ الْإِلَهِ بِمَوْجُودٍ) – فَإِنَّهَا تُسَمَّى (ذِهْنِيَّةً) ، لِأَنَّ الْمُسْتَحِيلَ لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِي الذِّهْنِ .

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ : قَضِيَّةُ التَّوْحِيدِ ، فَإِنَّ مَوْضُوعَهَا صَادِقٌ عَلَى مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الْآلِهَةِ ، وَكُلُّهَا مُسْتَحِيلَةٌ .

وَأَمَّا إِنْ بَنَيْنَا عَلَى مَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ أَنَّ الْقِسْمَةَ ثُنَائِيَّةٌ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَضَايَا إِلَّا الْحَقِيقِيَّةُ وَالْخَارِجِيَّةُ ، فَإِنَّا نَقُولُ :

إِنَّ قَضِيَّةَ التَّوْحِيدِ حَقِيقِيَّةٌ ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ تَكُونَ خَارِجِيَّةً أَيْضًا ، لِأَنَّهَا كُلِّيَّةٌ سَالِبَةٌ ، وَقَدْ قَالُوا : إِنَّ الْكُلِّيَّةَ السَّالِبَةَ الْحَقِيقِيَّةَ أَخَصُّ مُطْلَقًا مِنَ الْكُلِّيَّةِ السَّالِبَةِ الْخَارِجَةِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ صِدْقَ الْأَخَصِّ يَسْتَلْزِمُ صِدْقَ الْأَعَمِّ ، لِأَنَّهُ مَتَى صَدَقَ سَلْبُ الْحُكْمِ عَنْ جَمِيعِ الْأَفْرَادِ الْمُقَدَّرَةِ ، لَزِمَ أَنْ يَصْدُقَ سَلْبُهُ عَنِ جَمِيعِ الْأَفْرَادِ الْخَارِجِيَّةِ ، لِأَنَّ الْأَفْرَادَ الْخَارِجِيَّةَ بَعْضُ الْمُقَدَّرَةِ ، وَبِالضَّرُورَةِ إِنَّ السَّلْبَ عَنْ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأَعَمِّ ، يَسْتَلْزِمُ السَّلْبَ عَنْ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأَخَصِّ .

٥ – السُّؤَالُ الْخَامِسُ : هَلْ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ أَمْ لَا ؟ .

وَالْجَوَابُ :

إِنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ ، وَلَا يَمْتَرِي فِي ذَلِكَ عَقْلُ مُؤْمِنٍ ، لِأَنَّ الضَّرُورِيَّةَ هِيَ الَّتِي تَكُونُ نِسْبَتُهَا وَاجِبَةً ، وَمَا هُنَا كَذَلِكَ ، وَضَرُورَتُهَا بِالذَّاتِ مِثْلَهَا فِي نَحْوِ : (اللهُ مَوْجُودٌ) بِالضَّرُورَةِ ؛ وَيَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا ضَرُورِيَّةً صِحَّةُ تَوْجِيهِهَا بِالدَّوَامِ وَالْإِطْلَاقِ ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا أَعَمُّ مِنَ الضَّرُورَةِ ؛ وَصِدْقُ الْأَخَصِّ يَسْتَلْزِمُ صِدْقَ الْأَعَمِّ بِالضَّرُورَةِ ؛

٦ – وَهَذَا جَوَابُ السَّادِسِ .

٧ – وَقَوْلُهُ فِي السَّابِعِ : وَعَلَى كُلٍّ ، فَهِيَ جُمْلَةٌ عِنْدَ النُّحَاةِ ، فَمَا مَحَلُّهَا ... إلخ ؟ .

أَقُولُ :

هَذَا ضَرْبٌ مِنَ الْحُمَّى !! ، إِذِ الْجُمْلَةُ إِنَّمَا يَكُونُ لَهَا مَحَلٌّ عِنْدَ النُّحَاةِ إِذَا كَانَ مَعَهَا عَامِلٌ يَطْلُبُهَا وَصَارَتْ فِي مَحَلِّ الْمُفْرَدِ ، بِأَنْ كَانَتْ خَبَرًا ، أَوْ حَالًا ، أَوْ تَابِعَةً لِمَا لَهُ مَحَلٌّ ، أَوْ وَقَعَتْ مَفْعُولًا ، أَوْ مُضَافًا إِلَيْهَا ، أَوْ فِي جَوَابِ شَرْطٍ جَازِمٍ .

أَمَّا إِنْ كَانَتْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، فَإِنَّهَا لَا مَحَلَّ لَهَا .

وَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ إِذَا وَقَعَتْ مُجَرَّدَةً عَمَّا يَطْلُبُهَا – كَمَا تَكُونُ حِينَ الذِّكْرِ ، أَوْ حِينَ إِسْلَامِ الْكَافِرِ – فَهِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ ، لَا يُتَصَوَّرُ لَهَا مَحَلٌّ أَصْلًا . وَاللهُ أَعْلَمُ .

٤٨٥ – كَمَـــا تَـــوَلَّى بَسْـــطَهُ السَّنُوسِـــي   مُعْتَرِفًـــا مِـــنْ فَيْضِـــهِ الْقُدُّوسِـــي

[فَائِدَةٌ] :

حَيْثُ ثَبَتَ أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ قَضِيَّةٌ وَخَبَرٌ ، فَاعْلَمْ :

أَنَّهُ قَدِ اخْتُلِفَ فِي التَّصْدِيقِ الَّذِي فِيهَا – الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِـ (الْإِيمَانِ) – : هَلْ هُوَ التَّصْدِيقُ الْمَنْطِقِيُّ أَوْ غَيْرُهُ ؟ .

عَلَى أَقْوَالٍ :

١ – الْقَوْلُ الْأَوَّلُ :

أَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ؛ وَالتَّصْدِيقُ الشَّرْعِيُّ هُوَ عَيْنُ التَّصْدِيقِ الْمَنْطِقِيِّ ؛ فَيَكُونُ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ جِنْسِ الْعُلُومِ ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَشْعَرِيِّ ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ .

٢ – وَالْقَوْلُ الثَّانِي :

أَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ؛ لَكِنَّهُمَا لَيْسَا مِنْ جِنْسِ الْعُلُومِ ، بَلْ كُلٌّ مِنْهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ التَّابِعِ لِلْمَعْرِفَةِ .

وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ سِينَا كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ فِي [شَرْحُ الْمَقَاصِدِ] ، وَنَقَلَهُ الشِّهَابُ الْعَبَادِيُّ عَنِ [الْمَحْصُولُ] .

٣ – الثَّالِثُ : أَنَّ الشَّرْعِيَّ غَيْرُ الْمَنْطِقِيِّ ، وَأَنَّ الشَّرْعِيَّ هُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ التَّابِعُ لِلْمَعْرِفَةِ ؛ وَالْمَنْطِقِيُّ مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ ، فَهُو إِدْرَاكُ أَنَّ النِّسْبَةَ وَاقِعَةٌ أَمْ لَا .

وَهُوَ مَذْهَبُ الْغَزَّالِيِّ ، وَإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ ، وَغَيْرِهِمَا » . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

((**كَمَا تَوَلَّى بَسْطَهُ**)) **أَيْ** : مَعْنَاهَا وَتَضَمُّنِهَا مَا يُعْتَقَدُ فِي حَقِّ رَبِّنَا ، وَحَقِّ رُسُلِهِ : الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ

((**السَّنُوسِي**)) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِهِ ((**مُعْتَرِفًا**)) بِضَمِّ الْمِيمِ ، وَسُكُونِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ؛ **أَيْ** : آخِذًا

((**مِنْ فَيْضِهِ**)) **أَيْ** : اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ((**الْقُدُّوسِي**)) بِضَمِّ الْقَافِ وَالدَّالِ مُثَقَّلَةً ؛ **أَيْ** : الْمُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .

وَحَاصِلُ مَا بَسَطَهُ السَّنُوسِيُّ ، كَمَا ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كِيرَانَ ، وَنَصُّهُ :

« وَانْدِرَاجُ الْعَقَائِدِ تَحْتَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ . قَالَ الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ : إِنَّهُ لَمْ يَرَ مَنْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ . فَظُنَّ أَنَّهُ مِنْ مُخْتَرَعَاتِهِ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ سَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَّالِيُّ ، وَعِيَاضٌ ؛ عَلَى وَجْهٍ يَقْرُبُ مِمَّا ذَكَرَهُ ؛ كَمَا اسْتَنْبَطَ الْمُقْتَرَحُ الْعَقَائِدَ الْإِلَهِيَّةَ مِنَ {الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ} ؛ وَاسْتَنْبَطَهَا بَعْضُهُمْ مِنَ الْبَسْمَلَةِ ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ [سُورَةِ الْإِخْلَاصِ] ؛ وَقَدْ قَدَّمْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْغِنَى الْمُطْلَقِ ؛ وَنَحْنُ نُبَيِّنُ انْدِرَاجَ الْعَقَائِدِ تَحْتَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ ، **فَنَقُولُ** :

بَيَانُ ذَلِكَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى مَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا إِجْمَالًا :

فَـ (الْإِلَهُ) : هُوَ الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ . هَذَا مُخْتَارُ الشَّيْخِ السَّنُوسِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ ؛ قَالَ : " وَبِهِ يَنْجَلِي انْدِرَاجُ جَمِيعِ الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ تَحْتَ قَوْلِنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " .

وَيَرِدُ عَلَيْهِ : أَنَّ الْإِلَهَ لُغَةً إِنَّمَا هُوَ بِمَعْنَى " الْمَعْبُودِ " ، فَفِي [الْقَامُوسِ] : " أَلَهَ إِلَهَةً ، وَأُلُوهَةً ، وَأُلُوهِيَّةً : عَبَدَ عِبَادَةً . وَالْإِلَهُ بِمَعْنَى مَأْلُوهٍ ؛ وَكُلُّ مَا اتُّخِذَ مَعْبُودًا إِلَهٌ عِنْدَ مُتَّخِذِهِ " . اهـ .

وَحِينَئِذٍ يُقَالُ : مِنْ أَيْنَ جَاءَ تَفْسِيرُ (الْإِلَهِ) بِذَلِكَ التَّفْسِيرِ حَتَّى يَنْبَنِيَ عَلَيْهِ انْدِرَاجُ الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ ؟ .

وَيُجَابُ بِأَنَّهُ :

لَازِمُ مَعْنَى (الْإِلَهِ) لُغَةً ؛ وَبَيَانُ اللُّزُومِ : أَنَّ (الْإِلَهَ) **لُغَةً بِمَعْنَى** : الْمَعْبُودُ ؛ وَكُلُّ عَابِدٍ لِشَيْءٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْبُدُهُ بِحَقٍّ ؛ فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ (الْإِلَهُ) **بِمَعْنَى** : الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ فِي اعْتِقَادِ عَابِدِهِ ؛ وَالْعِبَادَةُ هِيَ : غَايَةُ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ . كَمَا فِي [الْمُطَوَّلِ] وَغَيْرِهِ .

فَيَكُونُ (الْإِلَهُ) **بِمَعْنَى** : الْمَخْضُوعُ لَهُ غَايَةَ الْخُضُوعِ بِحَقٍّ فِي اعْتِقَادِ الْخَاضِعِ ؛ وَكُلُّ اعْتِقَادٍ لَا يُطَابِقُ الْوَاقِعَ فَهُوَ لَغْوٌ ؛ فَصَارَ مَعْنَى (الْإِلَهِ) : الْمَخْضُوعُ لَهُ غَايَةَ الْخُضُوعِ بِحَقٍّ فِي الْوَاقِعِ ؛ وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا لِمُوجِبٍ يَقْتَضِي أَنْ يَخْضَعَ لَهُ ذَلِكَ الْخُضُوعَ ، وَلَا مُوجِبَ إِلَّا افْتِقَارُ الْخَاضِعِ لِلْمَخْضُوعِ لَهُ ، وَاسْتِغْنَاءُ الْمَخْضُوعِ لَهُ عَنِ الْخَاضِعِ .

فَلَزِمَ : أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمُسْتَغْنِي عَنْ عَابِدِهِ ، الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ عَابِدُهُ ؛ وَحَيْثُ لَمْ يُخَصَّ الْإِلَهُ بِكَوْنِ أُلُوهِيَّتِهِ بِالنِّسْبَةِ لِمُعَيَّنٍ ، لَزِمَ أَنَّهُ الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ ؛ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وَحِينَئِذٍ ، فَمَعْنَى الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ : " لَا مُسْتَغْنِيَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَمُفْتَقِرًا إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ إِلَّا اللهُ " . بِمَعْنَى : أَنَّ هَذَا الْمَفْهُومَ مَقْصُورٌ عَلَى الْفَرْدِ الَّذِي هُوَ خَالِقُ الْعَالَمِ ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ – لَا غَيْرُهُ وَحْدَهُ ، وَلَا غَيْرُهُ مَعَهُ – الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ ؛ فَفِيهِ قَصْرُ أَفْرَادٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أُلُوهِيَّةَ غَيْرِهِ مَعَهُ ؛ وَقَصْرُ قَلْبٍ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يَعْتَقِدُ أُلُوهِيَّةَ غَيْرِهِ فَقَطْ ، كَالْمَجُوسِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ إِلَهَ الْعَالَمِ هُوَ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ فَقَطْ ؛ وَلَا مَحْذُورَ فِي كَوْنِ قَصْرٍ وَاحِدٍ لِلْأَفْرَادِ وَالْقَلْبِ .

فَإِنْ قُلْتَ : الْقَصْرُ فِي الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ حَقِيقِيٌّ ، وَهُمْ جَعَلُوا مَحَلَّ التَّقْسِيمِ إِلَى قَصْرِ الْقَلْبِ وَالْأَفْرَادِ ؛ **وَالتَّعْيِينُ** : الْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ ! .

قُلْتُ : لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كَوْنِ الْقَصْرِ حَقِيقِيًّا فِي نَفْسِهِ ، وَبَيْنَ كَوْنِهِ إِضَافِيًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا اعْتَقَدَ السَّامِعُ مُشَارَكَتَهُ لِلْمَذْكُورِ فِي الْحُكْمِ أَوِ انْفِرَادَهُ بِهِ دُونَهُ مِنْ بَعْضِ الْأَغْيَارِ ، إِذَا كَانَتْ بَقِيَّةُ الْأَغْيَارِ لَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ ثُبُوتَ الْحُكْمِ لَهَا مَعَ انْتِفَائِهِ عَنْهَا فِي الْوَاقِعِ. تَأَمَّلْ .

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا ، فَلْنَرْجِعْ إِلَى بَيَانِ انْدِرَاجِ الْعَقَائِدِ الْإِلَهِيَّةِ فِي التَّفْسِيرِ الْمَذْكُورِ :

١ – فَـ (الْوُجُودُ) يُؤْخَذُ مِنَ اسْتِغْنَائِهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا، لَافْتَقَرَ إِلَى مُوجِدٍ، فَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا.

٢ – وَ(الْقِدَمُ) كَذَلِكَ ، إِذْ لَوْ كَانَ حَادِثًا ، لَافْتَقَرَ إِلَى مُحْدِثٍ ، فَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا .

٣ – وَ(الْبَقَاءُ) كَذَلِكَ ، إِذْ لَوِ انْتَفَى ، لَكَانَ وُجُودُ جَائِزًا مُمْكِنًا ، فَيَفْتَقِرُ إِلَى مُرَجِّحِهِ عَلَى مُقَابِلِهِ مِنَ الْعَدَمِ ، فَيَكُونُ حَادِثًا ، فَيَفْتَقِرُ إِلَى مُحْدِثٍ ، فَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا .

٤ – وَ(الْمُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ) كَذَلِكَ ، إِذْ لَوْ مَاثَلَ شَيْئًا مِنْهَا ، لَكَانَ حَادِثًا مِثْلَهُ ، فَيَفْتَقِرُ إِلَى مُحْدِثٍ ، فَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا .

٥ – وَ(الْقِيَامُ بِالنَّفْسِ) – **أَيْ** : عَدَمُ الِافْتِقَارِ إِلَى مَحَلٍّ أَوْ مُخَصِّصٍ – كَذَلِكَ، إِذْ لَوِ افْتَقَرَ إِلَى أَحَدِهِمَا ، لَمْ يَكُنْ

... ...

مُسْتَغْنِيًّا .

٦ – وَتُؤْخَذُ (الْوَحْدَانِيَّةُ) مِنَ افْتِقَارِ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ ، إِذْ لَوْ تَعَدَّدَ ، لَمْ يُمْكِنْ وُجُودُ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ – لِمَا مَرَّ – فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ شَيْءٌ .

٧/ ٨ / ٩/ ١٠ – وَ(الْقُدْرَةُ) ، وَ(الْإِرَادَةُ) ، وَ(الْعِلْمُ) ، وَ(الْحَيَاةُ) كَذَلِكَ إِذْ لَوِ انْتَفَى شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ ، لَمْ يُمْكِنْ وُجُودُ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ ، فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ شَيْءٌ .

١١/ ١٢ / ١٣ – وَيُؤْخَذُ (السَّمْعُ) ، وَ(الْبَصَرُ) ، وَ(الْكَلَامُ) مِنَ اسْتِغْنَائِهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، إِذْ لَوِ انْتَفَى عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا ، لَاتَّصَفَ بِأَضْدَادِهَا ، وَهِيَ نَقَائِصُ ، فَيَفْتَقِرُ إِلَى مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ النَّقْصَ ، فَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا ، وَاسْتِحَالَةُ أَضْدَادِ الصِّفَاتِ الْوَاجِبَةِ كُلُّهَا كَذَلِكَ ، لِأَنَّهَا نَقَائِصُ ، فَلَوِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْهَا ، لَافْتَقَرَ إِلَى مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ النَّقْصَ ، فَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا ؛ وَمِنْ تِلْكَ الْأَضْدَادِ الْمُسْتَحِيلَةِ : أَنْ يَكُونَ لَهُ غَرَضٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَفْعَالِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مُضَادٌّ لِلْغِنَى الْمُطْلَقِ ؛ فَيَلْزَمُ الِافْتِقَارُ إِلَى مَا يُحَصِّلُ غَرَضَهُ ، فَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا .

١٤ – وَيُؤْخَذُ (جَوَازُ فِعْلِ كُلِّ مُمْكِنٍ أَوْ تَرْكِهِ) مِنَ اسْتِغْنَائِهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ أَيْضًا ، إِذْ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلًا – كَالثَّوَابِ مَثَلًا – لَافْتَقَرَ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ لِيَتَكَمَّلَ بِهِ ، إِذْ لَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى إِلَّا مَا هُوَ كَمَالٌ لَهُ ؛ كَيْفَ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ؟! .

١٥ – وَيُؤْخَذُ (حُدُوثُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ) مِنَ افْتِقَارِ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ ، إِذْ لَوْ كَانَ شَيْءٌ مِنْهُ قَدِيمًا ، لَاسْتَغْنَى عَنْهُ تَعَالَى ، فَلَا يَكُونُ كُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ .

١٦ – وَيُؤْخَذُ (انْتِفَاءُ تَأْثِيرِ الْعِلَّةِ وَالطَّبِيعَةِ) مِنْ ذَلِكَ ، وَإِلَّا لَكَانَ ذَلِكَ الْأَثَرُ مُسْتَغْنِيًّا عَنْ مَوْلَانَا ، فَلَا يَكُونُ كُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ .

١٧ – وَيُؤْخَذُ (عَدَمُ تَأْثِيرِ شَيْءٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ بِقُوَّةٍ جَعَلَهَا اللهُ فِيهِ ، كَالنَّارِ فِي الْإِحْرَاقِ) مِنَ اسْتِغْنَائِهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَفْتَقِرَ مَوْلَانَا – فِي إِيجَادِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ – إِلَى وَاسِطَةٍ ، فَلَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًّا .

١٨ – وَيُؤْخَذُ (عَدَمُ تَأْثِيرِ الْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ) مِنَ اسْتِغْنَائِهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ أَيْضًا لِذَلِكَ ، أَوْ مِنَ افْتِقَارِ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ اسْتِغْنَاءَ أَفْعَالِنَا الْحَادِثَةِ عَنْهُ تَعَالَى ، فَلَا يَكُونُ كُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ ، كَيْفَ وَهُوَ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ ؟! .

* وَأَمَّا قَوْلُنَا : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) فَيُؤْخَذُ مِنْهُ :

١ – (وُجُوبُ الصِّدْقِ لِلرُّسُلِ) مِنَ الْإِضَافَةِ إِلَى اللهِ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ جَامِعٌ لِمَعَانِي الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى الصِّفَاتِ ، الَّتِي مِنْهَا الْعِلْمُ الْقَدِيمُ الْمُحِيطُ ؛ فَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ مِنْهُمُ الصِّدْقَ فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُوهُ ، مَا أَمِنَهُمْ .

٢/ ٣ – وَمِنْ تِلْكَ الْإِضَافَةِ أَيْضًا تُؤْخَذُ (أَمَانَتُهُمْ) وَ(تَبْلِيغُهُمْ) لِكُلِّ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ ، إِذْ لَوْ عَلِمَ مِنْهُمْ خِلَافَ ذَلِكَ ، مَا أَمِنَهُمْ عَلَى إِرْشَادِ الْعِبَادِ ، وَمَا أَوْدَعَهُمْ سِرَّ وَحْيِهِ .

٤/ ٥ / ٦ – وَيُؤْخَذُ اسْتِحَالَةُ (الْكَذِبِ) وَ(الْخِيَانَةِ) وَ(الْكَتْمِ) مِنْ وُجُوبِ أَضْدَادِهَا ؛ وَجَوَازُ مَا لَا يُنَافِيهَا مِنَ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي لَا تُؤَدِّي إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمُ الْعَلِيَّةِ .

٧ – وَيُؤْخَذُ مِنَ الْإِقْرَارِ بِرِسَالَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْإِيمَانُ بِسَائِرِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ،

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بِإِثْبَاتِ جَمِيعِ ذَلِكَ » . اهـ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ سَعِيدٍ التُّونُسِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى حَاشِيَةِ الْعَلَّامَةِ السَّكْتَانِيِّ عَلَى شَرْحِ [أُمِّ الْبَرَاهِينِ] لِلْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ مَا نَصُّهُ :

« **[خَاتِمَةٌ]** :

حَاصِلُ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ فِي إِدْرَاجِ الْعَقَائِدِ تَحْتَ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ – وَإِنْ كَانَ فِيهِ نَوْعُ تَسَامُحٍ – أَنَّهُ يَثْبُتُ مِنَ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ لِلْإِلَهِ وَصْفَانِ :

١ – **الْأَوَّلُ** : اِسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

٢ – **وَالثَّانِي**: اِفْتِقَارُ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيْهِ .

وَلِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَصْفُ الرِّسَالَةِ .

* **ثُمَّ إِنَّهُ يَدْخُلُ تَحْتَ الْأَوَّلِ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ عَقِيدَةً ، وَهِيَ :**

١ – الْوُجُودُ .

٢ – وَالْقِدَمُ .

٣ – وَالْبَقَاءُ .

٤ – وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ .

٥ – وَالْقِيَامُ بِالنَّفْسِ .

٦ – والسَّمْعُ .

٧ – وَالْبَصَرُ .

٨ – وَالْكَلَامُ .

٩/ ١٠ / ١١ – وَكَوْنُهُ تَعَالَى سَمِيعًا ، وَبَصِيرًا ، وَمُتَكَلِّمًا .

١٢ – وَنَفْيُ الْغَرَضِ .

١٣ – وَنَفْيُ وُجُوبِ الْفِعْلِ .

١٤ – وَنَفْيُ تَأْثِيرِ غَيْرِهِ بِقُوَّةٍ خُلِقَتْ فِيهِ .

فَتِلْكَ أَرْبَعَ عَشَرَةَ عَقِيدَةً ؛ وَأَضْدَادُهَا مِثْلُهَا .

* **وَيَدْخُلُ تَحْتَ الثَّانِي اثْنَانِ وَعِشْرُونَ عَقِيدَةً، وَهِيَ :**

١ – الْقُدْرَةُ .

٢ – وَالْإِرَادَةُ .

... ...

---

٣ – وَالْعِلْمُ .
٤ – وَالْحَيَاةُ .
٥/ ٦ / ٧/ ٨ – وَكَوْنُهُ تَعَالَى قَادِرًا ، وَمُرِيدًا ، وَعَالِمًا ، وَحَيًّا .
٩ – وَالْوَحْدَانِيَّةُ .
١٠ – وَنَفْيُ التَّأْثِيرِ بِالطَّبْعِ .
١١ – وَحُدُوثُ الْعَالَمِ .

فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ عَقِيدَةً ؛ وَأَضْدَادُهَا مِثْلُهَا .
فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ عَقِيدَةً تُضَمُّ لِلثَّمَانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ . فَتِلْكَ خَمْسُونَ عَقِيدَةً يَدُلُّ عَلَيْهَا الصَّدْرُ ؛

وَيَدْخُلُ تَحْتَ الْعَجْزِ سِتَّ عَشْرَةَ عَقِيدَةً ، وَهِيَ الْإِيمَانُ بِـ :
١ – سَائِرِ الرُّسُلِ .
٢ – وَالْمَلَائِكَةِ .
٣ – وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ .
٤ – وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .
٥ – وَالصِّدْقِ .
٦ – وَالْأَمَانَةِ .
٧ – وَالتَّبْلِيغِ .
٨ – وَجَوَازِ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ .

فَتِلْكَ ثَمَانِيَةٌ ؛ وَأَضْدَادُهَا ثَمَانِيَةٌ أَيْضًا . فَتِلْكَ سِتَّ عَشْرَةَ عَقِيدَةً تُضَمُّ لِلْخَمْسِينَ .
فَتِلْكَ سِتٌّ وَسِتُّونَ عَقِيدَةً ، تَدْخُلُ كُلُّهَا تَحْتَ قَوْلِنَا : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . اهـ .

٤٨٦ – وَقَــدْ أَخَــذْتُ كُتْبَــهُ دِرَايَــةْ عَمَّـــنْ تَلَقَّـــى فِي الْعُلُــومِ الرَّايَـــةْ

٤٨٧ – عَمِّـــي سَــعِيدٍ الْإِمَــامِ الْمَقَّــرِي عَــنِ ابْــنِ مَــلَّالٍ عَــنِ الْحَــبْرِ السَّــرِي

٤٨٨ – سَــعِيدٍ الشَّــهِيرِ بِـــ (الْكَفِيــفِ) عَــنِ السَّنُوسِــيِّ الرِّضَـــى الْعَفِيـــفِ

٤٨٩ – مُؤَلِّـــفِ الْعَقَائِـــدِ الشَّـــهِيرَةْ وَفَضْـــلُهُ كَالشَّـــمْسِ فِي الظَّهِـــيرَةْ

٤٩٠ – وَهْــوَ الَّــذِي يَقُــولُ مَــا مَعْنَــاهُ فِي سِــــــرِّ (لَا إِلَـــــهَ إِلَّا اللهُ) :

٤٩١ – لَعَلَّهَـــا لِلاخْتِصَـــارِ مَـــعْ مَـــا تَضَـــمَّنَتْهُ خَصَّـــهَا ذُو النِّعَمَـــا

٤٩٢ – بِكَوْنِهَـــا تَرْجَمَـــةَ الْإِيمَـــانِ فَـــالْهَجْ بِـــذِكْرِهَا مَـــعَ الْإِدْمَـــانِ

((**وَقَدْ أَخَذْتُ**)) **أَيْ** : تَلَقَّيْتُ وَتَعَلَّمْتُ ((**كُتْبَهُ**)) بِضَمِّ الْكَافِ ، وَسُكُونِ التَّاءِ ، لِلْوَزْنِ ؛ أَيِ : السَّنُوسِيِّ ، أَخْذًا ((**دِرَايَةْ**)) بِكَسْرِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ ؛ فَهْمًا ، لَا مُجَرَّدَ رِوَايَةٍ . وَصِلَةُ ((**أَخَذْ**)) : ((**عَمَّنْ**)) **أَيِ** : الَّذِي

((**تَلَقَّى**)) بِفَتَحَاتٍ مُثَقَّلًا ((**فِي الْعُلُومِ الرَّايَةْ**)) .

وَبَيَّنَ ((**مَنْ**)) بِقَوْلِهِ : ((**عَمِّي**)) وَبَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ ((**سَعِيدٍ الْإِمَامِ الْمَقَّرِي**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْقَافِ مُثَقَّلًا ؛ الَّذِي تَلَقَّى ((**عَنِ ابْنِ مَلَّالٍ**)) بِفَتْحِ الْمِيمِ ، وَشَدِّ اللَّامِ ؛ الَّذِي تَلَقَّى ((**عَنِ الْحَبْرِ**)) بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِهَا ؛ **أَيِ** : الْعَالِمِ ((**السَّرِي**)) بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيِ** : الشَّرِيفِ ؛ وَبَيَّنَهُ بِـ ((**سَعِيدٍ الشَّهِيرِ بِـ " الْكَفِيفِ "**)) الَّذِي تَلَقَّى ((**عَنِ**)) الْإِمَامِ ((**السَّنُوسِيِّ الرِّضَى**)) بِكَسْرِ الرَّاءِ ، وَفَتْحِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ((**الْعَفِيفِ**)) **أَيِ** : الْمُتَعَفِّفِ ((**مُؤَلِّفِ الْعَقَائِدِ الشَّهِيرَةْ وَفَضْلُهُ كَالشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةْ**)) **أَيْ** : وَقْتَ الظُّهْرِ ((**وَهْوَ**)) **أَيِ** : الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ ((**الَّذِي يَقُولُ مَا مَعْنَاهُ فِي سِرِّ**)) بِكَسْرِ السِّينِ ، وَشَدِّ الرَّاءِ ؛ قَوْلِ ((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .. لَعَلَّهَا لِلاخْتِصَارِ مَعْ مَا تَضَمَّنَتْهُ**)) مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى ، وَفِي حَقِّ رُسُلِهِ ؛ وَإِنَّمَا قَالَ ((**لَعَلَّهَا ...**)) إِلَخ ، وَلَمْ يَجْزِمْ بِذَلِكَ ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ ثَمَّ عِلَّةٌ أُخْرَى لَمْ تَظْهَرْ لَهُ ، أَوْ أَنَّهُ أَمْرٌ تَعَبُّدِيٌّ لَا يُعَلَّلُ ؛ فَعَدَمُ جَزْمِهِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – حُسْنُ أَدَبٍ ، إِذِ الْجَزْمُ بِمَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ تَجَاسُرٌ عَلَيْهِ ؛ وَبَعْضُهُمْ جَزَمَ بِمَا لَمْ يَجْزِمْ بِهِ الْمُصَنِّفُ وَنَحْوُهُ فِي شَرْحِ [مُلَخَّصِ الْمَقَاصِدِ] . أَفَادَهُ سَيِّدِي عَلِيٌّ الْأُجْهُورِيُّ فِي شَرْحِ عَقِيدَتِهِ .

((**خَصَّهَا ذُو**)) **أَيْ** : صَاحِبُ ((**النَّعَمَا**)) بِفَتْحِ النُّونِ ((**بِكَوْنِهَا تَرْجَمَةَ الْإِيمَانِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ .

وَعِبَارَةُ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ فِي [الصُّغْرَى] :

« وَلَعَلَّهَا لِاخْتِصَارِهَا مَعَ اشْتِمَالِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، جَعَلَهَا الشَّرْعُ تَرْجَمَةً عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَا ؛ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِهَا مُسْتَحْضِرًا لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ ، حَتَّى تَمْتَزِجَ مَعَ مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى لَهَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْعَجَائِبِ – إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى – مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ . وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ » . اِنْتَهَتْ .

قَالَ مُؤَلِّفُهَا فِي شَرْحِهَا :

« لَا شَكَّ أَنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – قَدْ خُصَّ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ ، فَتَحْتَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَا

يَنْحَصِرُ، فَاخْتَارَ لِأُمَّتِهِ فِي تَرْجَمَةِ الْإِيمَانِ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْمُشَرَّفَةَ ، السَّهْلَةَ حِفْظًا وَذِكْرًا ، الْكَثِيرَةَ الْفَوَائِدِ عِلْمًا وَحِسًّا ؛ فَمَا تَعِبُوا فِيهِ مِنْ تَعَلُّمِ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ الْكَثِيرَةِ الْمُفَصَّلَةِ ، جُمِعَ لَهُمْ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي حِرْزِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمَنِيعِ ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ ذِكْرِ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ كُلِّهَا بِذِكْرٍ وَاحِدٍ خَفِيفٍ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلٍ فِي الْمِيزَانِ .

ثُمَّ تَنَبَّهْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ لِعَظِيمِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِنْعَامِهِ عَلَيْنَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ ، وَهُوَ أَنَّ الْمُكَلَّفَ إِنَّمَا يَنْجُو مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ إِذَا اتَّصَفَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ بِعَقَائِدِ الْإِيمَانِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْهَائِلِ الضَّعْفُ عَنِ اسْتِحْضَارِ جَمِيعِ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ مُفَصَّلَةً ، فَعَلَّمَهُ الشَّرْعُ – بِمُقْتَضَى الْفَضْلِ الْعَظِيمِ – هَذِهِ الْكَلِمَةَ السَّهْلَةَ الْعَظِيمَةَ الْقَدْرِ ، حَتَّى يَذْكُرَ بِهَا – مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ تَنَالُهُ – جَمِيعَ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ ، بِلِسَانِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ ؛ وَاكْتَفَى مِنْهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ الضَّيِّقِ بِذِكْرِهَا مُجْمَلَةً ، إِذْ طَالَمَا أَدَارَهَا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ مُفَصَّلَةً ؛ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ " ؛ وَقَالَ أَيْضًا : " مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) دَخَلَ الْجَنَّةَ " .

فَالْأَوَّلُ فِيمَنْ يَسْتَطِيعُ النُّطْقَ ؛ وَالثَّانِي فِيمَنْ لَا يَسْتَطِيعُهُ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمَلَكَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ يَجْتَزِيَانِ مِنْهُ بِمُجَرَّدِ ذِكْرِهَا ، حَيْثُ يَمْنَعُهُ مَانِعُ الْهَيْبَةِ وَالْخَوْفِ مِنْ ذِكْرِ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ لَهُمَا مُفَصَّلَةً » . اهـ بِاخْتِصَارٍ .

وَانْظُرْ تَرْجَمَةَ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – فِي [كِفَايَةُ الْمُحْتَاجِ] لِسَيِّدِي أَحْمَدَ بَابَا ؛ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

((**فَالْهَجْ**)) بِفَتْحِ الْهَاءِ ؛ **أَيْ** : أَسْرِعْ ((**بِذِكْرِهَا مَعَ الْإِدْمَانِ**)) بِكَسْرِ الْهَمْزِ ؛ **أَيِ** : الْإِدَامَةِ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كِيرَانَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَاشِرٍ :

(وَهْـــــيَ أَفْضَـــــلُ وُجُـــــوهِ الـــــذِّكْرِ فَاشْـــغَلْ بِهَـــا الْعُمْـــرَ تَفُـــزْ بِالـــذُّخْرِ)

إِلَخِ الْبَيْتِ مَا نَصُّهُ :

« ((**وَهْيَ أَفْضَلُ وُجُوهِ**)) **أَيْ** : أَنْوَاعِ ((**الذِّكْرِ**)) وَلَوْ لَمْ يَرِدْ فِي فَضْلِهَا إِلَّا أَنَّهَا عَلَمٌ عَلَى الْإِيمَانِ – تَعْصِمُ الدِّمَاءَ وَالْأَمْوَالَ إِلَّا بِحَقِّهَا – كَانَ كَافِيًا لِلْعَاقِلِ ؛ كَيْفَ وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ ؟! ، كَحَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ ، وَالنَّسَائِيِّ ، وَابْنِ مَاجَهْ ، وَابْنِ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمِ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا : " أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ لِلهِ " .

وَحَدِيثِ النَّسَائِيِّ مَرْفُوعًا : " قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ ، عَلِّمْنِي مَا أَذْكُرُكَ بِهِ ، وَأَدْعُوكَ بِهِ ؛ فَقَالَ : يَا مُوسَى ، قُلْ : < لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ > قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا ؛ قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ ؛ قَالَ : يَا مُوسَى ، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ ، لَمَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " .

... ...

وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ الْهَيْلَلَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَمْدَلَةِ .

وَوَجْهُ دَلَالَةِ الْأَوَّلِ : أَنَّهُ جَعَلَ الْهَيْلَلَةَ أَفْضَلَ مِنْ جِنْسِ الذِّكْرِ ، وَالْحَمْدَلَةَ أَفْضَلَ مِنْ جِنْسِ الدُّعَاءِ ؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ جِنْسَ الذِّكْرِ أَفْضَلُ مِنْ جِنْسِ الدُّعَاءِ ، لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ : " مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ " .

وَأَمَّا حَدِيثُ : " أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ " . رَوَاهُ فِي [الْمُوَطَّإِ] ؛ فَفِيهِ اخْتِصَارٌ ، بِدَلِيلِ زِيَادَةِ التِّرْمِذِيِّ : " لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " .

وَحِينَئِذٍ ، فَالْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالْأَفْضَلِ : الْمَجْمُوعُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْهَيْلَلَةِ وَالتَّحْمِيدِ ؛ فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ أَحَدِهِمَا فِي نَفْسِهِ عَلَى الْآخَرِ ؛ وَقَدْ وَرَدَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الْحَمْدَلَةِ ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالْحَاكِمُ ، وَالضِّيَاءُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ مَعًا رَفَعَاهُ : " إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا : سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ؛ فَمَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ، كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً ؛ وَمَنْ قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، مِثْلُ ذَلِكَ ؛ وَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، مِثْلُ ذَلِكَ ؛ وَمَنْ قَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ثَلَاثُونَ خَطِيئَةً " . اهـ .

وَأَحْسَنُ مَا يُجْمَعُ بِهِ – كَمَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ – : أَنَّ تَفْضِيلَ الْهَيْلَلَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِمَا لَمْ يَتَضَمَّنْ مَعْنَاهَا مِنَ الْكَلَامِ ؛ وَأَمَّا مَا تَضَمَّنَهُ فَلَا .

وَالْحَمْدَلَةُ تَضَمَّنَتْ مَعْنَى الْهَيْلَلَةِ وَزِيَادَةً ، فَتَكُونُ أَفْضَلَ ؛ وَيُسَاوِيهَا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى السَّبْحَلَةُ وَالتَّكْبِيرُ ؛ فَمِنْ ثَمَّ سَوَّى بَيْنَهُمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ .

وَيُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَفْضِيلِ الْحَمْدَلَةِ : مَا فِي [نَوَادِرِ الْأُصُولِ] عَنْ وَكِيعٍ : " الْحَمْدُ للهِ شُكْرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " .

قَالَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ : " فَيَالَهَا مِنْ كَلِمَةٍ لِوَكِيعٍ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَفْضَلُ النِّعَمِ " . فَإِذَا حُمِدَ اللهُ عَلَيْهَا ، كَانَ فِي كَلِمَةِ الْحَمْدِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُضَمَّنَةً مُشْتَمِلَةً عَلَيْهَا الْحَمْدَلَةُ .

ثُمَّ لَا يُنَافِي تَفْضِيلَ الْحَمْدَلَةِ وَكَوْنَهَا أَكْثَرَ ثَوَابًا أَنَّ لِلْهَيْلَلَةِ مَزِيَّةً فِي مَوَاضِعَ لَا يَقُومُ غَيْرُهَا مَقَامَهَا ، كَالْأَذَانِ ، وَالْإِقَامَةِ ، وَالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ، ... وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَفِي الْحَدِيثِ : " لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ ، إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَنِ اللهِ شُرُودَ الْبَعِيرِ عَنْ أَهْلِهِ ؛ فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَأْبَى ؟! قَالَ : مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا ، فَإِنَّهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ ، وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، وَهِيَ دَعْوَةُ الْحَقِّ ، وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَهِيَ ثَمَرَةُ الْجَنَّةِ " .

وَفِي [كِتَابِ عَبْدِ الْغَفُورِ] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" إِنَّ للهِ تَعَالَى عَمُودًا مِنْ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؛ اهْتَزَّ ذَلِكَ الْعَمُودُ ؛ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : اُسْكُنْ ؛ فَيَقُولُ : كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِلِهَا ؟! ؛ فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ؛ فَيَسْكُنُ عِنْدَ ذَلِكَ " .

وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ أَنَّ مَنْ قَالَهَا سَبْعِينَ أَلْفًا ، كَانَتْ فِدَاءَهُ مِنَ النَّارِ . وَالْحَدِيثُ وَإِنْ أَنْكَرَهُ الْحُفَّاظُ – حَتَّى قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي جَوَابٍ لَهُ : إِنَّهُ مَوْضُوعٌ ، لَا تَحِلُّ رِوَايَتُهُ إِلَّا مَعَ بَيَانِ حَالِهِ – فَالْمُعْتَمَدُ فِي ذَلِكَ كَلَامُ أَئِمَّةِ الْكَشْفِ الَّذِينَ فَرَاسَتُهُمْ لَا تُخْطِئُ .

... ...

وَفِي كِتَابِ [الْإِرْشَادُ وَالتَّطْرِيزُ] لِلْيَافِعِيِّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْقُرْطُبِيِّ قَالَ :
"سَمِعْتُ الْأَثَرَ الْمَذْكُورَ ، فَعَمِلْتُ – رَجَاءَ الْوَعْدِ مِنْ ذَلِكَ – أَعْمَالًا لِنَفْسِي وَلِأَهْلِي ؛ وَكَانَ يَبِيتُ مَعَنَا شَابٌّ يُقَالُ إِنَّهُ يُكَاشَفُ أَحْيَانًا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَكَانَ فِي قَلْبِي مِنْهُ شَيْءٌ ، فَاسْتَدْعَانَا بَعْضُ الْإِخْوَانِ ، فَنَحْنُ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّابُّ مَعَنَا ، إِذْ صَاحَ صَيْحَةً مُنْكَرَةً ، وَاجْتَمَعَ فِي نَفْسِهِ يَقُولُ : يَا عَمِّ ، هَذِهِ أُمِّي فِي النَّارِ . بِحَيْثُ لَا يَشُكُّ مَنْ سَمِعَ صِيَاحَهُ أَنَّهُ عَنْ أَمْرٍ ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي – وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ – : الْيَوْمَ أُجَرِّبُ صِدْقَهُ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا فِدَاءُ أُمِّ هَذَا الشَّابِّ . فَمَا أَتْمَمْتُ الْخَاطِرَ فِي نَفْسِي حَتَّى قَالَ : يَا عَمِّ ، هَا هِيَ أُخْرِجَتْ مِنَ النَّارِ وَالْحَمْدُ للهِ .
فَحَصَلَتْ لِي فَائِدَتَانِ :
١ – إِيمَانٌ بِصِدْقِ الْأَثَرِ .
٢ – وَسَلَامَتِي مِنَ الشَّابِّ وَعِلْمِي بِصِدْقِهِ " . اهـ .
وَعِلْمُهُ بِصِدْقِ الْأَثَرِ ، لَا يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ الْمُحَدِّثِينَ ، فَلَا يُنَافِي حُكْمَهُمْ بِوَضْعِهِ .

وَقَدْ وَرَدَ فِيمَا يَكُونُ بِهِ الْفِدَاءُ مِنَ النَّارِ أَذْكَار ، مِنْهَا :
١ – الْعَدَدُ الْمَذْكُورُ مِنَ الْهَيْلَلَةِ .
٢ – **وَمِنْهَا** : مَا فِي حَدِيثِ الطَّبَرَانِيِّ فِي [الْأَوْسَطِ] ، وَالْخَرَائِطِيِّ ، وَابْنِ مَرْدُويَهْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) أَلْفَ مَرَّةٍ ، فَقَدِ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللهِ ، وَكَانَ آخِرَ يَوْمِهِ عَتِيقَ اللهِ » .
٣ – **وَمِنْهَا** : مَا فِي حَدِيثِ الطَّبَرَانِيِّ عَنْ فَيْرُوزٍ رَفَعَهُ : « مَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ [الإخلاص : ١] مِائَةَ مَرَّةٍ فِي الصَّلَاةِ أَوْ غَيْرِهَا ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ » .
وَعِنْدَ الْخَرَائِطِيِّ فِي [فَوَائِدِهِ] عَنْ حُذَيْفَةَ مَرْفُوعًا : « مَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ [الإخلاص : ١] أَلْفَ مَرَّةٍ ، فَقَدِ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللهِ » .
ذَكَرَهُمَا فِي [الْجَامِعُ الصَّغِيرُ] .
وَعِنْدَ الْبَزَّارِ : « مَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ [الإخلاص : ١] مِائَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ ، أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ ، وَتَحَمَّلَ عَنْهُ التَّبِعَاتِ » .
٤ – **وَمِنْهَا** : مَا فِي [الْمُنْذَرِيِّ] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَفَعَهُ : « مَنْ قَالَ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ) أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ ؛ وَلَا يَقُولُهَا اثْنَيْنِ ، إِلَّا أَعْتَقَ اللهُ شَطْرَهُ مِنَ النَّارِ ؛ وَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا ، أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ » . وَهُوَ ضَعِيفٌ .
٥ – **وَمِنْهَا** : مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَلِيٌّ الْأُجْهُورِيُّ أَنَّ فِي حَدِيثٍ حَسَنٍ : « مَنْ قَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ ، وَمَلَائِكَتَكَ ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، فَقَدْ أَعْتَقَ نَفْسَهُ مِنَ النَّارِ » . وَكُلُّ مَرَّةٍ تَعْتِقُ رُبُعًا مِنْهُ .
٦ – **وَمِنْهَا** : مَا ذَكَرَهُ أَيْضًا عَنْ [مَجْمَعُ الْأَحْبَابِ] أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ :
" رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ مَنَامًا تِسْعًا وَتِسْعِينَ مَرَّةً ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنْ رَأَيْتُهُ تَمَامَ الْمِائَةِ لَأَسْأَلَنَّهُ : بِمَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ عَذَابِكَ

... ...

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَرَأَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ ؛ بِمَ يَنْجُو الْخَلَائِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِكَ ؟

فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : مَنْ قَالَ بِالْغُدْوَةِ وَالْعَشِيِّ : (سُبْحَانَ اللهِ الْأَبَدِيِّ الْأَبَدَ ، سُبْحَانَ اللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ ، سُبْحَانَ اللهِ رَافِعِ السَّمَاءِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ، سُبْحَانَ مَنْ بَسَطَ الْأَرْضَ عَلَى مَاءٍ جَمَدَ ، سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَحْصَاهُمْ عَدَدْ ، سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الرِّزْقَ وَلَمْ يَنْسَ أَحَدْ ، سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدْ ، سُبْحَانَ اللهِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) نَجَا مِنْ عَذَابِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

٧ – وَمِنْهَا : مَا ذُكِرَ عَنِ الرَّسْمُوكِيِّ : " أَنَّ مَنْ قَالَ : (اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ ، كَمَا لَا نِهَايَةَ لِكَمَالِكَ وَعَدِّ كَمَالِهِ عَدَلْتَ) خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ ، وَهِيَ فِدَاءٌ مِنَ النَّارِ " .

وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّ فِدْيَةَ هَذِهِ الصَّلَاةِ سَبْعُ مَرَّاتٍ .

٨ – وَمِنْهَا : أَلْفٌ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا فِي حَدِيثٍ مِنْ دِيبَاجَةِ [دَلَائِلُ الْخَيْرَاتِ] .

٩ – وَمِنْهَا : اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْبَسْمَلَةِ . ذَكَرَهُ الْيُوسِيُّ .

(... ... ... * **فَاشْغَلْ بِهَا الْعُمْرَ تَفُزْ بِالذُّخْرِ**) . **أَيْ** : الثَّوَابِ الَّذِي يُدَّخَرُ لَكَ عِنْدَ اللهِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ** ﴾ [النساء : ١٠٣] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤١] :

" لَمْ يَفْرِضِ اللهُ فَرِيضَةً إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا ، ثُمَّ عَذَرَ أَهْلَهَا فِي حَالِ الْعُذْرِ غَيْرَ الذِّكْرِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَعْذُرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ ، إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِهِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا ، فَقَالَ : ﴿ **فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ** ﴾ [النساء : ١٠٣] ، وَقَالَ : ﴿ **اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤١] **أَيْ** : بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَالصِّحَّةِ وَالسُّقْمِ ، وَفِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ " . اهـ مِنْ [تَفْسِيرِ الْخَازِنِ] .

زَادَ : " وَقِيلَ : الذِّكْرُ الْكَثِيرُ : أَنْ لَا يَنْسَاهُ أَبَدًا " .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ مُعَاذٍ رَفَعَهُ : " لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ ، إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – فِيهَا " .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ ، وَابْنُ مَاجَهْ : " عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَذْكُرَ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ " .

فَذِكْرُ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ مَأْمُورٌ بِهِ ، مُحَصِّلٌ لِلثَّوَابِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلَا يَفْتَقِرُ لِنِيَّةٍ كَمَا يُوهِمُهُ شَرْحُ [الصُّغْرَى] ، لِأَنَّ مَا كَانَ قُرْبَةً بِذَاتِهِ وَلَا تَنَوُّعَ فِيهِ ، لَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا ، كَمَا قُرِّرَ فِي مَحَلِّهِ .

لَكِنَّ الْأَكْمَلَ فِي ذِكْرِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ الْمُنْتِجِ لِوُرُودِ الْمَوَاهِبِ وَالْفُتُوحَاتِ وَالْأَسْرَارِ اللَّدُنِّيَّةِ وَالْفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ عَلَى قَلْبِ الذَّاكِرِ ، يَتَوَقَّفُ عَلَى آدَابٍ يُعَظِّمُ بِهَا الذَّاكِرُ مَا عَظَّمَ اللهُ ؛ وَقَدْ بَيَّنَ السَّاحِلِيُّ تِلْكَ الْآدَابَ وَتِلْكَ الْفَوَائِدِ فِي كِتَابِهِ [بُغْيَةُ السَّالِكِ] ، وَتَبِعَهُ فِي شَرْحِ [الصُّغْرَى] ؛ فَآدَابُ ذِكْرِهَا :

... ...

١ – أَنْ يَتَوَضَّأَ مُرِيدُ ذِكْرِهَا .
٢ – وَيَلْبَسَ ثِيَابًا طَاهِرَةً .
٣ – وَيَقْصِدَ مَحَلًّا طَاهِرًا خَالِيًا مِمَّا يُشَوِّشُ عَلَيْهِ .
٤ – وَيَتَحَرَّى الْأَزْمِنَةَ الْفَاضِلَةَ ، كَمَا بَيْنَ الْفَجْرِ وَالطُّلُوعِ ، وَبَيْنَ الْعَصْرِ وَالْغُرُوبِ ، وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ وَالسَّحَرِ .
٥ – وَيَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ .
٦ – وَيَفْتَتِحَ وِرْدَهُ بِالتَّعَوُّذِ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَاصِدًا التِّلَاوَةَ .
٧ – ثُمَّ يَقْرَأُ : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ... ﴾ إِلَى : ﴿ ... رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل : ٢٠] .
٨ – وَيَسْتَحْضِرَ أَنَّ صَدْرَ الْآيَةِ وَعْدٌ صَادِقٌ مِنْ مَوْلًى كَرِيمٍ عَظِيمِ الْإِحْسَانِ ؛ وَآخِرَهَا – أَعْنِي : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ [المزمل : ٢٠] – أَمْرٌ مِنْ جَلِيلٍ ، عَظِيمٍ ، تَوَّابٍ ، غَفُورٍ ، رَحِيمٍ ؛ لِعَبْدٍ مُذْنِبٍ ، حَقِيرٍ، ذَمِيمٍ ؛ فَيُبَادِرُ إِلَى الْإِجَابَةِ ، فَيَسْتَغْفِرُ وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَحْمَدُ اللهَ عَلَى التَّوْفِيقِ بِنَحْوِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ... ﴾ [الأعراف : ٤٣] الْآيَةَ ، وَأَقَلُّ ذَلِكَ سَبْعٌ أَوْ ثَلَاثٌ .
٩ – ثُمَّ يَتَعَوَّذُ وَيَتْلُو : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ ... ﴾ [الأحزاب : ٥٦] إِلَى ﴿ ... تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] مُسْتَحْضِرًا لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ مِنْ خُصُوصِيَّتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَتَشْرِيفِهِ ، فَرِحًا مُبْتَهِجًا بِاتِّسَائِهِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ فِي تَعْظِيمِ حَبِيبِهِ ، وَبِالْإِذْنِ لَهُ فِي التَّشَبُّثِ بِأَعْظَمِ الْوَسَائِلِ عِنْدَهُ ، مُتَصَوِّرًا صُورَتَهُ الْعَدِيمَةَ الْمِثَالِ .
١٠ – ثُمَّ يُبَادِرُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ امْتِثَالًا ، بِأَيِّ صِيغَةٍ وَكَيْفِيَّةٍ يَخْتَارُ فِي ذَلِكَ ، وَلَوْ خَمْسَمِائَةَ مَرَّةٍ ، لِيَسْتَنِيرَ بَاطِنُهُ وَيَتَهَيَّأَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّ التَّهْلِيلِ .
١١ – ثُمَّ يَتَعَوَّذُ أَيْضًا وَيَتْلُو : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، ثُمَّ يُجِيبُ : أَمَرَ مَوْلَانَا بِالتَّهْلِيلِ . مُنْخَلِعًا مِنْ كُلِّ شَرِيكٍ وَهَوًى وَتَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ ، مُسْتَحْضِرًا – بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ – مَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنْ يَوَاقِيتِ الْإِيمَانِ قَائِلًا : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) ... إِلَى آخِرِ دَوْرِ سِبْحَتِهِ ؛ وَيُعِيدُ التَّعَوُّذَ وَالتِّلَاوَةَ فِي كُلِّ دَوْرٍ مِنْهَا ، وَإِنِ اجْتَزَأَ بِالْمَرَّةِ الْأُولَى مِنْهَا فَلَا بَأْسَ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّمَا قَالَ : " بِالْأَنَامِلِ " ، وَلَمْ يَقُلْ : " بِالسِّبْحَةِ " ؟! .
فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَدَّ بِالْأَنَامِلِ إِنَّمَا يَتَيَسَّرُ فِي الْأَذْكَارِ الْقَلِيلَةِ مِنَ الْمِائَةِ فَدُونٍ ؛ أَمَّا أَهْلُ الْأَوْرَادِ الْكَثِيرَةِ ، وَالْأَذْكَارِ الْمُتَّصِلَةِ ، فَلَوْ عَدُّوا بِأَصَابِعِهِمْ لَدَخَلَهُمُ الْغَلَطُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الشُّغُلُ بِالْأَصَابِعِ " . اهـ .

وَقَدْ أَلَّفَ السُّيُوطِيُّ مُؤَلَّفًا صَغِيرًا سَمَّاهُ بِـ [الْمِنْحَةُ فِي اسْتِعْمَالِ السِّبْحَةِ] ، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَ لَهَا سِبْحَةٌ ، وَكَذَا أَبُو هُرَيْرَةَ ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ؛ وَفِي [رَائِيَّةِ السَّاحِلِيِّ] فِي الذِّكْرِ :

(وَلَا بُـدَّ – يَـا هَـذَا – مِـنْ إِعْمَـالِ سِـبْحَةٍ تَنْظِمُهَـا وِتْـرًا ، فَحَـافِظْ عَلَـى الْـوِتْرِ)

... ...

قَالَ : وَإِنَّمَا اسْتُحِبَّ أَنْ تَكُونَ وِتْرًا ، لِحَدِيثِ : " إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ " .

وَقَالَ الشَّرِيفُ الْمَقْدِسِيُّ : **حِكْمَتُهَا** : حِفْظُ عَدَدِ الْأَوْرَادِ ، وَتَذْكِيرُ صَاحِبِهَا عِنْدَ الْفَتْرَةِ .

قَالَ : فَلَوْ جُعِلَتْ لِلْخُيَلَاءِ وَالرِّيَاءِ ، حَرُمَتْ . وَلَوْنُظِمَتْ فِي خَيْطِ حَرِيرٍ لَا لِلْخُيَلَاءِ ، فَلَا حُرْمَةَ . كَمَا لِابْنِ الصَّلَاحِ فِي فَتَاوِيهِ ، وَجَزَمَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ [الْمُهَذَّبِ] .

١٢ – ثُمَّ الْجَمْعُ بَيْنَ التَّهْلِيلِ وَإِثْبَاتِ الرِّسَالَةِ عَيْنِ الْكَمَالِ ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ زِيَادَةِ الصَّلَاةِ ، خِلَافًا لِبَعْضِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي زَعْمِهِ أَنَّ ضَمَّ إِثْبَاتِ الرِّسَالَةِ إِلَى التَّهْلِيلِ ، يُضْعِفُ التَّأْثِيرَ فِي الْقَلْبِ وَالنَّفْعَ !! فَإِنَّهُ جَهْلٌ عَظِيمٌ ، وَلِذَا قَالَ السَّاحِلِيُّ فِي [رَائِيَّتِهِ] :

(وَصِلْ بَيْنَ ذِكْرِ الْمُصْطَفَى وَإِلَهِهِ	وَإِيَّاكَ أَنْ تَنْسَى نَبِيَّكَ فِي الدَّهْرِ
فَمَا فَازَ مَنْ قَدْ فَارَقَ الْبَدْرَ لَمْحَةً	وَهَلْ فَاقَ إِلَّا مَنْ تَمَسَّكَ بِالْبَدْرِ ؟!
تَعَلَّقْ بِأَذْيَالِ الَّذِينَ تَفَرَّغُوا	لِخِدْمَةِ هَذَا الْمُصْطَفَى كَأَبِي بَكْرِ
فَمَا فَارَقَ الصِّدِّيقُ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ	وَإِنْ كَانَ فِي الْأَفْرَادِ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّ
وَمَا نَالَ تَصْدِيقًا بِغَيْرِ حَبِيبِهِ	فَدَعْ قَوْلَ بِدْعِيٍّ تَدَنَّسَ بِالْوِزْرِ)

وَطَرِيقُ الشَّاذُلِيَّةِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – مَبْنِيَّةٌ عَلَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَقَدْ قَالَ إِمَامُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ : " صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ عَلَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تُفَرِّجُ كُلَّ هَمٍّ وَشِدَّةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " .

وَفِي شَرْحِ [صُغْرَى الصُّغْرَى] لِمُؤَلِّفِهَا :

" رَأَيْتُ لِبَعْضِ أَئِمَّةِ التَّصَوُّفِ أَنَّ مَنْ فَقَدَ شُيُوخَ التَّرْبِيَةِ ، فَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَإِنَّهُ يَصِلُ بِهَا لِمَقْصِدِهِ " .

وَفِي [الْقَوَاعِدُ] لِلشَّيْخِ زَرُّوقٍ : " قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَضْرَمِيُّ : وَعَلَيْكَ بِدَوَامِ الذِّكْرِ ، وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَهِيَ سُلَّمٌ وَمِعْرَاجٌ وَسُلُوكٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِذَا لَمْ يَلْقَ الطَّالِبُ شَيْخًا مُرْشِدًا ، كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الصِّدْقِ مَعَ اللهِ " .

* **وَأَمَّا الْفَوَائِدُ الْحَاصِلَةُ لِذَاكِرِ الْكَلِمَةِ الْمُشَرَّفَةِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ ، وَهِيَ مَا يَنْدَرِجُ فِي قَوْلِ النَّاظِمِ** :

(... ... ... ** ... ... تَفُزْ بِالذُّخْرِ)

فَلِذَا تَأَكَّدَ تَفْصِيلُهَا هُنَا ، فَهِيَ قِسْمَانِ :

١ – أَخْلَاقٌ حَمِيدَةٌ دِينِيَّةٌ .

٢ – وَكَرَامَاتٌ خَوَارِقُ .

* **فَمِنَ الْأُولَى :**

١ – الزُّهْدُ ، وَهُوَ عَدَمُ الْمَيْلِ إِلَى فَانٍ ، وَإِنْ كَانَتِ الْيَدُ مَعْمُورَةً بِحَلَالٍ ، فَيَتَصَرَّفُ فِيهِ بِالْإِذْنِ الشَّرْعِيِّ تَصَرُّفَ الْوَكِيلِ الْخَاصِّ ، يَنْتَظِرُ الْعَزْلَ عَنْهُ فِي كُلِّ نَفَسٍ .

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعًا : " الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ ، وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ – إِذَا أَنْتَ أُصِبْتَ بِهَا – أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ .

٢ – وَمِنْهَا التَّوَكُّلُ ، وَهُوَ ثِقَةُ الْقَلْبِ بِالْوَكِيلِ الْحَقِّ ، وَلَا يَضُرُّ التَّلَبُّسُ بِالْأَسْبَابِ ظَاهِرًا ، إِذَا اسْتَوَى فِي الْقَلْبِ وُجُودُهَا وَعَدَمُهَا .

٣ – وَمِنْهَا : الْحَيَاءُ ، بِتَعْظِيمِ اللهِ ، وَالْتِزَامِ امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَتَرْكِ الشَّكْوَى إِلَى الْخَلْقِ الْعَجَزَةِ .

٤ – وَمِنْهَا : التَّسْلِيمُ وَتَرْكُ الِاعْتِرَاضِ عَلَى الْأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ بِـ (لَوْ) وَ (لَعَلَّ) ، لِلْإِيقَانِ بِأَنَّ مَا يَبْرُزُ تَدْبِيرُ حَكِيمٍ خَبِيرٍ.

٥ – وَمِنْهَا : الْفَقْرُ ، وَهُوَ نَفْضُ يَدِ الْقَلْبِ مِنَ الدُّنْيَا حِرْصًا وَإِكْثَارًا .

٦ – وَمِنْهَا : الْإِيثَارُ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا لَا يَذُمُّهُ الشَّرْعُ .

٧ – وَمِنْهَا : **الْفُتُوَّةُ** : وَهِيَ أَنْ لَا يَغْضَبَ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَجِدَ عَلَيْهِ مِنْ إِسَاءَةٍ ، أَوْ تَرْكِ مُكَافَآتِ إِحْسَانٍ ؛ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ الْكُلَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَخَلْقِهِ ، فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ إِحْسَانًا ، فَيَطْلُبُ عَلَيْهِ جَزَاءً ، وَلَا لِلْخَلْقِ إِسَاءَةً إِلَيْهِ ، فَيَذُمَّهُمْ عَلَيْهَا .

نَعَمْ ، يَذُمُّ وَيُعَاقِبُ مَنْ أَمَرَهُ الشَّرْعُ بِذَمِّهِ وَعُقُوبَتِهِ ، اِمْتِثَالًا وَقِيَامًا بِالْعِبَادَةِ .

وَالْفُتُوَّةُ فَوْقَ الْمُسَالَمَةِ .

٨ – وَمِنْهَا : الشُّكْرُ ، وَهُوَ إِفْرَادُ الْقَلْبِ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ ، وَرُؤْيَةُ نِعَمِهِ حَتَّى فِي الْمِحَنِ :

(كَمْ نِعْمَةٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا * * للهِ فِي طَيِّ الْمَصَائِبِ كَامِنَةْ)

وَالْفَوَائِدُ الدِّينِيَّةُ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ ، وَمَنِ اجْتَهَدَ فِي أَسْبَابِهَا ، عَرَفَهَا بِالذَّوْقِ وَالْوُجْدَانِ دُونَ تَقْلِيدٍ ، **فَمِنْهَا** :

٩ – بَرَكَةُ الطَّعَامِ ، بِأَنْ يَكْثُرَ الْقَلِيلُ ، أَوْ يَكْفِيَ الْيَسِيرُ ؛ وَهَذَا مُشَاهَدٌ لِأَوْلِيَاءِ كَثِيرًا .

١٠ – وَمِنْهَا : تَيْسِيرُ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنَ النُّقُودِ وَغَيْرِهَا .

كَانَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ جَزَّارًا ، فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ شُغْلُ الْجِزَارَةِ تَعَذُّرًا شَرْعِيًّا ، فَكَانَ إِذَا قَضَى وِرْدَهُ مِنَ الذِّكْرِ ، رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَيَجِدُ فِي حِجْرِهِ دِرْهَمًا يَشْتَرِي بِهِ قُوتَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَاحْتَاجَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ التَّاوُدِيُّ كِسْوَةً لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ – وَكَانَ كَثِيرَ الْأَوْلَادِ – فَاشْتَرَى شَقَّةً ، وَأَتَى بِهَا إِلَى الْخَيَّاطِ ، فَأَعْطَاهُ طَرَفَهَا وَأَمْسَكَ الْآخَرَ تَحْتَهُ ، فَجَعَلَ الْخَيَّاطُ يَجْبِذُهَا وَيُفَصِّلُ مِنْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى صَنَعَ عِدَّةَ ثِيَابٍ تَشْهَدُ الْعَادَةُ أَنَّهَا لَا تَكُونُ مِنْ شَقَّةٍ ... فَطَالَ ذَلِكَ عَلَى الْخَيَّاطِ ؛ فَقَالَ: يَا سَيِّدِي ، هَذِهِ الشَّقَّةُ لَا تَتِمُّ أَبَدًا !! فَقَالَ الشَّيْخُ خَوْفَ الْفِتْنَةِ : قَدْ تَمَّتْ ؛ وَرَمَى بِبَاقِيهَا مِنْ تَحْتِهِ .

وَكَانَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ إِذَا دَخَلَ خَلْوَتَهُ لِلصَّلَاةِ أَوِ الذِّكْرِ ، يَخْلُقُ اللهُ عَلَى سِجَّادَتِهِ وَتَحْتَهَا دَرَاهِمَ جُدُدًا ، وَكَانَ لَهُ عِيَالٌ، فَإِذَا فَصَلَ الْتَقَطُوا تِلْكَ الدَّرَاهِمَ ، فَمِنْهُمُ الْمُقِلُّ وَالْمُكْثِرُ ... وَدَامُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَحَدَّثُوا بِهِ وَشَاعَ الْحَدِيثُ ، فَانْقَطَعَ ذَلِكَ .

... ...

١١ – وَمِنْهَا : الْكَشْفُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا يُرِيدُ اسْتِعْمَالَهُ مِنْ طَعَامٍ أَوْ غَيْرِهِ ، حَلَالٍ، أَمْ حَرَامٍ ، أَمْ مُتَشَابِهٍ .
ذَكَرَ ابْنُ عَبَّادٍ عَنْ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ أَنَّ بَعْضَ الصُّوفِيَّةِ قَالَ : " قَدِمَ عَلَيْنَا فَقِيرٌ، فَاشْتَرَيْنَا مِنْ جَارٍ لَنَا جَمَلًا مَشْوِيًّا وَدَعَوْنَاهُ لَهُ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِنَا ، فَلَمَّا أَخَذَ لُقْمَةً فِي فَمِهِ لَفَظَهَا ، وَاعْتَزَلَ ، وَقَالَ : كُلُوا ، فَقَدْ عَرَضَ لِي مَانِعٌ ؛ قُلْنَا: لَا نَأْكُلُ إِنْ لَمْ تَأْكُلْ ؛ قَالَ : أَنْتُمْ أَعْلَمُ ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ ؛ فَقُلْنَا : لَعَلَّ سَبَبًا مَكْرُوهًا ؛ فَدَعَوْنَا الشَّوَّايَ ... فَلَمْ نَزَلْ بِهِ حَتَّى اعْتَرَفَ أَنَّهُ كَانَ مَيْتَةً ، فَمَزَّقْنَاهُ لِلْكِلَابِ ؛ فَلَقِيتُ الرَّجُلَ فَسَأَلْتُهُ : مَا مَنَعَكَ ؟! قَالَ : مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً مَا شَرِهَتْ نَفْسِي لِطَعَامٍ حَتَّى شَرِهَتْ لِلْجَمَلِ شَرَهًا مَا عَهِدتُّهُ مِنْهَا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ فِيهِ عِلَّةً " .

وَنَظِيرُ هَذَا ، مَا ذَكَرَهُ ابْنُ غَازِيٍّ أَنَّ الشَّيْخَ خَلِيلًا مَرَّ بِطَبَّاخٍ يَبِيعُ لَحْمَ مَيْتَةٍ ، فَكَاشَفَهُ وَزَجَرَهُ، وَتَابَ عَلَى يَدِهِ . وَوَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ لِشَيْخِهِ الْمُنُوفِيِّ .
قَالَ السَّنُوسِيُّ : " وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْصِدَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَتِهِ الْوُصُولَ إِلَى الْكَرَامَاتِ ، وَإِلَّا دَخَلَ عَلَيْهِ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ وَمُكِرَ بِهِ ؛ فَهَذَا مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُصَفِّيَ مِنْهُ قَلْبَهُ عِنْدَ ذِكْرِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ، وَلْيَكُنْ قَصْدُهُ رِضَى مَوْلَاهُ " . اهـ .

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

* **وَقَوْلُهُ** : " وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي " . قَالَ سَيِّدِي عَلِيٌّ الْأُجْهُورِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى عَقِيدَتِهِ :
" **وَأَمَّا قَوْلُهُ** : (فِي السَّمَاوَاتِ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي ...) بَعْدَ مَا تَقَرَّرَ مِنْ تَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الْأَيْنِ ، فَالْمُرَادُ بِعِمَارَتِهِنَّ بِاللهِ : قُوَّةُ ظُهُورِ سُلْطَانِ عَظَمَتِهِ ، وَنَوَامِيسِ كِبْرِيَائِهِ فِيهِنَّ " . اهـ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

* **وَقَوْلُهُ** : (**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا** ...) إلخ .
وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَرْبَعُ أَفْضَلَ الْكَلَامِ ، لِأَنَّهَا شَامِلَةٌ جَمِيعَ مَعَانِي أَنْوَاعِ الذِّكْرِ ، مِنْ تَوْحِيدٍ ، وَتَنْزِيهٍ ، وَثَنَاءٍ ، وَمَحَبَّةٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .
قَالَهُ الْمُحَقِّقُ الْبَنَّانِيُّ فِي [الْفَوَائِدُ الْمُسَجَّلَةْ ، فِي الْكَلَامِ عَلَى الْبَسْمَلَةِ وَالْحَمْدَلَةْ] .

* **وَقَوْلُهُ** : (**وَيُسَاوِيهَا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى السَّبْحَلَةُ وَالتَّكْبِيرُ** ...) إلخ .
قَالَ الْمُحَقِّقُ الْبَنَّانِيُّ فِي [الْفَوَائِدُ الْمُسَجَّلَةْ ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَسْمَلَةِ وَالْحَمْدَلَةْ] :
" وَانْظُرْ ، هَلِ الْأَفْضَلُ صِيغَةُ التَّسْبِيحِ ، أَوِ الْحَمْدِ ، أَوِ التَّهْلِيلِ ، أَوِ التَّكْبِيرِ ، أَوِ الْبَسْمَلَةِ ، أَوِ الْحَوْقَلَةِ ، أَوِ الْحَسْبَلَةِ ، أَوِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ الِاسْتِغْفَارِ ، ... وَغَيْرِ ذَلِكَ ؟ " .

وَقَالَ ابْنُ جُزَيٍّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٥٢] :
" **وَلِكُلِّ ذِكْرٍ خَاصِيَّةٌ وَثَمَرَةٌ** :
١ – فَأَمَّا التَّهْلِيلُ : فَثَمَرَتُهُ التَّوْحِيدُ ، أَعْنِي التَّوْحِيدَ الْخَاصَّ ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ الْعَامَّ حَاصِلٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ .
٢ – وَأَمَّا التَّكْبِيرُ : فَثَمَرَتُهُ التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ لِذِي الْجَلَالِ .

… … … … … … … … … … … … … … … … … … … ….. … … … … … …

٣ – وَأَمَّا الْحَمْدُ ، وَالْأَسْمَاءُ الَّتِي مَعْنَاهَا الْإِحْسَانُ ، وَالرَّحْمَةُ –كَالرَّحْمَنِ ، وَالرَّحِيمِ ، وَالْكَرِيمِ ، وَالْغَفَّارِ ، وَشِبْهِ ذَلِكَ – : فَثَمَرَتُهَا ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ ، **وَهِيَ** :

أ – الشُّكْرُ .

ب – وَقُوَّةُ الرَّجَاءِ .

جـ – وَالْمَحَبَّةُ . فَإِنَّ الْمُحْسِنَ مَحْبُوبٌ لَا مَحَالَةَ .

٤/ ٥ – وَأَمَّا الْحَوْقَلَةُ وَالْحَسْبَلَةُ : فَثَمَرَتُهُمَا التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ ، وَالتَّفْوِيضُ إِلَيْهِ ، وَالثِّقَةُ بِهِ .

٦ – وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الَّتِي مَعَانِيهَا الِاطِّلَاعُ ، وَالْإِدْرَاكُ –كَالْعَلِيمِ ، وَالسَّمِيعِ، وَالْبَصِيرِ ، وَالرَّقِيبِ ، وَشِبْهِ ذَلِكَ – : فَثَمَرَتُهَا الْمُرَاقَبَةُ .

٧ – وَأَمَّا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَثَمَرَتُهَا شِدَّةُ الْمَحَبَّةِ فِيهِ ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ .

٨ – وَأَمَّا الِاسْتِغْفَارُ : فَثَمَرَتُهُ الِاسْتِقَامَةُ عَلَى التَّقْوَى ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى شُرُوطِ التَّوْبَةِ مَعَ انْكِسَارِ الْقَلْبِ بِسَبَبِ الذُّنُوبِ الْمُتَقَدِّمَةِ .

ثُمَّ إِنَّ ثَمَرَاتِ الذِّكْرِ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مَجْمُوعَةٌ فِي الذِّكْرِ الْفَرْدِ ، وَهُوَ قَوْلُنَا : (اللهُ اللهُ …) فَذَلِكَ هُوَ الْغَايَةُ وَإِلَيْهِ الْمُنْتَهَى " . اِنْتَهَى .

وَنَصَّ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ عَلَى أَنَّ الْحَمْدَ أَفْضَلُ مِنَ التَّسْبِيحِ ؛ وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ : " سُبْحَانَ اللهِ نَصْفُ الْمِيزَانِ ، وَالْحَمْدُ للهِ يَمْلَأُهُ " ، وَحَدِيثُ : " مَنْ قَالَ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ قَالَ : (سُبْحَانَ اللهِ) فَلَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً ، وَمَنْ قَالَ : (الْحَمْدُ للهِ) فَلَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً " .

وَنَصَّ الْغَزَّالِيُّ عَلَى أَنَّ (الْحَمْدُ للهِ) أَفْضَلُ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ بِمَا حَاصِلُهُ :

أَنَّ (الْحَمْدُ للهِ) فِيهِ تَنْزِيهُ اللهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدُهُ وَزِيَادَةُ شُكْرِهِ . نَقَلَهُ عَنْهُ يس .

وَنَقَلَ الْمُنَاوِيُّ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَذْكَارِ يُضَاعَفُ مَا يُضَاعَفُ (الْحَمْدُ للهِ) ، فَإِنَّ النِّعَمَ كُلَّهَا مِنَ اللهِ ، وَهُوَ الْمُنْعِمُ ، وَالْوَسَائِطُ مُسَخَّرُونَ مِنْ جِهَتِهِ ، وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ وَرَاءَ التَّقْدِيسِ وَالتَّوْحِيدِ ، لِدُخُولِهِمَا فِيهِ ، بَلِ الرُّتْبَةُ الْأُولَى فِي مَعَارِفِ الْإِيمَانِ التَّقْدِيسُ ، ثُمَّ إِذَا عَرَفَ ذَاتًا مُقَدَّسَةً ، يَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يُقَدَّسُ إِلَّا وَاحِدٌ ، وَمَا عَدَاهُ غَيْرُ مُقَدَّسٍ ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ ؛ ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ مَوْجُودٌ مِنْ ذَلِكَ الْوَاحِدِ فَقَطْ ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ ؛ فَتَقَعُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ فِي الرُّتْبَةِ ، وَيَنْطَوِي فِيهَا – مَعَ التَّقْدِيسِ وَالتَّوْحِيدِ – كَمَالُ الْقُدْرَةِ ، وَالِانْفِرَادُ بِالْفِعْلِ ، فَلِذَلِكَ ضُوعِفَ (الْحَمْدُ) مَا لَمْ يُضَاعَفْ غَيْرُهُ مِنَ الْأَذْكَارِ مُطْلَقًا " . اهـ .

وَاخْتَارَ ابْنُ رُشْدٍ أَنَّ (صِيغَةَ التَّشَهُّدِ) أَفْضَلُ مِنَ (الْحَمْدِ) ؛ وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ : " أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " .

... ...

وَقَدْ يُجَابُ : بِأَنَّ الْأَفْضَلِيَّةَ هُنَا بِاعْتِبَارِ مَا تَقْتَضِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ مُطَابَقَةً ؛ وَقَالَ السُّيُوطِيُّ فِي حَدِيثِ : < أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ للهِ > :

" دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ بِمَنْطُوقِهِ عَلَى أَنَّ كُلًّا مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ أَفْضَلُ نَوْعِهِ ؛ وَدَلَّ بِمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) أَفْضَلُ مِنَ (الْحَمْدِ) ، فَإِنَّ نَوْعَ الذِّكْرِ أَفْضَلُ مِنْ نَوْعِ الدُّعَاءِ " . اهـ .

هَذَا ، وَإِطْلَاقُ الدُّعَاءِ عَلَى (الْحَمْدِ) مَجَازٌ ، مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَلْزُومِ وَإِرَادَةِ اللَّازِمِ ، لِأَنَّ الْحَامِدَ مُتَعَرِّضٌ لِلسُّؤَالِ وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ ،

كَمَا قِيلَ :

(أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ ؟ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ)

وَلِأَنَّ الْحَمْدَ عَلَى النِّعْمَةِ طَلَبُ الْمَزِيدِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [ابراهيم : ٧] ؛ وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ : " إِنَّ اللهَ يَقُولُ : مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ " .

ثُمَّ إِنَّهُ لَا مَعْنَى لِلتَّفْضِيلِ بَيْنَ هَذِهِ الصِّيَغِ وَنَحْوِهَا إِلَّا كَثْرَةُ ثَوَابِ الْآتِي بِهَا وَقِلَّتُهُ ، وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا هُوَ فِي وَقْتٍ لَمْ يَرِدْ فِيهِ ذِكْرٌ مُعَيَّنٌ ، أَمَّا مَا وَرَدَ فِيهِ ذَلِكَ ، كَالتَّهْلِيلِ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالتَّكْبِيرِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَنَحْوِهَا ، وَ (بِسْمِ اللهِ) قَبْلَ الْأَكْلِ ، وَ(الْحَمْدُ للهِ) بَعْدَهُ : فَهُوَ : إِمَّا مُتَعَيِّنٌ كَالْأَوَّلِ عَلَى الْمَنْصُوصِ ، أَوْ أَفْضَلُ ، اِمْتِثَالًا لِأَمْرِ الشَّارِعِ كَالْبَاقِي .

وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ : إِنَّ الِاشْتِغَالَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَرِدْ فِيهِ ذِكْرٌ مُعَيَّنٌ ، أَفْضَلُ مَا يُتَعَبَّدُ بِهِ . وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ .

[تَنْبِيهٌ] :

لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَفُوقَ الذِّكْرُ – مَعَ سُهُولَتِهِ – الْأَعْمَالَ الشَّاقَّةَ الصَّعْبَةَ مِنْ جِهَادٍ وَنَحْوِهِ ، لِأَنَّ فِي الْإِخْلَاصِ فِي الذِّكْرِ مِنَ الْمَشَقَّةِ – سِيَّمَا الْحَمْدُ حَالَ الْفَقْرِ – مَا يَصِيرُ بِهِ أَعْظَمَ الْأَعْمَالِ ؛ وَأَيْضًا فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الثَّوَابُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ فِي كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ ثَوَابَ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ – مَعَ سُهُولَتِهَا – أَكْثَرُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الشَّاقَّةِ . قَالَهُ الدَّمَامِينِيُّ . اهـ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلذَّاكِرِ أَنْ لَا يُطِيلَ مَدَّ أَلِفِ (لَا) النَّافِيَةِ جِدًّا ، لِئَلَّا تَخْتَرِمَهُ الْمَنِيَّةُ ، فَيَمُوتَ نَافِيًا .

قَالَ ابْنُ نَاجِي :

" **اُخْتُلِفَ** : هَلِ الْأَفْضَلُ مَدُّ أَلِفِ (لَا) النَّافِيَةِ مِنْ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ ، أَوْ قَصْرُهَا ؟ .

فَمِنْهُمْ مَنِ اخْتَارَ الْمَدَّ ، لِيَسْتَشْعِرَ الْمُتَلَفِّظُ بِهَا نَفْيَ الْأُلُوهِيَّةِ عَنْ كُلِّ مَوْجُودٍ سِوَاهُ .

وَمِنْهُمْ مَنِ اخْتَارَ الْقَصْرَ ، لِئَلَّا تَخْتَرِمَهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ التَّلَفُّظِ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَى .
وَفَرَّقَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ بَيْنَ أَوَّلِ الْكَلَامِ فَتُقْصَرُ ، وَإِلَّا فَتُمَدُّ " . اهـ .

وَالْأَفْضَلُ تَرْكُ الْمَدِّ فِي حَقِّ الْكَافِرِ ، لِيَنْتَقِلَ إِلَى الْإِيمَانِ فَوْرًا ، بِخِلَافِهِ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ ، فَإِنَّ الْأَفْضَلَ لَهُ الْمَدُّ ، إِلَّا أَنْ يَأْمُرَهُ شَيْخُهُ بِطَرِيقَةٍ ، فَيَتَّبِعُهَا .
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ مَنْ قَالَ : " (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَمَدَّهَا ، هَدَمَتْ لَهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ ذَنْبٍ مِنَ الْكَبَائِرِ ؛ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْكَبَائِرِ ؟ قَالَ : يَغْفِرُ لِأَهْلِهِ وَلِجِيرَانِهِ " . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [1] .

وَاخْتُلِفَ فِي الْمَدِّ الْمَذْكُورِ :
فَقَالَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ : أَنْ يُطَوِّلَ أَلِفَ (لَا) بِقَدْرِ سَبْعِ أَلِفَاتٍ ، وَذَلِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرَكَةً ، لِأَنَّ كُلَّ أَلِفٍ حَرَكَتَانِ ، وَهُوَ أَيْضًا أَقْصَى مَا نُقِلَ عَنِ الْقُرَّاءِ ، وَلَوْ فِي الْوُجُوهِ الشَّاذَّةِ .

وَفِي تَكْمِلَةِ الْعَلَّامَةِ الْعَقَبَاوِيِّ الَّتِي كَمَّلَ بِهَا شَرْحَ [أَقْرَبُ الْمَسَالِكِ] لِشَيْخِهِ الْعَارِفِ الدَّرْدِيرِ ، نَقْلًا عَنِ الْعَلَّامَةِ الْأَمِيرِ مَا نَصُّهُ :
" اِعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ مُرَقَّقَةٌ ، وَلَا يُفَخَّمُ مِنْهَا إِلَّا لَفْظُ الْجَلَالَةِ فَقَطْ ، وَلَا يَجُوزُ – فِي الْأَفْصَحِ – نَقْصُ الْمَدِّ فِي أَدَاةِ النَّفْيِ – الَّتِي بَعْدَهَا الْهَمْزَةُ – عَنْ ثَلَاثِ حَرَكَاتٍ ، وَتَجُوزُ الزِّيَادَةُ فِيهِ إِلَى سِتِّ حَرَكَاتٍ ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ فَوَاسِعٌ ؛ وَالْحَرَكَةُ مِقْدَارُ ضَمِّ الْأُصْبُعِ أَوْ فَتْحِهِ بِسُرْعَةٍ " . اهـ .

" وَلَا يُفَخِّمْ أَدَاةَ النَّفْيِ ، وَلَا يَضُمَّ الشَّفَتَيْنِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا " . كَذَا فِي تَكْمِلَةِ الْعَقَبَاوِيِّ .
" وَأَنْ يَقْطَعَ الْهَمْزَةَ مِنْ (إِلَهَ) مُحَقِّقًا لَهَا ؛ وَإِبْدَالُهَا يَاءً – كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضٌ – لَحْنٌ " . كَذَا فِي شَرْحِ الْإِمَامِ السَّنُوسِيِّ عَلَى [صُغْرَاهُ] ، وَشَرْحِ الْعَلَّامَةِ الْمِصْرِيِّ عَلَيْهَا ، وَتَكْمِلَةِ الْعَلَّامَةِ الْعَقَبَاوِيِّ .

" وَلَا يُسَكِّنْ هَاءَ (إِلَهَ) وَلَا يُنَوِّنْهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُصَيِّرُ الِاسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعًا ، فَيَكُونُ نَفْيًا لَا إِثْبَاتَ فِيهِ ، وَهُوَ كُفْرٌ " .
نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الْكِسَائِيُّ، وَنَقَلَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي [لَحْنُ الْعَامَّةِ] . قَالَهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ زَرُّوقٌ فِي [اِغْتِنَامُ الْفَوَائِدِ شَرْحُ عَقَائِدِ] الْغَزَّالِيِّ ، نَفَعَنَا اللهُ بِهِمَا .

" وَأَنْ يُفْصِحَ بِالْهَمْزَةِ مِنْ (إِلَّا) مَعَ تَشْدِيدِ اللَّامِ بَعْدَهَا ، إِذْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُسَهِّلُهَا ، فَيَأْتِي بِهَا يَاءً مَعَ تَخْفِيفِ اللَّامِ ، وَهُوَ لَحْنٌ " .
نَبَّهَ عَلَيْهِ الْعَلَّامَةُ الْمِصْرِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى [الصُّغْرَى] .

وَمَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ الذَّاكِرَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُسَكِّنَ الْهَاءَ مِنْ (إِلَهَ) : مُقَيَّدٌ بِمَا إِذَا كَانَ اخْتِيَارًا .

... ...

قَالَ سَيِّدِي عُمَرُ الْوَزَّانُ : " إِنَّمَا مُنِعَ ذَلِكَ ، لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ نَفْيِ جَمِيعِ الْآلِهَةِ حَتَّى مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ ؛ وَهَذَا الَّذِي ذُكِرَ إِنَّمَا هُوَ إِذَا وَقَفَ عَلَيْهَا قَصْدًا ، وَيَعْتَقِدُ مَدْلُولَهَا مَوْقُوفًا عَلَيْهِ ؛ وَأَمَّا إِذَا كَانَ تَسْكِينُهُ لَهَا فِي حَالِ الِاسْتِرَاحَةِ ، فَجَائِزٌ ؛ وَكَذَلِكَ فِي الِاخْتِيَارِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي .

قَالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ الْمَنْجُورُ : لِأَنَّ غَايَةَ مَا فِيهِ الْوَقْفُ بَيْنَ الْخَبَرِ وَصَاحِبِهِ ، وَلَيْسَ بِحَرَامٍ " . اهـ . وَانْظُرْهُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ لِزَرُّوقٍ .

وَيَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ يُطَوِّلَ أَلِفَ لَفْظِ الْجَلَالَةِ بِقَدْرِ ثَلَاثِ أَلِفَاتٍ ، وَذَلِكَ سِتُّ حَرَكَاتٍ ، لِأَنَّ كُلَّ أَلِفٍ حَرَكَتَانِ ، كَمَا عَلِمْتَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ : إِنَّ مَدَّ كَلِمَةِ الْجَلَالَةِ لَا يَجُوزُ نَقْصُهُ عَنْ حَرَكَتَيْنِ ، وَهُوَ الْمَدُّ الطَّبِيعِيُّ الَّذِي لَا تَتَحَقَّقُ طَبِيعَةُ الْحَرْفِ بِدُونِهِ .

ثُمَّ إِنِ اتَّصَلَتْ كَلِمَةُ الْجَلَالَةِ بِشَيْءٍ ، نَحْوُ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، أَوْ تَكَرَّرَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ مِرَارًا ، فَلَا تَزِدْ عَنْ حَرَكَةِ الْمَدِّ الطَّبِيعِيِّ .

وَأَمَّا إِذَا سَكَنَتْ هَاءُ الْجَلَالَةِ لِلْوَقْفِ ، فَتَجُوزُ الزِّيَادَةُ وَالْمَدُّ لِسِتِّ حَرَكَاتٍ ، وَيَجُوزُ التَّوَسُّطُ ؛ وَمَا ذُكِرَ مِنَ الِاقْتِصَارِ عَلَى الْمَدِّ الطَّبِيعِيِّ فِي كَلِمَةِ الْجَلَالَةِ ، مُعْتَرَضٌ بِأَنَّهُ خِلَافُ الْمَنْقُولِ عَنْ مَشَايِخِ الطَّرِيقِ الْعَارِفِينَ .

* **وَأَمَّا** (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) فَيَنْبَغِي أَنْ يُنَوِّنَ اسْمَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَرْفُوعًا مُدْغِمًا تَنْوِينَهُ فِي رَاءِ (رَسُولُ اللهِ) ، وَأَنْ يُحَقِّقَ اسْمَ الْجَلَالَةِ .

وَقَدْ نَصَّ الشَّافِعِيَّةُ عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دُخُولِ الْإِسْلَامِ : (أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ) ، وَلَمْ يُضِفْهُ إِلَى (اللهِ) لَا يُجْزِئُهُ ، لِعُمُومِهِ .

قَالُوا : بِخِلَافِ : (أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ) ، فَإِنَّهُ يُجْزِئُهُ . ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ سَيِّدِي أَحْمَدُ زَرُّوقٌ فِي [اِغْتِنَامُ الْفَوَائِدِ] .

قَالَ صَاحِبُ [مِفْتَاحُ السَّعَادَةْ ، فِي بَعْضِ مَا يَتَعَلَّقُ بِكَلِمَتَي الشَّهَادَةْ] :

" وَلَمَّا مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِجَمْعِ هَذِهِ الْفَوَائِدِ فِي ضَبْطِ كَلِمَتَيِ التَّوْحِيدِ ، أَرَدتُّ – بِعَوْنِهِ وَتَأْيِيدِهِ – أَنْ أَنْظِمَ هَذِهِ الْقَلَائِدَ ، لِيَسْهُلَ الْحِفْظُ بِعَوْنِ اللهِ وَقُوَّتِهِ ، فَقُلْتُ مُسْتَمِدًّا مِنْ مَدَدِ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ :

(١ – وَضَــــــبْطُ (لَا إِلَــــــهَ إِلَّا اللهُ ... مُحَمَّـــــــدٌ رَسُـــــولُهُ) الْأَوَّاهُ

٢ – أَنْ لَا يُطِيـــــلَ ذَاكِـــــرٌ مَـــــدَّةَ (لَا) ... وَالْخُلْـــــفُ فِي الْمَـــــدِّ وَتَرْكِـــــهِ جَـــــلَا

٣ – فَبَعْضُـــــهُمْ مَـــــالَ إِلَى التَّطْوِيـــــلِ ... وَبَعْضُـــــهُمْ لِلْقَصْـــــرِ ذُو تَعْوِيـــــلِ

٤ – وَبَعْضُـــــهُمْ فَـــــرَّقَ بَـــــيْنَ كَـــــافِرِ ... وَمُـــــؤْمِنٍ، أَوِ ابْتِـــــدَاءِ الـــــذَّاكِرِ

٥ – فَالْقَصْـــــرُ لِـــــلْأَوَّلِ، وَالتَّطْوِيـــــلُ ... لِمَـــــنْ سِـــــوَاهُ مَـــــنْهَجٌ جَمِيـــــلُ

٦ – إِنْ لَمْ يَكُـــــنْ بِتَرْكِـــــهِ مَـــــأْمُورَا ... مِمَّـــــنْ غَـــــدَا بِطَوْعِـــــهِ مَأْسُـــــورَا

... ...

---

٧ - وَبَعْـــضُ مَـــنْ صَـــوَّبَ أَنْ تُمَـــدَّا يُـــرَى بِسَـــبْعِ أَلِفَـــاتٍ مَـــدَّا

٨ - وَهْـــوَ لَـــدَى الْقُـــرَّاءِ أَقْصَـــى الْغَايَـــةْ فِي الْمَـــدِّ، قَالَـــهُ ذَوُو الدِّرَايَـــةْ

٩ - وَمَيْـــلُ بَعْضِـــهِمْ إِلَى اخْتِيَـــارِ نَحْـــوِ ثَـــلَاثِ حَرَكَـــاتٍ جَـــارِي

١٠ - وَزَيْـــدُهُ لِلسِّـــتِّ جَوَّزَنَّـــهُ وَرَعْـــيُ مَـــا بَيْنَهُمَـــا فَسُـــنَّهُ

١١ - وَالْهَـــاءُ مِـــنْ (إِلَـــهُ) لَا تُسَـــكَّنُ إِلَّا اضْـــطِرَارًا، لَا وَلَا تُنَـــوَّنُ

١٢ - وَقَطْـــعُ هَمْـــزِهِ مُحَقَّقًـــا وَجَـــبْ وَقَلْبُـــهُ يَـــاءً لَـــدَيْهِمْ مُجْتَنَـــبْ

١٣ - وَغَيْـــرُ جَـــائِزٍ لَـــدَى الْجَمَـــاهِرِ تَفْخِـــيمُ (لَا) لِكُـــلِّ شَـــخْصٍ ذَاكِـــرِ

١٤ - وَلَا يَضُـــمَّ عِنْـــدَ نُطْقِـــهِ بِـــ (لَا) الشَّـــفَتَيْنِ عِنْـــدَ أَرْبَـــابِ الْعُـــلَا

١٥ - وَاخْتَلَفُـــوا فِي أَلِـــفِ الْجَلَالَـــةْ فَبَعْضُـــهُمْ صَـــوَّبَ الِاسْـــتِطَالَةْ

١٦ - بِقَـــدْرِ (جِـــيمٍ) أَلِفَـــاتٍ مَـــدَّا وَقِيـــلَ: مِـــنْ وَاحِـــدَةٍ لَا بُـــدَّا

١٧ - وَجُمْلَـــةُ الْقُـــرَّاءِ يَنْسِـــبُونَا ذَا الْمَـــدَّ لِلطَّبْـــعِ وَلَا يَكُنُونَـــا

١٨ - وَإِنْ تَصِـــلْهَا أَوْ تُكَرِّرْهَـــا فَـــلَا يَجُـــوزُ أَنْ يُـــزَادَ عَنْـــهُ مُسْـــجَلَا

١٩ - وَإِنْ سَـــكَنَتِ الْهَـــاءُ فَلْتُمَـــدَّا لِنَحْـــوِ سِـــتِّ حَرَكَـــاتٍ مَـــدَّا

٢٠ - لِتَجْتَنِـــبْ مِـــنْ مَـــدِّ هَمْـــزِ (اللهِ) جُهْـــدَكَ، تَظْفَـــرْ بِالصَّـــوَابِ الْبَـــاهِي

٢١ - وَكُـــلُّ مَـــنْ أَسْـــقَطَ حَـــرْفَ الْهَـــاءِ فَمُخْطِـــئٌ فِي أَعْظَـــمِ الْأَسْمَـــاءِ

٢٢ - وَفِي كِتَـــابِ الْعَابِـــدِ الرَّبَّـــانِي الْأَخْضَـــرِي عَابِـــدِ الـــرَّحْمَنِ

٢٣ - ذَمَّ ذَوِي الْغَفْلَـــةِ وَالْخِطَـــاءِ إِذْ أَسْـــقَطُوا الْأَلِـــفَ قَبْـــلَ الْهَـــاءِ

٢٤ - وَحُكْـــمُ هَائِهَـــا سُـــكُونُ الْوَاقِـــفِ وَالرَّفْـــعُ وَالنَّصْـــبُ لِوَاصِـــلٍ قُفِـــي

٢٥ - هَـــذَا، وَحَـــدُّ أَلِـــفٍ مِقْـــدَارُ تَحْـــرِيكَتَيْنِ، ذَا هُـــوَ الْمُخْتَـــارُ

٢٦ - وَكُـــلُّ تَحْرِيـــكٍ كَضَـــمِّ الْأُصْـــبُعِ أَوْ فَتْحِـــهِ بِسُـــرْعَةٍ، كَـــذَا وُعِـــي

٢٧ - أَمَّـــا (مُحَمَّـــدٌ رَسُـــولُ اللهِ) صَـــلَّى عَلَيْـــهِ خَـــالِقُ الْأَفْـــوَاهِ

٢٨ - فَيَنْبَغِـــي رَفْعُـــكَ مُـــدْغِمًا لِـــرَا تَنْـــوِينَ دَالِ اسْمِـــهِ، وَأَنْ يُـــرَى

٢٩ - تَحْقِيـــقُ لَامِ لَفْظَـــةِ الْجَلَالَـــةْ وَضُـــمَّ لَامَ الْوَصْـــفِ بِالرِّسَـــالَةْ

٣٠ - وَأَنْ تُضِـــيفَهُ إِلَى اسْـــمِ اللهِ هُنَـــا انْتَهَـــى الضَّـــبْطُ لِـــذِي انْتِبَـــاهِ

٣١ - وَمَـــنْ عَلَـــى بَصِـــيرَةٍ فِي الـــذِّكْرِ مِـــنَ الْهُـــدَاةِ الْعَـــارِفِينَ الْغُـــرِّ

٣٢ - الْغَـــائِبُونَ عَـــنْ سِـــوَى الْمَـــذْكُورِ لَمْ يَـــدْخُلُوا فِي ضَـــبْطِنَا الْمَسْـــطُورِ

٣٣ - بَـــلْ كُـــلُّ مَـــا أَتَـــوْا هُـــوَ الصَّـــوَابُ لَمْ يَتَعَلَّـــقْ بِهِـــمُ الْعِتَـــابُ

... ...

٣٤ – وَمِـــنْ شُـــرُوطِ ذِكْرِهَـــا أَنْ تَـــذْكُرَا بِهِمَّـــــــةٍ وَقُـــــــــوَّةٍ لِتَظْفَـــــــــرَا

٣٥ – وَلْـــيَكُنِ الْحَامِـــــلُ حُـــــبَّ اللهِ وَطَلَـــــبَ الرِّضَـــا مِـــــنَ الْإِلَـــــهِ

٣٦ – وَأَنْ يَكُـــــونَ ذِكْـــــرُهُ امْتِثَــــالَا لِأَمْـــــرِ خَـــــالِقِ الْـــــوَرَى تَعَـــالَى

٣٧ – لَا لِرِيَـــــاءٍ أَوْ لِسُـــــــــمْعَةٍ وَلَا لِغَـــــرَضٍ وَلَـــــوْ تَقَرُّبًـــا تَـــــلَا

٣٨ – وَأَنْ يُـــــدِيمَ قَلْبَـــــهُ الْمُرَاقَبَـــــةْ لِرَبِّـــــهِ الـــــدَّانِي، وَأَنْ تُصَـــــاحِبَهْ

٣٩ – حَــــلَاوَةٌ وَحُرْمَــــةٌ تَصْـــــدِيقُ تَعْظِـــيمُ مَـــا عَظَّمَــــهُ الشَّـــفِيقُ

٤٠ – نَسْــــأَلُهُ سُــــبْحَانَهُ أَنْ يُحْسِــــنَا خَـــاتِمَتِي لِكَـــيْ أَفُـــوزَ بِـــالْمُنَى

٤١ – هَـــــذَا، وَإِنَّ كَلِمَــــةَ التَّوْحِيـــــدِ عِلْــــمُ مَعَانِيهَـــا عَلَـــى الْعَبِيـــدِ

٤٢ – مُحَـــــتَّمٌ، وَذَاكَ أَنَّ حَـــــرْفَ (لَا) نَافِيَــــــةً كَمِثْــــــلِ (إِنَّ) عَمَـــــلَا

٤٣ – وَكَلِمَـــــةُ (الْإِلَـــــهِ) اسْمُهَــــا بُـــنِي مَعَهَـــا عَلَـــى الْفَتْحَـــةِ مَوْضُـــوعًا عُـــنِي

٤٤ – لِكُـــــلِّ فَـــــرْدٍ وَاحِـــــدٌ مَعْبُـــــودْ بِـــالْحَقِّ غَيْـــرَ الْخَـــالِقِ الْمَوْجُـــودْ

٤٥ – أَعْـــنِي بِـــذَا نَفْـــيَ سِـــوَاهُ، وَالْخَبَـــرْ مُنْحَـــــذِفٌ، فِيـــــهِ ضَــــمِيرٌ اسْـــــتَتَرْ

٤٦ – وَحَـــرْفُ (إِلَّا) إِنْ بِـــهِ خَاطَبَـــتْ الْمُشْــــــــرِكِينَ فِيــــــهِ سَـــــــلَبَتْ

٤٧ – وَصْـــفَ الْأُلُوهِيَّـــةِ عَـــنْ أَفْـــرَادِ كَثِـــــيرَةٍ لَمْ تُحْــــــصَ بِالتَّعْــــــدَادِ

٤٨ – وَإِنْ بِـــهِ خُوطِبَـــتِ الدَّهْرِيَّـــةْ فَقَصْـــرُ قَلْـــبٍ يَـــا أَخَـــا الْمَزِيَّـــةْ

٤٩ – مَعْـــنَى الْكَـــلَامِ عِنْـــدَ أَهْـــلِ اللهِ حَصْــــــرُ الْأُلُوهِيَّــــــةِ لِلْإِلَـــــــهِ

٥٠ – وَكَلِمَـــةُ التَّعْظِـــيمِ وَالْإِجْـــلَالِ يُــــرَجَّحُ رَفْعُهَـــا عَلَـــى الْإِبْـــدَالِ

٥١ – مِـــنَ الضَّـــمِيرِ الْمُسْـــتَكِنِّ فِي الْخَبَـــرْ وَوَجْــــهُ نَصْــــبِهَا لَــــدَيْهِمْ قَـــدْ ظَهَـــرْ

٥٢ – هُنَـــا انْتَهَـــى الْمَطْلُـــوبُ وَالْمَقْصُـــودُ فَرَبُّنَــــا لَا غَيْـــرُهُ الْمَحْمُــــودُ

٥٣ – وَصَـــلَوَاتُهُ عَلَـــى بَـــدْرِ الْهُـــدَى مُحَمَّـــدٍ مَـــا لَاحَ بَـــدْرٌ وَبَـــدَا)

... ...

[خَاتِمَةٌ]

يُشْتَرَطُ فِي قَبُولِ الْإِسْلَامِ : النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ ؛ فَلَا يَكْفِي : (اللهُ وَاحِدٌ وَمُحَمَّدٌ رَسُولٌ) مَثَلًا ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ ، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيَّةُ ؛ **وَقِيلَ** : لَا يُشْتَرَطُ ذَلِكَ ، بَلِ الْمَدَارُ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى الْإِقْرَارِ للهِ تَعَالَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَلِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالرِّسَالَةِ ؛ وَهُوَ الْمُعْتَمَدُ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ .

وَعَلَى الْأَوَّلِ : **فَيُشْتَرَطُ أَيْضًا** :

١ – الْإِتْيَانُ بِلَفْظِ (أَشْهَدُ) ، بِأَنْ يَقُولَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ...) إلخ .

٢ – وَأَنْ يَعْرِفَ الْمَعْنَى وَلَوْ إِجْمَالًا ؛ فَلَوْ لُقِّنَ أَعْجَمِيٌّ الشَّهَادَتَيْنِ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَتَلَفَّظَ بِهِمَا وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُمَا ، لَمْ يُحْكَمْ بِإِسْلَامِهِ .

٣ – وَأَنْ يُرَتِّبَ ، فَلَوْ عَكَسَ فِي الشَّهَادَتَيْنِ ، لَمْ يَصِحَّ إِسْلَامُهُ عَلَى الْمُعْتَمَدِ .

٤ – وَأَنْ يُوَالِيَ بَيْنَهُمَا ، فَلَوْ تَرَاخَتِ الثَّانِيَةُ عَنِ الْأُولَى مُدَّةً طَوِيلَةً ، لَمْ يَصِحَّ إِسْلَامُهُ عَلَى الْمُعْتَمَدِ أَيْضًا .

٥ – وَأَنْ يَكُونَ بَالِغًا عَاقِلًا ، فَلَا يَصِحُّ إِسْلَامُ غَيْرِهِمَا إِلَّا تَبَعًا .

٦ – وَأَنْ لَا يَظْهَرَ مِنْهُ مَا يُنَافِي الِانْقِيَادَ ، فَلَا يَصِحُّ إِسْلَامُ السَّاجِدِ لِصَنَمٍ فِي حَالِ سُجُودِهِ .

٧ – وَأَنْ يَكُونَ مُخْتَارًا ، فَلَا يَصِحُّ إِسْلَامُ الْمُكْرَهِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ حَرْبِيًّا أَوْ مُرْتَدًّا .

٨ – وَأَنْ يُقِرَّ بِمَا أَنْكَرَهُ .

٩ – وَأَنْ يَرْجِعَ عَمَّا اسْتَبَاحَهُ إِنْ كَانَ كُفْرُهُ بِجَحْدِ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ ، مَعْلُومٍ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ ، أَوِ اسْتِبَاحَةِ مُحَرَّمٍ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَذَكَرَ سَيِّدِي أَحْمَدُ زَرُّوقٌ فِي [اغْتِنَامُ الْفَوَائِدِ] نَقْلًا عَنِ الْعُلَمَاءِ ، أَنَّ فَائِدَةَ الْإِقْرَارِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ثَلَاثَةٌ بَعْدَ أَرْبَعٍ ؛ فَالْأَرْبَعَةُ :

١ – النَّجَاةُ مِنَ الْقَتْلِ .

٢ – وَالسَّلَامَةُ مِنَ الصَّغَارِ وَالذُّلِّ .

٣ – وَعِصْمَةُ الْمَالِ مِنَ الْأَخْذِ .

٤ – وَصِيَانَةُ الْعِرْضِ عَنِ الِامْتِهَانِ .

وَالثَّلَاثَةُ :

١ – الْأَمْنُ مِنَ الْمَوْقِفِ .

٢ – وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ .

٣ – وَالْفَوْزُ بِالْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ » . اهـ .

٤٩٣ – وَهَهُنَــــا نَظْــــمُ الْعَقِيــــدَةِ انْتَهَــــى مُبَلِّغًــــا لِمَــــنْ وَعَــــاهُ مَــــا اشْــــتَهَى

٤٩٤ – (وَفَــــاءُ عَــــدِّهِ بِنِصْــــفِ الْأَلْــــفِ) وَالرَّمْــــزُ بِالْجُمَّــــلِ فِيــــهِ أُلْفِــــي

((**وَهَهُنَا نَظْمُ الْعَقِيدَةِ انْتَهَى**)) **أَيْ** : تَمَّ ، حَالَ كَوْنِهِ ((**مُبَلِّغًا**)) بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَكَسْرٍ مُثَقَّلًا ((**لِمَنْ**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**وَعَاهُ**)) **أَيْ** : حَفِظَهُ ((**مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**اشْتَهَى**)) **أَيْ** : أَحَبَّ مِنْ عِلْمِ التَّوْحِيدِ ((**وَفَاءُ**)) **أَيْ** : تَمَامُ ((**عَدِّهِ**)) **أَيِ** : النَّظْمِ ((**بِنِصْفِ الْأَلْفِ**)) **أَيْ** : خَمْسِمَائَةِ بَيْتٍ ((**وَالرَّمْزُ**)) **أَيِ** : الْإِشَارَةُ ((**بِـ**)) **حِسَابِ** ((**الْجُمَّلِ**)) بِضَمِّ الْجِيمِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ مُثَقَّلًا ((**فِيهِ**)) **أَيْ** : شَطْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ؛ صِلَةُ ((**أُلْفِي**)) بِضَمِّ الْهَمْزِ ، وَسُكُونِ اللَّامِ ، وَكَسْرِ الْفَاءِ ؛ **أَيْ** : وُجِدَ عَدَدُ أَبْيَاتِ النَّظْمِ ، وَهُوَ خَمْسِمِائَةُ بَيْتٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ :

١ – الْوَاوَ سِتَّةٌ .

٢ – وَالْفَاءَ ثَمَانُونَ .

٣ – وَالْأَلِفَ وَاحِدٌ .

٤ – وَالْهَمْزَ وَاحِدٌ .

٥ – وَالْعَيْنَ سَبْعُونَ .

٦ – وَالدَّالَ أَرْبَعَةٌ .

٧ – وَالْهَاءَ خَمْسَةٌ .

٨ – وَالْبَاءَ اثْنَانِ .

٩ – وَالنُّونَ خَمْسُونَ .

١٠ – وَالصَّادَ سِتُّونَ، عِنْدَ الْمَغَارِبَةِ .

١١ – وَالْفَاءَ ثَمَانُونَ .

وَلَا عِبْرَةَ بِهَمْزِ الْوَصْلِ ، لِسُقُوطِهِ فِيهِ .

١٢ – وَاللَّامَ ثَلَاثُونَ .

١٣ – وَالْأَلِفَ وَاحِدٌ .

١٤ – وَاللَّامَ ثَلَاثُونَ .

١٥ – وَالْفَاءَ ثَمَانُونَ .

وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ خَمْسِمِائَةٌ .

٤٩٥ – وَكَـــانَ إِتْمَـــامِي لَـــهُ بِالْقَـــاهِرَةْ	وَفِيـــهِ تَـــارِيخٌ (جَــ /حُــ) ـــلاَهُ (الظَّـــاهِرَةْ)
٤٩٦ – وَأَرْتَجِــي مِــنْ مَــانِحِ الْعَطَايَــا	سُـــبْحَانَهُ الْغُفْـــرَانَ لِلْخَطَايَـــا
٤٩٧ – وَالْفَـــوْزَ بِالنَّجَـــاةِ وَالْأَمَـــانِ	وَنَيْـــلَ مَـــا أَنْـــوِي مِـــنَ الْأَمَـــانِي
٤٩٨ – بِجَـــاهِ نِبْـــرَاسِ الْهُـــدَى الْوَهَّـــاجِ	(أَحْمَـــدَ) مَـــنْ أَرْشَـــدَ لِلْمِنْهَـــاجِ
٤٩٩ – كَهْـــفِ الْبَرَايَـــا الْهَـــاشِمِيِّ الْعَـــرَبِي	مُنِـــيلِهِمْ مَـــا أَمَّلُـــوا مِـــنْ أَرَبِ
٥٠٠ – عَلَيْـــهِ مَـــعْ آلٍ وَأَصْـــحَابٍ عَلَـــوْا	قَـــدْرًا وَأَتْبَـــاعٍ بِإِحْسَـــانٍ تَلَـــوْا
٥٠١ – أَزْكَـــى تَحِيَّـــاتٍ وَأَسْمَـــى وَأَتَمّْ	يَزْكُـــو بِهَـــا مُبْتَـــدَأً وَمُخْتَـــتَمْ

((**وَكَانَ إِتْمَامِي لَهُ**)) **أَيِ** : النَّظْمِ ((**بِالْقَاهِرَةْ**)) **أَيْ** : مِصْرَ الَّتِي قَهَرَتْ مُخْتَطَّهَا الَّذِي أَرَادَ رَمْيَ أَسَاسِ سُورِهَا فِي طَالِعٍ سَعِيدٍ ، لِيَدُومَ مُلْكُهَا لَهُ وَلِذُرِّيَّتِهِ ، وَاسْتَعَدَّ لِذَلِكَ اسْتِعْدَادًا مُحْكَمًا وَرَصَدَهُ ؛ فَأَخْلَفَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مُرَادَهُ ، وَرَمَى الْأَسَاسَ فِي الطَّالِعِ الْقَاهِرِ ، فَلِذَا سُمِّيَتْ [قَاهِرَةً] .

((**وَفِيهِ**)) **أَيِ** : الْإِتْمَامِ ((**تَارِيخٌ** (**جَ / حُ**) **ـلاَهُ**)) بِفَتْحِ الْجِيمِ ؛ **أَيْ** : أَظْهَرَ التَّارِيخُ . أَوْ بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ **أَيْ** : زِينَتِهِ كَلِمَةُ ((**الظَّاهِرَةْ**)) بِحِسَابِ الْجُمَّلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ إِتْمَامَهُ كَانَ فِي عَامِ [اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَلْفٍ] :

١ – وَالْأَلِفُ وَاحِدٌ .
٢ – وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ .
٣ – وَالظَّاءُ ثَمَانِمِائَةٌ .
٤ – وَالْأَلِفُ وَاحِدٌ .
٥ – وَالْهَاءُ خَمْسَةٌ .
٦ – وَالرَّاءُ مِائَتَانِ .
٧ – وَالْهَاءُ خَمْسَةٌ .

وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ : [اِثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ وَأَلْفٌ] .

((**وَأَرْتَجِي**)) **أَيْ** : أَرْجُو ((**مِنْ مَانِحِ**)) **أَيْ** : مُعْطِي ((**الْعَطَايَا سُبْحَانَهُ**)) وَتَعَالَى . وَمَفْعُولُ ((**أَرْتَجِي**)) :

((**الْغُفْرَانَ لِلْخَطَايَا** .. **وَالْفَوْزَ**)) **أَيِ** : الظَّفْرَ ((**بِالنَّجَاةِ**)) مِنْ كُلِّ شَرٍّ ((**وَالْأَمَانِ**)) **أَيِ** : الْأَمْنِ مِنْ كُلِّ ضُرٍّ

((**وَنَيْلَ**)) بِفَتْحِ النُّونِ ؛ **أَيْ** : إِدْرَاكَ ((**مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**أَنْوِي**)) **أَيْ** : أُرِيدُ . وَبَيَّنَ ((**مَا**)) بِقَوْلِهِ : ((**مِنَ الْأَمَانِي**)) جَمْعُ أُمْنِيَةٍ ((**بِجَاهِ**)) **أَيْ** : قَدْرِ وَعَظَمَةِ ((**نِبْرَاسِ**)) بِكَسْرِ النُّونِ ، وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ ، فَرَاءٍ ، ثُمَّ سِينٍ مُهْمَلَةٍ ؛ **أَيْ** : مِصْبَاحِ ((**الْهُدَى**)) بِضَمِّ الْهَاءِ ((**الْوَهَّاجِ**)) بِفَتْحِ الْوَاوِ ، وَشَدِّ الْهَاءِ ، ثُمَّ جِيمٍ ؛ **أَيْ** : شَدِيدِ الْإِضَاءَةِ . وَبَيَّنَ ((**نِبْرَاسِ الْهُدَى**)) بِقَوْلِهِ : ((**أَحْمَدَ**)) **أَيْ** : أَكْثَرَ مَحْمُودِيَّةً ((**مَنْ**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**أَرْشَدَ**)) **أَيْ** : هَدَى ((**لِلْمِنْهَاجِ**)) **أَيِ** : الْإِسْلَامِ ((**كَهْفِ**)) **أَيْ** : سَنَدِ – وَفِي نُسْخَةٍ ((**كَنْزِ**)) – ((**الْبَرَايَا**)) **أَيِ** : الْمَخْلُوقِينَ ((**الْهَاشِمِيِّ**)) **أَيِ** : الْمَنْسُوبِ لِهَاشِمٍ جَدِّ أَبِيهِ ((**الْعَرَبِي مُنِيلِهِمْ**)) بِضَمٍّ فَكَسْرٍ ؛ **أَيْ** : مُعْطِي الْبَرَايَا ((**مَا**)) **أَيِ** : الَّذِي ((**أَمَّلُوا**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالْمِيمِ مُثَقَّلًا ((**مِنْ أَرَبِ**)) بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَالرَّاءِ فَمُوَحَّدَةٍ ؛ **أَيْ** : حَاجَةٍ ((**عَلَيْهِ**)) **أَيْ** : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**مَعْ**)) بِسُكُونِ الْعَيْنِ ، لِلْوَزْنِ ((**آلٍ**)) لَهُ ((**وَأَصْحَابٍ**)) لَهُ ((**عَلَوْا**)) **أَيْ** :

... ...

ارْتَفَعُوا ((قَدْرًا)) تَمْيِيزٌ مُحَوَّلٌ عَنْ فَاعِلٍ " عَلَا " ((وَ)) مَعَ ((أَتْبَاعٍ)) لَهُ ((بِإِحْسَانٍ)) أَيْ : إِيمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ ((تَلَوْا)) أَيْ : أَتَوْا بَعْدَهُ .

وَمُبْتَدَأُ ((عَلَيْهِ)) : ((أَزْكَى)) أَيْ : أَزْيَدُ ((تَحِيَّاتٍ وَأَسْمَى)) أَيْ : أَعْلَى ((وَأَتَمُّ)) أَيْ : أَكْمَلُ ((يَزْكُو)) أَيْ : يَنْمُو وَيَزِيدُ بَرَكَةً ((بِهَا)) أَيِ : التَّحِيَّاتِ ((مُبْتَدَأً)) أَيْ : ابْتِدَاءَ النَّظْمِ ((وَمُخْتَتَمْ)) بِفَتْحِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ ؛ أَيِ : اخْتِتَامَهُ .

وَالْمَرْجُو مِنْ كَرَمِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – تَزْكِيَةَ مَا بَيْنَهُمَا .

وَقَدْ تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مَا يَسَّرَهُ مِنْ هَذَا الشَّرْحِ ، فَلَهُ أَفْضَلُ الْحَمْدِ ، وَأَجَلُّ الشُّكْرِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات : ١٨٠ - ١٨٢] لِثَلَاثٍ أَنْ بَقِيَتْ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ، مِنْ عَامِ خَمْسَةٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ مَنْ حَازَ غَايَةَ الشَّرَفِ ،
عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ ، مَا تَوَالَتِ السُّنُونُ وَالشُّهُورُ وَالْأَيَّامُ .

**** **** **** ****

[الْكَلِمَةُ الْخِتَامِيَّةُ لِمُتَوَلِّي طَبْعِ هَذَا الْكِتَابِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نَحْمَدُكَ يَا مَنْ لَا تَزَالُ فِي نُعُوتِ جَلَالِكَ مُنَزَّهًا عَنِ الزَّوَالِ ، فِي صِفَاتِ كَمَالِكَ مُسْتَغْنِيًا عَنْ زِيَادَةِ الِاسْتِكْمَالِ ، مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِرَاعِ ، مُتَوَحِّدٌ بِالْإِيجَادِ وَالْإِبْدَاعِ .

وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى سَيِّدِ رُسُلِكَ الَّذِي رَفَعَتْ فِي حَضِيرَةِ الْقُدْسِ مَقَامَهُ ، وَنَشَرْتَ فِي حَظَائِرِ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا أَعْلَامَهُ ، وَعَلَى تَابِعِيهِ الْمُؤَيَّدِينَ بِخِدْمَتِهِ ، الْقَائِمِينَ بِإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ عِلْمَ التَّوْحِيدِ أَجَلُّ عِلْمٍ وَأَعْلَاهُ ، إِذْ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْإِلَهِ ، تَسَابَقَتْ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ وَأَلَّفُوا فِيهِ أَسْفَارًا ، أَسْفَرَتْ عَنِ الْمَحَاسِنِ وَاللَّطَائِفِ إِسْفَارًا ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهَا شَرْحُ [مَتْنُ الْكُبْرَى] الْمُسَمَّى بِـ [هِدَايَةُ الْمُرِيدِ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ] لِلْعَلَمِ الشَّهِيرِ ، وَالْأُسْتَاذِ الْكَبِيرِ ، عَلَّامَةِ الْأَنَامِ ، وَقُدْوَةِ الْإِسْلَامِ ، مُفِيدِ الطَّالِبِينَ ، وَرَئِيسِ الْعَامِلِينَ / أَبِي عَبْدِ اللهِ ، الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عِلِيشٍ ، طَيَّبَ اللهُ ثَرَاهُ ، وَجَعَلَ الْفِرْدَوْسَ مُتَقَلَّبَهُ وَمَثْوَاهُ .

فَلِذَلِكَ الْتَزَمَ طَبْعَهُ الْهُمَامَانِ الْمُبَجَّلَانِ ، وَالْمَلَاذَانِ الْمُفَخَّمَانِ :

١ – **أَحَدُهُمَا** : الْجَنَابُ الْأَكْرَمُ الْمَشْهُورُ / الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عِلِيشٌ ، نَجْلُ الْمُؤَلِّفِ الْمَذْكُورِ .

٢ – **وَالثَّانِي** : الْأُسْتَاذُ الَّذِي هُوَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ رَاوِي ، الشَّيْخُ / عَلِيٌّ حِجَازِيٌّ الشَّمَاوِي .

عَمَّرَ اللهُ الْوَقْتَ بِحَيَاتِهِمَا ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمَا سِجَالَ هِبَاتِهِ بِبَرَكَةِ نِيَّاتِهِمَا .

وَهَذَا الشَّرْحُ مُزَيَّنُ الْهَوَامِشِ بِـ[الْفُتُوحَاتُ الْإِلَهِيَّةُ الْوَهْبِيَّةُ عَلَى الْمَنْظُومَةِ الْمَقَّرِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ بِـ

(إِضَاءَةُ الدُّجُنَّةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ)] (١)

لِلْإِمَامِ الشَّيْخِ / مُحَمَّدٍ عِلِيشٍ الْمَذْكُورِ . ضَاعَفَ اللهُ لِلْجَمِيعِ الْأُجُورَ .

هَذَا ، وَقَدْ تَمَّ هَذَا الطَّبْعُ الزَّاهِرُ ، وَالْوَضْعُ الْأَنِيقُ الْبَاهِرُ ، بِالْمَطْبَعَةِ ذَاتِ التَّحْرِيرِ ، الْمُجَاوِرَةِ لِلْقُطْبِ الدَّرْدِيرِ ، إِدَارَةُ رَبِّ الْمَهَارَةِ وَالْوَفَا ، حَضْرَةِ مُحَمَّدٍ أَفَنْدِي مُصْطَفَى ، فِي أَوَائِلِ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ الْحَرَامِ ، سَنَةَ ١٣٠٦ مِنْ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

---

(١) قُلْتُ : كِتَابُ **[هِدَايَةُ الْمُرِيدِ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ]** ، وَكِتَابُ **[إِضَاءَةُ الدُّجُنَّةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ]** كَانَا مَطْبُوعَيْنِ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ طَبْعَةً قَدِيمَةً رَدِيئَةً ، وَكَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ هُوَ الْأَصْلَ ، وَالْكِتَابُ الثَّانِي عَلَى هَامِشِهِ ، وَقَدْ قُمْتُ بِإِعَادَةِ كِتَابَةِ الْكِتَابِ الثَّانِي مُفْرَدًا بِالضَّبْطِ الْكَامِلِ ، وَإِلْحَاقِ الْمَنْظُومَةِ فِي أَعْلَى الصَّفَحَاتِ مُرَقَّمَةً ، وَإِلْحَاقِهَا كَذَلِكَ بِآخِرِ الْكِتَابِ كَامِلَةً تَيْسِيرًا لِلنَّفْعِ وَالْحِفْظِ . وَالْحَمْدُ لِلهِ . اهـ .

قَالَهُ / **نَاصِرُ عَبْدِ اللهِ دُسُوقِي** ، مُعِدُّ الْكِتَابِ .

[فَهْرَسَةُ شَرْحِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عِلِيشٍ عَلَى الْمَنْظُومَةِ الْمَقَّرِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ :
(إِضَاءَةُ الدُّجُنَّةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ)]

اِنْتَهَى الْفَهْرِسُ ، وَيَلِيهِ

[مَتْنُ إِضَاءَةِ الدُّجُنَّةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ] كَامِلاً .

مَنْظُومَةُ

إِضَاءَةِ الدُّجُنَّةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ

لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

أَحْمَدَ الْمَقَّرِيِّ الْمَالِكِيِّ الْمَغْرِبِيِّ الْأَشْعَرِيِّ

٩٨٦/ ١٠٤١هـ

ضُبِطَ هَذَا الْمَتْنُ الْمُبَارَكُ عَلَى ضَبْطِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ الشَّارِحِ

مُحَمَّدٍ عِلِيشٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

أَعَدَّهُ وَنَسَّقَهُ الشَّيْخُ

نَاصِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ دُسُوقِيٍّ

عَفَا اللهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - يَقُولُ أَحْمَدُ الْفَقِيرُ الْمَقَّرِي ... الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِي

٢ - أَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي تَوْحِيدُهُ ... أَجَلُّ مَا اعْتَنَى بِهِ عَبِيدُهُ

٣ - الْعَالِمِ الْحَيِّ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ... الْقَادِرِ الْغَنِيِّ بِالْإِطْلَاقِ

٤ - مُرْشِدِنَا مِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ ... بِصُنْعِهِ الْمُعْرِبِ عَنْ وُجُودِهِ

٥ - سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنِ النَّظَائِرِ ... وَكُلِّ مَا يَخْطُرُ فِي الضَّمَائِرِ

٦ - وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ... لِمَنْ حَوَى جَوَامِعَ الْكَلَامِ

٧ - وَأَفْهَمَ الْحَقَّ ذَوِي الْأَذْهَانِ ... وَأَفْحَمَ الْخُصُومَ بِالْبُرْهَانِ

٨ - وَحَضَّ كُلَّ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا ... شَهَادَةً تَزْكُو بِهَا الْعُقُولُ

٩ - فَمَنْ أَجَابَ نَالَ خَيْرًا جَلَّهْ ... وَمَنْ أَبَى أَذَلَّهُ وَجَدَّلَهْ

١٠ - صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا الْحَقُّ اعْتَلَى ... مَعْ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَلَا

١١ - وَبَعْدُ فَالْعُلُومُ ذَاتُ كَثْرَهْ ... وَبَعْضُهَا لَهُ مَزِيدُ الْأَثَرَهْ

١٢ - وَنُوِّعَتْ إِلَى اعْتِقَادٍ وَعَمَلْ ... وَالْأَوَّلُ الْكَلَامُ مُسْتَدْنِي الْأَمَلْ

١٣ - وَكُلُّ عِلْمٍ لِلْمَزِيَّةِ اكْتَسَبْ ... فَالْفَضْلُ مِنْ مَعْلُومِهِ لَهُ انْتَسَبْ

١٤ - وَعِلْمُ أَصْلِ الدِّينِ مَشْهُورُ الشَّرَفْ ... وَخَيْرُهُ الْمَنْثُورُ مَا لَهُ طَرَفْ

١٥ - وَكَيْفَ لَا وَهْوَ مُفِيدٌ لِلْوَرَى ... عِلْمًا بِمَنْ أَنْشَاهُمُ وَصَوَّرَا؟!

١٦ - وَحُكْمُهُ عَلَى الْبَرَايَا انْحَتَمَا ... وَبِالنَّجَاةِ فَازَ مَنْ لَهُ انْتَمَى

١٧ - لِأَنَّهُ بِنُورِهِ يُنْقَذُ مِنْ ... ظُلْمَةِ تَقْلِيدٍ فَنَفْعُهُ ضُمِنْ

١٨ - وَكَمْ بِهِ لِعُلَمَاءِ الْمِلَّهْ ... مِنْ كُتُبٍ بِالْقَصْدِ مُسْتَقِلَّهْ

١٩ - مَا بَيْنَ مَنْثُورٍ وَنَظْمٍ يُهْتَصَرْ ... جَنَاهُ مِنْ مُطَوَّلٍ وَمُخْتَصَرْ

٢٠ - وَإِنَّنِي مِلْتُ إِلَى اتِّبَاعِ ... لَهُمْ وَإِنْ كُنْتُ قَصِيرَ الْبَاعِ

٢١ - فَجِئْتُ فِي ذَا الْمَطْلَبِ الْوَحِيدِ ... بِنُبْذَةٍ تَنْفَعُ فِي التَّوْحِيدِ

٢٢ - سَمَّيْتُهَا: (إِضَاءَةَ الدُّجُنَّهْ) ... لِكَوْنِهَا (اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّهْ)

٢٣ - وَذَاكَ لَمَّا أَنْ حَلَلْتُ الْقَاهِرَهْ ... بَعْدَ الْوُصُولِ لِلْبِقَاعِ الطَّاهِرَهْ

٢٤ - مُنْتَبِذًا عَنْ مَظْهَرِي الْمَغْمُورِ ... مُسْتَرْشِدًا بِالْأَزْهَرِ الْمَعْمُورِ

٢٥ - وَكَانَ مِنْ مَنِّ مُزَكِّي النِّيَّهْ ... دَرْسِي بِهِ الْعَقَائِدَ السُّنِّيَّهْ

٢٦ - فَرَامَ مِنِّي بَعْضُ أَهْلِ الْفَنِّ ... نَظْمِي لَهَا بِحُكْمِ حُسْنِ الظَّنِّ

٢٧ - وَلَسْتُ لِلَّذِي انْتَحَى بِأَهْلِ ... لِأَنَّنِي ذُو خَطَإٍ وَجَهْلِ

٢٨ - فَازْدَادَ حَثُّهُ عَلَيَّ وَنَمَا ... وَقَالَ لِي: اجْعَلْ مِثْلَ هَذَا مَغْنَمَا

٢٩ - فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِسْعَافِ ... مَعْ كَوْنِ رَسْمِ الْعِلْمِ غَيْرَ عَافِ

٣٠ - وَاللَّهَ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَاكَ مِنْ ... فِعْلٍ جَمِيلٍ مِنْ رِيَاءٍ قَدْ أَمِنْ

٣١ - وَأَنْ يُثِيبَنِي بِهِ يَوْمَ الْجَزَا ... وَمَنْ وَعَى أَوْ خَطَّ هَذَا الرَّجَزَا

٣٢ - وَيُجْزِلَ الْمَوَاهِبَ السَّنِيَّهْ ... وَيُسْعِفَ الرَّاجِينَ بِالْأُمْنِيَّهْ

٣٣ - فَالْغَيْثُ مِنْ إِنْعَامِهِ قَدْ وَكَفَا ... عَلَى الْبَرَايَا وَهْوَ حَسْبِي وَكَفَى

مُقَدِّمَةٌ

٣٤ - مَنْ رَامَ فَنًّا فَلْيُقَدِّمْ أَوَّلَا ... عِلْمًا بِحَدِّهِ وَمَوْضُوعٍ تَلَا

٣٥ - وَوَاضِعٍ وَنِسْبَةٍ وَمَا اسْتَمَدّْ ... مِنْهُ وَفَضْلِهِ وَحُكْمٍ يُعْتَمَدْ

٣٦ - وَاسْمٍ وَمَا أَفَادَ وَالْمَسَائِلْ ... فَتِلْكَ عَشْرٌ لِلْمُنَى وَسَائِلْ

٣٧ - وَبَعْضُهُمْ مِنْهَا عَلَى الْبَعْضِ اقْتَصَرْ ... وَمَنْ يَكُنْ يَدْرِي جَمِيعَهَا انْتَصَرْ

فَصْلٌ فِي الْحُكْمِ وَأَقْسَامِهِ

٣٨ - فَالْحُكْمُ وَهْوَ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ ... إِلَى ثَلَاثٍ قَسَّمَ الْأَثْبَاتُ

٣٩ - عَقْلِيٌّ اوْ عَادِيٌّ اوْ شَرْعِيُّ ... وَهَهُنَا أَوَّلُهَا الْمَرْعِيُّ

فَصْلٌ فِي الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ

٤٠ - وَاعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّ حُكْمَ الْعَقْلِ لَا ... يَعْدُو ثَلَاثًا حَصْرُهَا قَدْ عُلِّلَا

٤١ - إِيجَابٌ اوْ تَجْوِيزٌ اوْ إِحَالَةْ ... فَوَاجِبٌ لَا يَنْتَفِي بِحَالَةْ

٤٢ - أَيْ كُلُّ أَمْرٍ نَفْيُهُ لَا يُدْرَكُ ... عَقْلًا وَسِرُّ بَدْئِهِ لَا يُتْرَكُ

٤٣ - لِكَوْنِهِ يُوصَفُ ذُو الْمِحَالِ ... بِهِ؛ وَعَكْسَهُ ادْعُ بِالْمُحَالِ

٤٤ - وَجَائِزٌ مَا صَحَّ فِي الْعَقْلِ اكْتِفَا ... فِيهِ لَدَى حُكْمَيْ ثُبُوتٍ وَانْتِفَا

٤٥ - وَمَا دَعَوْا مِنْهَا ضَرُورِيًّا جَلِي ... وَالنَّظَرِيُّ بَعْدَ فِكْرٍ يَنْجَلِي

٤٦ - فَلْتَعْرِفِ الْوَاجِبَ وَالْمُحَالَا ... وَجَائِزًا فِي حَقِّهِ تَعَالَى

٤٧ - فَعِلْمُهَا فَرْضٌ عَلَيْنَا شَرْعَا ... وَمِثْلُهَا فِي حَقِّ رُسْلٍ تُرْعَى

فَصْلٌ فِي أَوَّلِ وَاجِبٍ

٤٨ - أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ ... إِعْمَالُهُ لِلنَّظَرِ الْمُؤَلَّفِ

٤٩ - كَيْ يَسْتَفِيدَ مِنْ هُدَى الدَّلِيلِ ... مَعْرِفَةَ الْمُصَوِّرِ الْجَلِيلِ

٥٠ - وَتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ لِمَا سَلِمْ ... مِنْ وَرْطَةِ الْجَهْلِ وَلِلْحَقِّ عَلِمْ

٥١ - فَإِنْ يَكُنْ قَبْلَ الْبُلُوغِ حَصَّلَا ... ذَاكَ وَلِلْمَطْلُوبِ قَدْ تَوَصَّلَا

٥٢ - فَلْيَشْتَغِلْ بَعْدَ الْبُلُوغِ بِالْأَهَمْ ثُمَّ الْأَهَمِّ فَاتِّحًا لِمَا انْبَهَمْ
٥٣ - وَفِي الْمُقَلِّدِ اخْتِلَافٌ مُسْتَطَرْ لِأَنَّهُ إِيمَانُهُ عَلَى خَطَرْ
٥٤ - وَهْوَ مُعَرَّضٌ لِشَكٍّ يَطْرُقُ وَفِيهِ لِلْأَشْيَاخِ تُنْمَى طُرُقُ
٥٥ - وَذُو احْتِيَاطٍ فِي أُمُورِ الدِّينِ مَنْ فَرَّ مِنْ شَكٍّ إِلَى يَقِينِ
٥٦ - وَمَنْ لَهُ عَقْلٌ أَبَى عَنْ شُرْبِ مَا لَمْ يَصْفُ مُذْ أَلْفَى زُلَالًا شَبِمَا
٥٧ - فَبَانَ أَنَّ النَّظَرَ الْمُوَصِّلَا أَوَّلُ وَاجِبٍ كَمَا قَدْ أُصِّلَا
٥٨ - وَقَدْ عَزَوْا ذَا لِلْإِمَامِ الْأَشْعَرِي وَهْوَ عَنِ الْإِشْكَالِ وَالضَّعْفِ عَرِي
٥٩ - وَقِيلَ: بَلْ قَصْدٌ إِلَيْهِ أَوَّلُ فَرْضٍ، وَفِرْقَةٌ عَلَيْهِ عَوَّلُوا
٦٠ - وَقِيلَ: بَلْ مَعْرِفَةُ الْخَلَّاقِ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ
٦١ - وَغَيْرُ وَاحِدٍ نَمَاهُ أَيْضَا لِلْأَشْعَرِيِّ الْمُسْتَمِدِّ فَيْضَا
٦٢ - وَلَيْسَ ذَا مُخَالِفًا مَا قَبْلَهْ إِذْ هِيَ قَصْدٌ وَسِوَاهَا وُصْلَةْ

فَصْلٌ فِي الْحَثِّ عَلَى النَّظَرِ

٦٣ - وَجَاءَ فِي الْقُرْءَانِ وَالْأَخْبَارِ حَثٌّ عَلَى الْفِكْرِ وَالِاعْتِبَارِ
٦٤ - وَهْوَ عَلَى وُجُوبِهِ قَدْ دَلَّا مَعْ كَوْنِهِ بِالْقَصْدِ مَا اسْتَقَلَّا
٦٥ - فَاقْرَأْ {وَفِي أَنْفُسِكُمْ} مَعْ أَفَلَا تَظْفَرْ بِرُشْدٍ نُورُهُ مَا أَفَلَا
٦٦ - وَاسْتَجْلِ مَعْنَى مَنْ لِنَفْسِهِ عَرَفْ تَلْحَقْ بِمَنْ مِنْ نَهْرِ عِرْفَانٍ غَرَفْ
٦٧ - وَمَنْ يُقَدِّمْ نَفْسَهُ عِنْدَ النَّظَرْ مُؤَلَّفًا مِنَ الْقَضَايَا مَا حَضَرْ
٦٨ - يَقِسْ بِشَكْلٍ بَيِّنِ الْإِنْتَاجِ إِذْ خَلْقُهُ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجِ
٦٩ - وَبَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُ شَيْئًا صَارَا شَيْئًا حَوَى الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَا
٧٠ - وَالْحِكْمَةَ الرَّائِقَةَ الْعِيَانِ وَالْفَضْلَ بِالْمَنْطِقِ وَالْبَيَانِ
٧١ - وَالْعَقْلَ وَالْغَوْصَ عَلَى الْحَقَائِقِ وَالْعِلْمَ بِالْأَسْرَارِ وَالدَّقَائِقِ
٧٢ - وَغَيْرَهَا مِنْ أَمْرِهِ الْغَرِيبِ وَحَصْرُهُ يُعْيِي قُوَى الْأَرِيبِ
٧٣ - وَمُسْتَحِيلٌ خَلْقُهُ لِنَفْسِهِ لِعَجْزِهِ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ جِنْسِهِ
٧٤ - بَلْ غَيْرُهَا فِي الْخَلْقِ مِنْهَا أَسْهَلُ لِأَنَّهُ تَهَافُتٌ لَا يُجْهَلُ
٧٥ - إِذْ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ مَعَا وَهْوَ تَنَافٍ ظَاهِرٌ لِمَنْ وَعَى
٧٦ - وَلَا تَصِحُّ نِسْبَةُ التَّأْثِيرِ لِنُطْفَةٍ بِالطَّبْعِ فِي التَّقْدِيرِ
٧٧ - لِأَنَّهُ يُفْضِي إِلَى شَكْلِ الْكُرَةْ وَمَنْعُهُ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ نَذْكُرَهْ
٧٨ - فَإِنْ نَظَرْتَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَا وَمَا لَهَا مِنَ الشِّيَاتِ وَالْحُلَا
٧٩ - وَسَقْفِهَا الْمَرْفُوعِ مِنْ غَيْرِ عَمَدْ وَالنَّيِّرَاتِ الْمُشْعِرَاتِ بِالْأَمَدْ
٨٠ - وَمَا حَوَتْهُ الْأَرْضُ وَالْبِحَارُ أَبْصَرْتَ مَا فِيهِ النُّهَى تَحَارُ
٨١ - هَذَا، وَمَا قَدْ غَابَ عَنَّا أَكْثَرُ مِنَ الْبَدَائِعِ الَّتِي لَا تُحْصَرُ
٨٢ - فَهَلْ يَكُونُ الصُّنْعُ دُونَ فَاعِلِ؟! أَوْ وَضْعُهُ مِنْ غَيْرِ جَعْلِ جَاعِلِ؟!

٨٣ – كَلَّا، لَقَدْ أَفْصَحَتِ الْأَكْوَانُ   عَنْ فِعْلِ رَبٍّ مَا لَهُ أَعْوَانُ
٨٤ – مَنْ أَذْعَنَتْ لِقَهْرِهِ الْأَمْلَاكُ   وَانْتَظَمَتْ عَنْ أَمْرِهِ الْأَسْلَاكُ
٨٥ – وَأَشْرَقَتْ مِنْ نُورِهِ الْأَحْلَاكُ   وَسَبَّحَتْ بِحَمْدِهِ الْأَفْلَاكُ

فَصْلٌ فِي الصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ وَمَا تُنَافِيهَا

٨٦ – اِعْرِفْ مِنَ الصِّفَاتِ مَا الدَّلِيلُ دَلّْ   عَلَى وُجُوبِهِ لَهُ عَزَّ وَجَلّْ
٨٧ – وَهْيَ الْوُجُودُ وَالْبَقَاءُ وَالْقِدَمْ   وَانْفِ الْحُدُوثَ وَالْفَنَاءَ وَالْعَدَمْ
٨٨ – أَمَّا الدَّلِيلُ لِوُجُودِ الْحَقِّ   سُبْحَانَهُ فَهْوَ حُدُوثُ الْخَلْقِ
٨٩ – لِأَنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ الْبَاطِلِ   وُجُودُ فِعْلٍ مَا بِدُونِ فَاعِلِ
٩٠ – إِذْ فِيهِ جَمْعُ الْمُتَنَافِيَيْنِ   فِي وَاحِدٍ مِنْ مُتَسَاوِيَيْنِ
٩١ – أَيْ كَوْنُهُ مُسَاوِيَ الْمُقَابِلِ   لَهُ وَرَاجِحًا بِغَيْرِ فَاعِلِ
٩٢ – كَالْوَقْتِ وَالْوُجُودِ مَعْ سِوَاهُ   فَإِنَّهُ لِذَاتِهِ سَاوَاهُ
٩٣ – فَكَيْفَ صَارَ رَاجِحًا بِلَا سَبَبْ؟!   وَهَكَذَا كُلُّ مُسَاوٍ فِي الرُّتَبْ
٩٤ – مِنْ جِهَةٍ مَخْصُوصَةٍ أَوْ قَدْرِ   خُصَّ أَوْ وَصْفٍ أَوْ مَكَانٍ فَادْرِ
٩٥ – وَفِي دَلِيلِ الْقِدَمِ الْمُقَرَّرِ   وُجُوبُهُ بِالْمَطْلَبِ الْمُحَرَّرِ
٩٦ – تَقُولُ إِنْ رَكَّبْتَهُ لَوِ انْتَفَى   عَنْهُ لَكَانَ حَادِثًا بِلَا خَفَا
٩٧ – وَهْوَ مُؤَدٍّ لِافْتِقَارِهِ إِلَى   مُؤَثِّرٍ لِمَا عَرَفْتَ أَوَّلَا
٩٨ – وَتَنْقُلُ الْكَلَامَ لِلْمُؤَثِّرِ   مُنْحَصِرًا أَوْ مَا سِوَى الْمُنْحَصِرِ
٩٩ – فَيَلْزَمُ الدَّوْرُ أَوِ التَّسَلْسُلُ   وَمَا يُؤَدِّي لَهُمَا لَا يَحْصُلُ
١٠٠ – وَهَكَذَا يَلْزَمُ فِي نَفْيِ الْبَقَا   حُدُوثُهُ وَفِيهِ مَا قَدْ سَبَقَا
١٠١ – فَلَا يَكُونُ وَاجِبَ الْوُجُودِ   عِنْدَ طُرُوِّ الْعَدَمِ الْمَرْدُودِ
١٠٢ – إِذْ فِيهِ نَفْيُ الْقِدَمِ الَّذِي مَضَى   مَعْ أَنَّهُ بِهِ الدَّلِيلُ قَدْ قَضَى
١٠٣ – فَبَانَ مِنْ ذَا أَنَّ تَجْوِيزَ الْعَدَمْ   أَمْرٌ مُنَافٍ دُونَ رَيْبٍ لِلْقِدَمْ
١٠٤ – وَأَنَّ كَوْنَهُ قَدِيمًا يَلْزَمُ   مِنْهُ الْبَقَاءُ وَبِهَذَا يُجْزَمُ
١٠٥ – وَكَوْنُهُ مُخَالِفًا لِخَلْقِهِ   سُبْحَانَهُ مِنْ وَاجِبٍ فِي حَقِّهِ
١٠٦ – لِأَنَّهُ لَوْ مَاثَلَ الْعَوَالِمْ   كَانَ حُدُوثُهُ مِنَ اللَّوَازِمْ
١٠٧ – لِأَنَّ مِثْلَ الشَّيْءِ دُونَ لَبْسِ   لَهُ مُسَاوٍ فِي صِفَاتِ النَّفْسِ
١٠٨ – وَهْيَ الَّتِي مَوْصُوفُهَا لَا يُعْقَلُ   بِدُونِهَا كَالنُّطْقِ فِيمَا مَثَّلُوا
١٠٩ – وَأَوْجُهُ التَّمَاثُلِ الْمَعْدُودَهْ   مَنْفِيَّةٌ فِي حَقِّهِ مَرْدُودَهْ
١١٠ – كَكَوْنِهِ جِرْمًا لَهُ تَحَيُّزُ   أَوْ عَرَضًا لَهُ بِهِ التَّمَيُّزُ
١١١ – أَوْ بِارْتِسَامٍ فِي خَيَالٍ يُعْتَبَرْ   أَوْ بِزَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ أَوْ كِبَرْ
١١٢ – أَوْ ضِدِّهِ كَمَا يَقُولُ الشَّانِي   نَعَمْ هُوَ الْأَعْلَى الْكَبِيرُ الشَّانِ
١١٣ – جَلَّ عَنِ الْجِهَاتِ وَالْأَغْرَاضِ   فِيمَا يَشَا وَالْوَصْفِ بِالْأَعْرَاضِ

١١٤ - فَلَيْسَ مِثْلَهُ عَلَا شَيْءٌ كَمَا … بِذَاكَ نَقْلٌ وَفْقَ عَقْلٍ حَكَمَا

١١٥ - وَوَاجِبٌ قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ جَلّْ … أَيْ: لَا مُخَصِّصَ لَهُ وَلَا مَحَلّْ

١١٦ - لِأَنَّهُ ذَاتٌ قَدِيمَةٌ فَلَا … تُنْصِتْ إِلَى مَا قَالَهُ مَنْ غَفَلَا

١١٧ - إِذْ لَوْ إِلَى الْمُخَصِّصِ احْتَاجَ وَجَبْ … حُدُوثُهُ وَرَدُّ هَذَا مَا احْتَجَبْ

١١٨ - أَوْ قَامَ - جَلَّ - رَبُّنَا بِالذَّاتِ … لَكَانَ مَعْدُودًا مِنَ الصِّفَاتِ

١١٩ - وَتِلْكَ لَا تُوصَفُ بِالْمَعَانِي … وَاللهُ قَدْ حُقِّقَ بِالْبُرْهَانِ

١٢٠ - وُجُوبُ وَصْفِهِ بِهَا، فَأَنَّى … يَكُونُ وَصْفًا مَنْ هَدَانَا مَنَّا؟!

١٢١ - وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَقُومَ الْمَعْنَى … بِمِثْلِهِ، فَاحْظَ بِهَذَا الْمَعْنَى

١٢٢ - وَلَا تُصِخْ لِمَذْهَبِ النَّصَارَى … أَوْ مَنْ إِلَى دَعْوَى حُلُولٍ صَارَا

١٢٣ - فَذَاكَ كَالْقَوْلِ بِالِاتِّحَادِ … نِحْلَةُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْإِلْحَادِ

١٢٤ - وَمُوهِمُ الْمَحْذُورِ مِنْ كَلَامِ … قَوْمٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْأَعْلَامِ

١٢٥ - جَرْيًا عَلَى عُرْفِهِمُ الْمَخْصُوصِ … يَرْجِعُ بِالتَّأْوِيلِ لِلْمَنْصُوصِ

١٢٦ - وَمَا يَفُوهُونَ بِهِ فِي الشَّطْحِ … فَقِيلَ: غَيْرُ مُقْتَضٍ لِلْقَدْحِ

١٢٧ - وَهْوَ إِلَى التَّأْوِيلِ ذُو انْتِحَالِ … وَأَنَّهُمْ قَدْ غُلِبُوا بِالْحَالِ

١٢٨ - وَقِيلَ: بَلْ يُنَاطُ حُكْمُ الظَّاهِرِ … بِهِمْ صِيَانَةً لِشَرْعٍ طَاهِرِ

١٢٩ - فَلَا يُقَرُّ ظَاهِرٌ فِي الْمَيْلِ … مِنْهُمْ وَذَا أَمْرٌ طَوِيلُ الذَّيْلِ

١٣٠ - وَلَيْسَ يُقْتَدَى بِهِمْ فِي ذَلِكْ … لِكَوْنِهِ مِنْ أَصْعَبِ الْمَسَالِكْ

١٣١ - وَالْحَزْمُ أَنْ يَسِيرَ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ … مَعْ رُفْقَةٍ مَأْمُونَةٍ لِيَسْلَمِ

١٣٢ - وَيَسْلُكَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ … فَنُورُهَا لِلْمُهْتَدِي اسْتَضَاءَ

١٣٣ - وَفِي بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ يَخْشَى … سَارٍ ضَلَالًا أَوْ هَلَاكًا يَغْشَى

١٣٤ - أَمَّنَنَا اللهُ مِنَ الْآفَاتِ … فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِلَى الْوَفَاةِ

١٣٥ - وَوَاجِبٌ وَحْدَةُ ذِي الْجَلَالِ … فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ

١٣٦ - لِأَنَّهَا لَوِ انْتَفَتْ عَنْهُ عُدِمْ … صُنْعٌ مِنَ التَّمَانُعِ الَّذِي عُلِمْ

١٣٧ - وَنَفْيُ تَأْثِيرٍ عَنِ الْأَسْبَابِ … يُعْلَمُ مِنْ بُرْهَانِ هَذَا الْبَابِ

١٣٨ - كَالْمَاءِ لِلرِّيِّ وَكَالسِّكِّينِ … وَالنَّارِ فِي الْقَطْعِ وَفِي التَّسْخِينِ

١٣٩ - وَقُدْرَةِ الْعَبْدِ وَغَيْرِ ذَلِكْ … فَالْكُلُّ خَلْقٌ لِلْقَدِيرِ الْمَالِكْ

١٤٠ - وَمَا لَهُ فِي صُنْعِهِ مِنْ مِثْلِ … وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ اخْتِرَاعُ فِعْلِ

١٤١ - نَعَمْ، لَهُ كَسْبٌ بِهِ يُكَلَّفُ … شَرْعًا، وَلَا تَأْثِيرَ مِنْهُ يُؤْلَفُ

١٤٢ - وَلْتَحْذَرِ النَّسْجَ عَلَى مِنْوَالِ … مَا خَالَفَ الْمَذْكُورَ مِنْ أَقْوَالِ

١٤٣ - وَاللهُ عَنْ أَفْعَالِهِ لَا يُسْئَلُ … وَالْقَدَرِيُّ لَمْ يَقُلْ مَا يُعْقَلُ

١٤٤ - وَجَوَّزَ الْبَعْضُ دَلِيلَ السَّمْعِ … فِي وَحْدَةٍ، وَقِيلَ: ذَا ذُو وَضْعِ

١٤٥ - فَتِلْكَ مِنْ صِفَاتِهِ الْقُدْسِيَّةْ … سِتٌّ، وَأُولَاهَا هِيَ النَّفْسِيَّةْ

١٤٦ - أَعْنِي الْوُجُودَ، وَالْبَوَاقِي الْخَمْسُ … سَلْبِيَّةٌ، وَمَا بِذَاكَ لَبْسُ

١٤٧ - لِسَلْبِهَا عَنِ الْإِلَهِ مَا لَا يَلِيقُ، وَاقْتِضَائِهَا كَمَالَا
١٤٨ - وَكُلُّ وَصْفٍ وَاجِبٍ لِلذَّاتِ مَا دَامَتْ بِلَا زَيْدٍ لِنَفْسٍ ذُو انْتِمَا
١٤٩ - وَمَنْ يَرَى الْوُجُودَ عَيْنَ الذَّاتِ كَالشَّيْخِ لَمْ يَعْدُدْهُ فِي الصِّفَاتِ
١٥٠ - وَقَدْ أَشَرْنَا لِلْمُحَالِ وَهْوَ مَا نَافَى الَّتِي وُجُوبُهَا تَقَدَّمَا

فَصْلٌ فِي الْمَعَانِي

١٥١ - وَالْعِلْمُ وَالْحَيَاةُ وَالْقُدْرَةُ مَعْ إِرَادَةِ اللهِ بِهَا الْعَقْلُ قَطَعْ
١٥٢ - لِأَنَّهَا لَوِ انْتَفَتْ لَمَا وُجِدْ شَيْءٌ مِنَ الصُّنْعِ الَّذِي بِهَا شَهِدْ
١٥٣ - وَبَعْضُ مَنْ يُنْمَى لَهُ الْإِيقَانُ قَالَ: دَلِيلُ عِلْمِهِ الْإِتْقَانُ
١٥٤ - لِأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ الَّذِي ظَهَرْ إِحْكَامُهُ كُلَّ الْعُقُولِ قَدْ بَهَرْ
١٥٥ - سُبْحَانَ مَنْ أَوْدَعَهُ إِذْ أَبْدَعَهْ مِنْ حِكَمٍ جَلِيلَةٍ مَا أَوْدَعَهْ
١٥٦ - وَقَدْ مَضَى ذِكْرٌ لِبَعْضِ مَا اشْتَمَلْ عَلَيْهِ إِجْمَالًا بِمَا النَّظْمُ احْتَمَلْ

١٥٧ - وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ وَالْكَلَامُ جَاءَ بِهَا النَّقْلُ وَلَا مَلَامُ
١٥٨ - إِذْ كُلُّ مَا لَمْ يَتَوَقَّفْ شَرْعُ عَلَيْهِ فَالدَّلِيلُ فِيهِ السَّمْعُ
١٥٩ - وَعَكْسُهُ مُمْتَنِعٌ لِلدَّوْرِ فَاقْطُفْ بِأَيْدِي الْفَهْمِ أَبْهَى النَّوْرِ
١٦٠ - وَقِيلَ: لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَزِمْ وَصْفٌ بِأَضْدَادٍ بِنَقْصِهَا جُزِمْ
١٦١ - وَفِيهِ بَحْثٌ بَرْقُهُ قَدْ أَوْمَضَا بِعَكْسِ وَحْدَانِيَّةٍ كَمَا مَضَى
١٦٢ - وَأَثْبَتَ الْإِدْرَاكَ قَوْمٌ، وَاكْتَفَى بِالْعِلْمِ نَافِيهِ، وَبَعْضٌ وَقَفَا
١٦٣ - وَاعْلَمْ بِأَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي لَهَا وُجُودٌ خَارِجَ الْأَذْهَانِ
١٦٤ - وَلَا يُقَالُ: إِنَّهَا عَيْنٌ، وَلَا غَيْرٌ لِذَاتٍ، فَاعْرِفِ الْمُعَوَّلَا
١٦٥ - وَانْسُبْ لِكُلٍّ مَا سِوَى الْحَيَاةِ تَعَلُّقًا وَشَرْحُهُ سَيَاتِي
١٦٦ - فَكُلُّ مُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِهِ إِرَادَةٌ وَقُدْرَةٌ، فَانْتَبِهِ
١٦٧ - وَإِنْ يَكُنْ عِلْمٌ بِنَفْيِهِ جَرَى فَفِي تَعَلُّقٍ بِهِ خُلْفٌ سَرَى
١٦٨ - مِثَالُهُ: الْإِيمَانُ مِنْ أَبِي لَهَبْ وَالْبَعْضُ لِلتَّوْفِيقِ فِي هَذَا ذَهَبْ
١٦٩ - أَيْ: مَنْ رَأَى تَعَلُّقًا بِهِ اعْتَبَرْ إِمْكَانَهُ الْأَصْلِيَّ مَعْ قَطْعِ النَّظَرْ
١٧٠ - عَنْ غَيْرِهِ، وَمَنْ نَفَاهُ رَاعَى تَعَلُّقَ الْعِلْمِ بِهِ امْتِنَاعَا
١٧١ - وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ بِالْمَوْجُودِ قَدْ تَعَلَّقَا لَا غَيْرُ عِنْدَ مَنْ نَقَدْ
١٧٢ - وَلَيْسَ يُسْتَغْنَى بِعِلْمٍ عَنْهُمَا لِلِافْتِرَاقِ شَاهِدًا بَيْنَهُمَا
١٧٣ - وَرَدَّهُ بَعْضُ ذَوِي التَّحْقِيقِ وَالنَّظْمُ عَنْ تَقْرِيرِهِ ذُو ضِيقِ
١٧٤ - وَحُكْمُ إِدْرَاكٍ لَدَى مَنْ قَالَ بِهْ حُكْمُهُمَا فَلْتُفْرِغَنْ فِي قَالَبِهْ
١٧٥ - وَالْعِلْمُ وَالْكَلَامُ قَدْ تَعَلَّقَا بِوَاجِبٍ وَمُسْتَحِيلٍ مُطْلَقَا
١٧٦ - وَجَائِزٍ، فَاسْتَوْعِبَ الْأَقْسَامُ وَالرَّبُّ فِي الْجَمِيعِ لَا يُسَامُ

فَصْلٌ فِي الْمَعْنَوِيَّةِ

١٧٧ – وَالسَّبْعُ لَازَمَتْ صِفَاتٍ تُسْمَى … بِـ (مَعْنَوِيَّةٍ) إِلَيْهَا تُنْمَى

١٧٨ – كَوْنُ الْإِلَهِ: عَالِمًا، قَدِيرَا … حَيًّا، مُرِيدًا، سَامِعًا، بَصِيرَا

١٧٩ – وَذَا كَلَامٍ، وَالْمَقَالُ حَالِ … بِعَدِّهَا عَلَى ثُبُوتِ الْحَالِ

١٨٠ – وَاسِطَةً بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمْ … وَنَهْجُهَا تَشْكُو الْوَجَا فِيهِ الْقَدَمْ

١٨١ – وَمَنْ نَفَى الْحَالَ فَقَدْ رَآهَا … عِبَارَةً عَنْ تِلْكَ لَا سِوَاهَا

١٨٢ – وَمُثْبِتُ الْإِدْرَاكِ يُجْرِيهِ عَلَى … أَحْكَامِ هَذِي السَّبْعِ مِثْلَ مَا خَلَا

فَصْلٌ فِي التَّعَلُّقِ

١٨٣ – وَاخْتَلَفَ الْأَشْيَاخُ فِي التَّعَلُّقِ … فَقِيلَ: نَفْسِيٌّ لَدَى التَّحَقُّقِ

١٨٤ – أَيْ: طَلَبُ الصِّفَاتِ زَائِدًا عَلَى … قِيَامِهَا بِذَاتِ مَوْصُوفٍ عَلَا

١٨٥ – كَالْكَشْفِ بِالْعِلْمِ وَكَالدَّلَالَةْ … مِنَ الْكَلَامِ وَصْفِ ذِي الْجَلَالَةْ

١٨٦ – لَكِنَّ ذَا الْقَوْلَ لِوَصْفِ الْحَالِ … بِالْحَالِ أَفْضَى، وَهْوَ ذُو إِشْكَالِ

١٨٧ – فِي قَوْلِ مَنْ لِلْمَعْنَوِيَّةِ الْتَزَمْ … وَبِالتَّعَلُّقِ لَهَا أَيْضًا جَزَمْ

١٨٨ – وَقِيلَ: نِسْبَةٌ، وَلِلْفَخْرِ انْتَمَى … ذَا الْقَوْلُ، وَالسَّعْدُ ارْتَضَاهُ وَاعْتَمَى

١٨٩ – وَمُسْنِدُ الْأَحْكَامِ لِلصِّفَاتِ … فَقَطْ إِلَى الْمَجَازِ ذُو الْتِفَاتِ

١٩٠ – وَالْحَقُّ أَنْ تُسْنَدَ لِلذَّاتِ الَّتِي … قَدْ وُصِفَتْ بِذِي الصِّفَاتِ جَلَّتِ

١٩١ – هَذَا الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الْمُقْتَرَحْ … وَغَيْرُهُ، وَالصَّدْرُ مِنْ ذَاكَ انْشَرَحْ

١٩٢ – وَقَوْلُهُمْ: (سُبْحَانَ مَنْ تَوَاضَعَا … كُلٌّ لِعِزِّهِ) أَبَى مَنْ نَازَعَا

فَصْلٌ فِي مُنَافِيَاتِ الْمَعَانِي وَالْمَعْنَوِيَّةِ

١٩٣ – وَمَا يُنَافِي مَا مَضَى الْعَقْلُ حَكَمْ … بِأَنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ كَالْبَكَمْ

١٩٤ – وَمَا لَهُ يَرْجِعُ كَالثُّبُوتِ … لِلْحَرْفِ وَالصَّوْتِ وَكَالسُّكُوتِ

١٩٥ – وَإِنَّمَا كَلَامُهُ الْقَدِيمُ … مَا فِيهِ تَأْخِيرٌ وَلَا تَقْدِيمُ

١٩٦ – نَعَمْ، وَلَا لَحْنٌ وَلَا إِعْرَابُ … أَوْ كُلٌّ اوْ بَعْضٌ أَوِ اضْطِرَابُ

١٩٧ – إِذْ كُلُّهَا إِلَى الْحُدُوثِ انْتَسَبَا … كَكَوْنِ عِلْمِهِ – عَلَا – مُكْتَسَبَا

١٩٨ – وَهْوَ مُحَالٌ، وَكَذَا الْجَهْلُ وَمَا … ضَاهَاهُ، وَالْوَصْفُ بِمَوْتٍ أَوْ عَمَى

١٩٩ – أَوْ صَمَمٍ، وَقَدْ سَمَا مَنْ خَلَقَا … عَنْ عَجْزِهِ عَنْ مُمْكِنٍ مَّا مُطْلَقَا

٢٠٠ – كَذَلِكَ الْإِيجَادُ مَعْ كَرَاهَتِهْ … لِفِعْلِهِ، أَعْنِي: انْتِفَا إِرَادَتِهْ

٢٠١ – أَوْ كَوْنِهِ طَبِيعَةً، أَوْ عِلَّةْ … لِلْخَلْقِ، أَوْ إِيجَادُهُ مَعْ غَفْلَةْ

فَصْلٌ فِي الْأَمْرِ وَالْإِرَادَةِ وَالرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ

٢٠٢ – وَأَمْــــــرُهُ يُغَـــــــايِرُ الْإِرَادَةْ ... إِذْ عَـــــمَّ أَمْـــــرُ طَاعَـــــةٍ عِبَــــادَهْ

٢٠٣ – وَلَمْ يُــرِدْ وُقُوعَهَـــا مِـــنْ كُلِّهِـــمْ ... بِـــلَا ارْتِيَـــابٍ، بَـــلْ وَلَا مِـــنْ جُلِّهِـــمْ

٢٠٤ – فَصَـــحَّ أَنْ يَـــأْمُرَ بِالشَّـــيْءِ وَلَا ... يُرِيـــدُهُ مَـــنْ بِالْهُـــدَى تَطَـــوَّلَا

٢٠٥ – وَمِثْلُــهُ الرِّضَـــا، فَلَـــيْسَ يَرْضَـــى ... كُفْـــرَانَ أَصْـــحَابِ الْقُلُـــوبِ الْمَرْضَـــى

٢٠٦ – أَيْ: لَا يُكَلِّــفُ النُّفُــوسَ مَــا نَهَــى ... عَنْـــهُ، وَلَا يُحِـــبُّ غَيًّـــا شَـــانَهَا

٢٠٧ – وَكُـــلُّ مَـــا أَرَادَ فَهْـــوَ كَـــائِنُ ... وَإِنْ نَهَـــى عَنْـــهُ وَأَخْطَـــا الْمَـــائِنُ

٢٠٨ – وَلَـــيْسَ عَـــنْ مَـــا شَـــاءَهُ مَحِيـــدُ ... لِأَنَّـــــهُ يَفْعَــــلُ مَـــــا يُرِيــــدُ

٢٠٩ – تَجْـــرِي عَلَـــى اخْتِيَـــارِهِ الْأَقْـــدَارُ ... فِي الْخَلْـــــقِ وَالْإِيـــــرَادُ وَالْإِصْـــــدَارُ

فَصْلٌ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ

٢١٠ – وَالْعَـــالَمُ: اسْـــمُ مَـــا سِـــوَى الـــدَّيَّانِ ... مِـــــنْ نَـــــوْعَيِ الْأَعْـــــرَاضِ وَالْأَعْيَـــــانِ

٢١١ – فَـــالْعَيْنُ: مَـــا بِنَفْسِـــهِ يَقُـــومُ ... وَمَـــا عَـــدَاهُ: الْعَـــرَضُ الْمَرْقُـــومُ

٢١٢ – وَلَمْ يُحَقَّـــقْ غَيْـــرَ ذَيْـــنِ قِسْـــمُ ... وَكُـــلُّ مَـــا أُلِّـــفَ فَهْـــوَ الْجِسْـــمُ

٢١٣ – وَمَـــا انْتَهَـــى لِحَـــدِّ مَنْـــعِ الْقَسْـــمِ ... فَـــالْجَوْهَرُ الْفَـــرْدُ الشَّـــهِيرُ الْوَسْـــمِ

٢١٤ – وَهْـــوَ عَلَـــى مَـــذْهَبِنَا الْمَحْمُـــودِ ... يُوصَـــــفُ بِالْحُـــــدُوثِ وَالْوُجُـــــودِ

٢١٥ – هَـــذَا، وَفِي الْقَـــوْلِ بِـــهِ إِرَاحَـــةْ ... لِظُلْمَـــــةِ الْغَـــــاوِينَ وَاسْـــــتِرَاحَةْ

٢١٦ – وَفِي حُـــدُوثِ مَـــا سِـــوَى اللهِ الْغَـــرَضْ ... إِذْ كُـــلُّ عَـــيْنٍ لَـــيْسَ يَخْلُـــو عَـــنْ عَـــرَضْ

٢١٧ – مِثْـــلُ الـــرَّوَائِحِ أَوِ الْأَكْـــوَانِ ... فَـــلَا تَكُـــنْ عَـــنْ شَـــرْحِهَا بِـــالْوَانِي

٢١٨ – وَلْنَقْتَصِـــرْ هُنَـــا عَلَـــى الْأَكْـــوَانِ ... فَإِنَّهَـــــا لِلْقَصْـــــدِ كَـــــالْعُنْوَانِ

٢١٩ – وَهْـــيَ اجْتِمَـــاعٌ أَوْ سُـــكُونٌ أَوْ مَـــا ... نَـــافَى، وَكُـــلٌّ لِلْحُـــدُوثِ أَوْمَـــا

٢٢٠ – لِأَنَّهَـــا مُحَقَّـــقٌ فِيهَـــا الْعَـــدَمْ ... عِنْـــدَ طُـــرُوِّ ضِـــدِّهَا، فَـــلَا قِـــدَمْ

٢٢١ – وَكُـــلُّ مَـــا بَـــانَ بِعَقْـــلٍ قِدَمُـــهُ ... كَـــانَ مُحَـــالًا دُونَ رَيْـــبٍ عَدَمُـــهُ

٢٢٢ – وَكُـــلُّ مَـــا لَازَمَ حَادِثًـــا وَجَـــبْ ... لَـــهُ مِـــنَ الْحُـــدُوثِ مَـــا لَـــهُ انْتَسَـــبْ

٢٢٣ – وَعَـــدَّ الِاجْتِمَـــاعَ مِـــنْ نَـــوْعِ الْعَـــرَضْ ... كَـــذَاكَ الِافْـــتِرَاقُ بَعْـــضٌ اعْتَـــرَضْ

٢٢٤ – وَقَـــالَ: بَـــلْ أَمْـــرَانِ نِسْـــبِيَّانِ ... لَمْ يَصِـــلَا الْوُجُـــودَ فِي التِّبْيَـــانِ

٢٢٥ – فَبَـــانَ مِمَّـــا قَـــدْ مَضَـــى بِالسَّـــرْدِ ... حُـــدُوثُ مَـــا سِـــوَى الْإِلَـــهِ الْفَـــرْدِ

٢٢٦ – وَلَا يَـــتِمُّ الْمُبْتَغَـــى لِلطَّالِـــبِ ... إِلَّا بِعِلْـــمِ السَّـــبْعَةِ الْمَطَالِـــبِ

٢٢٧ – إِثْبَـــاتُ أَعْـــرَاضٍ وَكَـــوْنُ الْعَـــيْنِ ... تُـــلَازِمُ الْأَعْـــرَاضَ دُونَ مَـــيْنِ

٢٢٨ – وَالْمَنْـــعُ لِلْكُمُـــونِ وَالظُّهُـــورِ ... وَالِانْتِقَـــالِ الْمُـــدَّعَى بِـــالزُّورِ

٢٢٩ – أَوْ أَنَّهَـــا قَائِمَـــةٌ بِنَفْسِـــهَا ... أَوْ كَوْنُهَـــا قَدِيمَـــةً فِي جِنْسِـــهَا

٢٣٠ – أَيْ قَـــوْلُهُمْ: لَـــيْسَ لَهَـــا مِـــنْ أَوَّلْ ... فَـــالْأَرْبَعَ ارْدُدْ وَاعْضُـــدِ الْمُعَـــوَّلْ

٢٣١ - وَانْـفِ التَّغَيُّـرَ عَـنِ الْقَـدِيمِ ... تَسِـرْ بِـنَهْجِ السُّـنَّةِ الْقَـوِيمِ

٢٣٢ - وَاحْـذَرْ هُنَـا أَقْـوَالَ أَهْـلِ الْفَلْسَـفَةْ ... فَإِنَّهَـا مَحْـضُ الضَّـلَالِ وَالسَّـفَهْ

٢٣٣ - جَـرُّوا بِهَـا مِـنْ غَـيِّهِمْ ذُيُـولَا ... فِي قِـدَمِ الـنَّفْسِ أَوِ الْهَيُـولَى

٢٣٤ - وَغَيْرَهَـا مِـنَ الْأَقَاوِيـلِ الَّـتِي ... أَقْـدَامُ مَـنْ فِيهَـا تَلَاهُـمْ زَلَّـتِ

٢٣٥ - فَـلَا قَـدِيمَ غَيْـرُ ذِي الْجَـلَالِ ... نَسْـأَلُهُ الْأَمْـنَ مِـنَ الضَّـلَالِ

فَصْلٌ فِي الْجَائِزِ

٢٣٦ - وَجَـائِزٌ فِي حَقِّـهِ تَعَـالَى ... أَنْ يَخْلُـقَ الْأَنَـامَ وَالْأَفْعَـالَا

٢٣٧ - كَـذَلِكَ التَّكْلِيـفُ لِلْعِبَـادِ ... وَهَـدْيُهُمْ لِـنَهْجِ رُشْـدٍ بَـادِ

٢٣٨ - فَلَـيْسَ أَمْـرٌ وَاجِبًـا عَلَيْـهِ ... مِنْهَـا، بَـلِ اخْتِيَـارُهُ إِلَيْـهِ

٢٣٩ - وَلَا صَـلَاحَ وَاجِـبٌ أَوْ أَصْـلَحَا ... هَـذَا الَّـذِي دَانَ بِـهِ مَـنْ أَفْلَحَـا

٢٤٠ - فَكُـلُّ مَـا أَرَادَهُ الصَّـوَابُ ... سَـوَاءٌ الْعِقَـابُ وَالثَّـوَابُ

٢٤١ - فَـذَاكَ بِالْعَـدْلِ وَذَا بِالْفَضْـلِ ... مِـنْ فَاعِـلٍ مَـا شَـاءَ دُونَ عَضْـلِ

٢٤٢ - وَمَـا لِعَقْـلٍ وَحْـدَهُ تَوَصُّـلُ ... إِلَى قَبِـيحٍ أَوْ إِلَى مَـا يَجْمُـلُ

٢٤٣ - بَـلْ مَـا بِفِعْلِـهِ أُمِرْنَـا فَالْحَسَـنْ ... وَضِـدُّهُ انْقَـادَ لِقُـبْحٍ بِالرَّسَـنْ

٢٤٤ - وَلَـوْ عَلَيْـهِ وَجَـبَ الصَّـلَاحُ ... سُـبْحَانَهُ عَـمَّ الْـوَرَى الْفَـلَاحُ

٢٤٥ - وَكَـانَ خَلْقُهُـمْ بِـدَارِ الْمَـأْوَى ... أَصْـلَحَ مِـنْ تَعْرِيضِـهِمْ لِـلَّأْوَى

٢٤٦ - وَلِلتَّكَـالِيفِ بِهَـذِي الـدَّارِ ... وَمَـا يُقَاسُـونَ مِـنَ الْأَكْـدَارِ

٢٤٧ - إِنْ قِيـلَ: زَادَهُـمْ بِـذَاكَ أَجْـرَا ... لَهُـمْ عَلَـى قَـدْرِ الْعَنَـاءِ أَجْـرَى

٢٤٨ - قُلْنَـا: الْإِلَـهُ قَـادِرٌ أَنْ يُوصِـلَهْ ... إِلَـيْهِمْ دُونَ أُمُـورٍ مُعْضِـلَةْ

٢٤٩ - وَأَيْضًـا الَّـذِي عَلَـى الْكُفْـرِ هَلَـكْ ... تَكْلِيفُـهُ بِـهِ إِلَى ضَـيْرٍ سَـلَكْ

٢٥٠ - بَـلْ خَلْقُـهُ إِنْ عَـاشَ خِـدْنَ الْبُـوسِ ... إِذْ هُـوَ فِي الـدَّارَيْنِ ذُو الْعُبُـوسِ

٢٥١ - فَـأَيْنَ مَـا مِـنَ الصَّـلَاحِ يُـدَّعَى ... لَـهُ؟! وَذَا أَنْـفُ اعْتِـزَالٍ جَـدَّعَا

٢٥٢ - وَقِصَّـةُ الشَّـيْخِ مَـعَ الْجُبَّـائِي ... تَـرُدُّ قَـوْلَ الْكَـاذِبِ الْأَبَّـائِي

٢٥٣ - وَمَـا اعْتَـرَى الْأَطْفَـالَ مِـنْ آلَامِ ... يَقْضِـي لِأَهْـلِ السُّـنَّةِ الْأَعْـلَامِ

٢٥٤ - وَالْحَـقُّ لَا يَخْفَـى عَلَـى ذِي عَـيْنِ ... وَاللهَ نَرْجُـو عِصْـمَةً مِـنْ مَـيْنِ

فَصْلٌ فِي الرُّؤْيَةِ

٢٥٥ - وَرُؤْيَـةُ الْإِلَـهِ بِالْأَبْصَـارِ ... تَجُـوزُ عِنْـدَ أَهْـلِ الِاسْتِبْصَـارِ

٢٥٦ - دُونَ تَقَابُـلٍ أَوِ اتِّصَـالِ ... بَـلْ الَّـذِي يَلِيـقُ بِـالْجَلَالِ

٢٥٧ - وَأَهْـلُ الِاعْتِـزَالِ وَالضَّـلَالِ ... قَضَـوْا بِأَنَّهَـا مِـنَ الْمُحَـالِ

٢٥٨ - إِذْ فَسَّـرُوا الرُّؤْيَـةَ بِالشُّـعَاعِ ... وَذَاكَ - فِي ذَا الْبَـابِ - ذُو امْتِنَـاعِ

٢٥٩ – وَإِنَّمَا الرُّؤْيَةُ مَعْنًى خُلِقَا ... فِي الشَّيْءِ، بِالْمَرْئِيِّ قَدْ تَعَلَّقَا

٢٦٠ – وَكَوْنُ مُوسَى سَأَلَ الْجَلِيلَا ... فِي أَمْرِهَا غَدَا لَنَا دَلِيلَا

٢٦١ – إِذْ مِثْلُهُ لَا يَجْهَلُ الْمُحَالَا ... فِي حَقِّ مَنْ كَلَّمَهُ تَعَالَى

٢٦٢ – وَقَدْ رَأَى خَيْرُ الْوَرَى الدَّيَّانَا ... لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِهِ عَيَانَا

٢٦٣ – فِي الْمَذْهَبِ الْمُصَحَّحِ الْمَشْهُورِ ... وَهْوَ الَّذِي يُنْمَى إِلَى الْجُمْهُورِ

٢٦٤ – وَالْمُؤْمِنُونَ خَصَّهُمْ فِي الْآخِرَةْ ... بِهَا مُنِيلُهُمْ مَزَايَا فَاخِرَةْ

٢٦٥ – كَمَا أَتَى عَنْ صَاحِبِ السِّيَادَةْ ... فَالْجَنَّةُ الْحُسْنَى وَذِي الزِّيَادَةْ

٢٦٦ – وَكَمْ أَحَادِيثَ بِهَا صَرِيحَةْ ... مَرْوِيَّةٌ مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةْ

٢٦٧ – كَقَوْلِهِ: «كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَا» ... وَقَبْلَ هَذَا: «سَتَرَوْنَ ... » الْخَبَرَا

٢٦٨ – وَوَجْهُهُ ذَا التَّشْبِيهِ دُونَ مِرْيَةِ ... نَفْيُ تَزَاحُمٍ بِحَالِ الرُّؤْيَةِ

٢٦٩ – لَا أَنَّهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ أَشْبَهَهْ ... جَلَّ الْإِلَهُ أَنْ يَكُونَ فِي جِهَةْ

فَصْلٌ فِي أَحْكَامِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ

٢٧٠ – وَبِعْثَةُ الرُّسْلِ إِلَيْنَا جَائِزَةْ ... فِي حَقِّهِ، وَكُلَّ خَيْرٍ حَائِزَةْ

٢٧١ – كَيْ يُبْلِغُونَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهْ ... فَمَنْ أَجَابَهُمْ غَدَا ذَا نُهْيَةْ

٢٧٢ – وَمَنْ أَبَى فَسَاقِطٌ فِي هُوَّةْ ... وَمَا بِكَسْبٍ تُدْرَكُ النُّبُوَّةْ

٢٧٣ – وَلَا بِحِيلَةٍ أَوِ ارْتِيَاضِ ... لَكِنْ بِفَضْلِ ذِي النَّدَى الْفَيَّاضِ

٢٧٤ – يَخُصُّ مَنْ أَرَادَ بِالْعِنَايَةْ ... وَبِالرِّسَالَةِ أَوِ الْوِلَايَةْ

٢٧٥ – وَهْوَ أَيِ الرَّسُولُ إِنْسَانٌ ذَكَرْ ... أَوْحَى لَهُ مَنْ لَمْ تُكَيِّفْهُ الْفِكَرْ

٢٧٦ – وَقَالَ: بَلِّغْ مَنْ بُعِثْتَ فِيهِمْ ... حُكْمًا دُعُوا إِلَيْهِ يَقْتَفِيهِمْ

٢٧٧ – وَإِنْ يَكُ الْوَحْيُ بِحُكْمٍ قُصِرَا ... عَلَيْهِ فَالنَّبِيُّ فِيمَا شُهِرَا

فَصْلٌ فِي مَا يَجِبُ لَهُمْ وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ

٢٧٨ – وَصِدْقُ رُسْلٍ وَاجِبٌ فِي كُلِّ مَا ... قَالُوا، فَكُنْ لِصِدْقِهِمْ مُسَلِّمَا

٢٧٩ – وَالْكَذِبَ اعْدُدْهُ مِنَ الْمُحَالِ ... فِي جَانِبِ الرُّسْلِ بِكُلِّ حَالِ

٢٨٠ – لِأَنَّهُ يُفْضِي لِوَصْفِ الْبَارِي ... سُبْحَانَهُ بِالْخُلْفِ فِي الْإِخْبَارِ

٢٨١ – مِنْ أَجْلِ تَصْدِيقٍ لَهُمْ بِالْمُعْجِزَةْ ... عَاضِدَةً لِمَا ادَّعَوْهُ مُنْجِزَةْ

٢٨٢ – وَهْوَ كَقَوْلِ اللهِ: هَذَا الْعَبْدُ ... يَصْدُقُ فِيمَا مِنْهُ عَنَّا يَبْدُو

٢٨٣ – وَكُلُّ مَنْ صَدَّقَ كَاذِبًا نُمِي ... لِلْكَذِبِ الَّذِي بِهِ ذَاكَ رُمِي

٢٨٤ – وَهْوَ أَيِ الْكَذِبُ مُسْتَحِيلُ ... فِي حَقِّ رَبٍّ وَصْفُهُ جَلِيلُ

٢٨٥ – لِأَنَّهُ يُخْبِرُ وَفْقَ عِلْمِهِ ... وَذَاكَ صِدْقٌ ثَابِتٌ فِي حُكْمِهِ

٢٨٦ – وَوَاجِبٌ أَمَانَةٌ أَيْ عِصْمَةْ ... لِلرُّسْلِ، جَلَّ قَدْرُهُمْ عَنْ وَصْمَةْ

٢٨٧ – وَيَسْتَحِيلُ مِنْهُمُ ارْتِكَابُ ذِي ... نَهْيٍ، وَقَوْلَ ذِي الضَّلَالَةِ انْبِذِ

٢٨٨ – وَلَوْ فَرَضْتَ مِنْهُمُو إِيقَاعَهْ ... لَانْقَلَبَ الْمَنْهِيُّ عَيْنَ الطَّاعَةْ

٢٨٩ – لِأَمْرِ رَبِّنَا بِالِاقْتِدَا بِهِمْ ... فِي غَيْرِ مَقْصُورٍ عَلَى جَنَابِهِمْ

٢٩٠ – وَاللهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَا فَلَا ... يَأْتُونَ غَيْرَ طَاعَةٍ كَمَا انْجَلَا

٢٩١ – وَأَوِّلَنْ بِلَائِقٍ مُشْتَبِهَا ... كَمَا أَتَى فِي يُوسُفٍ {هَمَّ بِهَا}

٢٩٢ – وَكَوْنِ وَالِدِ الْوَرَى قَدْ أَكَلَا ... وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا أَشْكَلَا

٢٩٣ – وَقُلْ إِذَا اسْتَدْلَلْتَ لِلتَّبْلِيغِ ... لَوْ كَتَمُوا لَكَانَ ذَا تَسْوِيغِ

٢٩٤ – فَيَكْتُمِ الْمَرْءُ الْعُلُومَ النَّافِعَةْ ... عَنْ طَالِبٍ لَهَا وَيَغْدُو مَانِعَةْ

٢٩٥ – كَيْفَ وَقَدْ بَاءَ ذَوُو الْكِتْمَانِ ... لِلرُّشْدِ بِاللَّعْنَةِ فِي الْقُرْءَانِ؟!

٢٩٦ – وَالْمُصْطَفَى الْمُعْجِزُ كُلَّ الْفُصَحَا ... أَدَّى الرِّسَالَةَ وَكُلًّا نَصَحَا

٢٩٧ – وَاقْتَضَتِ الْآيَاتُ فِي الْكِتَابِ ... تَبْلِيغَهُ وَالنَّفْيَ لِلْعِتَابِ

٢٩٨ – فَاللهُ يَجْزِيهِ أَجَلَّ مَا بِهِ ... جَازَى نَبِيًّا ذَا مَقَامٍ نَابِهِ

فَصْلٌ فِي مَا يَجُوزُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ

٢٩٩ – وَغَيْرُ قَادِحٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ ... فِي حَقِّهِمْ يَجُوزُ كَالْأَمْرَاضِ

٣٠٠ – لِلْأَجْرِ وَالتَّشْرِيعِ وَالتَّخَلِّي ... عَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا أَوِ التَّسَلِّي

٣٠١ – إِذْ خِيرَةُ الْعِبَادِ عَنْهَا أَعْرَضُوا ... وَرَبَّهُمْ قَرْضًا جَمِيلًا أَقْرَضُوا

٣٠٢ – وَاللهُ لَمْ يُرِدْ لِأَنْبِيَائِهِ ... بِهَا جَزَاءً وَلِأَوْلِيَائِهِ

٣٠٣ – فَيَحْصُلِ الزُّهْدُ مِنَ الْأَنَامِ ... فِي عَيْشِهَا الذَّاهِبِ كَالْمَنَامِ

٣٠٤ – فَكُلُّ مَنْ أُمِدَّ بِالتَّوْفِيقِ ... مِمَّنْ رَأَى بِأَعْيُنِ التَّحْقِيقِ

٣٠٥ – يَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهَا خَسِيسَةْ ... وَيَحْذَرُ التَّمْوِيهَ وَالدَّسِيسَةْ

٣٠٦ – وَلَمْ يَفُزْ مِنْهَا سِوَى مَنِ ادَّخَرْ ... أَعْمَالَ طَاعَةٍ بِهَا قَدِ افْتَخَرْ

٣٠٧ – وَهْيَ خَرَابٌ مَا بِهَا إِقَامَةْ ... وَاللهَ نَرْجُو حُسْنَ الِاسْتِقَامَةْ

فَصْلٌ فِي عَدَدِ الرُّسُلِ

٣٠٨ – وَعِدَّةُ الرُّسْلِ الْكِرَامِ الْكُمَّلِ ... فِي اسْمِ (مُحَمَّدٍ) بَدَتْ بِالْجُمَّلِ

٣٠٩ – مِيمٌ وَحَاءٌ ثُمَّ مِيمٌ كُرِّرَتْ ... وَبَعْدَهَا دَالٌ كَمَا قَدْ قُرِّرَتْ

٣١٠ – وَكُلُّهُمْ مِنْ رَبِّهِ مُؤَيَّدُ ... بِمُعْجِزَاتٍ لَا تَنَالُهَا الْيَدُ

٣١١ – قَدْ قَارَنَتْ دَعْوَاهُمُ الرِّسَالَةْ ... مَعَ التَّحَدِّي لَفْظًا اوْ بِالْحَالَةْ

٣١٢ – وَمُعْجِزَاتُ الْمُصْطَفَى الْكَثِيرَةْ ... دَلَّتْ عَلَى رُتْبَتِهِ الْأَثِيرَةْ

٣١٣ – لِأَنَّ مُعْجِزَاتِ غَيْرِهِ انْقَضَتْ ... بِعَصْرِهِمْ كَمَا مَشِيئَةٌ قَضَتْ

٣١٤ - وَبَعْضُ مُعْجِزَاتِ طَهَ بَاقِ ... لِأَنَّهُ الحَائِزُ لِلسِّبَاقِ

٣١٥ - فَكَمْ وَكَمْ آيٍ بِهَا تَحَدَّى ... إِحْصَاؤُهَا بِالْعَدِّ فَاقَ الحَدَّا

فَصْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْءَانِ

٣١٦ - وَحَسْبُكَ الْقُرْءَانُ ذُو الْآيَاتِ ... وَحِفْظُهُ لِآخِرِ الْغَايَاتِ

٣١٧ - فَهْوَ لِوَعْدِ الْحَقِّ ذُو إِنْجَازِ ... وَفِيهِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْإِعْجَازِ

٣١٨ - كَنَظْمِهِ الْبَدِيعِ فِي أُسْلُوبِهِ ... وَعَجْزِ مَنْ بَارَاهُ عَنْ مَطْلُوبِهِ

٣١٩ - وَالْجَمْعِ لِلْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ ... وَكَوْنِهِ يَخْلُو مَعَ التَّكْرَارِ

٣٢٠ - وَفِي الْجَزَالَةِ بِوَجْهٍ أَعْلَى ... وَالرَّوْعِ فِي الْقُلُوبِ حِينَ يُتْلَى

٣٢١ - وَمَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ ... غَيْبٍ بِتَصْرِيحٍ وَبِالْإِيمَاءِ

٣٢٢ - وَفِيهِ مِنْ هَذَا أُمُورٌ تَكْثُرُ ... وَالْبَعْضُ بِالْفَيْضِ عَلَيْهَا يَعْثُرُ

٣٢٣ - وَمِنْهُ مَا ابْنُ بَرَّجَانَ أَظْهَرْ ... فِي أَخْذِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الْمُطَهَّرْ

٣٢٤ - مِنْ قَوْلِهِ: بِضْعِ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ ... يَكُونَ ثُمَّ كَانَ طِبْقًا فِي الزَّمَنْ

٣٢٥ - وَبَعْضُهُمْ فِي وَجْهِ إِعْجَازِهِ نَحَا ... لِرَدِّ بَعْضٍ وَسِوَاهُ رَجَّحَا

٣٢٦ - وَاخْتَلَفُوا : هَلْ كَانَ فِي طَوْقِ الْبَشَرْ ... مِنْ قَبْلُ لَكِنْ صُرِفُوا كَمَا انْتَشَرْ

٣٢٧ - أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي طَوْقِهِمْ؟ وَصُحِّحَا ... وَالْبَحْثُ فِي ذَاكَ يَطُولُ شَرْحَا

٣٢٨ - وَأَخْبَرَ اللهُ بِعَجْزِ الْإِنْسِ ... وَالْجِنِّ عَنْ إِتْيَانِهِمْ بِالْجِنْسِ

٣٢٩ - مِنْ مِثْلِهِ، وَطُولِبُوا بِسُورَةْ ... فَمَا اسْتَطَاعُوا مِثْلَهَا ضَرُورَةْ

٣٣٠ - وَمَنْ لِجِلْبَابِ الْحَيَاءِ زَاحَا ... مُعَارِضًا لَهُ حَوَى افْتِضَاحَا

٣٣١ - كَمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ مُسَيْلِمَةْ ... مِنْ تُرَّهَاتٍ بِاخْتِلَالٍ مُعْلِمَةْ

٣٣٢ - رَكِيكَةٍ فِي لَفْظِهَا وَالْمَعْنَى ... كَقَوْلِهِ: (وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنَا)

٣٣٣ - وَغَيْرِهِ مِمَّا انْتَحَاهُ الْأَبْلَهُ ... وَهْوَ بِنَوْعِ الْهَذَيَانِ أَشْبَهُ

٣٣٤ - وَهَلْ يُقَاسُ ذَا بِـ {إِنَّ اللهَ ... يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} وَمَا تَلَاهَا؟!

٣٣٥ - وَأَيْنَ مَا هَذَى بِهِ فِي الضِّفْدَعِ ... مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا تَعَالَى {فَاصْدَعِ}؟!

٣٣٦ - أَجَارَنَا اللهُ مِنَ الْخِذْلَانِ ... وَالْغَيِّ فِي الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ

فَصْلٌ فِي السَّمْعِيَّاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ وَالْبَرْزَخِيَّةِ وَالْبِعْثَةِ

٣٣٧ - وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الْإِخْبَارِ ... عَنْ أَحْمَدَ الْمَخْصُوصِ بِالْإِكْبَارِ

٣٣٨ - فَذَاكَ حَقٌّ كَائِنٌ لَا يُمْتَرَى ... فِيهِ وَ {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى}

٣٣٩ - مِثْلُ السُّؤَالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ... وَالْبَعْثِ لِلْأَبْدَانِ يَوْمَ الْحَشْرِ

٣٤٠ - بِعَيْنِهَا لَا مِثْلِهَا إِجْمَاعَا ... وَالِاخْتِلَافُ بَعْدَ هَذَا شَاعَا

٣٤١ - هَلْ ذَاكَ عَنْ تَفْرِيقِ تِلْكَ الْأَجْزَا ... أَوْ عَدَمٍ مَحْضٍ إِلَيْهَا يُعْزَى؟

٣٤٢ - لَكِنَّ هَذَا بِاعْتِبَارِ مَا وَرَدْ وَالْكُلُّ فِي الْجَوَازِ بِالْعَقْلِ اطَّرَدْ
٣٤٣ - وَاسْتَثْنِ مِنْ ذَا الْخُلْفِ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمَا أَتَتْ فِيهِ النُّصُوصُ كَالنَّبِي

٣٤٤ - وَاخْتَلَفُوا فِي عَوْدِ وَقْتٍ وَعَرَضْ وَبَعْضُهُمْ إِعَادَةَ الْوَقْتِ اعْتَرَضْ
٣٤٥ - بِقَوْلِهِ جَلَّ : {جُلُودًا غَيْرَهَا} فَارْكَبْ مَطَايَا الْبَحْثِ وَاعْرِفْ سَيْرَهَا
٣٤٦ - فَلَيْسَ إِلَّا الْغَيْرُ بِالْأَزْمَانِ لِلْمَنْعِ مِنْ غَيْرِيَّةِ الْأَبْدَانِ
٣٤٧ - فَبَانَ أَنَّ الْوَقْتَ لَا يُعَادُ مِنْ ذَلِكَ الْحَصْرِ الَّذِي يُفَادُ

فَصْلٌ فِي الْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ

٣٤٨ - وَهَكَذَا الْحِسَابُ وَالْمِيزَانُ مِمَّا بِهِ قَدْ وَجَبَ الْإِيمَانُ
٣٤٩ - وَتُوزَنُ الصُّحْفُ بِلَا إِشْكَالِ وَقِيلَ: بَلْ أَمْثِلَةُ الْأَعْمَالِ
٣٥٠ - وَالْأَخْذُ لِلْكُتْبِ بِهِ النَّصُّ أَتَى وَالْخُلْفُ فِي الْعَاصِي لَدَيْهِمْ ثَبَتَا
٣٥١ - هَلْ بِيَمِينٍ أَوْ بِشِمَالٍ يُعْطَى كِتَابَهُ؟ وَمَنْ يَقِفْ مَا أَخْطَا
٣٥٢ - إِذْ لَمْ يَرِدْ فِيهِ صَرِيحٌ يُعْمَلُ عَلَيْهِ، وَالْوَارِدُ فِيهِ مُجْمَلُ
٣٥٣ - وَكَالصِّرَاطِ ذِي الْكَلَالِيبِ وَمَنْ أُنْقِذَ مِنْهُ فَهْوَ بِالْفَوْزِ قَمَنْ
٣٥٤ - جِسْرٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ الَّتِي يَهْوِي بِهَا مَنْ رِجْلُهُ قَدْ زَلَّتِ
٣٥٥ - وَمَا يُقَالُ: إِنَّهُ أَرَقُّ مِنْ شَعَرٍ؛ صَدِّقْهُ فَهْوَ حَقُّ
٣٥٦ - وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَا أَرْشَدْ إِلَيْهِ، وَالضَّرِيرُ فِيهِ أَنْشَدْ
٣٥٧ - وَالرَّبُّ لَا يُعْجِزُهُ إِمْشَاؤُهُمْ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يُعْيِهِ إِنْشَاؤُهُمْ
٣٥٨ - تَبًّا لِقَوْمٍ أَلْحَدُوا فِي أَمْرِهِ مَا قَدَرُوا الْإِلَهَ حَقَّ قَدْرِهِ
٣٥٩ - وَلِلْقَرَافِي هُنَا كَلَامُ مِنْ أَجْلِهِ نِيطَ بِهِ الْمَلَامُ
٣٦٠ - وَالنَّاسُ إِذْ ذَاكَ ذَوُوا أَحْوَالِ نَاجٍ سَرِيعًا أَوْ مَعَ الْأَهْوَالِ
٣٦١ - وَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ وَالْمُخَرْدَلُ مِمَّنْ بِهِ عَنِ الْجِنَانِ يُعْدَلُ
٣٦٢ - لِلنَّارِ، وَهْيَ مَسْكَنُ الْكُفَّارِ وَمَنْ أَبَى مِنْ طَاعَةِ الْغَفَّارِ
٣٦٣ - وَوَاجِبٌ أَنْ يُنْفَذَ الْوَعِيدُ فِي بَعْضِ الْعُصَاةِ دُونَ مَا تَوَقُّفِ
٣٦٤ - وَمَا بِنَوْعٍ وَاحِدٍ يَخْتَصُّ مِنْهُمْ وَفِي الْأَنْوَاعِ جَاءَ النَّصُّ
٣٦٥ - لَكِنَّ ذَا الْعِصْيَانِ لَا يُخَلَّدُ فِيهَا، وَذُو الْكُفْرِ بِهَا مُؤَبَّدُ
٣٦٦ - وَكَالشَّفَاعَةِ لِأَزْكَى مُرْسَلِ فَاضْرَعْ إِلَى الْمَنَّانِ فِيهَا وَسَلِ
٣٦٧ - وَقَدْ أَتَتْ أَنْوَاعُهَا مَنْصُوصَةْ وَالْبَعْضُ - كَالْكُبْرَى - بِهِ مَخْصُوصَةْ
٣٦٨ - لِأَنَّهَا أَظْهَرَتِ ارْتِفَاعَهْ إِذْ وَجَّهَ الْكُلُّ لَهُ الشَّفَاعَةْ
٣٦٩ - وَالْأَنْبِيَا تَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي سِوَاهُ، فَالْفَضْلُ لَهُ كَالشَّمْسِ
٣٧٠ - فَيُنْقِذُ الْجَمِيعَ مِنْ غُمُومِ قَدِ اعْتَرَتْهُمُو وَمِنْ هُمُومِ
٣٧١ - وَهْيَ وُعُودُ رَبِّهِ يُوفِيهَا لَهُ، فَنَسْأَلُ اللهَ الدُّخُولَ فِيهَا
٣٧٢ - وَحَوْضُهُ مِمَّا بِهِ النَّصُّ وَرَدْ وَفِيهِ خُلْفٌ: هَلْ بِهِ الْهَادِي انْفَرَدْ؟

٣٧٣ – وَهْــوَ الْأَصَــحُّ، أَوْ لِكُـــلِّ مُرْسَـــلِ ... حَــوْضٌ مِــنَ الْعَــذْبِ الرَّحِيــقِ السَّلْسَـــلِ؟

٣٧٤ – وَكَوْنُـــهُ بَعْــدَ الصِّــرَاطِ مُخْتَلَـــفْ ... فِيـــهِ، وَبَعْـــضٌ بِالتَّعَـــدُّدِ اعْتَـــرَفْ

٣٧٥ – وَذَوْدُ ذِي التَّغْيِيـــرِ عَنْـــهُ قَـــدْ بَـدَا ... وَمَـــنْ يَذُقْـــهُ لَـــيْسَ يَظْمَـــا أَبَـــدَا

٣٧٦ – وَاللهُ لَا يَحْرِمُنَـــا مِـــنْ شُـــرْبِ ... مِنْـــهُ بِجَـــاهِ الْمُصْـــطَفَى ذِي الْقُـــرْبِ

٣٧٧ – وَالْجَنَّـــــةُ الَّـــــتِي أَعَـــــدَّ اللهُ ... حَـــــــقٌّ لِمَـــــــنْ إِنْعَامَـــــــهُ أَوْلَاهُ

٣٧٨ – وَالْمُؤْمِنُـــونَ بِالْأَمَـــانِ أُسْـــعِدُوا ... فِيهَـــا وَفِي أَوْجِ التَّهَـــانِي أُصْـــعِدُوا

٣٧٩ – وَكَيْـــفَ لَا وَقَـــدْ تَنَـــاهَى كُـــلُّ سُـــو ... عَـــنْهُمْ وَنَـــالُوا مَـــا اشْـــتَهَتْهُ الْأَنْفُـــسُ؟!

٣٨٠ – وَأُتْحِفُـــوا مِـــنَ الْعَطَايَـــا وَالْبُشَـــرْ ... مَـــا لَمْ يَكُـــنْ يَخْطُـــرُ فِي قَلْـــبِ الْبَشَـــرْ

٣٨١ – وَمِـــنْ رِضَـــا الـــرَّحْمَنِ مَـــا قَـــرَّتْ بِـــهِ ... عُيُـــونُهُمْ مَـــعْ أَمْـــنِهِمْ مِـــنْ سَـــلْبِهِ

٣٨٢ – وَزَادَهُـــمْ مِـــنْ بَعْـــدِ هَـــذَا كُلِّـــهِ ... رُؤْيَـــتَهُمْ مَـــنْ عَمَّهُـــمْ بِفَضْـــلِهِ

٣٨٣ – فَنَسْـــأَلُ الْكَـــرِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَـــا ... مِـــنْهُمْ، وَأَنْ يُيَسِّـــرَ النَّفْـــعَ لَنَـــا

خَاتِمَةٌ نَسْأَلُ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – حُسْنَهَا فِي مَسَائِلَ نَافِعَةٍ

٣٨٤ – وَوَاجِـــبٌ إِيمَانُنَـــا بِالْقَـــدَرِ ... خَـــيْرٍ وَضِـــدِّهِ كَمَـــا فِي الْخَـــبَرِ

٣٨٥ – وَذُو السَّـــعَادَةِ السَّـــعِيدُ فِي الْأَزَلْ ... وَضِـــدُّهُ الشَّـــقِيُّ حَيْثُمَـــا نَـــزَلْ

٣٨٦ – وَكُلُّهُـــمْ مُيَسَّـــرٌ لِمَـــا خُلِـــقْ ... لَـــهُ، فَـــدَاجٍ أَمْـــرُهُ وَمُؤْتَلِـــقْ

٣٨٧ – وَالْكُـــلُّ لَا يَخْـــرُجُ عَـــنْ حُكْـــمِ الْقَضَـــا ... وَلَـــيْسَ مَـــا أَظْلَـــمَ مِثْـــلَ مَـــا أَضَـــا

٣٨٨ – وَمَـــا إِلَى الْأَعْمَـــالِ ظَـــاهِرًا رَجَـــعْ ... فَـــذَاكَ إِسْـــلَامٌ بِـــهِ الْعَبْـــدُ انْتَفَـــعْ

٣٨٩ – وَمَرْجِـــعُ الْإِيمَـــانِ لِلْإِذْعَـــانِ ... بِالْقَلْـــبِ وَالتَّصْـــدِيقِ بِالْجَنَـــانِ

٣٩٠ – وَنُطْـــقُ ذِي الْقُـــدْرَةِ شَـــرْطٌ فِيـــهِ ... عَلَـــى اخْـــتِلَافٍ، كُتْـــبُهُمْ تَحْوِيـــهِ

٣٩١ – وَالْخُلْـــفُ فِي النُّقْصَـــانِ وَالزِّيَـــادَةْ ... مُقَـــرَّرٌ عِنْـــدَ ذَوِي الْإِفَـــادَةْ

٣٩٢ – وَقِيـــلَ: لِلْأَعْمَـــالِ يَرْجِعَـــانِ ... فَيَنْتَفِـــي الْخِـــلَافُ فِي الْمَعَـــانِي

٣٩٣ – وَاللَّـــوْحُ وَالْقَلَـــمُ وَالْكُرْسِـــيُّ ... وَالْعَـــرْشُ ذُو الْجَسَـــامَةِ الْقُدْسِـــيُّ

٣٩٤ – وَالْكَـــاتِبُونَ وَاجِـــبٌ إِيمَانُنَـــا ... بِكُلِّهِـــمْ، فَـــرْضٌ بِهِـــمْ إِيقَانُنَـــا

٣٩٥ – وَأَنَّ لِلْعَبْـــدِ كِرَامًـــا حَفَظَـــةْ ... لِكُـــلِّ مَـــا أَخْفَـــاهُ أَوْ مَـــا لَفَظَـــهْ

٣٩٦ – وَيَجْعَـــلُ اللهُ لَهُـــمْ عَلَامَـــةْ ... عَلَـــى الضَّـــمِيرِ، فَاسْـــأَلِ السَّـــلَامَةْ

٣٩٧ – وَقِيـــلَ: لَا يُكْتَـــبُ مَـــا فِي الْقَلْـــبِ ... وَالْكُـــلُّ لَا يَفُـــوتُ عِلْـــمَ الـــرَّبِّ

٣٩٨ – وَلَـــيْسَ يَحْتَـــاجُ إِلَى اسْـــتِظْهَارِ ... بِهِـــمْ، تَعَـــالَى عَـــالِمُ الْأَسْـــرَارِ

٣٩٩ – وَمَـــا لَـــهُ – سُـــبْحَانَهُ – مِـــنْ أَسْمَـــا ... قَدِيمَـــةٌ لَهَـــا الْمَقَـــامُ الْأَسْمَـــى

٤٠٠ – وَهْـــيَ لَنَـــا تُـــدْرَى بِالِاسْـــتِقْرَاءِ ... مِـــــنْ طُـــــرُقِ التَّوْقِيـــــفِ لَا الْآرَاءِ

٤٠١ – وَيُطْلَـــقُ (الشَّـــيْءُ) عَلَـــى الْمَوْجُـــودِ ... لَا غَـــيْرِهِ فِي الْمَـــذْهَبِ الْمَحْمُـــودِ

٤٠٢ – وَمَالِـــكٌ وَأَهْـــلُ الِاجْتِهَـــادِ ... كُـــلٌّ إِلَى نَهْـــجِ الصَّـــوَابِ هَـــادِ

٤٠٣ – كَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةْ ... وَأَحْمَدٍ ذِي الرُّتْبَةِ الْمُنِيفَةْ

٤٠٤ – وَكُلُّهُمْ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ... وَفِرْقَةُ الْجُنَيْدِ دِنْ بِحُبِّهِمْ

٤٠٥ – فَإِنَّهُمْ طَرِيقُهُمْ مَرْضِيَّةْ ... قَوِيمَةٌ، لِأَهْلِهَا مَزِيَّةْ

٤٠٦ – وَجَاحِدُ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةْ ... جَاءَ بِكُفْرٍ وَانْتَحَى غُرُورَهْ

٤٠٧ – وَقَتْلُهُ لِلْكُفْرِ لَا لِلْحَدِّ ... وَذَلِكَ الْجَزَاءُ لِلْمُرْتَدِّ

٤٠٨ – كَذَا مَنِ اسْتَحَلَّ نَحْوَ الْخَمْرِ ... مِمَّا امْتِنَاعُهُ شَهِيرُ الْأَمْرِ

٤٠٩ – وَالنَّصُّ إِنْ أَوْهَمَ غَيْرَ اللَّائِقِ ... بِاللهِ، كَالتَّشْبِيهِ بِالْخَلَائِقِ

٤١٠ – فَاصْرِفْهُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِجْمَاعَا ... وَاقْطَعْ عَنِ الْمُمْتَنِعِ الْأَطْمَاعَا

٤١١ – وَمَا لَهُ مِنْ ذَاكَ تَأْوِيلٌ فَقَطْ ... تَعَيَّنَ الْحَمْلُ عَلَيْهِ وَانْضَبَطْ

٤١٢ – كَمِثْلِ: {وَهْوَ مَعَكُمْ} فَأَوِّلِ ... بِالْعِلْمِ وَالرَّعْيِ، وَلَا تُطَوِّلِ

٤١٣ – إِذْ لَا تَصِحُّ هَهُنَا الْمُصَاحَبَةْ ... بِالذَّاتِ، فَاعْرِفْ أَوْجُهَ الْمُنَاسَبَةْ

٤١٤ – وَمَا لَهُ مَحَامِلُ الرَّأْيِ اخْتَلَفْ ... فِيهِ، وَبِالتَّفْوِيضِ قَدْ قَالَ السَّلَفْ

٤١٥ – مِنْ بَعْدِ تَنْزِيهٍ، وَهَذَا أَسْلَمُ ... وَاللهُ بِالْمُرَادِ مِنْهَا أَعْلَمُ

٤١٦ – لِذَاكَ قَالَ مَالِكٌ إِذْ سُئِلَا ... فِي الِاسْتِوَا: (وَالْكَيْفُ مِنْهُ جُهِلَا)

٤١٧ – وَصَارَ لِلتَّأْوِيلِ قَوْمٌ عَيَّنُوا ... مِمَّا يَلِيقُ رَاجِحًا وَبَيَّنُوا

٤١٨ – إِذْ فَسَّرُوا الْوَجْهَ بِذَاتٍ، وَ الْيَدَا ... بِـ(قُدْرَةٍ)، وَذَا الْإِمَامُ أَيَّدَا

٤١٩ – وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: {مَنْ فِي السَّمَا} ... مَعْنَاهُ: بِالْأَمْرِ وَسُلْطَانٍ سَمَا

٤٢٠ – وَقِسْ عَلَى هَذَا جَمِيعَ مَا اشْتَبَهْ ... فِي الذِّكْرِ وَالْحَدِيثِ، وَادْرِ الْمَرْتَبَةْ

٤٢١ – وَالذَّنْبُ مَقْسُومٌ إِلَى الْكَبِيرَةْ ... كَالْقَذْفِ وَالْقَتْلِ وَلِلصَّغِيرَةْ

٤٢٢ – وَهْيَ بِالِاجْتِنَابِ لِلْكَبَائِرِ ... مَغْفُورَةٌ مِنْ عَالِمِ السَّرَائِرْ

٤٢٣ – فَفِي الْكِتَابِ قَالَ {إِنْ تَجْتَنِبُواْ} ... وَالْعَفْوُ مِنْهُ يَرْتَجِيهِ الْمُذْنِبُ

٤٢٤ – وَاللهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهْ ... وَيَغْفِرُ الدُّونَ إِذَا شَا، فَانْتَبِهْ

٤٢٥ – وَجَاءَنَا عَنْ مَانِحِ الْعَطَايَا ... تَكْفِيرُ حَجِّ الْبَيْتِ لِلْخَطَايَا

٤٢٦ – كَذَلِكَ الْعُمْرَةُ وَالْقِيَامُ ... وَالطُّهْرُ وَالصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ

٤٢٧ – وَغَيْرُهَا، وَهْوَ عَلَى الْخُصُوصِ ... يُحْمَلُ، لِلتَّوْفِيقِ لِلْمَنْصُوصِ

٤٢٨ – وَذُو كَبِيرَةٍ عَلَيْهِ التَّوْبَةْ ... فَرْضٌ بِفَوْرٍ وَاجْتِنَابُ حَوْبَةْ

٤٢٩ – وَفِي قَبُولِهَا لِغَيْرِ الْكَافِرِ ... قَطْعًا، وَظَنًّا وَجْهُ خُلْفٍ سَافِرِ

٤٣٠ – وَالْكَافِرُونَ الْقَوْلُ فِيهِمْ مَا اخْتَلَفْ ... لِقَوْلِهِ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ

٤٣١ – وَالنَّفْسُ وَالْعَقْلُ كَذَا الْمَالُ وَجَبْ ... صَوْنٌ لَهَا وَالْعِرْضُ أَيْضًا وَالنَّسَبْ

٤٣٢ – وَالرِّزْقُ مَا بِهِ انْتِفَاعٌ مُطْلَقَا ... هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَنْ حَقَّقَا

٤٣٣ – وَلَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى الْحَلَالِ ... وَوَجْهُهُ بَادٍ بِالِاسْتِدْلَالِ

٤٣٤ - وَالنَّصْبُ لِلْإِمَامِ بِالشُّرُوطِ ... فَرْضٌ بِشَرْعٍ بِالْهُدَى مَنُوطِ

٤٣٥ - وَالسَّمْعُ مَفْرُوضٌ عَلَى الْأَعْيَانِ ... لِأَمْرِهِ فِيمَا سِوَى الْعِصْيَانِ

٤٣٦ - إِذْ جَاءَ: لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي ... ذَاكَ وَفِيمَا عَنْهُ لَا يَخْلُو قِفِ

٤٣٧ - وَلَا يَجُوزُ عَزْلُهُ إِذَا طَرَا ... عَلَيْهِ فِسْقٌ، أَوْ بَغَى، أَوِ اجْتَرَا

٤٣٨ - وَلَا الْخُرُوجُ عَنْهُ إِلَّا إِنْ كَفَرْ ... وَحَافِرُ الْبَغْيِ هَوَى فِيمَا حَفَرْ

٤٣٩ - وَالْأَنْبِيَا أَفْضَلُ فَالْمَلَائِكَةْ ... يَتْلُونَ فِي فَضْلٍ عَلَوْا أَرَائِكَهْ

٤٤٠ - وَقِيلَ بِالْعَكْسِ، وَبَعْضٌ فَصَّلَا ... فِي ذَاكَ تَفْصِيلًا لَهُ قَدْ أَصَّلَا

٤٤١ - وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ أَنَّ الْمُصْطَفَى ... أَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ، وَالْخُلْفُ انْتَفَى

٤٤٢ - وَمَا نَحَى الْكَشَّافُ فِي التَّكْوِيرِ ... خِلَافُ إِجْمَاعِ ذَوِي التَّنْوِيرِ

٤٤٣ - فَاحْذَرْ لِغَيْرِ مَنْعِهِ سَمَاعَهْ ... وَاتَّبِعِ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَهْ

٤٤٤ - وَفُضِّلَ الْمَخْصُوصُ بِالْإِسْرَاءِ ... عَلَى الْبَرَايَا دُونَ مَا اسْتِثْنَاءِ

٤٤٥ - وَأَفْضَلُ الْأُمَّةِ ذَاتِ الْقَدْرِ ... أَصْحَابُ مَنْ أُعْطِيَ شَرْحَ الصَّدْرِ

٤٤٦ - إِذْ جَاءَ فِي الْقُرْءَانِ مَا يَقْضِي لَهُمْ ... بِالسَّبْقِ فِي آيٍ حَوَتْ تَفْضِيلَهُمْ

٤٤٧ - وَكَمْ أَحَادِيثَ عَلَيْهِمْ تُثْنِي ... كَقَوْلِهِ: «خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي»

٤٤٨ - وَقَوْلِ طَهَ الْمُصْطَفَى:لَوْ أَنْفَقَا ... فَجَلَّ مَنْ زَكَّاهُمُو وَوَفَّقَا

٤٤٩ - ثُمَّ يَلِيهِمْ تَابِعٌ بَادِي السَّنَا ... فَتَابِعٌ لِتَابِعٍ قَدْ أَحْسَنَا

٤٥٠ - وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةْ ... خَيْرُ الصَّحَابَةِ الْأُلَى كَانُوا مَعَهْ

٤٥١ - وَرَتِّبَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ... عَلَى خِلَافَةٍ، وَقَدِّمْ عَيْنَهُمْ

٤٥٢ - وَهْوَ أَبُو بَكْرٍ وَفَارُوقٌ يَلِي ... وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ وَاخْتِمْ بِعَلِي

٤٥٣ - زَوْجِ الْبَتُولِ بَضْعَةِ الرَّسُولِ ... مَنْ نَالَ بِالسِّبْطَيْنِ أَقْصَى السُّولِ

٤٥٤ - وَبَعْدَ هَؤُلَاءِ بَاقِي الْعَشَرَةْ ... طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ذَاكِي النَّشَرَةْ

٤٥٥ - وَعَامِرٌ وَسَعْدٌ السَّامِي الْحُلَى ... مَعَ ابْنِ عَوْفٍ وَسَعِيدٍ ذِي الْعُلَا

٤٥٦ - فَأَهْلُ بَدْرٍ ثُمَّ أَهْلُ أُحُدِ ... فَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ مِنْ بَعْدُ اعْدُدِ

٤٥٧ - وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ صُرِّحَا ... بِفَضْلِهِمْ، وَالْخُلْفُ فِيهِمْ شُرِحَا

٤٥٨ - وَبَعْضُ مَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ تَحَلَّى ... يَقُولُ مَنْ لِلْقِبْلَتَيْنِ صَلَّى

٤٥٩ - وَالصَّحْبُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ خِيَرَةْ ... فَمَنْ يُرِدْ وَجْهَ اهْتِدَا بِهِمْ يَرَهْ

٤٦٠ - لِأَنَّ مَنْ أَحَاطَ بِالْخَبِيِّ ... عِلْمًا حَبَاهُمْ صُحْبَةَ النَّبِيِّ

٤٦١ - فَهُمْ نُجُومٌ فِي السُّرَى مَنِ اقْتَدَى ... بِهِمْ إِلَى مَعَالِمِ الْحَقِّ اهْتَدَى

٤٦٢ - فَلَا تَخُضْ فِيمَا مِنَ الْأَمْرِ اخْتَلَطْ ... بَيْنَهُمُو، وَاحْذَرْ إِذَا خُضْتَ الْغَلَطْ

٤٦٣ - وَالْتَمِسَنَّ أَحْسَنَ الْمَخَارِجِ ... لَهُمْ، فَالِاجْتِهَادُ ذُو مَعَارِجِ

٤٦٤ - وَلَا تُصِخْ لِمَنْ أَبَى الْكَرَامَةْ ... لِلْأَوْلِيَاءِ، وَاجْتَنِبْ مَرَامَهْ

٤٦٥ - وَنَزِّهِ الْقُرْءَانَ أَنْ تَقُولَا ... بِخَلْقِهِ، وَاسْتَوْضِحِ الْمَعْقُولَا

٤٦٦ - لِأَنَّهُ وَصْفُ الْإِلَهِ جَلَّا ... وَمُعْجِزُ النَّظْمِ عَلَيْهِ دَلَّا

٤٦٧ - فَذَلِكَ الْمَتْلُوُّ وَالْمَدْلُولُ ... عَلَيْهِ مَا عَنْ قِدَمٍ يَحُولُ
٤٦٨ - وَالْحَرْفُ وَالصَّوْتُ كَذَا التِّلَاوَةْ ... مُحْدَثَةٌ، وَغَيْرُ ذَا غَبَاوَةْ
٤٦٩ - وَاحْذَرْ أَقَاوِيلَ ذَوِي الْأَهْوَاءِ ... فَإِنَّهَا مِنْ أَدْوَإِ الْأَدْوَاءِ
٤٧٠ - وَاسْلُكْ سَبِيلَ السُّنَّةِ الْغَرَّاءِ ... فَنُورُهَا بَادٍ لِعَيْنِ الرَّاءِ
٤٧١ - فَالشَّرُّ مَقْرُونٌ بِالِابْتِدَاعِ ... وَالْخَيْرُ مَضْمُونٌ بِالِاتِّبَاعِ
٤٧٢ - وَاعْمَلْ بِمَا تَحْوِي بِهِ الْأُجُورَا ... وَحَاذِرِ الْفَحْشَاءَ وَالْفُجُورَا
٤٧٣ - وَالْعُجْبَ وَالْغِيبَةَ وَالرِّيَاءَ ... وَاجْتَنِبَنْ فَخْرًا وَكِبْرِيَاءَ
٤٧٤ - وَأْمُرْ بِمَعْرُوفٍ وَغَيِّرْ مُنْكَرَا ... وَانْصَحْ وَنَبِّهْ ذَا اغْتِرَارٍ مِنْ كَرَا
٤٧٥ - وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ وَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... وَاجْعَلْ مِنَ التَّقْوَى جَمِيلَ زِيِّهَا
٤٧٦ - وَاقْطَعْ ذَوِي الْمَيْلِ وَوَاصِلْ مَنْ عَدَلْ ... وَلَا تَمِلْ إِلَى الْمِرَاءِ وَالْجَدَلْ

٤٧٧ - وَفِي كِتَابِ اللهِ أَسْنَى مُكْتَفَى ... بِهِ، وَمَا سَنَّ النَّبِيُّ الْمُقْتَفَى
٤٧٨ - وَمَا عَلَيْهِ أَجْمَعَ الْأَعْلَامُ ... مِمَّنْ تَزَكَّتْ مِنْهُمُ الْأَحْلَامُ
٤٧٩ - فَأَكْرَمُ الْعِبَادِ عِنْدَ اللهِ ... مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي عَيْشِهِ بِاللَّاهِي
٤٨٠ - وَفِي اتِّبَاعِ السَّلَفِ الْهُدَاةِ ... وَسِيلَةٌ لِلْأَمْنِ وَالنَّجَاةِ
٤٨١ - وَلْنَجْعَلِ الْخِتَامَ بِالشَّهَادَةْ ... تَفَاؤُلًا بِرُتْبَةِ السَّعَادَةْ
٤٨٢ - لِأَنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) قَدْ ... تَضَمَّنَتْ جُمْلَتُهَا مَا يُعْتَقَدْ
٤٨٣ - فِي حَقِّ رَبِّنَا وَفِي حَقِّ الرُّسُلْ ... النَّاهِجِينَ لِلْوَرَى أَهْدَى السُّبُلْ
٤٨٤ - مِنْ وَاجِبٍ وَجَائِزٍ وَمَا امْتَنَعْ ... وَمَنْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعْنَاهَا ارْتَفَعْ
٤٨٥ - كَمَا تَوَلَّى بَسْطَهُ السَّنُوسِي ... مُغْتَرِفًا مِنْ فَيْضِهِ الْقُدُّوسِي
٤٨٦ - وَقَدْ أَخَذْتُ كُتْبَهُ دِرَايَةْ ... عَمَّنْ تَلَقَّى فِي الْعُلُومِ الرَّايَةْ
٤٨٧ - عَمِّي سَعِيدٍ الْإِمَامِ الْمَقَّرِي ... عَنِ ابْنِ مَلَّالٍ عَنِ الْحَبْرِ السَّرِي
٤٨٨ - سَعِيدٍ الشَّهِيرِ بِـ (الْكَفِيفِ) ... عَنِ السَّنُوسِيِّ الرِّضَى الْعَفِيفِ
٤٨٩ - مُؤَلِّفِ الْعَقَائِدِ الشَّهِيرَةْ ... وَفَضْلُهُ كَالشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةْ
٤٩٠ - وَهْوَ الَّذِي يَقُولُ مَا مَعْنَاهُ ... فِي سِرِّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ):
٤٩١ - لَعَلَّهَا لِلِاخْتِصَارِ مَعْ مَا ... تَضَمَّنَتْهُ خَصَّهَا ذُو النِّعَمَا
٤٩٢ - بِكَوْنِهَا تَرْجَمَةَ الْإِيمَانِ ... فَالْهَجْ بِذِكْرِهَا مَعَ الْإِدْمَانِ
٤٩٣ - وَهَهُنَا نَظْمُ الْعَقِيدَةِ انْتَهَى ... مُبَلِّغًا لِمَنْ وَعَاهُ مَا اشْتَهَى
٤٩٤ - (وَفَاءُ عَدِّهِ بِنِصْفِ الْأَلْفِ) ... وَالرَّمْزُ بِالْجُمَّلِ فِيهِ أُلْفِي
٤٩٥ - وَكَانَ إِتْمَامِي لَهُ بِالْقَاهِرَةْ ... وَفِيهِ تَارِيخٌ (جَـ /حُـ) لَاهُ (الظَّاهِرَةْ)
٤٩٦ - وَأَرْتَجِي مِنْ مَانِحِ الْعَطَايَا ... سُبْحَانَهُ الْغُفْرَانَ لِلْخَطَايَا
٤٩٧ - وَالْفَوْزَ بِالنَّجَاةِ وَالْأَمَانِ ... وَنَيْلَ مَا أَنْوِي مِنَ الْأَمَانِي
٤٩٨ - بِجَاهِ نِبْرَاسِ الْهُدَى الْوَهَّاجِ ... (أَحْمَدَ) مَنْ أَرْشَدَ لِلْمِنْهَاجِ
٤٩٩ - كَهْفِ الْبَرَايَا الْهَاشِمِيِّ الْعَرَبِي ... مُنِيلِهِمْ مَا أَمَّلُوا مِنْ أَرَبِ

٥٠٠ – عَلَيْـــهِ مَـــعْ آلٍ وَأَصْـــحَابٍ عَلَـــوْا قَـــــدْرًا وَأَتْبَـــــاعٍ بِإِحْسَـــــانٍ تَلَـــــوْا
٥٠١ – أَزْكَـــــى تَحِيَّـــــاتٍ وَأَسْمَـــــى وَأَتَمّْ يَزْكُـــــو بِهَـــــا مُبْتَـــــدَأً وَمُخْتَـــــتَمْ

**** **** ****

تَمَّ الْمَتْنُ ، وَالْحَمْدُ للهِ ،

وَيَلِيهِ فَهْرِسُ الْمَتْنِ

فَهْرِسُ مَتْنِ إِضَاءَةِ الدُّجُنَّةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ

اِنْتَهَى فَهْرِسُ الْمَتْنِ ، وَالْحَمْدُ للهِ أَوَّلًا وَآخِرًا ،

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .